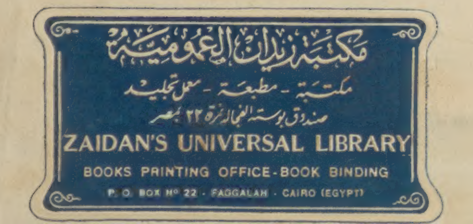
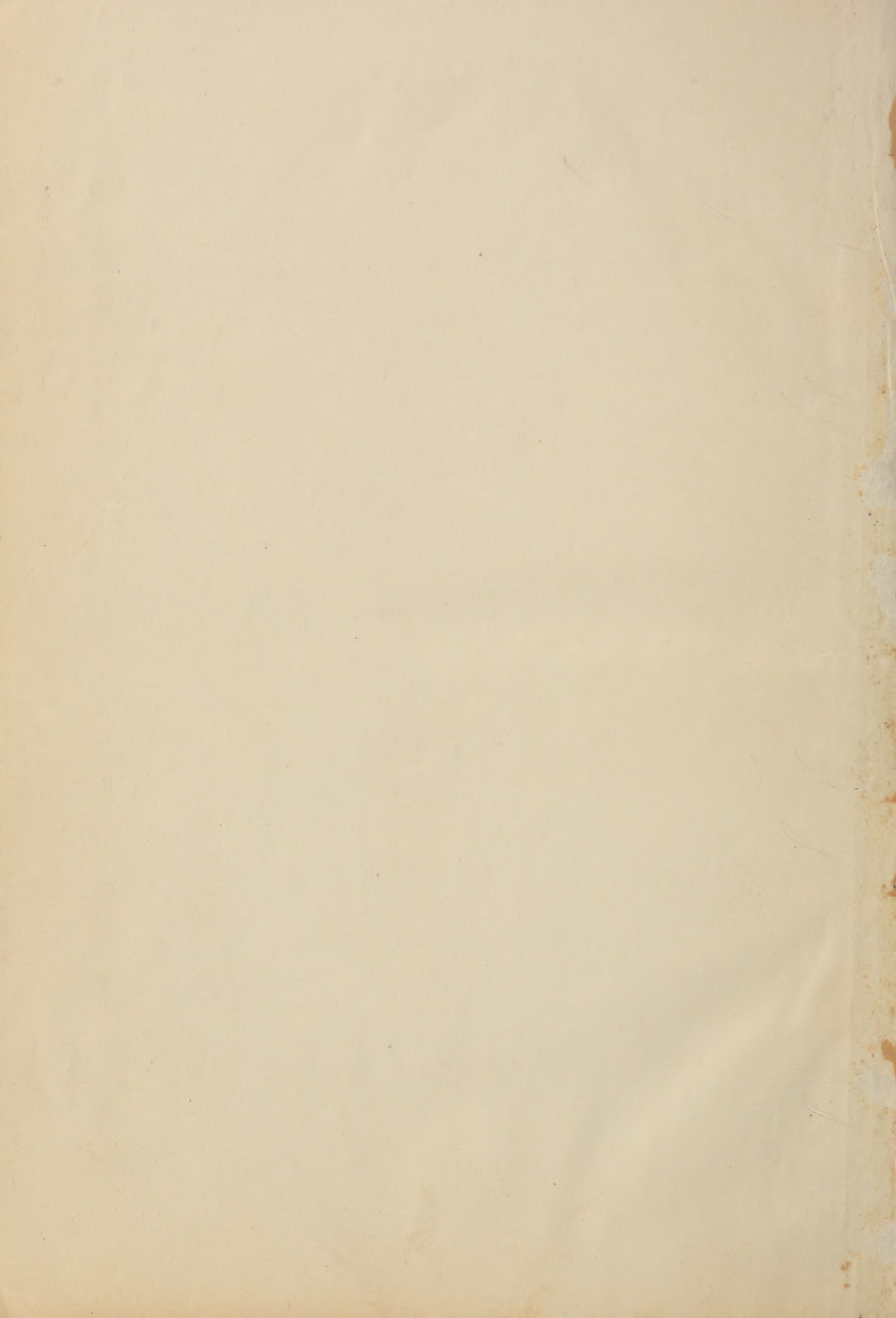
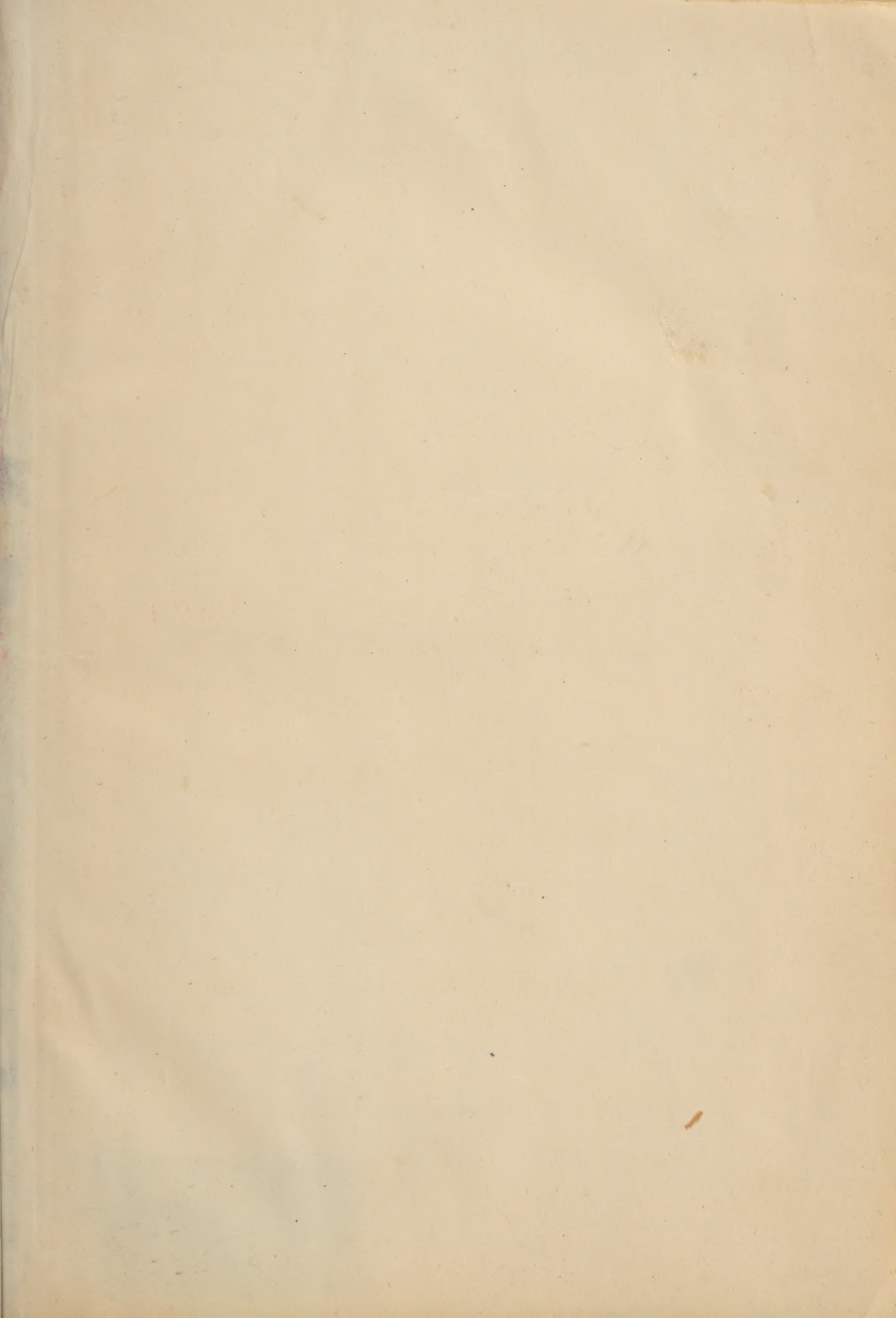



مكتبة زيدان العمومية
مكتبة - مطبعة - معمل تجليد
صندوق بوستة الفجالة نمرة ٢٢ بمصر
ZAIDAN'S UNIVERSAL LIBRARY
BOOKS PRINTING OFFICE-BOOK BINDING
P. O. BOX Nº 22 - FAGGALAH - CAIRO (EGYPT)







(فهرست الجزء الثالث من نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

صحيفة	
٢	(القسم الثانى من الكتاب فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب الخ وفيه أيضا ثمانية أبواب)
٢	(الباب الاول فى أولية لسان الدين وذكر أسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع در أخلافه وماينا سب ذلك مما لايعدل المنصف الى خلافه
٢٧	(ترجمة الاحاطة لابن مرج الكحل)
٣٣	(ملخص ترجمة الاحاطة لابى بحر صفوان بن ادريس)
٣٩	(الباب الثانى) فى نشاته (يعنى لسان الدين) وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته فى مصافاته ومنافاته وارتباكه فى شباكه وما لقى من احن الحاسد ذى المذهب الفاسد ومحن الكائد المستاسد وآفاته وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أحواله فى تقلباته عند ماقابله الزمان باهواله فى بدئه واعادته الى وفاته)
١٠٢	(الباب الثالث فى ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة ومايتعلق بذلك من الاخبار الشافية من العله والمواعظ المنجية من الاهواء المضله والمناسبات الواضحة البراهين والادله)
١٠٢	(ترجمة الشريف أبى القاسم السبتى)
١٠٨	(ترجمه ابن جابر الوادى آشى)
١١٠	(ترجمة جد المؤلف المقرى)
١١٦	(ذكر شيوخ جد المؤلف المذكور)
١١٦	أبوزيد وأبوموسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الامام)

صحيفه	
١٢٠	(أبوموسى المشدالى)
١٢٠	(أبواسحق بن حكم السلوى)
١٢٣	(عبدالله المجاصى)
١٢٤	(أبوعلى السبتى)
١٢٥	(أبوعبدالله بن هدية القرشى)
١٢٥	(القاضى أبوعبدالله التميمى)
١٢٥	(أبوعبدالله بن عبدالنور)
١٢٥	(أبوعبدالله البرونى)
١٢٥	(أبوعمران المصمودى البخارى)
١٢٦	(أبوعبدالله بن النجار)
١٢٦	(أبوالحسن بن سبع المكناسى)
١٢٧	(أبوعبدالله الزبيدى التونسى)
١٢٧	(عبدالمهيمن الحضرمى السبتى)
١٢٧	(أبوعبدالله السطى)
١٢٨	(أبوعثمان الخياط)
١٢٨	(أبوعبدالله بن الجمال)
١٢٨	(الشقيقان أبوعبدالله محمد وأبوالعبا[س] أحمد)
١٢٨	(أبوزيد الصنهاجى)
١٢٨	(أبوعبدالله الغزمونى)
١٢٩	(أبوعبدالله العبدرى الابلى)
١٣٠	(أبوعبدالله بن شاطر الجمحى المراكش)
١٣١	(أبوعبدالله بن المسفر)
١٣١	(أبوعبدالله الزواوى)
١٣١	(أبوعلى حسين)
١٣١	(أبوالعباس أحمد بن عمران)
١٣٢	أبوعبدالله بن عبدالسلام وغيره ممن لقيهم بتونس)
١٣٢	(أبواسحق البرناسى وغيره ممن لقيهم بفاس)
١٣٣	(أبوحيان وغيره ممن لقيهم بمصر)

صحيفه

١٣٢ (أبو عبد الله التوزري وغيره ممن لقيهم بمكة)
١٣٢ (أبو محمد الجبرتي ممن لقيه بالمدينة)
١٣١ (من لقيهم بدمشق الشام)
١٣- (من لقيهم ببيت المقدس)
(ايراد بعض فوائد لجد المؤلف المذكور)
١٤- (ذكر بعض تآليفه)
١٤/ (ذكر جملة فوائد من كتاب له يسمى المحاضرات)
١٥٩ (سرد بقية تآليفه)
١٦ (ذكر جملة من كتاب له يسمى كتاب الحقائق والرقائق)
١٦ (ذكر بعض نظمه)
١٧ (ترجمة ابن عباد الرندي شارح حكم ابن عطاء الله)
١٨ *(الرجوع الى سرد مشايخ لسان الدين ابن الخطيب)*
١٨ (أبو محمد عبد الحق بن سعيد)
١ (يونس بن عطية الوانشريسي)
١ (محمد بن أحمد بن أبي عفيف)
١ (عمر بن عثمان الوانشريسي)
١ (أبو جعفر الاوسي الجنان)
١ (القاضي أبو عبد الله بن أبي رمانة)
١ (الحسن بن عثمان الوانشريسي)
١ (أبو العباس أحمد بن عاشر)
١ (أبو عبد الله بن الفخار البيري)
(ايراد بعض فوائده)
(ما قيل في حق ابن خميس)
١٩ (رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده)
١٩٦ (ذكر شئ من نظم ابن حذلم)
١٩٦ *(رجع الى مشايخ لسان الدين)*
١٩٦ (الاستاذ ابن العوّاد)
١٩٧ (أبو عبد الله بن بيبش)

صحيفه

١٩٧ (أبو عبد الله بن بكر)
١٩٨ (أبو اسحق بن أبي يحيى)
١٩٩ (الطنجالي الهاشمي)
٢٠٠ (أبو عبد الله بن مرزوق)
٢٢٢ (ابن الجياب)
٢٤٠ (عبد المهيمن الحضرمي)
٢٤٤ ابن الحاج البلفيقي)
٢٥٣ (يحيى بن هذيل)
٢٥٨ (الشيخ أبو بكر بن ذي الوزارتين)
٢٦٣ (أبو الحسن القيجاطي)
٢٦٥ (ابن لب)
٢٧٠ (ابن جزي)
٢٩٩ (أبو بكر بن شبرين)
٣٠٢ (أبو عثمان التجيبي)
٣٧٢ (ما أورده لسان الدين في الاحاطة في ترجمة مشيخته)
٣٧٥ (الباب الرابع في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العليه وثناء غير واحد من أعلام أهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ووقوفهم عند اشارته ورسمه وما يضاهي ذلك في حظه وقسمه وسعيهم بين يديه)
٣٧٦ (ذكر بعض ما خاطبه به الملوك وغيرهم)
٣٧٨ (ترجمة الاحاطة للسلطان أبي زيان)
٣٨٧ (مما خوطب به لسان الدين من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم)
٤٠٤ (ماقاله الرئيس ابن الاحمر في حق ابن الخطيب)
٤١٠ (ما خاطبه به أبو جعفر بن خاتمة)
٤١٣ (ما أجابه به لسان الدين)

صحيفه

٤١٩ (ماخاطبه به أيضا ابن خاتمة)

٤٢٣ (ذكر بعض نظم ابن خاتمة)

٤٢٥ (ذكر ما أنشده أحد أعلام مالقة أحمد ابن صفوان للسان الدين فى غرض له تعجل قضاءه)

٤٢٦ (صورة اجازة ابن صفوان المذكور للسان الدين وولده عبد الله)

٤٢٦ (ماخاطب به لسان الدين الشريف أبا عبد الله بن نفيس)

٤٢٧ (ماخاطب به أبا القاسم بن رضوان)

٤٢٨ (ماخاطب به الجنان لسان الدين)

٤٣٧ (ماخاطب به أبو يحيى البلوى)

٤٣٩ (ماخاطبه به أبو عبد الله محمد بن مرزوق ومراجعته له)

٤٤١ (ما كتبه له أبو القاسم البرجى فى غرض الشفاعة لبعض قرابته وذكر بعض ترجمته ونظمه)

٤٤٥ (ماخاطبه به ابن زمرك)

٤٤٨ (ماخاطبه به ابن سلبطور وذكر بعض ترجمته وشعره)

٤٥٠ (ماخاطبه به ابن راجح وذكر بعض ترجمته وشعره)

٤٥٣ ماخاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسى

٤٥٣ (ماخاطبه به ابن عبد الملك المراكشى وذكر بعض ترجمته)

٤٥٣ (مامدحه به أبو عبد الله محمد المكودى الفاسى)

٤٥٤ (ما كتب به اليه أبو عبد الله اليتيم والرسالة التى أجابه بها وذكر بعض ترجمته)

٤٥٦ (ذكر بعض ترجمة أبى عبد الله الكرسوطى)

٤٥٧ (ماخاطب به أبو عمرو بن الزبير لسان الدين وذكر بعض ترجمته)

صحيفه

٤٥٧ (ذكر بعض ترجمة أبى يحيى بن الاكحل وماخاطب به لسان الدين)

٤٥٩ (ما كتب به اليه أبو عبد الله بن عيا ابن مشرف)

٤٥٩ (ما كتب به اليه أبو عبد الله العراقى

٤٥٩ (ماخاطبه به أبو محمد الازدى وذكر ش من شعره)

٤٦١ (ذكر ترجمة ابن رضوان النجارى و من نظمه)

٤٦٥ (ماخاطب به أبو بكر بن عبد الملك لس الدين وما أجابه به وذكر بعض تر وشعره)

٤٦٥ (ماخاطبه به أبو سلطان عبد العزيز على الغرناطى وذكر بعض ترجمت ونظمه)

٤٦٨ ماخاطبه به القاضى أبو الحسن النباه وذكر بعض ترجمته وشعره)

٤٧١ (ماخاطبه به شيخه أبو الحسن الجيا

٤٧٤ (ماخاطبه به أبو الحسن بن البناء الواد آشى وذكر بعض ترجمته)

٤٧٦ (ما أجاب به لسان الدين ماخوطب من سلطان تونس)

٤٧٧ (ماخاطب به أبو الحسن بن البر لسان الدين)

٤٧٨ (ماخاطبه به أبو القاسم بن الح وبعض ترجمته)

٤٧٨ (ماخاطبه به أبو الحجاج الجذ المنتشافرى جوابا لما خاطبه به لس الدين وذكر بعض ترجمته وشعره)

٤٨٤ (حكاية أبى يحيى بن عاصم فى شان لس الدين)

٤٨٥ (ترجمة ابن عاصم المذكور وذكر من نظمه ونثره)

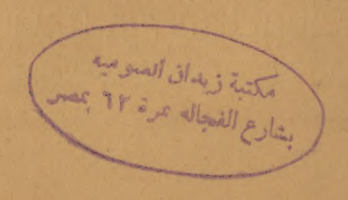
(تمت)

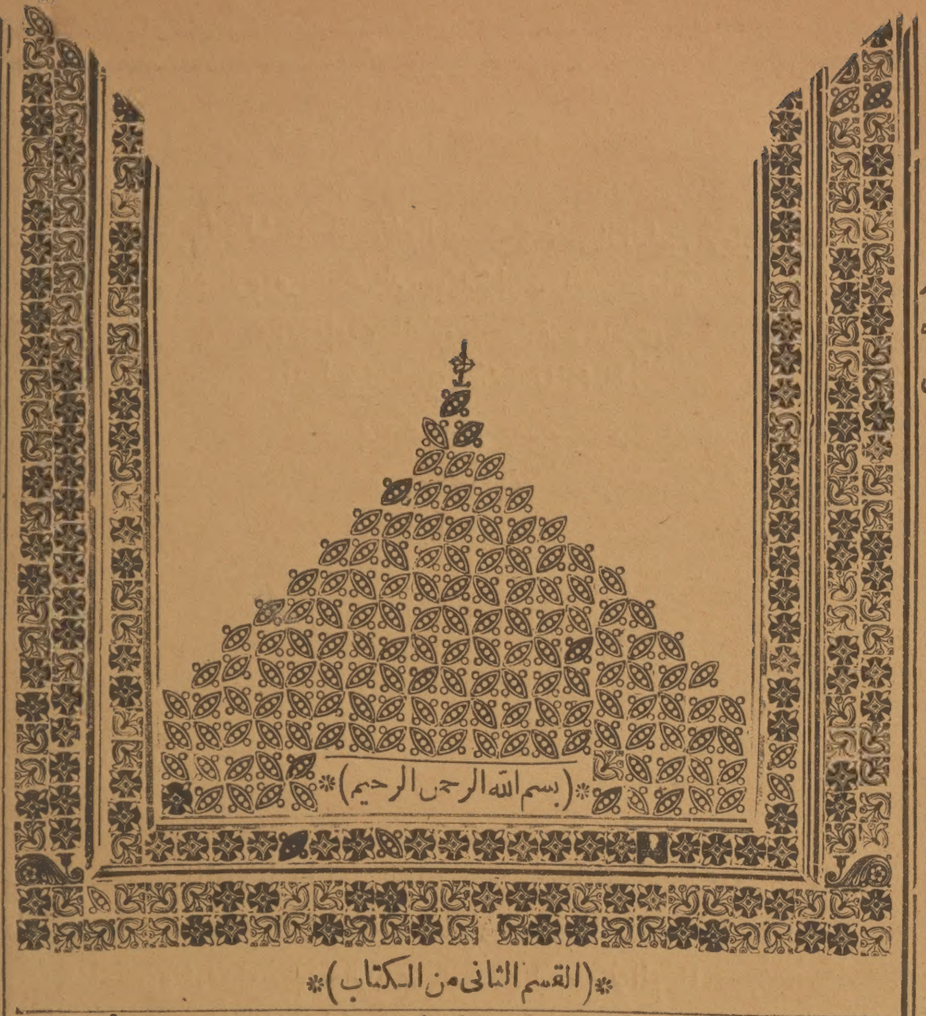
الجزء الثالث من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب اغريد زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقرى المغربى
المالكى الاشعرى تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

لاة هوامش أجزائه الاول والثانى والثالث بالتاريخ الفائق تغمات المثانى والمثالث
سمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام أبى الحسن على المسعودى أحسن الله مثويته
دار المستقر وافرد هامش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائع المسمى تحفة الاحباب
بغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ومايتبع ذلك للعلامة
سخاوى الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٠٢ هجرية)





(القسم الثانى من الكتاب)

فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر أنبائه التى يروق سماعها ويتأرج نفحها ويطيب وما يناسبها من أحوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه أيضا من الابواب ثمانيه موصلة الى جنات أدب قطوفها دانيه وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول)

فى أولية لسان الدين وذكر أسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع در أخلافه وما يناسب ذلك مما لا يعدل المنصف الى خلافه

(أقول) هو الوزير الشهير الكبير لسان الدين الطائر الصيت فى المغرب والمشرق المزرى عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير المثل المضروب فى الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير علم الرؤساء الاعلام الوزير الشهير الذى خدمته السيوف والاقلام وغنى بشهرة ذكره عن مسطور التعريف والاعلام *واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والاحلام (قال) سليل السلاطين الامير العلامة اسمعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بامر الله محمد بن

الاحمر

(وقد كان) خرج فى أيام عمر شوذب الخارجى وقوى أمره فيمن خرج معه من المحكمة من ربيعة وغيرها فحدث عباد ابن عباد المهلبى عن محمد ابن الزبير الحنظلى قال أرسلنى عمر اليهم وأرسل معى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان خروجهم بالجزيرة وكتب عمر معنا اليهم كتابا فاتيناهم فابلغناهم كتابه ورسالته فبعثوا معنا رجلين منهم أحدهما من بنى شيبان والآخر فيه حبشة وهو أحدهما لسانا وعارضة فقدمنا بهما على عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة فصعدنا اليه الى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكاتبه مزاحم فذكرنا مكانهما فقال فتشوهما لئلا يكون معهما حديد ففعلنا فلما دخلا قالا السلام عليك ثم جلسا فقال لهما

الاحمر نزيل فاس رحمه الله في كتابه المسمى بفرائد الجمان فيمن نظمني واياه الزمان في حق المذكور مانصه ذو الوزارتين الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد ابن الرئيس الفقيه الكاتب المنتزي ببلده لوشة عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله ابن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب سعيد السلماني اللوشي المعروف بابن الخطيب انتهى وقال القاضي ابن خلدون المغربي المالكي رحمه الله في تاريخه الكبير عندما أجرى ذكر لسان الدين مانصه أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وعلى وادي شنجيل ويقال شنيل المخترق في ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معدود في وزرائها وانتقل أبوه عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام انتهى وقال غيره ان بيتهم يعرف قديما ببني الوزير وحديثا ببني الخطيب وسعيد جده الاعلى أول من تلقب بالخطيب وكان من أهل العلم والدين والخير وكذلك سعيد جده الاقرب كان على خلال حميدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وأدب خيرا صدرا توفي عام ثلاثة وثمانين وستمائة وأبوه عبد الله كان من العلماء بالادب والطب وقرأ على أبي الحسن البلوطي وأبي جعفر ابن الوزير وغيرهما وأجازه طائفة من أهل المشرق وتوفي بطريف عام احدى وأربعين وسبعمائة شهيدا يوم الاثنين السابع من جمادى الاولى من العام المذكور مفقودا ثابت الجأش شكر الله فعله قلت وماذكره هؤلاء أكثره مأخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه الله بنفسه آخر الاحاطة ولنذكر ملخصه اذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه مع ما فيه من الزيادة على ما سبق وهي تتم للطالب أمله وتوفيه قال رحمه الله يقول مؤلف هذا الديوان تغمد الله خطله في ساعات أضاعها وشهوة من شهوات اللسان أطاعها وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه استبدل بها اللهو لما باعها أما بعد حمد الله الذي يغفر الخطيه ويحث من النفس اللعوج المطيه فتحرك ركائبها البطيه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ميسر سبل الخير الوطيه والرضا عن آله وصحبه منتهى الفضل ومناخ الطيه فانني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذي حمل عليه فضل النشاط مع الالتزام لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط والتفت اليه فراقني منه صوان درر ومطلع غرر قد تخلدت مآثرهم مع ذهاب أعيانهم وانتشرت مفاخرهم مع انطواء زمانهم نافستهم في اقتحام تلك الابواب ولباس تلك الاثواب وقنعت باجتماع الشمل بهم ولو في الكتاب وحرصت على أن أنال منهم قربا وأخذت أعقابهم أدبا وحبا وكما قيل ساقي القوم آخرهم شربا فأجريت نفسي مجراهم في التعريف وحذوت بها حذوهم في بابي النسب والتصريف بقصد التشريف والله سبحانه لا يعدمني واياهم واقفا يترحم وركاب الاستغفار بمنكبه يزحم عندما ارتفعت وظائف الاعمال وانقطعت من التكسبات حبال الآمال ولم يبق الا رحمة الله التي تنتاش النفوس وتخلصها وتعينها باسم السعادة وتخصصها جعلنا الله ممن حسن ذكره ووقف على التماس ما لديه فكره بمنه محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني قرطبي الاصل ثم طليطليه ثم لوشيه ثم غرناطيه يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية

عمر أخبراني ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا وما نقمتم علينا فتكلم الذي فيه حدة فقال والله ما نقمنا عليك في سيرتك وانك لتجزي بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك أمر ان أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك فقال عمر وما هو قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم عمر فقال اني قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا للدنيا ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها واني سائلكم عن أمور فبالله لتصدقني عنها أرأيتما أبا بكر وعمر أليسا من أسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذراري قالا نعم قال فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبي بكر رد تلك السبايا الى أصحابها قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبي بكر قالا لا قال أفرأيتم أهل النهروان أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم

بلسان الدين أو ليثي يعرف بيتنا في القديم وزير ثم حديثا بلوشة ببني الخطيب انتقلوا مع
أعلام الجالية القرطبية كيحيى بن يحيى الليثي وأمثاله عند وقعة الربض الشهيرة الى طليطلة
ثم تسربوا محوّمين على وطنهم قبل استيلاء الطاغية عليه فاستقر منهم بالموسطة الاندلسية جملة
من النبهاء تضمن منهم ذكر خلق كعبد الرحمن قاضي كورة باغة وسعيد المستوطن بلوشة
الخطيب بها المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها جاريا مجرى التسمية بالمركب تاريخ الغافقي
وغيره وسكن عقبهم بها وسكن بعضهم منتقر برملكين اياها مختطين جبل التحصن والمنعة
فنسبوا اليها وكان سعيد هذا من أهل العلم والخير والصلاح والدين والفضل وذكاء الفطنة
أوقفني الوزير أبو الحكم بن محمد المنتقربري وهو بقية هذا البيت واخبار به على جدار برج
يعض ربا أملاكنا بلوشة تطؤه الطريق المارة من غرناطة الى اشبيلية وقال كان جدك
يذيع بهذا المكان فصولا من العلم ويجهر بتلاوة القرآن فيستوقف الرفاق المدلجة الحنين
الى نغمته والخشوع الى صدقه فتعرس رحالها لصق جداره وتريح ظهرها موهنا الى أن
يأتي على ورده وتوفي وقد أصيب باهله وحرمه عندما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل
ووقفت على مكتوبات من المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود أمير المسلمين بالاندلس في
غرض اعانته والشفاعة الى الملكة زوج سلطان قشتالة بما يدل على نباهة قديم يفيد اثارة
عبرة واستقالة عثرة وتخلف ولده عبد الله جاريا مجراه في التجلد والتمعش من حر
النشب والتزيي بالانقباض والتحلي بالنزاهة الى أن توفي وخلف ولده سعيدا جدنا الاقرب
وكان صدرا خيرا استوليا على خلال جيدة من خط وتلاوة وفقه وحساب وأدب نافس جيرته
بني الطنجالي الهاشميين وتحول الى غرناطة عندما شعر بعمالهم على الثورة واستطلاعهم
الى النزوة التي خضدت الشوكة واستأصلت منهم الشأفة وصاهر بها الاعيان من بني
أضحى بن عبد اللطيف الهمداني أشراف جند حمص الداخلين الى الجزيرة في طلعة بلج بن
بشير القشيري ولحقه من جراء منافسيه لما جاهروا السلطان بالخلعان اعتقال اعتبه السلطان
بعده واحظاه على تفنئته وولاه الاعمال النبيهة والخطط الرفيعة حدثني من اثقه قال عزم
السلطان أن يقعد جدك استاذا لولده فأنفت من ذلك ام الولد اشفاقا عليه من فظاظة كانت
فيه ثم صاهر القواد من بني الجعدالة على امي ومتت الى زوج السلطان ببنوة الخؤلة
فنبه القدر وانفسحت الحظوة وانثال على البيت الرؤساء والقرابة وكان على قوة شكيمته
وصلابة مكسره مؤثر الخمول محبا في الخير حدثني أبي عن امه قالت قلما تهنأنا نحن وأبوك
طعاما حافلا لايثاره به من كان يكمن بمسجد جواره من اهل الحاجة وأحلاف الضرورة يهجم
علينا منهم بكل وارد ويجعل يده مع يده ويشركه في أكيلته ملتذا بموقعها من فؤاده وتوفي في
ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة صهرته الشمس مستسقيا في بعض الحقول وقد استغرق
في ضراعته فدلت الحتف على نفسه وتخلف والدي نابتا في الترف نبت العليق يكنفه رعي
أم تجر ذيل نعمة وتحنو منه على واحد تحذر عليه النسيم اذا سرى ففاته لترفه حظ كبير من
الاجتهاد وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبي الحسن البلوطي والمقرئ أبي عبد الله بن سمعون
وأبي جعفر بن الزبير خاتمة الجلة وكان يفضله وانتقل الى لوشة بلد سلفه مخصوصا بلقب الوزارة

يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم يأخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا اليهم
مع الشيباني وعبدالله بن
وهب الراسبي وأصحابه
استعرضوا الناس يقتلونهم
ولقوا عبدالله بن خباب بن
الارت صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتلوه
وقتلوا جاريته ثم صبحوا
حيا من احياء العرب
فاستعرضوهم فقتلوا
الرجال والنساء والاطفال
حتى جعلوا يلقون الصبيان
في قدور الاقط وهي تفور
قالا قد كان ذلك قال فهل
تبرأ أهل البصرة من أهل
الكوفة وأهل الكوفة
من أهل البصرة قالا لا قال
فهل تبرؤن أنتم من احدى
الطائفتين قالا لا قال أرأيتم
الدين واحدا أم اثنين قالا
بل واحدا قال فهل يسعكم
فيه شيء يعجز عني قالا لا قال
فكيف وسعكم أن توليتم
أبا بكر وعمر وتولى أحدهما
صاحبه وتوليتم أهل
البصرة وأهل الكوفة
وتولى بعضهم بعضا وقد
اختلفوا في أعظم الاشياء
في الدماء والفروج والاموال
ولا يسعني فيما زعمتم الا لعن
أهل بيتي والتبرؤ منهم
أرأيتم لعن أهل الذنوب
فريضة مفروضة لابد منها
فان كانت كذلك فاخبرني
أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال ما أذكر متى لعنته قال ويحك لم لاتلعن فرعون وهو أخبث

الى

الى أن قصدها السلطان أبو الوليد متخطيا الى الحضرة هاويا الى ملك البيضة فعضد أمره وأدخله بلده لدواع يطول استقصاؤها ولما تم له الامر صحب ركابه الى دار ملكه مستأثرا بشقص عريض من دنياه وكان من رجال الكمال طلق الوجه مع الظرف وتضمن كتاب التاج المحلى والاحاطة رائقا من شعره وفقد في الكائنة العظمى بطريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى سنة واحد وأربعين وسبعمائة ثابت الجأش غير جزوع ولاهيابة حدثني الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة الفقيه أبو عبد الله بن اللوشي قال كبا بأخيك الطرف وقد غشي العدو وجنحت الى ارادفه فانحدر اليه والدك وصرفني وقال أنا أولى به فكان آخر العهد بهما انتهى * ومما رثى به والد لسان الدين وأخوه ما ذكره في الاحاطة في ترجمة أبي محمد عبد الله الازدي اذ قال ما نصه ومما كتب الى فيما أصابني بطريف

خطب ألم فأذهب الاخ والابا * رغما لأنف شاء ذلك أو ابى
قدر جرى في الخلق لا يجد امرؤ * عما به جرت المقادر مهربا
اما جزعت له فعذر بين * قضت الدواهي أن تحل له الحبا
لا كان يوم مهما الكربه فكم وكم * فيه المجلي والمصلي قد كبا
يوم لوى ليسانه لم يبق للاسلام حد مهند الا نبا
وتجمعت فيه الضلال فقابلت * فيه الهدى فتفرقت أيدي سبا
آها لعز المهتدين صرامة * لاذل عز المهتدين وأذهبا
دهم المصاب فعم الأنة * فيما يخصك ما أمر وأصعبا
يا ابن الخطيب خطاب مكترث لما * قد الزم البث الالد وأوجبا
قاسمتك الشجو المقاسمة التي * صارت بخالص ما محضتك مذهبا
لولا وأنت لدى سابق حلبة * تزهى بمن في السابقين تأدبا
لاعاد يوم نال منك ولا أتت * سنة به ما الليل أبدى كوكبا
يهني الشهيدين الشهادة انها * سبب يزيد من الاله تقربا
ورداعلى دار النعيم وحورها * كلفا بربهما يزدن ترحبا
فاستغن بالرحمن عمن قد توى * من خوب خير من ارتضى ومن اجتبى

فأجبته بقولي

أهلا بمقدمك السنى ومرحبا * فلقد حبانى الله منك صاحبا
وافيت والدنيا على كأنها * سم الخياط وطرف صبري قد كبا
والدهر قد كشف القناع ولم يدع * لي عدة للروع الا أذهبا
صرف العنان الى غير مدافع * عني وأثبت دون نصرتي الشبا
خطب تأوبني يضيق لهوله * رحب الفضا وتهى لموقعه الربا
لو كان بالورق الصوادح في الدجى * ما بي لعاق الورق عن أن تندبا
فافرت من ظلماء همي ما دجا * وقدحت من زند اصطباري ما خبا
فكأنني لعب الهجير بمهجتي * وبعثت لي من نفحها نفس الصبا

الخلق ويسعى فيما زعمت لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم ويحك انكم قوم جهال ثم أردتم أمرا فاخطأتموه فانتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده قالا ما نحن كذلك قال عمر بل سوف تقرون بذلك الآن هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس وهم عبدة أوثان فدعاهم الى خلع الاوثان وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه وأحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له أسوة المسلمين قالا نعم قال أفلستم أنتم تلقون من يخلع الاوثان ويشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الاديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه قال الحبشى ما سمعت كاليوم قط حجة أبين وأقرب مأخذا من حجتك أما أنا فاشهد أنك على الحق وأنا بريء ممن بريء منك فقال عمر للشيباني فأنت ما تقول قال ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر حتى أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم قال فأنت أعلم فانصرف وأقام الحبشي فأمر له عمر بعطائه فمكث خمسة عشر يوما ثم مات ولحق الشيباني

لا كان يومك يا طريف فطالما * أطلعت للآمال برقا خلبا
ورميت دين الله منك بفادح * عم البسيط مشرقا ومغربا
وخصصتنى بالرزء والثكل الذى * أوهى القوى منى وهد المنكبا
لا حسن للدنيا لدى ولا أرى * للعيش بعد أبى وصنوى مأربا
لولا التعلل بالرحيل وأننا * ننضى من الاعمار فيها مركبا
فاذا ركضنا للشبيبة أدهما * حال المشيب به فاصبح أشهبا
والملتقى كثب وفى ورد الردى * نهل الورى من شاء ذلك أو أبى
لجريت طوع الحزن دون نهاية * وذهبت من خلع التصبر مذهبا
والصبر أولى ما استكان له الفتى * رغما وحق العبد أن يتأدبا
واذا اعتمدت الله يوما مفزعا * لم تلف منه سوى اليه المهربا

وواقعة طريف هذه استشهد فيها جماعة من الاكابر وغيرهم وكان سببها أن سلطان فاس أمير المسلمين أبا الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى أجاز البحر الى جزيرة الاندلس برسم الجهاد ونصرة أهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدوة وشمر عن ساعد الاجتهاد وجر من الجيوش الاسلامية نحو ستين ألفا وجاء اليه أهل الاندلس بقصد الامداد وسلطانهم ابن الاحمر ومن معه من الاجناد فقضى الله الذى لا مرد لما قدره أن صارت تلك الجموع مكسرة ورجع السلطان أبو الحسن مفلولا وأضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولا ونجا برأس طمرة ولجام ولا تسل كيف وقتل جمع من أهل الاسلام والقوافرة من الاعلام وأمضى فيهم حكمه السيف وأسر ابن السلطان وحريمه وخدمه ونهبت ذخائره واستولت على الجميع أيدى الكفر والحيف واشرأب العدو الكافر لاخذ ما بقى من الجزيرة ذات الظل الوريف وثبتت قدمه اذ ذاك فى بلد طريف وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهى المعضلة الداء والارزاء التى تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت بذلك عيون الاعداء ولولا خشية الخروج عن المقصود لاوردت قصتها الطويلة وسردت منها ما يحق لسامعه أن يكثر بكاءه وعويله وقد ألم بها الولى قاضى القضاة ابن خلدون المغربى فى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر فليراجعه من أراده فى المجلد الثامن من هذا التاريخ الجامع فانه ذكر حين ساق هذه الكائنة ما يخرس الالسن ويصم المسامع ولله الامر من قبل ومن بعد وقول لسان الدين رحمه الله فى أولية سلفه انهم انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية الى آخره أشار بذلك الى واقعة الربض الشهيرة التى ذكرها ابن حيان فى تاريخه الكبير المسمى بالمقتبس فى تاريخ الاندلس وقص أمرها غير واحد كابن الفرضى وابن خلدون وملخصها ان أهل ربض قرطبة ثاروا على الامير الحكم الاموى وفيهم علماء أكابر مثل يحيى بن يحيى الليثى صاحب امامنا مالك رضى الله عنه وغيره فكانت النصرة للحكم فلما ظفر وقتل من شاء أجلى من بقى الى البلاد وبعضهم الى جزيرة اقريطش ببحر الاسكندرية وفى قصتهم طول

باصحابه فقتل معهم بعد ومناظرات وكذلك لمن سلف من بنى أمية وغيرهم من ولاة الامصار وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بامير المؤمنين وخاطبته بالامامة من الازارقة والاباضية والحمرية والنجدات والخلفية والصفرية وغيرهم من أنواع الحرورية وذكرنا مواضعهم من الارض فى هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور وسجستان وجواة اصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان وبلاد مكران وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها من بقاع الارض فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وما ذكرنا من الرد عليهم فى التحكيم وغير ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الانتصار المحكم لفرق الخوارج وفى كتاب الاستبصار وقد ذكر جماعة من شعرائهم من سلف من أئمتهم من ذلك قول مصقلة بن عتبان الشيبانى وكان من غلاة الخوارج
وأبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح ان لم يرع منك قريب
فانك ان لا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب

وليس هذا محلها وقال لسان الدين رحمه الله أيضا فى حق والده ما حاصله عبد الله بن سعيد ابن عبد الله بن سعيد بن احمد بن على السلمانى أبو محمد غرناطى الولادة والاستيطان لوشى الاصل طليطليه قرطبيه وقال فى الاكليل ان طال الكلام وجمحت الاقلام كنت كما قيل مادح نفسه يقرئك السلام وان أحجمت فما أسديت فى الثناء ولا ألحمت واضعت الحقوق وخفت ومعاذ الله العقوق هذا ولوانى زجرت طير البيان من أوكاره وجئت بعون الاحسان وأبكاره لما قضيت حقه بعد * ولا قات الابا التى علمت سعد * فقد كان رحمه الله ذا عزم ورجل رخاء وأزم تروق أنوار خلاله الباهرة وتضىء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة ذكاء يتوقد وطلاقة يحسد نورها الفرقد وكانت له فى الادب فريضه وفى النادرة العذبة منادم عريضه تكلمت يوما بين يديه فى مسائل من الطب وأنشدته ابياتا من شعرى ورقاعا من انشائى فتهلل وما برح أن ارتجل

الطب والشعر والكتابه * سماتنا فى بنى النجابه
هن ثلاث مبلغات * مراتبا بعضها الحجابه

ووقع لى يوما بخطه على ظهر أبيات بعثتها اليه أعرض عليه غطها

وردت كما صدر النسيم بسحرة * من روضة جاد الغمام رباها
وكأنما اروت اودع سحره * فيها وآثر هابه وحباها
مصقولة الالفاظ يبهر حسنها * فبمثلها افتخر البليغ وباهى
فقررت عينا عند رؤية حسنها * انى أبوك وكنت أنت أباها

ومن نظمه قوله

وقالوا قد دنا فاصبر ستشفى * فترياق الهوى بعد الديار
فقلت هبوا بأن الحق هذا * بقلبى يمموا فيم اصطبارى

وقال

عليك بالصمت فكم ناطق * كلامه ادى الى كلمه
ان لسان المرء اهدى الى * غرته والله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا * وجرمه اكبر من جرمه

وقال

انا بالدهر يابنى خبير * فاذا شئت علمه فتعالى
كم مليك قد ارتقى منه روضا * لم يدافع عنه الردى ما ارتقى لا
كل شئ تراه يفنى ويبقى * ربنا الله ذو الجلال تعالى

مولده بغرناطة فى جمادى الاولى عام اثنين وسبعين وستمائة وفقد يوم الوقيعة الكبرى بظاهر طريف يوم الاثنين سابع جمادى الاولى عام واحد واربعين وسبعمائة ورثيته بقصيدة اولها

سهام المنايا لا تطيش ولا تخطى * وللدهر كف تسترد الذى تعطى
وانا وان كنا على ثبج الدنا * فلابد يوما أن نحل على الشط
تساوى على ورد الردى كل وارد * فلم يغن رب السيف عن ربة القرط
وسيان ذل الفقر أو عزة الغنى * ومن اسرع السير الحثيث ومن يبطى

غزالة ذات البدر ومنا جميدة * لها فى سهام المسلمين نصيب
ولا صالح مادامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب
وكذلك ذكرنا أخبار أم شبيب وما كانت عليه من الاجتهاد فى ديانة المحكمة وفيها يقول الشاعر

أم شبيب ولدت شبيبا * هل تلد الذئبة الا ذيبا

وأخبار علمائهم كاليمان وله كتب مصنفة فى مذاهبهم وعبد الله بن يزيد الاباضى وأبى مالك الحضرمى وقعنب وغير هؤلاء من علمائهم وقد كان اليمان بن رباب من غلبة علماء الخوارج وأخوه على بن رباب من غلبة علماء الرافضة هذا مقدم فى أصحابه وهذا مقدم فى أصحابه يجتمعان فى كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وزهادها وأخوه حسن بن المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤساء الحشوية بالضد من أخيه جعفر وطالت بينهما المناظرة والمباغضة والتباين وكل واحد منهما لا يخاطب الآخر الى أن لحق بخالقه وجعفر بن

وهى طويلة قال ورثاه شيخنا أبو زكريا بن هذيل بقصيدة يقول فيها

اذا نالم ارثا لصديق فاعذرى * اذا قلت ابياتا حسانا من الشعر
ولو كان شعرى لم يكن غير ندبة * وأجريت دمعى لليراع عن الحبر
لما كنت اقضى حق صحبته التى * توخيتها عونا على نوب الدهر
رمانى عبد الله يوم وداعه * بداهية دهياء قاصمة الظهر
قطعت رجائى حين صح حديثه * فان يوف لى دمعى فقد خاننى صبرى
وهل مؤنس كابن الخطيب لوحشتى * ابث له همى وأودعه سرى

ومنها

تولى وأخبار الجلالة بعده * مؤرجة الانباء طيبة النشر
رضينا بترك الصبر من بعد بعده * على قدر ما فى الصبر من عظم الاجر
أتى بفتيت المسك فوق جبينه * نجيعا يفوق المسك فى موقف الحشر
لقد لقى الكفار منه بعزمة * لها القيته الحور بالبر والبشر
تجلت عروسا جنة الخلد فى الوغى * تقول ألا هل الفوز لا يغلكم مهرى
فكان من القوم الذين تبادروا * الى العالم الاعلى مع الرفقة الغر
تعالوا بنا تسقى الاباطح والربا * بقطر دموع غالبات على القطر
ألا لا تلم عينى اسكب دموعها * فاسكبت الا على الماجد الحر

ومنها

أخواننا جدوا فكم جد غيركم * وسيروا على خف من الحوب والوزر
على سفر أنتم لدار تأخرت * وما الفوز فى الاخرى سوى خفة الظهر
وما العيش الا يقظة مثل نومة * وما العمر الا كالخيال الذى يسرى
على الحق أنتم قادمون فشمروا * فليس لمخذول هنالك من عذر

وهى طويلة تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين رحمه الله قلت على منوال كلامه فى تحلية أبيه النبيه نسج الوزير الكاتب الشهير القاضى أبو يحيى بن عاصم القيسى الاندلسى رحمه الله فى وصف أبيه القاضى أبى بكر بن عاصم صاحب التحفة فى علم القضاء وهو محمد بن محمد بن محمد بن عاصم الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة الرئيس أبو بكر ونص المحتاج اليه فى هذا المحل من كلام ولده قوله رحمه الله ان بسطت القول أوعددت الطول واحكمت الاوصاف وتوخيت الانصاف انفدت الطروس وكنت كما يقول الناس فى المثل من مدح العروس وان أضربت عن ذلك صفحا فلبئسما صنعت ولشرما أمسكت المعروف ومنعت وكم من حقوق الابوة أضعت ومن ثدى للعقة رضعت ومن شيطان لغمصة الحق اطعت ولم أرد الا الاصلاح ما استطعت وان توسطت واقتصرت وأوجزت واختصرت فلا الحق نصرت ولا أفنان البلاغة هصرت ولا سبيل الرشد أبصرت ولا عن هوى الحسدة أقصرت هذا ولو أنى أجهدت ألسنة البلاغة فجهدت وأيقظت عيون الاجادة فسهدت واستعرت مواقف عكاظ على ماعهدت لما قررت من الفضل الا ما به الاعداء قد شهدت ولا استقصيت من المجد الا ما اوصت به الفئة الشانئة لخلفها الابتر وعهدت فقد كان رحمه الله علم الكمال ورجل الحقيقة ووقارا

تختلف اليه أصحابه يأخذون منه وكان خزاز اشريكا لهشام بن الحكم وكان هشام مقدما فى القول بالجسم والقول بالامامة على مذهب القطيعية يختلف اليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه وكلاهما فى حانوت واحد على ما ذكرنا من التضاد فى المذهب من الشرى والرفض لم يجر بينهما مسابة ولا خروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجب الشرع واحكام النظر والسير وذكر أن عبد الله بن يزيد الاباضى قال لهشام بن الحكم فى بعض الايام تعلم ما بيننا من المودة ودوام الشركة وقد أحببت أن تنكحنى ابنتك فاطمة فقال له هشام انها مؤمنة فامسك عبد الله ولم يعاوده فى شئ من ذلك الى أن فرق الموت بينهما وكان من أمر هشام مع الرشيد وابن برمك ما أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وذكر عن عمر بن عبيد انه كان يقول أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق ثم استحقها بالعدل حين أخذها وفى وفاة عمر رضى الله تعالى عنه يقول الفرزدق من أبيات يرثيه بها

أقول لما نعى الناعون الى عمرا * لقد نعيتم قوام الحق والدين

لايخف راسيه ولايعرى كاسيه وسكونا لايطرق جانبه ولايرهب غالبه وحلما لاتزل
حصاته ولاتهمل وصاته وانقباضا لايتعدى رسمه ولايتجاوز حكمه ونزاهة لاترخص
قيمتها ولاتلين عزيمتها وديانة لاتحسر أذيالها ولايشفسر بالها وادراكا لايفل
نصله ولايدرك خصله وذهنا لايخبو نوره ولاينبو مطروره وفهما لايخفى فلقه ولا
يهزم فيلقه ولايلحق بحره ولايعطل نحره وتحصيلا لايفلت قنيصه ولايسام حريصه بل
لايحل عقاله ولايصدأ صقاله وطلبا لاتجدفونه ولاتتعين عيونه بل لاتحصر معارفه
ولاتقصر مصارفه يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متأخرى النحاة جمعا بين القياس
والسماع وتوجيه الاقوال البصرية واستحضار الشواهد الشعريه واستظهار اللغات
والاعربة واستبصارا فى مذاهب المعربة محليا أجياد تلك الاعاريب من علمى البديع
والبيان بجواهر اسلاك ومجليا فى آفاق تلك الأساليب من فوائد هذين الفنين زواهر
افلاك الى مايتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان ومالشعر من بحور وأوزان تضلع
بالقرا آت أكمل اضطلاع مع التحقيق والاطلاع فيقنع ابن الباذش من اقتناعه
ويشرح لابن شريح ماأشكل من اوضاعه ويقصر عن رتبته الدانى ويحرز صدر المنصة
من حرز الامانى ويشارك فى المنطق واصول الفقه والعدد والفرائض والاحكام
مشاركة حسنة ويتقدم فى الادب نظما ونثرا وكتابا وشعرا الى براعة الخط واحكام الرسم
واتقان بعض الصنائع العملية كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرهما نشأ بالحضرة
العلية لايغيب عن حلقات المشيخة ولايريم عن مظان الاستفادة ولايفتر عن المطالعة
والتقييد ولايسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التى لاتخرم ولاتنكسر والمفاوضة فى
الادب ونظم القريض والفكاهة التى لاتقدح فى وقار انتهى ملخصا *وقد أطال فى تعريفه
باوراق عدة ثم قال مولده فى الربع الثالث من يوم الخميس ثانى عشر جمادى الاولى من عام
ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابنه ثم قال وله مسائل متعددة فى فنون شتى ضمنها كل
سديد من البحث وصحيح النظر وأما كتبه فالدر النفيس والياقوت الثمين والروض الانف
والزهر النضير نصاعة لفظ واصابة غرض وسهولة تركيب ومتانة اسلوب انتهى ثم
ذكر مشيخته وأطال ثم سرد تآليفه الارجوزة المسماة بتحفة الحكام والارجوزة المسماة
بمهيع الوصول فى علم الاصول أصول الفقه والارجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول
للاصول كذلك والارجوزة المسماة بنيل المنى فى اختصار الموافقات والقصيدة المسماة
بايضاح المعانى فى القرا آت الثمانى والقصيدة المسماة بالامل المرقوب فى قراءة يعقوب
والقصيدة المسماة بكنز المفاوض فى علم الفرائض والارجوزة المسماة بالموجز فى النحو حاذى
بها رجز ابن مالك فى غرض البسط له والمحاذاة لقصده والكتاب المسمى بالحدائق فى
أغراض شتى من الآداب والحكايات * توفى بين العصر والمغرب يوم الخميس حادى
عشر شوّال عام تسعة وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم وانما ذكرته لان
أهل الاندلس يقولون فى حقه انه ابن الخطيب الثانى ولولاخوف الاطالة لذكرت بعض
انشائه ونظمه فانه فى الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك فى ازهار الرياض فى اخبار

لم يلهه عمره عين يفجرها
ولا النخيل ولا ركض البراذين
ولعمر رحمة الله عليه خطب
وأخبار حسان غير ما ذكرنا
فى هذا الكتاب فى الزهد
وغيره وقد أتينا على ذلك
فيما سلف من كتبنا والحمد
لله رب العالمين

(ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وملك يزيد بن عبد الملك
فى اليوم الذى توفى فيه عمر
ابن عبد العزيز وهو يوم
الجمعة لخمس بقين من
رجب سنة احدى ومائة
ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة
بنت يزيد بن معاوية بن أبى
سفيان وتوفى يزيد بن عبد
الملك باربد من أرض البلقاء
من أعمال دمشق يوم الجمعة
لخمس بقين من شعبان
سنة خمس ومائة وهو ابن
سبع وثلاثين سنة فكانت
ولايته أربع سنين وشهرا
ويومين

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان فى أيامه)

كان الغالب على يزيد بن
عبد الملك حب جارية
يقال لها سلامة القس
وكانت لسهيل بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهرى فاشتراها
يزيد بثلاثة آلاف دينار
فاعجب بها وغلبت على أمره وفيها يقول عبدالله بن قيس الرقيات

عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض * ولنرجع الى الترجمة المقصودة فنقول والسلمانى نسبة الى سلمان باسكان اللام على الصحيح قال ابن الاثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حى من مراد من عرب اليمن القعطانيين دخل الاندلس منهم جماعة من الشأم وسلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون اليهم كما سبق فى كلامه وهو مشهور الى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلمانى ولذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن بن الجباب حين حل مالقة بقوله

أيا كتابى اذا ماجئت مالقة * دار المكارم من مثنى ووحدان
فلا تسلم على ربع لذى سلم * بها وسلم على ربع لسلمان

فاجابه لسان الدين رحم الله تعالى الجميع بقوله

ياليت شعرى هل يقضى تالفنا * ويثنى الشوق عن غاياته الثانى
أوهل يحن على نفسى معذبها * أوهل يرق القلبى قلبى الشانى

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الاعلى سيدى أبو فارس عبد العزيز القشتالى صب الله تعالى عليه شآبيب رحماه من قصيدة نونية مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وتخلص الى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبى العباس أحمد الحسنى أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى وهو

أولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان

واراد كما أخبرنى بيت سلمان القبيلة التى منها لسان الملة والدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أشار الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلمانى رحمه الله تعالى كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه * وقد رأيت أن اسردهنا هذه القصيدة الفريدة لبلاغتها التى بذت شعر اليتيمة والخريدة ولان شجون الحديث الذى جراليها شوقتنى الى معاهدى المغربية التى أكثر البكاء عليها بحضرة المنصور بالله الامام سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام حيث الشباب غض يانع والمؤمل لم يحجبه مانع والسلطان عارف بالحقوق والزمان وهو أبو الورى لم يشب بره بالعقوق والليالى مسالمة غير راميه من البين بنبال والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال ورؤساء الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم والايام ثغورها بواسم وأوقاتها أعياد ومواسم وأفراح ولائم فلله فيها عيش مانسيناه وعز طالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كاضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبونى الصبر والصبر من شانى * وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى
وهم أخفروا فى مهجتى ذمم الهوى * فلم يثنهم عن سفكها حى الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين اكؤسى * فشوقهم أضحى سميرى وندمانى

فاحتالت ام سعيد العثمانية جدته بشراء جارية يقال لها حبابة قد كان فى نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شئ فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال انما مات عمر أمس وكان من عدله ماقد علمت فينبغى أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك فى سائر افعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه واظهر الاقلاع والندم وأقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاخوص الشاعر ومعبد المغنى انظرا ما أنتما صانعان فقال الاخوص فى أبيات له

الا لاتلمه اليوم أن يتبلدا
فقد غلب المحزون أن يتجلدا
اذا كنت لاتعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا
فما العيش الا ماتلذ وتشتهى
وان لام فيه ذوالشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع منى صوتا واحدا ثم افعل مابدالك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد وان

وان غادرتنى بالعراء حمولهم * لقى ان قلبى جاهدا اثر أظعان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا * ألّلجزع ساروا مدلجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى * ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة * أناخوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال فى بطن المسيل تشوّقا * نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ زجروها بالعشى فهل ثنى * ازمتها الحادى الى شعب بوان
وهل عرسوا فى دير عبدون أم سروا * يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى * باحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج فى الاسحار بيض قبابهم * فلحن نجوما فى معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة * اذا زمها بدنا نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى * تمشى الحيا فى مفاصل نشوان
ويمم بها الوادى المقدس بالحمى * به الماء صدّا والكلا نبت سعدان
وأهد لحلول الجزع منه تحية * تفاوح عرفا ذاكى الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة * فهاجت مع الاسحار شوقى وأشجانى
وفتت منها الشرق فى الغرب مسكة * سحبت بها فى أرض دارين أردانى
وأذكرنى نجدا وطيب عراره * نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
أحن الى تلك المعاهد انها * معاهد راحاتى وروحى وريحانى
وأهفو مع الاشواق للوطن الذى * به صح لى أنس الهنىء وسلوانى
وأصبو الى أعلام مكة شائقا * اذا لاح برق من شمام وثهلان
أهيل الحمى دينى على الدهر زورة * أحث بها شوقا لكم عزمى الوانى
متى يشتفى جفنى القريح بلحظة * تزج بها فى نوركم عين انسانى
ومن لى بان يدنو لقاكم تعطفا * ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده * سوافح دمع من شؤونى هتان
وأنعم فى شط العقيق اراكة * بافيائها ظل المنى والهوى دانى
وحى ربوعا بين مروة والصفا * تحية مشتاق لها الدهر حيران
ربوع بها تتلو الملائكة العلا * افانين وحى بين ذكر وقرآن
وأول أرض باكرت عرصاتها * وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرس فيها للنبوة موكب * هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدى بها الروح الامين رسالة * أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فص ختمه أشرف الورى * وفخر نزار من معد بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها * وسيد أهل الارض ملانس والجان
ومن بشرت فى بعثه قبل كونه * نوامس كهان وأحبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت * سماء ولا غاضت طوافح طوفان

وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلى قال حدثنى ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر

صفحنا عن بنى ذهل * وقلنا القوم اخوان
عسى الايام أن يرجعـ * ـن قوما كالذى كانوا
فلما صرح الشر * فأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث * غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين * وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق * وهى والزق ملآن
وفى الشر نجاة حيـ * ـن لا ينجيك احسان

وهو شعر قديم يقال انه للفند فى حرب البسوس فقال لحبابة غنينى به بحياتى فقالت يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغنى به الا الاحول المكى فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك قالت انما أخذه عن فلان ابن أبى لهب وكان حسن الاداء فوجه يزيد الى صاحب مكة اذا أتاك كتابى هذا فادفع الى فلان بن أبى لهب ألف دينار لنفقة طريقه واحمله على ماشاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غنى

ولا زخرفت من جنة الخلد أربع * تسيح فيها الحور مع جمع ولدان
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية * تجهم من ديجورها الليل كفران
ولا أحدقت بالمذنبين شفاعة * يذود بها عنهم زبانى نيران
له معجزات أخرست كل جاحد * وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى * بماء همى من كفه كل ظمآن
وأنطقت الاوثان نطقا تبرأت * الى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت * تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
وضاءت قصور الشام من نوره الذى * على كل افق نازح القطر اودانى
وقد بهج الانوا بدعوته التى * كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
وان كتاب الله أعظم آية * بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
وعدى على شأو البليغ بيانه * فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبى الهدى من أطلع الحق أنجما * محا نورها أسداف افك وبهتان
أعز تهاذل الاكاسرة الألى * هم سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفى بالظبا * تراث الملوك الصيد من عهد يونان
وتنتزع من سمر القنا السم قيصرا * بجرعه منه مجاجة ثعبان
وأضحت ربوع الكفر والشك بلقعا * يناغى الصدى فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا ترف نضارة * ووجه الهدى بادى الصباحة للرانى
أيا خير أهل الارض بيتا ومحتدا * وأكرم كل الخلق عجم وعربان
فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم * ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثناها أمانى أجدبت * لتسقى بمزن من أياديك هتان
أجرنى اذا أبدى الحساب جرائمى * وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
فأنت الذى لولا وسائل عزه * لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ماهبت الصبا * وماست على كثبانها ملد قضبان
وحمل فى جيب الجنوب تحية * يفوح بمسراها شذا كل توقان
الى العمرين صاحبيك كليهما * وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها وأريجها * ووالى على سبطيك أوفر رضوان
اليك رسول الله صممت عزمة * اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت منى القلب وهو مقلب * على جمرة الاشواق فيك فلبانى
فيا ليت شعرى هل أزم قلائصى * اليك بدارا أو أقاتل كيرانى
وأطوى أديم الارض نحوك راحلا * نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحمى * اذا غرد الحادى بهن وغنانى
وهل تمعون عنى خطايا اقترفتها * خطالى فى تلك البقاع وأوطان
وماذا عسى يثنى عنانى وان لى * بآلائها صهوة العز أمطانى

بشعر الفند فغناه فأجاد وأحسن وقال أعده فأعاده فأجاد وأحسن وأطرب يزيد فقال له ممن أخذت هذا الغناء فقال يا أمير المؤمنين أخذته عن أبي وأخذه أبي عن أبيه فقال لو لم ترث الا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ما تقول ولكنى دخلتنى له رقة اذ كان مجيدا للغناء ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان فى عهد عمر الى يزيد اذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل إن هذا الكلام كتب به عمر الى بعض عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار وهى اذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتى عليهم واعلم أنك لا تأتى عليهم أمرا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك وان الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من احد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله تعالى واعتلت حبابة فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فأقام اياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل إن الناس يتحدثون بجزعك وإن الخلافة تجل عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

إذا

اذاند عن زوارك الباس والعنا * فجودا بنك المنصور أحمد أغنانى
عمادى الذى أوطا السما كين اخمصا * وأوفى على السبع الطباق فأدنانى
متوج املاك الزمان وان سطا * أحل سيوفا فى معاقد تيجان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها * اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره * تضاءل فى أخياسها أسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه * وأرزم فى مركومه رعد نيران
صببن على أرض العداة صواعقا * اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت * صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم * وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا * هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاعجر عن العدا غصص الردى * وعفرن فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن أقطار البلاد فاصبحت * تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
امام البرايا من على نجاره * ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد * ذووهمم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم * بدور اذا ما أحلكت شهب ازمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه * على هضبة العلياء ثابت أركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت * بفضلهم آيات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه * فناهيك من فخرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا * يجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت * معد على العرباء عاد وقحطان
أولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم * فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
امام له فى جبهة الدهر ميسم * ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة * يحوم بها فوق السموات نسران
وأطلع فى أفق المعالى خلافة * عليها وشاح من علا وسمطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى * على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق * وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
وان هزه حر الثناء تدفقت * أنامله عرفا تدفق خلجان
أيا ناظر الاسلام شم بارق المنى * وبا كر لروض فى ذرا المجد فينان
قضى الله فى علياك أن تملك الدنا * وتفتحها ما بين ستوس وسودان
وأنك تطوى الارض غير مدافع * فن أرض سودان الى أرض بغدان
وتملؤها عدلا يرف لواؤه * على الحرمين أو على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا * ووافت بك البشرى لاطراف عمان

ثم أقام بعدها أياما قلائل ومات حدث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم عن أبيه عن اسحق الموصلى عن أبى الحويرث الثقفى قال لما ماتت حبابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك حزنا شديدا وضم اليه جويرية كانت تحدثها فكانت تخدمه فتمثلت الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى
منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم فى مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يا مولاى فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجى اذا ذكر بنى مروان وعابهم ذكر يزيد ابن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال اريد أن اطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودى) وقد كان يزيد بن المهلب ابن أبى صفرة هرب من محبس عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك فى سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وعليها عدى بن ارطاة الفزارى فاخذه يزيد بن المهلب فاوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الازد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت

فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم * أتاك استلابا تاج كسرى وخاقان
ولو نشر الاملاك دهرك أصبحت * عيالا على علياك أبناء مروان
وشايعك السفاح يقتاد طائعا * برايته السوداء أهل خراسان
فما المجد الا ما رفعت سماكه * على عمدى سمر الطوال ومران
وهاتيك أبكار القوافى جليتها * تغازلهن الحور فى دار رضوان
أتتك أمير المؤمنين كأنها * لطائم مسك أو خمائل بستان
تعاظمن حسنا أن يقال شبيهها * فرائد در أو قلائد عقيان
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها * وللدين تحميه بملك سليمان
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا * تقاد لك الاملاك فى زى عبدان

انتهت القصيدة التى فى تغزلها شرح الحال وأعرب عما فى ضمير الغربة والارتحال ولنعززها باختها فى البحر والروى قصيدة القاضى الشهير الذكر الاديب الذى سلبت النهى كواعب شعره اذا أبرزها من خدور الفكر الشيخ الامام سيدى أبو الفتح محمد بن عبد السلام المغربى التونسى نزيل دمشق الشام صب الله على ضريحه سجال الرحمة والانعام فانها نفثت مصدور غريب وبث مغدور أديب فارق مثلى أوطانه وما سلاها وقرأ آيات الشجو وتلاها وتمنى أن يجود له الدهر برؤية مجتلاها وهى قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمائة

سلوا البارق النجدى عن سحب أجفانى * وعما بقلبى من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتى * وشدة أشواقى اليكم وأشجانى
فمالى سواها من رسول اليكم * سريع السرى فى سيره ليس بالوانى
فيا طال بالاسحار ما قد تكفلت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لاوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
وسارت مسير الشمس وهنا فأصبحت * من الشرق نحو الغرب تجرى بحسبان
وقد وقفت بالشام وقفة حامل * نوافح مسك من ظباء خراسان
لترتاض فى تلك الرياض هنيأة * وتزداد من أزهارها طيب أردان
وما غربت حتى تضاعف نشرها * بواسطتى روح هناك وريحان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة فى شرح حالى ووجدانى
وناشدتها بالله الا تفضلت * بتبليغ أحبابى السلام وجيرانى
تحية مشتاق الى ذلك الحمى * وسكانه والنازحين باظعان
سقى الله هاتيك الديار وأهلها * سحائب تحكى صوب مدمعى القانى
وحيا ربوع الحى من خير بلدة * تخيرها قدما أفاضل يونان
هى الحضرة العليا مدينة تونس * أنيسة انسان رآها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت * من الانس والحسن المنوط باحسان

شوكته فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جيش عظيم فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب فى عسكره اضطرابا فقال ما هذا الاضطراب قيل جاء مسلمة والعباس قال فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا بسطوس ابن بسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيرونى أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هى الا غدوة وروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين على بفرسى فأتى بفرس أبلق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا قتالا شديدا وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد فى المعركة وصبر اخوته أنفسهم فقتلوا جميعا ففى ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذى * تدعو اليه طائعين وساروا
حتى اذا حضر الوغى وجعلتهم * نصب الاسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعا يهجون آل المهلب الا كثيرا فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم يا أبا صخر لانهم يمانيون لقد

*يارب قوم وقوم حاسدين لكم
مافيهم بدل منكم ولاخلف
آل المهلب جزالله دابرهم
امسوا رماداً فلا اصل ولا طرف
مانالت الازد من دعوى مضلهم
الا المعاجم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم
فقتلتهم جنود الله وانتسفوا
وهى طويلة وفى ذلك يقول جرير أيضاً ليزيد من كلمة
لقد تركت فلاتعدمك اذ كفروا
آل المهلب عظماً غير مجبور
ياابن المهلب ان الناس قد علموا
أن الخلافة للشم المغاوير
وبعث يزيد هلال بن أحوز المازنى فى طلب آل المهلب وأمره أن لايلقى منهم من بلغ الحلم الاضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكأن الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل فى آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكر

لقد حل منها آل حفص ملوكها * مراتب تسمو فوق هامة كيوان
وسادوا بها كل الملوك وشيدوا * بها من مبانى العز أفخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة * وحسن نظام لايعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة * تصول بأسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا * وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلا * وكان بها حصنا أمان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها * وحسن بنيها من ملوك وأعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة * لمافى حماها من أئمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة * وجاه وعز مجده ليس بالفانى
وكان بواديها المقدس فتية * تقدس باريها بذكر وقرآن
ومن أدباء النظم والنثر معشر * تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعداء فى حومة الوغى * تطول بابطال وتسطو بشجعان
ومابرحت فيها محاسن جمة * وفى كل نوع أهل حذق واتقان
الى أن رمتها الحادثات بأسهم * وسلت عليها سيف بغى وعدوان
فمالبثت تلك المحاسن أن عفت * وأقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه * كما انتثرت يوماً قلائد عقيان
فأعظم برزء خص خير مدينة * وخير أناس بين عجم وعربان
لعمرى لقد كادت عليها قلوبنا * تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عمنا غم بعظم مصابها * وان خصنى منه المضر بجثمانى
ومابقيت فيما علمناه بلدة * من الشرق الا ألبست ثوب أحزان
فصبراً أخى صبراً على المحنة التى * رمتك بها الاقدار مابين اخوان
فما الدهر الاهكذا فاصطبر له * رزية مال أوتفرق خلان
أأحبابنا ان فرق الدهر بيننا * وطال مغيبى عنكم منذ أزمان
فانى على حفظ الوداد وحقكم * مقيم وماهجر الاحبة من شانى
ووالله والله العظيم ألية * على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زاد وجدى واشتياقى اليكم * وبرح بى طول البعاد وأضنانى
فلاتحسبوا أنى تسليت بعدكم * بشئ من الدنيا وزخرفها الفانى
ولا أنى يوماً تناسيت عهدكم * بحال ولا أن التكاثر ألهانى
ولاراقنى روض ولاهش مسمعى * لنغمة أطيار ورنة عيدان
ولاحل فى فكرى سواكم بخلوة * ولاجلوة مابين حور وولدان
ولا اختلجت يوماً ضمائر مهجتى * لغيركم فى سر سرى واعلانى
ولولم أسل النفس بالقرب واللقا * لأدرج جسمى فى مقاطع أكفانى
فما أنا من عودى اليكم بآيس * فما اليأس الامن علامة كفران

ان آل المهلب مكثوا بعد ايقاعه لا يولد فيهم الذكور ولايموت منهم احد وفى مدح

عليكم سلام الله فى كل ساعة * تحية صب لا يدين بسلوان
مدى الدهر ما ناحت مطوقة وما * تعاقب بين الخافقين الجديدان انتهت

ولصاحب الترجمة لسان الدين بن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية مدح بها السلطان أبا سالم المرينى حين فتح تلمسان وقد رأيت ايرادها فى هذا الباب لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر الأعراب الذى حير الالباب وللمناسبة أسباب لا تخفى على من له فكر مصيب * وكل غريب للغريب نسيب * وهى

أطاع لسانى فى مديحك احسانى * وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
فأطلعتها تفتر عن شنب المنى * وتسفر عن وجه من السعد حيانى
كما ابتسم النوّار عن أدمع الحيا * وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها * فبان ارتياح السكر فى غصن البان
تهنيك بالفتح الذى معجزاته * خوارق لم تدخر سواك لانسان
خففت اليها والجفون ثقيلة * كما خف شثن الكف من أسد خفان
وقدت الى الاعداء فيها مبادرا * ليوث رجال فى مناكب عقبان
تمد بنود النصر منهم ظلالها * على كل مطعام العشيات مطعان
عجاجة غر الوجوه كأنما * عمائمهم فيها معاقد تيجان
أمدك فيها الله بالملا العلا * فجيشك مهما حقق الامر جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب * لقد جنيت منك الغصون الى جانى
لقد كست الاسلام بيعتك الرضا * وكانت على اهليه بيعة رضوان
ولله من ملك سعيد ونصبه * قضى المشترى فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها * وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها * ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع * ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها * فلم يحتج الفرغان فيها الفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة * ولو خففت فيها طوالع بلدان
وجوه القضايا فى كمالك شانها * وجوب اذا خصت سواك بامكان
ومن قاس منك الجود بالبحر والحيا * فقد قاس تمويها قياس سفسطانى
وطاعتك العظمى بشارة رحمة * وعصيانك المحذور نزغة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضا * ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذاتك روحه * وكم وصلة ما بين روح وجثمان
تضن بك الدنيا ويحرسك العلا * كأنك منها بين لحظ وأجفان
بنيت على آساس أسلافك العلا * فلا هدم المبنى ولا عدم البانى
وصاحت بك العليا فلم تك غافلا * ونادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
ولم تك فى خوض البحار بهائب * ولم تك فى نيل الفخار بكسلان

اخاف على نفسى ابن احوزانه
جلا كل هم فى النفوس فأسفرا
جعلت لقبر بالحساب ومالك
وقبر عدى بالمقابر اقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها
ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهى ابيات وقد كان يزيد ابن عبد الملك حين ولى عمر ابن هبيرة الفزارى العراق واضاف اليه خراسان واستقام امره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن ابى الحسن البصرى وعامر بن شرحبيل الشعبى ومحمد بن سيرين وذلك فى سنة ثلاث ومائة فقال انهم ان يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولانى ما ترون يكتب الى بالامر من أمره فانفذه وأقلده ما يقلده من ذلك فما ترون فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تقية فقال عمر ما تقول يا حسن فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك

لقد هز منك العزم لما انتضيته * ذوائب رضوى أو مناكب ثهلان
ولله عينا من رآها محلة * هى الحشر لا تحصى بعد وحسبان
وتنور عزم فار فى اثر دعوة * يعم الاقاصى والادانى بطوفان
عجائب أقطار وألف شارد * وأفلاذ آفاق وموعد ركبان
اذا ما سرحت اللحظ فى عرصاتها * تبلد منك الذهن فى العالم الثانى
جناحان والنصر العزيز اهتصاره * اذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فمن سحب لاحت بها شهب القنا * ومن كثب بيض بدت فوق كثبان
مضارب فى البطحاء بيض قبابها * كما قلبت للعين أزهار سوسان
وما ان رأى الراؤن فى الدهر قبلها * قرارة عز فى مدينة كتان
تفوت التفات الطرف حال اقتبالها * كانك قد سخرت جن سليمان
فقد أطرقت من خوفها كل بيعة * وطأطأ من اجلالها كل ايوان
وقد ذعرت خولان بين بيوتها * غداة بدت منها البيوت بخولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها * لأضحت خلاء بلقعا بعد عمران
ولو يممت سيف بن ذى يزن لما * تقرر ذاك السيف فى غمد غمدان
تراع بها الاوثان فى أرض رومة * اذا خيمت شرقا على طرق أوثان
وتجفل اجفال النعام ببرقة * ليوث الشرى ما بين ترك وعربان
وعرضا كيوم العرض أذهل هوله * عيانى وأعيانى تعدد أعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل تحته * اذا صهلت مغتنة رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا بوارق * ويقذف من سمر الرماح بشهبان
ويمطر من ودق السهام بحاصب * سحائبه من كل عوجاء مرنان
وجردا اذا ما ضمرت يوم غاية * تعجبت من ريح تقاد بارسان
تسابق ظلمان الفلاة بمثلها * وتذعر غزلان الرمال بغزلان
ودون مهب العزم منك قواضب * أبى النصر يوما أن تلم بأجفان
نظرت اليها والنجيع لباسها * فقلت سيوف أم شقائق نعمان
تفتح ورد الخدها حين جردت * ولا ينكر الاقوام خجلة عريان
كأن الوغى نادت بها لوليمة * فقد احتفلت أوضاعها منذ أزمان
فان طمعت بالنصر كان وضوءها * نجيعا ووافاها الغبار باشنان
لقد خلصت لله منك سجية * جزاك على الاحسان منك باحسان
فسيفك للفتح المبين مصاحب * وعزمك والنصر المؤزر الفان
فرح واغد للرحمن تحت كلاءة * وسرحان فى غاب العدا كل سرحان
ودم والمنى تدنى اليك قطافها * ميسر أوطار ممهد أوطان
وكن واثقا بالله مستنصرا به * فسلطانه يعلو على كل سلطان
كفاك العدا كاف الملك كافل * فضدك نضو ميت بين أكفان

ثم لا ينجيك الا عملك يا ابن هبيرة انى أحذرك ان تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصر الدين الله وعباده فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى فى هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبى سفسفنا فسفسف لنا وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام ابن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات فكتب اليه يزيد أما بعد فقد بلغنى استثقالك حياتى واستبطاؤك موتى ولعمرى انك بعدى لواهى الجناح أجذم الكف وما استوجبت منك ما بلغنى عنك فاجابه هشام اما بعد فان أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول اهل الشنآن واعداء النعم يوشك ان يقدح ذلك فى فساد ذات البين وتقطع الارحام وامير المؤمنين بفضله وما جعله الله اهلا له أولى ان يتغمد ذنوب اهل الذنوب فاما انا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك او استبطئ وفاتك فكتب اليه نحن مغتفرون ما كان منك ومكذبون ما بلغنا عنك فاحفظ وصية عبد الملك ايانا وقوله لنا فى ترك التباغى والتخاذل وما امر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك

رضا الوالد المولى أبيك عرفته * وقد أنكر المعروف من بعد عرفان
فكم دعوة أولاك عند انتقاله * الى العالم الباقى من العالم الفانى
فعرّفت فى السراء نعمة منعم * وألحفت فى الضراء رحمة رحمان
عجبت لمن يبغى الفخار بدعوة * مجردة من غير تحقيق برهان
وسنة ابراهيم فى الفخر قد أتت * بكل صحيح عن على وعثمان
ومن مثل ابراهيم فى ثبت موقف * اذا ما التقى فى موقف الحرب صفان
اذا هم لم يلفت بلحظة هائب * وان منّ لم ينفث بلفظة منان
فصاحة قس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو تحت حكمة لقمان
شمائل ميمون النقيبة أروع * له قصبات السبق فى كل ميدان
محبته فرض على كل مسلم * وطاعته فى الله عقدة ايمان
هنيأ أمير المسلمين بنعمة * حبيت بها من مطلق الجود منان
تزينت أجياد المنابر بالتى * اتاح لها الرحمن فى آل زيان
قلائد فخر هن لكنّ قدرها * ترفع أن يدعى قلائد عقيان
أمولاى حبى فى علاك وسيلتى * ولطفك بى دأبا مدحك أغرانى
أياديك لا أنسى على بعد المدى * نعم وذلك اللهم من شر نسيان
فلا جحد ما خوّلتنى من سجيتى * ولا كفر نعماك العميمة من شانى
ومهما انجلت الحقوق لاهلها * فانك مولاى الحقيق وسلطانى
وركنى الذى لما نبا بى منزلى * اجاب ندائى بالقبول وآوانى
وعالج أيامى وكانت مريضة * بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فأمننى الدهر الذى قد أخافنى * وجدد لى السعد الذى كان أبلانى
وخوّلنى الفضل الذى هو أهله * وشيكا وأعطانى فافهم أعطانى
تخوّننى صرف الحوادث فانثنى * يقبل أردانى ومن بعد أردانى
وأزعجنى من منشئى ومبوّأى * ومعهد أحبابى ومألف جيرانى
بلادى التى فيها عقدت تمائمى * وجم بها وفرى وجل بها شانى
تحدثنى عنها الشمال فتنثنى * وقد عرفت منى شمائل نشوان
وآمل أن لا استفيق من الكرى * اذا الحلم أوطانى بها ترب أوطانى
تلوّن اخوانى على وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوّانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على بما لا ارتضى شر أعوانى
فلولاك بعد الله يا ملك العلا * وقد دفت ما ألفيت من يتلافانى
تداركتنى بالشفاعة منعما * برئ أرماه الدهر فى موقف الجانى
فان عرف الاقوام حقك وفقرا * وان جهلوا بابا وأبصفقة خسران
وان خلطوا اعرفا بنكر وقصروا * وزنت بقسطاس قويم وميزان

وانى لأكتب اليك وأعلم انك كما قال الاول وانى على أشياء منك تريبنى * قديما لذو صفح على ذاك مجمل ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل وان أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل فلما أتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا محمد وهو ابن أربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبير مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى أبا الحجاج وهو ابن أربع وثمانين سنة وجابر بن زيد مولى الازد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء ويزيد بن الاصم من أهل الرقة وهو ابن اخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويحيى بن وثاب الاسدى مولى بنى كنانة ثم كان وأبو بردة بن أبى موسى الاشعرى واسمه عامر كوفى وفى سنة أربع ومائة مات وهب ابن منبه ويقال مات سنة عشر ومائة وفى سنة أربع ومائة هذه أيضا مات طاوس وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب

وحرمة

وحرمة هذا الادب الذي كملها * هضيمة رد أوحطيطة نقصان
وقدعمت عن امري ونبهت همة * تحدق من علو الى صرح هامان
اذا دانت الله النفوس وأملت * اقالة ذنب أو انالة غفران
فولاك يا مولاي قبلة وجهتي * وعهدة اسراري وحجة اعلاني
وقفت على مثواه نفسي قائما * بترديد ذكر أو تلاوة قرآن
ولو كنت أدري فوقها من وسيلة * الى ملك الارض لشمرت أرداني
وأبلغت نفسي جهدها غير أنني * طلابي ما بعد النهاية أعياني
قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم * فصحح أدائي واقتدائي واتقاني
فدونكها من بحر فكري لؤلؤا * يفصل من حسن النظام بمرجان
وكان رسول الله بالشعر يعتني * وكم حجة في شعر كعب وحسان
ووالله ما وفيت قدرك حقه * ولكنه وسعي ومبلغ امكاني

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد وستين وسبعمائة ونص ما كتب به لسان الدين مولاي فتاح الاقطار والامصار فائدة الازمان والاعصار أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار قدوة أولي الايدي والابصار ناصر الحق عند قعود الانصار مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار مصداق دعاء الاب المولى في الاصائل والاسحار أبقاكم الله سبحانه لا تقف ايالتكم عند حد ولا تحصي فتوحات الله تعالى عليكم بعد ولا تفيق أعداؤكم من كد ميسرا على مقامكم ما عسر على كل اب كريم وجد عبدكم الذي خلص ابريز عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها والقصور الداعي الى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور و يذلل بعز طاعتكم أنف الاسد الهصور ويبقي الملك في عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ في الصور فلان من الضريح المقدس بشالة وهو الذي تعددت على المسلمين حقوقه وسطع نوره وتلألأ شروقه وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ووشجت عروقه وعظم ببنوتكم فخرا فافوق البسيطة فخر يفوقه حيث الجلال قد رست هضابه والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه والبيت العتيق قد ألحفت الملاحف الامامية أثوابه والقرآن العزيز ترتل أحزابه والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه والمستجير يخفي بالهيبة سؤاله فيجهر بنعرة العز جوابه وقد تفيأ من اوراق الذكر الحكيم حديقه وخيله أنيقه وحط بجودي الجود نفسا في طوفان الضر غريقه والتحف رفرف الهيبة التي لا تهتدي النفس فيها الا بهداية الله تعالى طريقه * واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمة المرينية حقيقه اذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمة وأباه وجده وثيقه يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد طنب عليه من الرضا فسطاطا وأعلق به يد العناية المرينية اهتماما واغتباطا وضمن له حسن العقبى التزاما

ويقال انه مولى مولى العباس وقيل ان طاوس بن كيسان ويكنى أباعبد الرحمن مولى بحير الحميري مات بمكة سنة ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفي سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار ويكنى أبا أيوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات في سنة مائة وفي سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق ومات الحسن بن ابي الحسن البصري ويكنى أبا سعيد في سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الانصار مات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان أكبر من محمد ابن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة في هذه السنة وهو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان أولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وانس بن سيرين وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين في وفاة وهب ابن منبه ويكنى أباعبد الله فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا في هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن

تسعين سنة وفي سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتبة الكندي وقيل انه مات فيها عطاء بن أبي رباح وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري وذكر الواقدي أنه مات سنة أربع وعشرين ومائة وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيامه من الكوائن والاحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار ليكون ذلك زيادة في فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس في أغراضهم متباينين وفيما يتيممونه من مأخذ العلم مختلفين فمنهم طالب خبر ومقلد لاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومفرع على علل ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذي رأى نصيبا وبالله التوفيق

(ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان)

وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذى توفي فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل أربعون وتوفي هشام بن عبد الملك بالرصافة من

واشتراطا وقد عقد البصر بطريقة رحمتكم المنتظرة المرتقبه ومد اليد الى لطائف
شفاعتكم التي تتكفل بعتق المال كما تكفلت بعتق الرقبه وشرع في المراح بعيدان نعمتكم
بعد اقتحام هذه العقبه لما شنفت الاذن البشرى التي لم يبق طائر الاسجع بها وصدح
ولا شهاب دجنة الا اقتبس من نورها واقتدح ولا صدر الا انشرح ولا غصن عطف
الا سرح بشرى الفتح القريب وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب فتح تلمسان الذى
قلد المنابر عقود الابتهاج ووهب الاسلام منيحة النصر غنية عن الانتهاج وألحف
الخلق ظلا ممدودا وفتح باب الحج وكان مسدودا وأقر عيون أولياء الله الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وأضرع بسيف الحق جباها أبية وخدودا وملككم حق أبيكم الذى
أهان عليه الاموال وخاض من دونه الاهوال وأخلص فيه الضراعة والسؤال من
غير كد يغمز عطف المسره ولا جهد يكدر صفو النعم الثره ولا حصر ينقض به المنجنيق
ذؤابته ويظهر بتكرار الركوع انابته فالحمد لله الذى أقال العثار ونظم بدعوتكم
الانتثار وجعل ملككم يجدد الآثار ويأخذ الثار والعبد يهنئ مولاه بما انعم
الله تعالى به عليه واولاه فاذا اجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب واذا
استهموا حظوظ الجذل فلى القسم الوافر والنصيب واذا اقتسموا فريضة شكر الله فلى
الحظ والتعصيب لتضاعف اسباب العبودية قبلي وترادف النعم التي عجز عنها قولي
وعملي وتقاصر في ابتغاء مكافاتها وجدي وان تطاول أملي فمقامكم المقام الذى نفس
الكربه وآنس الغربه ورعى الوسيلة والقربه وأنعش الارماق وفك الوثاق وادر
الارزاق وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق وان لم يباشر العبد اليد العالية
بهذا الهناء ويمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنى والسناء ويمد بسبب اليد الى تلك
السماء فقد باشره اليد التي يحن مولاى لتذكر تقبيلها ويكمل فروض المجد بتوفية
حقوقها الابوية وتكميلها ووقفت بين يدى ملك الملوك الذى أجال عليها القداح
ووصل في طلب وصالها امساء الصباح وكان فتحه اياها أبا عذرة الافتتاح وقلت يهنيك
يا مولاى رد ضالتك المنشوده وجبر لقطتك المعرفة المشهوده ورد أمتك المودوده
فقد استحقها وارثك الارضى وسيفك الامضى وقاضى دينك وقرة عينك مستنقذ
دارك من يد غاصبها ورادّ رتبتك الى مناصبها وعامر المثوى الكريم وساتر الاهل
والحريم مولاى هذه تلمسان قد طاعت وأخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت
والامم الى هنائه قد تداعت وعدوك وعدوه قد شردته المخافه وانضاف الى عرب
الصحراء فخفضته الاضافه وعن قريب تتحكم فيه يد احتكامه وتسلمه السلامة الى حمامه
فلتطب يا مولاى نفسك وليستبشر رمسك فقد دنت بركتك وزكا غرسك نسأل الله أن
يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ويترادف اليك مددا
موصولا وعددا آخرته خير لك من الاولى ويعرفه بركة رضاك ظعنا وحلولا ويضفي
عليك منه سترا مسدولا ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى اجهد القريحة التي ركضها الدهر
فأنضاها واستشفها الحادث الجلل فتقضاها فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم

تقصيره

تقصيره ويكون اغضاؤكم اذا لقي معرة العتب وليه ونصيره واحالة مولاى على الله فى نفسى جبرها ووسيلة عرفها مجده فما أنكرها وحرمة بضريح مولاى والده شكرها ويطلع العبد منه على كمال أمله ونجح عمله وتسويغ مقترحه وتميم جذله أطاع لسانى فى مدحك احسانى الى آخر القصيدة التى تقدمت وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنضف اليها قصيدة أديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الازجال اذ هو من فرسان هذا المجال وقد وطأ لها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال ونصها يا عماد السالكين ومحط المستفيدين والمتبركين وثمال الضعفاء والمساكين المتروكين فى طريقك يتنافس المتنافس وعلى أعطافك تزهى العباآت وتروق الدلافس وبكتابك تحيي جوامد الافهام وبعذبتك تشرد ذئاب الاوهام وفى زنبيلك يدس التالد والطارف وبعصاك يهش على بدائع المعارف الله الله فى سالك ضاقت عليه المسالك وشاد رمى بابعاد أدركته متاعب الحرفه وأقيم من صف أهل الصفه فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى ولا يلفى اغتباطا ان حل زاوية أو نزل رباطا أقصى عن أهل القرب والتخصيص وابتلى بمثل حالة برصيص فاحيل عليك وتوقفت اقالته على توبه بين يديك فكاتبك استدعاء واستوهب منك هداية ودعاء ليسير على ماسويت ويتحمل عنك أشتات مارويت فيلقى الاكفاء الظرفاء عزيزا ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزا فاصرف الى محيا الرضا وعد من ايناسك للعهد الذى مضى ولا تلقنى معرضا ولا معرّضا وأصخ لى سمعك كما قدر الله تعالى وقضى

تعال نجددها طريقة ساسان * نقص عليها ما توالى الجديدان
ونصرف اليها من مشار عزائم * ونحلف عليها من مؤكد أيمان
ونعقد على حكم الوفاء هواءنا * لنأمن من أقوال زور وبهتان
ونقسم على أن لا نصدق واشيا * يروح ويغدو بين اثم وعدوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا * بمنطق انسان وخدعة شيطان
على أننا من عالم كلما بدا * تعوذ منه عالم الانس والجان
وحاشاك أن تلفى عن الصلح معرضا * الى الصلح آلت حرب عبس وذبيان
وانى أهمتنى شؤن كثيرة * وصلحك أولى ما أقدم من شانى
فأنت امامى ان كلفت بمذهب * وأنت دليلى ان صدعت ببرهان
سأرعاك فى أهل العباآت كلما * رأيتك فى أهل الطيالس ترعانى
ويالابسى تلك العباآت انها * لباس امام فى الطريقة دهقان
تفرقت الالوان منها اشارة * بأنك تأتى من حلاك بألوان
ويابابى الفصال شيخ طريقة * خلوب لالباب لعوب بأذهان
اذا جاء فى الثوب المحبر خلته * زنيبرة قد مد منها جناحان
فما تأمن الابدان آفة لسعها * وان أقبلت فى سابغات وأبدان
سأدعوك فى حالات كيدى وكديتى * بشيخى ساسان وعمى هامان

وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التى أتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية وفى أيامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا فى أيامه مذهبه ومنعوا ما فى أيديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان اصعب من زمانه وفى ايامه استشهد زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين بن على

عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت وأخبره بما كان عنده من العلم فى مدة بنى مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فابى الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق فقال له انى أخاف عليك يا أخى أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة وودعه أبو جعفر وأعلمه انهما لا يلتقيان وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أم لك أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة وأنت ابن أمة قال يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت أجبتك به وان أحببت أمسكت عنه فقال بل أجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم اسمعيل أمة لام اسحق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب ابا فأخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم فتقول لى هذا وأنا ابن فاطمة وابن على وقام وهو يقول

فان كان فى الانساب متناباين * فما تنكر الآداب أنا نسيان
ألا قادح لى فى جنح ليلك دعوة * لتنجح آمالى ويرجح ميزانى
لك الطائر الميمون فى كل وجهة * سريت اليها غير نكس ولا وانى
فكم من فقير بائس قد عرفته * فرفت عليه نعمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه والبيت أنسه * فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا * لما خانه المقدور فى ليلة الخان
ولو كنت للصابى صديقا ملاطفا * لما قبلت فيه مقالة بهتان
ولو كنت من عبد الحميد مقربا * لما هزم السفاح أشياع مروان
ولو كنت قد أرسلتها دعوة على * أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنت فى يوم الغبيط مراسلا * لبسطام لم تهزم به آل شيبان
ولو كنت فى حرب الامين لطاهر * لما هام فى يوم اللقاء ابن ماهان
ولو كنت فى مغزى أبى يوسف لما * رماه بغدر عبده فى تلمسان
ولو أن كسرى يزدجرد عرفته * لما لاح مقتولا على يد طحان
ولو أن لذريقا وطئت بساطه * لما أثرت فيه مكيدة اليان
وفيما مضى فى فاس أوضح شاهد * غنى لدينا عن بيان وتبيان
ولما اعتنى منك السعيد بكاتب * رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطان
فلا تنسنى من أهل ودك اننى * أخاف الليالى أن تطول فتنسانى
ولا خير أن تجعل كفاء قصيدتى * كفاء ابن دراج على مدح خيران
فخذ دنانير ولا تكن التى * ألم بها الكندى فى شعب بوان
فجودك فينا الغيث فى رمل عالج * وفضلك فينا الخبز فى دار عثمان
ومازلت من قبل السؤال مقابلا * مرادى باحساب وقصدى باحسان
ولا تنس أياما تقضت كريمة * بزاوية المحروق أو دار همدان
وتاليفنا فيها لقبض اتاوة * واغرام مسنون وقسمة حلوان
وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقا * يقول نصيبى أو أبوح بكتمان
عريفى بلحانى اذا ما أتيته * ولم أنصرف عنكم بواجب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا * أئمة حساب وأعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم تبادرت * طوائف ميمون وأشياع برقان
وان بخروا عند الحلول تأرجت * مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان فتحوا الدارات فى ردآ بق * ثنت عزمه أوهام خوف وخذلان
فيحسب أن الارض حيث ارتمت به * ركائبه سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا اسرة كيموية * أقامت لدينا فى مكان وامكان
فلله من أعيان قوم تألفوا * على عقد سحر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله انما * نروح ونغدو من رباط الى خان

مع الصبح نضفي بها عباءة صفقة * وبالليل نلويها زنانير رهبان
أتذكر في سفح العقاب مبيتكم * ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان مالم يجئ به * طهور ابن ذنون ولا عرس بوران
وكم شائق منكم الى عقد تكة * وكم هائم فيكم على حل هميان
فأطفأت قنديل المكان تعمدا * وأومات فانقضوا كأمثال عقبان
وناديت في القوم الركوب فاسرعوا * فريق لنسوان وقوم لذكران
فأقسم بالايمان لولا تعففي * عن السوء لانحلت عقيدة ايماني
فعد للذي كنا عليه فان لي * على الغيران صاحبته حقد غيران
فمن يوم اذ صيرت ودي جانبا * وأعرضت عني ما تناطح عنزان
ولاروت الكتاب بعد نفارنا * محاورة من ثعلبان لسرحان
وماهو قصدي منك الا الاجازة * تخولني التفضيل ما بين خلاني
وانك ان سخرت لي وأجزتني * لنعم ولي صان ودي وجازاني
ولم لاترويني وأنت أجل من * سقاني من قبل الرحيق فروّاني
ألا فأجزني يا امام بكل ما * رويت لمدغليس أولابن قزمان
ولا تنس للدباغ نظما عرفته * فانكما في ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها * الى ابن شجاع في مديح ابن بطان
والمم بشئ من خرافات عنتر * وألمع ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت اليتيمة واسني * بلامية في الفحش من نظم واساني
أجزني بكشف الدك أرضى وسيلة * وخير جليس في بساط ودكان
وناولني المصباح فهو لغربتي * مسراع راضي ورائد سلواني
والحق به شمس المعارف انني * أسائل عن اسناده كل انسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتني به * ولكنني أنسيته بعد عرفان
ولابدّ يا أستاذ من أن تجيزني * ببدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان
وكتب ابن أحلى كيف كانت فانها * لوزن رقيق القول اكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصبابة والصفا * لاخوان صدق في الصبا خير اخوان
وزهر رياض في صنوف أضاحك * وجبذ كساء في مكايد نسوان
كذلك فناولني كتاب حبائب * وزدني تعرّيفابها وببرجان
ولي أمل في أن أروّى رسالة * مضمنة أخبار حي بن يقظان
وحبس على الكوز والكاس والعصا * فانك مثر من عصى وكيزان
وصير لي الدلفاس أرفع لبسة * فقد جل قدري عن حرير وكتان
وقدرق طبعي واعترتني خشية * تكاد بها روحي تفارق جثماني
وخل مفاتيح الطريقة في يدي * وسوّغ لهم حكمي مزيدي ونقصاني
فاني لم أخدمك الا بنية * واني لم أته عليك الا باحسان

شرده الخوف وأزرى به * كذلك من يكره حر الجلاد محرق الكف يشكو الجوى * تنكته أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة
والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة
يترك آثار العدا كالرماد
فمضى عليها الى الكوفة
وخرج عنها ومعه القراء
والاشراف فحاربه يوسف
ابن عمر الثقفي فلما قامت
الحرب انهزم أصحاب زيد
وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم
أشد قتال وهو يقول
متمثلا
أذل الحياة وعز الممات
وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد
فسيري الى الموت سيرا جميلا
وحال المساء بين الفريقين
فراح زيد مثخنا بالجراح
وقد أصابه سهم في جبهته
فطلبوا من ينزع النصل
فاتى بحجام من بعض القرى
فاستكتموه أمره فاستخرج
النصل فمات من ساعته
فدفنوه في ساقية ماء
وجعلوا على قبره التراب
والحشيش وأجرى الماء
على ذلك وحضر الحجام
مواراته فعرف الموضع
فلما أصبح مضى الى يوسف
متنصحا فدله على موضع
قبره فاستخرجه يوسف
وبعث برأسه الى هشام
فكتب اليه هشام أن
اصلبه عريانا فصلبه يوسف
كذلك ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من أبيات

فكن لى بالاسرار أفصح معلن * فانى قد أخلصت سرى واعلانى

وليس قصدى علم الله بجلب هذه القصيدة مافيها من المجون بل مافيها من التلميحات التى يرغب فى مثلها أهل الأدب والحديث شجون على أن أمثال هؤلاء الاعلام لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا مجرد الاحماض فينبغى أن ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الاغضاء عن النقد والاغماض ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم فى الاصول برهان القطع والافتراض والله سبحانه المسئول فى التجاوز عن الزلات والنجاة من الامور المضلات فعفوه سبحانه وراء جميع ذلك والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر والخبير بما هنالك لارب غيره ولا خير الا خيره وحيث ذكرنا هذه القصائد النونية التى اتفق فيها البحر والروى وجرت من البلاغة على النهج السوى فلا باس أن نعززها بقصيدة الرئيس الوزير أبى عبد الله بن زمرك سامحه الله تعالى وهى قصيدة ميلادية أنشدها سلطان الاندلس عام خمسة وستين وسبعمائة ونجعلها مكفرة لما مر فى قصيدة الفقيه عمر من المجون ومبلغة للناظرين فى هذا التأليف ما يرجون والحديث شجون وهى قوله

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان * تؤدى أمان القلب عن ظبية البان
وماذا على الارواح وهى طليقة * لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
وما حال من يستودع الريح سره * ويطلبها وهى النموم بكتمان
وكا لطيف أستقر به فى سنة الكرى * وهل تنقع الاحلام غلة ظمآن
أسائل عن نجد ومى صبابتى * ملاعب غزلان الصريم بنعمان
وأبدى اذا ريح الشمال تنفست * شمائل مرتاح المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب لم أدر سلوة * وأنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فياصاحبى نجواى والحب غاية * فمن سابق جلى مداه ومن وانى
وراء كما ما اللوم يثنى مقادتى * فانى عن شان الملامة فى شان
وانى وان كنت الابى قياده * ليأمرنى حب الحسان وينهانى
ومازلت أرعى العهد فيمن يضيعه * وأذكر الفى ما حييت وينسانى
فلا تنكرا ما سامنى مضض الهوى * فمن قبل ما أودى بقيس وغيلان
لى الله اما أومض البرق فى الدجى * أقلب تحت الليل أجفان وسنان
وان سل من غمد الغمام حسامه * برى كبدى الشوق الملم وأضنانى
تراءى باعلام الثنية باسما * فأذكرنى العهد القديم وأبكانى
أسامر نجم الافق حتى كأننا * وقد سدل الليل الرواق حليفان
ومما أناجى الافق أعديه بالجوى * فأرعى له سرح النجوم ويرعانى
ويرسل صوب القطر من فيض أدمعى * ويقدح زند البرق من نار أشجانى
وضاعف وجدى رسم دار عهدتها * مطالع شهب أو مراتع غزلان
على حين شرب الوصل غير مصرد * وصفو الليالى لم يكدر بهجران
لئن انكرت عينى الطلول فانها * نمت الى قلبى بذكر وعرفان

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه فى الرياح (قال المسعودى) وحكى الهيثم بن عدى الطائى عن عمرو بن هانئ قال خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خشمة انفه فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه واضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى امية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤن رأسه ثم احتفرنا عن يزيد ابن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا اسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر فى هذا الموضع قتل هشام زيد بن على ومانال هشاما من المثلة بما فعل بسلفه من الاحراق كفعله بزيد بن على وقد ذكر أبو بكر

ولم

ولم أر مثل الدمع فى عرصاتها * سقى تربها حين استهل وأظمانى
ومما شجانى أن سرى الركب موهنا * تقاذبه هوج الرياح بارسان
غوارب فى بحر السراب تخالها * وقد سبحت فيه مواخر غربان
على كل نضو مثله فكأنما * رمى منهما صدر المفازة سهمان
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشا * توسد منها فوق عوجاء مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤسهم * من النوم والشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع غرامهم * وقد تبلغ الاوطار فرقة أوطان
يؤمون من قبر الشفيع مثابة * تطلع منها جنة ذات أفنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره * فاكرم مولى ضم أكرم ضيفان
بحيث علا الايمان وامتد ظله * وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان
مطالع آيات مثابة رحمة * معاهد أملاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد * يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تؤدى للسلام أمانة * يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى * يؤمله القاضى من الخلق والدانى
لئن بلغوا دونى وخلفت انه * قضاء جرى من مالك الارض ديان
وكم عزمة مليت نفسى صدقها * وقد عرفت منى مواعد ليان
الى الله نشكوها نفوسا أبية * تحيد عن الباقى وتغتر بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى * فأترك أهلى فى رضاه وجيرانى
وأقضى لبانات الفؤاد بان أرى * أعفر خدى فى ثراه وأجفانى
اليك رسول الله دعوة نازح * خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب باقصى الغرب قيد خطوه * شباب تقضى فى مراح وخسران
يحن اشتياقا للعقيق وبانه * ويصبو اليها ما استجد الجديدان
وان أومض البرق الحجازى موهنا * يردد فى الظلماء أنة لهفان
فيا مولى الرحمى ويا مذهب العمى * ويا منجى الغرقى ويا منقذ العانى
بسطت يد المحتاج يا خير راحم * وذنبى ألجانى الى موقف الجانى
وسيلتى العظمى شفاعتك التى * يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فانت حبيب الله خاتم رسله * وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وحسبك أن سماك أسماءه العلا * وذلك كمال لا يشاب بنقصان
وأنت لهذا الكون علة كونه * ولولاك ما امتاز الوجود باكوان
ولولاك للافلاك لم تجل نيرا * ولا قلدت لباتهن بشهبان
خلاصة صفو المجد من آل هاشم * ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وسيد هذا الخلق من نسل آدم * وأكرم مبعوث الى الانس والجان
وكم آية اطلعت فى أفق الهدى * يبين صباح الرشد منها ليقظان

ابن عياش وجماعة أن زيدا مكث مصلوبا خمسين شهرا عريانا فلم يره أحد عورة سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان فى أيام الوليد بن يزيد ابن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى فى الرياح على شاطئ الفرات وقد أتينا فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات على السبب الذى من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف فى الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبى عيسى محمد ابن هرون الوراق وغيره فقلنا ان الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى وذهبوا الى أن الامامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرثية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى ثم الفرقة

وما الشمس يجلوها النهار لمبصر * بأجلى ظهور أو بأوضح برهان
وأكرم بآيات تحدت بنابها * ولا مثل آيات لمحكم فرقان
وماذا عسى يثني البليغ وقد أتى * ثناؤك في وحي كريم وقرآن
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا * وما سجعت ورقاء في غصن البان
وأيد مولانا ابن نصر فانه * لأشرف من ينمى لملك وسلطان
أقام كما يرضيك مولدك الذى * به سفر الاسلام عن وجه جذلان
سمى رسول الله ناصر دينه * معظمه فى حال سر واعلان
ووارث سر المجد من آل خزرج * وأكرم من تنمى قبائل قحطان
ومرسلها ملء الفضاء كتائبا * تدين لها غلب الملوك باذعان
حدائق خضر والدروع غدائر * وما أنبتت الا ذوابل مران
تجاوب فيها الصاهلات وترتمى * جوانبها بالاسد من فوق عقبان
فمن كل خوّار العنان قدارتمى * به كل مطعام العشيات مطعان
ومورد هاظمأى الكعوب ذوابلا * ومصدرها من كل أملد ريان
ولله منها والربوع مواحل * غمام ندى كفت المحل كفان
اذا أخلف الناس الغمام وأمحلوا * فان نداه والغمام لسيان
امام أعاد الملك بعد ذهابه * اعادة لا نابى الحسام ولا وانى
فغادر أطلال الضلال دوارسا * وجدد للاسلام أوفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة * محافلها تزهى بيمن وايمان
وراق من الثغر الغريب ابتسامه * وهزله الاسلام أعطاف مردان
لك الخير ما أسنى شمائلك التى * يقصر عن ادراكها كل انسان
ذكاء اياس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو فى بلاغة سحبان
أمولاى ما أسنى مناقبك التى * هى الشهب لا تحصى بعدّ وحسبان
فلازلت يا غوث البلاد وأهلها * مبلغ أوطار ممهد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة نأتى بها فى هذا التاليف ان شاء الله تعالى فى محلها وهو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه ففين نبابه الزمان وتعوض الخوف بعد الامان كان أحد الساعين فى قتله كما سنذكره وصرح بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره وهكذا عادة بنى الدنيا يدورون معها حيث دارت ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التى ادارت وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب وصدح طير عزه بعده على فنن من الاقبال رطيب ثم آل الامر به الى القتل كما سعى فى قتل لسان الدين وكان الجزاء له من جنس عمله والمريد ان عما كان به يدين وعفو الله سبحانه مرجو للجميع فى الآخرة وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن ينيلنا واياهم المراتب الفاخرة فانه لا يتعاظمه ذنب وليس للكل غيره من رب * (رجع الى ما كنا بسبيله) * وأما الوشة التى ينسب اليها لسان الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة

ابن جنى ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفى وقد زاد هؤلاء فى المذهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ماذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وما قالات الكيسانية وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التأويل والعلاة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث فى وقتنا هذا وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم فى ذلك من أصحاب الدور والسروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة * وعرض

غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فى ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين فى الاحاطة وقال انها بنت الحضرة يعنى غرناطة وقال ذلك فى ترجمة ابن مرج الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله مانصه محمد بن ادريس بن على ابن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعرا مفلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل وقال الاستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للادب متصرف فيه قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ويقال انه كان أميا *(من أخذ عنه) روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد وأبو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن الابار وابن عسكر وابن أبى البقاء وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة وأبو الحسن الرعينى *(شعره ودخوله غرناطة) قال فى عشية بنهر الغنداق من خارج بلد نالوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من احواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية * من راحتى أحوى المراشف أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر
قلنا بها ذا مالنا فى روضة * تهدى لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه * فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثنى * والشمس ترفل فى قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب * والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربا * بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده * مهما طفا فى صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة * بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولاخفاء ببراعة هذا الشعر وقال منها

أرأت جفونك مثله من منظر * ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كاراقم حصباؤها * كبطونها وحبابها كالاظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق اليه ثم قال منها

وقرارة كالعشر بين خميلة * سالت مذانبها بها كالاسطر
فكأنها مشكولة بمصندل * من يانع الازهار أو بمعصفر
أمل بلغناه بهضب حديقة * قد طرزته يد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه * ملك تجلى فى بساط أخضر

هشام يوما الجند بحمص فربه رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ما حملك على أن تربط فرسا نفورا فقال الحمصى لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ماهو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كأنه هشام فى حولته وكشفته وبينما هشام ذات يوم جالسا خاليا وعنده الابرش الكلبى اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبى لى حلتك فقالت له لأنت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى ابراهيم بن هشام وكان عامله على المدينة فى حمله الينا فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال يا أبرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه مضحك لاها الله ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى * الى بعض مافيه عليك مقال

وأوقف الكتاب وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين فأعجب بهما فقال له الرجل جائزتى يا أمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ما شئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل

هشام بستاناله ومعه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتى قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة فكتب اليه أمير المؤمنين قد فهم كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه فى حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخارى فقال من أين لك هذا قال حملنى عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفى مربطه برذون واحد طخارى فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحسدنى اياه وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلى الامر فقال له ياهشام اتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله انى عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما) أن السوّاس من بنى أمية فامنت

راق النواظر منه رائق منظر * يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز * وكم استفز جماله من مبصر
لولاح لى فيما تقادم لم أقل * عرج بمنعرج الكثيب الاعفر

قال أبو الحسن الرعينى وأنشدنى لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية * ألفوا من الادب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها * من الانحناء الى الوقوع فخوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا * سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التى * ينسيك منها ناسخ منسوخا
والنهر قد صفقت به نارنجة * فتيممت من كان فيه منيخا
فتخالهم خلل السماء كواكبا * قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد فى السرور نهارهم * فجعلت أبياتى له تاريخا

ومن أبياته فى البديهة قوله

وعندى من مراشفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفى أجفانها السكرى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما أجرى دموعى * اذا عنت لمقلتى الخيام
وأشجانى اذا لاحت بروق * وأطربنى اذا غنت حمام

ومن قصيدة

عذيرى من الآمال خابت قصودها * ونالت جزيل الحظ منها الاخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم * خمولا وماذكرمع البخل ماكث
يهون علينا أن يبيد أثاثنا * وتبقى علينا المكرمات الأثايث
وماضر أصلا طيبا عدم الغنى * اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى عمرو بن أبى غياث

أباعمرو متى تقضى الليالى * بلقيا كم وهن قصصن ريشى
أبت نفسى هوى الاشريشا * ويابعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوّع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع
فانعم أباعمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
ياشادن البان الذى دون النقا * حيث التقى وادى الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسنا نتقى * بسناك ليل تفرق يتطلع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ماتتوقع

فامنت يا موسى الغروب ولم أقل * فوددت يا موسى لوانك يوشع

وقال

ألا ابشروا ابا الصبح مني باكيا * اضربه الليل الطويل مع البكا
ففي الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتي * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا * واذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فافسدتم قلوبا بملكها * فانتم على ماجاء في سورة النمل
وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فانتم على ماجاء في سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه في خدمته فلم ينجب فقلت

يا مرج كحل ومن هذي المروج له * ما كان أحوج هذا المرج للكحل
ماحمرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا في رزقها العجل
فان من شانها اخلاف آملها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

يا قائلا اذ رأى مرجي وحمرته * ما كان أحوج هذا المرج للكحل
هو احمر اردماء الروم سيلها * بالبيض من مرمن آبائي الاول
أجبته أن حكى من قد فتنت به * في حمرة الخد أو اخلافه أملي

*(وفاته) توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وستمائة ودفن في اليوم بعده انتهى ما في الاحاطة في شان ابن مرج الكحل * وكتب أبو الحسن علي بن لسان الدين على أول ترجمته ما نصه شاعر جليل القدر من مشايخ شعراء الاندلس من أهل بلنسية وسكن جزيرة شقر انتهى * وكتب على قوله والنهر قوم الاباطح ماصورته لم يصف أحد النهر بارق ديباجة ولا أظرف من هذا الامام رحمة الله عليه اه كلام ابن لسان الدين (قلت) ومارأيت رائية تقرب من التي لابن مرج الكحل السابقة التي اولها عرج بمنعرج الكثيب الاعفر الارائية شمس الدين بن الكوفي الواعظ وهي قوله

روح الزمان هو الربيع فبكر * وانهض الى اللذات غير منكر
هذا الربيع بيبيح من لذاته * اصناف ماتهوى فاين المشترى
فافرح به فلفرحة بقدومه * زفل الشقائق في القباء الاحمر
والكون مبتهج وخفاق الصبا * يحيي القلوب بنشره المتعطر
والغيم يبكي والاقاحي باسم * لبكائه كتبسم المستبشر
والسرو ان عبث النسيم فهز أعطاف الغصون يميس ميس موقر
وكانما القداح فستق فضة * يهدي اليك اريج مسك اذفر

وان المنصور كان في أكثر اموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام في افعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وماحفظ من اشعاره وخطبه وما كان في أيامه في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذي أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة في مناقب العرب ومثالبها مفردة لايشاركها فيها غيرها وما أضيف الى كل حي من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وماجرى في مجالس هشام في أوقات مختلفة بين الابرش الكلبي والعباس ابن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة المخزومي والنضر بن مريم الحميري وما أورده الحميري من مناقب قومه من نزار بن معد بن عدنان وماذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

(ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان) وبويع الوليد بن يزيد في اليوم الذي توفي فيه هشام

للبلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذى قتل فيه دفن فيه وهى قرية من قرى دمشق تعرف بالبحراء على ماذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله فى كتابنا الاوسط

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

ظهر فى أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وماعم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار وسلم بن أحوز المازنى فقتل يحيى فى المعركة بقرية يقال لها أرعونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل فى المعركة بسهم أصابه فى صدغه فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى

وكأنما المنثور فى أثوابه * ألوان ياقوت أنيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف * متشوق بادبوجه أصفر
وكأنما النارنج فى أوراقه الـ * ـقنديل والاوراق شبه مسحر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهم * خبر يسرهم بطيب المخبر
فثنوا املا بسهم لفرط سرورهم * كى يخلعوا فرحا بقول المخبر
فتعلقت أذيالها بأكفهم * وتعلقت أزياقها بالمنحر
والطل من فوق الرياض كأنه * درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربا بالنور بين متوج * ومدملج ومخلخل ومسور
ورياضها بالزهر بين مقرطق * ومطوق وممنطق ومزنر
والورد بين مضعف ومشنف * ومكتف وملاطف لم يهصر
والزهر بين مفضض ومذهب * ومرصع ومدرهم ومدنر
والنثر بين مطيب وممسك * ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع وموجع * ومفجع ومسجع فى منبر
ومغرد ومردد ومعدد * ومبدد فى الخدماء المحبر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل اعذب مذاقا وكل منهما لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه الى الغاية وليس الخبر كالعيان * ومن نظم ابن مرج الكحل قوله

الشمس تغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فامنت ياموسى الغروب ولم أقل * فوددت ياموسى لوانك يوشع

ولمح بهذه الابيات الى قول الرصافى الاندلسى البلنسى يخاطب من اسمه موسى بقصيدة اولها

مامثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

ومنها

وعشية لبست ثياب شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا امد السرور تالفا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم يملك نديمك ردها * فوددت ياموسى لوانك يوشع

انتهى

(قلت) ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الى أديب الاندلس أبى بحر صفوان ابن ادريس مراجعاله بعد نظم ونص الجميع

يامن تبوأ فى العلياء منزلة * جداه قد اساها أى تأسيس
لم يتر كافى العلا حظا لملتمس * سيان هذا وهذاك ابن ادريس
وافى كتابكم فارتد لى جذلى * واعتضت من فرط أشواقى بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو فيطفئها * مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناءك وسناك واظفر يمناك بمناك وذى الاسلم كما تعلم وعهدى الاقدم لم تزل

له قدم وأنادام عزكم ان أتفق معكم انتسابا فلم أتفق فى شأو الادب باعا ولا قاربتكم طباعا وانطباعا بل بذلك الاتفاق تشرفت وسموت الى ذروة العلا واستشرفت واقررت بذلك الفضل واعترفت وكرعت فى مناهله واغترفت ولقد وافى كتابكم فقلت وقد نثر الدر فيه من فيه و بلغ نفسى ما كانت تنويه من التنويه

حديث لوان الميت نودى ببعضه * لاصبح حيا بعد ماضمه القبر

ولولا ماطالعنى وجه من رضا كم وسيم وسقانى مزن اهتبالكم ما أروى به وأسيم وحيانى منكم روض ونسيم لما ساعدنى الفكر بقسيم لازلتم فى ظل من العيش وارف مرتدين رداء المعارف والسلام انتهى

وكانت مخاطبة صفوان له التى أجاب عنها ما نصه

ياقاطع البيد يطويها وينشرها * الى الجزيرة ينضى بدن العيس

الثم بها عن اخى حب وذى كلف * يد العلا والقوافى وابن ادريس

وأبلغها اليه تحية كالمسك صدرا وورودا وكالماء الزلال عذوبة وبردا يسرى بها الى دار ابن نسيم ويسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم وهى وان كانت تذيب المسك خجلا وتستفز بصوتها وجلا فما هى الا خائفة تترقب وسافرة تكاد تتنقب تمشى على استحياء وتعثر من التقصير فى ذيل اعياء هذا لانها جلبت الى هجر تمرا والى شبام وبيت رأس خمرا ولكن على المجد أن يبدى فى قبول عذرها و يعيد لعلمه أنه يتيمم من لم يجد الا الصعيد فله الفضل أن لا يلحفها بنار النقد ولا يعرضها على ما هنالك من الحل والعقد والله يبقى ذكره فى مقلة الادب حورا وفى قلب الحسود خورا و يديه والقوافى طوع قريحته والاغراض الجميلة ملء تعريضته وتصريحته وزهر البيان طالع فى سماء جنانه وزهر التبيان يونع فى أنداء جنانه وعذرا اليه فانى كتبت والحامل يمسك زمامه و يلتفت فى البيداء أمامه والسلام انتهى ومن انشاء صفوان خطبة نكاح نصها الحمد لله الذى تطوّل بالاحسان من غير جزاء ولا ثواب وألبس المخلوقات من فواضله سوابغ المطارف وكواسى الاثواب وجاؤا على أقدام الرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الابواب وسألوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والاسعاف بدل الجواب خالق البرية من غير افتقار ولا اضطرار ونقلهم من الطفولية الى غيرها نقل البدر من التمام الى السرار وشرف هذه الطبقة الانسانية فرزقها الادراكات العقليه والابانات اللسانيه فضرب سرادق اعتنائه عليها وأنشأها من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ومع صنعه الرفيق بهم اللطيف وتنويهه الحاف بأرجائهم المطيف رزقهم أحسن الصور الحيوانية وأجملها وأتاح لهم أتم أقسام الاعتناء وأكملها و بعث اليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعا منه جميلا ورباء للصنيعة لديهم وتكميلا فبشروا وأنذروا وأمنوا وحذروا وباينوا بين الحرام والحلال مباينة ادراك البصير بين الكدر والزلال ودلوا على السمت الاهدى ونصبوا أعلام التوفيق والهدى ولم يدعوا شيأ سدى بل توازنت بهم مقادير الاقوال والاعمال وكانت أشاراتهم ثمال الهداية وأى ثمال فآب كل

ابن زيد سبعة أيام فى سائر أعمالها فى حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بنى امية ولم يولد فى تلك السنة بخراسان مولود الا وسمى بيحيى او بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى فى آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه فى الكتاب الاوسط وفى غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهول النفو * س يوم الكريهة أوفى لها

و كان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين وأظهر الشرب والملاهى والعزف وفى أيامه كان ابن سريج المغنى ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت عليه شهرة الغناء فى أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا وطرب الوليد ليلتين خلتا من ملكه وأرق فأنشأ يقول

طال ليلى وبت أسقى السلافه * وأتانى نعى من بالرصافه

وأتانى ببردة وقضيب * وأتانى بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك

متى يحب الى الارتباط وشد كل موفق على الاعتلاق بحالهم يد الاغتباط فصلوات الله الزاكية عليهم ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم وأتم الصلاة والسلام على علم أولئك الاعلام الداعى على بصيرة الى دار السلام السراج المنير البشير النذير محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تؤل بهم الى فسيح رضوانه ورحبه بعثه الله رحمة للعالمين عامه وأرسله نعمة للناس موفورة تامه فاخذ بحجز مصدقيه عن التهافت فى مداحض الأقدام والتتابع فى مزلات الجراءة على العصيان والاقدام فاقام الحجه وأوضح المحجه ودل على المقامات التى تعض الاولياء وافصح عن الكرامات التى تنقذ الاتقياء وقال وأهلا به من قائل تناكحوا فانى مكاثر بكم الانبياء حرصا منه صلوات الله عليه على الزيادة فى اهل الاسلام والنماء ودفعا فى صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيهب الظلماء وحض على ذات الدين الحصان واغرى بالاعتصام والاحصان ونصب أعلام النكاح مشيدة المبانى وجاء بها سنة عذبة المجانى وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الثانى وأمر بالنكاح الذى توافقت فيه الطبيعة والشريعة ولبته النفوس وهى سريعه واخصبت به ربوة التناسل فهى مروضة مريعه وسدت به عن اتباع الهوى وارتكاب المحارم الذريعة وحفظت به الأنسال والأنساب وفاض به نهر الالتئام السال المنساب اذ لاسبيل لأن يستغنى بذاته من كان أسير هواه ومأوه ولذاته وانما الانفراد والاستغنا لمن له الكمال والغنى ولا يجوز أن يتعاقب عليه الآنا لا اله الا هو له السناء والسنا وان فلانا لما ارتقت همته الى اتباع الصالحات وسمت ووسمته النجابة من أعلامها اللائحة بما وسمت رأى أن الاعتصام بالنكاح أولى ما حمى به دينه ووقاه وأهم ما رفع اليه اعتناءه ورقاه فخطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تظافر فيها اليمن والقبول ونفحت بها شمال من الجد المصمم وقبول وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول فتلقى فلان خطبته بالاجابه لما توسم فيه من مخايل النجابه حرصا منه على المساعدة والعون واغتباطا بمباشرة أهل الرشد والصون وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التى يتضاعف بها العدد القليل ويتزيد ويمنه الذى ينتهض به من اعتمده ويتأيد وحسن توفيقه الذى يرتبط به من أخلص ضميره ويتقيد على أن أصدقها كذا تزوجها بكلمة الله التى علت الكلمات وبهرتها وعلى سنة نبيه التى أحيت الحنيفية وأظهرتها وأنقت الملة من أرجاس الجاهلية وطهرتها وهداية مهديه التى غلبت الاباطيل وقهرتها ولتكون عنده بامانة الله التى هى جنة واعتصام وعهدته للزوجات على أزواجهن التى ليس لعروتها انفصام وعلى امساك بمعروف اوتسريح باحسان وتسلسل فى ميدان التناصف وارسان وله عليها من حسن العشرة التى هى بحقيق الاتفاق عائده مثل ذلك ودرجة زائده والله تعالى يعهد لهما مهاد نعمته الوثير ويخلف منهما الطيب الكثير ويرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير بمنه ونعمته انتهى

*وله رحمه الله من رسالة عتاب أدام الله سبحانه مدة الاخ الذى أستديم اخاءه وان واجهتنى زعازعه أرتقب رخاءه وتجاوزت عن يومه لامسه وأغضيت عن ظلامه لشمسه أنى واعتنا

وسلم عليه بالخلافة

انى سمعت خليلى * نحو الرصافة رنه
أقبلت أسحب ذيلى * أقول ماحالهنه
اذا بنات هشام * يندبن والدهنه
يدعون ويلا وعولا * والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا * ان لم أنيكهنه

وقيل للوليد ما بقى من لذاتك قال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر وبلغ الوليد عن شراعة بن الزندبود حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث فى احضاره فلما دخل اليه قال انى ما بعثت اليك لاسألك عن كتاب ولا سنة قال ولست من أهلها قال انما أسألك عن القهوة قال سل عن أى ذلك شئت يا أمير المؤمنين قال ما تقول فى الشراب قال عن أيه تسال قال ما تقول فى الماء قال يشاركنى فيه البغل والحمار قال فنبيذ الزبيب قال خمار وأذى قال فنبيذ التمر قال ضراط كله قال فالخمر قال شقيقة روحى وأليفة نفسى قال فما تقول فى السماع قال يبعث مع التأنى على ذكر الاشجان ويجدد اللهو على مواقع الاحزان ويؤنس الخل الوحيد ويسر العاشق الفريد ويبرد غليل القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهى لغيره يسرع ترقيها

واندارا

وانذارا واعذارا ورحم الله من اعتمد على الافهام وعصى أوامر الاوهام ورأى الخليقة فى المعقول لا فى المختلف المنقول و بعد فانه وصل كلامك بل ملامك وكتابك بل عتابك ورسالتك بل بسالتك أسمعتنى بألفاظك العذاب سوء العذاب وأريتنى لمعان الحسام من فقرك الوسام (وقال) صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الى ما يجد لفراقى وأطال عتب الزمان فى اشآمه واعراقى فقلت اذا تفرقنا والنفوس مجتمعه فما يضر أن الجسوم للرحيل مزمعه ثم قلت له

أنت مع العين والفؤاد * دنوت أو كنت ذا ابتعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

وأنت فى القلب فى السويدا * وأنت فى العين فى السواد

انتهى * واذجرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه فنقول

قال فى الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى المرسى أبو بحر كان أديبا حسيبا ممتعا من الظرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جميلا سريا ممن تساوى حظه فى النظم والنثر على تباين الناس فى ذلك روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضى أبى القاسم ابن ادريس وأبى بكر بن مغاور وأبى رجال بن غلبون وأبى العباس بن مضا سمع عليه صحيح مسلم وأبى القاسم بن حبيش وابن حوط الله وأبى الوليد بن رشد وأجازله ابن بشكوال وروى عنه أبو اسحق بن اليابرى وأبو الربيع بن سالم وابن عيشون وله تواليف أدبية منها زاد المسافر وكتاب الرحلة وكتاب العجالة سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدبا لا كفاء له وانفرد من تأبين الحسين و بكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه الى أن قال وقال فى غرض الرصافى من وصف بلده وذكر اخوانه يساجله فى الغرض والروى عقب رسالة نثرها طراد الجياد فى الميدان وتنازع اللذات والاخدان فى تقديم مرسية على غيرها من البلدان

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عنى ماء عبرته نثرا
معاملة أربى بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
و يقرضه ذوب اللجين وانما * توفيه عينى من مدامعها تبرا
وماذاك تقصيرا بها غيرانه * سجية ماء البحر أن يذوى الزهرا
خليلى قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمى بزفرتى الحرا
فان الصبا ريح على كريمة * بآية ماتسرى من الجنة الصغرى
خليلى أعنى أرض مرسية المنى * ولولا توخى الصدق سميتها الكبرى
محلى بل جوى الذى عبقت به * نواسم آدابى معطرة نشرا
ووكرى الذى منه درجت فليتنى * فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
ومار وضة الخضراء قدمثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا

فى أجزاء الجسد فتهيج النفس وتقوى الحس قال فاى المجالس أحب اليك قال ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالنى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكأس كالزعفران * سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذاة وعرض الاناء * سترلها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقنى يا يزيد بالقرقاره * قد طربنا وحنت الزماره
اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد أحاطت فما لها كفاره

وأخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحى القاضى عن محمد بن سلام الجمحى قال حدثنى رجل عن شيوخ أهل الشام عن أبيه قال كنت سميرا للوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشى عنده وقد قال له غننى فغناه

انى رأيت صبيحة النحر * حورا نعين عزيمة الصبر
مثل الكواكب فى مطالعها * عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغى الاجر محتسبا * فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فاعاد فقال

باهج منها والخليج مجرة * وقد فضحت ازهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت أعطاف أغصانها الصبا * وما كنت أعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربا ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربا * تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فلأفاها من ازاهره درا
ايا رنقات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا
فأنظر من هذى لتلك كأنما * أغير اذغازلتها أختها الاخرى
هى الكاعب الحسناء تمم حسنها * وقدت لها أوراقها حللا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة ايكها * اغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فقل فى خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بشط لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جر فى روض هناك تجافيا * بنهر يود الافق لو زاره فجرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا * وقد بكيا من رقة ذلك النهرا
وكم لى بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى أنه مرا
عشيات كأن الدهر غضا بحسنها * فأجلت بساط البرق افراسها شقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
أعهدى بالغرس المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * تقضت أمانيه فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى * نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسى ولم أكن * لما بت أستحلى فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الاضرورة * وهل تستجيز العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بى الدار عنهم * أراد بذلك الله أن أعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يجد الكرب فى طيها شهرا
ويصحب هادى الليل راء وحرفه * وصادا ونونا قد تقدس واصفرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علا هماتهم لعتبتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا

أعد فاعاد فجعل يتخطى من أب الى أب و يأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه
أحسنت والله بحق أمية فقال أعد بحياتى فاعاد فقام الى ابن عائشة فاكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الاقبله وأهوى الى أيره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال الوليد والله لازلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فالقاها على ابن عائشة وبقى مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بالف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطى وانصرف فقد تركتنى على أحر من جمر الغضى (قال المسعودى) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فاطربه وقيل انه ألحد و كفر فى طربه و كان فيما قال لساقيه اسقنا بالسماء الرابعة فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما فى كتب الاغانى من الخلاف فى ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلى فى كتابه فى الاغانى وابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فى كتابه فى الاغانى أيضا وغيرهما ممن صنف فى هذا المعنى والوليد يدعى خليع بنى مروان وقر أذات ضربت

ضربت غبار البيد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتجميلا فأخرج لى صفرا
كأن زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا وما يحسن الجبرا
فكم عارف بى وهو يحسن رتبتى * فيمدحنى سرا ويشتمنى جهرا
لذلك ما أعطيت نفسى حقها * وقلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فما برحت فكرى عذارى قصائدى * ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وإن طاشت سهامى بآيس * فإن مع العسر الذى يتقى يسرا

وقال يراجع أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها

سقى مضرب الخيمات من علمى نجد * أسح غمامى ادمعى والحيا الرغد
وقد كان فى دمعى كفاء وإنما * يجف فما بالضلوع من الوقد
فإن فترت نار الضلوع هنيهة * فسوف ترى تفديره للعيا العد
وإن ضن صوب المزن يوما فأدمعى * تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وإن هطلا يوما بساحتها معا * فأرواهما ما صاب من منتهى الود
أرى زفرتى تذكى ودمعى ينهمى * نقيضين قاما بالصلاء وبالورد
فهل بالذى أبصرتم أو سمعتم * غمام بلا افق وبرق بلا رعد
لى الله كم أهذى بنجد وأهلها * ومالى بها الا التوهم من عهد
ومالى الى نجد نزوع ولا هوى * خلا أنهم شنوا القوافى على نجد
وجاؤا بدعوى حسن الشعر زورها * فصارت لهم فى مصحف الحب كالجحد
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى * وللدرع وقت ليس يحسن للبرد
الى الله أشكو ريب دهرى يغص فى * نوائبه قد أجمت ألسن العد
لقد صرفت حكم الفؤاد الى الهوى * كما فوضت أمر الجفون الى السهد
أما تتوقى ويحها أن أصيبها * بدعوة مظلوم على جورها يعدى
أماراعها أن زحزحت عن أكارم * فراقهم دل القلوب على حدى
أعاتبها فيهم فتزداد قسوة * أجدك هل عاينت للعير الصلد
أما علمت أن القساوة نافرت * طباع بنى الآداب الأمن الرد
اذا وعدت يوما بتأليف شملنا * فألمم بعرقوب وما سن من وعد
وإن عاهدت أن لا تؤلف بيننا * تذكرت آثار السموأل فى العهد
خليلى أعنى النظم والنثر أرسلا * جيادكما فى حلبة الشكر والحمد
قفا ساعدانى إنه حق صاحب * يرى جمام الكتم من كدر الحقد
بآية ما قيدتما ألسن الورى * بذكرى فياويح الكنانى والكندى
فأين بيانى أو فأين فصاحتى * اذا لم أعدد كر الاكارم أو أبدى
فما خاطرى وفى الثناء حقوقه * وصفه كما قالوا سوار على زند
ولا تلزمنى بالتكاسل حجة * تشبها نار الحياء على خدى

للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول
أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يا رب مزقنى الوليد
وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد فى شعر له ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وأن الوحى لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك فى الشعر
تلعب بالخلافة هاشمى
بلا وحى أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعنى طعامى
وقل لله يمنعنى شرابى
فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد ابن يوسف الثقفية ويكنى أبا العباس وقد كان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف باليشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصية ذلك فى كتاب القضايا والتجارب وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الا رؤيا حسنة فأمر الوليد فملئت خمرا وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه فقال أين القمر الليلة فقال بعضهم فى البرج الفلانى فقال له آخر منهم بل هو فى الجفنة وقد كان القمر تبين فى شعاع الجوهر

ثكلت القوافي وهي أبناء خاطري * وغيبها الافحام عني في لحد
لئن لم أصغ زهر النجوم قلادة * وآتي ببدر التم واسطة العقد
الى أن يقول السامعون لرفقتي * نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند
أحيي برياها جناب ابن سالم * فيقرع فيه الباب في زمن الورد

وهي طويلة ومن مقطوعاته قوله

يا قمرا مطلعه اضلعي * له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى * فناب فيها الوهج عن شفق
ملكتني في دولة من صبا * وصدتني في شرك من حدق
عندي من حبك ما لو سرت * في البحر منه شعلة لاحترق

وقال

قد كان لي قلب فلما فارقوا * سوى جناحا للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فأوقدت * بين الجوانح لوعة وأوارا
ومن العجائب أن فيض مدامعي * ماء ويثمر في ضلوعي نارا

وشعره الرمل والقطر كثرة فلنختمه بقوله

قالوا وقد طال بي مدى خطئي * ولم أزل في تجرمي ساهي
أعددت شيأ ترجو النجاة به * فقلت أعددت رحمة الله

وكتب يهنئ قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي برسالة منها الآن محله دام عمره وامتثل نهيه الشرعي وأمره أعلى رتبة وأكرم محلا من أن يحلى بخطة هي به تتحلى كيف يهنأ بالقعود لسماع دعاوي الباطل والمعاناة لانصاف المظلوم من الماطل والتعب في المعادلة بين ذوي المجادلة أما لو علم المتشوفون الى خطة الاحكام المستشرفون الى ما لها من التبسط والاحتكام ما يجب لها من اللوازم والشروط الجوازم كبسط الكنف ورفع الجنف والمساواة بين العدو وذي الذنب والصاحب بالجنب وتقديم ابن السبيل على ذي الرحم والقبيل وايثار الغريب على القريب والتوسع في الاخلاق حتى لمن ليس له من خلاق الى غير ذلك مما علم قاضي الجماعة احصاه واستعمل خلقه الفاضل أدناه وأقصاه لجعلوا نجولهم مأمولهم وأضربوا عن ظهورهم فنبذوه وراء ظهورهم اللهم الا من أوتي بسطة في العلم ورسا طودا في ساحة الحلم وتساوى ميزانه في الحرب والسلم وكان كونا لا في المماثلة بين أجناس الناس فقصاراه أن يتقلد الاحكام للاجر لا للتعنيف والزجر ويتولاها للثواب لا للغلظة في رد الجواب ويأخذها بأحسن الجزاء لا لقبيح الاستهزاء ويلتزمها لجزيل الذخر لا للازدراء والسخر فاذا كان كذلك وسلك المتولي هذه المسالك وكان مثل قاضي الجماعة ولا مثل له ونفع الحق به علله ونقع غلله فيومئذ تهنى به خطة القضاء وتعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء انتهت

(ورحل) الى مراكش في جهاز بنت بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شيء من أمله ففكر في خيبة قصده وقال لو كنت أملت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت أملي بمحمود عملي ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في

فقال الوليد والله ما تعديت ما في نفسي وطرب طربا شديدا وقال لأصطبحن

وصورته في ذلك الشراب هفت هفته وهذا كلام فارسي تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع فدخل عليه بعض حجابه فقال يا أمير المؤمنين ان بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فأبى فوضع في فيه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقد كان أبوه أراد ان يعهد اليه فلاستصغاره لسنه عهد الى أخيه هشام ثم الى الوليد من بعده وكان الوليد مغرى بالخيل وحبها وجمعها واقامة الحلبة وكان السندي فرسه جواد زمانه وكان يسابق به في أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصليا وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا جرت فأولها السابق ثم المصلي وذلك أن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع والعاشر السكيت مسدد وما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة وهي يومئذ ألف قارح ووقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد

توجهه الاوّل وعلم أن ليس على غير الثانى معوّل فلم يك الا أن صوّب نحو هذا المقصد سهمه وأمضى فيه عزمه واذا به قد وجه عنه فادخل على الخليفة فساله عن مقصده فاخبره مفصحا به فانفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم يامر بقضاء حاجته فانفصل وفى الاغراض واستمر فى مدح أهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك وتوفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسنه دون الاربعين وصلى عليه أبوه فانه كان بمكان من الفضل والدين رحم الله تعالى الجميع انتهى كلام ابن الخطيب فى حق المذكور ملخصا ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر فنقول قال ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة أو فى التى بعدها قال وديوان شعره مشهور بالمغرب انتهى ومن نظمه قوله

أومض ببرق الاضلع * واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع * فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين * تألما على الحسين
وابك بدمع دون عين * ان قل فيض الادمع

وهذا من قصيدة عارض بها الحريرى فى قوله خل ادكار الاربع وله أيضا مطلع قصيدة فيه

ياعين سحى ولا تشحى * ولو بدمع بحذف عين

وقال ابن الابار توفى صفوان بمرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوّال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وثكله أبوه وصلى عليه وهو دون الاربعين اذ مولده سنة احدى وستين وخمسمائة وكان من جملة الكتاب البلغاء ومهرة الادباء الشعراء ناقدا فصيحا مدركا جليل القدر متقدما فى النظم والنثر ممن جمع ذلك وله رسائل بديعة وقصائد جليلة وخصوصا فى مراثى الحسين رضى الله تعالى عنه وقد تذكرت هنا قول ناهض بن محمد الاندلسى الوادى آشى فى رثاء الحسين رضى الله تعالى عنه

أمرنة سجعت بعود أراك * قولى مولهة علام بكاك
أجفاك الفك ام بليت بفرقة * أم لاح برق بالحمى فشجاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى * يوما لما طرق الجفون كراك
أو كان روعك الفراق اذا لما * ضنت بماء جفونها عيناك
ولما الفت الروض يأرج عرفه * وجعلت بين فروعه مغناك
ولما اتخذت من الغصون منصة * ولما بدت مخضوبة كفاك
ولما ارتديت الريش بردا معلما * ونظمت من قزح سلوك طلاك
لو كنت مثلى ما أفقت من البكا * لا تحسبى شكواى من شكواك
ايه حمامة خبرينى اننى * أبكى الحسين وأنت ما أبكاك
أبكى قتيل الطف فرع نبينا * أكرم بفرع للنبوّة زاكى
ويل لقوم غادروه مضرجا * بدمائه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه * فريا بكل مهند فتاك

ابن عمرو بن سعيد بن العاص وكان له فيها جواد يقال له المصباح فلما طلعت الخيل قال الوليد

خيلى ورب الكعبة المحرمه
سبقن أفراس الرجال اللؤمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فاقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه وهو فيما يرى سعيد بعد سابقا فقال سعيد

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه
وصرف الله الينا المكرمه
كذاك كنا فى الدهور المقدمه
أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه وخشى أن تسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد أوّل من فعل ذلك وسنه فى الحلبة ثم تلاه فى الفعل كذلك المهدى فى أيام المنصور والهادى فى أيام المهدى ثم عرضت على الوليد الخيل فى الحلبة الثانية فمر به فرس لسعيد فقال لا نسابقك أبا عنبسة وأنت القائل

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه

فقال سعيد ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين وانما قلت

نحن سبقنا اليوم خيلا لؤمه

فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لا عدمت قريش أخا مثلك وللوليد بن يزيد أخبار حسان فى جمعه الخيول فى الحلبة فانه

قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الاخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن عفير والاصمعى وأبى عبيدة وجعفر بن سليمان وقد أتينا على الغرر من أخباره فى أخبار الخيل وأخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندى وأشقر مروان وغير ذلك من أخبار من سلف من الامويين ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض من هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من أخبارهم وسيرهم وكذلك أتينا على ذكر ما يجب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والهرم ووصف ألوانها ودوائرها وما يستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع الناس فى اعداد هذه الدوائر والمحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثمانى عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به فى شأنها وأعرافها فيما سلف من كتبنا وفى أيام

أتريد لو راعيت حرمة جده * لم تقتنص ليث العرين الشاكى
أو كنت تصغى اذ نقرت بثغره * قرعت صماخك أنة المسواك
أتروم ويك شفاعة من جده * هيهات لاومدبر الافلاك
ولسوف تنبذ فى جهنم خالدا * ما الله شاء ولات حين فكاك

وتوفى ناهض المذكور بوادى آش سنة ٦١٥ * (رجع الى أخبار صفوان بن ادريس رحمه الله تعالى) فنقول ومن شعر صفوان قوله

قلنا وقد شام الحسام مخوفا * رشأ بعادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه أم طرفه * من سيفه أم ذاك طرف ثالث

وقوله

غيرى يروع بسيفه * رشأ تشاجع ساخرا
ان كف عنى طرفه * فالسيف اضعف ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله تعالى حييت بعض أصحابنا بزهرة سوسن فقال

* حيا بسوسنة أبو بحر * فقلت مجيزا * نضراء تفضح يانع الزهر *
عجبا لها لم تذوها يده * من طول ما مكثت على الصدر

وقال أيضا ماشيت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما فاتفق أن قال لامر تذكره

بين الكثيب ومنبت السدر * ريم غدا مثواه فى صدرى

فقلت أجيزه

لوشاهد قلبا بلا ألم * ولقرطه خفق بلا ذعر
لو كنت قد أنصفت مقلته * برأت هاروت ما من السحر
أو كنت أقضى حق مرشفه * أعرضت لاورعا عن الخمر

وناولته يوما وردة مغلقة فقال

ومحمرة تختال فى ثوب سندس * كوجنة محبوب أطل عذاره

فقلت أجيزه

كتطريف كف قد أحاطت بنانها * بقلب محب ليس يخبو أواره

وقال رآنى الوزير أبو اسحق وأنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال

* ماذا الذى يكتب الوزير * فقلت * بدائع ما لها نظير *

فقال در ولكنه نظيم * من خير أسلاكه السطور
فقلت من أظهر الكتب أقتنيها * وخل ما تحتوى البحور
بتلك تزهو النحور لكن * بهذه تزدهى الصدور

ولكن الانصاف واجب هو قال المعنى الاخير نثرا وأنا سبكته نظما وقال جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال أبو محمد بن حامد

هب النسيم وماء النهر يطرد * فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة
ونار شوقى فى الاحشاء تتقد * فقال أبو محمد ما الذى يجمع بين هذا العجز وذاك الصدر فقلت

أنا أجمع بينهما ثم قلت

فصاغ من مائه درعا مفضضة * وزاد قلبي وقد اللذي يجد

وانما شب احشائي لحاجته * اذ ليس دون لهيب يصنع الزرد

وخطرنا عقفت على غرة تهزها الريح فقال أبو محمد

وسرحة كاللواء تهفو * بعطفها هبة الرياح

فقلت كأن أعطافها سقتها * كف النعامى كؤس راح

فقال اذا انتحاها النسيم هزت * أعطافها هزة السماح

فقلت كأن أغصانها كرام * تقابل الضيف بارتياح

ولصفوان رحمه الله

تحية الله وطيب السلام * على رسول الله خير الانام

على الذي فتح باب الهدى * وقال للناس ادخلوا بالسلام

بدر الهدى غيم الندى والسدى * وما عسى أن يتناهى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها * بالمسك لا ارضى عسك الختام

تخصه مني ولا تنثني * عن أهله الصيد السراة الكرام

وقدرهم أرفع لكنني * لم الف أعلى لفظة من كرام

وقال يقولون لي لما ركبت بطالتي * ركوب فتى جم الغواية معتدي

أعندك شيء ترتجي أن تناله * فقلت نعم عندي شفاعة أحمد

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم ووالى وكمل وأتم

(الباب الثاني)

في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه وما لقي من أحن الحاسد ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وآفاته وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أحواله في تقلباته عندما قابله الزمان بأهواله في بدئه واعادته الى وفاته

أقول كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله كما في الاحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة وقال الرئيس الامير أبو الوليد بن الاحمر رحمه الله نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكا سبيل أسلافه فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العوّاد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا ثم قرأ القرآن أيضا على استاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جزي ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الامام أبي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر وتادب بالرئيس أبي الحسن بن الجياب وروى عن كثير من الاعيان وسرد ابن الاحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين سيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى ثم قال وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الامام أبي زكريا يحيي بن هذيل ولازمه انتهى

طالت وقد تنوزع في ذلك فمن الناس من رأى ان وفاته كانت في ايام هشام وذلك سنة عشر ومائة ومن الناس من رأى انه مات في ايام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن بالبقيع مع ابيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر أيام يزيد وابراهيم ابني الوليد يزيد بن عبد الملك بن مروان)

ولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الاحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد الى أن مات خمسة أشهر وليلتين وقد كان ابراهيم بن الوليد أخوه قام بالامر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

نبايع ابراهيم في كل جمعة * ألا ان أمرا أنت واليه ضائع

ست وأربعين سنة

(ذكر لمع مما كان في أيامهما)

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله وانما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه في الاصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين من أن الله عز وجل لا كالاشياء وانه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الاقطار بل هو الذي لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وانه الخالق للاشياء المبدع لها لا من شئ

وقال بعضهم في حق لسان الدين هو الوزير العلامة المتحلي بأجمل الشمائل وأفضل المناقب المتميز في الاندلس بأرفع المراقي وأعلى المراتب علم الاعلام ورئيس أرباب السيوف والاقلام جامع أشتات الفضائل والمربي بحسن سياسته وعظيم رياسته على الاواخر والاوائل حائز رتبة رياسة السيف والقلم والقائم بتدبير الملك على أرسخ قدم صاحب القلم الاعلى الوارد من البراعة المنهل الاحلى صاحب الاحاديث التي لا تمل على كثرة ما تتلى والمحاسن التي صور رهاءها على منصة التنويه تجلى انتهى* وقال لسان الدين في الاحاطة بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى ما ملخصه وخلفني يعني أباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب و يجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته و بيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي وأعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى أن كانت عليه الكائنة فاقتدى في أخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما أبرم من أماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد أن كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاغلاق وابر دالحيا ماناء واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولاربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى وأعملت الحيل وطوقت الذنوب أمد الله تعالى بالعون وأنزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في برى منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ماوراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك مهنأ القرار متفقدا بالالهاء والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى أن رد الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساءه بأمساكه رهينة ضده ونغص مسرة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا الخدمته دعاك محمد * فأنفتها وزهدت فى التنويه
فاجبتهم أنا والمهيمن كاره * فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى ومرمى نيتى وعملى فعلق بى وخرج لى عن الضرورة وأرانى أن موازرته ابر القرب وراكننى الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه فى طلب الزيادة على تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك عقاليد رأيه وحكم عقلى فى اختيارات عقله وغطى من جفائى بحلمه وحثا فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى التحول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستعنت الله تعالى وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولا تشبث بولاية مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المنسأة مستمتعا بخلق النعل راضيا بغير النبيه من الثوب مشفقا من موافقة الغرور هاجرا الزخرف صادعا بالحق فى أسواق الباطل كافا عن السخال براثن السباع ثم صرفت الفكر الى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من المدة فتأتى بعنة الله تعالى من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والامن وروم الثغور وتثمير الجباية وانصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة فى ايثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة واصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله تعالى المجازى عليه والمعوض من سهر خلعته على أعطافه وخطر اقتحمته من أجله لا للاثر يد الاعفر ولا للبرد تمرح فى الارسان ولا للبدر تنقل للاكتاد فهو الذى لا يضيع عمل من عمل من ذكر أو أنثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ورعاية سخطة أرزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل فى الطلب ولا يتلبس مع الله بادب ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا والحال الى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة على ماذكرته اداله الله بحال السلامة وبفيأة العافية والتمتع بالعبادة وربك يخلق ما يشاء ويختار * وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح * ولله سبحانه فيناء علم غيب نحن صائرون اليه ألحفنا الله بلباس التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا فى الآخرة من الفائزين نفثت عن بث وتاوهت عن حمى ليظهر بعد المنقلب قصدى ويدل مكتتبى على عقدى انتهى وحله بلفظه * وكان رحمه الله تعالى عارفا باحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاذا النادرة (ومن حكاياته فى حضور الجواب ماحكاه عن نفسه) قال حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عنان فى بعض وفاداتى عليه لغرض الرسالة وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما أعتقده فى اطراء ذلك العدو وما عرفته من فضله فانكر على بعض الحاضرين ممن لا يحطب الا فى حبل السلطان فصرفت وجهى وقلت أيدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة فى شئ بل غير ذلك أحق وأولى فان كان السلطان غالب عدوه كان

أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وانه لم يامر الا بما أراد ولم ينه الا عما كره وانه ولى كل حسنة أمر بها برىء من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطرارا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير أنه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (وأما القول بالوعد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وانه لصادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الاصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودى) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع

قد غلب غير حقير وهو الاولى بفخره وجلالة قدره وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للحسرة وآكد للفضيحة فوافق رحمه الله تعالى على ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى (وكان) رحمه الله تعالى مبتلى بداء الارق لا ينام من الليل الا النزر اليسير جدا وقد قال فى كتابه الوصول لحفظ الصحة فى الفصول العجب منى مع تاليفى لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى الطب وعملى ذلك لا اقدر على مداواة داء الارق الذى بى أو كما قال ولذا يقال له ذو العمرين لان الناس ينامون فى الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها الا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسيأتى ما يعلم منه معنى الاخيرين وقد عرف رحمه الله تعالى بالسلطان أبى الحجاج فى الاحاطة فقال ما حاصله يوسف بن اسمعيل بن فرج بن اسمعيل ابن يوسف بن نصر الانصارى الخزرجى أمير المسلمين بالاندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد أخيه بوادى السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الاربعاء ثالث عشر ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وسنه خمسة عشر عاما وثمانية اشهر امه ام ولد وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده وتلوه أخوه اسمعيل محجوره وثالثهم قيس شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره مضافة الى الوزارة فى اخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة انتهى وقد علم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم و يأتى وأما اسمعيل بن أبى الحجاج فهو الذى تغلب على الامر وانتهز الفرصة فى ملك أخيه محمد كما تقدم وفيه وفى أخيه قيس حين قتلا يقول لسان الدين * باسمعيل ثم أخيه قيس * البيتين (وقد ذكر ايضا) رحمه الله تعالى حكاية وفاة السلطان أبى الحجاج ما محصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو فى الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على فور ولم يستقر به الا وقد قضى وأخرج قاتله الى الناس فقتل لحينه وأحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور فى مقبرة قصره ضجيع والده وولى امره ولده محمد ورثيته فى غرض ناء عن الجزالة مختار ولده

العمر نوم والمنى أحلام * ماذا عسى أن يستمر مقام
واذا تحققنا لشئ بداءة * فله بما تقضى العقول تمام
والنفس تجمع فى مدى آمالها * ركضا وتأبى ذلك الايام
من لم يصب فى نفسه فمصابه * بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة وورائها * هرم ومن بعد الحياة حمام
والحكمة ما أشرقت شهب الدجى * وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك يا هذا محلة نقلة * ومناخ ركب ما لديه مقام
هذا أمير المسلمين ومن به * وجد السماح وأعدم الاعدام
سر الامانة والخلافة يوسف * غيث الملوك وليثها الضرغام
قصدته عادية الزمان فاقصدت * والعز سام والخميس لهام

ماتقدم من الوعيد فى الفاسق من الخلود فى النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) وهو الاصل الخامس فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم فى ذلك بالسيف فما دونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ماذكرنا من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الا كثر أو الاقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاده هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم فى أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة اجتبيناه لانفسنا وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة وما بان به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الامة وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وان اختيار ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه سواء كان قرشيا

فجمعت

أوغيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا في ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك والذي ذهب الى أن الامامة قد تجوز في قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن حي ومن قال بقوله على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار هشام ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا ان الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر الا انهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ان سالما حي ما داخلني فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلو لم يعلم عمر أن الامامة جائزة في سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى أبي حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان

فجعت به الدنيا وكدر شربها * وشكا العراق مصابه والشام
أسفا على الخلق الجميل كأنما * بدر الدجنة قد جلاه غمام
أسفا على العمر الجديد كأنه * زهو الحديقة زهره بسام
أسفا على الخلق الرضي كأنه * زهر الرياض همى عليه غمام
أسفا على الوجه الذي مهما بدا * طاشت لنور جماله الافهام
يا ناصر الثغر الغريب وأهله * والارض ترجف والسماء قتام
يا صاحب الصدقات في جنح الدجى * والناس في فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذي بظلاله * ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاي هل لك للقصور زيارة * بعد انتزاح الدار او إلمام
مولاي هل لك للعبيد تذكر * حاشاك أن ينسى لديك ذمام
يا واحد الآحاد والعلم الذي * خفقت بعزة نصره الأعلام
وافاك أمر الله حين تكاملت * فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليفة * اثنى عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه * والزاد فيه تهجد وصيام
وكسفت يا شمس المحاسن ضحوة * فاليوم ليل والضياء ظلام
وسقاك عيد الفطر كاس شهادة * فيها من الاجل الوحي مدام
وختمت عمرك بالصلاة فحبذا * عمل كريم سعيه وختام
مولاي كم هذا الرقاد الى متى * بين الصفائح والتراب تنام
أعدد التحية واحتسبها قربة * ان كان يمكنك الغداة كلام
تبكي عليك مصانع شيدتها * بيض كما تبكي الهديل حمام
تبكي عليك مساجد عمرتها * فالناس فيها سجد وقيام
تبكي عليك خلائق أمنتها * بالسلم وهي كأنها أنعام
عاملت وجه الله فيما رمته * منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى أو تجار من الردى * بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا * ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه أمر الاله وما لنا * الا الرضا بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفناء على الورى * وقضاؤه جفت به الاقلام
نم في جوار الله مبرورا عابدا * قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بان سليل ملكك قد غدا * في مستقر علاك وهو امام
ستر تكنف منه من خلفته * ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وصرت في غمد الثرى * ولنصر ملكك سل منه حسام
خلفت أمة أحمد لمحمد * فقضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى في عهده * ترعى العهود وتوصل الارحام

أبقى رسومك كلها محفوظة * لم ينتثر منها عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى * والدار والالقاب والخدام
حسبي بان أغشى ضريحك لاثما * وأقول والدمع السفوح سجام
يامدفن التقوى ويامثوى الهدى * منى عليك تحية وسلام
أخفيت من حزني عليك وفي الحشا * نار لها بين الضلوع ضرام
ولو انني أديت حقك لم يكن * لي بعد فقدك في الوجود مقام
واذا الفتى أدى الذى في وسعه * واتى بجهد ماعليه ملام

قال لسان الدين وكتبت في بعض معاهده

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب
يايوسف أنت لنا يوسف * وكلنا في الحزن يعقوب

انتهى ورحم الله تعالى الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان أبي عنان في شأن قتل السلطان ابى الحجاج في الباب الثامن من القسم الاول (وقال لسان الدين) في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ذكر ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه في خلال ذلك مانصه كان السلطان أبو عبد الله عند تصير الامر اليه قد ألزم اخاه اسمعيل قصرا من قصور أبيه بجوار داره مرفها عليه متممة وظائفه له وأسكن معه امه وأخواته منها وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة في بيتها فوجدت السبيل الى السعي لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس ابى عبد الله ابن الرئيس ابى الوليد ابن الرئيس ابى عبد الله المبايع له باندرش ابن الرئيس أبي سعيد جدهم الذى يجمعهم جرثومته وشمر الصهر المذكور عن ساعد عزمه وجده وهو على ماهو من الاقدام ومداخلة ذؤبان الرجال واستعان بسفلة الدولة وهفت به الاطماع فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شقى صعب المرتقى واتخذوا آلة تدرك ذروته لقعود بنية كانت به عن التمام وكبسوا حرسيا بأعلاه بما اقتضى صماته فاستووا به ونزلوا الى القلعة سحر الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعاجوا دار الحاجب رضوان ففضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وأسرعت طائفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودى بدعوته وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهى المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع فاراعه الا النداء والعجيج وأصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فالفاها قد أخذت دونه شعابها كلها ونقابها وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى في محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان مرتبطا عنده وصار لوجهه فاعيا المتبع وصبح مدينة وادي آش ولم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد توجع عليها فالتفت به أهلها

وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى ان الامامة لاتجوز الافى قريش لقول النبي صلى الله عليه وسلم الامامة في قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولاتقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بني ساعدة من أن الامامة في قريش لانهم اذا ولوا عدلوا ولرجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لاتكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك وفي سائر الاعصار لاتخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا أو باطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على أن الامامة في قريش وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص في وجوبها وفي النص عليهم وفي عصمتهم من ذلك قوله عزوجل مخبرا عن ابراهيم انى جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتي واجابة الله له بأنه لاينال عهدى الظالمين قالوا ففيما تلوناه دلائل على أن الامامة نص من الله ولو كان نصها الى الناس ماكان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه أنه واعطوه

وأعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان أملك بها وتجهزت الحشود الى منازلته وقد جدد أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه الى سلم المسلمين لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من أمته واغتبط به أهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال الى يوم عيد النحر من عام التاريخ ووصله رسول صاحب المغرب مستنزلا عنها ومستدعيا الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلا ورجلا الى مربلة من ساحل اجازته وكان وصوله الى مدينة فاس محفوفا من البر والكرامة بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة وركب السلطان للقائه ونزل اليه عندما سلم عليه وبالغ في الحفاية به وكنت قد ألحقت به مفلتا من شرك النكبة التى استأصلت المال وأوهمت سوء الحال بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه فقمت بين يديه في الحفل المشهود يومئذ وأنشدته

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادي التى عاطيت مشمولة الهوا * بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذي ربى جناحي وكره * فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهنيء بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لي بقرب العهد منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله عينا من رآنا وللاسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى * وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية * فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
اقول لاظعاني وقد غالها السرى * وآنسها الحادي وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسران أبشري * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
ولله فينا سر غيب وربما * اتى النفع من حال اريد بها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت مني الخطوب مجربا * نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد عجمت عودا صليبا على الردى * وعزما كما تمضي المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلي * فلا اللعم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم برء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مده أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل في أثوابه الفتكة البكر

اختاره وقوله لا ينال عهدي الظالمين دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا ينعت الامام في نفسه (أن يكون معصوما من الذنوب) لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون أعلم الخليقة) لانه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله واحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التى وضعها الله (وأن يكون اشجع الخلق) لانهم يرجعون اليه في الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى ما في أيديهم وفي ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم في السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير

ثم فى اخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير وفى غير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين والحسين على على بن الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثانى عشر على حسب ماذكرنا وسمينا فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولاهل الامامة من فرق الشيعة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة كلام كثير فى الغيبة واستعمال التقية وما يذكرونه من أبواب الائمة والاوصياء لايسعنا ايراده فى هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ما عليه غير أهل الامامة من أصحاب دين الهجرة والمشورة وما يراعونه من الظهور وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وما وصفنا فيها من الاقاويل فى الظاهر والباطن والسائر والداثر والوافر وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم (قال المسعودى)

اطاعته حتى العصم فى قنن الربا * وهشت الى تاميله الانجم الزهر
قصدنا لك يا خير الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى * ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * اذا ضل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضى الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التى * لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فاصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ظبية تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحا * بانك فى ابنائه الولد البر
وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
وأوحشت من دار الخلافة هالة * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فردعليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان محكم * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا أمير المسلمين ببيعة * موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثأره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك راضيا * وطوقه نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤدك كلفة * سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر

وكان خرج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمره من غوطة ومن

ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى * جياد المذاكى والمحجلة الغر
ورادو شقر واضحات شياتها * فاجسامها تبر وأرجلها در
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر
وأسد رجال من مرين مخيفة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان واعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وان سمعوا العوراء فروا بانفس * حرام على هاماتها فى الوغى الفر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا احتناء منك داركتنى به * وأحييتنى لم تبق عين ولا اثر
فاوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * باهل فخل اللطف وانفرج الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود الجاه والعز والوفر
جزاك الذى أسنى مقامك عصمة * يفك بها عان وينعش مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

فلا تسأل عن امتعاض وانتغاض وسداد أنحاء فى التأثر لنا وأغراض والله غالب على أمره * وفى صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائة كان انصرافه الى الاندلس وقد ألح صاحب قشتالة فى طلبه وترجح الرأى على قصده فقعد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة وبرز الناس وقد أسمعهم البريح واستحضرت الجنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك وقيدت له مراكبه فاستقل وقد التف عليه كل من جلا عن الاندلس من لدن الكائنة فى جملة كثيفة ورأى من رقة الناس واجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد اذ كان مظنة ذلك سكونا وعفافا وقربا قد ظلله الله برواق الرحمة وعطف عليه وشائج المحبة الى كونه مظلوم العقد منتزع الحق فتبعته الخواطر وحميت عليه الانفس وانصرف لوجهته وهو الآن برندة مستقل بها وبجهاتها ومقتنع برسم سلطنتها وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كماشة الحضرمى وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زمرك وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للامور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر كان الله لنا وله بفضله انتهى كلام لسان الدين بن الخطيب فى اللمحة البدرية * وقد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه

دمشق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره فكان خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد أول من ولى هذا الامر وأمه أم ولد وكانت أمه سارية بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

أنا ابن كسرى وأبى مروان * وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بأبى خالد وأم أخيه ابراهيم أم ولد تدعى بريرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان ابن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا أمر بنى أمية يؤل الى ضعف وذكر اليحصبى عن الخليل بن ابراهيم السديجى قال سمعت ابن الجمى يقول قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع انه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو

الى حضرة غرناطة واستبد بملك الاندلس وعاد لسان الدين اليه حسبما أحسن سياق ذلك
لسان الدين رحمه الله تعالى في كتاب من انشائه على لسان سلطانه الغني بالله وخاطب به ملك
الحرمين ومصر والشام السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون وقد ذكرنا
منه ما يتعلق بالاندلس في الباب الثاني من القسم الاول وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع
المذكور ما نصه ولما صير الله الينا تراثهم الهني وأمرهم السني وبناءهم العادي
وملكهم الجهادي اجرانا وله الطول على سننهم ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة
وقننهم وحملنا فيهم خير محل ونظم بنا لهم أي شمل وألبس أيامنا سلما فسح الداره
وأحكم الاداره وهنأ الاماره ومكن العماره وأمن في البحر والبر السياره والعباره
لولا ما طرقهم فينا من تمحيص أجلى عن تخصيص وتمحض تدبره بعد تخليص ومرام
عويص نبثكم بثه ونوالي لديكم حثه ونجمع منبثه فان في الحوادث ذكرا
ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا وشر الوجود معاقب بخيره والسعيد من اتعظ
بغيره والحزم أفضل ما اليه ينتسب وعقل التجربة بالمرانة يكتسب وهو أن بعض من
ينتسب الينا بوشائج الاعراق لا بمكارم الاخلاق ويمت الينا بالقرابة البعيدة لا بالنصبة
السعيدة ممن كفلناه يتيما وصناه ذميما شئيما وبوأناه مبوأ كريما بعد أن نشأ
حرفوشا دميما وملعونا لئيما ونوهناه من خموله بالولاية ونسخنا حكم نسجه بآية العناية
داخل اخا لنا كنا ألزمناه الاقتصار على قصره ولم نجعل أداة تدل على حصره وسامحناه
في كثير من أمره ولم نرتب بزيده ولا عمره واغتر بنار ماد علاء على جمره فاستدعى له من
الصعاليك شيعة كل دروب بفك الاغلاق وتسرب أنفاق النفاق وخارق للاجماع
والاصفاق وخبير بمكان الخراب ومذاهب الفساق وتسور بهم القلعة من ثلم شرع في
سده بعد هده ولم تكمل الاقدار المميزة في ليلة آثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج
قصورنا واستبنا من يضطلع بامورنا فاستتم الحيلة التي شرعها واقتحم القلعة وافترعها
وجدل حرس النوبة وصرعها وكبس محل النائب عنا وجدله ولم ينشب أن جدله
واستخرج الاخ البائس فنصبه وشد به تاج الولاية وعصبه وابتز أمرنا وغصبه وتوهم
الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت والدائرة بنا قد ألمت ولقد همت نخذل الناصر
وانقطعت الاواصر وأقدم المتقاصر واقتحمت الابهاء والمقاصر وتفرقت الاجزاء
وتحللت العناصر وفقد من عين الاعيان النور الباصر فأعطوه طاعة معروفة وأصبحت
الوجوه اليه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو اثرنا حتى اتانا الظلام يخفيها وتكفي
علينا السماء والله يكفيها الى أن خلصنا الى مدينة وادي آش خلوص القمر من السرار
لا نملك الا نفسا مسلمة لحكم الاقدار ملقية لله مقادة الاختيار مسلوبة موجب الاستقرار
وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار
ورضوا لبيوتهم المصحرة وبساتينهم المستبحرة بفساد الحديد وعيات النار ولم يرضوا
لجوارهم بالاخفار ولا لنفوسهم بالعار الى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح
فيها الاقلام سبحا طويلا وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا وتلقى القصص منها على الآذان

بما أحب في بني أمية وأوليائهم قال العلاء فأتى لج سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه وذلك في آخر
أيام يزيد الناقص وعنده
حكم الوادي وهو يغنيه
بشعر العرجي
ان الحبيب تروحت أجماله
أصلا فدمعك دائم اسباله
فبي الحياة فقد بكيت بعولة
لو كان ينفع باكيا اعواله
يا حبذا تلك الحمول وحبذا
شخص هناك وحبذا امثاله
فاجاد ما شاء فشرب سليمان
بالرطل وشرب ندماؤه حتى
توسدنا ايدينا فلم أنتبه
الا بتحريك سليمان اياي
فقمت اليه مسرعا فقلت
ما شأن الامير فقال
لي على رسلك رايت كأني
في مسجد دمشق وكأن
رجلا في يده خنجر وعليه
تاج ارى بصيص ما فيه من
جوهر وهو رافع صوته
بهذه الابيات
أبني امية قد دنا تشتيتكم
وذهاب ملككم وان
لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم
للمحسنين اليه ثمة يفجع
بعد الممات بكل ذكر صالح
يا ويله من قبح ما قد يصنع
فقلت بسل لا يكون ذلك
وعجبت من حفظه ولم
يكن من اصحاب ذلك فوجم
ساعة ثم قال يا حميري بعيد
ما يأتي به الزمان قريب
قال فاجتمعنا على شراب
بعد ذلك ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدي

قولا

الملك عنهم الى بنى العباس ما كان سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقدما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فظافروا معهم على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا

(ذكر السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية)

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى أبى قال لما قال الكميت بن زيد الاسدى من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس انا ابن اخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لسانى وانت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان

قولا ثقيلا وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقا علينا تخفق واكف رياحه حسرة تصفق ونزلنا من جناب سلطان بنى مرين على المثوى الذى رحب بنا ذرعه ودل على كرم الاصول فرعه والكريم الذى وهب فاجزل ونزل لنا عن الصهوة وتنزل وخير وحكم ورد على الدهر الذى تحكم واستعبر وتبسم وآلى وأقسم وبسمل وقدم واستركب لنا واستخدم ولما بدا من وراءنا سيئات ما كسبوا وحققوا ما حسبوا وطفا الغثاء ورسبوا ولم ينشب الشقى الخزى أن قتل البائس الذى موه بزيفه وطوقه بسيفه ودل ركب المخافة على خيفه اذا من المضعوف من كيده وجعل ضرغامه بازيا الصيده واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته حاسر الهامة متنفقا بالشجاعة والشهامة مستظهرا باولى الجهالة والجهامة وساءت فى محاولة عدو الدين سيرته ولما محص الحق انكشفت سريرته وارتابت لجبنه المستور جيرته وفتح عليه طاغية الروم فاه فالتقمه ومد عليه الصليب ذراعه فراعه وشد الكفر عليه يده فاعضده الله ولا أيده وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها وشكت اليه باهتضامها وغصت باشلاء عباد الله وعظامها وظهور أوضامها ووكلت السنة والجماعة وانقطعت من النجع الطماعة واشتدت المجاعة وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة وركبنا البحر تكاد جهتاه تتقارب تيسيرا ورياحه لا تعرف فى غير وجهتنا مسيرا وكأن ماءه ذوب لقى اكسيرا ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتقدمنا الدعاء وتجأجئ بنا الاشارة ويخفرنا الاستدعاء وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة والاخافة عليها محتومة وطوابعها مفضوضة وكانت بنا مختومة وأخذت الخائن الصيحة فاختبل وظهر تهوره الذى عليه جبل فجمع أوباشه السفلة وأوشابه وبهرجه الذى غش به المحض وشابه وعمد الى الذخيرة التى صانتها الاغلاق الحريزة والمعاقل العزيزة فلا بها المناطق واستوعب الصامت والناطق والوشح والقراطق واحتمل عدد الحرب والزينة وخرج ليلا عن المدينة واقتضت آراؤه الفائلة ونعامته الشائلة ودولة بغيه الزائلة أن قصد طاغية الروم بقضه وقضيضه وأوجه وحضيضه وطويله وعريضه من غير عهد اقتضى وثيقته ولا أمر عرف حقيقته الا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة واستئصال الامة المسلمة فلم يكن الا أن تحصل فى قبضته ودنا من مجعر بضته واستشار نصحاءه فى أمره وحكم الحيلة فى جناية غدره وشهره ببلده وتولى قتله بيده وألحق به جميع من أمده فى غيه وظاهره على سوء سعيه وبعث الينا برؤسهم فنصبت بمسور غدرها وقلدت لبة تلك البنية بشذرها وأصبحت عبرة للمعتبرين وآية للمستبصرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين وعدنا الى أريكة ملكنا كما رجع القمر الى بيته بعد كيته وكيته أو العقد الى جيده بعد انتثار فريده أو الطير الى وكره مفلتا من غول الشرك ومكره ينظر الناس الينا بعيون لم ترومذ غبنا من محيا رحمة ولا طشت عليها بعد نا غمامة رحمة ولابانت للسياسة فى ذمة ولا ركنت لدين ولا همة فطوينا بساط العتاب طى الكتاب وعاجلنا سطور المؤاخذة بالاضطراب وآنسنا نفوس أولى الاقتراف بالاقتراب وسهلنا الوصول

اعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير ذلك أمرتنى

الينا واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم ورسوخ قدم واستمتاع بوجود بعد عدم فسبحان الذى يمحص ليثيب ويأمر بالدعاء ليجيب وينبه من الغفلة ويهيب ويجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ورأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسببا للفاتحة المعتمدة وتمهيدا للموالاة المجددة فأخبار الاقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها وترقم ببدائعه هالات أقمارها وتستفيد منه حسن السير والامان من الغير وتستعين على الدهر بالتجارب وتستدل بالشاهد على الغائب وبلادكم ينبوع الخير وأهله ورواق الاسلام الذى أوى قريبه وبعيده الى ظله ومطلع نور الرسالة وأفق الرحمة المنثالة منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط افلاكها وتتخلل مداريها المذهبة غدائر أحلاكها وتستعلى البدور ثم يدعوها الى المغرب الحدور وتطلع الشمس متجردة من كمائم ليلها متهادية فى دركات ميلها ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها ومن تلقائكم ورد العلم والعمل وأرعى الهمل فنحن نستوهب من مظان الاجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد ويعدل منه الشئ بالمال والعدد ففى دعاء المؤمن بظهر الغيب مافيه مما ورد واياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعى الفتن وغوائل المحن ويحملنا على سنن السنن ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن وهو سبحانه يصل لابوتكم ما تستقل لدى قاضى القضاة رسومه فتكتب حقوقه وتكبت خصومه ولا تكلفه الايام ولا تسومه بفضل الله وعزته وكرمه ومنته والسلام الكريم الطيب المبارك بدأ بعد عود وجود اثر جود ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

وللسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر فى هذه الكائنة الى كبير الموحدين أبى محمد عبد الله بن تفراجين ولعلنا نذكره ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس من هذا القسم عند تعرضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى وقد ساق هذه القضية قاضى القضاة الشهير الكبير ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى رحمه الله تعالى فى تاريخه الكبير فى ترجمة السلطان الشهير أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب المغرب مما نصه الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن ابن الرئيس أبى سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة فى الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين فى أوشاب جمعهم من الطغام لثورته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه وركب فادخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه فلحق بوادى آش وغدا الخاصة والعامة على اسمعيل فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لاشهر من بيعته واستقل بسلطان الاندلس ولحق السلطان أبو عبد الله محمد

بوادى

بستره وسترته على فقال يا ابن أخى أحسب شعرك على قدر عقلك فهات ماقلت راشدا فانشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فقال

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل
ولم يتطربنى بنان مخضب

قال فما يطربك اذا قال

وما انا ممن يزجر الطير همه
اصاح غراب او تعرض ثعلب

قال فانت ويحك والى من تسمو فقال

ولا السانحات البارحات عشية
امر سليم القرن ام مر اعضب

قال اما هذا فقد احسنت فيه فقال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى
وخير بنى حواء والخير يطلب

قال من هم ويحك قال

الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابنى اتقرب

قال ارحنى ويحك من هؤلاء قال

بنى هاشم رهط النبى فاننى
بهم ولهم ارضى مرارا وأغضب

قال لله درك يابنى أصبت فاحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال له أظهر ثم أظهر وكد

بوادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالمولى السلطان أبى سالم امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاوّل أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع فاوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فاطلقوه ولحق مع الرسول أبى القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وأقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد تقدمت (ثم قال بعد ماصورته) ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب الذهبية وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الآلة أدبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين مانحن نذكره انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون فى هذه الواقعة وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق فى اللمحة البدرية اذ قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل وقال فى اللمحة ان انصراف السلطان من وادى آش كان ثانى يوم النحر وقال ابن خلدون فى ذى القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة ورائية ابن الخطيب التى ذكرها هى من حر كلامه وغرر شعره على أنه كله غرر اذ جمع فيها المطلوب فى ذلك الوقت بأبدع لفظ وأحسن عبارة فى ذلك المحفل العظيم ولم نزل نسمع فى المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها الى قوله ❊ فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر قال له بعض من حضر ولعله أراد الغض منه أحسنت يا وزير فيما قلت وفى وصف الحال والسلطان غير أنه بقى عليك شئ وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بنى مرين وهم من هم ولا ينبغى السكوت عنهم فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله ومن دون ماتبغيه الى آخره حتى تخلص لمدح بنى مرين أقارب السلطان بما الامر محى وراءه ثم قال بعد ذلك معتذرا أمولاى غاضت فكرتى الى آخره وهذا ان صح أبلغ مما وقع لابى تمام فى سينيته حيث قال لا تنكروا ضربى له البيتين لان أبا تمام ارتجل بيتين فقط ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتا مع ماهو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال فاين الحال من الحال وقد ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى فى تاريخه قضية اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه فى موضع آخر ولنذكره وان سبق بعضه لاشتماله على منشا الوزير لسان الدين وجملة من أحواله الى قريب من مهلكه فنقول قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ما محصله ونشا ابنه محمد هذا

الاعداء فانت والله أشعر من مضى واشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ابن على رضى الله عنهم فأذن له ليلا وأنشده فلما بلغ من الميمية قوله

وقتيل بالطف غودر منهم
بين غوغاء أمة وطغام

بكى أبو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لازلت مؤيدا بروح القدس ماذببت عنا أهل البيت فخرج من عنده فاتى عبد الله بن الحسن بن على فانشده فقال يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بأبى أنت وأمى انى كنت أقول الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ماقلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالا ولا ثمنا فألح عبد الله عليه وأبى من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث أياما ثم جاء الى عبد الله فقال بأبى أنت وامى يا ابن رسول الله ان لى حاجة قال وماهى وكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال نعم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله

يعني لسان الدين بن الخطيب بغرناطة وقرأ وتادب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ من حول اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ في الشعر والترسيل بحيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الاحمر لعصره وملأ الدنيا بمدائحه وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بأبي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به في المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله وسفر عنه الى السلطان ابن عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبي الحسن فجلى في أغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة غدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في أمره ومشاركا في استبداده معه فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبي عنان مستمدين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها واستأذنه في انشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى * لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض اندلس * لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الامر انه وطن * في غير علياك ماله وطر
ومن به مذ وصلت حبلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان شركه في جده الرئيس ابي سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوان في بيته فقتله ونصب للملك اسمعيل

ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة من غلمانه ثم جعل يدخل دور بني هاشم ويقول يا بني هاشم هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني أمية فأثيبوه بما قدرتم فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى انها لتخلع الحلي عن جسدها فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن في دولة عدونا وقد جمعنا هذا المال وفيه حلي النساء كما ترى فاستعن به على دهرك فقال بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطبتم وما أردت بمدحي اياكم الا الله ورسوله ولم آك لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا فاردده الى أهله فجهد به عبدالله أن يقبله بكل حيلة فأبى فقال ان أبيت أن تقبل فاني رأيت أن تقول شيأ تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن

ابن

ابن السلطان أبى الحجاج معا كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فاخرجه وبايعه
وقام بامره مستبدا عليه واحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا الى
وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان ابى سالم اثرما استولى على ملك آبائه بالمغرب
وقد كان مثواه ايام اخيه ابى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا
الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة
استحكمت أيام مقامه بالاندلس وكان غالبا على هوى السلطان ابى سالم فزين له استدعاء
هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على اهل الاندلس ويكف به عادية القرابة
المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس فى
تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمسانى وحمله
مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى
آش وسار فى ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى
الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان
لنصرته فوعده وكان يوما مشهودا ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين مع
ركابه وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان فى
التجوال بجهات مراكش والوقوف على أعمال الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه
فتباروا فى ذلك وحصل منه على حظ وعند مامر بسلا اثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك
بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدة على روى الراء يرثيه ويستجير به فى
استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذى ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم فى ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا
منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة
ثلاث وستين وسبعمائة وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ
الوزير عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان
لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة
وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى فى ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس
صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب
السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتقلب فى مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية عند
ما يئسوا من الفتح على يده فتحولوا عنه الى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبد الله فى أن
يمكنهم من بعض الثغور الغربية التى لطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى
السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية وخاصة متأكدة فوفيت
للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه
فقبل اشارتى فى ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى فى جملته وهو

بها بين اليمانية والنزارية
فيما ذكرناه وهى قصيدته
التى أولها

ألا حييت عنا يا مدينا
وهل ناس تقول مسلمينا
الى أن انتهى الى قوله
تصير يحاوتعريضا باليمن
فيما كان من أمر الحبشة
وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه أيدى المهتدينا
وجدت الله اذ سمى نزارا
وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار
فوالح من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق
مطهرة فيلفوا مبلغينا
وما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نقض دعبل بن على
الخزاعى هذه القصيدة
على الكميت وغيرها
وذكر مناقب اليمن
وفضائلها من ملوكها وغيرها
وصرح وعرض بغيرهم
كما فعل الكميت وذلك فى
قصيدته التى أولها

أفيقى من ملامك يا ظعينا
كفاك اللوم مر الاربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى
يشيبن الذوائب والقرونا

المقدم فى بطانته ثم غزوا منهما لقبه فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها
على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم فى الدولة عريق فى الخالصة وله على
السلطان دالة واستبداد على هواه فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده واعاده الى
مكانه فى الدولة من علو يده وقبول اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان
الاستكفاء به واراه التخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فى ذروة السلطان واخذ فى
التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته فى رمضان سنة اربع وستين وسبعمائة واودعهم المطبق
ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجوّ وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير
الدولة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه
الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته
فتفننوا فى السعايا فيه وقدهم السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر
عن ساعده فى التقويض واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ملك العدوة
يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على ابن السلطان
أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما
أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها الطالب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحس
دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجاز
هو ووزيره مسعود بن ماساى ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة وستين وسبعمائة فاكرم
نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز
قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك
وتوقع انتقاض امره منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسربها فى بنى مرين فجزع لذلك
وداخله ابن الخطيب فى اعتقال ابن أبى يفلوسن وابن ماساى واراحة نفسه من شغبهم على أن
يكون له المكان من دولته متى نزع اليه فأجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره
الى الاندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن
أبى يفلوسن وابن ماساى فقبض عليهما واعتقلهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن
الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان مال الى قبولها
وأنهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحوّل عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد
الثغور وسار اليها فى لمة من فرسانه وكان معه ابنه على الذى كان خالصة للسلطان وذهب
لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه فخرج
قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من
حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار لقصد السلطان
فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب
السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه
والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى صاحب الاندلس فى طلب أهله
وولده فجاءبهم على أكمل حالات الامن والتكرمة ثم أكثر المنافسون له فى شأنه وأغروا

وما طالب الكميت طلاب
وتر
ولكنا النصر تناهجينا
لقد علمت نزار أن قومى
الى نصر النبوّة فاخرينا
وهى طويلة وغنى قول
الكميت فى النزارية
واليمانية وافتخرت نزار
على اليمن وافتخرت اليمن
على نزار وأدلى كل فريق
بماله من المناقب وتحزبت
الناس وثارت العصبية فى
البدو والحضر فنتج بذلك
أمر مروان بن محمد الجعدى
وتعصبه لقومه من نزار
على اليمن وانحراف اليمن
عنه الى الدعوة العباسية
وتغلغل الامر الى انتقال
الدولة عن بنى أمية الى بنى
هاشم ثم ما تلا ذلك من
قصة معن بن زائدة باليمن
وقتله أهلها تعصبا لقومه
من ربيعة وغيرها من نزار
وقطعه الحلف الذى كان
بين اليمن وربيعة فى القدم
وفعل عقبة بن سالم بعمان
والبحرين وقتله عبد
القيس وغيرهم من ربيعة
كياد المعن وتعصبا من
عقبة بن سالم لقومه من
قحطان وغير ذلك مما تقدم
وتأخر مما كان بين نزار
وقحطان

(ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدى) بويع مروان بن محمد بن

سلطانه بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا فى نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع على ألسنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضى الحضرة أبى الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان فى جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الاندلس فى جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتانق فى بناء المساكن واغتراس الجنان وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره انتهى (وقال) ابن خلدون فى تاريخه ما صورته كان محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة فى جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوّه الرئيس المنتزى على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوّض اليه فى القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى أن نزلت به آفة فى رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبى الحسن كلهم غيره من ولد عمهم السلطان أبى على ويخشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن ابن أبى يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع فى الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بنى عمه من الاعياص فكانت له آثار فى الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بامره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا فى مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساى وأدار ابن الخطيب فى ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز وتغير الجوّ بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصفياء والقرب وخاطب ابن الاحمر فى أهله وولده فبعثهم اليه واستقر فى جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز فى ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمى ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجى السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك السلطان واستبد الوزير ابن غازى بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل

نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وامه أم ولد يقال لها ريا وقيل طروبة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشام على بيعته الا سليمان بن هشام ابن عبد الملك وغيره من بنى أمية فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله فى أوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى أن ذلك كان فى المحرم ومنهم من رأى انه كان فى صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة اشهر ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من زعم انه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنتين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا

ما خاطب السلطان عبد العزيز فلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وانصرف رسوله اليه
وقد رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الاسطول
وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساى ونهض يعني ابن الاحمر الى جبل
الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله
وملخصه أن الوزير أبا بكر بن غازي الذي كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن
عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو أعني الوزير الى منازلة عبد الرحمن
ابن أبي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى
فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأي اذ وصله الخبر بان
ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم وهو المعروف بذي الدولتين وهذه هي
دولته الاولى وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد
طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب
فاستعتب له وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي من الاستغلاظ له في شأن ابن
الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر في ذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة لابن السلطان
أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا
ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن
أبي فارس الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه واختص
ابن الاحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الابناء لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من المواتاة
وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح
الذي هو محاصر له وأن يبعثوا اليه جميع أبناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته
وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن
عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله
فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها فقدموا وبايعوا
وخاطب أهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن
سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من
مالقة اليه ودخله ومحا دولة بني مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده
بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره ولما وصل الخبر بهذا كله الى
الوزير أبي بكر بن غازي قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه يموّه
بأن هذا عن أمره فتبرأ من ذلك ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الامر فاعتل له بانعقاد البيعة
لابي العباس وبينما الوزير أبو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه بلغه الخبر بانه
أشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض
عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فاهتبل في غيبته ابن عمه محمد
ابن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو
ستمائة وعسكر آخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد مع

الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان أننا قد أغفلنا ما ذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه مما اليه قصدنا في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله وأخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان من أمر الدولتين في ذلك من الماضية وهي الاموية والمستقبلة في ذلك الزمان وهي العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام ثم نعقب ذلك بجمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبي مسلم وخلافة أبي العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بني العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة أبي اسحق المتقي لله ابراهيم بن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام)

كان جميع ملك بني أمية الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودي) والناس متباينون في تواريخ أيامهم والمعوّل

ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه ورجع على عقبه مفلولا وانتهب عسكره ودخل البلد الجديد وجاء أبا العرب أولاد حسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الاجلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبو العباس أحمد بجموعه من العرب وزناتة وبعثوا الى ولي دولتهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصره الذي اختطه بملوية فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجا وتحالفوا ثم ارتحلوا الى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فانهزمت جموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب معسكر السلطان أبي العباس بكدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاب ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر فأحكموا الحصار وتحكموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ويئس وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر الى السلطان وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان أبو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها انتهى وقال حفيد السلطان ابن الاحمر في تاريخه ماصورته لما لحق الرئيس أبو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكان من وفاة مجيره والحامي عنه السلطان عبد العزيز ما ألمعنا بذكره شدّ الوزير أبو بكر بن غازي يده على ابن الخطيب بانيا على أشد الاشياء أن لا يسلمه لمولانا جدنا مع توقع البغضاء واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في اعراضه عن العقود الموجهة من الاندلس بالمقذع من موبقات ابن الخطيب ولج في الغلواء وسجل موجبات الوفاء والبواعث من مولانا جدنا تتزايد والاساطيل تتجهز والآراء بالقصد الخطير ينتقى منها الصواب ويتخير حتى خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح وكان اذ ذاك راجعا الى ايالة المغرب فاناخ عليه كلكل الجيش وأهمهم ثقل الوطاة ولم يبال مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل وأطراف النهار من شآبيب الانفاط والجؤار من باب الشطائين قريب والخالصة من الثقات مستريب والنجاة من تلك الاهوال من الامر الغريب ولم يبق بغرناطة من له خلوص ولا من تترامى به همة الا واعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب حتى أهل العلم والرجاحة والحلم ولا كالسيد الامام الاستاذ أبي سعيد قطب الجملة وعميد الملة وهو الذي بلغنا نظمه في هذه الوجهة وعندما ألقى عصا التسيار في الجهة القريبة من أولى العداوة

على مأثوره وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عني بأخبار هذا العالم وهو أن (معاوية) بن أبي سفيان ملك عشرين سنة (ويزيد) ابن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما (ومعاوية) بن يزيد شهرا وأحد عشر يوما (ومروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (وعبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما (والوليد) ابن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين (وسليمان) بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوما (وعمر) بن عبد العزيز رضي الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (ويزيد) بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوما (وهشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام (والوليد) ابن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر (ويزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام وأسقطنا أيام ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا أيام ابراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين (ومروان) ابن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام الى أن بويع السفاح فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك

ومن ذلك قصيدته المشهورة التى أولها

أبا جبل الفتح استملت نفوسنا * فلا قلب الا نحو مغناك قد سبق
فأرسلت اذ جئناك فينا صواعقا * تخال بها جو السماء قد انطبق

وقوله فى اجابة السفهاء من الهاتفين بالسوء وطنا محبا رحمة الله تعالى عليه

وذموا وما يعنون الا مذمما * وأنت بحمد الله تدعى محمدا

وقول حامل اللواء الآتى ذكره فى تضاعيف الاسماء

أمامك فى عراض البيد * فبلغ ماشئت من مقصود
والهجران ألفته ألسنة العدا * يأباه فضل مقامك المحمود
سحقا لهم سفهاء كل قبيلة * شذت مقالتهم عن المعهود
قد ضلت الاحلام منهم وشدها * هذا ومنك الحلم غير بعيد
مع عزمة لو شئت هدت كل ما * قد أحكموا من معلم ومشيد

الى أن قال الخبر عن اجتماع الاميرين أبى العباس وأبى زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس وكتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك فى مخاص هذه الكائنة حث الوزير محمد بن عثمان السيرفى وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة وتلاقى بسلطانه أبى العباس مع الامير أبى زيد عبد الرحمن واستقلا بالطائلة وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبى بكر بن غازى فى متسع الخطة ورحيب ذرع الخلافة وتصالحا عن رضا وتسليم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان فى طنجة من الامراء واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان ملكها وجابى أموالها وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلة وسواهما يحتوى عليه ملك المدينة البيضاء برا وبحرا وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس واطرد القياس وغير خفى عن ذى عقل سليم وذى تفويض للحق وتسليم أن دار الملك المرينى كامة بلا زهر ورياض بلا نهر ان لم يقتعد كرسيها من يزين جيدها ويجيد حليها وآن أوان البشرى لمن يتعض للدين والآن قلادة التقوى منوطة بقلم اعلام الملوك المهتدين ثم ذكر ما يطول من فصول وربما اشتملت على فضول وملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون ثم ساق قاضى القضاة ابن خلدون بعد ما تقدم جلبه من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله تعالى (فقال ما صورته) ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب كبير بنى عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما بويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن

الثمانية أشهر التى كان مروان يقاتل فيها بنى العباس الى أن قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وما يوضع من ذلك أيام الحسن بن على وهى خمسة أشهر وعشرة أيام وتوضع أيام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذى قتل فيه وهى سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل ليلة القدر خير من ألف شهر ما ذكرناه من أيامهم وقد روى عن ابن عباس أنه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودى) فملك بنو العباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بنى أمية فلبنى العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مائتا سنة وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة فى ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا فى تصنيفنا من هذا الكتاب الى هذا الموضع فى شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى خلافة أبى

الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى أعاده الله تعالى الى ملكه فلما استقر له سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجا بان تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من بنى عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه مما كمن فى صدورهما وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فى المحبة فعظم النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم نقل الى محبسه واشتور وافى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى محبسه وأخرج شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على سافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره فأعيد الى حفرته وكان فى ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه الشنعاء التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكى نفسه ومما قال فى ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذى لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون فى ديوان العبر وقال الحافظ ابن حجر فى أنباء الغمر بعد ان ذكر ما قدمناه على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر أنه يعنى لسان الدين نظم حين قدم للقتل الابيات المشهورة التى يقول فيها

وقل للعداة مضى ابن الخطيب * وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به * فقل يشمت اليوم من لا يموت

بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا أخبار الزمان والاوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من أسمائهم والطرائف مما كان فى أيامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم واخبار الحوادث والخوارج فى أيامهم من الازارقة والاباضية وغيرهم ومن ظهر من الطالبيين طالبا بحق أو آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر فقتل فى أيامهم وكذلك من تلاهم من بنى العباس الى خلافة المتقى لله من سنتنا هذه وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما ذكرنا فى هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا الدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مدتهم والله أعلم ومنه التوفيق

(ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره)

قد قدمنا فى الكتاب الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم من أن رسول الله صلى الله عليه

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره الى أن رده الله اليهم وتبرؤا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأجازوا بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه باجازته لها وذلك لقوله يا ابن أخى هلم الى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود ابن على على منبر الكوفة يوم بويع لابى العباس يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا فى هذا المعنى الذى ادعوه هى متداولة فى ايدى أهلها ومنتحليها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبى بكر فى فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها بعلها وابنيها وأم أيمن وما جرى بينها وبين أبى بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من المنازعة وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث وما فى

والصحيح فى ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولى الدين بن خلدون أنه نظم الابيات المذكورة وهو فى السجن لما كان يستشعر من التشديد انتهى ثم حكى ابن حجر عن بعض الاعيان أن ابن الاحمر وجهه الى ملك الافرنج فى رسالة فلما أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب تشتمل على نظم ونثر فلما قرأها قال له مثل هذا كان ينبغى أن يقتل ثم بكى حتى بل ثيابه انتهى كلام الحافظ و بعضه بالمعنى فانظر سدد الله تعالى بكاء العدو الكافر على هذا العلامة وقتل اخوانه فى الاسلام له على حظ نفسانى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لا رب غيره (قلت) ورأيت بحضرة فاس حاطها الله تعالى تخميسا لهذه الابيات بديعا منسوبا الى بعض بنى الصباغ وزاد فى الاصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصرمنها ولم يقف على الزائد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله تعالى

ايا جاهلا لاغره ما يفوت * وألهاه حال قليل الثبوت
تأمل لمن بعد انس يقوت * بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت

لقد فات من دهرنا رفعة * تقضت كبرق مضى سرعة
فهيهات نرجو لها رجعة * وأصواتنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لى من العز وجه شباب * يؤمل سيبى و بأسى يهاب
فسرعان مزق ذاك الاهاب * ومدت وقد أنكرتنا الثياب
علينا نسائجها العنكبوت

فآها لعز تقضى مناما * منحنا به الجاه قوما كراما
وكنا نسوس اموراعظاما * وكنا عظاما قصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا لدى الملك حلى الطلى * فآها عليه زمانا خلا
نعوض من جدة بالبلى * وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت

تعودت بالرغم صرف الليالى * وحملت نفسى فوق احتمالى
وأيقنت أن سوف يأتى ارتحالى * ومن كان منتظرا للزوال
فكيف يؤمل منه الثبوت

هو الموت يا ماله من نبا * يجوز الحجاب الى من أبى
ويألف أخذ سنى الحبا * فكم أسلمت ذا الحسام الظبا
وذا البخت كم جدلته البخوت

هو الموت أفصح عن عجمة * وأيقظ بالوعظ من خفقة
وسلى عن الحزن ذا حرقة * وكم سيق للقبر فى خرقة

فتى مالئت من كساه التخوت

تقضى زمانى بعيش خصيب * وعندى لذنبى انكسار المنيب
وها الموت قد صبت منه نصيبي * فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات ومن ذا الذى لا يفوت

مضى ابن الخطيب كمن قبله * ومن بعده يقتفى سبله
وهذا الردى ناثر شمله * فمن كان يفرح منهم له
فقل يفرح اليوم من لا يموت

هو الموت عم فما للعدا * يسرون فى حين ذقت الردى
ومن فاته اليوم يأتى غدا * سيبلى الجديد اذا ما المدى
تتابع آحاده والسبوت

أخى توخ طريق النجاة * وقدم لنفسك قبل الممات
وشمر بجد لما هو آت * ولا تغتر بسراب الحياة
فانك عما قريب تموت انتهى

وقد ذكرنى قوله رحمه الله تعالى فمن كان يفرح منهم له الى آخره قول بعض العلماء الشاميين

ياضاحكا بمن استقل غباره * سيثور عن قدميك ذاك العثير
لا فارس بجنودها منعت حمى * كسرى ولا للروم خلد قيصر
جد دمضت عاد عليه وجرهم * وتلاه كهلان وعقب حمير
وسطا بغسان الملوك وكندة * فلها دماء عنده لا تثار
لعبت بهم فكانهم لم يخلقوا * ونسوا بها فكانهم لم يذكروا

وما أحسن قول أبى الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان وقاسيت من الغربة أصناف الالوان ومررت على مدائن كسرى انوشروان وزرت بها قبر صاحب النبى صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمر سلمان وأعملت منها السير والاغذاذ الى مدينة بغداذ فنظرت اليها معالم وربوعا وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا وأنا أبدي فى ندائهم وأعيد والترب قد علا على منازلهم والصعيد وأسال عن الخلفاء الماضين وأنشد ولسان الحال يجاوبنى وينشد

ياسائل الدار عن اناس * ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالى * اين جديس وأين عاد

بل أين أبو البشر آدم الذى خلقه بيده الكبير المتعال اين الانبياء من ولده والارسال أهل النبوة والرسالة والوحى من الله ذى الجلالة اين سيدهم محمد الذى فضله عليهم ذو العزة والجلال وجعله شفيعهم مع امته والناس فى شدائد الاهوال اين القرون الماضية والاجيال اين التبابعة والاقيال اين ملوك همدان اين اولوا الابرق الفرد أو غمدان اين اولوا التيجان والا كاليل اين الصيد والبهاليل بل اين النمارذة وأ كبرهم نمروذ

الخطاب ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لانه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطربا وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى اعقبه بتصنيف كتاب آخر فى امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية ابن أبى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بنى امية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه ما فاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمى الشيعة كابى عيسى الوراق

الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل على والقول بامامة المفضول وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكاف وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين وفيها مات أحمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والذى ذهب اليه من تأخر من الراوندية وانتقل وتخبر عن جملة الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية وهم الحريانية أصحاب أبى مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية وكان يلقب بحريان أن محمد بن الحنفية هو الامام بعد على بن أبى طالب وأن محمدا أوصى الى ابنه أبى هاشم وأن أباهاشم أوصى الى على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأن على بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن على وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبى العباس بن عبد الله ابن الحارثية المقتول وقد تنوزع فى أمر أبى مسلم فمن

ابراهيم الخليل اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم الذين منهم فرعون موسى الكليم اين ملك الهدانية هدد بن بدد الكردى الذى لم يكن غدوه عقيده ولا مجدى وقد أخبر الحق جل جلاله عنه أنه كان يأخذ كل سفينة غصبا وزعم المؤرخون أنه كان أيضا يملأ القلوب رعبا ويسوم أصحابه قتلا وصلبا مع الطمع فى المال وعدم النظر فى عقبى المآل أين الفرس وملوكها وعدلها وعدوها أين دارا بن دارا بن بهمان أين اسكندر بن فلبش اليونانى الذى غلبه وملك بلاده فى ذلك الزمان وأطاعه جميع ملوك الاقاليم وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم أين كسرى وقيصر غلبهما من الموت الاسد القسور بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمر لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر اين أولاد جفنة وملوك غسان أين ممادیح زياد وحسان أين هرم بن سنان أين الملاعب بالسنان أين أولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان أين بنو عبد المدان أين أرباب العواصم أين قيس بن عاصم أين العرب العرباء الامة الفاضلة والجماعة المناضلة أين أولو الباس والحفاظ وذوو الحمية والاحفاظ حيث الوفاء والعهد والحباء والرفد الى علو الهمم والوفاء بالذمم والعطاء الجزل والضيف والنزل وهبة الافال والبزل وانها لاتدين عزا ولا تقاد ولا ترام انفة ولا تفاد أين قريش المغرورة فى الجاهلية بالحى اللقاح والشعب الرقاح أين الماضون من ملوك بنى أمية ذوو الالسن الذلق والاوجه الطلق والحمية أين خلفاء بنى العباس بن عبد المطلب الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمجتلب ذوو الشرف الشامخ والفخر الباذخ والخلافة السنية الرضية والمملكة العامة المرضية بلغتنا والله وفاتهم ولم يبق الاذكرهم وصفاتهم قبض ملك الموت أرواحهم قبضا ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا ومزق الدود لحومهم قددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا الا ما كان من أجساد الانبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم فان الله تعالى حرم على الارض أن تاكل أجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم وخرجت طرقه فى كتابى العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم فما أبعد المرء عن رشده وما أقصاه كم وعظه الدهر وكم وصاه يخلط الحقيقة بالمحال والعاطل بالحال ولا توبة حتى يشيب الغراب ويألف الدم التراب فيالهفى لبعد الدار وانقضاض الجدار وأنت هامة ليل أو نهار وقاعد من عمرك على شفى جرف هار تقرأ العلم وتدعيه ولا تفهمه ولا تعيه فهو عليك لا لك فأولى لك ثم أولى لك أما آن لليل الغى ان تنجلى أحلاكه وللظم البغى أن تنتثر أسلاكه وأن يستقطع الجانى جناه ويأسف على ما اقترفه وجناه وأن يلبس عهاده بتا ويطلق الدنيا بتا ويفر منها فرار الاسد ويتيقن انه لابد من مفارقة الروح الجسد نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا وحسن ما ساء من صنائعنا الذميمة وسلاتنا وجعل التقوى احصن عددنا وأوثق آلاتنا اللهم اليك المآب وبيدك المتاب قد واقعنا الخطايا وركبنا الاجرام رواحل ومطايا فتب علينا أجمعين وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين التائبين وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة

القيامة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة وعلى آله الطاهرين وأصحابه اهل الرضوان المنتخبين وسلام الله عليه وعليهم الى يوم الدين انتهى وهو آخر كتابه النبراس في تاريخ بني العباس وذكرته بطوله لمناسبته (قلت) وقد سلكت هذا المنحى نظما في خطبة هذا الكتاب كما مر وللسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتي في نثره ان شاء الله تعالى واقول اني قد تذكرت هنا قول القائل

نطوى سبوتا وآحادا وننشرها * ونحن في الطي بين السبت والاحد
فعد ماشئت من سبت ومن أحد * لا بد أن يدخل المطوى في العدد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

واعلم ان لسان الدين لما كانت الايام له مسالمة لم يقدر احد ان يواجهه بما يدنس معاليه او يطمس معالمه فلما قلبت الايام له ظهر مجنها وعاملته بمنعها بعد منحها اومنها اكثر اعداؤه في شانه الكلام ونسبوه الى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام بتنقص النبي عليه افضل الصلاة والسلام والقول بالحلول والاتحاد والانخراط في سلك اهل الالحاد وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد وغير ذلك مما اثاره الحقد والعداوة والانتقاد مقالات نسبوها اليه خارجة عن السنن السوى وكلمات كدروا بها منهل علمه الروى ولا يدين بها ويفوه الا الضال الغوى والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لبسها برى وجنابه سامحه الله تعالى عن لبسها عرى وكان الذى تولى كبر محنته وقتله تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذى لم يزل مضمر الختله فلقد وقفت على خط ابن لسان الدين على أنه تسبب في قتل لسان الدين أبيه وسيأتى الالماع والالمام بابن زمرك المذكور في تلامذة لسان الدين مع انه أعنى لسان الدين حلاه في الاحاطة أحسن الحلى وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلا وقد سبق في كلام ولى الدين بن خلدون أنه قدم على السلطان أبى العباس احمد المرينى في شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج الى مجلس الخاصة وامتحن والمجالس بالاعيان غاصة ولا حول ولا قوة الا بالله ومن أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون في مرضاته سعى العبيد القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال وجد في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين وانقضت دولته فسبحان من لا يتحوّل ملكه ولا يبيد وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضى ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وامضاء حكم الله فيه بمقتضاها فأبى السلطان من ذلك وقال هلا فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم وامتنع لذمته أن يخفره فلما أراد الله بنفوذ الامر وعدم نفع زيد وعمرو توفى السلطان عبد العزيز واختلت الاحوال واضطربت بالمغرب نيران الاهوال فقدم في شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذى رباه وصنيعته فكان ما كان مما سبق به الالمام

الناس من رأى انه كان من العرب ومنهم من رأى انه كان عبدا فاعتق وكان

ممن أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها خرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطينية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم الجعلى ثم آل أمره وعنت به الاقدار الى أن اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فأنفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة بالطاعة والانقياد الى أمره ورأيه فقوى أمره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة في اللباس والاعلام والبنود وكان أول من سوّد من أهل خراسان وأهل بساند وأظهر ذلك فيهم اسيد بن عبد الله ثم نمى ذلك في الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوى أمر أبى مسلم وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى ان قتل

أتينا على ذكرها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا بدء أخبار الكرمانى جديع بن على

وقد ذكرنا في الباب الأول قول لسان الدين رحمه الله تعالى في قصيدته النونية

تلوّن اخواني علي وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان

وما كنت أدري قبل أن يتنكروا * بأن خواني كان مجمع خوّاني

وكانت وقد دم القضاء صنائعي * على عمالا ارتضى شر أعوان

ولقد صدق رحمه الله تعالى على أنه قال هذه القصيدة في النكبة الأولى التي أنتقل فيها مع سلطانه الى المغرب كما مر مفصلا وكأنه عبر عن هذه المحنة الأخيرة التي ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضي ابن الحسن سامح الله الجميع ويرحم الله أبا اسحق التلمساني صاحب الرجز في الفرائض حيث يقول

الغدر في الناس شيمة سلفت * قد طال بين الورى تصرفها

ما كل من قد سرت له نعم * منك يرى قدرها ويعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بها * مضرة عز عنك مصرفها

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنـ * ـور على البدر وهو يكسفها

وقال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دن جانجه بن دن الفنش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولاذبه ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ولقيه بصخرة عباد من أحواز رندة فسلم عليه وقال ان أمير المسلمين لما فرغ من ذلك خاطب بلسان زناتة الماء ليغسل يده به من قبلة الفنش أو مصافحته ما نصه والشئ بالشئ يذكر فاثبت حكاية اتفقت لي بسبب ذلك أستدعى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها وهي أن اليهودي الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل الينا بغرناطة في بعض حوائجه ودخل الى بدار سكناي مجاورا القصر السلطاني بحمراء غرناطة وعندي القاضي اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد ابن أبي عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى أبي الحسين وكان محمد هذا قد فر الى صاحب قشتالة واستدعى من قبله الى الملك فسهل له ذلك وشرط عليه ما شاء وربما أوصله خطابه بما لم يقنعه في اطرائه فقال لي مولاي السلطان دن بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس كلبا من كلاب بابه حتى ترى خسارة الكرامة فيه فأخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت له أبلغه عني أن هذا الكلام ما جرك اليه الا خلو بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالاسود وعن تغسل الايدي منهم اذا قبلوها فتعلم من الكلب الذي تغسل اليد منه ومن لا وان جد هذا الولد هو الذي قبل جدك يده واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ونسبة الجد الى الجد كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى بلادك ليس بعار عليه وأنت معرض الى اللجا اليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به فقام أبو الحسن المستقضي يبكي ويقبل يدي ويصفني بولي الله وكذلك من حضرني وتوجه الى المغرب رسولا فقص على بني مرين خبر ما شاهده مني وسمعه وبالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه انتهى * وقد أثنى لسان الدين في الاحاطة على القاضي ابن الحسن المذكور كما سيأتي وقال في ترجمة السلطان ابن الاحمر ما نصه ثم قدم

وما كان بينه وبين سالم بن وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان ابن كثير وأبي داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة وندائهم حين الحروب محمد يا منصور والسبب الذي له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون سائر الالوان وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان وأعلامه بما هو فيه واظهار أمر العباسية وتزايده في كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال أبي مسلم وحال من معه وانه كشف عن أمره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي

أرى بين الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا
مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما
فقل قوموا فقد حان القيام
ففري عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا للقضاء

للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن وهو عين الاعيان بمالقة المخصوص برسم النجلة والقيام بالعقد والحل فسدد وقارب وحمل الكل وأحسن مصاحبة الخطبة والخطة وأكرم المشيخة مع النزاهة ولم يقف في حسن التانى على غاية فاتفق على رجاحته ولم يقف في النصح عند غاية انتهى * وحين أظلم الجو بينه وبين لسان الدين ذكره في الكتيبة الكامنة بما يباين ما سبق ولقبه بالجعسوس ولم يقنعه ذلك حتى ألف فيه خلع الرسن في وصف القاضى ابن الحسن وقد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطول كتبه ابن الحسن للسان الدين بعد تحوله عن الاندلس ونص ما تعلق به الغرض هنا فشرعتم في الشراء وتشييد البناء وتركتم الاستعداد لهاذم اللذات هيهات هيهات تبنون ما لا تسكنون وتدخرون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فاين المهرب مما هو كائن ونحن انما نتقلب في قدرة الطالب شرقتم أو غربتم والايام تتقاضى الدين وتنادى بالنفس الفرارة الى أين الى أين ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تزكية نفسه وعدما جلبه من مناقبه ما عدا ما هدد به من حديد لسانه خشية اندراجه في نمط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وزجه على ما أبداه أو أهداه من العيوب التى نسبها لاخيه واستراح على قوله بها فيه ونذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق هو الذى حملنى على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الامور منها الاشارة عليكم باذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله فانكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتا الغير شئ حصل بيدكم وضررتم نفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم والرضا بهذه الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتم اليه من البدعة والتلاعب بالشريعة ان حقها التخريق والتحريق وان من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم والله الشهيد بانى نصحتكم وما غششتكم وليس هذا القول وان كان ثقيلا عليكم بمخالف كل المخالفة لما اذنتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة بالمكارمة فليست المداراة بقادحة في الدين بل هي محمودة في بعض الاحوال مستحسنة على ما بينه العلماء اذ هي مقاربة في الكلام او مجاملة باسباب الدنيا لصلاحها او اصلاح الدين وانما المذموم المداهنة وهى بذل الدين لمجرد الدنيا والمصانعة به لتحصيلها ومن خالط للضرورة مثلكم وزايله باخلاقه ونصحه مخاطبة ومكاتبة واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته فقد سلم والحمد لله من مداهنته وقام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير والانكار مع الاشفاق والوجل وأكثرتم في كتابكم من المن بما ذكرتم

حروب الخوارج بالجزيرة وغيرها وما كان من خبره في حروبه مع الضحاك بن قيس الحرورى حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثى ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحرى الشيبانى فلما قتل الحرى ولت الخوارج عليها أبا الذلفاء شيبان الشيبانى وما كان من حروب مروان مع نعيم بن ثابت الجذامى وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام حتى قتله مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وانحيازه لما هو فيه من الحروب والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلول قبلك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من جواريه فقال لها والله لادنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتضطرم بنصر بن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعذله بعض أوليائه

انكم صنعتم وعلى تقدير الموافقة لكم ليتكم مافعلتم فسلمنا من المعرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم وقلما شاركتم انتم فى شئ الا باغراض حاصلة فى يدكم ولا غراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن فى الحقيقة انما هو متوجه اليكم واما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل بأخبار قطركم واهلكم فتناقض منكم وان كنتم فيه بغدركم

اتبكى على ليلى وانت تركتها * فكنت كآت غيه وهو طائع
وما كل ما منتك نفسك مخليا * تلاقى ولا كل له انت تابع
فلا تبكين فى اثر شئ ندامة * اذا نزعته من يديك النوازع

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد مددتم الى التمتع بغيرها عينيكم ولو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة الاما خصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا على ما يجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه وقال عليه الصلاة والسلام الروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها وعلى كل تقدير فاذالم يكن يا أخى فراركم من الاندلس الى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع وهى طيبة أومكة أو بيت المقدس فقد خسرتم صفقة رحلتكم وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم اللهم الا ان كنتم قد لاحظتم مسئلة الرجل الذى قتل مائة نفس وسأل اعلم أهل الارض فاشار عليه بعد ازماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب واكتسب بها العيوب فأمر آخر مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف و يقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذا بترك القيل والقال وكسر حربة الجدال والقتال وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الاشياء منها ريح صرصر وهو لغة القرآن وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله قيل يارسول الله والبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها الحديث الشهير قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر أى ألقى على وجهه والقاع المستوى من الارض والقرقر كذلك هذا ما حضر من الجواب وبقى فى مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش بعيد من الحشمة والحياء رأيت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون اليد عن الاستعمال فيه والظاهر أنه انما صدر منكم وأنتم بحال مرض فلا حرج فيه عليكم أنسأ الله تعالى أجلكم ومكن امنكم وسكن وجلكم ومنه جل اسمه نسأل لى ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدائمة والسلام الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن وفقه الله وذلك بتاريخ أخريات جمادى الاولى من عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة وقيد رحمه الله تعالى

ممن كان يأنس اليه فى ترك المؤمنين عبد الملك فقال له الرجل وماذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب افريقية اليه جارية ذات بهاء وكمال تامة المحاسن شهية للمتأمل فلما وقفت بين يديه تامل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو مدبر الجماجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت والله منية النفس فقالت الجارية مايمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت بهذا الوصف قال يمنعنى والله منك بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

ألتذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابى محمد وقد هلكت زعماء العرب لاها الله اذا ثم أمر بصيانتها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان على العراق يستمده و يسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه
وقد تبينت أن لا خير فى الكذب

بان أرض خراسان رأيت بها * بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت *

في مدرج طي هذا الكتاب ما نصه يا أخي اصلحني الله وإياكم بقي من الحديث شيء الصواب الخروج عنه لكم إذ هذا أوانه وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه وليكون البناء بعد ان كان على أصل صحيح بحول الله وحاصله أنكم عند تم ما شاركتكم فيه بحسب الاوقات وقطعتم بنسبة الامور كلها الى أنفسكم وأنها انما صدرت عن أمركم وباذنكم من غير مشارك في شيء منها لكم ثم مننتم بها المن القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم في فعله لكم ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه وأقصى ما تسنى للعب ايام كونكم بالاندلس تقلد كافة قضاء الجماعة وما كان الآن وليتها بقضاء الله وقدره فقد تبين لكل ذي عقل سليم أنه لا موجد الا الله وانه اذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بايجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ولكنه جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه وكأني بكم تتحكون من تقرير هذه المقدمة وما أحوجكم الى تأملها بعين اليقين فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكايا باستحقاركم للقضايا الشرعية وتهاونكم بالامور الدينية ما يعظم الله به الاجر وذلك في جملة مسائل منها مسئلة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضي موجباته على كره منكم ومنها مسئلة ابن أبي العيش المثقف في السجن على آرائه المضلة التي كان منها دخوله على زوجه اثر تطليقه اياها بالثلاث وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها فحملتم أحد ناسكم تناول اخراجه من الثقاف من غير مبالاة بأحد ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه المطالبة بدم قتيل وسيق المدعى عليه للذبح بغير سكين فاوسعني بمقتضى الدين الاحبسه على ما أحكمته السنة فأنتم لذلك وسجنتم الطالب ولي الدم وسرحتم الفتى المطلوب على الفور الى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ولا يجمل بي ولا بكم ذكره والمسئلة الاخرى أنتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال والحمد لله على كل حال وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ولا عذر لكم من الحق في التكلم به فشيء قلما يقع مثله من البهتان ممن كان يرجو لقاء ربه وكلامكم في المدح والهجو هو عندي من قبيل اللغو الذي غر به كراما والحمد لله فكثروا أو قللوا من أي نوع شئتم أنتم وما ترضونه لنفسكم وما فهت لكم بما فهت من الكلام الا على جهة الاعلام لا على جهة الانفعال لما صدر أو يصدر عنكم من الاقوال والافعال فذهي غير مذهبكم وعندي ما ليس عندكم وكذلك رأيتكم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقية في معرض الانكار لوجود نفعها والرمي بالمنقصة والحق لمستعملها ولو كنتم قد نظرتم في شيء من كتب السنة وسير الامة المسلمة نظر مصدق لما وسعكم انكار ما أنكرتم وكتبه بخط يدكم فهو قادح كبير في عقيدة دينكم فقد ثبت بالاجماع في سورة الفلق أنها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه المراد بها هو وآحاد أمته وفي أمهات الاسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى رقاه جبريل فقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين وفي الصحيح أيضا أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فروا بحي من

فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدي وبلخ بن عقبة الازدي وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله ابن يحيى الكندي وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بأمير المؤمنين وكان أباضي المذهب من رؤساء الخوارج وذلك في سنة تسع وعشرين ومائة وفي سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فلقي الخوارج بوادي القرى فقتل بلخ وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله بن يحيى الكندي الخارجي من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا الوقت وسار عبد الملك في جيش مروان فنزل صنعاء وذلك

أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا هل فيكم راق فان سيد الحى لديغ أو مصاب فقال رجل من القوم نعم فاتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فاعطى قطيعا من غنم الحديث الشهير قال أهل العلم فيه دليل على جواز أخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن وهو قول مالك وأحمد والشافعى وأبى ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك أحسن وفى هذا القدر كفاية وما رقيت قط أحدا على الوجه الذى ذكرتم ولا استرقيت والحمد لله وما حملنى على تبيين ما بينته الآن لكم فى المسئلة الا ارادة الخير التام لجهتكم والطمع فى اصلاح باطنكم وظاهركم فانى أخاف عليكم من الافصاح بالطعن فى الشريعة ورمى علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات وأنتم قد انتقلتم الى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها وتقع الفضيحة والدين النصيحة اعاذنا الله من درك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء وكذلك احذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة يكبر فى النفوس التكلم بها أنتم تعلمونها وهى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم وايثار بعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ولولا أنكم سافرتم قبل تقاص ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة امتعاض دينها ودنياها قد برزت بهذه الجهات لطالب الحق منكم فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم من العيث فى الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر فى غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لانفسكم من الاتسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم والركون الى ما تحصل من الحطام الزائل الاعملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم أيده الله بنصره وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه وفى الكثير من أهل قطره لكفاكم وصمة لا يغسل دنسها البحر ولا ينسى عارها الدهر فانكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للكدية والاخذ بمقتضى المقامة الساسانية الى أن استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء وضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض حتى خلا لكم الجو وتمكن الامر والنهى فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا منكم فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذى أنكره عليكم من بلغه حديثكم او يبلغه الى آخر الدهر فى العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم حازم او يثق بكم فى قول او فعل صالح أو طالح ولو كان قد بقى لكم من العقل ما تتفكرون به فى الكيفية التى ختمتم بها عملكم بالاندلس من الزيادة فى المغرم وغير ذلك مما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم الى يوم القيامة حسبما ثبت فى الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن وملازمة الاسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم من الامارة من التورط

واحتوى عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن رفع عنها وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات فى باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوى أمر أبى مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الرى وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همذان والرى فمات بها كمدا وكان نصر بن سيار لما صار بين الرى وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذى أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهى

إنا وما نكتم من أمرنا
كالثور اذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها
عذراء بكرا وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت
واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ أنهج فيه البلى
أعيا على ذى الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان والتشبث

والتذشب فى أشطان الآمل ودسائس الشيطان ونعوذ بالله من شرور الانفس وسيآت
الاعمال وأما قولكم عن فلان انه كان حشرة فى قلوب اللوز وان فلانا كان برغوثا فى تراب
الخمول فكلام سفساف يقال لكم من الجواب عليه وأنتم يا هذا أين كنتم منذ خمسين سنة
مثلا خلق الله الخلق لا استظهارا بهم ولا استكثارا وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطوارا
واستخلفهم فى الارض بعد أمة امما و بعد عصر أعصارا وكلفهم شرائعه وأحكامه ولم
يتركهم هملا وأمرهم ونهاهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا ان أكرمكم عند الله اتقاكم وبكل
اعتبار فلا نعلم فى نمط الطلبة تدريجا كان أسمج من تدريجكم ونبذ أذن آذا فانه كان كذا
وأ كثر أهل زمانه تحملا وتقللا فى نفسه بالنسبة الى منصبه كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب
ولكنه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم وحالتكم ما لم نبذ مصاهرتكم وصرف عليكم
صداقكم وكذلك فعلت بنت جزى زوج الرئيدى معكم حسبما هو مشهور فى بلدكم وذكرتم
أنكم ما زلتم من أهل الغنى حيث نقرتم بذكر العرض وهو بفتح العين والراء حطام الدنيا على
ما حكى أبو عبيد وقال أبو زيد هو بسكون الراء المال الذى لا ذهب فيه ولا فضة وأى مال
خالص يعلم لكم اولابيكم بعد الخروج من الثقاف على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية
مترايل ثم من العدد الذى برز قبلكم أيام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من
أصحابكم وأما الفلاحة التى أشرتم اليها فلا حق لكم فيها اذ هى فى الحقيقة لبيت مال المسلمين
مع ما بيدكم على ما تقرر فى الفقهيات والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ولو قبل من أهل المعرفة
بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم فى القال والقيل ولم يصرف الى دفع معرتها عنكم وجه
التأويل لكانت مسئلتكم ثانية لمسئلة أبى الخبر بل أبى الشر الحادثة ايام خلافة الحكم
المسطورة فى نوازل أبى الاصبغ بن سهل فاعلموا ذلك ولا تهملوا اشارتى عليكم قديما وحديثا
بلزوم الصلوات وحضور الجماعات وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ان وعد
الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقلتم فى كتابكم اين الخطط المتوارثة
عن الآباء والاجداد وقد اذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية عبية الجاهلية فى التفاخر
بالآباء ولكنى أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم ان كانت الاشارة الى المحيب بهذا
فن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الاصالة احد أماثل قطره قال القاضى
أبو عبد الله بن عسكر وقد ذكر فى كتابه من سلفى فلان بن فلان ما نصه و بيته بيت قضاء
وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر استقضى جده المنصور بن أبى عامر وقاله
غيره وغيره ويبدى من عهود الخلفاء وصكوك الامراء المكتتبة بخطوط أيديهم من لدن
فتح جزيرة الاندلس الى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد
والمنة لله وحده وان كانت الاشارة للغير من الاصحاب فى الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم
اذا نظر اليه بعين الحق وجد أقرب منكم نسبا للخطط المعتبرة وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب
اومساويا على فرض المسامحة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يحقره حرام دمه وماله وعرضه ونرجع الى طريقة اخرى فنقول من كان
يا فلان من قومكم فى عمود نسبكم نبيها مشهورا او كاتبا قبلكم معروفا او شاعرا مطبوعا اورجلا

ن أبى مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه أمره فلما تأمل
مروان كتاب أبى مسلم قال
للرسول لا ترع كم دفع لك
صاحبك قال كذا وكذا
قال فهذه عشرة آلاف
درهم لك وانما دفع اليك
شيأ يسيرا وامض بهذا
الكتاب الى ابراهيم ولا
تعلمه بشئ مما جرى وخذ
جوابه فائتنى به ففعل
الرسول ذلك فتأمل مروان
جواب ابراهيم الى أبى مسلم
بخطه يأمره فيه بالجد
والاجتهاد والحيلة على
عدوه وغير ذلك من أمره
ونهيه فاحتبس مروان
الرسول وكتب الى الوليد
ابن معاوية بن عبد الملك
وهو على دمشق يأمره أن
يكتب الى عامل البلقاء
فيسير الى القرية المعروفة
بالكداد والحميمة ليأخذ
ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا
و يبعث به اليه فى خيل
كثيفة فوجه الوليد الى
عامل البلقاء وهو جالس
فى مسجد القرية فأخذوه
ملففا وحمل الى الوليد
فحمله الى مروان فحبسه
فى السجن شهرين وقد كان
جرى بين ابراهيم ومروان
خطب طويل حين سال
ابراهيم وانكر كل ما ذكره
له مروان من أمر أبى مسلم
فقال له مروان يا منافق أليس
هذا كتابك الى أبى مسلم
جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال أتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم أمسك وعلم

نبيها مذ كورا ولو كان بالوشي وكان لكان من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل والتواضع وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الخربات التى شرعتم فى بنائها بدار السلامة وهيهات هيهات المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار فى الوقت الاموت سعيد كم عند دخولها الا غنا كم عن العلم اليقين بما آلها وأظهرتم سرورا كثيرا بما قلتم انكم نلتم حيث أنتم من الشهوات التى ذكرتم ان منها الاكثار من الاكل والخرق والقعود بازاء جارية الماء على نطع الجلد والامساك أولى بالجواب على هذا الفصل فلا خفاء بما فيه من الخسة والخبائث والخبث وبالجملة فسرور العاقل انما ينبغى أن يكون بما يحمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيش الآخرة فقدموا ان قبلتم وصاة الحبيب او البغيض بعضا عسى أن يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم هذا الذى قلته لكم وان كان لدى من يقف عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان ومامر من الزمان فى حيز اليسير وهو فى نفسه قول حق وصدق ومستند أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه فاحمدوا الله العلى العظيم على تذكيركم به اذ هو جار مجرى النصيحة الصريحة يسرنى الله وايا كم لليسرى وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى والسلام انتهى كلام القاضى ابن الحسن النباهى فى كتابه الذى خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى وأين هذا الكلام الذى صدر من ابن الحسن فى حقه من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى فى تولى ابن الحسن المذكور القضاء وهو هذا ظهير كريم انتج مطلوب الاختيار قياسه ودل على ما يرضى الله عز وجل التماسه وأطلع نور العناية الذى يجلو الظلام نبراسه واعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراع هضبتها ناسه وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه وشيد مبنى العز الرفيع فى قبة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه والمجد أساسه أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج ابن نصر أيد الله أوامره وخلد مفاخره لقاضى حضرته العلية وخطيب حرائه السنية المخصوص لديه بترفيع المزية المصروف اليه خطاب القضاة بايالته النصرية قاضى الجماعة ومصرف الاحكام الشرعية المطاعة الشيخ الكذا أبى الحسن ابن الشيخ الكذا أبى محمد بن الحسن وصل الله سعادته وحرس مجادته وسنى من فضله ارادته عصب منه جبين المجد بتاج الولاية وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ما ألقى منه بيمين عرابة الراية وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية وحشر الى مدعاة ترفيعه وجوه البر وأعيان العناية وأنطق بتجليه ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية ولما كان له الحسب الاصيل الذى شهدت به ورقات الدواوين والاصالة التى قامت عليها صحاح البراهين والآباء الذين اعتدعضاء قضاتهم الدين وطبق مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين وازدان بعمالة وزرائهم السلاطين فمن فارس حكم أو حكيم تدبير

أنه أتى من مأمنه واشتد أمر أبى مسلم وكان فى الحبس مع ابراهيم جماعة من بنى هاشم وبنى أمية فمن بنى أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشى أن يخرجا عليه ومن بنى هاشم عيسى بن على وعبد الله بن على وعيسى بن موسى فذكر أبو عبيدة الثعلبى وكان معهم فى الحبس أنه هجم عليهم فى الحبس وذلك بحران جماعة من موالى مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذى كان فيه ابراهيم والعباس وعبد الله فأقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأيانا أنسابنا فسألناهما الخبر فقالا أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا وأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه فى جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان فى الكتاب الذى قرأه مروان من ابراهيم الى أبى مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل منها دونك أمرا قد بدت أشراطه ان السبيل واضح صراطه لم يبق الا السيف واختراطه وقاص

وقاض فى الامور الشرعية ووزير أوجامع بينهما جمع سلامة لاجمع تكسير تعدد ذلك واطرد ووجد مشرع المجد عذبا فورد وقصرت النظراء عن مداه فانفرد وفرى الفرى فى يد الشرع فأشبه السيف البرد وجاء فى أعقابهم محييا المدارس بعد ما حقق ودرس جانيا ما بذر السلف المبارك واغترس طاهر النشأة وقورها محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة حالا من النزاهة بالمكانة المكينة ساحبا أذيال الصون بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون خطبته الخطط العليه واغتبطت به الجادة الاوليه واستعملته دولته التى ترتاد أهل الفضائل للرتب واستظهرت على المناصب بابناء التقى والحسب والفضل والمجد والادب ممن يجمع بين الطارف والتالد والارث والمكتسب فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور نبهائها وأعيان وزرائها وأولى آرائها فلما زان الله تعالى خلافته بالتمعيص المتحلى من التخصيص وخلص ملكه الاصيل كالذهب الابريز بعد التخليص كان ممن صحب ركابه الطالب للعق بسيف الحق وسلك فى مظاهرته أوضح الطرق وجادل من حاده بأمضى من الحداد الذلق واشتهر خبروفائه فى الغرب والشرق وصلى به صلاة السفر والحضر والامن والحذر وخطب به فى الاماكن التى بعد بذكر الله عهدها وخاطب عنه أيده الله تعالى المخاطبات التى حمد قصدها حتى استقل ملكه فوق سريره وابتهج منه الاسلام بأميره وابن أميره ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة ايالته ويمن تدبيره وكان الجليس المقرب المحل والحظى المشاور فى العقد والحل والرسول المؤتمن على الاسرار والامين على الوظائف الكبار مزين المجلس السلطانى بالوقار ومتحف الملك بغريب الاخبار وخطيب منبره العالى فى الجمعات وقارئ الحديث لديه فى المجتمعات ثم رأى أيده الله تعالى أن يشرك رعيته فى نفعه ويصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه ويجلسه مجلس الشارع صلوات الله عليه لايضاح شرعه واصله الوثيق وفرعه وقدمه أعلى الله تعالى قدمه وشكر آلاءه ونعمه قاضيا فى الامور الشرعية وفاصلا فى القضايا الدينية بحضرة غرناطة العلية تقديم الاختيار والانتقاء وأبقى له فخر السلف على الخلف والله سبحانه يمتعه بطول البقاء فليتول ذلك عادلا فى الحكم مهتديا بنور العلم مسويا بين الخصوم حتى فى لحظه والتفاته متصفا من الحلم بأفضل صفاته مهيبا فى الدين رؤفا بالمؤمنين جزلا فى الاحكام مجتهدا فى الفصل بامضى حسام مراقبا لله عزوجل فى النقض والابرام وأوصاه بالمشورة التى تقدح زناد التوفيق والتثبت حتى ينتج قياس التحقيق بارا بمشيخة أهل التوثيق عادلا الى سعة الاقوال عند المضيق سائرا من مشورة المذهب على أهدى طريق وصية اصدرها له مصدر الذكرى التى تنفع ويعلى الله بها الدرجات ويرفع والافهو عن الوصاة غنى وقصده قصد سنى والله عزوجل ولى اعانته والحارس من التبعات اكناف ديانته والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته وأمر أيده الله تعالى أن ينظر فى الاحباس على اختلافها والاوقاف على شتى أصنافها واليتامى التى أسدلت كفالة القضاة على اضعافها فيذود عنها طوارق الخلل ويجرى امورها بما يتكفل لها بالامل وليعلم أن الله عزوجل يراه وأن فلتات الحكم تعاوده

بجميع ماقيل فى ذلك فى الكتاب الاوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبد الله بن على فى عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبد الله بن على وقد كردس مروان خيله كراديس ألفا وألفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم فكان فيمن غرق فى الزاب من بنى أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق فى الزاب فى ذلك اليوم من بنى أمية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل فى رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب فى يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان فى هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من

المراجعة فى اخراه فيدرع جنة تقواه وسبحان من يقول ان الهدى هدى الله فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الاجلال صائنا منصبه من الاخلال مبادرا أمره الواجب بالامتثال بحول الله وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعمائة عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان لا رب غيره انتهى ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبى عبد الله بن زمرك حين تولى كتابة السر ونصه هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه فرفعه وأفرده بتلو العز وجمعه واوتره وشفعه وقربه فى بساط الملك تقريبا فتح له باب السعادة وشرعه وأعطاه لواء القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته أن يتبعه ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزه الله من يد الغاصب وانتزعه وحسبك من زمام لا يحتاج الى شئ معه أمر به امير المسلمين محمد للكذا الكذا فلان وصل الله سعادته وحرس مجادته أطلع الله تعالى له وجه العناية ابهى من الصبح الوسيم وأقطعه جناب الانعام الجسيم وأنشقه آراج الحظوة عاطرة النسيم ونقله من كرسى التدريس والتعليم الى مرقى التنويه والتكريم والرتبة التى لا يلقاها الاذو حظ عظيم وجعل اقلامه جياد الاجالة أمره العلى وخطابه السنى فى ميدان الاقاليم ووضع فى يده أمانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على المنهج القويم واختصه بمزية التفوق على كتاب بابه والتقديم لما كان ناهض الفكر فى طلبة حضرته زمن البداية ولم تزل تظهر عليه لاولى التطمييز مخايل هذه العناية فان حضر فى حلق العلم جلى فى حلبة الحفاظ الى الغاية وان نظم اونثر أتى بالقصائد المصقولة والمخاطبات المنقولة فاشتهر فى بلده وغير بلده وصارت أزمة العناية طوع يده بما أوجب له المزية فى يومه وغده وحين رد الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الاسلام وزين وجوه الليالى والايام وأدال الضياء من الظلام كان ممن وسمه الوفاء وشهره وعجم الملك عود خلوصه وخبره فحمد أثره وشكر ظاهره ومضمره واستصحب على ركابه الذى صحب اليمن سفره واخلصت الحقيقة نفره وكفر الله ورده وصدره ميمون النقيبة حسن الضريبة صادقا فى الاحوال المريبة ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة واصلا الى المعانى البعيدة بالعبارة القريبة مبرزا فى الخدم الغريبة حتى استقام العماد ونطق بصدق الطاعة الحى والجماد ودخلت فى دين الله أفواجا العباد والبلاد لله الحمد على نعمه الثرة العهاد وآلائه المتوالية الترداد رعى له أيده الله هذه الوسائل وهو احق من يرعاها وشكر له الخدم المشكور مسعاها فنص عليه الرتبة الشماء التى خطبها بوفائه وألبسه أثواب اعتنائه وفسح له مجال آلائه وقدمه أعلى الله قدمه كاتب السر وأمين النهى والامر تقديم الاختيار بعد الاختبار والاغتباط بخدمته الحسنة الآثار وثمن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار وغير ذلك من موجبات الاكبار فليتول ذلك عارفا بمقداره مقتفيا لآثاره مستعينا بالكتم لاسراره والاضطلاع بما يحمد من أمانته وعفافه ووقاره معطيا هذا الرسم حقه من الرياسة عارفا بانه أكبر أركان السياسة حتى يتأكد الاغتباط بتقريبه وادنائه

الدخول اليها واظهروا بها وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل لعن أبى تراب يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا الا صلاة الا بلعن أبى تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من امر المشرق وظهور المسودة ما كان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان فى أهله وسائر بنى أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبد الله ابن على على باب حران فهدم قصر مروان وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبد الله ابن على حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك فى خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية فى فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبد الله بن على قتلوه وأتى عبد الله بن على يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وتوفر

وتتوفر أسباب الزيادة في اعلائه وهو ان شاء الله غني عن الوصاة فهما ثاقبا يهتدي بضيائه
وهو يعمل في ذلك أقصى العمل المتكفل ببلوغ الامل وعلى من يقف عليه من حملة
الاقلام والكتاب الاعلام وغيرهم من الكافة والخدام أن يعرفوا قدر هذه العناية
الواضحة الاحكام والتقديم الراسخ الاقدام ويوجبوا ما أوجب من البر والاكرام
والاجلال والاعظام بحول الله وكتب في كذا انتهى فانظر صانني الله واياك من
الاغيار وكفانا شر من كفر الصنيعة التي هي على النقص عنوان ومعيار الى حال الوزير
لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين القاضي ابن الحسن والوزير ابن زمرك اللذين
تسببا في هلاكه حتى صار أثرا بعد عين مع تنويهه بهما في هذا الانشاء وغيره وتفيئهما
كما هو معلوم ظلال خيره فقابلاه بالغدر وأظهرا عند الامكان حقد القلب وغل الصدر
وسددا لقتله سهاما وقسيا وصيرا سبيل الوفاء نسيا منسيا ولا حول ولا قوة الا بالله

ومن انشاء لسان الدين في حق القاضي ابن الحسن أيضا حين أضيفت اليه الخطابة الى القضاء
على لسان سلطانه هذا ظهير كريم أعلى رتبة الاحتفاء اختيارا واختبارا وأظهر معاني
الكرامة والتخصيص انتقاء واصطفاء وايثارا ورفع لواء الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة
واعتبارا ورقى في درجات العز من طاولها على بهر أنوارا وديمة كرم في الصالحات آثارا
وزكا في الاصالة نجارا وخلوص الى هذا المقام العلي السعيد الذي راق اظهارا واضمارا
أمر به وأمضاه وأنفذ حكمه ومقتضاه أمير المسلمين عبد الله محمد الى آخره للشيخ الكذا
القاضي العدل الارضى قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية المخصوص لدى المقام العلي
بالحظوة السنية والمكانة الحفية الموقر الفاضل الحافل الكامل المبرور أبي الحسن
ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاعز الماجد الاسنى المرفع الاحفل الاصلح المبارك
الاكمل الموقر المبرور المرحوم أبي محمد بن الحسن وصل الله عزته ووالى رفعته ومبرته
ووهب له من صلة العناية الربانية أمله وبغيته لما أصبح في صدور القضاة العلماء مشارا
الى جلاله مستندا الى معرفته المخصوصة بكماله مطرزا على الافادة العلمية والادبية
بمحاسنه البديعة وخصاله محفوفا معقد الحكم النبوي ببركة عدالته وفضل خلاله وحل
في هذه الحضرة العلية المحل الذي لا يرقاه الا عين الاعيان ولا يثوي مهاده الا مثله من أبناء
المجد الثابت الاركان وموئل العلم الواضح البرهان والمبرزين بالمآثر العلية في الحسن
والاحسان وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الاحكام الراجحة الميزان والانظار الحسنة
الاثر والعيان والمقاصد التي وفت بالغاية التي لا تستطاع في هذا الميدان فكم من قضية
جلا بمعارفه مشكلها ونازلة مبهمة فتح بادراكه مقفلها ومسئلة عرف نكرتها وقرر
مهملها حتى قرت بعدالته وجزالته العيون وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون
وكان في تصديره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ما عسى أن يكون كان أحق
بالتشفيع لولاياته وأولى وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الاعلى
فلذلك أصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع والتنويه ومؤكدا
للاحتفاء الوجيه وقدمه أعلى الله قدمه وشكر نعمه خطيبا بالجامع الاعظم من

حملهما الى أبي العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن
علي بدمشق خلقا كثيرا
ولحق مروان بمصر ونزل
عبد الله بن علي على نهر
أبي فطرس فقتل من بني
أمية هنالك بضعا وثمانين
رجلا وذلك في يوم الاربعاء
للنصف من ذي القعدة
سنة اثنتين وثلاثين ومائة
وقتل بالبلقاء سليمان بن
يزيد بن عبد الملك وحمل
رأسه الى أبي عبد الله
ابن علي ورحل صالح بن
علي في طلب مروان ومعه
أبو عون عبد الملك بن
يزيد وعامر بن اسمعيل
المذحجي فلحقوه بمصر وقد
نزل بوصير فبايتوه وهجموا
على عسكره وضربوا الطبول
وكبروا ونادوا يالثارات
ابراهيم فظن من في عسكر
مروان أن قد أحاط بهم
سائر المسودة فقتل مروان
وقد اختلف في كيفية
قتله في المعركة في تلك
الليلة وكان قتله ليلة الاحد
لثلاث بقين من ذي الحجة
سنة اثنتين وثلاثين ومائة
ولما قتل عامر بن اسمعيل
مروان وأراد الكنيسة
التي فيها بنات مروان
ونساؤه اذا بخادم لمروان
شاهر السيف يحاول
الدخول عليهن فأخذوا
الخادم فسئل عن أمره
فقال أمرني مروان اذا هو
قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلوني فانكم والله ان قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله

حضرته مضافا ذلك الى ولايته ورفيع منزلته مراقبا لمن بالجامع الاعظم عمره الله بذكره من علية الخطباء وكبار العلماء وخيار النبهاء الصلحاء فليتداول ذلك فى جماته مظهرا فى الخطة أثر بركاته وحسناته عاملا على مايقربه عند الله من مرضاته ويظفره بجزيل مثوباته بحول الله وقوّته انتهى فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضى ابن الحسن واشادته بذكره وباشارته وتدبيره ولى قضاء القضاة وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة وهذان المنصبان لم يكن فى الاندلس فى ذلك الزمان من المناصب الدينية أجل منهما ولما حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ماحصل من النفرة عن الاندلس واعمال الحيلة فى الانفصال عنها لعلمه أن سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن يعضدهما تمكنت فيه عند سلطانه خاص منها على الوجه الذى قدمناه وشمر القاضى ابن الحسن عن ساعد اذايته والتسجيل عليه بما يوجب الزندقة كما سبق جميعه مفصلا فحينئذ أطلق لسان الدين عنان قلمه فى سب المذكور وثلبه وأورد فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أبناء المائة الثامنة من مثالبه ما انسى ماسطره صاحب القلائد فى ابن باجة المعروف بابن الصائغ حسبما نقلنا ذلك أعنى كلام الفتح فى غير هذا الموضع ولم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب الذى سماه بخلع الرسن كما ألمعنا به فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه * واعلم أن للسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية فى المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى فى هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال وهو أشد من وقع النبال ومنه ماوصف به الوزير الذى كان استوزره السلطان اسمعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب حسبما سبق الالمام بذلك والوزير هو ابراهيم بن أبى الفتح الاصلع الغوى اذ قال فى المذكور وفى ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبى الفتح العقرب الردى بعد كلام ماصورته وماظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوّة الى أن قال تنور خبز وبركة مرقة وثعبان حلواء وفاكهة منغمس فى شح النفس متهالك فى مسترذل الطمع عليه العذيوط الغبى ابن عمه بسداجة زعموا مع كونه قبيح الشكل بشيع الطلعة الى أن قال وفى العشر الاول من رمضان عام واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤم وابن عمه الغوى الغشوم وولد الغوى مرسل الظفيرة أبعد الناس فى مهوى الاغترار يختال فى السرف والحلية سم من سم القوارير وابتلاء من الله لذوى الغيرة يروح نشوان العشيات يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من الاخلاف يعاقرون النبيذ فى السكك الغاصة وولد العقرب الردى بضده قماءة وتقطبا تنبو عنهما العيون ويبكى منهما الخز كأنهما صمتا عند المحاورة واظلاما عند اللألاء من اذلاء بنى النضير ومهتضمى خيبر فثقفا مليا وبودر بهما الى ساحل المنكب قال المخبر فما رأيت منكوبين أقبح شكلا ولا أفقد صبرا من ذينك التيسين الحبقين صلع الرؤس ضخام الكروش مبهورى الانفاس متلجلجى الالسنة قد ربت بمحل السيف من عنق كل جبار منهما شحمة اترجية كأنها أسنام الحوار لا يثيرون دمعا ولا يستنزلون رحمة ولا يمهدون عذرا ولا يتزودون من كتاب الله آية قد طبع الله على قلوبهم وأخذهم ببغيهم وعجل لهم سوء سعيهم وللعين أركبوهم وجراءهم يعنى اولادهم فى جفن غزوى تحف بهم المساعير من الرجال واقتفى بهم اثر قرقورة

ماتقول قال ان كذبت فاقتلونى هلموا فاتبعونى ففعلوا فاخرجهم من القرية

عليه وسلم فقالوا له انظر الى موضع رمل فقال اكشفوا ههنا فكشفوا فاذا البرد والقضيب والمخصر قد دفنها مروان لئلا تصير الى بنى هاشم فوجه بها عامر بن اسمعيل الى عبد الله ابن على فوجه بها عبد الله الى أبى العباس السفاح فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس الى أيام المقتدر فيقال ان البرد كان عليه فى يوم مقتله ولست أدرى أكل ذلك باق مع المتقى لله الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والاسارى الى صالح بن على فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمير المؤمنين حفظ الله لك فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عفوكم ماوسعكم من جورنا قال اذا لا نستبقى منكم أحدا رجلا ولا امرأة ألم يقتل أبوك بالامس ابن أخى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الامام فى محبسه بحران ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد ابن على بن الحسين بن على وصلبه فى كناسة الكوفة

وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدى يوسف بن عمر الثقفى ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه تحمل

تحمل حاجا الى الاسكندرية تورية بالقصد فلما الجوا اقذف بهم في لجة بعد استخلاص ماضنوا به وتاكاء الاصلع الغوى فاثبت بجراحة أشعر بها هديه واختلاط العقرب الردى فنسال من جناب الله سخطا وضيقا تعالى الله عن نكيره فكان فرعون هذا الزمان جبروتا وعتوا ومينة عجل الله لهم العذاب وغرقهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فسبحان من لا تضيع الحقوق مع عدله ولا تنفسخ الآماد مع منازعة رداء كبريائه مرغم الانوف وقاطع دابر الكافرين وفي ذلك أقول مستريحا وان لم يكن علم الله تعالى شاني ولا تكرر في ديواني

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومن أمثالهم من استغضب فلم يغضب فهو حمار والله سبحانه يقول ومن أصدق من الله قيلا وجزاء سيئة سيئة مثلها والعفو أقرب للتقوى والقرب والبعد بيده سبحانه وصدرت هذه الكلمة لحين تعرف اجلائهم في الجفن الى الاسكندرية وبعد ذلك صح هلاكهم

كن من صروف الردى على حذر * لا يقبل الدهر عذر معتذر
ولا تعوّل فيه على دعة * فأنت في قلعة وفي سفر
فكل ري يفضي الى ظما * وكل أمن يدعو الى غرر
كم شامخ الانف ينثني فرحا * بال عليه زمانه وخرى
قل للوزير البليد قد ركضت * في ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن أبي الفتح نسبة عكست * فلا بفتح أتت ولا ظفر
وزارة لم يجد مقلدها * عن شؤمها في الوجود من وزر
في طالع النحس حزت رتبتها * وكل شئ في قبضة القدر
أي اختبار لم ينل نصبته * في جسد للنحوس او نظر
بات له المشترى على غير * وأحرقت فيه قرصة القمر
يا طللا ما عليه من عمل * يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل والغباوة لا * يحسب الا من جملة البقر
يا دائم الحقد والفظاظة لا * يفرق ما بين ظالم وبرى
يا كمد اللون ينطفي كمدا * من حسد يستطير بالشرر
يا عدل سرج يا دن معتمد * ملآن من ريبة ومن قذر
يا واصلا للعشاء ناشئة الليل ورب الضراط في السحر
من غير لب ولا مراقبة * لله في مورد ولا صدر
يا خاملا جاهه الفروج يرى * صهر أولى الجاه فخر مفتخر
كانوا نبيطا في الاصل او حبشا * ما عنده عبرة لمعتبر
يا ناقص الدين والمروءة والعقل ومجرى اللسان بالهذر
يا ولد السحق غير مكتتم * حديثه يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونة يدور بها * مجتهد السير مغمض البصر

بخراسان ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعى مسلم بن عقيل بن أبي طالب بالكوفة ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي على يدي عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى وردبهم على يزيد ابن معاوية وقبل مقدمهم بعث اليه برأس الحسين ابن علي قد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنها حتى قدموا به على يزيد بدمشق كأنما بعث اليه برأس رجل من أهل الشرك ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبي يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الطغام ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل وكفرا لانعمه فما الذي استبقيتم منا أهل البيت لو عدلتم فيه علينا قالت يا عم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم اذا قال أما العفو فنعم قد وسعكم فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن علي وزوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح فقالت يا عم أمير المؤمنين وأي أوان عرس هذا بل تلحقنا بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحقن بحران فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على

في أشهر عشرة طهتهمو * فيارحى الشؤم والبوادر
والله ما كنت يامشوم ولا * أنت سوى عرة من العرر
ومن أبو الفتح في الكلاب وهل * لجاهل في الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته * وكان لليوم غير مستتر
حانوت بزيمشي على فرش * وثور عرس يختال في حبر
لامنة تتقي لمعترك * ولالسان يبين عن خبر
ولايد تنتمي الى كرم * ولاصفاء يريح من كدر
عهدي بذاك الجبين قد ملئت * غضونه الغبر بالدم الهدر
عهدي بذاك القفا الغليظ وقد * مد لوقع المهند الذكر
اهدتك للبحر كف منتقم * ألقتك للحوت كف مقتدر
يايتم أولادك الصغار ويا * حيرتهم بعد ذاك في الكبر
ياثكل تلك الصماء أمهم * وظاعن الموت غير منتظر
والله لانال من تخلفه * من أمل بعدها ولاوطر
والله لامحقان لاانتقلت * رجلاك منها الاالى سقر
ألحقك الله بالهوان ولا * رعاك فيمن تركت من عرر
ماعوقب الليل بالصباح وما * تقدم البرق عارض المطر انتهى

وقال مورياً بدم الاخوين في شأن سلطان تلك الدولة الذى أضحى أثراً بعد عين

باسمعيل ثم أخيه قيس * تأذن ليل همى بانبلاج
دم الاخوين داوى جرح قلبي * وعالجني وحسبك من علاج

وهذه تورية بديعة لان الاطباء يقولون ان من خاصية دم الاخوين النفع من الجراح وقال رحمه الله تعالى قلت في رأس الغادر بالدولة حين عرض على

في غير حفظ الله من هامة * هام بها الشيطان في كل واد
ماتركت حمداولارحمة * في فم انسان ولا في فؤاد

وقال أيضاً في تلك الدولة بعد كلام مانصه وانتدب قاضيهم الشيخ المتراخي الدين والفك المنحل العصب والعقيدة المعرق في العمومية المشهور بقبول الرشوة أبو فلان فلان بن فلان الغريب الاسم والولاية ومفتيهم معدن الرياء والهوادة والبعد عن التخصص والحشمة والمثل في العماه والطرف في التهالك على الحطام فلان البناء المسخر في بناء الحفيرة المستخدم في دار ابنه أجيراً مختضباً بالدين مضايقاً في رمق العيشة وحسبك به دليلاً على الحياء وفضل البنوة فلفقوا من خيوط العنا كب شبهات تقلدوا بها حل العقد الموثق دينهم في معارضة صاحب الملة بالآراء الخبيثة يتحكم الوقاح منهم في الحكم الذى نزل به شديد القوى على الذى لاينطق عن الهوى بحسب شهوته تحكمه في غزل امه ايثار العاجل واسترابة بالوعيد ففسخوا النكاح وحللوا محرم البضع للداخل وقد تأذن الله بفسخه وأجرى دمه نقداً قبل دفع فقده سبحانه حكم الحكام وقاهر الظلام وباء مشيخة السوء بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن

مروان وشققن جيوبهن وأعولن بالصياح والنحيب حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان فكان ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ماقدمنا في هذا الكتاب من التنازع في مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكر ان مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والالم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد ان الذى أشرت به على انفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله أو

فلن تجد له نصيرا انتهى * (ومن كلامه فى نفاضة الجراب) وقد ذكر وزير المغرب محمد ابن على بن مسعود ماملخصه وانه مجنون أحول العين وحش النظرة يظن به الغضب فى حال الرضا يهيج به المرار فيكمن زمانا خالف كاقم قدمه يدخل اليه وعاء الحاجتين خوفا من اصحاره الى فضاء منزله وتوحشه من أهله وولده الى أن تضعف سورة المرة فيخف أمره قد باين زوجه مع انسحاب رواق الشبيبة وتوفر داعية الغبطة لحالف جره الوسواس السوداوى نستدفع بالله شر بلائه فاستعان مستوزره منه برأى الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما تدارك الله رمق الاسلام بلطفه انتهى * ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن على بن أبى رمانة عن لقائه يوم وصوله فكتب اليه بما نصه

جفا ابن أبى رمانة وجه مقدمى * ونكب عنى معرضا وتحامانى
وحجب عنى حبه غير جاهل * بأنى ضيف والمبرة من شانى
ولكن رآنى مغربيا محققا * وأن طعامى لم يكن حب رمان

زيارة القاضى أصلحه الله لمثلى ممن لا يخافه ولا يرجوه تجب من وجوه أولها كونى ضيفا ممن لا يعد على الاختبار زيفا ولا تجرمؤانسته حيفا فضلا عن أن تشرع رمحا او تسل سيفا وثانيها أنى امت اليه من الطلب بنسب بين موروث ومكتسب وقاعدة الفضل قد قررها الحق وأصلها والرحم كما علم تدعو لمن وصلها وثالثها المبدأ فى هذا الغرض ولكن الواو لا ترتب الا بالعرض وهو اقتفاء سنن المولى أيده الله فى تأنيسى ووصفه اياى بعقربى وجليسى ورابعها وهو عدة كيسى وهز برخيسى وقافية تجنيسى ومقام تلوينى وتلبيسى مودة رئيس هذا الصنف العلمى ورئيسى فليت شعرى ما الذى عارض هذه الاصول الاربعة ورجح مذاهبها المتبعة الا ان يكون عمل أهل المدينة ينافيها فهذا بحسب النفس ويكفيها وان تعذر لقاء او استدعاء وعدم طعام او وعاء ولم يقع نكاح ولا استرعاء فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم والمنصب المحترم فالجلة الى التماس المحمدات استباق والعرف بين الله والناس باق والغيرة على لسان مثله مفروضة والاعمال معروضة والله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة وان كان لدى القاضى فى ذلك عذر فليفده وأولى الاعذار به أنه لم يقصده والسلام انتهى * ويعنى بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى وبرئيس هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق رحم الله الجميع * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) رسالة فى أحوال خدمة الدولة ومصايرهم وتنبيههم على النظر فى عواقب الرياسة بعيون بصائرهم عبر فيها عن ذوق ووجدان وليس الخبر كالعيان وخاطب بها الامام الخطيب عين الاعيان سيدى أبا عبد الله ابن مرزوق وكانه أعنى لسان الدين اشار ببعض فصولها الى نفسه ونطق بالغيب فى نكبته التى قادته الى رمسه وكان ذلك منه عندما أراد التخلى عن خدمة الملوك والتحلى بزينة أهل التصوف والسلوك فلم يرد الله أن تكون مهجته نائية عن ساحة الظلمة خارجة وأراد سامحه الله وغفر له عمرا وأراد الله خارجة وصورة ماقال رحمه الله تعالى وأحسست منه يعنى ابن

أقتل معك وقال أسروفاء ثم أظهر غدرة * فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وقد أتينا على خبر أبى الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدى ومقتله فى كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل ابن عبد الله القسرى قال دعانى مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال يا أبا هاشم وما كان يكنينى قبلها قد ترى ما جاء من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس فما الرأى فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال على ان أرتحل بموالى ومن تبعنى من الناس حتى اقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فانزلها وأكاتب صاحبها وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا بالملوك فلا يزال يأتينى الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأى ورأيت آثاره من قومى من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأى تحكم أهل الشرك فى بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدرى ما تأتى به الايام وانت ان حدث عليك حادث بارض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير

مرزوق فى بعض كتبه الواردة الى صاغية الى الدنيا وحنينا لما بلاه من غرورها فحملنى انطور الذى ارتكبته فى هذه الايام بتوفيق الله على أن أخاطبه بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة الملوك ممن ينسب الى نبل ويلم بمعرفة مصحفا يدرسه وشعارا يلتزمه وهى سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافآت ولم تختلف فى مدحها الافعال ولا تغايرت الصفات ولا تزال تعترف بها العظام الرفات أطلقك الله من أسر كل الكون كما اطلقك من أسر بعضه وزهدك فى سمائه الفانية وفى أرضه وحقر الحظ فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه اتصل بى الخبر السار من تركك لشانك واحناء الله تعالى اياك ثمرة احسانك وانجياب ظلام الشدة الحالك عن أفق حالك فكبرت ونى الفرج من بعد الشدة اعتبرت لا بسوى ذلك من رضا مخلوق يؤمر فيأتمر ويدعوه القضاء فيبتدر انما هو فىء وظل ليس له من الامر شئ ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها وأول معارج نفسك التى تقربها من الحق وتدنيها وكأنى والله احس بثقل هذه الدعوة على سمعك ومضادتها ولا حول ولا قوة الا بالله لطبعك وانا أنا ءرك الى العقل الذى هو قسطاس الله تعالى فى عالم الانسان والآلة لبث العدل والاحسان والملك الذى يبين عنه ترجمان اللسان فأقول ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدنيا وان بلغ من زبرجدها الرتبة العليا ونفرض المثال بحال اقبالها ووصل حبالها وخشوع جبالها وضراعة سبالها ألتوقع المكروه صباحا ومساء وارتقاب الحوالة التى تديل من النعيم البأساء ولزوم المنافسة التى تعادى الاشراف والرؤساء ألترتب العتب على التقصير فى الكتب وضغينة جار الجنب وولوع الصديق باحصاء الذنب ألنسبة وقائع الدولة اليك وأنت برى وتطويقك الموبقات وأنت منها عرى ألاستهدافك للمضار التى تنتجها غيرة الفروج والاحقاد التى تضبطها ركبة السروج وسرحة المروج ونجوم السماء ذات البروج ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك وصحت اليه فاقتك من حاجة لا يقتضى قضاءها الوجود ولا يكفيها الركوع للملك والسجود ألقطع الزمان بين سلطان يعبد وسهام للغيوب تكبد وعجاجة شر تلبد وأقبوحة تخلد وتؤبد ألوزير يصانع ويدارى وذى حجة صحيحة يجادل فى مرضاة السلطان ويمارى وعورة لا تواري ألمبا كرة كل غرن حاسد وعدو مستاسد وسوق للانصاف والشفقة كاسد وحال فاسد ألوفود تتزاحم بسدتك مكلفة لك غير ما فى طوقك فان لم يقع الاسعاف قلبت عليك السماء من فوقك ألجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وايابك الا بقبيح اغتيابك فالتصرفات تمقت والقواطع توقت والالاقى تبث والسعايات تحث والمساجد يشتكى فى حلقها البث يعتقدون أن السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور واليتيم المحجور والاسير المأمور ليس له شهوة ولا غضب ولا أمل فى الملك ولا أرب ولا موجدة لاحد كامنة وللشر ضامنة وليس فى نفسه عن رأى نفرة ولا بازاء ما لا يقبله نزوة ولا طفرة انما هو جارحة لصيدك وعان فى قيدك وآلة لتصرف كيدك وانك علة حيفه ومسلط سيفه الشرار يسملون عيون الناس باسمك ثم يزقون بالغيبة مزق جسمك قد تخلهم الوجود

ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام جندا فانك فى كنف وعزة ولك فى كل جند صنائع يسيرون معك حتى تاتى مصر فانها اكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى أفريقية قال صدقت وأستخير الله فقطع الفرات و والله ما قطعه معه من قيس الا رجلان ابن جندة السلمى وكان اخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوى ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيأ بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر اوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار الى دمشق فوثب به الحرث ابن عبد الرحمن الحرشى ثم أتى الاردن فوثب به هاشم بن عمر العنسى والمذحجيون جميعا ثم مر بفلسطين فوثب الحكيم ابن صنعان بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الامر عنه وعلم مروان أن اسمعيل ابن عبد الله القسرى قد غشه فى الرأى ولم يمحضه النصيحة وأنه فرط فى مشورته اياه اذ شاور رجلان من قحطان موتورا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار وأن الرأى الذى هم بفعله أخبث

أخبث مافيه واختارهم السفيه فالسفيه اذالخير يستره الله تعالى عن الدول ويخفيه
ويقنعه بالقليل فيكفيه فهم يتماحون بك ويولونك الملامة ويفتحون عليك القول
ويسدون طرق السلامة وليس لك فى أثناء هذه الامالا يعوزك مع ارتفاعه ولا يفوتك
مع انقشاعه وذهاب صداعه من غذاء يشبع وثوب يقنع وفراش ينيم وخديم يقعد
ويقيم وما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضى ومال من ورائه سوء القضا وجاه يحلق عليه
سيف منتضى واذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللعاج حول المسقط الذى تعلم
أنها فيه تهلك فكيف تنسب الى نبل أو تسير من السعادة فى سبل وان وجدت فى القعود
بمجلس التحية بعض الاريحية فليت شعرى أى شئ زادها أو معنى أفادها الامبا كرة
وجه الحاسد وذى القلب الفاسد ومواجهة العدو المستاسد أو شعرت ببعض الايناس
فى الركوب بين الناس ما التذت الابحلم كاذب أوجذبها غير الغرور جاذب اغمارا كبك
من يحدق الى الحلية والبزة ويستطيل مدة العزة ويرتاب اذا حدثت بخبرك ويتتبع
بالنقد والتجسس مواقع نظرك ويمنعك من مسايرة أنيسك ويحتال على فراغ كيسك
ويضمر الشر لك ولرئيسك وأى راحة لمن لا يباشر قصده ويمشى اذا شاء وحده ولو صح
فى هذه الحال لله تعالى حظ وهبه زهيدا أو عين الرشد عملا حميدا لساغ الصاب وخفت
الاوصاب وسهل المصاب لكن الوقت أشغل والفكر أوغل والزمن قد عمرته
الحصص الوهمية واستنفدت منه الكمية أماليله ففكر أونوم وعتب بحراء الضرائر
ولوم وأما يومه فتدبير وقبيل ودبير وأمور يعيا بها ثبير وبلاء مبير ولغط لا يدخل فيه
حكم كبير وأنا بمثل ذلك خبير والله ياسيدى ومن فلق الحب وأخرج الاب وذرأ من
مشى ومن دب وسمى نفسه الرب لو تعلق المال الذى يجره هذا القدح ويورى سقيطه
هذا القدح باذيال الكواكب وزاحمت البدر بدره بالمناكب لماورثه عقب
ولا خلص به محتقب ولا فاز به سافر ولا منتقب والشاهد الدول والمشائيم الاول
فاين الرباع المقتناة وأين الديار المبتناة وأين الحوائط المغترسات وأين الذخائر المختلسات
وأين الودائع المؤملة وأين الامانات المحملة تأذن الله بتتبيرها وادناء نار التبار من دنانيرها
فقلما تلقى أعقابهم الا أعراء الظهور مترمقين بجريات الشهور متعللين بالهباء المنثور
يطردون من الابواب التى حجب عنها آباؤهم وعرف منها اباؤهم وشم من مقاصيرها
عنبرهم وكباؤهم ولم تسامحهم الايام الا فى ارث محرر أو حلال مقرر وربما محقه الحرام
وتعذر منه المرام هذه أعزك الله حال قبولها مع الترفيه ومالها المرغوب فيه وعلى فرض أن
يستوفى العمر فى العز مستوفيه وأماضده من عدو يتحكم وينتقم وحوت بغى يبتلع ويلتقم
ومطبق يحجب الهواء ويطيل فى التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب
يمزق الابشار الرقاق وغيلة يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف
السوق وساعته المعتادة الطروق مع الافول والشروق فهل فى شئ من هذا مغتبط
لنفس حرة اومايساوى جرعة حال مرة واحسرتا للاحلام ضلت وللاقدام زلت ويالها
مصيبة جلت ولسيدى أن يقول حكمت باستثقال الموعظة واستجفائها ومراودة الدنيا

كان أولى وذكر المدائنى
والعتبى وغيرهما أن مروان
حين نزل على الزاب جرد
من رجاله من اختاره من
سائر جيشه من أهل الشام
والجزيرة وغيرهم مائة ألف
فارس فلما كان يوم الوقعة
وأشرف عبد الله بن على
فى المسودة وفى أوائلهم
البنود السود يحملها الرجال
على الجمال البخت وقد جعلت
أقتابها من خشب الصفصاف
والغرب قال مروان لمن
قرب منه أماترون رماحهم
كأنها النخل غلظا أماترون
الى أعلامهم فوق هذه
الابل كأنها قطع من الغمام
سود فبينما هو كذلك اذ
طار من أترجة هنالك
قطعة من الغرابيب سود
فاجتمعت على أول رايات
عبد الله بن على واتصل
سوادها بسواد تلك الرايات
والبنود ومروان ينظر فتطير
من ذلك فقال أماترون
السواد قد اتصل بالسواد
وكان الغرابيب كالسحب
سودا ثم نظر الى أصحابه
المحاربين وقد استشعروا
الجزع والفشل فقال انها
لعدة وما تنفع العدة اذا
انقضت المدة ولمروان على
الزاب أخبار غير هذه قد
أتينا على ذكرها فى كتابينا
أخبار الزمان والاوسط
فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولى التوفيق *(ذكر خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح)*

لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل في النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وأمه رائطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية وركب الى المسجد الجامع في يوم الجمعة فخطب على المنبر قائما وكانت بنو أمية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار في مدينته التي بناها وذلك في يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت أمه تحت عبد الملك بن مروان فكان له منها الحجاج بن عبد الملك فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح وعبيد الله وداود وميمونة

* (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه)

ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه

بين خلانها واكفائها وتناسي عدم وفائها فأقول الطبيب بالعلل أدرى والشفيق بسوء الظن مغرى وكيف لا وأنا أقف على السحا آت بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال ومثاقف النوب الثقال وخطوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد ونوش الاسنة الحداد وحيث يحمل مثله أن لا يصرف في غير الخضوع لله تعالى بنانا ولا يثني لمخلوق عنانا وأتعرف انها قد ملأت الجوّ والدوّ وقصدت الجماد والبوّ تقتحم أكف أولي الشمات وحفظة المذمات وأعوان النوب الملمات زيادة في الشقاء وقصدا بريا من الاختيار والانتقاء مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء ومن النفاق على أشهر من البلقاء فهذا يوصف بالامامة وهذا يجعل من أهل الكرامة وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله وهذا يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله الى ما أحفظني والله من البحث عن السموم وكتب النجوم والمذموم من العلوم هلا كان من ينظر في ذلك قد قطع بتاتا واعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتا وأنا لا نملك موتا ولا نشورا ولا حياتا وأن اللوح قد حصر الاشياء محوا واثباتا فكيف نرجو لما منع منالا او نستطيع مما قدر افلاتا افيدونا ما يرجع العقيدة المتقررة فنتحوّل اليه وبينوا لنا الحق نعوّل عليه الله الله يا سيدي في النفس المرشحة والذات المحلاة بالفضائل الموشحة والسلف الشهير الخير والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير ودع الدنيا لبنيها فما أوكس حظوظهم وأخس لحوظهم وأقل متاعهم وأعجل اسراعهم وأكثر عناءهم وأقصر آناءهم

ما ثم الا ما رأيـــت وربما تعيي السلامه
والنـاس اما جائر * أو حائر يشكو ظلامه
واذا أردت العز لا * تر زأ بنى الدنيا قلامه
والله ما احتقب الحريص سوى الذنوب أو الملامه
هل ثم شك في المعا * د الحق او يوم القيامه
قولوا لنا ما عندكم * أهل الخطابة والامامه

وان رميت بأحجاري وأوجرت المر من أشجاري فوالله ما تلبست اليوم منها بشئ قديم ولا حديث ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما أنا الا عابر سبيل وهاجر عي وبيل ومرتقب وعدا قدر فيه الانجاز وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا كما يفر من الاسد وحاولت المقاطعة حتى بين روحي والجسد وغسل الله قلبي ولله الحمد من الطمع والحسد فلم أبق عادة الا قطعتها ولا جنة للصبر الا ادرعتها أما اللباس فالصوف وأما الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل وأن عراها لا تنفصل وأن ترتيبي هذا يدوم ولا يحيرني الوعد المحتوم والوقت المعلوم لمت أسفا وحسبي الله وكفى ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى من لسان الوجود والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم ولا المحمود ولقد أعملت نظري فيما يكافئ عني بعض يدك أو ينتهي في الفضل الى أمدك فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا وألفيت بذل النفس قليلا

أبى العباس عبدالله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة فان هذا الامر صائر اليه لا محالة وأنه بذلك أتتهم الرواية وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ورسم له بذلك رسما أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك الى سابق الخوارزمى مولاه وأمره ان حدث به حدث من مروان فى ليل أو نهار ان يركب أسرع سابق فى السير فلما حدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية الى أبى العباس ونعاه اليه فامره أبو العباس بستر الوصية وأن ينعاه ثم أظهر أبو العباس من أهل بيته على أمره ودعا الى موازرته ومكاشفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد ابن أخيه وعبدالله بن على عمه وتوجه أبو العباس الى الكوفة مسرعا وهؤلاء معه فى غيرهم ممن خف من أهل بيته فلقيتهم اعرابية على بعض مياه العرب فى طريقهم الى الكوفة وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبدالله بن على فيمن كان معهم الى الماء فقالت الاعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجى

قليلا لك من غير شرط ولا ثنيا فلما ألهمنى الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة فى قالب الجفا لمن يثبت عين الصفا ولا يشيم بارقة الوفا ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلى من المتدنسين بها المتمكين و ينظروا عوارها القارح بعين اليقين و يعلم أنها الموسة التى حسنها زور وعاشقها مغرور وسرورها شرور تبين لى أنى قد كافأت صنيعتك المتقدمة وخرجت عن عهدتك الملتزمة وأمحضت لك النصح الذى يعز بعز الله ذاتك ويطيب حياتك ويحيى مواتك ويريح جوارحك من الوصب وقلبك من النصب ويحقر الدنيا وأهلها فى عينك اذا اعتبرت ويلاشى عظائمها لديك اذا اختبرت كل من تقع عينك عليه فهو حقير قليل وفقير ذليل لا يفضلك بشى الا باقتفاء رشد أو ترك غى أثوابه النبيهة يجردها الغاسل وعروة عزه يقصلها القاصل وماله الحاضر الحاصل يعبث فيه الحسام الفاصل والله ما تعين للخلف الا ما تعين للسلف ولا مصير المجموع الا الى التلف ولا صح من الهياط والمياط والصياح والنياط و جمع القيراط الى القيراط والاستظهار بالوزعة والاشراط والخبط والخباط والاستكثار والاغتباط والغلو والاشطاط وبناء الصرح وعمل الساباط ورفع العمد وادارة الفسطاط الامل يذهب القوة وينسى الآمال المرجوة ثم نفس يصعد وسكرات تتردد وحسرات لفراق الدنيا تتجدد ولسان يثقل وعين تبصر الفراق وتمقل قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ثم القبر وما بعده والله منجز وعيده ووعده فالاضراب الاضراب والتراب التراب وان اعتذر سيدى بقلة الجاه لكثرة الولد فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق و بيده من التسبب ما يتكفل بامساك الارماق اين النسخ الذى يتبلغ الانسان بأجرته فى كن حجرته لا بل السؤال الذى لا عار عند الحاجة بمعرته السؤال والله أقوم طريقا وأكرم رفيقا من يد تمتد الى حرام لا يقوم بمرام ولا يؤمن من ضرام أحرقت فيه الحلل وقلبت الاديان والملل وضربت الابشار ونحرت العشار ولم يصل منه على يدى واسطة السوء المعشار ثم طلب عند الشدة ففضح وبان شؤمه ووضح اللهم طهر منها أيدينا وقلوبنا وبلغنا من الانصراف اليك مطلوبنا وعرفنا بمن لا يعرف غيرك ولا يستر فد الا خيرك يا ألله وحقيق على الفضلاء ان جنح سيدى منها الى اشاره اوأعمل فى اجتلابها أضباره أو لبس منها شاره أو تشوف لخدمة اماره أن لا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس ولا يغتروا بسمة ولا خلق ولا لباس فاعدا عمابدا تقضى العمر فى سجن وقيد وعمرو وزيد وضرو كيد وطراد صيد وسعد وسعيد وعبد وعبيد فتى تظهر الافكار ويقر القرار وتلازم الاذكار وتشام الانوار وتستجلى الاسرار ثم يقع الشهود الذى يذهب معه الاخبار ثم يحق الوصول الذى اليه من كل ماسواه الفرار وعليه المدار وحق الحق الذى ماسواه فباطل والفيض الرحمانى الذى ربابه الابد هاطل ماشابت مخاطبتى لك شائبة تريب ولقد محضت لك ما يمحضه الحبيب للحبيب فتحمل جفائى الذى حملت عليه الغيره ولا تظنّ بى غيره وان لم تعذرنى مكاشفة سيادتك بهذا النث فى الاسلوب الرث فالحق أقدم وبناؤه لا يهدم وشانى معروف فى مواجهة الجبابرة على حين يدى الى رفدهم ممدودة

ونفسى فى النفوس المتهافتة عليهم معدودة وشبابى فاحم وعلى الشهوات مزاحم فكيف بى اليوم مع الشيب ونصح الجيب واستكشاف العيب انما أنا اليوم على كل من عرفنى كل ثقيل وسيف العدل فى كفى صقيل اعذل أهل الهوى وليست النفوس فى القبول سوا ولا لكل مرض دوا وقد شفيت صدرى وان جهلت قدرى فاجلنى جملك الله تعالى على الجادة الواضحة وسحب عليك ستر الابوّة الصالحة والسلام انتهت الرسالة البديعة فى بابها الآتية من الموعظة بلبابها ذات النصيحة الصريحة التى يتعين على كل عاقل خصوصا من يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها قلت وقد رأيت بخط الامام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين أوّل الكلام وأحسست منه فى بعض كتبه الى آخره ما صورته توهم ما لا يقع بل لما تجلت عنى سحب النكبة والامتحان جزمت بالرحلة وعزمت على النقلة ونفرت عن خدمة السلطان وملازمة الاوطان قال ابن مرزوق والعجب كل العجب أن جميع ما خاطبنى به أبقاه الله تعالى تحلى به أجمع وابتلى بما منه حذر فكانه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص انتهى وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين على ما صورته صدق والله سيدى أبو عبد الله بن مرزوق كان الله تعالى له قاله ولده ابن المؤلف انتهى * قلت وهذا الذى قاله ابن مرزوق كان فى حياة ابن الخطيب ولذلك دعا له بالبقاء وبحسن الخاتمة والخلاص وقد أسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذى وصفه أثناء هذه الرسالة اذ قال واما ضده من عدوّ تحكم وينتقم وحوت بغى يبتلع ويلتقم ومطبق يحجب الهواء ويطيل فى التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الأبشار الرقاق وغيلة يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف السوق وسلعته المعتادة الطروق مع الافول والشروق فانه رحمه الله تعالى حصل له ما ذكر ثم اغتاله ليلا وخنقه فى محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود كما تقدمت الاشارة الى ذلك فالله تعالى يثيبه بهذه الشهادة وقد تذكرت هنا مرثية ابن صابر المنجنيقى وهى

هل لمن يرتجى البقاء خلود * وسوى الله كل شئ يبيد
والذى كان من تراب وان عا * ش طويلا الى التراب يعود
فصير الانام طرا المصا * والبه آباؤهم والجدود
اين حوّا أم أين آدم اذ فا * تهما الملك والثوا والخلود
أين هابيل أين قابيل اذ هـ * ـذا لهذا معاند وحسود
أين نوح ومن نجا معه بالـ * ـفلك والعالمون طرا فقيد
أسلمته الايام كالطفل للمو * ت ولم يغن عمره الممدود
أين عاد بل أين جنة عاد * ارم أين صالح وثمود
أين ابراهيم الذى شاد بيت الله فهو المعظم المقصود
أين اسحق أين يعقوب أم ايـ * ـن بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا أخاهم فكادو * ه ومات الحساد والمحسود

فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليلينها هذا وأشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت ولينغرجن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن على فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن على وموسى بن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فسأله داود عن مسيره فاخبره بسببه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبى مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فمروان شيخ بنى أمية وزعيمهم فى أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عماه من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الاعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أى بنى صدق عمك ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما فعطفا وكانا معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص ابن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبى طالب وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من ... وسليمان

وسليمان في النبوة والملك قضى مثل ما قضى داود
ذهبا بعدما أطاع لذا الخلق وهذا ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح بن مريم وهو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها * دي الى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين ولهواء ركود
ولنار الدنيا التي توقد الصخر خمود وللمياه جمود
وكذا للثرى غداة يقوم الناس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهواء رطب وماء برود
سوف تفنى كما فنينا فلا يبقى من الخلق والد وو ليد
لا الشقي الغوي من نوب الايام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالموالي حصيدها والعبيد

وأما قصيدة ابن عبدون الاندلسي التي رثى بها بني الافطس وذكر فيها كثيرا من الملوك الذين أبادهم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم أثرا بعد عين ففيها ما يوقظ النوّام وأولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وبالجملة فالام كما قال ابن المبارية

الموت لا يبقى أحد * لا والدا ولا ولد
مات لبيد ولبد * وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم اختم لنا بالحسنى وردنا اليك ردا جميلا وتذكرت هنا أيضا مرثية على روي مرثية المنجنيقي السابقة منها

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينماهم على الاسرة والانماط أفضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

وما أحكم قول السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد المريني يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى أخذه قسرا

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم * أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة * لا بد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التي كانت تهابهم * أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لأخرى وكن بالله مؤتمرا * واستغن بالله في سر وفي علن

اليمن وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج وبراءتهم من علي والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثمائة فيما دوت من الارض وتغربت من الممالك رجلا من أود الا وجدته اذا استبطنت ما عنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم وأختفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه ووكل بهم وكان قد وصل أبو العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن

واختر لنفسك أمرا أنت آمره * كأنني لم أكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان أبو الحسن سجلماسة عنوة على أخيه السلطان أبي على عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل لفاس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض عليه في المحرم رحمه الله تعالى ومما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا * في ظل عيش يخاف الناس من باسه
فبينما هو مسـ ـ ـ ـرور بلذته * في مجلس اللهو مغبوط بجلاسه
اذ جاءه بغتـ ـ ـ ـة مالا مرد له * فخر ميتا وزال التاج عن راسه

(رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) قلت وقد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض بل ينزل اليه بانحدار كثير ويزعم الجل من عوام فاس أن الباب المذكور انما سمي بباب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين اخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك وانما سمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر ثار على الدولة فأمسك وأحرق في ذلك المحل والله غالب على أمره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله تعالى مالا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفارة وطهرة فانه كان آية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل رسالة كتبها بعض أئمة المغرب في عزاء الوزير الشهير أبي جعفر بن جبير الاندلسي رحمه الله تعالى الى بنيه وهي مما يصلح أن يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى وفيها عزاء بمن مضى ونصها عزاء يا كواكب الهدى في بدركم الذي تحيفه الردى وفجع به الفضل والندى فقل للشهب أن تتكدر على فراقه وللصبح أن يخبو نور اشراقه وللريح أن تمزق صدارا وللاهلة أن لا تعرف ابدارا ولليل أن يشتمل خميصة الحزن وللسماء أن تبكيه بأدمع المزن وللرعد أن ينتحب لوفاته وللبرق أن يحكي برجفاته افئدة عفاته وللثريا أن ينفصم سوارها وللشمس أن تنكسف انوارها وللنثرة أن تنثر كواكبها وللجوزاء أن تنفض مناكبها وللنيرات أن ترفض مواكبها وللرامح أن يبيت اعزلا وللبدر أن لا يالف منزلا وللمجرة أن يفيض دمع نهرها وللغميصاء أن يطرد بكاؤها وسهرها وللروض أن يفارق امراعه وللاورق أن يهتف بما راعه وللغصون أن تنهصر لهتفه وتتقصف اسفا على حتفه لكن هو الحمام يختل ويختر ولا يحفل بمن يتر يعدم ما أوجده الكون ويذيل من اكنفه الصون وأين بناء من مكافح لانقاض ووام أرواح نامة اتلبه لايد به ناصرة وعزمته قاصرة للقياصرة ويمينه كاسرة للاكاسرة لم يبق من رسم لطسم ولا من احسان لغسان ولا من أياد لاياد ولا من سلطان لقحطان ولا من نجيب لتجيب ولا من شرف ضخم للخم لم يكن له عن اليمنيين اقصار ومنهم الانصار وهم أسماع للنبي وأبصار وعمد الى المصابيح من مضر يطفيها هذا والوحي يتنزل فيها ولم يصخ في الصديق الى التصديق وأصمى الفاروق برداه وحكم فيه أبو لؤلؤة ومداه وأمكن صرف الاقدار من شهيد الدار ولم يرع من علي بالبسالة والذب

كواف داع فقدم محمد بن أعلمه انه رسول أبي سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري قال له اني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت بن زيد

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها
ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا أبا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت

العسالة ولا أبقى سبطيه وقد تفقأت عنهما بيضة الرسالة وأذهب الزبير حوارى الرسول وحنظلة وهو بأيدى الملائكة مغسول وأفات ابن معاذ ولم يحفل بفوته على انه اهتز العرش لموته وأودى بحمزة ومقعده من النبوة مقعد الابوة وشفى من عمار صدور الاسل وأردى مالكا بشربة من عسل ولم يعبأ بأعضاء عمرو ولا بحلم معاوية ودهاء عمرو فياله من خطب مود بكل يابس ورطب يشرب ماء الاعمار ويجعل الاجداث منازل الاقمار ويلوك السوقة والاملاك ولا يبالى أية لاك لا يقبل شفيعا ولا يغادر منحطا ولا رفيعا هاهو اعتمد نور علاف كسفه وطود حلم فنسفه وأعلق المجد فى حباله وأقصد الفضل بنباله وفجع كنانة بسهم لم ينثل مثله من كنانة فياطارق الاعين لقد بؤت بأنفس الاعلاق ويا ناعيه لقد نعيت باسق الاخلاق رويدا أسائلك عمن لم تضع لديه وسائلك اين سماحته وطلاقته أين كلفه بالحمد وعلاقته ما الذى ثنى عطفه عن الارتياح أم أين عافيه من ذلك الامتياح أم من يؤلف امنية كما ألفت السحب ايدى الرياح فياهبة الحمد اطوى عرفك فما تنشق ويا ربة المجد اقصرى طرفك فما تعشق ويامعشر عفاته كيف حييتم وقد علمتم بوفاته ويا زم أماله صفرت أيديكم من اجماله ويا اخاير صحابه أين مواقع سحابه ويابنى ولائه من يتبوأ مقام علائه ويامنافسى شيمه من يجود بمثل ديمه ويامنازعى كرمه من يطيف المعتفين بمثل حرمه وياحاسدى هممه من له كحفاظه وذممه سيدى لقد أضاءت مساعيك وأشرقت وأغصت الحاسدين طرا وأشرقت وحسبهم أن لم ينتبهوا الا اذا نمت ولا نطقوا الا حين مت وايمن ملائك وصحبك أن احييك صنائعك وقد قضيت نحبك وان حم فناؤك فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك

زدت صنائعه عليه حياته * فكأنه من نشرها منشور
والناس مأتمهم عليه واحد * فى كل دار أنة وزفير

سيدى أما تجيب صرخة لهفان ام عداك عن الجواب أنك فان سيدى من لآملك ببسط انامالك من لمرملات الضرائك بارشادك وآرائك من لقربائك بصلاتك وحبائك من لاخيك بموائق اواخيك من لابنائك بلطف احفائك انفض شمالهم وكان جميعا ونادوك لو نادوا امنك سميعا هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه وقد فت الاضلاع وجيبه يبكى عند تلك الرجام بأدمع سجام وقد ألهبت الزفرات حشاه وألح الدمع بجفنه حتى أعشاه والاصاغر مالهم بعدك مفزع ورضيعهم تسلب به الانفس رحمة وتنزع لا يدرى ما جزع عليك فيجزع لشد ما اذابتهم وقذة الا وارحين عدموا منك كرم النجوى والجوار اف لدهر رماهم بالاجوار وتركهم أنجما مسلوبة الانوار لاجرم أن يحزنوا عليك ويكثروا فلقد تسلوا عنك ببعض ما ورثوا وما ورثتهم غير الحزن والبث وأمل فى الحياة كالهباء المنبث كا تتلى محاسنك فاسمع طفقت عليك شؤون عينى تدمع أيا ضريحه كيف وجدت ريحه لقد أرج بك ذلك المعفر حتى ما ينافحه المسك الاذفر وكما ظفرت بوجوده فخد كل قبر بجوده ففيه سماء ثرة وغمام ونور انضم عليه منك كمام ولو علمت بمن بين جنبيك راقد لعلوت حتى تلوح فى ذرا الفراقد ويادافنيه كيف هلتم عليه الرغام اولم تنكروا على

بعثت أبامسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أووجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى ان قال انما يريد القوم ابنى محمدا لانه مهدى هذه الامة فقال ابوعبد الله جعفر والله ماهو مهدى هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبوعبد الله والله ماهذا الا نصح منى لك ولقد كتب الى ابوسلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندى ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبى سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أباحميد الطوسى دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقى سابقا الخوارزمى فى سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان فى الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبى العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال مذ متى هم هنا قال من شهرين قال فتمضى بنا

الى أبى العباس فاخبره فلامه اذلم يأت به معه اليهم ومضى أبو حميد فاخبر جماعة من قواد خراسان فى عساكر أبى سلمة بذلك منهم الجهيم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فلقى أبا حميد فضيا حتى دخل على أبى العباس ومن معه فقال أيكم الامام فاشار داود بن على الى أبى العباس وقال هذا خليفتكم فأكب على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وأبو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة فى أحسن زى وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الامارة وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس فى أى شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومنته وفضل النبى صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه

الشمس ان تغام هيهات لقد سمعتم باقبار تحف الشمائل طيب الاخبار والحاد من لانزاع فى فضله ولا الحاد أى نفس تخذتم له التراب مستودعا فأضحى عرنين المكارم مجدعا فتى مثل نصل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب

فتى همه حمد على الناس رابح * وان بات عنه ماله وهو عازب

اما وان ازدحمت بمهلكه الاوصاب وفدح الرزء وجل المصاب حتى لا نألف الناس فلقد سر الموت من حيث سا فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصائب ولا يبالى من اقصد سهمه الصائب فيا فقيد الندى ما كان اجدرك بالخلود وأخلقك وياجواد عمره ما كان اقصر طلقك توى حين استوى وتوارى اذملأ الافق أنوارا وكسف حين بلغ الكمال فكان كالغصن عندما اعتدل مال اوكالشهاب عندما استقام حار وكذا عمر كواكب الاسحار هذه البراعة التحفت بعده الضنى والصحف تطوى على جهالة وتحنى وعهدى به ان امتطى راحته البراع راع اوديج الاوراق راق اواستدر طبعه السلسال سال وأى روض أراد راد ومتى اراغ الانشاء أحسن ان شاء فحق للفؤاد ان يستعر بوقده وللمدامع ان تسيل دما على فقده بيد أنه الموت لابدان نرد مشرعه ونسيغ على شرق به جرعه فانا زرع يحصده الذى ازدرعه وصبرا ياذوى ارحامه وبنيه ومن مرفى غلواء الوجد فالسلوان يثنيه وشجاعلى اجر لم لايذهب به الجزع ويفنيه والله يزلف الفقيد من رحمته ويدنيه ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه ويسر لكم العزاء الاجل برحمته وبسنيه والسلام انتهت ويرحم الله القائل

كل جمع الى الشتات يصير * أى صفو ماشابه تكدير

انت فى اللهو والامانى مقيم * والمنايا فى كل وقت تسير

والذى غره بلوغ الامانى * بسراب وخلب مغرور

ويك يانفس أخلصى ان ربى * بالذى اخفت الصدور بصير

ولاخفاء على ذوى الأحلام من الاعلام أن الدنيا أضغاث أحلام

يندم المرء على مافاته * من لبانات اذالم يقضها

وتراه فرحا مستبشرا * بالتى امضى كأن لم يمضها

انها عندى كأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

وقال ابو منصور واسعد النحوى

يجمع المرء ثم يترك مايجمع من كسبه لغير شكور

ليس يحظى الابذكر جميل * اوبعلم من بعده مأثور

وقال الامام الشهير أبو الفرج بن الجوزى

ياساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق

وأعد زادا للرحيل فسوف يحدى بالرفاق

وابك الذنوب بأدمع * تنهل من سحب المآق

يامن اضاع زمانه * ارضيت مايفنى بباق

ووعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم عمه داود بن على وهو على المنبر دون ابى العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين

وكان ابن الجوزى المذكور آية الله فى كثرة التاليف والكتابة والوعظ والحفظ واقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف وربما حضر عنده مائة الف وقال فى آخر عمره على المنبر كتبت باصبعى هاتين ألفى مجلدة وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألف يهودى ونصرانى وأسمع وجه الله تعالى الناس اكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارا وقال الحافظ الذهبى فى حقه الحافظ الكبير الواعظ المفتن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة فى العلوم المتعددة وعظ من صغره وفاق فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه مالا يوصف ورأى من القبول والاحترام مالا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بمائة ألف وحضر مجلسه المستضىء مرارا من وراء الستر انتهى ومن كلامه فى بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد أمله الاوسعى فى تفريقه أجله وعقارب المنايا تلسع الناس وخدران جسم الامل يمنع الاحساس وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى من الستين الى السبعين انما طالت أعمار القدماء لطول البادية فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطى وقال فى الذين عبدوا العجل لوان الله خارلهم ماخار لهم وقال يوما وقد طرب أهل المجلس فهمتم فهمتم وقال فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وغيره مما صورته فهذه أحاديث تجرى مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة فى اخفائها كاللصوص فقال السائل لما قال اقيلونى ماسمعنا مثل جواب على رضى الله عنه والله لا اقلناك فقال لما غاب على عن البيعة فى الاول أخاف مافات بالمدح فى المستقبل ليعلم السامع والرائى أن بيعة أبى بكروان كانت من ورائى فهى رأيى ومثل ذلك الصدر لا برائى وقال فى قول فرعون أليس لى ملك مصر يفتخر بما أجراه ما أجراه وتواجد رجل فى مجلسه فقال عجبا كلنا فى انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ألم الجوى وأنشد

قد كتمت الحب حتى شفنى * واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علالات الكرى * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى أقوام يبكون فى مجلسه ويتواجدون فأنشد

ولولم يهجنى الظاعنون لهاجنى * حمائم ورق فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح لم يقطر لهن دموع
وكيف اطيق العاذلين وذكرهم * يؤرقنى والعاذلون هجوع

وقام رجل وتواجد فأنشد

ومازال يشكو الشوق حتى كانما * تنفس من احشائه وتكلما
ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا مابكى دمعا بكيت له دما

وأعجبه يوما كلامه فأنشد

تزدحم الالفاظ والمعانى * على فؤادى وعلى لسانى
تجرى بى الافكار فى ميدان * ازاحم النجم على مكان

ووعظ المستضىء يوما فقال يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك

عسكر أبى سلمة فنزل فى حجرته واستخلف على الكوفة وارضها عمه داود بن على وبعث بعمه عبد الله بن على الى عون عبد الملك بن يزيد فسارا معا الى مروان فكان من امرهم ماقدمنا ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابى العباس السفاح ما كان من عامر ابن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله فى تلك الليلة فى المعركة وهو لا يعرفه وان عامر الما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التى كان فيها مروان فقعد على فرشه واكل من طعامه فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت اسنهن فقالت ياعامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه حتى اقعدك عليها فاكلت من طعامه واحتويت على امره وحكمت فى مملكته لقادر أن يغير مابك وبلغ السفاح فعله وكلامها فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك اما كان لك فى ادب الله عزوجل مايزجرك عن ان تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتمكن

فانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك ان قول القائل اتق الله خير من قول القائل أنتم أهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصري لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا بلغني عن عامل ظالم انه قد ظلم الرعية ولم أغيره فانا الظالم يا أمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضي الله عنه يصر بطنه عام الرمادة فيقول قر قري ان شئت أولا تقرقري فوالله لا شبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة وأطلق من في السجن وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك أن تشفي غيظك بسقم دينك وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان وقال له قائل ما نمت البارحة من شوقي الى انجلاس فقال نعم لانك تريد أن تتفرج وانما ينبغي أن لا تنام الليلة لاجل ما سمعت فيه وقيل له ان فلانا أوصى عند الموت فقال طين سطوحه في كانون وقال له قائل أسبح ام أستغفر فقال الثياب الوسخة احوج الى الصابون من البخور وسأله سائل ما الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه فقال قوله ليلة المعراج ان كان قال فلقد صدق فله السبق ولما قال له بعضهم سيف علي نزل من السماء فسعفة أبي بكر أين أجابه بقوله ان سعفة هزت يوم الردة فأثمرت سبيا جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من ابن ذا المصطلح وسئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر فقال الميت يقسم ماله و يكفن وأبو بكر اخرج ماله كله وتخلل بالعباء وقال في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا قال علي اني والله لأرجو أن أكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال أبو الفرج اذا اصطلح أهل الحرب فما بال النظارة وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم يكن لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الاباطيل قال أبو شامة وكان ابن الجوزي رحمه الله تعالى مبتلى بالكلام في مثل هذه الاشياء لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسؤالات فيها فكان بصيرا بالخروج منها لحسن اشاراته وانقطع القراء يوما عن مجلسه فانشد

وما الحلي الا زينة لنقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وقيل له لم تعال موسى عليه السلام بسوف تراني فأنشد

ان لم يكن وصل لديك لنا * يشفي الصبابة فليكن وعد

ولما ذكر أن بلالا رضي الله عنه لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد وينظر اليه ويبكي أنشد أمر على منازلهم واني * بمن أضحى بها صب مشوق

وأومي بالتحية من بعيد * كما يومي باصبعه الغريق

ومن شعر أبي الفرج رحمه الله تعالى

من وساده اما والله لولا ان غضبه واليم ادبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا اتاك كتاب امير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة ايام ومر جميع اصحابك ان يصوموا مثل صيامك ولما اتى ابو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت قد قتلت بالحسين و بني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان باخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم
ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فاطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواطع في أيماننا تقطر الدما

تورثن من أشياخ صدق تقربوا * بهن الى يوم الوغى فتقدما

لعبت ومثلك لا يلعب * وقد ذهب الاطيب الاطيب
وقد كنت فى ظلمات الشباب * فلما أضاء انجلى الغيهب
ألا اين اقرانك الراحلون * لقد لاح اذ ذهبوا المذهب

ولنقتصر على هذا المقدار ونرجع الى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى وارتحاله والاعتبار بحاله فنقول ومما يناسب أن نذكره فى هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلديّنا سيدى أبو الفضل ابن الامام التلمسانى رحمه الله تعالى عن جدى الامام قاضى القضاة سيدى أبى عبد الله المقرى التلمسانى رحمه الله تعالى وهو أحد أشياخ لسان الدين كما يأتى ان شاء الله ذلك فى محله قال كنت مع ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب فى جامع البيرة من الاندلس اذ مر بنا الاعتبار فى تلك الآثار فأنشد ابن الخطيب ارتجالا

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام حال * فقد وقف الرجاء على المحال

انتهى

وحكى لسان الدين فى الاحاطة عن نفسه أنه خط هذه الابيات فى مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتى ذلك فى شعره وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا * يتابع اخرانا على الغى أولانا
ونغتر بالآمال والعمر ينقضى * فما كان بالرجعى الى الله أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا * فانقاد للزجر الحثيث ولالانا
جزيناً صنيع الله شر جزائه * فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فيارب عاملنا بما أنت أهله * من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رئى بعد موته فى المنام فقال له الرائى ما فعل الله بك فقال غفر لى ببيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد كرر رحمه الله تعالى هذا المعنى فى قصيدة فى حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم وهو قوله

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وستأتى هذه القصيدة فى نظمه ان شاء الله تعالى وقد رأيت بالمغرب تخميسا للبيتين الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى المكناسى رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورده هنا وهو قوله رحمه الله تعالى

يا سائلا عن خير العالم * ينهى اليه مقام صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

وقالت الشعراء فى أمر مروان فأكثرت (وذكر) أبو الخطاب عن أبى جعدة ابن هبيرة المخزومى وكان احد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر امر ابى العباس انضاف الى جملته وصار فى عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم أنه كان فى ذلك اليوم حاضرا لمجلس ابى العباس ورأس مروان بين يديه وهو يومئذ بالحيرة وأن أبا العباس التفت الى أصحابه فقال أيكم يعرف هذا قال أبو جعدة فقلت أنا أعرفه هذا رأس أبى عبد الملك مروان ابن محمد خليفتنا بالامس رضى الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فاخذتنى بابصارها فقال لى أبو العباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا على وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وأنا نادم على ما كان منى وتكلم الناس فى ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم أبدا فاتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان ابو العباس قد اهتم بامر بعث فيه ليلا

بثنائك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبي ومعظما ومكرما * أتروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاق

وما أحسن قول لسان الدين رحمه الله تعالى بعدما عرّف بنفسه وسلفه وكأن بالحى ممن ذكر قد الحق بالميت وبالقبر قد استبدل بالبيت وقال رحمه الله تعالى بعد ايراد جملة من نظمه ما صورته وقلت والبقاء لله وحده وبه يختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت
كيف ترجى حالة البقيا لمصباح وزيت

وسيأتى ذلك ولقد صدق رحمه الله تعالى ورقى درجته فى الجنة وأما البيتان الشائعان على ألسنة أهل المشرق والمغرب وانهما قيلا فى لسان الدين رحمه الله تعالى وبعضهم ينسبهما له نفسه فالصحيح خلاف ذلك كما سيأتى وهما

قف كى ترى مغرب شمس الضحى * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها * كان امام العصر فى المغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلا بها من باب الاستخدام أى قتيلا بشمس الضحى التى هى المتغزل فيها وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوى أنه ما لم يعن بهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب وانما هما مقولان فى غيره ونسبهما ونسيت الآن ذلك لطول العهد والله أعلم ويدل على ذلك أنه رحمه الله تعالى لم يقتل بين صلاة العصر والمغرب وانما قتل فى جوف الليل كما علم فى محله على أنه يمكن بتكلف تأويل ذلك بانه قامت لقائلهما قرينة على أنه بصدد الموت فى ذلك الوقت وهذا لو ثبت أنهما قيلا فيه وقد علمت أن الاغصاوى نفى ذلك فالله أعلم بحقيقة الامر فى ذلك ثم رأيت فى كتاب اسمعيل بن الاحمر فى ترجمة بعض العلماء ما نصه فمن قوله يرثى الامراء بالمغرب وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب

قف كى ترى مغرب شمس العلا * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينا به * كان مليك العصر فى المغرب

وهذا مما يبعد أنهما فى لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل منها قوله كان مليك العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم آنفا كان امام العصر فى المغرب وهو أحسن لما فيه من التورية البديعة والله أعلم (رجع) الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقد عرض عدوه الرئيس ابن زمرك فى بعض قصائده التى مدح بها سلطانه الغنى بالله أبا عبد الله بن نصر بما تسنى له من الظفر بابن الخطيب ومن حماه منه وهو الوزير ابن الكاسى على يد من عينه لملك المغرب وأعانه بجنده وعضده كما تقدم وهو السلطان أحمد المرينى فقال من قصيدة عيدية

يهنى زمانك أعياد مجددة * من الفتوح مع الايام تغشاه
غضبت للدين والدنيا بحقهما * يا حبذا غضب فى الله أرضاه
فوّقت للغرب سهما راشه قدر * وسدد الله للاعداء مرماه

سهم

فلم ازل ساهرا حتى اصبحت فلما اصبحت ركبت بغلتى واستعرضت بقلبى الى من اقصد فى امرى فلم اجد احدا اولى من سليمان بن خالد مولى بنى زهرة وكان له من ابى العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فاتيته فقلت أذكرنى امير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن اختنا وفى لصاحبه ونحن ان اوليناه خيرا كان لنا اشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم ازل آتى أبا العباس على ما كنت عليه لا ارى الا خيرا ونمى الكلام الذى كان فى مجلس ابى العباس حين اتى براس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن على فكتب عبد الله بن على الى ابى العباس يعلمه بما بلغه من كلامى وانه ليس هذا يحتمل وكتب ابو جعفر يخبر بما بلغه من ذلك ويقول هو ابن اختنا ونحن اولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده وبلغنى ما كان منهما فامسكت وضرب الدهر ضرباته فبينا انا ذات يوم عند ابى العباس بعد حين وقد تزايدت حالى عنده واحظانى فنهض الناس ونهضت فقال لى ابو العباس يا ابن هبيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت لقيامه فقال اجلس فرفع

سهم أصاب ورامية بذي سلم * لقد رمى الغرض الاقصى فاصماه
من كان بندك يامولاي يقدمه * فليس يخلفه فتح ترجاه
من كان جندك جند الله ينصره * أنا له الله مايرجو وسناه
ملكت غربا به خلدت من ملك * للغرب والشرق منه ما تمناه
وسام أعداءك الاشقين ما كسبوا * ومن تردى رداء الغدر أرداه
قل للذى رمدت جهلا بصيرته * فلم ترالشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت * له المراشد أعشاه وأعماه
هل عنده وذنوب الغدر توبقه * أن الذى قد كساه العز أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم * مازلت ملجأه الاحمى ومنجاه
سل السعود وخل البيض معمدة * فالسيف مهما مضى فالسعد أقصاه
واشرع من البرق نصلا راع مصلته * وارفع من الصبح بندا راق مجلاه
فالعدوتان لنا قد ضم ملكهما * انصار ملكك صان الله علياه
لاأوحش الله قطرا أنت مالكه * وآنس الله بالالطاف مغناه
لاأظلم الله أفقا أنت نيره * لاأهمل الله سرحا أنت ترعاه
واهنأ بشهر صيام جاء زائره * مستنزلا من اله العرش رحماه
أهل بالسعد فانهلت به منن * وأوسع الصنع اجمالا وفاه
أماترى بركات الارض شاملة * وأنعم الله قد عمت براياه
وعادك العيد تستحلى موارده * ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
جهزت جيش دعاء فيه ترفعه * لذى المعارج والاخلاص رقاه
أفضت فيه من النعماء أجزلها * وأشرف البر بالاحسان زكاه
واليت للخلق ما أوليت من نعم * والى لك الله ما أولى ووالاه

وأول هذه القصيدة

هذى العوالم لفظ أنت معناه * كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جارية * وباسمك الله مجراه ومرساه
من نور وجهك ضاء الكون أجمعه * حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش وأملاك مسخرة * وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من أوجد الاشياء من عدم * وأوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له * من أين أطلعت الانوار لولاه
مولاى مولاى بحر الجود أغرقنى * والخلق أجمع فى ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجرى كما الافلاك جارية * بحر السماء وبحر الارض أشباه
وكلهم نعم للخلق جارية * تبارك الله لاتحصى عطاياه
يافاتق الرتق من هذا الوجود كما * فى سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لى كما كنت لى اذ كنت لاعمل * أرجو ولا ذنب قد أذنبت أخشاه

الستر ودخل وثبت فى مجلسى فاقام مليا ثم رفع الستر فخرج فى ثوبى وشى رداء وجبة فما رأيت أحسن منه ولا أجمل عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة انى ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله ابن على عمى هو الذى قتله لان ذلك كان بجيشه وباصحابه وأخى أبو جعفر مع فضله وعلمه وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فاطال فى مديح أبى جعفر فقلت أصلح الله الامير لاأشير عليك ولكنى احدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز بنعى سليمان ومصير الامر اليه فبعث الى فدخلت عليه فرمى بالكتاب الى فقرأته ثم اندفع يبكى فقلت أصلح الله الامير لاتبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثى قال لى أبو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لى يا ابن هبيرة فالتفت راجعا فقال لى أمض أما انك قد كافأت

وأنت فى حضرات القدس تنقلنى * حتى استقر بهذا الكون مثواه
ما أقبح العبد أن ينسى وتذكره * وأنت باللطف والاحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به * فمن افادوجودى كيف أنساه
منى على حجاب لست أرفعه * الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد على بماء قد تدت من كرم * فأنت أكرم من امات رحماه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة * على الذى باسمه فى الذكر سماه
المجتبى وزناد النور ماقدحت * ولاذكا من نسيم الروض مسراه
والمصطفى وكمام الكون ما فتقت * عن زهر زهر يروق العين مرآه
ولا تفجر نهر للنهار على * در الدرارى فغطاه وأخفاه
يا فاتح الرسل أو يا ختمها شرفا * والله قدس فى الحالين معناه
لم ادخر غير حب فيك أرفعه * وسيلة لكريم يوم ألقاه
صلى عليك اله أنت صفوته * ماطيبت بلذيذ الذكر أفواه
وعم بالروح والريحان صحبته * وجاههم من غير العفو أصفاه
وخص أنصاره الاعلين صفوته * وأسكنوا من جوار الله اعلاه
أنصار ملته أعلام بيعته * مناقب شرفت أثنى بها الله
وأيد الله من أحيا جهادهم * وواصل الفخر أخراه بأولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره * ما بين نصر وأنصار تهاداه
العلم والحلم والافضال شيمته * والبأس والجود بعض من سجاياه

وهى طويلة ولنقتصر منها على ماذكر وقد صرح ابن زمرك المذكور فى قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغنى بالله وهنأه بفتح المغرب على يد السلطان أحمد وذكر فيها ظفره بالوزير ابن الكاس وهو اعنى ابن الكاس كان القائم بنصرة لسان الدين والمانع له والمجير له منهم حين طلبوه منه فلما لم يخفر ذمته تمكنت كما سبق أسباب العداوة وجر ذلك أن اغرى للسلطان أحمد على تملك فاس واشترطوا عليه كما مر القبض على لسان الدين وارساله اليهم وقد نقلت هذه القصيدة من تأليف لحفيد السلطان الغنى بالله ونص محل الحاجة منه ومن ذلك أيضا قوله يعنى ابن زمرك هناء لمولانا الجد رحمه الله تعالى بالفتح المغربى للسلطان أبى العباس ابن السلطان ابى سالم المرينى

هى نفحة هبت من الانصار * اهدتك فتح ممالك الامصار
فى بشرها وبشارة الدنيا بها * مستمتع الاسماع والابصار
هبت على قطر الجهاد فروضت * ارجاءه بالنفحة المعطار
وسرت وامر الله طى برودها * يهدى البرية صنع لطف البارى
مرت بأدواح المنابر فانبرت * خطباؤها مفتنة الاطيار
حنت معارجها الى اعشارها * لما سمعن بها حنين عشار
لو أنصفتك لكللت أدواحها * تلك البشائر يانع الازهار

هذا وأدركت بثارك من هذا قال فما ادرى من اى الامرين أعجب أمن فطنته ام من ذكره لما كان وابو جعدة ابن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة ام هانئ بنت ابى طالب وعلى وجعفر وعقيل اخواله وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ووجدت فى أخبار المدائنى عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن على يساير اخاه داود بن على ومعهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تأمر ابنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يأن لهما بعد فالتفت اليه عبد الله بن على فقال كأنك تحسب ان ابنيك هما قاتلا مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل

سيكفيك المقالة مستميت * خفيف اللحم من اولاد حام

انا والله قاتله وقيل لعبد الله ابن على ان عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز يزيد كرانه قرأ فى بعض الكتب عين ابن عين ابن عين وقد امل ان يكون هو فقال عبد الله ابن على انا والله ذلك ولى عليه فضل ثلاثة اعين انا عبد الله بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ابن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف فلما اضاف مروان عبد الله بن على اقبل مروان على رجل الى جنبه فقال

فتح

فتح الفتوح اتاك فى حلل الرضا * بعجائب الازمان والاعصار
فتح الفتوح جنيت من أفنانه * ماشئت من نصر ومن انصار
كم آية لك فى السعود جلية * خلدت منها عبرة استبصار
كم حكمة لك فى النفوس خفية * خفيت مداركها عن الافكار
كم من امير أم بابك فانثنى * يدعى الخليفة دعوة الا كبار
اعطيت احمد راية منصورة * بركاتها تروى عن الانصار
اركبته فى المنشآت كأنما * جهزته فى وجهة لمزار
من كل خافقة الشراع مصفق * منها الجناح تطير كل مطار
القت بايدى الريح فضل عنانها * فتكاد تسبق لمحة الابصار
مثل الجياد تدافعت وتسابقت * من طافح الامواج فى مضمار
لله منها فى المجاز سوابح * وقفت عليك الفخر وهى جوارى
لما قصدت بها مراسى سبتة * عطفت على الاسوار عطف سوار
لما رأت من صبح عزمك غرة * محفوفة بأشعة الانوار
ورأت جبينا دونه شمس الضحى * لبتك بالاجلال والا كبار
فأفضت فيها من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
وأريت أهل الغرب عزم مغرب * قد ساعدته غرائب الاقدار
وخطبت من فاس الجديد عقيلة * لبتك طوع تسرع وبدار
ما صدقوا متن الحديث بفتحها * حتى رأوه فى متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها * والخبر قد يغنى عن الاخبار
قولوا لقرد فى الوزارة غره * حلم منتت به على مقدار
أسكنته من فاس جنة ملكها * متنعما منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى * بحقوقها ألحقته بالنار
جرعت نجل الكاس كاس مرة * دست اليه الحتف فى الاسكار
كفر الذى أوليته من نعمة * لا تأنس النعماء بالكفار
فطرحته طرح النواة فلم يفز * من عز مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذى * أعطى الاله خليفة الانصار
لم أدر والايام ذات عجائب * تردادها يحلو على التذكار
ألواء صبح فى ثنية مشرق * أم راية فى جحفل جرار
وشهاب أفق أم سنان لامع * ينقض نجما فى سماء غبار
ومناقب المولى الامام محمد * قد أشرقت أم هن زهر درارى
فاق الملوك بهمة علوية * من دونها نجم السماء السارى
لو صافح الكف الخضيب بكفه * نفخرت بنهر للمجرة جارى
والشهب تطمع فى مطالع أفقها * لو أحرزت منه منيع جوار

من الرجل الذى كان يخاصم عندك عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الاقنى الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال قال انه لهو قلت نعم قال من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت اجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك انى ظننت ان الذى يحاربنى من ولد ابى طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله اتدرى لم صيرت الامر بعدى لابنى عبيد الله بن عبد الله ومحمد اكبر من عبيد الله لانا خبرنا أن الامر صائر بعدى الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن على فى خفية ان الامر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله فى الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا فى دمك والحق علينا فى حرمك وذكر مصعب الزبيرى قال كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله ابن الوليد بن المغيرة المخزومى عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبينا هى ذات يوم اذ مر بها أبو العباس السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه

ملاق لا مال عندى فدفعت اليه المال فانعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج فزوجه اياها فاصدقها خمسمائة دينار وأهدى مائتى دينار ودخل عليها من ليلته واذا هى على منصة فصعد عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا ور يطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمرا الا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النساء غيرها الا الى حرة ولا الى أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فلما كان ذات يوم فى خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك

سل بالمشارق صبحها عن وجهه * يفتر منه عن جبين نهار
سل بالغمائم صوبها عن كفه * تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبر وق صفاحها عن عزمه * تخبرك عن أمضى شبا وغرار
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما * أمضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه * فسح القبول له خطا الاعمار
يا من اذا هبت نواسم حمده * أزرت بعرف الروضة المعطار
يا من اذا افترت مباسم بشره * وهب النفوس وعاث فى الاقتار
يا من اذا طلعت شموس سعوده * تعشى أشعتها قوى الابصار
قسما بوجهك فى الضياء فانه * شمس تمد الشمس بالانوار
قسما بعزمك فى المضاء فانه * سيف تجرده يد الأقدار
لسماح كفك كلما استوهبته * يزرى بغيث الديمة المدرار
لله حضرتك العلية لم تزل * يلقى الغريب بها عصا التسيار
كم من طريد نازح قذفت به * أيدى النوى فى القفر رهن سفار
بلغته ما شاء من آماله * فسلا عن الاوطان بالاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره * متعت بالحسنى وعقبى الدار
والخلق تعلم أنك الغوث الذى * يضفى عليها وافى الاستار
كم دعوة لك فى المحول مجابة * أغرت جفون المزن باستعبار
جادت مجارى الدمع من قطر الندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار
فاعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
يا من مآثره وفضل جهاده * تحدى القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حاميا لذمار
فلرب بكر للفتوح خطبتها * بالمشرفية والقنا الخطار
وعقيلة للكفر لما رعتها * أخرست من ناقوسها المهذار
اذهبت من صفح الوجود كيانها * ومحوتها الا من التذكار
عمروا بها جنات عدن زخرفت * ثم انثنوا عنها ديار بوار
صبحت منها روضة مطلولة * فأعدتها للعين موقد نار
واسود وجه الكفر من خزى متى * ما احمر وجه الابيض البتار
ولرب روض للغنى متأود * ناب الصهيل به عن الاطيار
مهما حكت زهر الاسنة زهره * حكت السيوف معاطف الانهار
متوقد لهب الحديد بجوه * تصلى به الاعداء لفح اوار
فبكل ملتفت صقال مشهر * قدح زند للعفيظة وارى
فى كف أروع فوق نهد سابح * متموج الاعطاف فى الاحضار
من كل مخفر بلمعة بارق * حمل السلاح به على طيار

امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى ومعرفة من

من أشهب كالصبح يطلع غرة * في مستهل العسكر الجرار
أو أدهم كالليل الا أنه * لم يرض بالجوزاء حلى عذار
أو أحمر كالجمر يذكي شعلة * وقد ارتمى من بأسه بشرار
أو أشقر حلى الجمال أديمه * وكساه من زهو جلال نضار
أو أشعل راق العيون كأنه * غلس يخالط سدفة بنهار
شهب وشقر في الطراد كأنها * روض تفتح عن شقيق بهار
عودتها ان ليس تقرب منهلا * حتى يخالط بالدم المـوار
يا أيها الملك الذي أيامه * غرر تلوح بأوجه الاعصار
يهنى لواءك أن جدك زاحف * بلواء خير الخلق للكفار
لا غرو أن فقت الملوك سيادة * اذ كان جدك سيد الانصار
السابقون الاولون الى الهدى * والمصطفون لنصرة المختار
متهللون اذا النزيل عراهم * سفروا له عن أوجه الاقمار
من كل وضاح الجبين اذا احتبى * تلقاه معصوبا بتاج فخار
قد لاث صبحا فوق بدر بعدما * لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسأل ببدر عن مواقف بأسهم * فهم تلافوا أمره ببدار
لهم العوالي عن معالي فخرها * نقل الرواة عوالي الاخبار
واذا كتاب الله يتلو حمدهم * أودى القصور بمنة الاشعار
يا ابن الذين اذا تذوكر فخرهم * فخروا بطيب ارومة ونجار
حقا لقد أوضحت من آثارهم * لما أخذت لدينهم بالثار
اصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
يا صادرا في الفتح عن ورد المنى * ردناجع الايراد والاصدار
واهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا * جذلان يرفل في حلى استبشار
واليكها ملء العيون وسامة * حييتك بالابكار من أفكاري
تجرى حداة العيس طيب حديثها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أبلهم * منه نسيم ثنائك المعطار
وتميل من اصغى لها فكانني * عاطيته منها كؤوس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرا * لما وصفت انا ملا بحار
لا زلت للاسلام سترا كلما * أم الحجيج البيت ذا الاستار
وبقيت يا بدر الهدى تجرى بما * شاءت علاك سوابق الاقدار انتهت

ولابن زمرك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم الذي قتل ابن الخطيب في دولته وكان سلطان الاندلس موئلا للسلطان أحمد المذكور ولذلك امتعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الاحمدية

والعتيقة الادماء والدقيقة السمراء والبربرية الحمراء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدي المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك يا خالد ما صك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فاعد على كلامك فقد وقع مني موقعا فاعاد عليه خالد أحسن مما ابتداه ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت اني لانكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت له قال لم يكن من ذلك شيء قالت فما قصتك فجعل ينبوي

المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هب النسيم على الرياض مع السحر * فاستيقظت فى الدوح أجفان الزهر
ورمى القضيب دراهما من نوره * فاعتاض من طل الغمام بها درر
نثر الازاهر بعدما نظم الندى * ياحسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو أزهر باسم * شمسا تحل من الزجاجة فى قمر
ان شجها بالماء كف مديرها * ترميه من شهب الحباب بها شرر
نارية نورية من ضوئها * قدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة * قد أرعشت فى الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها * اذ كان يدخر كنزها فيما دخر
كانت مذاب التبر فيما قد مضى * فاحالها ذوب اللجين لمن نظر
جدد بها عرس الصبوح فانها * بكر تحييها الكرام مع البكر
وابلل بها رمق الاصيل عشية * والشمس من وعد الغروب على خطر
محمرة مصفرة قد أظهرت * خجل المريب يشوبه وجل الحذر
من كف شفاف تجسد نوره * من جوهر لألاء بهجته بهر
تهوى البدور كماله وتود أن * لو أوتيت منه المحاسن والغرر
قد خط نور عذاره فى خده * قلمان من آس هناك ومن شعر
والى عليك بها الكؤوس وربما * يسقيك من كاس الفتور اذا فتر
سكر الندامى من يديه ولحظه * متعاقب مهما سقى واذا نظر
حيث الهديل مع الهدير تناغيا * فالطير تشدو فى الغصون بلا وتر
والقضب مالت للعناق كانها * وفد الاحبة قادمين من السفر
متلاعبات فى الحلى ينوب فى * وجناتهن الورد حسنا عن خفر
والنرجس المطلول يرنو نحوها * بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد * درع الغدير مصفقا فيه صدر
يجرى على الحصباء وهى جواهر * متكسرا من فوقها مهما عثر
هل هذه أم روضة البشرى التى * فيها لارباب البصائر معتبر
لم أدر من شغف بها وبهذه * من منهما فتن القلوب ومن سحر
جاءت بها الاجفان ملء ضلوعها * ملء الخواطر والمسامع والبصر
ومسافر فى البحر ملء عنانه * وافى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه * جمل يساق الى القياد وقد نفر
وأراه دين الله عزة أهله * بك يا أعف القادرين اذا قدر
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * للناس سر فى اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته * فشفيت منه بالبدار وبالبدر
ماذا عسى يصف البليغ خليفة * والله ما أيامه الا غرر

عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من الجارية ومعهم الكافركوبات وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلى وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتينى فلم ألبث حتى صار الى أولئك الجارية وأنا قاعد على باب دارى فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا على فسألوا عنى فقلت ها أناذا خالد فسبق الى أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الى وثبت فدخلت منزلى وأغلقت الباب على واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلى ووقع فى خلدى أنى أتيت من قبل أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فركبت وليس على لحم ولا دم فلم أصل الى الدار فأوما الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين وو ثبت

ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى * من كل من آوى النبى ومن نصر
من شاء يعرف فخرهم وكمالهم * فليتل وحى الله فيهم والسير
أبناؤهم ابناء نصر بعدهم * بسيوفهم دين الاله قد انتصر
مولاى سعدك والصباح تشابها * وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الغرب عبد آبق * لم يلف غيرك فى الشدائد من وزر
كفر الذى أوليته من نعمة * والله قد حتم العذاب لمن كفر
ان لم يمت بالسيف مات بغيظه * وصلى سعير التأسف والفكر
ركب الفرار مطية ينجو بها * فجرت به حتى استقر على سقر
وكذا أبوه وكان منه حمامه * قد حم وهو من الحياة على غرر
بلغته والله أكبر شاهد * ماشاء من وطن يعز ومن وطر
حتى اذا جد الذى أوليته * لم تبق منه الحادثات ولم تذر
فى حاله والله أعظم عبرة * لله عبد فى القضاء قد اعتبر
فاصبر تنل أمثالها فى مثله * ان العواقب فى الامور لمن صبر
وحيث شئت مسوغا ورد المنى * فالله حسبك فى الورود وفى الصدر
لا زلت محروسا بعين كلاءة * ما دام عين الشمس تعشى من نظر

ومنها وقد أضاف اليه من التغزل طوع بداره وجة اقتداره فقال

والعود فى كف النديم بسرما * تلقى لنا منه الانامل قد جهر
غنى عليه الطير وهو بدوحه * والآن غنى فوقه ظبى أغر
عود ثوى حجر القضيب رعى له * أيام كانا فى الرياض مع الشجر
لا سيما لما رأى من ثغره * زهرا وأين الزهر من ملك الدرر
ويظن ان عذاره من آسه * ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبى القلوب بلفظه وبلحظه * وافتنى بين التكلم والنظر
قد قيدته لانسنا أوتاره * كالظبى قيد فى الكناس اذا نفر
لم يبل قلبى قبل سمع غنائه * بعذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه أوتاره * حتى كأن قلوبنا بين الوتر
غنت لنا ألحانه بجميع ما * قد أودعت فيه القلوب من الفكر
باصامتا والعود تحت بنانه * يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
أغنى غناؤك عن مدامك ياترى * هل من لحاظك أم بنانك ذا السكر
باحت أناملك اللذان بكل ما * كان المتيم فى هواه قد ستر
ومقاتل ماسل غير لحاظه * والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة * والسيف يملك ربه مهما قهر انتهى

وسنلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا فى باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من أحواله وكيفية قتله مع أولاده وخدمه بمرأى ومسمع من أهله فكان الجزاء من جنس

مسامعى قط كلام أحسن منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين اعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وان أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان فى جهد فقال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كاثافى القدر يغلى عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبنى قال وتريد أن تقتلنى يا أمير المؤمنين قال مر فى حديثك قال وأخبرتك أن ابكار الجوارى رجال ولكن لاخصى لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا ان بنى مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لى من وراء الستر

العمل وخاب منه الامل اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق على يد مختلس في السجن فاسق وأما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفي واظهارا وقتل من معه من وجد من خدمه وأبناه وابعده الدهر وطالما أدناه وهكذا الحال في خدام الدول وذوي الملك أنهم أقرب شئ من الهلاك ويرحم الله من قال اياك وخدمة الملوك فانهم يستقلون في العقاب ضرب الرقاب ويستكثرون في الثواب رد الجواب انتهى (رجع الى ما كنا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب) وكان رحمه الله تعالى قبيل موته لما توفي السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني بتلمسان وتغلب على الامر الوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس مبايعا الابن صغير السن من أولاد السلطان عبد العزيز ألف كتابه المسمى باعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذي أبى أن يخفر عهده وذمته وامتنع أن يمكن منه أهل الاندلس فاكثروا القالة في الوزير بسبب مبايعته للصبي وبنوا ظاهر الامر على أن ذلك لا يجوز بالشرع وأبدؤا وأعادوا في ذلك وأسروا من كامن أمرهم حسوا في ارتغاء ومن جملة كلام لسان الدين بن الخطيب في ذلك الكتاب قوله في نفس أهل الاندلس بانكار بيعة صبي صغير أو نيابة صاحب او وزير فقد عموا وصموا وخطروا بربع الانصاف فأعرضوا وما ألموا وبما سنوه لغيرهم ذموا انتهى (وكان) رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه اليه المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية يذكر فيه نباهة سلفه وما لهم من المجد وقصده الرد على أهل الاندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين في نخر سلفه ثم ألف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر الحط منه والسعي في هلاكه كما مر وقال في حق هذا الكتاب انه لا شئ فوقه في الظرف والاستطراف يسلي الثكالى ونستغفر الله تعالى انتهى ومع هذا كله لما أنشبت المنية أظفارها لم تنفعه مما كتب تميمه ونال ما أمله فيه أهل السعاية والنميمه وسجلوا عليه المقالات الذميمه وقد صار الجميع الى حكم عدل قادر يحيي من العظم رميمه وينصف المظلوم من الظالم ويجازي الجاهل والعالم ويساوي بين المأمور والآمر والشريف والمشروف والعزيز والحقير والمنكر والمعروف وعفوه سبحانه مؤمل بعد وهو لا يخلف الوعد ومن سبقت له العنايه لم تضره الجنايه وقد كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى محببا في العفو حتى انه كان اذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لاتباعهم تشمئز نفسه من ذلك ويقول ما معناه ما ضرهم لو عفوا ورأيت له رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله.

سجاياك ان عافيت اندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت أولى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أن ذنبي ثابت ومصحح
وان رجائي أن عندك غير ما * يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك فقال له أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل أم سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلي ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروى نقصا فقال له الهذلي لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه أبو نخيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك أفتأذن لي في انشادك فقال له لعنك الله ألست القائل في مسلمة ابن عبد الملك بن مروان

أمسلم اني يا ابن كل خليفة * ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى * وما كل من أوليته نعمة يقضي

أقلني

أقلنى بما بينى وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتمى * ولكن حلما للمؤيد يرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستشفع لو أن الحمام يجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى * الى فيدنو أو على فينزح
ويهنيه ان مت السلو فاننى * أموت ولى شوق اليه مبرح

مانصه ولابن عمار كلمات شهيرة تعالج براهمها جراح القلوب وتعفى على هضبات الذنوب لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب والاجل المحسوب الى ان قال وما كان أجمل بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لايؤمل الحصول على أمره ولا يحذر تعصب قبيله ولا يزيده العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهمة وذكرا جميلا وأجرا جزيلا فلا شئ أمحى للسيئة من الحسنة ولا أقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعنتهم بالمكرمات وباللها * فى حيث لوطعن القنا لتكسرا انتهى

وقد تذكرت هنا قول الاديب ابى عبدالله محمد بن أحمد التجانى رحمه الله تعالى ورضى عنه

أتعجب ان حطت يد الدهر فاضلا * عن الرتبة العليا فاصبح تحتها
أما هذه الاشجار تحمل أكلها * وتسقطه منه كل ماطاب وانتهى

(وحكى غير واحد من مؤرخى الاندلس) ان الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر بن عطية القضاعى لما تغير له عبد المؤمن وتذكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة قال ما كان المعتمد الا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى ولنلم بذلك فنقول كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية وهو ممن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة وعن ابنيه تاشفين واسحق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على وأسند اليه وزارته فنهض باعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعى والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة مبخت المحاولات ناجح المساعى سعيد المآخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة وفى أيام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعى به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان أبيات منها

قل للامام أطال الله مدته * قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهمو * وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم * فربما عاق عن أمر عوائقه

قال فانا يا أمير المؤمنين الذى أقول
لما رأينا استمسكت يداكا
كنا أناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا
من كل شئ ماخلا الاشراكا
فكلما قد قلت فى سواكا
زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها أباكا
ثم انتظرنا بعدها أخاكا
ثم انتظرناك لها ابا كا
فكنت أنت للرجاء ذاكا
قال فرضى عنه ووصله وأجازه (وكان) أبو العباس اذا حضر طعامه أبسط مايكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندى اذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله فقال له يوما ياابراهيم مادعاك الى أن تشغلنى عن طعامى بحوائجك قال يدعونى الى ذلك التماس النجح لما أسأل قال أبو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما فى الآخر شيئا ولم يقبله وان كان القائل عدلا فى شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحت الافعى التى اذا

هم العدو ومن والاهم لهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم * والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة في معناها وغرضها وغر صدره على وزيره أبي جعفر وأسر له في نفسه تغيرا فكان من أقوى أسباب نكبته وقيل افضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبي جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد في اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على ما يعلمون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه ابو عقيل عطية وتوجه في اثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي محمد ابن تومرت فاستصحبهما بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب لم تجد شيأ مع نفوذ قدر الله تعالى فيه ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما حاذى تاقرت انفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك فضيا لسبيلهما رحمهما الله تعالى ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تغالى فيه فغالته المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالوهية ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبياء على غيرهم وعصمتهم قوله سامحه الله تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة حتى سخرت بمن في الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك لنوح و بريت لقدار عود نبلا وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وافتريت على العذراء البتول فقذفتها وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوه وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوه وذممت كل قرشي وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي وقلت ان بيعة السقيفه لا توجب امامة الخليفة وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبه وقلت تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ثم أتيت حضرة المعلوم لائذا وبقبر الامام المهدي عائذا لقد آن لمقالتي أن تسمع وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع مع أني مقترف وبالذنب معترف

فعفو أمير المؤمنين فن لنا * برد قلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له صغير آخره

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج * وعطفة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض * ورحمة منكم أوقى من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه * بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن

تمكنت لم تبق (وكان) في قد ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب في سيرة أردشير بن بابك وأيامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فاعد هذا الصوت (وكان) لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلا ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل ملك من الملوك التي للفرس وهو بهرام جور (وحضره) أبو بكر الهذلي ذات يوم والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث لانوشروان في بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت يا أبا بكر لم أر كاليوم أماراعك ماراعنا ولا أحسست بما ورد علينا فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عز وجل اذا فالثوب

فالثوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف ينهض بعد الركض فى سنن

أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون منّ عليهم لا ولا ثمن

ونحن من بعض من أحييت مكارمكم * كلتا الحياتين من نفس ومن بدن

وصبية كفراخ الورق من صغر * لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن

قد أوجدتهم أياد منك سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ومما كتب به من السجن

أنوح على نفسى أم انتظر الصفحا * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى

فها أنا فى ليل من السخط حائر * ولا أهتدى حتى أرى للرضا صبحا

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية فلما أسمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه وكان لابى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية ومن نظمه فى رجل تعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ملها

لا تلمه أن مل من حبها * فلم يكن ذلك من ود

لما رآها قد صفا مالها * قال صفا الوجه مع الوجد

وكان أبو جعفر بن عطية من أبلغ أهل زمانه وقد حكى انه مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن

* قدّت فؤادى من الشباك اذ نظرت *

فقال الوزير ابن عطية مجيزاله * حوراء ترنو الى العشاق بالمقل *

فقال عبد المؤمن * كأنما لحظها فى طلب عاشقها *

فقال ابن عطية * سيف المؤيد عبد المؤمن بن على *

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية

(ومن فصول رسالته) التى كتب بها عن أبى حفص وهى التى أورثته الرتبة العلية السنيه والوزارة الموحدية المؤمنيه قوله كتابنا هذا من وادى ماسه بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الانوار اشراقا وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه للامانى النائمة جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أشتات الطلب والارب وتقلب فى النعم أكرم منقلب وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض فى أثوابها القشب

وتقدمت بشارتنا به جمله حين لم تعط الحال بشرحه مهله كان أولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما واقتطعوا الكفر معنى واسما وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقى قد استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى القلوب بهولاته ونصب له الشيطان من حبالاته فأتته المخاطبات من بعد وكثب ونسلت اليه الرسل من كل حدب

انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبي أو خليفة وهذه كرامة خصصت بها قال الهادى وشغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها الا بما يلزمنى فى نفسى لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لأرفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه العقاب وقد قدمنا فيما أسلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبى فى فضل الانصات للملوك وقد حكى عن عبد الله ابن عباس المتوفى انه قال لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكى) عن روح بن زنباع الخزاعى أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من اذنه فأمكن اذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعقب الرجل عندى اذا كان يصغى الى حديثى ولا يقدح ما قيل فيه فى قلبى لما تقدم له من حسن الاستماع عندى (وقد حكى) عن معاوية انه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) فى سير الملوك من الاعاجم ان شيرويه بن ابرويز بينا هو فى متنزهاته بارض العراق وكان لا يسايره

واعتقدته الخواطر أعجب عجب وكان الذى قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء الليالى والايام لبسوا الناموس أثوابا وتدرعوا الرياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا *(ومنها) فى ذكر صاحبهم المساسى المدعى للهداية فصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه وقد كان يدعى أنه بشر بأن المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه ويقول فى سواه قولا كثيرا ويختلق على الله تعالى افكا وزورا فلما رأوا هيئة اضطجاعه ومأخذ الاسنة فى أعضائه وأضلاعه ونفذ فيه من أمر الله تعالى مالم يقدروا على استرجاعه هزم من كان لهم من الاحزاب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم وآذنت الآجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعاين منهم الامن خر صريعا وسقى الارض نجيعا ولقى من أمر الهنديات فظيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى فى الوادى ممن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ويسبح طامعا فى الخروج الى ما ينجيه اختطفته الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذعافا ومن لج فى الترامى على لججه ورام البقاء فى ثبجه قضى عليه شرقه وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا حتى انبسطت مراقة الدماء على صفحات الماء وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء وجرت العبرة للمعتبر فى جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة) فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعالى وسامحه وقصة لسان الدين تشبه قصته وكلاهما تذاق من الذل بعد العز غصته وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته بعد أن اقتعد ذروة الامر ومنصته رحم الله تعالى الجميع انه مجيب سميع

(الباب الثالث)

فى ذكر مشايخه الجله هداة الناس ونجوم المله وما يتعلق بذلك من الاخبار الشافية من العله والمواعظ المنجية من الاهواء المضله والمناسبات الواضحة البراهين والادله

أقول لاخفاء ان الشيخ لسان الدين رحمه الله تعالى أخذ عن جماعة من أهل العدوة والاندلس عدة فنون وحدث عنهم بما يصدق الاقوال ويحقق الظنون فمن أشياخه رحمه الله تعالى الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير رئيس العلوم اللسانية بالاندلس قاضى الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى السبتى رحمه الله تعالى كان هذا الشريف آية الله الباهرة فى العربية والبيان والادب ويكفيه فضلا أنه شرح الخزرجية وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه من غير ان يسبقه احد الى استخراج كنوزها وايضاح رموزها وشرح مقصورة أديب المغرب الامام أبى الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الاندلسى التى مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمدا الحفصى وسمى هذا الشرح برفع الحجب

أحد من الناس مبتدئا وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم فان التفت يمينا دنا منه صاحب الجيش وان التفت شمالا دنا منه الموبذان فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شداد بن جرعة فاحضر فسايره فقال له شيرويه أذكرت فى حديث حدثنا به اردشير ابن بابك حين واقع ملك الخزر فحدثنى به ان كنت تحفظه وكان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقعها بملك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فاصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى اليمين فوقع فى الماء ونفرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فمالوها عن الرجل وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدى فى موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال ايها الملك ان الله اذا

المستوره عن محاسن المقصوره وهذا الشرح فى مجلدين كبيرين وفيه من الفوائد مالا مزيد عليه رأيته بالمغرب واستفدت منه كثيرا ومن فوائد الشريف المذكور انه قال فيما جاء من الحديث فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل بهما وأدبر ان أحسن الوجوه فى تأويله ان يكون قدم الاقبال تفاؤلا ثم فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل قال والعرب تقدم فى كلامها ألفاظا على ألفاظ أخر وتلتزمه فى بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام وكذلك أكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه المسئلة من هذا قال ويؤيد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لا ٔقبل وأدبر فى باقى الحديث على معنى أدبر ثم أقبل ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى وحدث رحمه الله تعالى عن جده لامه قال كنت بالمشرق فدخلت على بعض القرائين فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس

٣ كأن أبانا فى أفانين ودقه * كبير أناس فى بجاد مزمل

فأنشد ولا أدرى هل هى له اولغيره

اذا ما الليالى جاورتك بساقط * وقدرك مرفوع فعنه ترحل
ألم تر ما لاقاه فى جنب جاره * كبير اناس فى بجاد مزمل

وكان بعض الناس ينشد فى هذا المقصد قول الآخر

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يبين قولى مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى انتهى

وما أحسن قول أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى رحمه الله تعالى

انا الى الله من أناس * قد خلعوا لبسة الوقار
جاورتهم فانخفضت هونا * يارب خفض على الجوار

ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى

وأحور زان خديه عذار * سبى الالباب منظره العجاب
أقول لهم وقد عابوا غرامى * به اذلاح للدمع انسكاب
ابعد كتاب عارضه يرجى * خلاص لى وقد سبق الكتاب

ومن الغريب فى توارد الخواطر ما وجد بخط الاديب البارع المحدث الكاتب أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبى القاسم بن جزى الكلبى رحمهما الله تعالى وسيأتيان ما معناه قلت هذه القطعة

ومعسول اللمى عادت عذابا * على قلبى ثناياه العذاب
وقد كتب العذار بوجنتيه * كتابا خط قارئه اكتئاب

الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الاعظم وهذه الفائدة وهى تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى انى لو دخلت الى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان فى وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك ويمن جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الارض لكان قد أبقى لى الملك ذكرا مخلدا ما بقى الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذى أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودررا رائقا ثمينا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم ان أبا بكر الهذلى لم يبتدئ بحال لم يسبقه اليها غيره ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والاخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أوذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذى يسمعه من الملك كانه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان فى ذلك

٣ قوله كأن أبانا الخ المعروف فى كتب الادب * كأن ثبيرا فى عرانين وبله * الخ

وقالوا السلوت فقلت خيرا * وأنى لى وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لى قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية فى هذه الايام اليسيرة وأنشدنى * وأحور زان خديه عذار * الابيات السابقة وهذا يقع كثيرا ومنه ماوقع لابن الرقام حيث قال من شعر عمى قوله

جل فى البلاد تنل عزا وتكرمة * فى أى أرض فكن تبلغ مناكبها

جل الفوائد بالاسفار مكتسب * والله قد قال فامشوا فى مناكبها

فقال له الفقيه ابن حذلم مثل هذا وقع لابى حيان اذ قال

يانفس مالك تهوين الاقامة فى * أرض تعذر كل من مناك بها

أما السلوت وعجز المرء منقصة * فى محكم الوحى فامشوا فى مناكبها

فحصل العجب من هذا الاتفاق الغريب ونقلت ممن نقل من خط الفقيه محمد بن على بن الصباغ العقيلى ماصورته كان الشريف الغرناطى رحمه الله تعالى آية زمانه وأزمة البيان طوع بنانه له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ماتحلى به الآذان وأبدع ماينشرح له الجنان الى العقل الذى لايدرك والفضل الذى حمده المسلك حدثنى بنادرة جرت بينه وبين مولاى الوالد من أثق به من طلبة الاندلس وأعلامها قال دخل والدك يوما لاداء الشهادة عنده فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة فسمع القاضى منهم وقال لهم هل ثم من يعرفكم فقالوا نعم يعرفنا على الصباغ فقال القاضى أتعرفهم ياأبا الحسن فقال له نعم ياسيدى معرفة محمد بن يزيد فما أنكر عليه شيأ بل قال لهم عرف الفقيه أبو الحسن ماعنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم فانصرفوا راضين ولم يرتهن والدى فى شئ من حالهم ولا كشف القاضى لهم ستر القضية قال محمد بن على بن الصباغ أما قول والدى معرفة محمد بن يزيد فاشارة الى قول الشاعر

اسائل عن ثمالة كل حى * فكلهم يقول وما ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدت بهم جهاله

فتفطن القاضى رحمه الله تعالى لجودة ذكائه الى انه لم يرتهن فى شئ من معرفتهم ممتنعا من اظهار ذلك بلفظه الصريح فكنى واكتفى بذكاء القاضى الصحيح رحمهما الله تعالى انتهى ومن فوائد الشريف ماحكاه عنه تلميذه الامام النظار أبو اسحق الشاطبى رحمه الله تعالى ونصه قال لى الشيخ القاضى الكبير الشهير أبو القاسم الحسنى يوما وقد جرى ذكر حتى التى للابتداء وأن معناها التى يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبلها لم يتم دونه أولا بل لايكون الامر الا كذلك قال وقد حدثنى بعض الاصحاب أنه سمع رجلا يصلى أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف الى قوله تعالى ثم اتبع سببا فوقف هنالك وركع وسجد قال فظننت أنه نسى مابعد ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى اذا بلغ فلما أتم الصلاة قلت له فى ذلك فقال أليست حتى الابتدائية قال القاضى الشريف المذكور فيجب أن يفهم أن الاصطلاح فى حتى وفى غيرها من حروف الابتداء ماذكر انتهى وقال الشاطبى أنشدنى أبو محمد بن حذلم لنفسه

أمرين أحدهما مايظهر من حسن أدبه فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كانه لم يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وماأشبهها (وقد ذكر) جماعة من الاخباريين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن سحرة الرهاوى وهو أن ابن سحرة كان يساير ذات يوم معاوية وكان آنس به والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (جرعان) يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حرب عظيمة فنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لابى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرياسة وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الارض ثم صاح بالفريقين وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سحرة مقبل عليه وقد استخفتهما لذة المحدث والمستمع اذصك جبين يزيد بن سحرة بحجر عائر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه

شأن

شأن المحبين في أشجانهم عجب * وحالتي بينهم في الحب أعجبها
قد كنت أبعث من ريح الصبا رسلا * تأتي فتطفئ أشواقي فتذهبها
والآن أرسل دمعي إثرها ديما * فتلتظي نار وجدي حين أسكبها
فاعجب لنار اشتياق في الحشا وقفت * الريح يذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي ما نصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة أنشدناها شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه أذكر الآن آخر بيت منها وهو

يا من رأى النار ان تطفأ مخالفة * فبالرياح وان توقد فبالماء انتهى

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين من أشهرهم العلامة النظار أبو إسحق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغني بالله ابن الأحمر رحمه الله تعالى في حق ابن زمرك انه كان يتردد الأعوام العديدة الى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ الأئمة البلغاء بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التي أولها * أغرى سراة الحي بالاطراق * وقال في موضع آخر ومما بذ به يعني ابن زمرك سبقا وتبريزا وعرضه على نقدة البيان فرأيت منه كل مذهبة خلصت ابريزا مرثيته للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسني من شيوخه وهي

أغرى سراة الحي بالاطراق * نبأ أصم مسامع الآفاق
أمسى به ليل الحوادث داجيا * والصبح أصبح كاسف الاشراق
جمع الجميع بواحد جمعت له * شتى العلا ومكارم الاخلاق
هبوا لحكم الرصين فانه * صرف القضاء فما له من واقي
نفس الزمان بصرفه في صفعه * كل اجتماع مؤذن بفراق
ماذا ترجي من زمانك بعدما * علق الفناء بأنفس الأعلاق
من تحسد السبع الطباق علاءه * عالوا عليه من الثرى بطباق
ان المنايا للبرايا غاية * سبق الكرام لخصلها بسباق
لما حسبنا أن تحول أبؤسا * كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان الا البدر طال سراره * حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء نزاهة * فنوى الرحيل الى مقام باقي
عدم الموافق في مرافقة الدنا * فنضى الركاب الى الرفيق الباقي
أسفا على ذاك الجلال تقلصت * أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمري بالصبر عيل تصبري * دعني عدتك لواعج الاشواق
وذر اليراع تشي بدمع مدادها * وشي القريض بروق في الاوراق
واحسرتا للعلم اقفر ربعه * والعدل جرد أجمل الاطواق
ركدت رياح المعلوات لفقدها * كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها * خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد في البيد بعد قعوده * قعدت به الآمال دون لحاق

من الاستماع فقال له معاوية لله أنت يا ابن سهرة أما ترى ما نزل بك قال وماذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم يسيل على ثوبك فقال أعتق ما أملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء مما حدث حتى نبهني عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجماهير ممن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده في عطائه ألفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والادب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سهرة لئن كان ابن سهرة خدع معاوية في هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول من يملك العير ينك نياكا وان كان بلغ من بلادة ابن سهرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف في عطائه وما أظن ذلك خفي عن معاوية (قال المسعودي) وقد قالت الحكماء في هذا وأكثرت وأطنبت فقالوا الا تحسن المحادثة الا بحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام

لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وأن يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له ما يحسن أن يجرى فى غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ما قالوا فى المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعانى كثيرة اذ كان العيش كله فى الجليس الممتع وقال رجل والله ما أمل الحديث فقال السامع انما يمل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق فى هذا المعنى ومن ذلك قول العباس ابن على الرومى

وشمت كل ما آربى فكأن أطيبها غثيث

الا الحديث فانه مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان وما يبين عفرقى صرف الغواية فانصرفت كريما

وضجرت الا من لقاء محدث حسن الحديث يزيدنى تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين

لمن الركائب بعد بعدك تنتضى * مابين شام ترتمى وعراق
تفلى الفلاء عناسم مفلولة * تسم الحصى بنجيعها الرقراق
كانت اذا اشتكت الوجى وتوقفت * يهفو نسيم ثنائك الخفاق
فاذا تنسمت الثناء أمامها * مدت لها الأعناق فى الاعناق
يا مزجى البدن القلاص خوافقا * رفقا بها فالسعى فى اخفاق
مات الذى ورث العلا عن معشر * ورثوا تراث المجد باستحقاق
رفعت لهم رايات كل جلالة * فتميزوا فى حلبة السباق
علم الهداة وقطب أعلام النهى * سوم العفاة المجتنى الارزاق
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالشمس فى بعد وفى اشراق
كالزهر فى لألائه والبدر فى * عليائه والزهر فى الابراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه * وصفاته جدعلى الاطلاق
يا وارثا نسب النبوّة جامعا * فى العلم والأخلاق والأعراق
يا ابن الرسول وانها لوسيلة * يرقى بها اوج المصاعد راقى
وردالكتاب بفضلكم وكمالكم * وكفى ثناء الواحد الخلاق
مولاى انى فى علاك مقصر * قدضاق عن حصر النجوم نطاقى
ومن الذى يحصى مناقب مجدكم * عدالحصى والرمل غير مطاق
يهنى قبور زرتها فلقد ثوت * منا مصون جوانح وحداق
خط الردى منها سطوراً نصها * لابد أنك للفناء ملاقى
ولحقت ترجمة الكتاب وصدره * وفوائد المكتوب فى الالحاق
كم من سراة فى القبور كأنهم * فى بطنها در ثوى بحقاق
قل للسحاب اسحب ذيولك نحوه * والعب بصارم برقك الخفاق
أودى الذى غيث العباد بكفه * يزرى بوا كف غيثك الغيداق
ان كان صوبك بالمياه فدرها * دريروض ماحل الاملاق
بشر كثير قدنعوا المانعى * قاضى القضاة وغاب فى الاطباق
ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا * وأرحت من كد ومن ارهاق
يتفيئون ظلال جاهك كلما * لفحت سموم الخطب بالاحراق
عدموا المرافق فى فراقك وانطوى * عنهم بساط الرفق والارفاق
رفعوا سريرك خافضين رؤسهم * مامنهم الاحليف سياق
لكن مصيرك للنعيم مخلدا * كان الذى أبقى على الارماق
ومن العجائب أن ترى بحر الندى * طود الهدى يسرى على الاعناق
ان يحملوك على الكواهل طالما * قد كنت محمولا على الأحداق
أو يرفعوك على العواتق طالما * رفعت ظهور منابر وعتاق
ولئن رحلت الى الجنان فاننا * نصلى بنار الوجد والاشواق

من أهل الادب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا لو

لو كنت تشهد حزن من خلفته * لثنى عنانك كثرة الاشفاق
ان جن ليل جن من فرط الاسى * وسوى كلامك ماله من راقى
فابعث خيالك فى الكرى يبعث به * ميت السرور لثاكل مشتاق
اغليت يارزء التصبر مثلما * ارخصت در الدمع فى الآماق
ان يخلف الارض الغمام فاننى * أسقى الضريح بدمعى المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعمائة قال ابن الخطيب القسمطينى فى وفياته وفى هذه السنة يعنى سنة ٧٦١ توفى شيخنا قاضى الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسنى وكتب لى بالاجازة العامة بعد التمتع بمجالسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية فى العروض وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها وكان اماما فى الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ولم يكن أحد بعده مثله بالاندلس انتهى * وقال فى الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة وان وفاته سنة ستين وسبعمائة وفى وفاته مخالفة لما تقدم والله أعلم وما أحسن قول الشريف أبى القاسم المترجم به

حدائق ابنت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فمايدنو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

وكان للشريف أبى القاسم المذكور ابنان نجيبان أحدهما قاضى الجماعة أبو المعالى والآخر أبو العباس أحمد قال الراعى فى كتابه الفتح المنير فى بعض ما يحتاج اليه الفقير ما نصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسأل الله تعالى العافية * وقع للسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة أبى المعالى ابن السيد الشريف أبى القاسم الحسنى شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم وكانت أم السيد أبى المعالى حسينية فكان شريفا من الجهتين أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم فى قلوب أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان أخوه شيخى واستاذى أبو العباس أحمد قاضيا بشرقى الاندلس فكان أخوه أبو المعالى المذكور لا يأكل فى بيت شقيقه شيأ لاجل ذلك ولعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج الى الطعام وهو فى بيت أخيه أعطانى درهما من عنده أشترى له به ما يأكل وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقراء بها فى ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد الحدو فقال لهم ياسادتى انه كان معى قنديل أستضىء به ففقدته فى هذه الايام وما بقيت ابصر شيأ فقال له شيخهم المذكور ياشريف أول رجل يدخل علينا فى هذا المجلس يجيبك عن مسئلتك فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف يسأل الجماعة فقلت له أول رجل يدخل علينا يجيبك فوفقت أنت فأجبه عن مسئلته فقال له ماسؤالك ياشريف فقال انه كان لى قنديل أستضىء به ففقدته وما بقيت ابصر شيأ فقال له الفقير هذا لا يصدر الا عن سوء أدب أخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما أعلم أنه وقع منى شئ غير أن المباشر فلانا طلبه السلطان

المجالس وتتعلق بها النفوس وتحتسى على أواخرها الكؤس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر) هذا المعنى فاجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عداه كلام وكأن السقاة بين الندامى ألفات بين السطور قيام وهذه طريقة من ذهب فى هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى مولى لسبيع وكان فى نفس أبى العباس منه شئ لانه كان حاول فى رد الامر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتى بقتل رجل من شيعتى لاسيما مثل أبى سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعدة أخوه وداود بن على عمه فى ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على

للمصادرة فاستخفى منه فمررت ببابه يوما فنادانى من شقة الباب ياسيدى اجعل خاطرك معى لله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلانى قلت وانا اظن أنه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة فى تفريج الشدائد والكرب نص عليه البونى فى منتخبه وهو مجرب فى ذلك وقد رواه لى عن بعض مشايخه السيد الشريف احمد أخوه فقال له الفقير هل كان اذن لك فى تلقينه قال لاقال له الفقير لايعود اليك نورك أبدا لانك قد أسأت الادب فكان كما قال فانقطع وولى بعده قضاء الجماعة وعزل عن سخط وخدم الملوك وأكل طعامهم وحالته أولا وآخرا معروفة بغرناطة نسأل الله تعالى أن لايجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنه وكرمه انتهى كلام الراعى رحمه الله تعالى (رجع الى مشايخ لسان الدين) رحمه الله تعالى ورضى عنه وسامحه فنقول ومن مشايخ لسان الدين الامام الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادى آشى ولد بتونس وهو محمد ابن الامام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسى شيخ ممتع نبيل رحال متقن قال الخطيب ابن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراءته وسمع بقراءتى وقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده وأنشدنى الكثير فاول ما قرأت عليه بالقاهرة وقرأت عليه بمدينة فاس وبظاهر قسنطينة وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبمنزلى من تلمسان وقرأت عليه أحاديث عوالى من تخريج الدمياطى وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطى بشرطه ثم قرأت عليه أكثر كتاب الموطا رواية يحيى وأعجله السفر فاتممته عليه فى غير القاهرة وحدثنى به عن جماعة ومعوله على الشيخين قاضى القضاة أبى العباس بن الغماز الخزرجى وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ أبى محمد بن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبى الطائى الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه لاكثره على الاول وقراءته باجمعه على الثانى قال الاول أخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيه منها عن ابن مرزوق وأبى عبد الله بن أبى عبد الله الخولانى عن أبى عمر وعثمان بن أحمد المغافرى عن أبى عيسى بسنده وقال الثانى أخبرنا أبو القاسم بن بقى بقرطبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده قال شيخنا وفى هذا السند غريبتان احداهما انه ليس فيه اجازة والثانية ان شيوخه كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولاغرابة فى اتصال سماع الموطا وقراءته فقد وقع لى على قلة التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد وقد رويته عن قرطبى وهو أبو العباس بن العشاء ثم قرأت عليه كتاب الشفاء لعياض وحدثنى به عن أبى القاسم عن أبى عبد الله بن أبى القاسم الانصارى المالقى نزيل سبتة ويعرف بها بابن حكم وبابن أخت ابى صالح عن أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجى عن أبى جعفر احمد بن حكم عن المؤلف وحدثنى به أيضا عن قاضى الجماعة ابن ابى الربيع بن سالم عن ابى جعفر بن حكم ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ورويت عنه وانشدنى لابى محمد بن هرون

لا تطمعن فى نفع آلك انه * ضرر وقل النفع عند الآل
اقصر رويدك ان ما علقته * بالآل من اهل كمثل الآل

ولابن هرون المذكور

منه وهى خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقالا له فينبغى يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فانا لا نأمنه عليك فقال كلا انى لآمنه فى ليلى ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتى فلما اتصل هذا القول من أبى العباس بابى مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبى سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه جماعة من ثقات أصحابه فى اعمال الحيلة فى قتل أبى سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بابى سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها ممتعا أديبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال ان ابا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبى مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول

الى النار فليذهب ومن كان مثله
على أى شئ فاتنا منه ناسف

وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص ابن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على ما ذكرنا قال فى ذلك الشاعر من أبيات ان المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

أقل زيارة الاحبا * ب تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا * ل زرغبا تزد حبا

ولابن هرون أيضا

رمانى بالنوى زمنى * فشمل الانس مفترق
وليلى كله فكر * فقلبى منه محترق
وللا ٓداب أبناء * بحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل * بما يلقاه أو فرق
يغص بريقه منه * وفى النطق اوشرق
وقد صفرت اكفهم * فلا ورق ولا ورق
ولطف الله مرتقب * به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق وشعره الفائق لا يحصر وهو عندى فى مجلد كبير وولد ابن جابر سنة ٦٧ وسمع بمصر على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن وتوفى بتونس سنة ٧٧٩ وأخذ القرا آت عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله تعالى واسعة مشهورة وقد ذكرناه فى غير هذا الكتاب بما جمعناه ومما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق * عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم * ان الشهيد لمن توى بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى * لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يمل بكاءه * قد أحرقته مدامع الآماق
ومحرق الاحشاء أشعل نارها * طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولة لا يستطيع كلامه * مما يقاسى فى الهوى ويلاقى
خرس اللسان فما يطيق عبارة * ألم ألم وماله من راقى
ما للمحب من المنون وقاية * ان لم يجد محبوبه بتلاقى
مولاى عبدك ذاهب بغرامه * أدرك بفضلك من ذماه الباقى
انى اليك بذاتى متوسل * فاعطف بلطف منك اواشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله تعالى فى الروضة فى العشق بعد أن حده وتكلم عليه ثم أورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه وسماه وأنسيته انا الآن

عما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفى ساعة فى ساحة الدار وانظرى * الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حن مسراها على ولا ألوى

وقوله

انست بوحدتى حتى لوانى * اتانى الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الاملت عنه

فى الكتاب الاوسط (وكان) السفاح يعجبه المحادثة ومفاخرات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك وكان خالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع السفاح مشهورة فاغنى ذلك عن ذكرها (ومما ذكر) من أخباره واستفاض من أسماره ماذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدى الطائى عن يزيد الرقاشى قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال وانى سمرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرنى باظرف ماسمعته من الاحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان فى بنى هاشم قال ذلك أعجب الى قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحى من بنى عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيأ من متاعه الاتمثل بهذا البيت

لعمرك ماتبلى سرائر عامر * من اللؤم مادامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحى فحادثته وآنسته وسالته حتى أنس بها ثم قالت ممن أنت متعت بك فقال رجل من تميم فقالت أتعرف الذى يقول

وقوله رحمه الله تعالى

عليك بالعزلة ان الفتى * من طاب بالقلة فى العزله
لا يرتجى عزلة وال ولا * يخشى من الذلة فى العزله

(ومن أكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدى الامام العلامة قاضى القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله) قال فى الاحاطة محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبى بكر بن على القرشى المقرى يكنى أبا عبد الله قاضى الجماعة بفاس تلمسانى أوليته نقلت من خطه قال وكان الذى اتخذها من سلفنا قرارا بعد أن كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبى بكر بن على المقرى صاحب الشيخ أبى مدين الذى دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو أبى الخامس فأنا محمد بن محمد بن احمد بن أبى بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروى الصلاة حتى انه ربما امتحن بغير شئ فلم يؤنس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبى مدين انتهى وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشى وهم انتهى فكتب تحته الشيخ الامام أبو الفضل ابن الامام التلمسانى رحمه الله تعالى ما نصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات وأعربت عنه الخلال الكريمة الآن البلدية يا سيدى أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية فى امام المغرب أبى عبد الله المقرى وهما والحمد لله انتهى قلت وممن صرح بالقرشية فى حق الجد المذكور ابن خلدون فى تاريخه وابن الاحمر فى نثر الجمان وفى شرح البردة عند قوله لعل رحمة ربى حين يقسمها * والشيخ ابن غازى والولى الصالح سيدى احمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدى أحمد الوانشريسى وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكى وقد ألف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاى الجد سماه النور البدرى فى التعريف بالفقيه المقرى وهذا بناء منه على مذهبه انه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك فى شرح الالفية عند قوله * ووضعوا لبعض الاجناس علم * وضبطه غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عوّل اكثر المتأخرين وهما لغتان فى البلدة التى نسب اليها وهى مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده الى تلمسان صحبة شيخه ولى الله سيدى أبى مدين رضى الله عنه (رجع الى تكملة كلام مولاى الجد فى حق اوليته) قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق فى حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم فى جميع ما ملكوه او يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبى من جميع جهات امى وأبى بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلى وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء وكان التلمسانى يبعث الى الصحراوى بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوى بالجلد والعاج والجوز

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة
يكر على جمعى تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا
وما ذبحت يوما تميم فسمت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
عظام المخازى عن تميم تجلت
فقال لا والله ما انا منهم قالت فمن انت قال رجل من عجل قالت أتعرف الذى يقول
أرى الناس يعطون الجزيل ولا أرى
عطاء بنى عجل ثلاث واربع
اذا مات عجلى بارض فانما
يشق له منها ذراع واصبع
قال لا والله ما انا من عجل قالت فمن انت قال رجل من بنى يشكر قالت اتعرف الذى يقول
اذا يشكرى مس ثوبك ثوبه
فلا تذكرن الله حتى تطهرا
قال لا والله ما انا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بنى عبد القيس قالت اتعرف الذى يقول
رايت عبد القيس لاقت ذلا
اذا اصابوا بصلا وخلا
وما لحا مصنعا قد طلا
باتوا يسلون النساء سلا * سل النبيط القصب المبتلا
قال لا والله ما أنا من عبد القيس قالت فمن انت

والجوز والتبر والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما باحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان فيها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل علكهم فاكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب اليها من المغرب مالا بال له من السلع فتعاوض عنه بماله بال من الثمن (أي مدبر دنيا ضم جنبا أبي حمو وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتي اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد) ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما ترك والهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالي الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم في نقصان الى هذا الزمن فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الأثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن انتهى كلامه في أوليته وقد نقله لسان الدين في الاحاطة وقال مولاي الجد رحمه الله تعالى كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكني رأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت علي بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت حمزة بن يوسف السهمي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت أبا بكر محمد بن عدي المنقري عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت أبا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت بعض أصحاب الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شانك فاني سالت مالك بن أنس عن سنه فقال أقبل على شانك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى قلت ولما تذاكرت مع مولاي العم الامام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجد رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم

احفظ لسانك لاتبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

قال الوانشريسي في حق الجد ما نصه القاضي الشهير الامام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد

فلو كان الخليفة باهليا
لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلي وان توقى
عليه مثل منديل الطعام
قال لا والله ما أنا من باهلة
قالت فمن أنت قال رجل
من بني فزارة قالت اتعرف
الذي يقول
لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على حمر
بعد الذي امتل أير العير
في النار
قوم اذا نزل الاضياف
ساحتهم
قالوا لامهم بولي على النار
قال لا والله ما انا من فزارة
قالت فمن أنت قال انا
رجل من ثقيف قالت
اتعرف الذي يقول
أهل الناسبون الى ثقيف
فما لهم أب الا الضلال
فان نسبت أو انتسبت
ثقيف
الى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوها
فان دماءها لكم حلال
قال لا والله ما أنا من ثقيف
قالت فمن أنت قال رجل
من عبس قالت أتعرف
الذي يقول
اذا عبسية ولدت غلاما
فبشرها بلؤم مستفاد
قال لا والله ما أنا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من ثعلبة قالت أتعرف الذي يقول

المقرى التلمسانى المولد والمنشا الفاسى المسكن كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيها ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا انتهى * وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرّف فيه بمولاى الجدوذكر جملة من أحواله وذلك انه طلبه بعض أهل عصره فى تاليف أخبار الجد فألف فيه ماذكر *وقال فى الاحاطة فى ترجمة مولاى الجد بعد ذكره أوليته ما صورته حال هذا الرجل مشار اليه بالعدوة الغربية اجتهادا ودؤبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفه طاهر السداجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على الانقطاع حريص على العبادة مضايق فى العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ثم يغافص الوقت فيها و يوقعها دفعة متبعا اياها زعقة التكبير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وارسال السجية قديم النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة معلوم الصيانة والعدالة منصف فى المذاكرة حاسر للذراع عند المباحثة راحب عن الصدر فى وطيس المناقشة غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة كثير الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة قائل بفضل أولى الفضل من الطلبة يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ التاريخ والاخبار والآداب ويشارك مشاركة فاضلة فى الاصلين والجدل والمنطق و يكتب و يشعر مصيبا غرض الاجادة ويتكلم فى طريقة الصوفية كلام أرباب المقال و يعتنى بالتدوين فيها شرق وحج ولقى جلة واضطبن رحلة مفيدة ثم عاد الى بلده فأقرأ به وانقطع الى خدمة العلم فلما ولى ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه و ولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس فاستقل بذلك أعظم الاستقلال وأنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة حضرت بعض مجالسه للعلم فرأيت من صبره على اللدد وتأنيه للحجج ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب (دخوله غرناطة) ثم لما أخرعن القضاء استعمل بعد لأى فى الرسالة فوصل الاندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة فى منصرفه بدا له فى نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحل التقيد الى ملازمة الامرة فتقاعد وشهر غرضه وبت فى الانتقال طمع من كان صحبته وأقبل على شأنه فخلى بينه وبين همه وترك وما انتحله من الانقطاع الى ربه وطار الخبر الى مرسله فأنف من تخصيص ايالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلى والعبادة وأنكر ما حقه الانكار من ابطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة والمواطاة على النفرة وتجهزت جملة من الخدام المجلين فى مأزق الشبهة المضطلعين باقامة الحجة موالين خطة الملام مخيرين بين سحائب عاد من الاسلام مظنة أعلاق النقمة وايقاع العقوبة او الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمم

وثعلبة بن قيس شر قوم * بنى مرة قالت أتعرف الذى يقول

آذامرية خضبت يداها
فزوّ جها ولا تأمن زناها

قال لا والله ما أنا من بنى مرة قالت فمن أنت قال رجل من بنى ضبة قالت أتعرف الذى يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر
كما كل ضبي من اللؤم أزرق

قال لا والله ما أنا من بنى ضبة قالت فمن أنت قال رجل من بجيلة قالت أتعرف الذى يقول

سالناعن بجيلة حين حلت
لتخبر أين قربها القرار
فما تدرى بجيلة أين تدعى
أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين
وقد خلعت كما خلع العذار

قال لا والله ما أنا من بجيلة قالت فمن انت ويحك قال رجل من بنى الازد قالت اتعرف الذى يقول

اذا ازدية ولدت غلاما
فبشرها بلاح مجدد

قال لا والله ما انا من الازد قالت فمن انت ويلك اما تستحى قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت اتعرف الذى يقول

اذا افتخرت خزاعة فى كريم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

قال لا والله ما انا من خزاعة قالت فمن انت قال رجل بسجدها

بمسجدها وجار بالانقطاع الى الله وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فأهم أمره وشغلت القلوب أبدته وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه الى تلك الوجهة ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفا بعالمى القطر قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج مسلمين لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرضه فانقشعت الغمة وتنفست الكربة واستصحبا من المخاطبة السلطانية فى أمره من املائى ما يذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة الدكان بعد انتقال السكان المجموع بسلا ما صورته المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى الوسيله وينجز العدة ويتمم الفضيله ويضفى مجده المنن الجزيله ويعيى حمده المدائح العريضة الطويله مقام محل والدنا الذى كرم مجده ووضح سعده وصح فى الله تعالى عقده وخلص فى الاعمال الصالحة قصده وأعجز الالسنة حمده السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها وشفاعة يكرم مسعاها وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها معظم سلطانه الكبير وممجد مقامه الشهير المتشيع لابوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير المعتمد منه بعد الله على الحمى الاحمى والولى النصير فلان سلام كريم طيب برّ عميم يخص مقامكم الاعلى وأبوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها وميز بها النفوس النفيسة التى اختصها بكرامته وتولاها حمدا يكون كفؤا النعم التى أولاها وأعادها ووالاها والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلاها مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم الابتلاها وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب أوصافهم على الالسن وأحلاها والدعاء لمقام ابوتكم حرس الله تعالى علاها بالسعادة التى يقول الفتح انا طلاع الثنايا وابن جلاها والصنائع التى تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها * فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء من حمراء غرناطة حرسها الله والود باهر السنا ظاهر السناء مجدد على الانا والتشيع رحب الدسيعة والفناء والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم فاننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله تعالى لنا وله وبلغ الجميع من فضله العميم أمله جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثله والمآرب المعمله والقضايا غير المهمله نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد وظمآها عن منهل قبولكم لا تحلى ولا تصد حسبما سنه الاب الكريم والجد والقبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم والحد ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيله وتبلج صبح الزهادة والفضيله وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيله وظهر تخليه عن هذه الدار واختلاطه باللفيف والغمار واقباله على ما يعنى مثله من صلة الاوراد ومداومة

من سليح قالت اتعرف الذى يقول أما السليح شتت الله أمرها * تنيك بأيديها وتعيى أيورها
قال لا والله ما أنا من سليح قالت فمن أنت قال رجل من لقيط قالت أتعرف الذى يقول

لعمرك ما البحار ولا الفيافى
باوسع من فقاح بنى لقيط
لقيط شر من ركب المطايا
واندل من يدب على البسيط
ألا لعن الاله بنى لقيط
بقايا سبة من قوم لوط

قال لا والله ما أنا من لقيط قالت فمن أنت قال رجل من كندة قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما افتخر الكندى
ذو البهجة والطره
فبالنسج وبالخف وبالسدل وبالحفره
فدع كندة للنسج
فأعلى فخرها عره

قال لا والله ما أنا من كندة قالت فمن أنت قال رجل من خثعم قالت أتعرف الذى يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرا
لطارت فى البلاد مع الجراد

قال لا والله ما أنا من خثعم قالت فمن أنت قال رجل من طى قالت اتعرف الذى يقول

وما طيئ الا نبيط تجمعت
فقالت طيا أنا كلمة فاستمرت
ولو أن حرقوصا يمد جناحه
على جبلى طى اذا لاستظلت

قال لا والله ما أنا من طى قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذى يقول

الاستغفار وكنا لما تعرفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره أمرنا أن يعتنى باحواله ويعان على فراغ باله ويجرى عليه سبب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله وقلنا أما تاله من غير مسئلة مستند صحيح لاستدلاله ففر من مالقة على ما تعرفناه لهذا السبب وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب وسكن بالمدرسة بعض الاماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب بحيث لم يتعرف ورود وصوله الا من لا يؤبه بتعريفه ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعه وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعه وقررنا ما تحققناه من أمره وانقباضه عن زيد الخلق وعمره واستقباله الوجهة التى من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيرا ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه وقصر عليه أقصى همه فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقى وقسمه ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه ويعوّل البرىء على فضله ويثق المذنب بحلمه فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو أرب من آراب وفائدة من جراب ووجه من وجوه اعراب فرأينا أن المطل بعد جفاء والاعادة ليس يثقلها اخفاء ولجدكم بما ضمناعنه وفاء وبادرنا الآن الى العزم عليه فى ارتحاله وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله وان يقتضى له ثمرة المقصد ويبلغ طية الاسعاف فى الطريق ان قصد اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلا والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا ولما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها أبدا يحرض وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرض فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب والحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب وأظهروا عليه عناية الجناب الذى تعلق به أعلق الله به يدكم من جناب ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها أحمد المناب ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب وهما فلان وفلان ولولا الاعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب يسبق اعلام الكتاب وأنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ويربى على التأميل ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الاثيل وانالة الرفد الجزيل والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته فى الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى كلام ابن الخطيب فى الاحاطة * (وذكر فى الريحانة) أنه كتب فى هذا الغرض ما نصه والى هذا فاننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شان الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرى وفقنا الله واياه لما يزلف لديه وهدانا لما يقرب اليه وما بلغكم بتقاعده بمالقة وما أشرتم به فى أمره فاستوفينا

جميع

من النخع قالت أتعرف الذي يقول

اذا النخع اللئام غدوا جميعا
تأذى الناس من وفر الزحام
وما يسموا الى مجد كريم
وما هم فى الصميم من الكرام

قال لا والله ما أنا من النخع قالت فمن أنت قال رجل من أود قالت أتعرف الذى يقول

اذا نزلت باود فى ديارهم
فاعلم بانك منهم لست بالناجى
لا تركنن الى كهل ولا حدث
فليس فى القوم الا كل عفاج

قال لا والله ما أنا من أود قالت فمن أنت قال أنا رجل من لخم قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم
تباعد فخر القوم من لخم اجمعا

قال لا والله ما أنا من لخم قالت فمن أنت قال أنا رجل من جذام قالت أتعرف الذى يقول

اذا كاس المدام أدير يوما
لمكرمة تنحى عن جذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحى أكثرت من الكذب قال أنا رجل من تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذى يقول

جميع ماقررتم واستوعبنا ما أجلتم فى ذلك وفسرتم واعلموا ايا محل والدنا أمتعنا الله ببقائكم الذى فى ضمنه اتصال السعاده وتعرف النعم المعاده أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه عن انشراح صدور وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور تعرفنا انه تقاعد بالعقبة عن صحبه وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه وصرف الوجه الى التخلى مما تقدم من ذنبه واحتج بأن قصده ليس له سبب ولا تعين له فى الدنيا أرب وأنه عرض عليكم أن تسمعوا له فيما ذهب اليه وتقروه عليه فيحل البدار ويمهد تحت ايالتكم القرار فلما بلغنا هذا الخبر لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر ولا أعددناه فيما يذكر فكيف فيما ينكر وقطعنا أن الامر فيه هين وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت اليه عين فان بابكم غنى من طبقات أولى الكمال ملى بتسويغ الآمال موفور الرجال معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال والصلحاء اولى المقامات والاحوال والادباء فرسان الرويه والارتجال ولم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المثال مع ما علم من اعانتكم على مثل هذه الاعمال واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه الى ذى الجلال ولو علمنا أن شيأ يهجس فى الخاطر من أمر مقامه لقابلناه بعلاج سقامه ثم لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزا فى طور التقلل والتخفيف خالطا نفسه باللفيف قد صار نكرة بعد العلمية والتعريف وسكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا لصلاة يشهد جماعتها ودعوة للعباد يخاف اضاعتها ثم تلاحق ارسالكم الجله الذين تحقق لمثلهم التجله فحضروا لدينا وأدوا المخاطبة الكريمة كما ذكر الينا وتكلمنا معهم فى القضيه وتحاملنا فى الوجوه المرضيه فلم نجد وجها أخلص من هذا الغرض ولا علاجا يتكفل ببرء المرض من أن كلفناهم الاقامة التى يتبرك بمن جوارها ويعمل على ايثارها بخلال ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذى مضمونه شفاعة يضمن حباؤكم احتسابها ويرعى انتماءها الى الخلوص وانتسابها ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها ونقصدكم ومثلكم من يقصد فى المهمه فانتم المثل الذائع فى عموم الحلم وعلو الهمه فى أن تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول مقرر الاصول يذهب الوجل ويرفع الخجل ويسوغ من مأربه لديكم الامل ويخلص النية ويرتب العمل حتى يظهر ما لنا عند أبوتكم من تكميل المقاصد جريا على ما بذلتم من جميل العوائد واذا تحصل ذلك كان بفضل الله ايابه وأناخت بعقرة وعدكم الوفى ركابه ويحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه وأنتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعايه ويجرى فى معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله البدايه وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحمايه هذا ما عندنا أعلمناه بالاعلام وأعملنا فيه الاقلام بعد أن أجهدنا الاختيار ونخلنا الكلام وجوابكم بالخير كفيل ونظركم لنا وللمسلمين جميل والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * قلت وهذه آفة مخالطة الملوك فان مولاى الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره فلما أراد التخلى الى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت وقد ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى فى الاحاطة شيوخ مولانا الجد فلنذكرهم من جزء الجد الذى سماه نظم اللآلى

وشهرة فى الاهل والجار

قال لا والله ما أنا من تنوخ قالت فمن أنت ثكلتك أمك قال أنا من حمير قالت أتعرف الذى يقول

نبئت حمير تهجونى فقلت لهم ... ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهم ... كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم ... ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قال لا والله ما أنا من حمير قالت فمن أنت قال أنا رجل من بحاتر قالت أتعرف الذى يقول

ولو مر زمار بارض بحاتر ... لماتوا واضحوا فى التراب رميما

قال لا والله ما انا من بحاتر قالت فمن أنت قال رجل من قشير قالت أتعرف الذى يقول

بنى قشير قتلت سيدكم ... فاليوم لا فدية ولا قود

قال لا والله ما أنا من قشير قالت فمن أنت قال رجل من بنى أمية قالت أتعرف الذى يقول

وهى من أمية بنيانها ... فهان على الله فقدانها
وكانت أمية فيما مضى ... جرى على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول * ولم يتق الله مروانها

قال لا والله ما أنا من بنى أمية قالت فمن أنت

قال رجل من بني هاشم قالت أتعرف الذي يقول بني هاشم عودوا الى نخلاتكم * فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم

في سلوك الامالي ومنه اختصر لسان الدين ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته فنقول قال مولاي الجد رحمه الله تعالى فمن أخذت عنه واستفدت منه علماؤها يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان (أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الامام) وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك الى تونس فاخذا بها عن ابن جماعة وابن العطار واليفرني وتلك الحلبة وأدركا المرجاني وطبقته من أعجاز المائة السابعة ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب وهو محاصر لها وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن مخلف التنسي وكان قد خرج اليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم يعد وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى انه شهد جنازته ولم يشهد جنازة أحد قبله وقام على قبره وقال نعم الصاحب فقدنا اليوم حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي ان أبا يعقوب طلع الى جنازة التنسي في الخيل حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال كيف تركون الخيل تصل الى ضريح الشيخ هلا عرضتم هنالك وأشار الى حيث المعراض الآن خشبة ففعلنا فلما قتل أبو يعقوب وخرج المحصور ان أنكر اذلك فاخبرتهما فأما أبو زيان وكان السلطان يومئذ فنزل وطأطأ رأسه ودخل وأما أبو حمو وكان أميرا فوثب وخلفها ولما رجع الملك الى هذين الرجلين اختصا ابني الامام وكان ابو حمو أشد اعتناء بهما ثم بعده ابنه ابو تاشفين ثم زادت حظوتهما عند امير المسلمين ابي الحسن الى ان توفي ابو زيد في العشر الاوسط من رمضان عام احد وار بعين وسبعمائة بعد وقعة طريف باشهر فزادت مرتبة ابي موسى عند السلطان الى أن كان من أمر السلطان بافريقية ما كان في أول عام تسعة وار بعين وكان ابو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه امير المسلمين ابي عنان الى فاس ثم رده الى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان فكان عنده الى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام قال لي خطيب الحضرة الفاسية أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي لما ازمع الفقيه ومن أطاق معه على القفول الى تلمسان بت على تشييعهم فرأيتني كاني نظمت هذا البيت في المنام

وعند وداع القوم ودعت سلوتي * وقلت لها بيني فانت المودع

فانتبهت وهو في تخاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق رحل الفقيهان الى المشرق في حدود العشرين وسبعمائه فلقيا علاء الدين القونوي وكان بحيث اني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي ان قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل فانه لا نظير له ولقيا أيضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري على الحجار وقد سمعته أنا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته وكانت له مقالات فيما يذكر وكان شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة ابو عبد الله الابلي أن عبد الله بن ابراهيم الزموري اخبره انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصل في أصول الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين

أصل الضلالة والافك المبين فما * فيه فاكثره وحي الشياطين

فان قلت موهط النبي محمد فان النصارى رهط عيسى ابن مريم
قال لا والله ما أنا من بني هاشم قالت فمن أنت قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول

اذا همدان دارت يوم حرب رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثون المطايا سراعا هاربين من القتال

قال لا والله ما أنا من همدان قالت فمن أنت قال رجل من قضاعة قالت أتعرف الذي يقول

لا يفخرن قضاعي باسرته فليس من يمن محضا ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم ولا نزار فخلوهم الى سقر

قال لا والله ما أنا من قضاعة قالت فمن أنت قال رجل من شيبان قالت أتعرف الذي يقول

شيبان قوم لهم عديد فكلهم معرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب ولا نجيب ولا كريم

قال لا والله ما أنا من شيبان قالت فمن أنت قال رجل من بني نمير قالت أتعرف الذي يقول

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فلو وضعت فقاح بني نمير * على خبث الحديد اذا لذابا

قال

قال وكان فى يده قضيب فقال والله لو رأيته لضربته بهذا القضيب هكذا ثم رفعه ووضعه وبحسبك مما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أنى لما حللت بيت المقدس وعرف به مكانى من الطلب وذلك أنى قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لى يده على رسم استوجب به هنالك حقا فلما أطلت عليه عرفه بى بعض من معه فقام الى حتى جلست ثم سألنى بعض الطلبة بحضرته فقال لى انكم معشر المالكية تبيحون للشامى يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عين المواقيت لاهل الآفاق هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن وهذا قد مر على ذى الحليفة وليس من أهله فيكون له فقلت له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من غير أهلهن أى من غير أهل المواقيت وهذا سلب كلى وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه وهو الايجاب الجزئى عليه لانه من بعض أهل المواقيت قطعا فلما لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك أنه لا يلزم أحدا أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته اذا مر بالمدينة فوجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف أهل الجحفة فانها بين أيديهم وهم يمرون عليها فوقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت أتانى آت من أهل المغرب فقال لى تعلم أن مكانك فى نفوس أهل هذا البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا أعلم انقباضك عن ابنى الامام فان سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما الى غيرهما فتضع من قدرك فانما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وأن لا أحد فوقهما * وليس لما تبنى يد الله هادم * وشهدت مجلسا بين يدى السلطان أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو ذكر فيه أبو زيد بن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشذالى وادعى أنه مطلق الاجتهاد واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمسانى مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزنى الى الشافعى فقال عمران هذا مثال والمثال لا تلزم صحته فصاح به أبو موسى بن الامام وقال لابى عبد الله بن أبى عمرو تكلم فقال لا أعرف ما قال هذا الفقيه الذى أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل فقال أبو موسى للسلطان هذا كلام اصولى محقق فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن ما أنصفتما الرجل فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ أعنى ابن أبى عمرو وكيف لا وهذا سيبويه يقول وهذا مثال ولا يتكلم به فاذا صح أن المثال قد يكون تقريبيا فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده فهذان القولان من أصل واحد * وشهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان قرئ فيه على أبى زيد بن الامام حديث لقنوا موتاكم لا اله الا الله فى صحيح مسلم فقال له الاستاذ أبو اسحق ابن حكم السلوى هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا فما وجه ترك محتضر يكم الى موتاكم والاصل الحقيقة فاجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه وكنت قد قرأت على الاستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافى ان المشتق انما يكون حقيقة فى الحال مجازا فى الاستقبال مختلفا فيه فى

قالت أتعرف الذى يقول
لا تطلبن خؤولة من تغلب
فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبى اذا تنحنح للقرى
حك استه وتمثل الامثالا
قال لا والله ما أنا من تغلب
قالت فمن أنت قال رجل
من مجاشع قال أتعرف
الذى يقول
تبكى الصبية من بنات
مجاشع
ولها اذا سمعت نهيق حمار
قال لا والله ما أنا من مجاشع
قالت فمن أنت قال رجل
من كلب قالت أتعرف
الذى يقول
فلا تقربا كلبا ولا باب دارها
فما يطمع السارى يرى
ضوء نارها
قال لا والله ما أنا من كلب
قالت فمن أنت قال أنا
رجل من تيم قالت أتعرف
الذى يقول
٢ تميمة
قال لا والله ما أنا من تيم
قالت فمن أنت قال رجل
من جرم قالت أتعرف
الذى يقول
تمنتى سويق الكرم جرم
وما جرم وماذاك السويق
فما شربوه لما كان خلا
ولا خالوا به فى يوم سوق
فلما أنزل التحريم فيها
اذا الجرمى منه لا يفيق

٢ سقط من جميع النسخ التى بايدينا ما قيل فى تيم كذا بهامش الاصل

الماضي اذا كان محكوما به أما اذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا اجماعا وعلى هذا التقرير لا مجاز فلا سؤال لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر لانا نقول انه نقل الاجماع وهو أحد الاربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا بل نقول انه أساء حيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها بل هذا أشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ثم انا لو سلمنا نفي الاجماع فلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش فقد يوحش فهو تنبيه على وقت التلقين أي لقنوا من تحكمون بانه ميت أو نقول انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ألا ترى اختلافهم فيه هل أخذ من حضور الملائكة او حضور الاجل أو حضور الجلاس ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر يضبطها وهو ما ذكرناه أو من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى أعلم * كان أبو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابن أبي زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ان ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدي أحد وقدار تفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة قلت وهذا من ملح الفقيه * اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب وابن الآدمي والمباح ظاهر بأنه انما يقال في الآدمي لبان فأجاب بالمنع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل وأجيب بان قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم لان اللبان خاص به وليس موضع تغليب لان اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل * تكلم أبو زيد يوما في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير فاحتج ابراهيم السلوي للمنع بقول أنس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فمنع أبو زيد أن يكون انما أراد باللباس الافتراش فحسب لاحتمال أن يكون انما أراد التغطية معه أو وحدها وذكر حديثا فيه تغطية الحصير فقلت كلا الامرين يسمى لباسا قال الله عز وجل هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وفيه بحث * كان أبو زيد يصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعها معها في قول والمفارقات ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعي لما قرأ عليه

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

فقال

وغررتني وزعمت انك لابن بالضيف تامر

فقال أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة او كما حكي عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات صنعة الله اصيب بها من أساء انما المشركون نجس وعدها أباه تقية الله خير لكم هذا أن دعوا للرحمن ولدا لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه * سمعت أبا زيد يقول ان أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وبسبب ما فيه من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون وسمعته يقول ان ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديوانا وحفظت من

قال لا والله ما أنا من جرم قالت فمن أنت قال رجل من سليم قالت أتعرف الذي يقول

اذا ما سليم جئتها لغدائها
رجعت كما قد جئت غرثان جائعا

قال لا والله ما أنا من سليم قالت فمن أنت قال رجل من الموالي قالت أتعرف الذي يقول

ألا من أراد الفحش واللؤم والخنا
فعند الموالي الجيد والطرفان

قال أخطأت نسبي ورب الكعبة أنا رجل من الحور قالت أتعرف الذي يقول

لا بارك الله ربي فيكم أبدا
يا معشر الحوران الحور في النار

قال لا والله ما أنا من الحور قالت فمن أنت قال رجل من أولاد حام قالت أتعرف الذي يقول

فلا تنكحن أولاد حام فانهم
مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع

قال لا والله ما أنا من ولد حام لكني من ولد الشيطان الرجيم قال فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك أفتعرف الذي يقول

ألا يا عباد الله هذا عدو كم
وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا

فقال لها هذا مقام العائذ بك قالت قم يا رجل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرا حتى تعرف من هم ولا

من وجادة أنه ذكر عند أبى عبد الله بن قطر ال المراكشى أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابى عمرو حين فرغ منه فقال بل ابن شاس اختصر كتابى قال ابن قطر ال وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير الا فى الشئ اليسير فهما اصلاه ومعتمداه ولاشك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله حدثنى أمير المؤمنين المتوكل بن عنان أن ولده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس الى الاعانة باموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلى ركعتين كما فعل على بن أبى طالب وسأله أبو الفضل بن أبى مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له أما الآن فانا مشرك فقال اعيذك من ذلك فقال لم أرد الشرك فى التوحيد لكن فى التعظيم والمراقبة والا فاى شئ جلوسى ههنا والشئ بالشئ يذكر قعدت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبى شيخ من الطلبة وأنشدنى لابى بكر بن خطاب رحمه الله تعالى

ابصرت ابواب الملوك تغص بالراجين ادراك العلا والجاه
متزاحمين لها فهما فتحت * خروا الاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام واشفقت * نفسى على انضاء جسمى الواهى
ورأيت باب الله ليس عليه من * متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لى عدة * وأنفت من غى وطول سفاهى

يقول جامع هذا المؤلف رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاى الجد مقابل قوله ورأيت باب الله ما صورته قلت ذلك لسعته اولقلة أهله

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية انتهى (رجع الى كلام مولاى الجد) قال رحمه الله تعالى ورضى عنه وحدثنى شيخ من أهل تلمسان انه كان عند ابى زيد مرة فذكر القيامة وأهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وأنتم أمامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفعر دما فلما سرى عنه رفع يديه وطرفه الى السماء وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل وأخباره كثيرة وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا فمما سألته عنه قول ابن الحاجب فى الاستلحاق واذا استلحق مجهول النسب الى قوله او الشرع بشهرة نسبه كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال يمكن أن يكون مجهول النسب فى حال الاستلحاق ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل الاستلحاق فكانه يقول ألحقه ابتداء ودواما مالم يكذبه أحد هذه هى احدى الحالين الا ان هذا انما يتصور فى الدوام فقط ومما سألته عنه ان الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على مايوهم القطع وكثيرا ما ينكشف الامر بخلافه ولو كتبوا امثلا لظاهر الصحة والجواز والطوع لبرؤا من ذلك فقال لى لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يحمل ذكر الظن ولا ما فى معناه احتمال فاذا امكن العلم بمضمونها لم يجز أن يحمل على غيره فاذا تعذر كما هنا بنى باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الامكان عادة

اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لهما والله لا أنشدت بيت شعر أبدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن أحضر الناس جوابا وأبصرهم بمثالب الناس (قال المسعودى) وللسفاح أخبار غير هذه وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها فى أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة أبى جعفر المنصور)

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى ابن على ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة

واجرى ظاهره على ما بنا فى اصلها صيانة لرونقها ورعاية لما كان ينبغى أن تكون عليه لولا الضرورة قلت ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير مع أن ذلك انما يدرك بما غايته الظن فى الحزر والتخمين وكانا معا يذهبان الى الاختيار وترك التقليد (وممن اخذت عنه أيضا حافظها ومدرسها ومفتيها ابو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالى) صهر شيخ المدرسين أبى على ناصر الدين على ابنته وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر فبعث فيه أبو تاشفين وأنزله من التقريب والاحسان بالمحل المكين فدرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير الاتساع فى الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما مما أخذ كرسالته من قول ابن الحاجب فى السهو فان اخال الاعراض فبطل عمده فقال معناه فان اخال غيره أنه معرض فحذف المفعول لجوازه وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما فى معناه من أن وأن قال الله العظيم الم أحسب الناس أن يتركوا قلت وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثانى وحذف الثالث اختصارا للدلالة المعنى عليه أى فان اخال الاعراض كائنا كما قالوا خلت ذلك وقد أعربت الآية بالوجهين وهذا عندى أقرب ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم أعلم باستقلاله فلان أى أعلم فلان من يقف عليه بان الرسم مستقل فحذفوا الاول وصاغوا اما بعده المصدر * سئل عمران وأنا عنده عما صبغ من الثياب بالدم فكانت حمرته منه فقال يغسل فان لم يخرج شئ من ذلك فى الماء فهو طاهر لان المتعلق به على هذا التقدير ليس الا لون النجاسة واذا عسر قلعه بالماء فهو عفو والا وجب غسله الى أن لا يخرج منه شئ قلت فى البخارى قال معمر رأيت الزهرى يصلى فيما صبغ بالبول من ثياب اليمن وتفسيره على ما ذكره عمران وكان قد صاهر لقاضى الجماعة أبى عبد الله بن هدية على ابنته فلم تزل عنده الى أن توفى عنها (ومنهم) مشكاة الانوار الذى يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكم السلوى رحمه الله تعالى ورد تلمسان بعد العشرين ثم لم يزل بها الى أن قتل يوم دخلت على بنى عبد الواد وذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة قال لى الشيخ ابن مرزوق ابتدأ أمر بنى عبد الواد بقتلهم لابى الحسن السعيد وكان أسمر لأم ولد تسمى العنبر وختم بقتل أبى الحسن بن عثمان اياهم وهو بصفته المذكورة حذو النعل بالنعل فسبحان من دقت حكمته فى كل شئ ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى فى رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هنالك

انظر ففى اليك اليوم معتبر * ان كنت ممن بعين الفكر قد لحظا
بالامس أدعى سعيدا والورى خولى * واليوم يدعى سعيدا من بى اتعظا

قال ابن حكم كان أول اتصالى بالاستاذ أبى عبد الله بن آجروم أنى دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت

عهدى به الحى الجميع وفيهم * قبل التفرق ميسر وندام

وقد عمى عليهم خبر عهدى فقلت له قد سدت الحال وهى الجملة بعده مسده فقال لى بعض

الطلبة

بربرية وكانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة فى الموضع المعروف ببستان بنى عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بمكة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ذكر عن سلامة أم المنصور انها قالت رأيت لما حملت بابى جعفر كأن أسدا خرج من قبلى فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه أسد منها سجد له (حدث) على بن محمد المدائنى ان المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد مروان ابن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته ان ينشدنى فانشدنى

ليت شعرى افاح رائحة المسك وما ان اخال بالخيف انسى
حين غابت بنو امية عنه * والبهاليل من بنى عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس

الطالبة وهل يكون هذا فى الجملة كما كان فى قولك ضربني زيدا قائما فقلت له نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد* ذكر أبو زيد بن الامام يوما فى مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فانهما يستلزمان بحكم الانتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو محال ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجى والاهمال باطلاق لفظ لو وان فى المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة فى قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بابى على حسين بن حسين وأخبرته بهذا و بما أجاب به الزمخشرى وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لى الجوابان فى المعنى سواء لان القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا الابلى فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الى سائر ما يشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبنى عليه من الوسط وغيره والا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين قال الابلى وقد أجبت بجواب السلوى ثم رجعت الى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لان الشرطية لا تنتج جزئية فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أما فى مثل هذا فلا ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهى تنظر الى قمر السماء فهى تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة فقد رأى بعينها لانها ناظرة الحقيقة وأيضا فهو ينظر الى قمر مجازا وهو لافراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانها ناظرة المجاز (قلت) ومن ههنا تعلم وجه الفاء فى قوله فأذكرتني لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فاذكرتني بمثابة قولك أذكرتني فتأمله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ حق الفهم ينشده وأذكرتني فالفاء فى البيت الاول مبنية على معنى البيت الثانى لانها مبنية عليه وهذا النحو يسمى الايذان فى علم البيان ولما اجتمعنا بابى الوليد بن هانئ مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن حكم عن تكرار من فى قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به دون ما بعدها فقال لولا تكررها أولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان فارتفع بتكرار الموضوع أما الآخر فقد تكرر الزمان فارتفع توهم التضاد فلم يحتج الى زائد على ذلك فقلت فهلا اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع لان التسوية لا تقع الا بين امرين وانما الجواب عندى انها تكررت أولا على الاصل لانهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالاول مع امن اللبس وقد أجاب الزمخشرى بغير هذين فانظره* سألنى ابن حكم المذكور عن نسب المجيب فى هذا البيت

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت ان العمى ادركني وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى واربعين ومائة فنزلت على الحجاز فى جبلى زرود فى الرمل امشى لنذر كان على فاذا انا بالضرير فاومأت الى من كان معى تأخروا فتأخروا ودنوت منه فاخذت بيده فسلمت عليه فقال من انت جعلنى الله فداك ما ثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشام فى ايام بنى امية وأنت متوجه الى مروان فسلم على وتنفس وانشأ يقول

آمت نساء بنى امية منهم
و بناتهم بضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم
والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم
فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال أغنانى فلا أسال أحدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذاك قال بالبصرة قلت أثبتني معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد

    لعمرى وأما معرفة النسب فلا فقلت أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الانكاء وقال

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ما قتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت أراه عميا الا لغائه ما النافية فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ * تذاكرت يوما مع ابن حكم في تكملة البدر بن محمد بن مالك لشرح التسهيل لابيه ففضلت عليه كلام أبيه ونازعني الاستاذ فقلت * عهدوه من الآباء توارثها الابناء * فما رأيت باسرع من أن قال

* بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنا *

فبهت من العجب وتوفى الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمي فقيل مات فيها امام نحو وولد فيها امام نحو * سألت ابن حكم عن قول فخر الدين في أول المحصل وعندي أن شيأ منها غير مكتسب بمعنى لاشئ ولا واحد هل له أصل في العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته فقال لي بل له أصل وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب فلم يتفق لي أن أستوقفه عليه ثم لم أزل استكشف عنه كل من أظن أن لديه شيأ منه فلم أجد من عنده أثارة منه حتى مر بي في باب الافعال الداخلة على المبتدا والخبر الداخل عليها كان من شرح التسهيل قوله فان تقدم على الاستفهام احد المفعولين نحو علمت زيدا أبو من هو اختير نصبه لان الفعل مسلط عليه بلا مانع و يجوز رفعه لانه والذي بعد الاستفهام شئ واحد في المعنى فكانه في حيز الاستفهام والاستفهام مشتمل عليه وهو نظير قوله ان احدا لا يقول ذلك واحد هذا لا يقع الا بعد نفي ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيأ واحدا في المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفي فعلمت انه نحا الى هذا لان شيأ هنا والضمير المرفوع بمكتسب المنفي في المعنى شئ واحد فكان شيأ كانه وقع بعد غير اي بعد النفي * سأل ابن فرحون ابن حكم هل تجد في التنزيل ست فاآت مرتبة ترتيبها في هذا البيت

رأى فخب فرام الوصل فامتنعت * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال نعم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الى آخره فنعت له البناء في فتنادوا فقال لابن فرحون فهل عندك غيره فقال نعم فقال لهم رسول الله الى آخر السورة فنع له بناء الآخرة لقراءة الواو فقلت له امنع ولا تسند فيقال لك ان المعاني قد تختلف باختلاف الحروف وان كان السند لا يسمع الكلام عليه وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم الى هذا العدد سواء بهذا الشرط و بدونه كقول نوح عليه السلام فعلى الله توكلت الآية و كقول امرئ القيس غشيت ديار الحي بالبكرات البيتين لا يقال فالحساء مع لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد منها ولعل حكمة الستة انها أول الاعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والارض فيها وشأن اللسان عجيب وقوله في هذا البيت فخب لغة قليلة تجري عليها المحبوب كثيرا حتى استغنى به عن محب فلا تكاد تجده الا في قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا وهذا التوجيه أحسن من قول القرافي في شرح التنقيح أجروا المحسوسات مجرى المعلومات لان الحس أحد طرق العلم (سمعت) ابن حكم يقول بعث بعض أدباء فاس الى صاحب له

ابعث الى بشئ * مدار فاس عليه

يا أمير المؤمنين اعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه ثم بدا لي في مسامرته رأى فامرت بطلبه فكأن البيداء أبادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى بن علي وعيسى بن موسى ومحمد بن علي وصالح بن علي وقثم بن العباس ومحمد ابن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذي به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصرفون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم أدانيها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وامنا منهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة

وليس عندك شئ * مما أشير اليه

فبعث اليه ببطة من مرى يشير بذلك الى الريا وحدثت أن قاضيا أبا محمد عبد الله بن أحمد بن
المعلوم حضر وليمة وكان كثير البلغم فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من
اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء * وكان ابن الاشقر
يذكر بالوقوع في الناس فناوله القاضي غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فطنته
(ومنهم عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس التنزيل وحليف البكاء والعويل أبو محمد
عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي) خطيب جامع القصر الجديد وجامع
خطتي التحديث والتجويد يسميه أهل مكة البكاء ولما قدم أبو الحسن علي بن موسى البحيري
سأل عنه فقيل له لو علم بك أتاك فقال أنا آتي من سمعت سيدي أبا زيد الهزميري يقول له لاول
ما رآه ولم يكن يعرفه قبل ذلك مرحبا بالفتى الخاشع أسمعنا من قراءتك الحسنة دخلت عليه
بالفقيه أبي عبد الله السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاما فقلت لو أكلت معنا فرجونا بذلك ما رفع
من حديث من أكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لي دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي
بالاسكندرية فقدم طعاما فسألته عن هذا الحديث فقال وقع في نفسي منه شئ فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي لم أقله وأرجو أن يكون كذلك وصافحته
بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي بمصافحته أبا
العباس أحمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وسمعته يحدث
عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد فكان يخصه لدينه وعقله
بالنداء باسمه وانما كان ينعق بمماليكه يا ساقي يا طباخ يا مزين فناداه به ذات يوم يا فراش فظن
ذلك لموجدة عليه فلما لم ير أثر ذلك وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه فقال
لا عليك كنت حينئذ جنبا فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة * ومما
نقلته من خط المجاصي ثم قرأته عليه فحدثني به قال حدثني القاضي أبو زكريا يحيى بن محمد
ابن يحيى بن أبي بكر بن عصفور قال حدثني جدي يحيى المذكور أخبرنا محمد بن عبد الرحمن
التجيبي المقري بتلمسان حدثنا الحافظ ابو محمد يعني والله اعلم عبد الحق الاشبيلي اخبرنا ابو
غالب احمد بن الحسن المستعمل اخبرنا ابو الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن ابي الحسن بن
خلف الالمعي اخبرنا ابو نصر احمد بن اسحق النيسابوري املى علينا ابو عثمان اسمعيل بن عبد
الرحمن الصابوني اخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوي اخبرنا عبد الله بن اسحق اللغوي وانا
سألته اخبرنا ابراهيم بن الهيثم البلدي أخبرنا عبد الله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الاعمش
عن ابي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل الا
اعلمك الكلمات التي قالهن موسى حين انفلق له البحر قلت بلى قال قل اللهم لك الحمد واليك
المشتكى وبك المستغاث وانت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن مسعود فما تركتهن
منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسلسل الحديث على ذلك كل احد من رجاله
يقول ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان لشيخه وقد سمعت المجاصي يكررها كثيرا وما
تركتهن منذ سمعتهن منه * وانشدني المجاصي قال انشدني نجم الدين الواسطي انشدني شرف

فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن علي يا امير
المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبد الله ليسأله عن شئ من امورهم والسبب الذي به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم أشخصه عن بلده فان راى امير المؤمنين ان يدعو به ليحدثه امره فعل فامر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبد الله قص علي قصتك وقصة ملك النوبة قال يا امير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتاني ملكها فقعد على الارض وقد اعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لاني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا لجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو
محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا

الدين الدمياطي انشدني تاج الدين الارموي مؤلف الحاصل قال انشدني الامام فخر الدين لنفسه

نهاية اقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فاتوا والجبال جبال

وتوفي المحاصي في العشر الأخير من شهر ربيع الاول عام احد وأربعين وستمائة (ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر ابو علي حسن بن يوسف بن يحيي الحسيني السبتي) ادرك ابا الحسين بن ابي الربيع وابا القاسم الغرفي واختص بابن عبيدة وابن الشاط ثم رحل الى المشرق فلقي ابن دقيق العيد وطبقته ثم قفل فاستوطن تلمسان الى أن مات بها سنة اربع وخمسين او ثلاث وخمسين وسبعمائة قرأ علينا حديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه حدثنا الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن ابن ابي العز الواسطي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو العز عبد المغيث بن زهير وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي وهو اول حديث سمعته منه (ح) قال الحسن بن علي وحدثنا أيضا ابا الحسن بن محمد البكري وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا زاهر بن طاهر وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المغرم امام جامع همذان بها وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو صالح احمد بن عبد الملك وهو اول حديث سمعته منه حفظا اخبرنا ابو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيي بن هلال البزار وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو ابن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (ح) وحدثني الشريف أيضا كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة فيه وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال لي الشريف قال لي القاضي أبو العباس الرندي لما قدم أبو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هياته فلما نظر اليه ابن الغماز أنشده

لبس البرنس الفقيه فباهى * ورأى أنه المليح فتاها

ذلك على الكره منا فاطرق الى الارض يقلب يده مرة وينكت في الارض أخرى ويقول عبيدنا وأتباعنا واعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن ارضي ففعلت فتعجب المنصور واطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن علي أن في عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودي) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد

لوزليخا رأته حين تبدى * لتمنته أن يكون فتاها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا انهم لم يهلوه وجاء حفيد له صغير فاخبره انه أهله فرده معه فأراهم اياه فقال ما أشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع ابى الربيع بن سالم فأنشدنا فيه

توارى هلال الافق عن أعين الورى * وأرخى حجاب الغيم دون محياه

فلما تصدى لارتقاب شقيقه * تبدى له دون الانام فحياه

سمعت الشريف يقول أول زجل عمل فى الدنيا

بالله ياطير مدلل * مربى وسط القفار

اياك تجدد لعاده * ترمى حجيره فى دارى

(ومنهم قاضى جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها أبو عبد الله محمد بن منصور بن على ابن هدية القرشى) من ولد عقبة بن نافع الفهرى نزلها سلفه قديما وخلفه بها الى الآن توفى فى أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وشهد جنازته سلطانها ابو مئذ ابو تاشفين وولى ابنه أبا على منصورا مكانه يومئذ ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له اكتب هذين البيتين فانى نظمتهما على هذه الحالة فكتب

الهى مضت للعمر سبعون حجة * جنيت بها لما جنيت الدواهيا

وعبدك قد امسى عليل ذنوبه * فجد لى برحمى منك نعم الدواهيا

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودى من المغرب رفع اليه قصيدة أولها

سرت والدجى لم يبق الا يسيرها * نسيم صبا يحيى القلوب مسيرها

وفيها الابيات العجاب التى سارت سير الامثال وهى قوله

وفى الكلة الحمراء حمراء لو بدت * لشكلى لولى شكلها وثبورها

فما يستوى مثوى لها من سوى القنا * خيام ومن بيض الصفاح ستورها

وما بسوى صدق الغرام أرومها * ولا بسوى زهر الخيال أزورها

فأحسن اليه وكلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه وقد شهدت المكودى وهذه القصيدة تقرأ عليه (ومنهم القاضى أبو عبد الله محمد بن احمد بن على بن أبى عمرو التميمى) أدرك ابن زيتون وأخذ عن أبى الطاهر بن سرور وحلبته وعنه أخذت شرح المعالم له وولى القضاء بتلمسان مرات فلم تستفزه الدنيا ولا باع الفقر بالغنى (ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور) قاضى الجماعة بعد ابن أبى عمرو وكانت له رحلة الى المشرق لقى بها جلال الدين القزوينى وحلبته وتوفى بتونس فى الوباء العام فى حدود الخمسين وسبعمائة (ومنهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن الحسين البرونى) قدم عليها من الاندلس فاقام الى ان مات سمعته يقول البقر العدوية كالابل المهملة فى الصحراء لا يجوز ان تباع بالنظر اليها لكن بعد ان تمسك ويستولى عليها (ومنهم أبو عمران موسى المصمودى الشهير بالبخارى) سمعت البرونى يقول كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخارى ورفيق له يدرس صحيح مسلم فكانا يعرفان بالبخارى ومسلم فشهدا عند قاض فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما فقال له ابو عمران

ابن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم واستوزر أبو جعفر المنصور ابن عطية الباهلى ثم استوزر أبا أيوب النورانى الحوزى وكان له بابى جعفر أسباب منها انه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط فى أيام الامويين وأراد هتكه فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم باشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شئ من السحر يطليه على حاجبيه اذا أراد الدخول على المنصور فسار فى العامة دهن أبى أيوب لما ذكرنا ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابى جعفر تدبير هشام فى حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يساله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فاخبرنى كيف فعل فى حرب دبرها فى سنة كذا وكذا قال فعل رضى الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقام

أمكنه من الاعذار فى الصحيحين فضحك القاضى واصلح بين الخصمين * سألته عما ضربه ابن
هدية عليه من اباحة الاستياك فى رمضان بقشر الجوز فقال لى نعم و يبلغ ريقه تأول رحمه الله
تعالى ان الخصال المذكورة فى السواك انما تجتمع فى الجوز فكان يحمل كل ماروى فيه
عليه وهذا غلط فاحش لان العرب لا تكاد تعرفه ونظر الى ما فى البخارى من قوله بعد أن ذكر
جواز السواك للصائم ولا بأس أن يبتلع ريقه يعنى الصائم فى الجملة فحمله على المستاك بالجوز
وكان رحمه الله تعالى قليل الاصابة فى الفتيا كثير المصائب عليها * (ومنهم نادرة الاعصار
أبو عبد الله محمد بن يحيى بن على بن النجار) قال لى العلامة الابلى ماقرأ احد على حتى قلت
له لم أبق عندى ما أقول لك غير ابن النجار * سمعت ابن النجار يقول مر عمل الموقتين
على تساوى فضلتى ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثمانى
عشرة درجة وبالفجر لبقائها والجارى على مذهب مالك أن الشفق الحمرة وأن تكون فضلة
ما بين العشاءين اقصر لان الحمرة ثانية الغوارب والطوالع فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين
ابتداء طلوع الحمرة والشمس فعرضت كلامه هذا على المزوار أبى زيد عبد الرحمن بن سليمان
اللعائى فصوبه * وذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق فى الخمر اذا تخللت بنفسها انها تطهر
واعترضته بما فى الاكمال عن ابن وضاح أنها لا تطهر فقال لى لا معتبر بقول ابن وضاح هذا
لانه يلزم عليه تحريم الخل لان العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا وفيه بحث * وذكرت
يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة وهى أصول وفصول وفصول أول
أصوله وأول فصل من كل أصل وان علا فقال ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين
حلت والا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لان أقسام هذا الضابط أربعة التركب من
الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالاب والبنت التركب من قبل الرجل كابنة الاخ والعم
مقابله كابن الاخت والخالة * وأنشدت يوما عنده على زيادة اللام

باعد أم العمرو من اسيرها البيت فقال لى وما يدريك أنه أراد العمر الذى أراده المعرى بقوله

وعمر هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يعنى الناس تعنيتا

وأضاف اللام اليه كما قالوا أم الحليس قلت ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تكنى أم عمرو
لان ذلك لا يمنع ارادة المعنى الآخر فتكون أم عمرو وأم العمر قال ابن النجار بعثت بهذه
الابيات من نظمى الى القاضى أبى عبد الله بن هدية فاخرج لغزها

ان حروف اسم من كلفت به * خفت على كل ناطق بفم
سائغة سهلة مخارجها * من أجل هذا تزداد فى الكلم
صحفه ثم اقلبن مصحفه * فهل ذكى مهذب فهم
واطلبه فى الشعر حد مطلبه * تجده كالصبح لاح فى الظلم
فان تأملت بت منه على * علم والافانت عنه عمى

واللغز سلمان وموضعه تاملت بت وتوفى رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام * (ومنهم
الاستاذ المقرى الراوية الرحلة أبو الحسن على بن أبى بكر بن سبع بن مزاحم المكناسى) ورد
علينا من المشرق فاقام معنا أعواما ثم رحل الى فاس فتوفى بها فى الوباء العام جمعت عليه

قلادة فى عنقى ومنة فى رقبتى لاينزعها الاغاسلى فامر المنصور برده وقال
الشيخ وهو يقول ان أعدوك
كيف قلت قال انه كفانى
الطلب وصان وجهى عن
السؤال فلم أقف على باب
عربى ولا عجمى منذ رأيته أفلا
يجب لى أن أذكره الاخير
وأتبعه بثنائى فقال بلى لله
أم نهضت عنك أشهد أنك
نهيض حرة وغراس كريم
ثم استمع منه وأمر له بجائزة
فقال يا أمير المؤمنين
ما آخذ هذا الحاجة وما هو
الا أن أتبجح بحبائك وأتشرف
بصلتك فاخذ الصلة فقال
له المنصور مت اذا شئت لله
أنت لو لم يكن لقومك غيرك
كنت قد أبقيت لهم مجدا
وقال لجلسائه بعد خروجه
عنه فى مثل هذا تحسن
الصنيعة ويوضع المعروف
ويجاد بالمصون وأنى فى
عسكرنا مثله ودخل معن
ابن زائدة على المنصور فلما
نظر اليه قال هيه يا معن تعطى
مروان بن أبى حفصة مائة
ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زيدت به
شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين
انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت يا معن وكان معن من أصحاب عمر

السبع وقرأت عليه البخارى والشاطبيتين وغير ذلك فاما البخارى فحدثنى به قراءة منه على أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدى سنة ثلاثين وستمائة وهذا مما لا يعرف له نظير فى الاسلام وقد قال عبد الغنى الحافظ لا نعرف فى الاسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوى فى قدم السماع فانه توفى سنة سبع عشرة وثلثمائة قال ابن خلاد سمعناه يقول أخبرنا اسحق بن اسمعيل الطالقانى سنة خمس وعشرين ومائتين وسمعه ابن الزبيدى على أبى الوقت بسنده قال لى ابن مزاحم هذا طريق كله سماع وأما الشاطبيتان فحدثنى بهما قراءة عليه لجميعهما عن بدر الدين بن جماعة بقراءته لهما عليه عن أبى الفضل هبة الله بن الازرق بقراءته لهما عليه عن المؤلف كذلك وحدثنى بتسهيل الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك *(وممن ورد علينا الاير يد الاقامة بهاشيخى وبركتى وقدوتى أبو عبد الله محمد بن حسين القرشى الزبيدى التونسى) حدثنى بالصحيحين قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما عن أبى اليمن بن عساكر لقيه بمكة سنة احدى وثمانين وستمائة بسنده المشهور وحدثنى أيضا أن أبا منصور العجمى حدثه بحضر الشيخين والده حسين وعمه حسن وأثنى عليه دينا وفضلا أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر أدخله عليه بعض ولد ولده فالفاه ملفوفا فى قطن وسمع له دويا كدوى النحل فقيل له ألقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيته قال نعم قلت ليس فى هذا ما يستراب منه الا الشيخ المعمر فانا لا نعرف حاله فان صح فحديثنا عنه ثلاثى وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلا يسمى بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه وكتبت منه فهذا ثنائى وأمر المعمر غريب والنفس أميل الى نفيه *(ومنهم امام الحديث والعربية وكاتب الخلافة العثمانية والعلوية أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى السبتى) جمع فأوعى واستوهب أكثر المشاهير وما سعى فهو المقيم الظاعن الضارب القاطن سالنى عن الفرق بين علم الجنس واسم الجنس فقلت له زعم الخسروشاهى أنه ليس بالديار المصرية من يعرفه غيره وانا أقول ليس فى الدنيا عالم الا وهو يعلمه غيره لانه حكم لفظى وجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر ونحوه فاستحسن ذلك *وكان ينكر اضافة الحول الى الله عز وجل فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته قال لانه لم يرد اطلاقه والمعنى يقتضى امتناعه لان الحول كالحيلة أو قريب منها وتوفى بتونس أيام الوباء العام *(ومنهم الفقيه المحقق الفرضى المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن على السطى) قرأت عليه كتاب الحوفى علما وعملا قال لى فى قول ابن الحاجب والثمن والثلث والسدس من أربعة وعشرين هذا لا يصح اذ لا يجتمع الثلث والثمن فى فريضة وقد سبقه الى هذا الوهم صاحب المقدمات وسألت عنه ابن الابار فقال لى انما أراد المقام لانه يجتمع مع الثلثين والانصاف أنه لا يحسن التعبير بما لا تصح ارادة نفسه عن غيره فكان الوجه أن يقول والثلثان او ومقام الثلث أو نحو ذلك لان الثلث انما يدخل هنا تقديرا لا تحقيقا كما فى الجواهر وانظر باب المدبر من كتاب الحوفى فان فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض وعليه ينبغى أن يحمل كلام ابن الحاجب *(ومنهم الاستاذ أبو عبد الله الرندى والقاضى أبو عبد الله محمد بن على بن

ابن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سعت فيه عدة من اهل خراسان فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور أمنه وحباه وأكرمه وكساه ورتبه وذكر أن ابن عياش المنتوف ذكر أن المنصور كان جالسا فى مجلسه المبنى على طاق باب خراسان من مدينته التى بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفا على دجلة وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة فى الاعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت أربعة أبواب شوارع مخترقة وطاقات معقودة وهى باقية الى وقتنا هذا الذى هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فاول أبوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات

في ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقائها الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي كتابناه هذا تال له فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من أعالي باب خراسان اذجاءسهم عائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

أتطمع في الحياة الى التنادي
وتحسب أن مالك من نفاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا
وتسئل بعد ذلك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هي المقادير تجرى في أعنتها ✻ فاصبر فليس لها صبر على حال

عبد الرزاق الجزولي والقاضي أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى) في كثير من الخلق فلنضرب عن هذا ✻ (ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن علي الخياط) أدرك أبا اسحق الطيار وقد صافحته وانا صغير لانه توفي سنة تسع وعشرين بصافحته اباه بصافحته الشيخ أبا تميم بصافحته أبا مدين بصافحته أبا الحسن ابن حرزهم بصافحته ابن العربي بصافحته الغزالي بصافحته أبا المعالي بصافحته أبا طالب المكي بصافحته ابا محمد الجريري بصافحته الجنيد بصافحته سريا بصافحته معروفا بصافحته داود الطائي بصافحته حبيبا العجمي بصافحته الحسن البصري بصافحته علي بن ابي طالب بصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم ✻ (ومنهم خطيبها المصقع ابو عبد الله محمد بن علي بن الجمال) ادرك محمد بن رشيد البغدادي صاحب الزهر والوتريات على حروف المعجم والمذهبة وغيرها حدثني عنه انه تاب بين يديه لاول مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلا ✻ (ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان ابو عبد الله محمد وابو العباس احمد ابنا ولي الله ابي عبد الله محمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق العجيسي) كساني محمد خرقة التصوف بيده كما كساه اياها الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم الشيخ ابي مدين كما كساه ابو مدين قال محمد بن مرزوق وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة وخدم ابا مدين نحوا من خمسة عشر عاما الى ان توفي في عام تسعين وخمسمائة ثم عاش بعده اكثر من مائة سنة ولبس ابو مدين من يد ابن حرزهم ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي واتصل اللباس اتصال المصافحة ✻ (ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي المكتب) حدثنا عن قاضيها أبي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي أنه اختصم عنده رجلان في شاة ادعى أحدهما انه أودعها الآخر وادعى الآخر انها ضاعت منه فاوجب اليمين على المودع عنده أنها ضاعت من غير تضييع فقال كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها فحكم عليه بالغرم فقيل له في ذلك فقال تأولت قول عمر ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ✻ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغزموني) مكتبي الاول ووسيلتي الى الله عز وجل قرأ على الشيخين أبي عبد الله القصري وأبي حريث وحج حجات وكان عقد بقلبه أنه كلما ملك مائة دينار عينا سافر الى الحج وكان بصيرا بتعبير الرؤيا فمن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرائحي منهم كأنه قائم على ساقية دائرة وجميع قواديسها يصب في نقير في وسطها فجاء ليشرب فلما اغترف الماء اذا فيه فرث ودم فأرسله ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا أو أكثر فعدل عنه فرأى حصة ماء فشرب منها ثم استيقظ وهو النهار فأخبره فقال ان صدقت رؤياك فنحن عما قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وانت جرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم وهذا لاتحتاج معه فلم يكن الاضحوة النهار واذا النداء عليه فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فأدخل يده فنالها الفرث والدم فخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفي وسرحوا ✻ وتعداد أهل هذه الصفة

يكثر فلنصفح عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة أحدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها *(أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدرى الابلى التلمساني) سمع جده لامه أبا الحسين بن غلبون المرسى القاضى بتلمسان واخذ عن فقهائها ابى الحسين التنسى وابنى الامام ورحل فى آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم قفل الى المغرب فاقام بتلمسان مدة ثم فر أيام أبى حم موسى بن عثمان الى المغرب حدثنى أنه لقى أبا العباس احمد بن ابراهيم الخياط شقيق شيخنا أبى عثمان المتقدم ذكره فشكاله مايتوقعه من شر أبى حم فقال له عليك بالجبل فلم يدر ما قال حتى تعرض له رجل من غمارة فعرض عليه الهروب به قال فخفت أن يكون أبو حم قد دسه على فتنكرت له فقال لى انما أسيرك على الجبل فتذكرت قول أبى اسحق فواطأته وكان خلاصى على يده قال ولقد وجدت العطش فى بعض مسيرى به حتى غلظ لسانى واضطربت ركبتاى فقال لى ان جلست قتلتك لئلا أفتضح بك فكنت أقوى نفسى فرعلى بالى فى تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس وتوسله به فوالله ماقلت شيأ حتى رفع لى غدير ماء فأريته اياه فشرب بنا ونهضنا ولما دخل المغرب ادرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه قال لى قلت لابى الحسن الصغير ماقولك فى المهدى فقال عالم سلطان فقلت له قد أبنت عن مرادى ثم سكن جبال الموحدين ثم رجع الى فاس فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه فقال لى الابلى كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجى فوردت عليه طومارة من قبل القاضى أبى الحجاج الطرطوشى فيها

خيرات ماتحويه مبذولة * ومطلبى تصحيف مقلوبها

فقال لى ماطلبه فقلت نارنج دخل على الابلى وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقى المتطبب فاخبرنا أن اديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر *ثم حبيب قلما ينصف* فاخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته فاذا هو قصدتا ملف شحمى ومر الدباغ علينا يوما بفاس قد عاء الشيخ فاباه فقال حدثنا بحديث اللطافة فقال نعم حدثنى أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا اسحق التلمسانى وصهره مالك بن المرحل وكان ابن السراج قد لقيهما اصطحبا فى مسير فآواهما الليل الى مجشر فسألا عن صاحبه فدلا فاستضافاه فاضافهما فبسط قطيفة بيضاء ثم عدف عليهما بخبز ولبن وقال لهما استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر عشاؤكما وانصرف فتحاورا فى اسم اللطافة لاى شئ هو منهما حتى ناما فلم يرع أبا اسحق الا مالك يوقظه و يقول قد وجدت اللطافة قال كيف قال ابعدت فى طلبها حتى وقعت بعالم يمر قط على مسمع هذا البدوى فضلا عن ان يراه ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فسنح لبالى أنه وجد اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين فجعل احدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة الالطافة واللين اللبن وان كان قد صحف عنم بغنم وظن ان يعقد جبن فقد قوى عنده الوهم فقال ابو اسحق ماخرجت عن صوبه فلما جاء سالاه فاخبر انها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك ولا تعجب من مالك فقد وردفاس شيخنا ابو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى

مكتوب همذان منها رجل مظلوم فى حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا فى بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فسالوه عن بلده فقال همذان فحمل ووضع بين يدى المنصور فسأله عن حاله فاخبره انه رجل من أبناء مدينة همذان وأرباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولى ضيعة فى بلدنا تساوى ألف ألف درهم فاراد أخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد وحملنى وكتب اليك انى عاص فطرحت فى هذا المكان فقال منذ كم قال منذ أربعة أعوام فأمر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وأنزله أحسن منزل ورده اليه فقال له ياشيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ماعشت وعشنا وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها وأما الوالى فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره اليك فجزاه

خيرا ودعاله بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت

عنه فامر له المنصور بمال على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق وسأل الشيخ مكاتبته فى مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على البريد ثم أنشأ المنصور يقول

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه
يوما وللدهر احلاء وامرار
لكل شئ وان دامت سلامته
اذا انتهى فله لابد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة ما ترى فى أمر أبى مسلم قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية * وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن على قال ما زال المنصور يشاورنا فى جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال فى قصيدة له

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره
فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين فى سر أمره
اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما أراد المنصور قتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فأرقه ذلك فقال

تقسمنى أمران لم أمتحنهما * بحزم ولم يعرك قواى الكراكر

عرف بابن المسفر رسولا عن صاحب بجاية فزاره الطلبة فكان فيما احدثهم انهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع فى تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه ثبت فى بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط فى الجنس والبسيط مثل المركب فى الفصل وان الجنس أقوى من الفصل فرجعوا به الى الشيخ الابلى فتأمله ثم قال هذا كلام مصحف واصلة أن المركب قبل البسيط فى الحس والبسيط قبل المركب فى العقل وان الحس أقوى من العقل فاخبروا ابن المسفر فلج فقال لهم الشيخ التمسوا النسخ فوجدوه فى بعضها كما قال الشيخ والله يؤتى فضله من يشاء * قال لى الابلى لما نزلت تازى بت مع أبى الحسن بن برى وأبى عبد الله التزجالى فاحتجت الى النوم وكرهت قطعهما عن الكلام فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعرى

أقول لعبد الله لما سقاؤنا * ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه فنمت حتى أصبحا ولم يجداه فالانى عنه فقلت معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس شم لنا برقا قلت وفى جواز مثل هذا نظر سمعت الابلى يقول دخل قطب الدين الشيرازى والدنيران على أفضل الدين الخونجى ببلده وقد تزيا بزى القونوية فسأله أحدهما عن مسئلة فاجابه فتعايا عن الفهم وقرب التقرير فتعايا فقال الخونجى متمثلا

على نحت المعانى من معادنها * وما على لكم أن تفهم البقر

فقال له ضم التاء يا مولانا فعرفهما فحملهما الى بيته قلت سمعت الشيخ شمس الدين الاصبهانى بخانقاه قوصون بمصر يقول ان شيخه القطب توفى عام احد عشر وسبعمائة وله سبع وسبعون سنة وهذا يضعف هذه الحكاية عندى سمعت الابلى يقول ان الخونجى ولى قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام فقدم شاهدا كان عز الدين أخره فعذله فى ذلك فقال ان مولانا لم يذكر السبب الذى رفع يده من اجله وهو الآن غير متمكن من ذكره سمعت الشيخ الابلى يحدث عن قطب الدين القسطلانى أنه ظهر فى المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث مذهب ابن سبعين وتملك الططر للعراق واستعمال الحشيشة * سمعت الابلى يقول قال ابو المطرف بن عميرة

فضل الجمال على الكمال بوجهه * فالحق لا يخفى على من وسطه
و بطرفه سقم وسحر قداتى * مستظهرا بهما على ما استنبطه
عجبا له برهانه بشر وطه * معه فما مقصوده بالسفسطه

قال فاجابه أبو القاسم بن الشاط فقال

علم التباين فى النفوس وانها * منها مغلطة وغير مغلطه
فئة رأت وجه الدليل وفرقة * اصغت الى الشبهات فهى مورطه
فاراد جمعهما معا فى ملكه * هذى بحجة وذى بمغلطه

يعنى قولهم فى الشام هو ما تحمل فيه البرهان الفصل وأخبار الابلى وأسمعتى منه تحتمل كتابا فلنقف على هذا القدر منها * وأما النادرة (فابو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمعى

المراكشي) صحب أبا زيد الهزميري كثيرا وابا عبد الله بن تيجان وأبا العباس بن البناء وأضرابه من المراكشيين ومن جاورهم ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله ورءاسئل عن نفسه فيقول ولى مفسود قلت له يوما كيف انت فقال محبوس فى الروح وقال الليل والنهار حرسيان أحدهما اسود والاخر أبيض وقد اخذا بمجامع الخلق يجرانهم الى القيامة وان مردنا الى الله تعالى وسمعته يقول المؤذنون يدعون أولياء الله الى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ويصرفونهم عن الاشتغال بعالم يين لهم فيخرجونهم ويغلقون الابواب دونهم ووجدته ذات يوم فى المسجد ذاكرا فقلت له كيف أنت فقال فهم فى روضة يحبرون فهممت بالانصراف فقال ابن تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج وأشار الى المنار مملوا الله أكبر *مر ابن شاطر يوما على أبى العباس احمد بن شعيب الكاتب وهو جالس فى جامع الجزيرة طهره الله تعالى وقد ذهبت به الكفرة فصاح به فلما رفع رأسه اليه قال له انظر الى مركب عزرائيل وأشار الى نعش هنالك قد رفع شراعه ونودى عليه الطلوع ياغزى *وأكل يوما مع أبى القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم ان فى هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز فقال ابن شاطر وهل الجلجلان الا لوزة ذقه *وسئل عن العلة فى نضارة الحداثة فقال قرب عهدها بالله فقيل له فم تغير الشيوخ فقال من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين فقيل له فبخر أفواههم فقال من كثرة ماتقل الشياطين فيها *وكان يسمى الصغير فأر المصطكى *قال لى ابن شاطر لقيت عمى ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه وتغيرت حالته فقلت له مابالك وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول فقال انسدت الزربطانة فطلع يعنى العذرة يشير الى الاحتقان للطبيعة *أنشدنى ابن شاطر قال أنشدنى ابو العباس بن البناء لنفسه *قصدت الى الوجازة فى كلامى *الابيات وأخبار ابن شاطر عندى تحتمل كراسة فلتقنع منها بهذا القدر

*(فصل) ولما دخلت تلمسان على بنى عبد الواد تهيأ لى السفر منها فرحلت الى بجاية فلقيت بها أعلاما درجوا فامست بعدهم خلاء بلقعا فنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى عرف بابن المسفر باحثته واستفدت منه وسألنى عن اسم كتاب الجوهرى فقلت له من الناس من يقول الصحاح بالكسر ومنهم من يفتح فقال انما هو بالفتح بمعنى الصحيح كما ذكره فى باب صح قلت ويحتمل أن يكون مصدر صح كحنان وكتب الى بعض أصحابه بجواب رسالة صدره بهذين البيتين

وصلت صحيفتكم فهزت معطفى * فكأنما اهدت كؤس القرقف

وكأنها ليل الامان لخائف * اووصل محبوب لصب مدنف

(ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى يوسف يعقوب الزواوى) فقيه ابن فقيه كان يقول من عرف ابن الحاجب اقرأ به المدونة قال وانا اقرأ به المدونة ومنهم أبو على حسين ابن حسين امام المعقولات بعد ناصر الدين ومنهم خطيبها أبو العباس احمد بن عمران وكان قد ورد تلمسان وأورد بها على قول ابن الحاجب فى حد العلم صفة توجب تمييزا لا يحتمل

على مثلها مقدامة متجاسر
وقد كان عبد الله بن على خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب اليه

سأجعل نفسى منك حيث جعلتها
وللدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليه بابى مسلم فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور وصبر الفريقان شهورا على حربها واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن على فيمن كان معه وسار فى نفر من خواصه الى البصرة وعليها أخوه سليمان بن على عم المنصور فظفر أبو مسلم بما كان فى عسكر عبد الله فبعث اليه المنصور بيقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبى مسلم قال السلام عليك أيها الامير قال لاسلم الله عليك يا ابن اللخناء أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الاموال فقال له ماندا هذا منك أيها الامير قال أرسلك صاحبك لقبض مافى يدى من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهنى

النقيض الخاصة الا ان يزاد فى الحد لمن قامت به لانها انما توجب فيه تمييزا لا تمييزا وهذا
حسن ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان وغيرهم من أهل عصرهم ثم
رحلت الى تونس فلقيت بها قاضى الجماعة وفقيهها أبا عبد الله بن عبد السلام فحضرت تدريسه
وأكثرت مباحثته ولما نزلت بظاهر قسطينة تلقانى رجل من الطلبة فسألنى عن هذه
الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها أن الجزاء هو الشرط أى وان لم تبلغ فما
بلغت وذلك غير مفيد فقلت بل هو مفيد أى وان لم تبلغ فى المستقبل لم ينفعك تبليغك فى
الماضى لارتباط أول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها بدليل قصة يونس فعبر بانتفاء
ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه اذ كان انما يطلب ولا يعتبر بدونه كقوله عليه الصلاة
والسلام لا صلاة الا بطهور ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بو قير بتونس فسألته عن
ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقى الدين فيه قلت كلام تقى الدين لا يعطى
الجواب عن الآية فتأمله وقاضى المناكح أبا محمد الاجمى وهو حافظ فقهائها فى وقته والفقيه
أبا عبد الله بن هرون شارح ابن الحاجب فى الفقه والاصول والخطيب أبا عبد الله بن عبد
الستار وحضرت تدريسه بمدرسة المعرض والعلامة أبا عبد الله بن الجباب الكاتب والفقيه
أبا عبد الله بن سلامة والشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبى محمد المرجانى
آخر المذكورين بافريقية ورأيت الشيخ ابن الشيخ المرجانى فحدثنى أبو موسى بن الامام
انه أشبه به من الغراب بالغراب وسيدى أبا عبد الله الزبيدى المتقدم ذكره وأوقفنى على خطا
فى كتاب الصحاح وذلك أنه زعم ان السالم جلدة ما بين العين والانف قال وفيه يقول
ابن عمر فى ابنه سالم

يديروننى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين الانف والعين سالم

قال وهذا أراد عبد الملك حيث كتب الى الحجاج انت منى كسالم وهو خطأ فاحش وكان يلزمه
أن يسميها بالعمارة أيضا لقوله عليه السلام عمارة جلدة ما بين عينى وانفى وانما اراد مثل هذا
القرب والتحمد * ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ثم قفلت الى
المغرب يسايرنى رجل من أهل قسطينة يعرف بمنصور الحاجى فما رأيت رجلا أكثر أخبارا ولا
اظرف نوادر منه فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الادباء مر برجل من الغرباء وقد قام بين
ستة أطفال جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله وأخذ ينشد

ما كنت احسب أن أبقى كذا أبدا * أعيش والدهر فى أطرافه حتف
ساس بستة أطفال توسطهم * شخصى كحرف ساس وسطها ألف

قال فتقدمت اليه وقلت فأين تعريقة السين فقال طالب ورب الكعبة ثم قال للآخر من جهة
يمينه قم فقام يجر رجله كانه مبطول فقال هذا تمام تعريقة السين * ثم رحلت من تلمسان
الى المغرب فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم
البرناسى والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناتى والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون
عبد العزيز بن محمد القيروانى والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله اليالصونى وكان حافظ

اليك لغير تهنئتك بالظفر فاعتنقه أبو مسلم وأجلسه الى جانبه فلما انصرف قال لاصحابه والله انى لاعلم أنه
قد طلق زوجته ولكنه وفى لاصحابه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التى بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى أبى مسلم انى قد أردت مذاكرتك باشياء لم يحملها الكتاب فأقبل فان مقامك عندنا قليل فقرأ الكتاب ومضى على حاله فسرح اليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى وكان واحد أهل زمانه وداهية عصره وكانت المعرفة بينه وبين أبى مسلم قديمة بخراسان فأتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة ما آمن ان يعيبك من هنالك ومن ههنا وأن يقال طالب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تكرهه ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال فأراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك ابن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا قط يعنى الجريرى فلم يزل به حتى

وقته

وقته والفقيه اباعبدالله بن عبد الكريم وشيخ الشيوخ ابازيد عبدالرحمن بن عفان الجزولى
والاستاذ ابا العباس المكناسى وكنت لقيت الاستاذ ابا العباس بن حزب الله والاستاذ ابا
عبدالله القصار بتلمسان ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم وكنت قد لقيت بتازى الفقيه
اباعبدالله بن عطية والاستاذ اباعبدالله المجاصى والشيخ ابا الحسين الجيار وغيرهم ثم بلغت
بالرحلة الى اغمات ثم وصلت الى سبتة فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لابد من
لقائه من علمائه وصلحائه ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اعملت الرحلة
الى الحجاز فلقيت بمصر الاستاذ اثير الدين اباحيان الغرناطى فرويت عنه واستفدت منه
وشمس الدين الاصبهانى الآخر وشمس الدين بن عدلان وقرأ على بعض شروحه لكتب
المزنى وناولنى اياه وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها والشيخ الصالح ابا محمد المنوفى
فقيه المالكية بها وتاج الدين التبريزى الاصم وغيرهم ممن يطول ذكرهم ثم حججت فلقيت
بمكة امام الوقت اباعبدالله بن عبدالرحمن التوزرى المعروف بخليل وسألته يوم النحر حين
وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسر لا حرك فيه على الجمل فقال لى تمالأ الناس على ترك هذه
السنة حتى نسى بتركها محلها والاقرب انه هذا واشار الى ما يلى الجابية التى على يسار المار من
المشعر الى منى من الطريق من اول ما يحاذيها الى ان يأخذ صاعدا الى منى وما رأيت اعلم
بالمناسك منه والامام ابا العباس بن رضى الدين الشافعى وغير واحد من الزائرين والمجاورين
واهل البلد وبالمدينة اعجوبة الدنيا ابا محمد عبدالوهاب الجبرتى وغيره ثم اخذت على الشام
فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية وصدر الدين الغمارى
المالكى واباالقاسم بن محمد اليمانى الشافعى وغيرهم وببيت المقدس الاستاذ اباعبدالله
ابن مثبت والقاضى شمس الدين بن سالم والفقيه المذكر اباعبدالله بن عثمان وغيرهم ثم
رجعت الى المغرب فدخلت سجلماسة ودرعة ثم قطعت الى الاندلس فدخلت الجبل
واصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة وانتهت بى الرحلة الى غرناطة وفى علم الله تعالى مالا
اعلم وهو المسؤل أن يحملنا على الصراط الاقوم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
انتهى كلام جدى رحمه الله تعالى فى الجزء الذى ألفه فى مشيخته وقد لخصه لسان الدين فى
الاحاطة * ولنذكر هنا زيادات لا بأس بها فنقول ولما ألم ولى الدين بن خلدون بذكر مولاى
الجد فى تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه وصفه بانه كبير علماء المغرب ونص محل الحاجة من
تاريخه لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمنا فى البحر نحوا من
أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على
التخت واقتعاد كرسى الملك دون أهله بنى قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية
البلاد من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت باسكندرية شهر التهيئة لاسباب الحج ولم يقدر عامئذ
فانتقلت الى القاهرة أول ذى القعدة فرأيت حضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم
ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسى الملك تلوح القصور والاواوين فى
أوجه وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضىء البدور والكواكب من علمائه قد
مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ويجبى اليهم

أقبل به على المنصور وكان أبو مسلم يجد خبره فى الكتب السالفة ونعته وأنه يقتل بالروم وكان يكثر من
قول ذلك على حسب ما وجد
فى الملاحم وأنه يميت دولة
ويحيى أخرى فلما دخل
على المنصور وقد تلقاه
الناس رحب به وقال له
كدت أن تمضى قبل أن
أقضى عليك بما تريد قال
فقد أتيت يا أمير المؤمنين
فأمر بأمرك فأمره بالانصراف
الى منزله وانتظر فيه
الفرص والغوائل فركب
أبو مسلم الى المنصور مرارا
وقد أظهر له التجنى فسار
أبو مسلم الى عيسى بن موسى
وكان له فيه رأى جميل فسأله
الركوب معه الى المنصور
ليعذله بحضرته فأمره أن
يتقدمه الى المنصور فانه
بالاثر فتقدم أبو مسلم الى
مضرب المنصور وهو على
دجلة برومية المدائن فدخل
وجلس تحت الشراع وقبل
الرواق فاخبر أن المنصور
يتوضأ للصلاة وكان المنصور
قد تقدم الى صاحب حرسه
عثمان فى عدة فيهم شبيب
ابن رواح المروزى وأبو
حنيفة حرب بن قيس
وأمرهم أن يقوموا خلف
السرير الذى وراء أبى مسلم
وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر
صوته لا يظهرون فاذا اصفق
بيد على يد فليظهروا
وليضربوا عنقه وما أدركوا
منه بسيوفهم وجلس المنصور ودخل أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه وأذن له بالجلوس وحادثه ساعة

التمرات والخيرات ثبجه ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم
ومازلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه في العمران واتساع الأحوال ولقد اختلفت عبارات
من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا قاضي الجماعة
بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري فقلت له كيف هي القاهرة فقال من لم يرها لم
يعرف عز الإسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال
كأنما انطلق أهله من الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضرت صاحبنا قاضي
العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من
السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين
وسأله عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله الانسان
فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع
من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون بذلك انتهى كلام ابن خلدون ولا يخلو
عن فائدة زائدة * ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن فمن ذلك
ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الادام الخل فأنكر
ذلك حتى كاد يصرح بالقدح فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل
وأسبابه سنة قال فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام * ومنها أنه قال أنشدني الشيخ أبو عبد الله
محمد بن عبد الواحد قال أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه في معنى لطيف حجازي

اذا كنت في نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلي باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل تصبري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي * فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة
والسلام اذ أقبل رافضي بفحمة في يده فكتب بها على جدار هنالك

من كان يعلم أن الله خالقه * فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف فأتى علي من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهده من نفسي قبل فجعلت مكان
يحب يسب ورجعت الى مجلسي فجاء فوجده كما أصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه
يطلب من صنع ذلك ولم يتهمني فلما أعياه الامر انصرف * ومنها أنه قال حدثت أن الزاهد
أبا عمرة بن غالب المرسي نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من أصحابه سأله بعض أن يشهد
عقد ابنته فتعذر عليه فلم يزل به حتى أجاب بعد جهد فحضر العقد وطعم الوليمة ثم لما حضرت
ليلة الزفاف استحضره في ركوبها الى دار زوجها على عادة أهل تلمسان فأجابه مسرعا فقيل
له أين هذا التيسير من ذلك التعسير فقال من أكل طعام الناس مشى في خدمتهم أو كما قال
* ومنها أنه قال حدثت أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضي
أبي علي بن قداح وكان ابن العواد شيخا فقال له أبو علي كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشي
كل شبر بدينار يودي بكثرة الفائدة في مشيه الى الشهادة فقال له كنت اذ كنت في سنك
أخرج رزقي من الحجر يعرض لابن قداح بأنه حيار وكذلك كان هو وأبوه رحمهم الله تعالى

ثم أقبل يعاتبه ويقول فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني فقال له
يا ابن الخبيثة وانما
فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا
ولو كان مكانك أمة سوداء
لأجزت ألست الكاتب
الى تبدأ بنفسك والكاتب
الى تخطب آسية بنت علي
وتزعم أنك ابن سليط بن عبد
الله بن العباس لقد ارتقيت
لا أم لك مرتقى صعبا فأخذ
أبو مسلم بيده يعركها
ويقبلها ويعتذر اليه فقال
المنصور وهو آخر ما كلمه
به قتلني الله ان لم أقتلك
وذكر له قتله لسليمان بن
كثير ثم صفق باحدى
يديه على الاخرى فخرج
اليه القوم فبدره عثمان
ابن نهيك فضربه ضربة
خفيفة بالسيف قطعت
نجاد سيف أبي مسلم وضربه
شبيب بن رواح فقطع
رجله واعتوروه السيوف
فخلطت أجزاءه وأتى عليه
والمنصور يصيح اضربوا
قطع الله أيديكم وقد كان
أبو مسلم قال لي أول ضربة
قال استبقني يا أمير المؤمنين
لعدوك قال لا أبقاني الله
أبدا ان أبقيتك وأي عدو
أعدى لي منك وكان
قتله في شعبان سنة ست
وثلاثين ومائة وفيها
كانت بيعة المنصور وهزيمة
عبد الله بن علي وأدرج
أبو مسلم في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفا

جميعاوهذا من مزاح الاشراف كما جرى بين معاوية والاحنف انظر صدر ادب الكتاب
*ومنها أنه قال قال لى الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطى كنا عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ففقد أحد نا نعليه فقال الشيخ كنا عند العلم التبريزى فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه فرجع الى العلم وأنشده

دخلت اليك يا أملى بشيرا * فلما أن خرجت خرجت بشرا
أعد يائى التى سقطت من اسمى * فيائى فى الحساب تعد عشرا

وقال رحمه الله تعالى لما سعى اولاد الشيخ أبى شعيب بالقاضى أبى الحجاج الطرطوشى الى السلطان وأمر باشخاصه وكثر ارجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الامر على خلاف ما أملوا منه قال فى ذلك

حمدت الله فى قوم أثاروا * شرورا فاستحالت لى سرورا
وقالوا النار قد شبت فلما * دنوت لها وجدت النار نورا

ومنها أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام نزل بى مغربى فرض حتى طال على أمره فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت أو صحة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أطعمه الكسكسون قال يقوله هكذا بالنون فصنعته له فكأنما جعلت له فيه الشفاء وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ويقول لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قلت ووجه هذا من الطب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له فربما نبه منه شهوة أورده الى عادة وقال الجد رحمه الله تعالى رأيت بجامع الفسطاط من مصر فقيرا عليه قميص الى جانبه دفاسة قائمة وبين يديه قلنسوة فذكر لى هنالك أنهما محشوتان بالبرادة وأن زنة الدفاسة أربعمائة رطل مصرية وهى ثلثمائة وخمسون مغربية وزنة القلنسوة مائتا رطل مصرية وهى مائة وخمسة وسبعون مغربية فعمدت الى الدفاسة فاخذتها من طوقها انا ورجل آخر فاملناها بالجهد ثم أقمناها ولم نصل بها الى الارض وعدت الى القلنسوة فاخذتها من اصبع كان فى رأسها فلم اطق حملها فتركتها وكان يوم جمعة فلما قضيت الصلاة مررنا فى جملة من أصحابنا بالفقير فوجدناه لابسا تلك الدفاسة فى عنقه واضعا تلك القلنسوة على رأسه فقام الينا والى غيرنا ومشى بهما كما يمشى احدنا بثيابه فجعلنا نتعجب ويشهد بعضنا بعضا على ما رأى من ذلك ولم يكن بالعظيم الخلقة *وقال رحمه الله تعالى كان الاستاذ ابن حكم قد بعث الى بمحرر لابعث به الى من يعرضه للبيع ثم بلغه أن احمالا من المتاع التونسى قد وصلت الى البلد فكتب الى الحمد لله الذى أمر عند كل مسجد باخذ الزينة وصلواته الطيبة وبركاته الصيبة على من ختم به شريعته واكمل دينه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه وبعد فما تعلق به الاعلام ان تعوضوا المحرر باحرام لا يخفى على مثلكم جنسه ومجانسه ومن كلام العرب كل ثوب ولابسه وان اربى على ثمن الاول ثمن الثانى فلست عن الزيادة والحمد لله بالوانى *ومن فوائده أنه قال كتب فى صدر رسالة صاحبنا الشيخ

خلق الله ما أعلم فى الارض عدوا أعدى لك منه هاهو ذاك فى بساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل) عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول فى أمر أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله هاهو فى البساط فلما نظر اليه قتيلا قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله وأقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريحا فقال

زعمت أن الدين لا ينقضى
فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكاس كنت تسقى بها
أمر فى الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبى مسلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الى فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء يزداد فى عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبى مسلم ففرقت فيهم الاموال وعلموا بقتله

الناسك أبي علي منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدين المشذالي الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن علي بن موسى البحيري يذكره شوقه الى لقائه لما كان يبلغه عنه حتى قدر باجتماعهما بوهران أيام قضاء البحيري بها

أوحشتني ولو اطلعت على الذي * لك في فؤادي لم تكن لي موحشا
يا محرقا بالنار قلب محبه * أنسيت انك مستكن في الحشا

وقال رحمه الله تعالى أنشدني محمد البلغيثي قال أنشدني ابن رشيد قال أنشدني أبو حفص ابن الخيمي المصري لنفسه

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل

وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بصدق مراد

وقال رحمه الله تعالى دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي وهو يجود بنفسه وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى فسألته عن السبب فأخبرني أنه خرج الى لقاء السلطان فسقط عن دابته فتداعت أركانه فقلت ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك فقال حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين *وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن مرزوق قال لي بعض أصحاب أبي اسحق الطيار دفين عباد تلمسان ان أبا اسحق أقام خمسا وعشرين سنة لا ينام الا قاعدا قال ابن مرزوق لم لقب بالطيار فحدثني عن بعض أصحابه انه نشر ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك فمر به رجل فقال له طر فقال أعن أمرك قال نعم فطار حتى وقع على الارض ومابه من باس فقال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه قلت اذا صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر أصاخ الى الاحوال واجتلى المعاني فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذي الحلوي دفين تلمسان

اذا نطق الوجود أصاخ قوم * بآذان الى نطق الوجود
وذاك النطق ليس به انعجام * ولكن دق عن فهم البليد
فكن فطنا تنادى من قريب * ولا تك من ينادى من بعيد

وقال رحمه الله تعالى حدثت بمصر أن الشيخ سيدي عمر بن الفارض ولع بجمل فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به فقيل له لو اشتريته فقال المحبوب لا يملك فسألت أي حال كان هذا منه فقيل لي في ابتداء أمره فقلت وجد اعتبار أفلا ينظرون الى الابل فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه فأحبه مدلا وطلبه مجلا *وقال رضي الله عنه حفظت من خط أبي زيد والد صاحبنا أبي الحسن قيل للغزالي ما تقول في الحلاج فقال وما عسى أن اقول فيمن شرب بكاس الصفاء على بساط الوفاء فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته ثم قال بعد هذا قلت عربد الحلاج في الحضرة لما نسي بسكره أوامره فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره

على سمة الاسماء تجري امورهم * وحكمة وصف الذات للحكم اجرت

فأمسكوا رغبة ورهبة وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا مسلم فقال أيها الناس لا تخرجوا عن أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان من أسر غش امامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لامامه الذي بادر باعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه انا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد وان أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على انه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث بنا هو فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه ولما نمى قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأها عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية وأكثر الخرمية في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكوركية والنورسائية وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المامون والمعتصم وقال

وقال رحمه الله تعالى سمعت شيخنا ببيت المقدس يقول تجلى الله على المسجد الاقصى بالجمال وعلى المسجد الحرام بالجلال وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال قلت فذلك يوقف النواظر وذلك يملأ الخواطر وهذا يفتح البصائر وقال رحمه الله تعالى أخبرني أمير المؤمنين المتوكل على الله ابو عنان فارس نصره الله ان جده امير المسلمين اباسعيد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي اهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبهه باخيه سديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه فقال من عند مولانا فقال أرى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى والخوخ على النوى الذي يذكر اسمه صفرة الجوى * وقال رحمه الله تعالى قال لي أبو حيان بالقاهرة قال لي عمر بن الخيمي تجاذبت انا ونجم الدين بن اسرائيل هذا البيت

يا بارقا بأعلى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فتحاكمنا الى ابن الفارض فاشار بان ننظم قصيدة تضمنها البيت فنظم ونظمت

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

فقضى به لي * وقال رحمه الله تعالى حدثت ان أبا يزيد الهزميري بعث الى أبي عمران الشولي وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركعات فرجع اليه ما معناه ان الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها يعني من رزق من باب فليلزمه * وقال رحمه الله تعالى كنت بجامع تلمسان والى جانبي رجل ينتمي الى طريقة العرفان فجعل سائل يشكو الجوع والالم فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال اياك أن تشكو الرحمن الى من لا يرحم فقلت أمره أن يسأل عزيزا مولاه ونهاه أن يشكو ذليلا الى سواه * وكان الفارابي كثيرا ما يقول يا رب اليك المشتكى حتى انه يوجد أثناء كلامه في غير موضعه فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه وقال رحمه الله تعالى حدثت أن الفخر مر ببعض شيوخ الصوفية فقيل للشيخ هذا يقيم على الصانع ألف دليل فلوقت اليه فقال وعزته لو عرفه ما استدل عليه فبلغ ذلك الامام فقال نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون من غير حجاب * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن رجلا كان يجلس الى أبي الحسن الحراني وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشج وجهه فاختفى الى ان برئ ثم عاد الى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد

أجريح كاسات ارقت نجيعها * طلب التراث بعز منه خلاص

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها * ان الجروح كما علمت قصاص

ففهمها الشاب فتاب * وقال رحمه الله تعالى كثيرا ما كنت اسمع أبا محمد المجاصي ينشد هذا البيت

ذم الرجال وعيب أن يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي وكان أهل البلد يسمونه البكاء وبعضهم الخاشع * ووجدت بخط مولاي الجد على ظهر كتابه القواعد ما نصه الحمد لله تعالى وحده قرأت صدر كتاب زهرة البساتين للقاسم ابن الطيلسان ثم سمعت ثلاثة أحاديث من أوله بل حديثا وأثرا وانشادا من في الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عياش الانصاري ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور وأجازنيه بحق سماعه لبعضه وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق

بالمدائن من أرض الران وأذربيجان وسنأتي على خبره وخبر مقتله في أخبار المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وأصبهان وأذربيجان وكرخ أبي دلف ولا تبرح الموضع المعروف بالدو والدرستان ثم ببلاد الصروان والصيرة وأدلوحان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار وأكثر هؤلاء في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد أتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا في المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبي مسلم فسارت في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الري فغلب عليها وعلى جرمس وما يليها وقبض على ما كان بالري من خزائن أبي مسلم فكبر جمع بستفاد ومن حوله من اهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه جهور بن مروان العجلي في عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين همذان والري على طرف المفازة فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل بستفاد وولى اصحابه فقتل منهم ستون الفا وسبي منهم سبايا وذراري

أخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن أحمد المقرى في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة * وبخطه رحمه الله تعالى حيث ذكر مانصه الحمد لله مخالفة القواعد الشرعية للعوائد العرفية كانكار الحشر وفتنة القبر ونحوهما من الامر بالمعروف للركون الى المشهور المألوف او كالتقليد مع الدليل الذى ذمه الشرع في محكم التنزيل * وبخطه أيضا الحمد لله قد تتتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به الى شخص بعينه فيختص ومن ثم قيل في قول الله عز وجل ولا تطع كل حلاف مهين انه الاخنس بن شريق وفي قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة انه امية بن خلف وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا انه الوليد ابن المغيرة انتهى * ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى مانصه الحمد لله قال لى المتوكل على الله أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن على كان جدنا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يقول الولايات ست ثلاث وقفتها على اختيارى الجباية والقصبة والشرطة وثلاث موكولة الى الحكم القضاء والامامة والحسبة ثم قال رحمه الله تعالى وهذا تدبير حسن * ومن فوائده حدثني العدل أبو عبد الله محمد بن أبي زرع عن القاضي أبي عبد الله بن أبي الصبر أنه أمر الوالى بفاس أن يبنى فندق الشماعين وكان قد خرب فتوقف حتى يأذن السلطان فقال له أسلفني ما ابنيه به فان أجاز ذلك السلطان والا رددته عليك ففعل فلما طولب ذكر ماقال له القاضي فغضب السلطان وبعث فيه فجعل المبعوثون يأتونه واحدا بعد واحد وهو متمهل في وضوئه واصلاح بزته ومركوبه ثم جعل يمشي الهوينى فلقيه ابنه فقال له أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه اليك وهو واجد عليك فقال له مسكين أبو يحيى خاف وثبت على حاله فلما كان في الطريق لقى بعض العلماء تعرض اليه فقال قل بخفي لطفك بلطيف صنعك بجميل سترك دخلت في كنفك تشفعت بنبيك فحفظه ثم طلبه فلم يجده فجعل يقول ذلك فلما رآه السلطان سكن مابه ثم سأله عن ذلك برفق فقال له القاضي كرهت الخراب بقرب القرويين وبالشماعين الذى هو عين فاس فسألت الوالى ذلك على أني أغرم ان لم تجز وقلت له المرجو من السلطان أن يجعله حبسا فقال قد فعلت ثم بعث الى الشهود وحبسه على الجامع وشكر للقاضي صنيعه وصرفه مغبوطا وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وتوفي محاصر التلمسان في ذي القعدة من عام ستة وسبعمائة وكان ابتداء حصاره اياها سنة ثمان وتسعين وستمائة وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر انتهى * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى ما حكاه تلميذه أبو اسحق الشاطبي في كتاب الانشادات والافادات ونصه افادة حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الاستاذ القاضي أبي عبد الله المقرى في أواخر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وسبعمائة وقد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله والقاضي أبا القاسم الشريف شيخنا والاستاذ أبا سعيد بن لب والاستاذ أبا عبد الله البلنسي وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة فكان من جملة ماجرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقرى سئلت عن مسئلة في الاصول لم أجد لاحد فيها نصا وهي تخصيص العام المؤكد

كثيرة وكان بين خروجه الى مقتله سبعون ليلة وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل أبي مسلم بأشهر وفي سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له في الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور باسلم العقيلي وكان شيخا ذا رأى وتجربة فقال له اشر على في خارجي خرج على قال صف لى الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد على وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لى البلد الذى قام به قال بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال المنصور في نفسه قد خرف الرجل أساله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لى اشحن البصرة بالرجال فقال له انصرف ياشيخ ثم لم يكن الا يسيرا حتى ورد الخبران ابراهيم قد ظهر بالبصرة فقال المنصور على بالعقيلي

بمفصل فاجبت بالجواز محتجا بقول الله عز وجل قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا عام مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل الله من الفواحش الا مسئلة الناسى انتهى ✻ ومن الكتاب المذكور مانصه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى رحمه الله تعالى وأملاه علينا عن العالم الكبير أبى حيان بن يوسف بن حيان انه قال ورد كتاب من الاستاذ أبى عبد الله بن مثبت الغرناطى الى صاحب له يسمى حمزة وفيه سئل الشيخ قال أبو حيان يعنى وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الاخضر بمحضر ابن الابرش علام انتصب قوله ✻ مقالة أن قد قلت سوف أناله ✻ فقال ✻ ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى فقال سألتك عن اعراب كلمة فاجبتنى بشطر بيت فقال ابن الابرش قد أجابك لو كنت تفهم قال أبو حيان فوقعت عليه للعين ان هذا الشطر من قول النابغة

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى ✻ وتلك التى تصطك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله ✻ وذلك من تلقاء مثلك رائع

روى مقالة بالرفع على أنه بدل من أنك لمتنى الفاعل و بالفتح على ذلك الا أنه بناه لما أضافه الى مبنى ✻ ومنه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى قال سئل أبو العباس بن البناء رحمه الله تعالى و كان رجلا صالحا فى قوله تعالى قالوا ان هذان لساحران لم لم تعمل ان فى هذا فقال لما لم يؤثر القول فى المقول لم يؤثر العامل فى المعمول فقال له ياسيدى هذا لا ينهض جوابا فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ان فقال له ان هذا الجواب نوّارة لا تحتمل أن تحك بين الاكف انتهى ✻ ومنه افادة قال لنا الشيخ الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى ان أهل المنطق وغيره يزعمون أن الاسماء المعدولة لا تكاد توجد فى كلام العرب وهى موجودة فى القرآن وذلك قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فان زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدا ودخلت لا على الجملة وتقديره لا هى فارض ولا هى بكر قيل له ان كان يسوغ لك ذلك فى هذا الموضع فلا يسوغ فى قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح فى كلام العرب ✻ ومنه افادة حدثنا الاستاذ أبو عبد الله المقرى قال سئل عن قوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون لم عاد ضمير من يعقل الى ما لا يعقل فقال بعضهم لما اشترك مع من يعقل فى السباحة وهى العوم عومل لذلك معاملته قال وهذا لا ينهض جوابا فان السباحة لما لا يعقل كالحوت وانما لمن يعقل العوم لا السباحة وأيضا فالحاقه بما العوم له لازم كالحوت أولى من الحاقه بما هو غير لازم له قال وأجاب الاستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى بان الشئ المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل وان لم يكن عاقلا لعظمه عندهم وأجبت أنا بانه لما عوملت فى غير هذا الموضع معاملة من يعقل فى نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها هنا ذلك الحكم للانس به فى موضعه ✻ ومنه افادة لقمنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة وقال لقمنى الشيخ أبو عبد الله المسفر قال لقمنى أبو زكريا المحياوى قال لقمنى

فلما دخل عليه ادناه ثم قال له انى كنت قد شاورتك فى خارجى خرج بالمدينة فاشرت على أن أشحن البصرة أو كان عندك من البصرة علم قال لا ولكن ذكرت لى خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لى البلد الذى هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت فى البصرة فخفت عليها منه فأشرت بشحنها فقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأى فى صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى ابن موسى اما أن تخرج اليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش واما أن تكفينى ما أخلف ورائى وأخرج أنا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين وأكون الذى يخرج اليه فاخرجه اليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل واتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل

أبا المنازل يا خير الفوارس من ✻ يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

أبو محمد صالح قال لقمني الشيخ أبو مدين قال لقمني أبو الحسن بن حرزهم قال لقمني ابن العربي قال لقمني الغزالي قال لقمني أبو المعالي قال لقمني أبو طالب المكي قال لقمني أبو محمد الجريري قال لقمني الجنيد قال لقمني السقطي قال لقمني معروف الكرخي قال لقمني داود الطائي قال لقمني حبيب العجمي قال لقمني الحسن البصري قال لقمني علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لقمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وبهذا السند صافحته أيضا رضي الله تعالى عنه انتهى وللمحدثين في هذا السند كلام مشهور وانتصر بعضهم للسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم * ومنه انشادة أنشدني الشريشي الفقيه أبو عبد الله قال أنشدني القاضي المقري قال أنشدني الرباطي قال أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض اخوانه بالحجاز

يهيم قلبي طربا عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستميل الوجد قلبي وقد * أصبح لي ثوب الحجازيا
يا هل أقضي من منى حاجتي * فأنحر البدن المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي * ألذ من ريق المهاريا

ومنه افادة حدثنا الاستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض من ألف على كتاب الكشاف للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى والراسخون في العلم اذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون في العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله وما يعلم تاويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تاويله أحد طرفي التقسيم وقوله تعالى والراسخون في العلم الطرف الثاني وتقديره وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله اعتراضا بين طرفي التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وأنا منا المسلمون الآية فقوله وأنا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن أسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى * ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق أنها * ضاعت ولكن منه يعني لو يعي
أو قال قد وقعت فصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

* ومنه افادة كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده في البلدان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب الماطلب الى السند فقتل هنالك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فات في الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيي الى الري وطبرستان فكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبي القاسم وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب في الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فأجابه أهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن

على ظهر التسهيل لابن مالك الذى كتبته بخطى بعدما كتب لى بخطه روايته فيه عن أبى الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك مانصه قال محمد بن محمد المقرى بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضى القضاة على ماجرت به عوائد أهل المشرق فى تسمية مثله وانا أكره هذا الاسم محتجا بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك لاملك الاالله انتهى ماانتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبى فيما يتعلق بجدى رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن محوط الموله دخل فى حلقة أبى عبد الله بن رشيد بجامع القرويين وبين رجليه قصبة كأنها فرس وبيده أخرى كأنها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت ياميت فابهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يافقير أنت فى حال ونحن فى مقال وشأن أرباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه المولة وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفى بعد ذلك بايام قلائل * ومنها قلت لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس فى الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولاخلاص له من حبسه الا بمفارقة نفسه وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

فلم أله باللاهوت عن حكم مظهرى * ولم أنس بالناسوت موضع حكمتى

فقال يقول ما أنا بالحلاج ولا بابن يلعام ثم قال مولاى الجد بعد هذا الكلام ماصورته قلت وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ولقد سمعته يقول فى الحلاج نصف انسان يشير الى البيت وقال أيضا رحمه الله تعالى سمع ابن شاطر انسانا يقول الجنة رخيصة فقال كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى ثم قال مولاى الجد باثر هذا الكلام قلت ما الانفس والاموال فى جنب مافيها ممالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لاسيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضا * وقال أيضا قيل لابن شاطر صف لنا الدنيا فقال كسراب بقيعة الآيتين فبلغ ذلك أبازيد بن الامام فانكر عليه الاستحسان سامعه تاليا يحرفون الكلم عن مواضعه ولقد أصيب المتعسف بادهى منها وأمر فانه افحم يوما بعض أهل النظر فتلى عليه فبهت الذى كفر على أن له أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها فالبهت من انقطاع المعاند والكفر من جحد الجاحد ولنا أن نقول التحريف المذموم هو التحويل للابطال وليس هذا من قصد الممثل الاول بالمثال انتهى وهذا كله على مذهب جمهور المالكية فى منع الاقتباس وللكلام على ذلك موضع غير هذا فليراجع فى كتب البيان وغيرها * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن المتوكل على الله أباعنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها فربها الى تلمسان فصار يدفع منها شيأ فشيأ للمتفرجين بغدير الوريط شرقى عباد تلمسان العلوى الى أن نفدت فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له ياسيدى أباعبد الله حج مبرور فقال له اذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ويأبى الله الا أن ينفق الخبيث فى مثله فضحك السلطان وانصرف انتهى * وكان لابن شاطر هذا عجائب ولم يكن مخلا بشئ من الحقوق الشرعية وكان معتقدا عند أهل وقته

وسعيد بن مسلم فى العساكر فحارب حتى قتل فى الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذى ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فممن ذكر ذلك دعبل بن على فى قصيدة أولها

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفخ نالها صلوات
وأخرى بارض الجوزجان محلها * وقبر بباخمرى لدى الغربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد التركى قال كان المنصور نازلا فى دير على شاطئ دجلة فى الموضع الذى يسمى اليوم الخلد ممر مدينة السلام اذا أتى الربيع فى وقت الهاجرة والمنصور فى البيت الذى هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك أمك قال فسمع المنصور كلامه فنهض بفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ مافيها من الكتب وتلا هذه الآية وألقينا بينهم العداوة

وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له وبات عنده ليلة بقصره وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجوارى فاحتاج الى البول فبال فى قبة فى القصر عظيمة فانتهرته احدى الجوارى وقالت له أتبول فى قبة مولانا فقال لها ان قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه وأنا أفعل تحتها ما هو أفظع من البول وما انتهرنى قط فذكرت ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم انه يريد السماء وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفا مجوّفا فاذا غلب على ذلك أصلحه حتى حكى انه سافر لاصلاح حرف مجوّف اغلقه سهوا من نسخة كان باعها ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها فما رجع حتى جدّده * وحكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوى أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمسانى صاحب المفتاح فى اصول الفقه وشارح الجمل الخونجية المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصه اللهم احمد نفسك عمن أمرته أن يحمدك وكيلا حمدا عائدا منك اليك متحدا بك دائما بدوام ملكك لا منقطعا ولا مفصولا قال فقال لى أبو عبد الله بن شاطر ما هو انفصال عالم الملك فقلت له بالضرورية الوقتية فقال لى ما أجهلك واجهل سيدك أبا عبد الله واجهل ابن سودكين الذى أخذ من كتابه هذا الحمد اذ قال لا منقطعا ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك وهو بالضرورية الوقتية وهى منقطعة فهلا قال دائما بدوام قيوميتك وعظيم قدرك ومجدك الاعلى وسبحات وجهك الاكرم لا منقطعا ولا مفصولا فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف فبدّله انتهى وأخبار ابن شاطر كثيرة وقد مرّ ذكره فى كلام مولاى الجدّ رحمه الله تعالى وسيأتى ما ذكره لسان الدين به فى الاحاطة * ومن فوائد مولاى الجدّ رحمه الله تعالى ما قاله اثر قول الرازى فى التفسير الحس أقوى من العقل ونصه هذا على ما حكاه فى المحصل من ان المعقولات فرع المحسوسات قال ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه والعنين ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هى المعقولات لا المحسوسات انظر المحصل انتهى * ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال أنشدت يوما الابلى قول ابن الرومى

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا مررت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

فاستعادنى حتى عجبت منه مع ما أعرف من عدم ميله الى الشعر وانفعاله وظننت أنه اعجب بما تضمنه البيت الاوّل من غريب اللف والنشر المكرر الذى لا أعرف له ثانيا فيه فقال أظننت أنى استحسنت الشعر فقلت مثلك يستحسن مثل هذا الشعر فقال انما تعرفت منه كون العميان كانوا فى ذلك الزمان يقرؤن على المقابر فانى كنت أرى ذلك حديث العهد فاستفدت التاريخ * وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى حدثنى الابلى أن أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن أبى العيش الخزرجى الخطيب بتلمسان كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد بالكسر وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك فلما ورد عليهم الراوية الرحلة أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد الفهرى سمعه يقول ذلك فأنكر عليه فى جماعتهم وبلغ الخطيب ذلك فلم يرجع فلما قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الاستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع بسبتة

والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقوّاد والموالى وأهل بيته وأصحابه وأمر حمادا التركى باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالى أكفكف عن سعد وتشتمنى
وان شتمت بنى سعد لقد سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم
لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قمناله فما شكروا ولا حمدوا الكافى ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فماذا تحاول منى اسقى رنقا على كدر كلا والله لأن أموت معززا أحب الى من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو منى ليطلبن ما لا يوجد عندى والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال يا غلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز * وذكر أن المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها فقال أراد ابراهيم يحرمنى هذا وأشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله

فهنأه

فهنأه بالقدوم وقال له فيما قال رشدت يا ابن رشيد ورشدت لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ثم قال مولاي الجد قلت هذه كرامة للرجلين أو للثلاثة * وقال رحمه الله تعالى قال طالب لشيخنا الابلي يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال زيد موجود فقال له الشيخ أما أنا فلا أقول شيأ فعرف الطالب ما وقع فيه فخجل وهذا الابلي تقدم في كلام مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا وهو تلمساني كما تقدم قال تلميذه أبو القاسم السلوي الفخار دخل على شيخنا الابلي يوما وأنا أعجن طين الفخارة فقال لي ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقلت أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره فدركه وجد عظيم حتى انه صاح وقام وقعد وبقي هنيأة مطرقا برأسه مفكرا ثم قال هكذا هي النفوس البشرية * قال وقال لي يوما وقد وجد الصبيان يصوّتون بقصب رقاق على الذباب فاذا خرج قتلوه الغلط الداخل عليه من أي أنواع المغلطات هو فقلت له من ايهام العكس لما كان كل ذباب مصوّتا ظن أن كل مصوّت ذباب فاستحسن ذلك * قلت وحدثني مولاي العم الامام شيخ الاسلام سيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله تعالى عن شيخه ابن جلال مفتي حضرتي فاس وتلمسان أنه كان يحكي أن الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى في الشكل الاول لانه ركبه هكذا هذا مصوّت وكل مصوّت ذباب وقد علمت انها هنا انما تصدق جزئية لا كلية واذا كانت جزئية بطل الانتاج لان ذلك من الضروب العقيمة انتهى * ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه قال سمعت شيخنا الابلي يقول ما في الامة المحمدية اشعر من ابن الفارض * وقال أيضا رحمه الله تعالى سمعت شيخنا الابلي يقول انما أفسد العلم كثرة التواليف وانما اذهبه بنيان المدارس وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين وانه لكما قال غير أن في شرح ذلك طولا وذلك أن التاليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم الا النزر اليسير لان عنايته على قدر مشقته في طلبه ثم صار يشتري أكبر ديوان بابخس ثمن فلا يقع منه أكبر من موقع ما عوّض عنه فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر وأفضى الامر الى ما يسخر منه الساخر وأما البناء فلانه يجذب الطلبة الى ما يرتب فيه من الجرايات فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للاجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفونها عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لم يجيبوا وان أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم ثم قال مولاي الجد رحمه الله تعالى ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها الى أمهاتها وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوّغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسن اللخمي لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين بل لا تكاد تجد من

فقال يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه الى الحج فحملوا من المدينة من الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبد الله ابن الحسن ابراهيم بن الحسن بن الحسن وأبو بكر ابن الحسن بن الحسن وعلي الخير وأخوه العباس وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن علي وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط وسأله عن ابني أخيه محمد وابراهيم فانكر أن يعرف مكانهما فسالت جدته العثماني

يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا ولقد تركوا كتب البرادعى على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذى هو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته فى أكثر ما خالف فيه المدونة لابى محمد ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والاصول الكبار فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه وأفنوا أعمارهم فى فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا الى رد ما فيه الى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح بل هو حل مقفل وفهم أمر مجمل ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض النفوس فبينا نحن نستكبر العدول عن كتب الائمة الى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ فانا لله وانا اليه راجعون فهذه جملة تهديك الى أصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه انتهى

*ولنصلها بخاتمة تشير الى حال العلماء أيضا اعلم أن شر العلماء علماء السلاطين وللعلماء معهم أحوال فكان الصدر الاول يفرون منهم وهم يطلبونهم فاذا حضر واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا افراغا ليقتنصوا بذلك غيره ثم جاء أهل العصر الثانى فطمحت أنفسهم الى دنيا من حصل لهم ومنعهم قرب العهد بالخير عن اتيانهم فكانوا لا يأتونهم فان دعوهم أجابوهم الا القليل فانتقصوا مما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ثم كان فيمن بعدهم من يأتيهم بلا دعوة وأكثرهم ان دعى أجاب فانتقصوا بقدر ذلك أيضا ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم لا على جهة الفضل او محبة المدحة منهم فلم يبقوا عليهم من ذلك الا النزر اليسير وصرفوهم فى أنواع السخر والخدم الا القليل وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة اليهم ولا تستعظم هذا فلعله سبب اعادة الحال جذعة عجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وهذا كله ليظهر لك سر قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم قيل اليهود والنصارى قال فمن وقد قص علينا القرآن والاخبار من امرهم ما شاهدناه كثره او اكثر منه فينا سمعت العلامة الابلى يقول لولا انقطاع الوحى لنزل فينا اكثر مما نزل فيهم لانا اتينا اكثر مما اتوا يشير الى افتراق هذه الامة على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار باسهم بينهم الى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من ايديهم وساروا الى الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى لكننا آخر الامم أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما سترمنا وهو المرجو أن يتم نعمته علينا ولا يرفع ستره الجميل عنا فمن أشد ذلك اثلا فالغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيح أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك فى المشهورات من كتب العلماء المستعملة فكيف فى الكتب الالهية وانما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف وما حملت الآى والاخبار من التأويلات الضعاف قيل لمالك لم اختلف الناس فى تفسير القرآن فقال قالوا بآرائهم فاختلفوا وأين هذه من قول الصديق أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله

فى ذلك الوقت وارتحل فربهم المنصور فى قبته على الجمارة فصاح به عبد الله ابن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر فصيرهم الى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الارض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وخلى منهم سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن وموسى بن عبد الله ابن الحسن والحسن بن جعفر وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قد هدم عليهم الموضع وكانوا يتوضؤن فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل اليهم شيأ من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة وكان الورم فى اقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه وذكر انهم لما حبسوا فى هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤا القرآن خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقى منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف

عزوجل برأي كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل الى بعض الميل وأقرب مايحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد الى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم اوغيرهما وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس الى فهمها فى الجملة لبخرجوا عن حد الابهام المطلق فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين بل منه مالا يعلم انه اريد لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز أن يكون المراد فان لم يكن اياه فهو قريب من معناه ومنه ما يعلم انه مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية ثم اختلط الامران والحق أن تفسير القرآن من أصعب الامور فالاقدام عليه جراءة وقد قال الحسن لابن سيرين تعبر الرؤيا كانك من آل يعقوب فقال له تفسر القرآن كانك شهدت التنزيل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن الا آيات معدودة وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم وتكلم أهل النقل فى صحة التفسير المنسوب لابن عباس اليه الى غير ذلك ولا رخصة فى تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ الا بنقل صحيح أو برهان صريح وانما الرخصة فى تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة واعراب و بلاغة لبيان اعجاز ونحوها انتهى (ولنرجع الى بقية أنباء مولاى الجد رحمه الله) فنقول قال صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ما صورته محمد بن محمد بن أحمد القرشى التلمسانى الشهير بالمقرى بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبى فى كتابه العلوم الفاخرة وضبطه ابن الاحمر فى فهرسته وسيدى أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف الامام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة احد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الاثبات قاضى الجماعة بفاس ذكره ابن فرحون فى الاصل يعنى الديباج وأثنى عليه انتهى وقال الخطيب ابن مرزوق كان صاحبنا المقرى معلوم القدر مشهور الذكر بالخير تبعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء وعوارفه معلومة عند الفقهاء ومشهورة بين الرعاء انتهى وقال أبو العباس الونشريسى فى بعض فوائده ومقرة بفتح الميم بعدها قاف مفتوحة مشددة قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال أفريقية سكنها سلفه ثم تحوّلوا الى تلمسان وبها ولد الفقيه المذكور وبها نشأ وقرأ وأقرأ الى أن خرج منها صحبة الركاب المتوكلى العنانى أمير المؤمنين فارس عام تسعة وأربعين وسبعمائة الى مدينة فاس المحروسة فولاه القضاء فنهض باعبائه علما وعملا وحمدت سيرته ولم تاخذه فى الله لومة لائم الى أن توفى بها اثر قدومه من بلاد الاندلس فى غرض الرسالة لابى عنان عام تسعة وخمسين وسبعمائة ثم نقل الى مسقط رأسه تلمسان وقال فى موضع آخر انه توفى رحمه الله تعالى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة ثم نقل الى تلمسان محل ولادته ومقرّ أسلافه ودفن بها فى البستان الملاصق لقبلى داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور وهو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ أبى يحيى الشريف انتهى * ومن أخبار مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه قال شهدت الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكانت جمعة وقام الخطيب فى سابع ذى الحجة فى

المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلى فقال له ادريس أخوه اسرع فى صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره وقال له أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عزوجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال له الربيع كيف أبو القاسم فى نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه
ويكفيه أن يأتى الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه فى الوقت الذى بلغته فيه الرسالة فأخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظى حالى وحالك مرة
بنظرة عين عن هوى النفس تحجب

ترى كل يوم بين يومين عيشتى
تمر بيوم من نعيمك تحسب

(قال المسعودي) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد

الناس بالمسجد الحرام وقال ان جمعة وقفة كم هذه خاتمة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التى وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع آخر عشر من الهجرة وشاع ذلك فى الناس وذاع وكان علم ذلك مما تواتر عندهم والله أعلم وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول انها قد تكون على خلاف ذلك فلا أدرى* ومنها أنه قال شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية مقيم الحنابلة بدمشق وقد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار كيف ان أتى بعد ذلك بكبيرة فقال موت الولد حجاب والكبيرة خرق لذلك الحجاب وانما يكون الحجاب حجابا مالم يخرق فاذا انخرق فقد زال عن ان يكون حجابا ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام الصوم جنة مالم يخرقها ثم قال وهذا الرجل أكبر أصحاب تقى الدين بن تيمية* ومن أخبار مولاى الجد الدالة على صرامته ما حكاه ابن الازرق عنه انه كان يحضر مجلس السلطان أبى عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له الا الشيخ المقرى فانه كان لا يقوم فى جملتهم فاحس النقيب من ذلك وشكاه الى السلطان فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف فدخل النقيب فى بعض الايام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر الى المقرى وقال له أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه اكراما لجدى وشرفى ومن أنت حتى لا تقوم لى فنظر اليه المقرى وقال له أما شرفى فمحقق بالعلم الذى انا ابثه ولا يرتاب فيه احد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان أبى عنان وأجلسناك مجلسه فسكت انتهى قال ابن الازرق وعلى اعتذاره ذلك بان الشرف الآن مظنون فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه انه كان يقرأ بين يدى السلطان أبى عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس ان قال الشيخ الأئمة من قريش وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان وان ورى وقع فى محظور فجعلوا يتوقعون له ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور ان الأئمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر الى السلطان وقال له لا عليك فان القرشى اليوم مظنون أنت أهل للخلافة اذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله فلما انصرف الى منزله بعث له السلطان بالف دينار انتهى قال أبو عبد الله بن الازرق قلت ويلزم أيضا من اعتذاره أن قيام السلطان لذى الشرف المحقق بالعلم أولى بالمحافظة على تعظيم حرمات الله وقد روى عن بعض الامراء أنه تكبر على ذلك واستخف بمنزلة من عظم به غيره فسلبه الله ملكه وملك بنيه من بعده انتهى* ومن أجوبة مولاى الجد رحمه الله تعالى قوله سألنى السلطان عمن ألزمته يمينا على نفى العلم فحلف جهلا على البت هل يعيد أم لا فاجبته باعادتها وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بان لا تعاد لانه أتى باكثر مما أمر به على وجه يتضمنه فقلت له اليمين على وجه الشك غموس قال ابن يونس والغموس الحلف على تعمد الكذب او على غير يقين ولا شك أن الغموس محرمة منهى عنها

الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ... دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبى طالب تركناهم والذى لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلف عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن على رضى الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية انى أجعلك ولى عهدى فخلعه وانسلخ له عما كان فيه وسلمه اليه وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين ابن على رضى الله عنه فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والاغراق فى الفتن الى هذه المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ماهى بحرب فاحاربها ولا هى بسلم فاسالمها فرق الله بينى وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فاسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد بن على فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه وقد كان أبى محمد بن على ناشده الله والنهى

والنهى يدل على الفساد ومعناه فى العقود عدم ترتب أثره فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن تعاد وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن أذنها السكوت فتكلمت هل يجتزى بذلك والاجزاء هنا أقرب لانه الاصل والصمات رخصة لغلبة الحياء فان قلت البت أصل ونفى العلم انما يعتبر عند تعذره قلت ليس رخصة كالصمات *ومنها أنه قال سألنى بعض الفقهاء عن السبب فى سوء بخت المسلمين فى ملوكهم اذلم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة بل من يغتر فى مصلحة دنياه غافلا عن عاقبة أخراه فلا يرقب فى مؤمن الا ولا ذمة ولا يراعى عهدا ولا حرمة فأجبته بان ذلك لان الملك ليس فى شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا قال الله تعالى ممتنا على بنى اسرائيل وجعلكم ملوكا ولم يكن ذلك فى هذه الأمة بل جعل لهم خلافة قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية وقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل فى شرعنا الا الخلفاء فكان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما وأجمعوا على تسميته بذلك ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذى يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذى هو النظر والاختيار ونص فى ذلك على عهده ثم اتفق أهل الشورى على عثمان فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ثم تعين على بعد ذلك اذ لم يبق مثله فبايعه من آثر الحق على الهوى واصطفى الآخرة على الدنيا ثم الحسن كذلك ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم فجعلها ميراثا فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها الا ترى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان خليفة لا ملكا لان سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بنى أبيه ايثارا للحق المسلمين ولئلا يتقلدها حيا وميتا وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا الخليفة وأما الملوك فعلى ماذكرت الا من قل وغالب أفعاله غير مرضية انتهى وفوائد مولاى الجد وتحفه وطرفه ولطائفه ودقائقه يستدعى استقصاؤها مجلدات فلنكتف بما قدمناه *وفى الاشارة مايغنى عن الكلام *(وأما تآليفه فكثيرة) منها كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتى قاعدة قال العلامة الوانشريسى فى حقه انه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق الى مثله بيد أنه يفتقر الى عالم فتاح انتهى وقد أشار فيه الى مأخذ الاربعة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولم ار منه بمصر الا نسخة عند بعض الاصحاب وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالازهر المعمور وأما قول لسان الدين فى الاحاطة عند تعرضه لذكر تآليف مولاى الجد ما صورته ألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسئلة فقهية ضمنها كل أصل من الرأى والمباحثة فهو غير القواعد بلا مرية *ومنها كتاب الطرف والتحف غاية فى الحسن والظرف قاله الوانشريسى وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب *ومنها اختصار المحصل ولم يكمله وشرحه لجمل الخونجى كذلك ومنها كتاب عمل من طب لمن حب وهو بديع فى بابه مشتمل على أنواع الاول فيه أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربى

فى الخروج اوقال له لاتقبل أقاويل أهل الكوفة فانا نجد فى علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكناسة وأخشى أن تكون ذلك المصلوب وناشده الله بذلك عمى داود وتحذره رحمه الله عن زاهد الكوفة فلم يقبل وتم على خروجه فقتل وصلب بالكناسة ثم وثب بنو أمية علينا فاماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كان لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الافيهم وبسبب خروجهم فنفونا عن البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالسراة حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فاحيا الله شرفنا وعزنا بكم وأظهر لنا حقنا وأصار الينا ميراثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم فقر الحق فى قراره وأظهر الله مناره وأعز انصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت الامور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا حسدا منهم وبغيا لهم بما فضلنا الله به عليهم وأكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه وجبنا من بنى أمية وجراءة علينا انى والله يا أهل خراسان ما أتيت ما أتيت من هذا الامر من جهالة ولقد كنت يبلغنى عنهم بعض السقم ولقد كنت سميت لهم رجالا فقلت قم أنت يافلان فخذ معك من المال كذا وكذا وقم أنت يافلان فخذ معك من

والنوع الثانى منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه فى غاية الافادة والثالث فى قواعد وأصول والرابع فى اصطلاحات وألفاظ قال الوانشريسى وقد أطلعنى الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب فتلطفت فى استنساخها فلم يسمح به انتهى قلت وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف وفيه يقول مولاى الجد رحمه الله تعالى

هذا كتاب بديع فى محاسنه * ضمنته كل شئ خلته حسنا
فكل ما فيه ان مر اللبيب به * ولم يشم عبيرا شام منه سنا
فخذه واشدد به كف الضنين وذد * حتى تحصله عن جفنك الوسنا

وهذه الابيات كافية فى وصف هذا الكتاب اذ صاحب البيت أدرى بالذى فيه * ومنها كتاب المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والاشارات كثير وقد ملكت منه بالمغرب نسختين فلنذكر منه بعض الفوائد فنقول قال رحمه الله تعالى قيل لصوفى لم تقول الله الله ولا تقول لا اله الا الله فقال نفى العيب حيث يستحيل العيب عيب وهذا ان لم يكن فى هذه الكلمة لانها أفضل ما قالته الانبياء فهو فى كثير من التنزيه الذى يطلقه المتكلمون وغيرهم حتى قال الشاشى عنهم انهم يتمدلون باسماء الله عز وجل ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه اعشى والمعطل أعمى المشبه متلوث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب المحق لبن خالص وهو التنزيه انزل من علو التشبيه ولا تعل قلل اباطيل التعطيل فالوادى المقدس بين الجبلين (أبو المعالى) من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن سكن الى النفى المحض فهو معطل ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الاعراض والاجسام جل ربى عن كل ما اكتنفته لحظات الافكار والاوهام برئ الله من هشام وممن قال فى الله مثل قول هشام (الدقاق) المريد صاحب وله لان المراد بلا شبه وقيل مثله الاعلى ليس كمثله شئ (الجنيد) اشرف كلمة فى التوحيد قول الصديق الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته (القشيرى) يعنى أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه (غيره) ماعرف الله سوى الله لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

كل ما ترتقى اليه بوهم * من جلال وقدرة وثناء
فالذى أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

سئل المريسى الشافعى عن التوحيد بحضرة الرشيد فقال أن لا تتوهمه ولا تتهمه فابهت (الشبلى) من توهم انه واصل فليس له حاصل ومن رأى انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ومن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك وما تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

ما ينتهى نظرى منهم الى رتب * فى الحسن الا ولاحت فوقها رتب

(الجريرى)

مابقى منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لى فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج على ثم قرأ فى درج المنبر وحيل بينهم و بين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب (قال المسعودى) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال يا أمير المؤمنين حاجتى أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع باسباب قال يا أمير المؤمنين قد أمكنك الله من ايقاع السبب قال وما ذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحببته واذا أحببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك ياربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال لولا الموت لم تقعد ههنا قال صدقت (وذكر) اسحق ابن الفضل قال بينا أنا على باب المنصور اذ أتى عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم أبا عثمان بأبى

(الجريري) ليس لعلم التوحيد الا لسان التوحيد (الحسن) العجز عن درك الادراك ادراك

تبارك الله وارث غيبه حجب * فليس يعرف الا الله ما الله

دعاني الى الله عز وجل بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فاوحى الله عز وجل اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال اجبني عنها قال كيف أجيبك وأنا أدعوا اليك قال تكلم في الاسباب وفي أسباب الاسباب فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير *(ومنه) سمع اعرابي اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة في الانسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه فخرج وهو يقول

ان كنت أدري فعلي بدنه * من كثرة التخليط في من انه

ومن عجز عن أقرب الاشياء نسبة منه فكيف يقدر على أبعد الامور حقيقة عنه من عرف نفسه عرف ربه * (ومنه) دع ما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره * لما احتضر الوليد بن أبان قال لبنيه هل تعلمون أحدا هو أعلم بالكلام مني قالوا لا قال فاني أوصيكم بما عليه أهل الحديث فاني رأيت الحق معهم وعن أبي المعالي نحوه (ومنه) هجر أحمد الحاسي لما صنف في علم الكلام فقال انما قصدت الى نصر السنة فقال ألست تذكر البدعة والشبهة قلت من تحقق كلام فخر الدين الرازي وجده في تقرير الشبه أشد منه في الانفصال عنها وفي هذا ما لا يخفى *(ومنه) من آمن بالنظر الى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع الى خوار العجل ومن شاهد مجاوزة القدرة الالهية لمنتهى وسع القوة البشرية لم يكترث بوعيد الدنيا ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى *(ومنه) علي بن الحسين من عرف الله بالاخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار اعتمد على ما تلحقه التهم *(ومنه) قيل لطبيب بم عرفت ربك قال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين البطن * وقيل لاديب بم عرفت ربك قال بنحلة في أحد طرفيها عسل وفي الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع وسأل الدهرية الشافعي عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد في نوافجها المسك والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر * قيل لاعرابي بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير

قد يستدل بظاهر عن باطن * حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لاعرابي بم عرفت الله قال بنقض عزائم الصدور وسوق الاختيار الى حبائل المقدور (ومنه) الدقاق لو كان ابليس بالحق عارفا ما كان لنفسه بالاضلال والاغواء واصفا (ومنه) التوحيد محو آثار البشرية وتجريد صفات الالوهية الحق واحد في ذاته لا ينقسم واحد في صفاته لا يماثل واحد في أفعاله لا يشارك لو كان موجودا عن عدم ما كان موصوفا بالقدم الحياة شرط القدرة دلت على ذلك الفطرة لو لم يكن الصانع حيا لاستحال ان يوجد شيأ لو لم يكن باقيا لكان للالوهية منافيا لو كان الباري جسما ما استحق الالهية اسما لو كان الباري جوهرا لكان للتحيز مفتقرا العرض لا يبقى

أنت وأمي فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له لبود بقر به وأجلسه اليه بعدما سلم ثم قال يا أبا عثمان عظني بموعظة فوعظه بمواعظ فلما أراد النهوض قال أمرنا لك بعشرة آلاف قال لا حاجة لي فيها قال أبو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدي حاضرا فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى أبي جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابني وهو المهدي وهو ولي عهدي قال أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له أمتع ما يكون عنه ثم أقبل عمرو على المهدي فقال نعم يا ابن أخي اذا حلف أبوك أحنثه عمك لان أباك أقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة يا أبا عثمان قال نعم قال فما هي قال أن لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال هي حاجتي فمضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال

كلكم يمشي رويد

كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعدما بايع للمهدي فقال له يا أبا عثمان هذا ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد وطدت له الامور وهي

والقديم لا يتغير ولا يفنى لو لم يكن بصفة القدرة موصوفا لكان بسمة العجز معروفا لو لم يكن عالما قادرا لاستحال كونه خالقا فاطرا دلت الفطرة والعبرة أن الحوادث لا تحصل الا من ذي قدرة لو لم يكن بالارادة قاصدا ما كان العقل بذلك شاهدا من تنوع ايجاده دل ذلك على ان الفعل مراده لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفا لكان لضديهما مألوفا لو جاز سامع لا سمع له لجاز صانع لا صنع له لو كان سمعه باذن لافتقرت ذاته الى ركن من صدرت عنه الشرائع والاحكام كان موصوفا بالكلام ليس في الصفات السبع ما لا يتعلق الا الحياة ولا ما يؤثر الا القدرة والارادة كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحب لا يسئل عما يفعل الواحد كاف وما زاد عليه متكاف ليس مع الله تعالى موجودات لان الموجودات كلها كالظل من نور القدرة له نور التبعية لا رتبة المعية

ان من اشرك بالله جهول بالمعاني
أحول العقل لهذا * ظن للواحد ثاني

قال جعفر بن محمد لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان في شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (قيل) لثمامة بن الاشرس متى كان الله فقال ومتى لم يكن فقيل فلم كفر الكافر فقال الجواب عليه (قال خادم) أبي عثمان قال لي مولاي يا محمد لو قيل لك اين معبودك ما كنت تجيب قال أقول بحيث لم يزل قال فان قيل لك فأين كان في الازل فقال أقول بحيث هو الآن فنزع قميصه واعطانيه (قيل) لصوفي اين هو فقال محقك الله أيطلب مع العين أين (ومنه) سمعت شيخنا يقول نقصنا صفة كمال له فينا يعني اذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص وهذا على انه ليس في الامكان ابدع مما كان وفيه كلام *(ومنه) بلغ أحمد ان أبا ثور قال في الحديث خلق الله آدم على صورته ان الضمير لآدم فهجره فأتاه أبو ثور فقال أحمد أي صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن فاعتذر اليه وتاب بين يديه *(ومنه) أتى يهودي المسجد فقال أيكم وصي محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال اني سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبي أو وصي نبي قال سل قال فاخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله فقال ابن عباس ما أنصفتموه اما أن تجيبوه واما ان تصرفوه الى من يجيبه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فقال أبو بكر قم معه الى علي فقال له اما ما لا يعلمه الله فقولكم في عزير انه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولدا قال في التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وأما ما ليس عند الله فالظلم وأما ما ليس له فالشريك فاسلم اليهودي فقبل أبو بكر رأس علي وقال له يا مفرج الكربات وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة فالله تعالى أعلم *وقال العتابي لابي قرة النصراني عند المأمون ما تقول في المسيح قال من الله قال البعض من الكل على سبيل التجزي والولد من الوالد على طريق التناسل والخل من الخمر على وجه الاستحالة والخلق من الخالق على جهة الصنعة فهل من معنى خامس قال لا ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول قال الباري لا يتجزأ ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ولو

تصير اليه وأنت عنده مسؤل فاستعبر المنصور وقال له عظني يا عمرو وقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الذي في يديك لو بقي في يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وأنشد

يا أيها الذي قد غره الامل
ودون ما يأمل التنغيص والاجل
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض
تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها
وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد في أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ويكنى أبا عثمان وهو عمرو بن عبيد ابن رباب مولى بني تميم وكان جده رباب من سبي كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة ومفتيها وله خطب ورسائل وفي سنة احدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى

استحال

استحال فسد والرابع مذهبنا وهو الحق *(ومنه) أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال انى عبد الله وهو حجة على الغالين فيه يقال لهم ان صدق فقد كذبتم والا فمن عبدتم ولمن ادعيتم *قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة الى ملك الروم لم اتحد اللاهوت بالناسوت فقال أراد أن ينجى الناس من الهلاك قال فهل درى أنه يقتل ويصلب أولا فان لم يدر لم يجز أن يكون الها ولا ابنا وان درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم انه جرى سأل القاضى هذا البطرك عن أهله وولده فأنكر ذلك النصارى فقال تبرؤن هذا مما تثبتونه لربكم سوأة لهذا الرأى فانكسروا *(ابن العربى) سمعت الفقراء ببغداد يقولون ان عيسى عليه السلام كان اذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيأ ثم سقط ميتا لانه كان يخلق ولا يرزق ولو رزق لم يبق أحد الا قال هو الله الآمن اوتى هداه *سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع الانبياء بالنظر والكلاءة انى معكما ومع العامة بالعلم والاحاطة الا هو معهم فقال مثلك يصلح دليلا على الله *(ومنه) سأل قدرى عليا رضى الله عنه عن القدرة فاعرض عنه فالح عليه فقال أخلقك كيف شئت او كيف شاء فأمسك فقال اترونه يقول كيف شئت اذن والله أقتله فقال كيف شاء قال ايحييك كيف تشاء او كيف يشاء قال كيف يشاء قال فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء قال حيث يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ *(أبو سليمان) أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه جل حكم الازل أن يضاف الى العلل سبق قضاؤه فعله انى جاعل فى الارض خليفة وأوقفت مشيئته أمره ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا *قال الشاذلى أهبط آدم الى الارض قبل ان يخلقه لانه قال فى الارض ولم يقل فى السماء ولا فى الجنة *(الاوزاعى) قضى بما نهى وحال دون ما أمر واضطر الى ما حرم

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

قال الاوزاعى لغيلان مشيئتك مع مشيئة الله عزوجل اودونها فلم يجب فقال هشام بن عبد الملك فلو اختار واحدة فقال ان قال معها فقد زعم أنه شريك وان قال وحدها فقد تفرد بالربوبية قال لله درك أبا عمرو *من بيان عظمته رفيع الدرجات من آثار قدرته رفيع السموات توقيع أمره يامر بالعدل والاحسان واقع زجره وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تنفيذ حكمه فعال لما يريد دستور ملكه لا يسئل عما يفعل *(اياس بن معاوية) ما خاصمت أحدا بعقلى كله الا القدرية قلت لقدرى ما الظلم فقال أخذ ما ليس لك قلت فان الله له كل شئ *(الواسطى) ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة الربوبية على الستر تقول ما شئت فعلت *(ومنه) من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل اذا كان القدر حقا فالحرص باطل *اذا كان الله عزوجل عدلا فى قضائه فصيبات الخلق بما كسبت أيديهم

ماعذر معتزلى موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا
ايزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

*(ومنه) دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال ما تقول فى القدر قال تفكر فى جيرانك

ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا أرفع نفسى ثم نازع على بن الحسين بن على فأسرع اليه هشام فقال له على انى أدعك الى ما كنت تدعو اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد توفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام وانما كان منزله فيهم أعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر أيام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار ابن عبد الله القاضى وفى سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء فى أيام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بامر المنصور وأقام فى محبسه تسع سنين فلما أراد المنصور الحج فى سنة تسع وأربعين ومائة حوله من عنده الى عيسى ابن موسى وأمره بقتله وأن لا يعلم بذلك أحدا فاستشار عيسى بن موسى ابن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى أن يقتله وأظهر لابى جعفر أنه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن

أهل القبور فان فيهم شغلا عن القدر

وكل من أغرق فى نعته * أصبح منسوبا الى العى

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير قال معتزلى لسنى لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور فقال السنى لو لم يكن الايمان من فعله لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور * قال نقفور طاغية النصارى لابى الحسن الشلبانى أنت تقول ان الخير والشر من الله وذلك لان النصارى كلهم على مذهب القدرية فى الاستطاعة قال نعم قال كيف يعذب عليه هل كان حقا عليه أن يخلق فقال لم يضطره الى ما خلق مضطر * قيل نزلت وما أضلنا الا المجرمون فى القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة فى الشر الى البشر وأشركوهم فى الخالق أما ترى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر

كنت دهرا أقول بالاستطاعه * وأرى الجبر ضلة وشناعه

ففقدت استطاعتى فى هوى ظبى فسمعا لمن أحب وطاعه

(غيره) مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

(غيره) تريد النفس أن تعطى مناها * ويأبى الله الا ما يشاء

شفاء الصدور فى التسليم للقدور

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ارتكابها

(غيره) أى يومى من الموت افر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى

الناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدور

قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك فقال ليس باذنى دخل

نفسى تنازعنى فقلت لها قرى * موت يريحك او صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

ولتعلمى أن المقدر كائن * لابد منه صبرت أو لم تصبرى

(ومنه) الهارب من المقدور كالمتقلب فى كف الطالب * من كان السلطان يطلبه ضاق عليه مذهبه وما أنتم بمعجزين * أسلى آية فى التنزيل ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الى قوله تعالى بما آتاكم * (ومنه) أخل رجل بخدمة صاحب الاسكندرية فتغيب ثم ظفر به عرفاؤه فقادوه فانساب منهم ورمى بنفسه فى بئر وتحت الاسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد الى آخره فلم يزل يمشى حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هى فى دار السلطان فاخذه فأدبه فانظر كيف فر من قودة السلطان مكرها وأتاه برجله طائعا * ذهب القضاء بحيلة العقلاء * (ومنه) قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد يهتدى للماء فى الارض الفيفاء وينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فيقع فيه

ولو جرت الامور على قياس * لوقى شرها الفطن اللبيب

لغضب على عيسى وقال يقتل عمى والله لاقتلنه وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمى قال أنت أمرتنى بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الى فيه قال لم أكتبه فلما رأى الجد من المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندى لم أقتله قال ادفعه الى أبى الازهر المهلب بن أبى عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبدالله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبدالله قتلة غير هذه فكان أبو الازهر يقول ما رحمت أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهى عنها وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضى ابن علاثة وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن

في مقبرة ابى سويد بباب الشام من بغداد فى الجانب الغربى (قال المسعودى) وذكر عبدالله بن عياش * (الواسطى)

*(الواسطى) اختيار ماجرى لك فى الازل خير من معارضة الوقت (ابن معاذ) عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ورجل شغله غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط *(ومنه) شكى لبعض الانبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها فاوحى الله اليه أن فر من قدامها حتى تنقضى أيامها *(ومنه)* (ابن المعتز) كرم الله عزوجل لا ينقض حكمته ولذلك لا تقع الاجابة فى كل دعوة ولو اتبع الحق أهواءهم

اريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد * وقصر علمى أن انال المغيبا

(ومنه) كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم

أيها المغتدى ليطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كى تصحح حكما * ثم اغفلت منزل الاحكام

(ومنه) قال الاحدب البغدادى للقاضى الباقلانى هل لله عزوجل أن يكلف الخلق مالا يطيقونه فقال ان أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد قل كونوا حجارة أنبؤنى باسماء هؤلاء ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وان أردتم به مايصح فعله وتركه فالكلام متناقض وهذا هو الذى نعرفه لان التكليف اقتضاء فعل مافيه مشقة ومالا يطاق لا يفعل البتة فقال سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات فقال انى بينت الوجوه المحتملة فان كان معك شئ فهاته فقال عضد الدولة قد صدق وما جمعتكم الا للفائدة لا للمهاترة ثم قال لقاضيه بشر بن الحسن المعتزلى تكلم فقال مالا يطاق على ضربين أحدهما مالا يطاق للاشتغال بضده وهذا سبيل الكافر لا يطيق الايمان للاشتغال بالكفر وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا وقد أثنى الله عزوجل على من سأله أن لا يكلفه مالا يطيقه فقال ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به لان الله له أن يفعل فى ملكه مايريد*(ومنه) خرج عمر بن عبد العزيز فى سفر ليلا فقال له رجل انظر الى القمر ما أحسنه فنظر فقال قد علمت انك أردت نزوله بالدبران ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء

يدبر بالنجوم وليس يدرى * ورب النجم يفعل مايشاء

وقال

ليس للنجم الى ضر ولا نفع سبيل

انما النجم على الاو * قات والسمت دليل

وقال

من كان يخشى زحلا * أو كان يرجو المشترى

فانى منه وان * كان أخى الادنى برى

لما وجه عضد الدولة القاضى ابن الطيب الى ملك الروم قال له الوزير أخذت الطالع لخروجك فسأله القاضى عن ذلك ففسره له فقال السعد والنحس بيد الله ليس للكواكب فيه تاثير وانما وضعت كتب النجوم ليتعشر بها العامة ولا حقيقة لها فاستحضر الوزير ابن الصوفى ودعاه الى مناظرة القاضى فقال لا أقدم على المناظرة وانما أقول اذا كان من النجوم كذا كان كذا وأما التعليل فن علم المنطق والذى يتولى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقى فاحضر وأمر فقال هذا القاضى يقول اذا اركب عشرة أنفس فى ذلك المركب الذى فى دجلة فالله

جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قال قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال المنصور أفتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن على سقط عليه البيت قال فاذنبى ان كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التى قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهى حاسرة تنشد

أيا عين جودى بالدموع على عمرو
عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل
وكلكم يبنى البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير انه
أتته المنايا بغتة وهو لا يدرى

كأن بنى مروان اذ يقتلونه * خشاش من الطير اجتمعن على صقر

تعالى قادر على أن يزيد فيهم آخر في ذلك الوقت فان قلت له لا يقدر قطعتم لساني فاى معنى لمناظرتي فقال القاضي للوزير ليس كلامنا في القدرة لكن في تأثير الكواكب فانتقل هذا الى ماتري لعجزه وانا ان قلت ان الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول انه يخرق العادة الآن ولا يجوز عندنا ذلك فهو فرار من الزحف فقال المنجم في المناظرة دربة وأنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا فقال الوزير قد قبلنا اعتذارك والحق أبلج * رأس الدين صحة اليقين من سابق القدر عثر

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

قيل لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده

ان يسبق الله على حمار * ولا على ذي منسم طيار

او يأتي الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري

فقال اذا كان الله امام الساري فلا مهرب ورجع *(ومنه) شكا بعض الصالحين الى الخليفة ضرر الاتراك فقال أنتم تعتقدون ان هذا من قضاء الله وقدره فكيف أرده فقال ان صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فردهم عنهم القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه فالقدر بالطلب والطلب بالقدر * قيل لعارف ان كنت متوكلا فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك الاما كتب الله لك فقال انما خلق الله الخلائق ليجربهم لا ليجربوه *(الجوهري) كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار طبعي واحترق لسانه لئلا يقول الكليم مكاني وقال غيره لو لم يقل لنار ابراهيم سلاما لهلك من برد النار * قيل للجنيد انطلب الرزق قال ان علمتم اين هو فاطلبوه قيل فنسأل الله قال ان خشيتم ان ينسا كم فذكروه قيل فنلزم البيوت قال التجربة منك شك قيل فما الحيلة قال ترك الحيلة * يقول ليكن تصرفك باذنه لا بشهوتك فقد قيل ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس ويورث سوء الظن *(الطرطوشي) القدر والطلب كأعمى ومقعد في قرية يحمل الاعمى المقعد ويدل المقعد الاعمى * قال رجل لبشر اني أريد السفر الى الشام وليس عندي زاد فقال اخرج لما قصدت اليه فانه ان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك مالك * الناس في هذا الباب ثلاثة فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير وأعرضوا عن الاسباب فادركوا التوكل وفاتهم الادب وهم بعض الصوفية وقد قيل اجعل ادبك دقيقا وعملك ملحا وهذا ابليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة أدبه * وفرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد مملكته والتصرف باذنه على مقتضى حكمته وهم الانبياء وخواص العلماء فاصابوا الادب وما اخطؤا التوكل * والفرقة الثالثة وهم الجمهور أقبلوا على الاسباب ونسوا المسبب ففاتهم الامران فهلكوا *(ومنه) جل الواحد المعروف قبل الحدود والحروف

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

كما بطنت بما ابديت من حجب * وكيف يبصر من بالعزة استترا

سئل النصيبي عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فانكرها محتجا بان كل شئ يرى بالعين فهو في

ألا يا لقومي للوفاء وللغدر وللمغلقين الباب قسرا على عمرو

فرحنا وراح الشامتون عشية كأن على أعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور رفا الابيات التي بعث بها عمرو الى عبد الملك ابن مروان قال قلت نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان أمورا أظنها ستحمله مني على مركب صعب

لينقض عهدا كان مروان شده وأدركه فيه بالقطيعة والكرب

فقدمته قبلي وقد كنت قبله ولولا انقيادي كان كرب من الكرب

وكان الذي أعطيت مروان هفوة عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب

فان تنفذوا الامر الذي كان بيننا فقلنا جميعا بالسهولة والرحب

وان يعطها عبد العزيز ظلامة فاولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف وهي سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة وأعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة وأحسب الامر يكون في ذي الحجة مقابلتها

مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث الى وهو فى قبة ووجهه الى الحائط فقال لى ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبوا فيها ما لا خير فيه قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال أما ترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت
سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم
يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال فقلت والله ما أرى على الحائط شيأ وانه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال انها والله اذا نفسى نعيت الى الرحيل بادرنى الى حرم ربى وأمنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان اعطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو أن عندى ألف بعير وعندى بعير أجرب اقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار وكان مع هذا يضن بماله وينظر فيما لا ينظر

مقابلتها فقال له القاضى ابن الطيب لا يرى بالعين قال له الملك فبماذا يرى قال بالادراك الذى يحدثه الله فى العين وهو البصر ولو أدرك المرئى بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة وهذا الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيأ * (ومنه) ابن العربى للصوفية فى اطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم واعتداء كبير ولولا اطلاقه للمحبة ما أطلقناها فكيف أن نتعداها * (الدقاق) العشق مجاوزة الحد فى الحب ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالمحدود اذ لو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من الحب * خمسة ابهمت فلم تعين لعظم أمرها الاسم الاعظم وساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى والكبائر لان اجتنابها يكفر غيرها يعنى على أحد الاقوال فى المسئلة * (ومنه) قيل فى التسعة والتسعين اسما انها تابعة لاسم الله وهو تمام المائة فهى عدد درج الجنة لما فى الصحيح من ان درجها مائة بين كل درجتين مسيرة مائة عام ولذلك قيل من احصاها دخل الجنة وهذه الاسماء مفضلة على غيرها مما لا يحصى ألا ترى قوله عليه السلام فى الصحيح باسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم * ذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا منه فلم يشر فى شئ منها الى خلقه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا ثلث ذلك العدد فصرح فى جميعها بخلقه قال ابن عطية وهذا يدل على أنه غير مخلوق * (أبو على بن أبى الاعم) بت ليلة جمعة بمصر فى أيام أبى حريش وكان يقول بخلق القرآن وأبى خلف المعافرى وكان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق أفكر عن أيهما آخذ فلما نمت أتانى آت فقال لى قم فقمت قال قل فقلت ما أقول فقال

لا والذى رفع السما * ء بلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر
والمالئ السبع الطبا * ق بكل مختلف الصور
ما قال خلق فى القرا * ن بخلقه الا كفر
لكن كلام منزل * من عند خلاق البشر

ثم قال اكتبها فاخذت كتابا من كتبى وكتبتها فيه فلما أصبحت وجدت ذلك بخطى على كتاب من كتبى فجلست فى البيت الى الزوال ثم خرجت فسالنى انسان عما رأيت البارحة فقلت ما أخبرت أحدا فقال قد شاعت رؤياك فى الناس * (الخواص) انتهيت الى رجل مصروع فجعلت أؤذن فى أذنه فناداه انى الشيطان من جوفه دعنى اقتله فانه يقول بخلق القرآن * (عمرو بن دينار) أدركت سبعة من الصحابة يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر قالت قال مالك يستتاب * (ومنه) كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء فكان مجلسه يحتوى على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة فقال لقاضيه بشر بن الحسن ان مجلسنا خال عن عاقل من اهل الاثبات ينصر مذهبه فقال انما هم عامة يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعا وانما أراد ذم القوم ثم اقبل يمدح المعتزلة فقال عضد الدولة محال ان يخلو مذهب طبق الارض من ناصر فانظر قال بلغنى ان بالبصرة شيخا يعرف بابى الحسن الباهلى وفى رواية بابى بكر بن مجاهد وشابا بابن الباقلانى فكتب اليهما فلما وصل

الكتاب قال الشيخ قوم كفرة لان الديلم كانوا روافض لا يحل لنا ان نطأ بساطهم فقال الشاب
كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم ان المأمون فاسق لا يحضر مجلسه حتى ساق
احمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه ما عرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين له
ماهم عليه بالحجة وانت أيضا ايها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ماجرى على
احمد ويقولون بخلق القرآن ونفى الرؤية وها انا خارج ان لم تخرج فقال الشيخ ان شرح الله
صدرك لهذا فاخرج فرد الله به الكرة * حفظ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم المنتقى
والمرسل امثال امثال المنزل ثم انتقى من ذلك صحة وفصاحة ما يبلغ حجم المصحف أو يربى عليه
فهل وجدت فيه ما يشبهه او ينزع اليه اشهد أنه من عند الله تنزيل من لدنه * اول اعجاز القرآن
الجهل بنوعه من جنس الكلام فانه لا يدخل في مضمار الشعر ولا ينخرط في سلك الخطب ولا
المواعظ والمقامات والكتب ولا في شيء مما يؤلف التخاطب به وتعرف فيه طبقات أهل
مذهبه فان لم يتبين ما رسمت لك فاعرض كلامك في كل صنف من هذه الاصناف تجد
لنفسك مع فحوله حالة القصور أو المماثلة أو الزيادة ولا تجد لكلامك نسبة الى القرآن
بل لا تدرى ما تقول ان طلب منك البيان الا أن تسلب العقل كمسيلمة وأمثاله ممن ابتلى
بالهذيان وقد تفطن الدلالة كافر اغلبت عليه الجهالة انظر السيرة *(الزمخشرى)
ما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر * سال القاضى أبا
بكر ملك الروم حين وجهه عضد الدولة اليه عن انشقاق القمر كيف لم يره جميع الناس فقال
لانهم لم يكونوا على أهبة ووعد قال فما النسبة التى بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم
وغيرهم قال النسبة التى بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس فدعا
القسيس فأقر للقاضى فقال له القاضى أتقول ان الكسوف يراه جميع أهل الارض أم أهل
الاقليم الذى في محاذاته قال لا يراه الا من في محاذاته قال فما تنكر من لا يرى انشقاق القمر
الا في تلك الناحية ممن تأهب لذلك قال هذا صحيح الا أن الشأن في مثله أن لا ينقل آحادا لكن
تواترا بحيث يصل العلم الضرورى به الينا والى غيرنا وانتفاء ذلك يدل على افتعال الخبر فقال
الملك للقاضى الجواب فقال يلزمه في نزول المائدة ما لزمنا في انشقاق القمر فبهت الذى كفر
قال ملك الروم للقاضى ابن الطيب في هذه الرسالة ما تقول في المسيح قال روح الله وكلمته وعبده
قال تقولون المسيح عبد قال بذلك ندين قال ولا تقولون انه ابن الله قال ما اتخذ الله من ولد قال
العبد يخلق و يحيى و يبرئ قال ما فعل المسيح ذلك قط قال هذا مشهور في الخلق قال لا قال
ما قال أحد من أهل المعرفة ان الانبياء يفعلون المعجزات لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم
تصديقا لهم قال ان ذلك في كتابكم قال في كتابنا ان ذلك كله باذن الله تعالى ولو جاز أن يكون
ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال ان موسى قلب العصا واخرج يده بيضاء وفلق البحر قال ان
الانبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون قال أفى لسان اليهود عظم
لا يقولون معه ان المسيح كان يتضرع لموسى وكذلك أمة كل نبي لا فرق بين الموضعين في
الدعوى *(الجوزى) في قوله عليه السلام يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم انما كان
الامام منا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه لا نبي بعدى * كان بالبصرة يهودى يقرر

فيه العوام ووافق صاحب مطبخه على أن له الرؤس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل ومن
كرمه أنه وصل عمومته
وهم عشرة في يوم واحد
بعشرة آلاف درهم
وأسماؤهم عبدالله بن
على وعبد الصمد بن على
واسمعيل بن على وعيسى بن
على وداود بن على وصالح
ابن على وسليمان بن على
واسحق بن على ومحمد بن
على ويحيى بن على وكان
يعمل في بناء مدينة بغداد
التى بناها وعرفت به في
كل يوم خمسون ألف رجل
وكان له من الولد المهدى
وجعفر وأمهما أم موسى
الحميرية وتوفى جعفر في
حياة أبيه المنصور وسليمان
وعيسى و يعقوب وجعفر
الاصغر من كردية وصالح
الملقب بالمسكين و بنت
تسمى عالية (قال المسعودى)
وللمنصور أخبار حسان مع
الربيع وعبدالله بن عياش
وجعفر بن محمد وعمرو
ابن عبيد وغيرهم وله
خطب ومواعظ وسير
وسياسات في الملك قد أتينا
على أكثرها في كتابنا
أخبار الزمان وانما نذكر
في هذا الكتاب لمعا تدلك
على ما سبق في كتبنا والله
سبحانه وتعالى اعلم

*(ذكر خلافة المهدى
محمد بن عبدالله بن على بن
عبدالله بن العباس) * ويكنى أبا عبدالله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبدالله بن سهم بن أبي سرح من ولد المتكلمين

المتكلمين على نبوة موسى فاذا أقر واجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا
عليه الى أن نتفق على غيره فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال ان كان موسى هذا الذى أخبر بمحمد
صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه وأمر باتباعه فانا أقر بنبوته وان كان غيره فانا لا أعرفه فتحير
اليهودى ثم سأله عن التوراة فقال ان كانت التى نزلت على موسى المذكور فهى حق والا
فهى عندى باطل *(ومنه) قيل للحسن الملائكة أفضل أم الانبياء فقال أين أنت من
هذه الآية ولا أقول انى ملك *(ومنه) وعن عمر وعلى رضى الله عنهما ان الخضر لقيهما
وعلمهما هذا الدعاء وذكر فيه خيرا كثيرا لمن قاله فى اثر كل صلاة يا من لا يشغله سمع عن سمع
ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم على الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة
مغفرتك *(ومنه) سمع اياس يهوديا يقول ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون
ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فقال أوكل ما تأكله تحدثه قال لا لان الله تعالى يجعل
أكثره غذاء قال فما تنكر أن يجعل جميع ما يأكل أهل الجنة غذاء *الرزية كل الرزية
تضييع أمر المرأة الرندية وذلك انه وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة
امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط ولا تحيض فلما اشتهر هذا من أمرها
أنكره الفقيه أبو موسى بن الامام وتلا كانا يأكلان الطعام فأخذ الناس يبثون ثقات نسائهم
ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر وسئلت هل تشتهين
الطعام فقالت هل تشتهون التبن بين يدى الدواب وسئلت هل يأتيها شئ فأخبرت أنها
صامت ذات يوم فأدركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب
فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام
بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره ووقفها بالعدول ومن
يكشف عما عسى يجىء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر بيد أنى أردت
أن يزاد فى عدد العدول ويجمع اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل
المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك أحد
يخلو بها وبالجملة يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغنى
فى فصل دون فصل ثم يكتب هذا فى العقود ويشاع أمره فى العالم وذلك لانه يهدم حكم
الطبيعة الذى هو أضر الاحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس
من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب ان الاقترانات بالعادات لا باللزوم
وعند الاسباب لا بها الى غير ذلك الا أنى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى
من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لايثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون وقد
ذكر ان امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثنى غير واحد من الثقات ممن أدرك
عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبى يحيى اختبرتها أربعين يوما أيضا
وكم من آية أضيعت وحجة نسيت هذا مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء
العام القريب فرطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره
وكم فيه أيضا من أدلة على أصول الملة *(ومنه) قال شيخ من صالحى الفقهاء فى عصرنا بفاس

ذى رعين من ملوك حمير * أخذ له البيعة بمكة الربيع مولاه يوم
السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وأتاه ببيعته منارة مولاه فأقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان وادبوحان فعدل الى الموضع المعروف باودالدان فمات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هرون الرشيد وكان موسى الهادى غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما فى قطائف أكلها ولبست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال فى ذلك أبو العتاهية

رحن فى الوشى فأصبحـ ـن عليهن المسوح
كل نطاح وان عا ش له يوما نطوح
لست بالباقى ولو عمـ ـرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح * ان كنت لابد تنوح

(وذكر جملا من أخباره ولمعا مما كان فى أيامه)

ثلاث قال وماهن يا أمير المؤمنين قال اما أن تلى القضاء أو تحدث ولدى وتعلمهم أوتا كل أكلة ففكر ثم قال الاكلة اخفهن على نفسى فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غذائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولى القضاء لهم ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه فى النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت أكبر من البر لقد بعت دينى وقال الفضل ابن الربيع خرج المهدى متنزها ومعه عمرو بن ربيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس فى الصيد وأصاب المهدى جوع شديد فقال لعمرو ويحك الا انسانا عنده مانا كل فما زال عمرو يطوف الى أن وجد صاحب مبقلة والى جانبها كوخ له فقعد اليه فقال له هل عندك شئ يؤكل قال نعم رقاق من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث فقال له المهدى ان كان

أبو زرهون عبد العزيز بن محمد القيروانى رحمه الله تعالى مات فقير عندنا بالمدينة فوجدوا عنده ربطة من دراهم فوضعوها عند المؤذن فلما نزل ليلحده سقطت من جيبه فى القبر ولم يشعر حتى واراه فكشف عنه فاذا الدراهم قد اصقت ببدنه درهما الى درهم كالنجوم فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه وتبعها من ذلك المحل ريح منتنة قال الشيخ فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردوا التراب عليه وانصرفوا * قال عبد الله بن ادريس لغيلان المرور متى تقوم الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل غير أنه من مات فقد قامت قيامته قال فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه الكلمة وماتدرى لعل جسده فى عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك وانظر الحديث فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع من عذاب القبر *(ومنه) المازرى مسئلة التكفير بالمآل مشكلة وقد اضطرب فيها قول مالك وهو امام الفقهاء والقاضى أبى بكر وهو امام المتكلمين (الغزالى) لا يقطع بتكفير الفلاسفة الا فى ثلاث مسائل قدم العالم ونفى العلم بالجزئيات وانكار المعاد البدنى وتوابعه القطعية أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات والمعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات ومن ثم قيل لهم مخنثة الفلاسفة لا يكفى التقليد فى عقائد التوحيد لا فرق بين انسان ينقاد وبهيمة تقاد *(ومنه) كان أبو هاشم من أفسق الناس فجالس ذات يوم يعيب الارجاء وكان فى المجلس مرجئ فأنشد

يعيب القول بالارجاء حتى * يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء ذنبا * وعيدى يصر على الكبائر

كان مالك ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(ابن عقيل) يشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم فى اثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فلما لم يمكن هذا المائن جحد الصانع لمخالفة العقل أسقط فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدم سياسة الشريعة فهم شر طائفة على الاسلام *سئل مالك عن أشر الطوائف فقال الروافض *بينما ابن المعلم شيخ الرافضة فى بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب فقال جاءكم الشيطان فسمعه على بعد فلما جلس اليهم تلا عليهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (مالك) أهل السنة من لا لقب له لا خارجى ولا قدرى ولا رافضى (البديع)

يقولون لى ما تحب الوصى * فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وآل النبى * وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء * وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع * فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الجميع * فلا برح الرفض من جانبى
أحب النبى وأصحابه * فما المرء الا مع الصاحب
أيرجو الشفاعة من سبهم * بل المثل السوء للضارب

يوقى المكاره قلب الجبان * وفى الشبهات يد الحاطب

أخذ البيت الخامس من قول الشافعى

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

*(ومنه) أبو حنيفة لقيت عطاء فقال لى ممن أنت فقلت من أهل الكوفة فقال من اهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قلت نعم قال فمن أى أصنافهم أنت فقلت ممن يؤمن بالقدر ولا يسب السلف ولا يكفر بالذنب قال عرفت فالزم *(ومنه) الاراده تطلق على المحبة وعلى قصد أحد الجائزين بالتخصيص وكل واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر أما الاول فكقوله * تريد النفس أن تعطى مناها * وهو ظاهر وأما الثانى فكقصد المتوعد بالاهلاك الى أمر عبده الذى أمره بأمر ليظهر امتثاله ولدقة الفرق بينهما ضل المعتزلة فى أمرهما فقالوا ان الله عزوجل لا يريد المعاصى لانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر

قال عمار بن ياسر يوم صفين

صدق الله وهو للصدق أهل * وتعالى ربى وكان جليلا

رب عجل شهادة لى بقتل * فى الذى قد أحب قتلا جميلا

*(ومنه) العبدرى قتل الحسين دعا الى حرب وأخذ بثاره كذاب ثقيف ونوه باسمه اعداء ملة جده بنو عبيد ليقتص من قضية عثلها فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب فيعلم أن الكل آلات مستعملات حسبما اقتضاه العلم القديم *(ومنه)* أبو العباس الابيانى ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع اترع لا تتسع *(ومنه) كانت سكينة بنى اسرائيل فى التابوت فغلبوا عليها وسكينة هذه الامة فى القلوب فغلبوا بها استحفظوا كتابهم فحرفوه من أحكامه ووصفه وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه *(ومنه) فى الصحيح كان أبو ذر يقسم قسما أن هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد قلت ففى الآية شهادة من الله تعالى لعلى بالجنة والشهادة أما الجنة فبنصها وأما الشهادة فلانه وصاحبيه استشهدوا وخصمهم قتلوا فهى رادة على الخوارج قطعا *(ومنه) جاز أبو بكر بن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض فقالت له امرأة سيدى أبو بكر فقال لبيك يا عائشة فقالت له متى كان اسمى عائشة فقال ايقتلونى وتخلصين وفى آخر هذا الكتاب ما صورته فهذه جملة تراجم وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة أو تنميق مجالس المناظرة وكان الفراغ من جمعها فى آخر يوم من شعبان المكرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى فى كتابه المحاضرات *(ولنرجع الى سرد بقية تواليفه رحمه الله تعالى فنقول)* ومنها شرح لغة قصائد المغربى الخطيب ومقالة فى الطاعة المملكة وشرح التسهيل والنظائر وكتاب المحرك لدعاوى الشر من أبى عنان واقامة المريد ورحلة المتبتل وحاشية بديعة جدا على مختصر ابن الحاجب الفقهى فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد فى غيرها وقد وقفت عليها بالمغرب ومن اشهر كتبه فى التصوف كتاب الحقائق والرقائق وهو من الحسن

عندك زيت فقد أكلت قال نعم عندى فضلة منه فقدم اليهما ذلك فاكلا اكلا كثيرا وأمعن المهدى حتى لم يبق فيه فضل فقال لعمرو قل شعرا أوصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيـ * ـت وخبز الشعير بالكراث

لحقيق بصفعة أو بثنتيـ * ـن لسوء الصنيع او بثلاث

فقال المهدى بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ * ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر ولحقته الخزائن والخدم والموكب فامر لصاحب المبقلة بثلاث بدر دراهم قال وعاربه فرسه مرة أخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابى وهو جائع فقال يا اعرابى هل عندك قرى فانى ضيفك قال أراك جسيما عميما فان احتملت قرى بنا لك ما يحضرنا قال هات ما عندك فاخرج له فضلة نبيذ فى ركوة فشرب الاعرابى واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدى أتدرى من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله فى موضعك وحيالك من كنت ثم شرب الاعرابى قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدى قال رحب

بمكان لا يلحق وقد شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدى أحمد زروق رضى الله عنه ونفعنا به وسنح لى أن اسرد هنا شيأ من هذا الكتاب الفذ فى بابه فنقول * قال فيه مولاى الجد رحمه الله تعالى هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق فهو زبدة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل فاحتفظ بما يوحيه اليك فهو الدليل وعلى الله قصد السبيل (حقيقة) عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل فان كان زجاجيا فبخ بخ (رقيقة) من لم يجد ألم البعد لم يجد لذة القرب فان اللذة هى التخلص من الالم (حقيقة) لما انطبعت الصور فى مرآة الخيال قال العقل انا الملك المكوكب فقالت الرياضة الزمنى وتعرف قدرك فاذا العقل عقال (رقيقة) من ضحك فى نوم الغفلة بكى عند الانتباه فان الاضغاث أضداد (حقيقة) أثر الزهد عقل دن سقراط على سراج غوطة أبى نصر فقيل فاين اعتبار أفلا ينظرون فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون (رقيقة) طالب الدنيا يخاف الفوت وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فاذا حمى الوطيس وحج الرئيس انشأ الزاهد بينهما ينشد

عزيز النفس لا ولد يموت * ولا انس يحاذره يفوت

(حقيقة) العابد طالب رياسة وجوه والزاهد صاحب نفاسة وهمه والمعنى للعارف يعادى فى الله تعالى ويوالى ويرضى الله ولا يبالى (رقيقة) من سابق سبق ومن رافق ارتفق ومن لاحق التحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبه

وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم * (حقيقة) العمل دواء القلب واذا كان الدواء لا يصلح الا اذا كان على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجح الا بعد صوم النفس فارق نفسك وتعال (رقيقة) مثل دواعى الخير والشر فى الانسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة فى العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الالم (حقيقة) العمل على السلامة مسالمة وعلى الغنيمة تجارة وعلى الامر قرض فيضاعف له أضعافا كثيرة (رقيقة) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم لمسجد انقطاعك على قدم شكواك وأحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس بسواك (حقيقة) وجد العارف لخاد بنفسه فوجد الله عنده وتواجد المريد لحاكى ومن لم يبك تباكى (رقيقة) زك نفسك لقلبك تزك عند ربك بعها منه رخيصه فهى على ثمنها الديه حريصه ان الله اشترى (حقيقة) الزوال وقت المناجات فطهر قلبك قبله من الحاجات واياك والحظ فذهاب نقطته اسرع من اللحظ (رقيقة) الزاد لك وهو مكتوب والزائد عليك وهو مسلوب فأجمل فى طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون (حقيقة) امر بالتوكل لتقصر الطرف عليه واذن فى التسبب لتنصرف منه اليه فذلك مخبر بحقيقة التفرد وهذا مظهر لحكمة التعبد (رقيقة) الملك أبو الدنيا وهو مع ذلك محبوس فيها تبهم عليه الابواب ويستدعى الحراس والحجاب فاذا خرج حدقت اليه الالحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ أى حظ حظ من فقد نعمة فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه (حقيقة) قال صاحب الزهر الانيق علامات المحبة أربع الافلاس والاستئناس والانفاس والوسواس قلت

أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدى قال فلست كذلك قال فمن أنت قال انا أمير المؤمنين فاخذ الاعرابى ركوته فوكاها فقال له المهدى اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيتك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها لك ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدى ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن ان أسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدى وأحاطت به الخيل فنزل اليه أبناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فلم يكن له همة الا النجاء فقال له المهدى لا بأس عليك وأمر له بصلة وكسوة وبزة وآلة فقال أشهد أنك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدى منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى وهو جد محمد بن عبد الوهاب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل المهدى ابنا لابى عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة

الافلاس التجرد الاعنه كالخليل والاستئناس التوحش الامنه كالكليم والانفاس والوسواس صلة الاسم وعائده (رقيقة) ذكر مذكر بعسالقة فقام الخطيب الشيخ الولي أبو عبد الله الساحلي بهذا البيت

ليت شعري اني زمام رضاكم * كتب اسمي أم في زمام الهوان

وكنت يوما مع السلطان والجند يعرضون عليه وكان يسقط ويثبت وأنا أتفكر في البيت حتى خلت أن افتضح فقلت واهماه من هذا الابهام ثم كدت اخلد بقبح العمل الى الارض فينشلني حسن الظن بالله عز وجل فانهض

ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

(حقيقة) اذا قابل ابرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب فاذا اتصل عشق فانقطع فاذا انجذب فنى فبقى حاشا الصوفي أن يموت (رقيقة) افتخر الغراب باقامة قرآن الفجر فقيل حتى تغسل بول الشيطان من اذنك فطرب الديك فرحا بالفوز وندب العصفور ترحا على الفوت (حقيقة) الخلوة بيت الاعتبار وفي بيته يؤتى الحكم وباب هذا البيت العلم وائتوا البيوت من أبوابها (رقيقة) واقع فقير هناة ثم دخل خلوته فبدت له نفسه بوجه مموسة فقال ما أنت قالت أم الحياة فقال ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة فقالت اذن لم تصنع ماشئت فانتبه لقرع العتاب فتاب (حقيقة) القلب ايوان الملك ويسعى وعز الملك يانف عن ذل المزاحمة انا أغنى الشركاء عن الشرك (رقيقة) لما وضع البسطامي أوزار حربه فك طابع الصحيفة عن قلبه فلم يجد بها غير الطفرى فصاح بنفسه لك البشرى انزل طيفور عما تريد ليس في الدار أبو يزيد (حقيقة) قال شيخنا أبو هادي يوما لاصحابه بماذا يرتقي العبد عن مقامه الى مقام أعلى منه قالوا بفضل الله ورحمته فقال انما سألت كم عن السبب الخاص بهذا الامر قالوا من عند الشيخ قال يخلق الله له همة فيرتقي بها الى رتبة اسمى من رتبته * ومن هذا الكتاب (حقيقة) التفت الى مواهب الملوك تجدهم انما يوسعون فيما قد يسترجعون فاما العلماء وكل من يعطي بحق فانما يعطون بقصد ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم (رقيقة) قلت لقلبي كيف تجدك فقال أما من أمارتك ففي عناء الجهاد وأما من لوامتك فعلى جمر الصبر قلت ففي الراحة قال اذا اطمأنت النفس فاضمحل الوهم وغاب الحس (حقيقة) قطع السوى طهارة المنيب ولا يقبل الله صلاة بغير طهور وكتابه النحيب والمكاتب عبد ما بقي عليه وبابه الدخول على الحبيب نظر رجل الى امرأة عفيفة فقالت ياهذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هولاك (رقيقة) لما حنكت الطينة بتمر الجنة وغذيت بلبانها فطرت على محبتها انظروا الى حب الانصار التمر فلم تطق الفطام عنها * وتأبى الطباع على الناقل * فذلك ما تجده من الحنين الى التلاق والانين على الفراق والشغف بمدح العابر وذم الغابر وفي ذلك

كم أودناذاك الزمان بمدح * فشغلنا بذم هذا الزمان

وان لم تعرف عصر اخاليا ولا خلا نائيا لم يمر عليك مما تشتهيه أطيب مما أنت فيه

ان أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه في كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشئ من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل في أمره انه كان يرى الامامة في الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه وكان المهدي محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده في الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ماجباه في أيامه فلما تفرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة النهدي خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ ففرق المهدي عشرين خادما في جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما أخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال فقال أنت اعرابي أحمق كنت تظن أن الاموال لا تاتينا اذا احتجنا اليها قال أبو حارثة ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

(ومنه)(حقيقة) قيل عرض الكليم بطلب القوت فى رحلة الهجرة انى لما أنزلت الى من خير فقير فحمل على كاهل ان أبى يدعوك وصرح فى سفر التأديب لو شئت لاتخذت عليه أجرا فحمل على كاهل هذا فراق بينى وبينك قلت لما تمحض الطلب له اكتفى فلما تعلق حق الغير به وفى ولذلك قضى ابا المرآتين الاجلين (رقيقة) كان خرق السفينة اراءة الكرامة فاقذفيه فى اليم فى مرآة وكان وراءهم ملك*ووعا صحت الاجسام بالعلل*وقتل الغلام اشارة الى اشتمال قتلة فقضى عليه على رحمة فنجيناك من الغم برمز فخشينا أن يرهقهما والمحن الصم حبائل المنح واقامة الجدار اثارة لفتوة فسقى لهما ليخفض له جناح انى لما أنزلت الى من خير فقير فيستظل من حرلو شئت لاتخذت عليه فى نية هذا فراق بينى وبينك (حقيقة) قيل لمحمد بن الحسن الزبيدى التونسى وأنا عنده بها كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ستجدنى ان شاء الله صابرا وقد جاء فى الصحيح فى قصة سليمان عليه السلام لوقال ان شاء الله لكان كما قال والمقام الموسوى أجل واصطنعتك لنفسى وطلابه أفضل ما جميع أعمال البر والجهاد فى طلب العلم الا كبصقة فى بحر فقال كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لا يعلمه الخضر وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى فلم يظن ان أن مالم يحط به خبرا اباه حكم الظاهر والا كيف يلتزم الصبر عليه وقد أمر بصرف الانكار اليه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بل لم يعتد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فعاعلقه بقوله فقد صدقه بفعله ومالم يستطع عليه صبرا فلم يدخل فى التزامه اعتقادا ولا ذكرا (رقيقة) قال لى عبد الرحمن بن يعقوب المكتب كان عندنا بالساحل سائح هجيراه الهى بسطت لى أملى وأحصيت على عملى وغيبت عنى أجلى ولا أدرى الى أى الدارين يذهب بى لقد أوقفتنى موقف المحزونين ما أبقيتنى (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فتسمها بينهما قاضى العقل فن باع منهما حظه فلا شفعة لصاحبه عليه *(ومنه)*(حقيقة) الحجب ثلاثة فحجاب الغيرة منع وحجاب الحيرة دفع وحجاب الغفلة قطع أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) اللهم أيام النشر يق مكروه وكل لذة عند أرباب الدنيا كاللحم عندك أيام الاضحى فلا تربنك الغفلة عن سر لك زيادة النعمة عندك (حقيقة) الفقر الى الله الاستغناء به عما سواه وهو بة الرضا بالله أن لا يخطر بالبال الاه *(ومنه)* (حقيقة) التلون مجون تارة طسر با وطورا شجون والتمكن معرفة وأين الحال من الصفة (رقيقة) قال لى محمد بن عبد الواحد الرباطى قال لى محمد بن عبد السيد الطرابلسى دخلت على أبى الحسن الحرانى فقلت له كيف أصبحت فأنشد

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف احتسى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

(حقيقة) قال الطالب الوقت سيف وقال الواصل بل مقت فتلا العارف قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (رقيقة) لصاحب الوقت يومان

يوم بارواح يباع و يشترى * وأخوه ليس يسام فيه بدرهم

ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدى اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه عزمه ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران أم الهادى والرشيد فى دارها المعروفة باساس وعندها امهات اولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بنى هاشم وهى على بساط أرمنى وهن على نمارق أرمنية وزينب بنت سليمان بن على أعلاهن مرتبة فبيناهى كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال فى اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدى تقدم الى الخيزران بان تلزم زينب بنت سليمان ابن على وقال لها اقتبسى من آدابها وخذى من أخلاقها فانها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال فى أطمار رثة فتكلمت فاوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من انت قالت أنا مزينة امرأة مروان

وفصل الفضل بينهما

وماتفضل الايام اخرى بذاتها * ولكن أيام الملاح ملاح

*(ومنه) *(حقيقة) قال لى الشيخ أبوعبد الله محمد بن مرزوق العجيسى بعباد تلمسان قال لى ابوعبد الله بن حيون انه وجد على ظهر كتاب بخط عتيق قال أبو يزيد البسطامى يظهر فى آخر الزمان رجل يسمى شعيبا لاتدرك له نهاية قالا وهو أبومدين قلت وقف بظاهره مع الشريعة وذهب بباطنه مع الحقيقة فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية (رقيقة) قت ببعض الاسحار على قدم الاستغفار وقد استشعرت الصبابة واستدثرت الكآبة فاملى الجنان على اللسان بما نفث فى روعه روح الاحسان

منكسر القلب بالجنايا * يدعوك يامانح العطايا
اقعده الذنب عن رفيق * حثوا لرضوانك المطايا

*(ومنه) *أثر (حقيقة) فى شان الحلاج مانصه ثم قلت

ولرب داع للجمال أطعته * وأبى الجلال على أن أتقدما
فاطعت بالعصيان أمرهما معا * وجنحت للتسليم كما أسلما

*(ومنه) *(حقيقة) قلت لاسرمالك تحس من خلف الموانع فقال خرق شعاعى سور العوائق ثم انعكس الى بصور الحقائق فأصبحت كما قيل

كأن مرآة عين الدهر فى يده * يرى بها غائب الاشيا فلم يغب

(رقيقة) الليل رداء الرهبة تهاب الجبان أسد الابطال وتتقى الحواس دونه الخيال ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا (حقيقة) النهار معاش النفس فهو استعداد ان لك فى النهار سبحا طويلا والليل رياش الانس فهو معاد واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا فهذا جمع وذاك فرق والحال أسرع ذهابا من البرق *(ومنه) *(حقيقة) ان أكبرت النفس حالها فذكرها أصلها وما آلها فانها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على أرض المسالك احثوا التراب فى وجوه المداحين منها خلقنا كم وفيها نعيدكم (رقيقة) انما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند أبناء جنسه فلذلك تراه مغمزا للعيون مهمزا للظنون من أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها (رقيقة) رأيت الملوك لايشتمون ولايدعى لهم الابما يتعلق باغراض الدنيا واكثر ذلك مما تحيل عقوده العوائد فعلمت أن الدنيا ضد الآخرة (حقيقة) من لم يفر خور وذلك الجبن من خاف ادلج ورجا من لم يكر تمن وتلك الزمانة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (رقيقة) سمعت ابا محمد المجاصى يقول رويت بالسند الصحيح ان عابدا رابط ببعض الثغور مدة فكان كلما طاع الفجر يسمع من ينشدون ان يرى شيأ

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم غضبا * فانكم قوم سوء لاتبالونا

(حقيقة) ماحمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته وذلك مما لاينبغى لغيره لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (رقيقة) قلت

الاعارية وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة على مانحن فيه من الضرر على بادرة الينا تريل موضع الشرف فقصدنا كم لنكون فى حجابكم على أية حالة كانت حتى تاتى دعوة من له الدعوة فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت سليمان ابن على فقالت لاخفف الله عنك يامزينة أتذكرين وقد دخلت اليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه فكلمتك فى جثة ابراهيم الامام فانتهرتينى وأمرت باخراجى وقلت ماللنساء والدخول على الرجال فى آرائهم فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك لقد دخلت اليه فحلف أنه ماقتله وهو كاذب وخيرنى بين أن يدفنه أو يدفع الى جثته وعرض على مالا فلم أقبله فقالت مزينة والله ماتظن هذه الحالة ادتنى الى ماترينه الا بالفعال الذى كان منى وكانك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب أن تحضها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها وتصون بها دينها ثم قالت

لزينب يابنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا فى العقوق فاحببت التاسى بنا ثم ولت باكية فغمزت

أشيم البرق من بين الثنايا * وأشتم العبير من الثناء
فأبدو تارة وأغيب أخرى * مثار الشوق مثنى الحشاء

(حقيقة) تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه فى بحار العظمة وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة فهذا تاجر لئن شكرتم لازيدنكم وذاك ذاكر وما بكم من * (ومنه) * (حقيقة) الصبر مطية المريد والرضا سجية المراد فهذا يقوم للامر وذاك يسعى للاجر (رقيقة) الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصبر بغير حساب والرضا بالرضا وذاك سدرة المنتهى (حقيقة) النفس الامارة آبدة لا تملك الا بلطائف الحيل والمطمئنة ذلول لا تنفلت الا من غفل وأخاف أن يأكله الذئب (رقيقة) الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب هذا يستخدمها وذاك يخدمها يبنى الخادم المسجد ليقال ويعمره المخدوم لينال فعل الخادم السعى من غير جدوى * وليس لرحل حطه الله حامل * وللمخدوم الجدوى بغير سعى * وليس لما تبنى يد الله هادم * ان السعادة أصلها التخصيص * (حقيقة) الجمال رياش والحسن صورة والملاحة روح فذلك ستره عليك وهذا سره فيك فاذا سويته ونفخت فيه من روحى (رقيقة) أعطى يوسف شطر الحسن يعنى حسن آدم لانه ان لم يكن فى الامكان أبدع مما كان فقد خلقه الحق بيده فى أحسن تقويم ثم نفخ فيه من روحه لتتم علة الامر بسجود التحية والتكريم فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان خلق الله آدم على صورة الرحمن فآدم اذا كمال الحسن والافهو المراد لان الشطر يقتضى الحصر والنصف ينزع عن الوصف وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما أبصره أحد الا هابه وتمام الملاحة فما عرفه شخص الا أحبه مع انباء نوره فى الآباء بأن ابوة المعنى لسيد نجباء الابنا كما قال العارف عمر

وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

(حقيقة) لا يثنينك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فان لم تستطع بعد الحرص أن تعدل فلا تمل كل الميل مع النفس ان النفس لامارة بالسوء (رقيقة) ارفع قصتك فى رقعة الاقبال على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عاكفا فى زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب التقدير من باب الكرم بتوقيع فاستجبنا له * (ومنه) * (حقيقة) صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وارضى الرحمن ففاز بسلامة ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك وحقق مشاهدة الصديق أسمع من ناجى فحاز غنيمة لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (رقيقة) ذهب أبو بكر فى السابقين ولحق عمر باهل اليقين فما أدرك الصديق اداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء التقفية

ولو كنت فى أهل اليمين منعما * بكيت على ما فات من زمن الصبا

(حقيقة) النص سلاح والنظر مطية والاتباع جنة والورع نجاة والخلاف فتنة والبدع مهالك وخير الامور أوساطها * (ومنه) * (حقيقة) تخير المساعد واختبر

المهدى عليها وقد انصرفت زينب وكان من شانه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التى ردتها فقال لها ما رددتيها الى المقصورة ما الذى سمعتيها تقول قالت لحقتها فى الممر الفلانى وهى تبكى فى خر وجها مؤتسية وهى تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم قال للخيزران والله والله لولم تفعلى بها ما فعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة وأنكر فعل زينب وقال لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت أن لا أكلمها ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التى أخليت لها وقال للجارية اقرئى عليها السلام وقولى لها يا بنت عم ان أخواتك قد اجتمعن عندى ولولا أنى ابن عمك لجئناك فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت من يتة تسحب أذيالها فامرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها

المصاعد وليكن همك فى سفرك منك معرفتك كيف ترجع اليك فان يحقق صفة الربوبية من لم يحقق نعت العبودية (رقيقة) حدثت أن سيدى أبا الحسن الشاذلى لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام أوقف فعله على اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فرآه فى منامه فقال توحشنا يا على فاخذ يعتل فأذن له وقال اذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام منى السلام قال فلما التقينا بلغته المألكة سر افلم تظهر نفسه لذلك فلما قام المزمزم قال

صدق المحدث والحديث كما جرى * وحديث أهل الحب مالا يفترى

فاستغفر الشيخ ثم كذب نفسه ثم حط للتسليم رأسه (حقيقة) الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة قل هو القادر فن ثم كان اشد تقلبا من المرجل على النار فاذا ذكر الله سكن ألا بذكر الله تطمئن القلوب (رقيقة) فرق القلب من ذكر الله خوف وجلت قلوبهم ثم سكن لذكره رجاء وتطمئن قلوبهم فعاد داء تقشعر منه دواء ثم تلين فنعق بلائمة دع عنك لومى فان اللوم اغراء ثم هتف بنادمة وداونى بالتى كانت هى الداء (حقيقة) العبودية صفة نفسك لانها حال أحد العبيد والعبودة صفة قلبك لانها ملكة واحد العباد والعبادة قصد وجهك لانها نعت الفردوس من العباد *(ومنه)* (حقيقة) انما تزيد فى الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة فان تشييد الجدار على قدر انتقاص الجبل (رقيقة) من جر لنفسه جار على قلبه فلا تجوز شهادته عند ربه لان العدل ترك العدول والميل (رقيقة) لا تقدم الا بدليل واذن واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقدتم انظر فلا حرج ان جهلت مالم تكلف علمه وأخاف عليك سوء عاقبة الهجوم (رقيقة) اذا اهتز العرش بالسحر لدعاء أهل تجافى جنوبهم انبعث من نسيمه ما أغشاهم طيبه الراحة امنة منه وأهب المستغفر من نومه لادراك فضل رضى الله عنهم ورضوا عنه (حقيقة) دع الغريب وما يريب واركب الجادة ولا تسلك بنيات الطريق فتفرق بكم عن سبيله *(ومنه)* (حقيقة) سفر المريد تجارة وسفر العارف عمارة فهذا يرحل للاقامة عند الحقيقة وذاك يطلب الاستقامة على الطريقة (رقيقة) اياك أيها المصلى لنا أن تلتفت الى غيرنا وأقبل علينا بصدق نيتك وناجنا بخلوص سريرتك فقد قنا بينك وبين قبلتك وناجيناك بلسان تلاوتك فان غبت عنا فلست منا (حقيقة) الشطح كناية والكرامة عناية والاعتراض جناية فاياك ولم فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم (رقيقة) الليل معاد الانس ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا والنهار معاش النفس ان لك فى النهار سبحا طويلا فهذا نشاط رغبة يتسع فى مناكبه المجال وتعتو رعلى مراكبه الاحوال وذلك حجاب رهبة تهوى اليه الاوجال وتجتمع فيه هموم الرجال ألاترى كيف تهاب الجبان دونه الابطال وتتقى الحواس خلفه الخيال كما قال

نهارى نهار الناس حتى اذا دجا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

(حقيقة) حجب الطالب اربعة فحجاب الغيرة قاذع قيل لبعضهم أتحب ان تراه فقال لا قيل

لاحد فى المجلس كلا مافقال لها المهدى يابنت عم والله لولا أنى لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم فى أمرنا شيئا لتزوجتك ولكن لاشئ أصون لك من حجابى وكونك مع أخواتك فى قصرى لك مالهن وعليك ماعليهن الى أن يأتيك أمر من له الامر فيما احكم به على الخلق ثم أقطعها مثل مالهن من الاقطاع وأخدمها وأجازها فاقامت فى قصره الى أن قضى المهدى وأيام الهادى وصدرا من أيام الرشيد وماتت فى خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا وحدثنا الرياشى عن الاصمعى قال دخل عبد الله ابن عمر و بن عتبة على المهدى يعزيه بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فيه ولا مصيبة أعظم من امام والدولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبى العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها مايلحقها من الشناعة ودخل المهدى وهى تبكى بين يدى الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته

ولم قال احل ذلك عن نظر مثلى وحجاب التيه فامع نزل فقير على ابن عجوز فبينما هى تصلح له الطعام غشى عـلى الفتى فـسالها الفقير فقالت له انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة فخطرت فاشتم غبـار ذيلها فذهب الفقير ليغطيها عليـه فقـالت اذا لم يطق غبـار ذيلى فـكيف يستطـيع ان يشاهدنى * وحجاب الحـيرة دافع ومن ثم حلا لارباب الغيبة قال بعضهم يادليل الحائرين زدنى تحيرا ومر على اصحاب الرغبة والرهبة كما قال

قد تحيرت فيك خذ بيدى * يادليلا لمن تحـير فيكا

وحجاب الغفلة قاطع كان بعضهم يقول ان عذبتنى بشئ فلا تعـذبنى بذل الحجاب ونظر آخر الى امرأة فوقع عليـه سهم فعوره وعليـه مكتوب نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعـين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة (رقيقة) حـدثت ان ابن الفـارض دخل عـلى الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفـكر فيما له عنـد الله عز وجـل فـكاشفه بان أنشده من قصيدة له

لك البشارة فاخلع ما عليك فقـد * ذكرت ثم عـلى ما فيك من عوج

فبدرته البشاشه وأظن ان قد خلع قماشه (حقيقـة) وقفت ذات يوم بالجبانه واستفهمت اسمى هل عرف منها مكانه فاملى بعدهنيأة من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه

كل ميت رأته عيـنى فانى * ذلك الميت ان نظـرت بقلبى

وجميـع القبور قـبرى لولا * جهـل نفسى بما لها عنـد ربى

(رقيقـة) اهم ما عـلى السالك مراعاة قلبـه ان يتلف فى تقلبه فذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله تزوج فقـير فلبس ثياب العرس فطاب قلبـه فلم يجـده فصاح خلقانى فاعطوه فاخذها وخرج (حقيقة) حجب المطلوب ثلاثة * فحجاب التيه جمال كما قال العارف عمر

تـه دلالا فانت أهـل لذاكا * وتحـكم فالحسـن قـد ولاكا

وحجاب العزة جلال

هـمت باتيانـها حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسـن

وحجاب الـكبرياء كما أنشدت لرابعة

أحبك حبـين حب الهوى * وحبا لانك أهـل لذاكا

فاما الذى هو حب الهـوى * فشـغلى بذكرك عمن سواكا

وأما الذى أنت أهـل له * فأن ترفع الحجب حتى أراكا

وما الحمـد فى ذا ولاذاك لى * ولـكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وهذا معنى ما فى الصحيح وما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا الى ربهـم الارداء الـكبرياء على وجهه فى جنـة عدن * (ومنه) * (حقيقة) الآثار منصة التجلى فمن لم يزر مهلب ويتفـكرون زار عمير يرون وبطل رصـد الحجاج (رقيقة) من تفـكر تذكر ومن تذكر تبصر فان أكمل وقف وان قصر انصرف انا هـديناه السبيل (حقيقة) الوحـدة فهـم والتوحيد علم والاتحاد حكم والاثنينية وهـم * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * (ومنـه) * (حقيقة) أهم ما على السالك مراعاة قلبه ان يتلف فى تقلبه فان ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله رؤى فقير

الله بينى و بين مولاتى
ابدت لى الصد والملامات
ومنى وصلتك حتى تشكو
صدها عنك قال يا أمير
المؤمنين فانا الذى أقول
يا ناق حثى بنا ولا تهنى
نفسك فيما ترين راحات
حتى تجيئى بنا الى ملك
توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت
هل لك يا ريح فى مباراتى
عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جمال وتاج اخبات
قال فنكس رأسه ونكت
بالقضيب ثم رفع رأسه فقال
أنت القائل
الا ما لسيدتى ما لها
ادلت بأجل ادلالها
وجارية من جوارى الملوك
قد اسكن الحسن سربالها
ثم سأله عن أشياء فافحم
أبو العتاهية فأمر المهدى
بجلده نحوا من حد واخرج
مجلودا فلقيتـه عتبة وهو
على تلك الحال فقال
بخ بخ يا عتب من مثلكم
قد قتل المهدى فيكم قتيلا
فتغرغرت عيناها وفاض
دمعها وصادفت المهدى
عند الخيزران فقال ما لعتبة
تبكى قالوا له رأت أبا العتاهية
مجلودا وقال لها كيت
وكيت فامر له بخمسـين
ألف درهـم ففرقها أبو العتاهيـة على من بالباب فكتب صاحب الخـبر بذلك فوجه اليه ما حملك ينادى

ينادى فى السوق ارحموا صوفيا ذهب رأس ماله فقيل له وهل للصوفى رأس مال فقال نعم كان لى قلب ففقدته *(ومنه)* (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فترافعا الى العقل فقسمه بينهما فانفردت النفس بالهوى والقلب بالتقوى فصرفت طرقهما الى الجهتين وقطعت الشفعة فيهما بين القسمتين *(ومنه)* عند ختم الكتاب مانصه (حقيقة) لايودع السر الاعند أهله ولا يذيعه الامن ضاق ذرعا بحمله فان عداه ودعه الرمز فقد زل وان تعدى مذيعه الغمز فقد ضل (رقيقة) الحسن خلق والجمال خلق وحسن الادب فى الظاهر عنوان حسن الادب فى الباطن وحيث هو الجمال هو الجميل (حقيقة) تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا والله خلقكم وما تعملون لكنهم اعتبروا اخلاق السبب والابتلاء به فتصرفوا بدلالة الاذن فى مذهبه فاستقاموا على طريقة الادب ولم يفتهم فضل التوكل ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المسبب بكيفية الانصراف الى السبب منه لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه فوقفوا مع التوكل للعذر ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الامر وعكف الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والادب اولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) ألفيت لعبد الحق الاشبيلى بيتا هو عندى أفضل من قصيدة وهو

قد يساق المراد وهو بعيد * ونريد المريد وهو قريب

ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب (حقيقة) أشرف أسمائك ما أضافك اليه وأكرم صفاتك مادل فيك عليه

لاتدعنى الابياعبدها * فانه أشرف أسمائى

ولاتصفنى بالهوى عندها * فعندها تحقيق أنبائى

(رقيقة) أعزز بن سوداء قلبى مغرب * لخياله وسواد عينى مشرق

ان غاب عن سرى فعنه لم يغب * اوعن عيانى فهو فيه محقق

والعين تعجز أن ترى انسانها * والقلب بالروح اللطيف مصدق

صن عينك عن قلبك لربك وقلبك عن نفسك لحبك ونفسك عن طبعك لوليك وطبعك عن هواك لعدوك وهواك عمن سواك وقد كنت من نسل الجنة وكان بينك وبين البلاء اوقى جنة لطف الله تعالى بى و بكم فى مجارى أحكامه ويسرنا أجمعين للعمل بموجبات اكرامه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا الى يوم لقائه انتهى ماتعلق به الغرض من كتاب الحقائق والرقائق لمولاى الجد الامام سقى الله عهده صوب الغمام وماذكرته من كلامه غيض من فيض وقل من كثر ويكفى من الحلى ماقل وستر العنق (ولنذكر بعض نظمه رحمه الله تعالى) وقد تقدم بعضه أثناء ماسبق من كلامه رضى الله عنه فراجعه ان شئت ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى مافى الاحاطة ونصه نقلت من ذلك قوله هذه لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض سلب الدهر من فرائدها مائة وسبعة وسبعين فاستعنت على ردها بحول الله المعين (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما * تلفعت فى مرط الهوى وهو زينتى

فوجه اليه بخمسين الفا أخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فاخذها وانصرف قال المبرد اهدى ابو العتاهية الى المهدى فى يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

انى لايأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا ومافيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا امير المؤمنين مع حرمتى وخدمتى تدفعنى الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه اما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد امرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما امرلى بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان ابو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ حتى انه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا ونثارا واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال

عذب الماء وطابا

ثم قال لهم أجيزوا فلم يحضر احدهم مايجانسه فى سهولته وقرب ماخذه حتى جاء أبو العتاهية فقال فيم أنتم فاعلموه وانشدوه القسم فقال

وجئت الحمى وهو المصلى ميمما * بوجهة قلبي وجهها وهو قبلتى
وقت وما استفتحت الابذ كرها * وأحرمت احراما لغير تحلة
فديني ان لاحت ركوع وان دنت * سجود وان لاهت قيام بحسرة
على أننا فى القرب والبعد واحد * تالفنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظما آن طاويا * اليها وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر والعدا * بزرقة أسنان الرماح وحدة
و بيني وبين العذل فيها منازل * تنسيك أيام الفجار ومؤتة
ولما اقتسمنا خطتينا فحامل * بجار بلا أجر وحامل برة
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته * فعاد ختام الامر أصل القضية
وكم لى على حكم الهوى من تجلد * دليل على أن الهوى من سجيتى
يقول سميرى والاسا سالم الاسى * ولا توضع الاوزار الا لمحنة
لوان مجوسا بت موقد نارها * لما ظل الا منه لاذا شريعة
ولو كنت بحرا لم يكن فيه نضحة * لعين اذا نار الغرام استحرت
فلاردم من نقب المعاول آمن * ولا هدم الا لك شيد بقوة
فم تقول الاسفطسات منك أو * علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد * والا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت ياهذا الهوى ماء اوهوا * أم النار أم دساس عرق الامومة
وانى على صبرى كما أنا واصف * وحالى أقوى القائمين بحجة
أقل الضنى أن عج من جسمى الضنى * وماشاكه معشار بعض شكيتى
وأيسر شوقى اننى ماذ كرتها * ولم انسها الا احترقت بلوعة
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى * جواى وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ماألقى من العذل أننى * أحب أذلى ذكرها وفضيحتى
وأوج حظوظى اليوم منها حضيضها * بالامس وسل حرالجفون الغزيرة
وأوجز أمرى أن دهرى كله * كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح وما يلقى التاسف راحتى * وأغدو وما يعدو التفجع خطتى
وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده * مساءتها فى طى طيب المسرة
وشان الهوى ماقد عرفت ولا تسل * وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتى
سقام بلابرء ضلال بلاهدى * أوام بلارى دم لا بقيمة
ولاعتب فالايام ليس لها رضا * وان ترض منها الصبر فهو تعنتى
ألا أيها اللوام عنى قوضوا * ركاب ملامى فهو أول محنتى
ولا تعذلونى فى البكاء ولا البكى * وخلوا سبيلى ما استطعتم ولو عتى
فما سلسلت بالدمع عينى ان جنت * ولكن رات ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك * ورشدى غاو والعمايات عمت

حبذا الماء شرابا

ومن مختار شعره فى عتبة
يالله ياحلوة العينين زوريني * قبل الممات والا فاستزيريني
هذان أمران فاختارى احبهما
اليك اولا فداعى الموت يدعونى
ان شئت موتا فانت الدهر مالكة
روحى وان شئت ان احيا فأحيينى
ياعتب من انت الابدعة خلقت
من غير طين وخلق الناس من طين
انى لاعجب من حب يقربنى
ممن يباعدنى عنه ويقصينى
لو كان ينصفنى مما كلفت به
اذا رضيت وكان النصف يرضينى
يااهل ودى انى قد لطفت بكم
فى الحب جهدى ولكن لاتبالونى
الحمد لله قد كنا نظنكم
من ارحم الناس طرا بالمساكين
اما الكثير فلا ارجوه منك ولو
اطمعتنى فى قليل كان يكفينى
ومن مختار شعره فيها قوله
الا ياعتب ياقمر الرصافه
و ياذات الملاحة والنظافه
رزقت مودتى ورزقت عطفى
ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما
صريعا كالصريع من السلافه
اظل اذا رايتك مستكينا * كأنك قد بعثت على آفه
وحدث المبرد محمد بن يزيد ان ريطة ابنة ابى العباس فلم

فلم يستبن حتى كأنى كاسف * وراجعت أبصارى له وبصيرتى

(ومن فصل الاتصال)

وكم موقف لى فى الهوى خضت دونه * عباب الردى بين الظبا والاسنة
فجاوزت فى حدى مجاهدتى له * مشاهدتى لما سمت بى همتى
وحل جمالى فى الجلال فلا أرى * سوى صورة التنزيه فى كل صورة
وغبت عن الاغيار فى تيه حالتى * فلم أنتبه حتى امتحى اسمى وكنيتى
وكاتبت ناسوتى بأمارة الهوى * وعدت الى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقينى صار عينا حقيقة * ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
وبدلت بالتلوين تمكين عزة * ومن كل أحوالى مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى * مع المحو والاثبات عند تثبتى
وكم جلت فى سم الخياط وضاق بى * لبسطى وقبضى بسط وجه البسيطة
وما اخترت الادنى بقراط زاهدا * وفى ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقرى مع الصبر اصطفيت على الغنى * مع الشكر اذ لم يحظ فيه مثوبتى
واكتم حبى ما كنى عنه أهله * واكنى اذا هم صرحوا بالخبيئة
وانى فى جنسى ومنه لواحد * كنوع ففصل النوع علة حصتى
تسببت فى دعوى التوكل ذاهبا * الى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
وآخر حرف صار منى أولا * مريدا وحرف فى مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها * فبت بجمع سد خرق التشتت
فاصبحت أقضى النفس منها منى الهوى * وأقضى على قلبى برعى الرعية
فبايعتها بالنفس دارا سكنتها * وبالقلب منه منزلا فيه حلت
فخاص الاستحقاق نفسى من الهوى * وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا * ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

(ومن فصل الادلال)

تبدت لعينى من جمالك لمحة * ابادت فؤادى من سناها بلفعة
ومرت بسمعى من حديثك ملحة * تبدت لها فيك القران وقرت
ملامى أبن عذرى استبن وجدى استعن * سماعى أعن حالى ابن قائلى اصمت
فمن شاهدى سخط ومن قائلى رضا * وتلوين أحوالى وتمكين رتبتى
مرامى اشارات مراعى تعكر * مراقى نهايات مراسى تثبت
وفى موقفى والدار أقوت رسومها * تقرب أشواقى تبعد حسرتى
معانى أمارات مغانى تذكر * مبانى بدايات مثانى تلفت
وبث غرام والحبيب بحضرة * وردسلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر فى قضيب على نقا * فويق محل عاطل دون دجية
ومكمن سحر بابلى له بما * حوت اضاعى فعل القنا السمهرية

عتبة وكانت لهاثم صحبت الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك فقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت أعزك الله بشراى وعتقى فعلت مأجورة فاقبلت على عبد الله فقالت انى لأرى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتره وأعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية أتأذنين لى أصلحك الله فى تقبيل يدك فاذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبد الله ابن مالك وقال أتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابى العتاهية سوى هذه الابيات التى أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهى

ان أخاك الصدق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه كى يجمعك

وهذه الصفة فى عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور

كان قد ضم الشرقى بن القطامى الى المهدى حين خلفه بالرى وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم

الاخلاق ودراسة الاخبار وقراءة الاشعار فقال له المهدى ذات ليلة ياشرفى أرح قلبى بشئ يلهيه قال

ومنبت مسك من شقيق ابن منذر * على سوسن غض بجنة وجنة
ووصف اللاآلى فى اليواقيت كلما * تعل بصرف الراح فى كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه * ونكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمان كافور عليه طوابع * من الند لم تحمل به بنت حزنة
والطف هواء بين خفق وبانة * ورقة ماء فى قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كانه * سراقة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق منى صبابة * منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمعى * وكل مليح منك يبدو لمقلتى
تهون على النفس فيك وانها * لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فان تنظرينى بالرضا تشف علتى * وان تقفرينى باللقا تطف غلتى
وان تذكرينى والحياة بقيدها * عدلت لا منى منيتى بمنيتى
وان تذكرينى بعدما أسكن الثرى * تجلت دجاه عند ذاك وولت
صلينى والاجدى الوعد تدركى * صبابة نفس ايقنت بتفلت
فما ام بوّ هالك بتنوفة * أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لاينازع خلفها * اذا هى لم ترسل عليه وضنت
بكت كلما راحت عليه وانها * اذا ذكرته آخر الليل حنت
باكثر منى لوعة غير أننى * رأيت وقار الصبر أحسن حلية
فرحت كما اغدو اذا ما ذكرتها * اطامن احشائى على ما اجنت
اهوّن ما ألقاه الامن القلى * هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
أخوض الصلى اطفى العلا والعلولا * أصل السلا رعى الخلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوة * لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها * على الغصن ماذا هيجت حين غنت
فغنت غناء اعجميا فهيجت * غرامى من ذكرى عهود تولت
فارسلت الاجفان سحبا وأوقدت * جوى الذى كانت ضلوعى أكنت
نظرت بصحراء البريقين نظرة * وصلت بها قلبى فصل وصلت
فيالهما قلبا شجيا ونظرة * مجازية لوجن طرف لجنت
وواعجبا للقلب كيف اعترافه * وكيف بدت أسراره خلف سترة
وللعين لما سوفت كيف أخبرت * وللنفس لما وطنت كيف دلت
وكنا سلكنا فى صعود من الهوى * يسامى بأعلام العلا كل رتبة
الى مستوى مافوقه فيه مستوى * فلما توافينا ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * على نحر قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده * فلما تواثقنا اشتددت وحلت

(ومن فصل الاحتفال)

نعم أصلح الله الامير ذكروا أنه كان فى ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لايفارقانه فى لهوه ومنامه ويقظته وكان لايقطع أمرا دونهما ولايصدر الا عن رأيهما فغبر بذلك دهرا طويلا فبيناهو ذات ليلة فى شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال عقله فدعا بسيفه وانتضاه وشد عليهما فقتلهما وغلبته عيناه فنام فلما أصبح سال عنهما فاخبر بما كان منه فاكب على الارض عاضا لها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لايشرب شرابا يزعج قلبه ماعاش وواراهما وبنى على قبريهما قبة وسماها الغريين وسن أن لايمر بهما أحد من الملك فمن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها وأحيوا ذكرها ولم يميتوها وجعلوها عليهم حكما واجبا وفرضا لازما وأوصى بها الآباء أعقابهم فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لايمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان

ازور

أزور اعتمارا أرضها بتنسك * وأقصد مجلى بيتها بتحلة
وفي نشأتي الاخرى ظهرت بما علت * له نشأتي الاولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لاولن ولم * تجدها الشملى مسلكا بتشتت
ولولم يجدد عهدنا عقد خلة * قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت الى قلبي بشيرا بما رأت * على قدم عيناى منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما * جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لوان التفاتة * تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها * بما حملته من حراقة حرقة
وتنبئ آصال الربيع عن الربا * وأشجاره أن قد تجلت تجلت
وتخبر أصوات البلابل انها * تغنت بترجيعي على كل ايكة
فهذا حالي منك في بعد حسرتي * فكيف به ان قربتي بخلة
تبدى وما زال الحجاب ولا دنا * وغاب ولم يفقده شاهد حضرتي
له كل غير في تجليه مظهر * ولا غير الا ماحت كف غيرة
تجلى دليل واحتجاب تنزه * واثبات عرفان ومحو تثبت
فما شئت من شئ وآليت انه * هو الشئ لم تحمد مجار ألتي
وفي كل خلق منه كل عجيبة * وفي كل خلق منه كل لطيفة
وفي كل خاف منه مكمن حكمة * وفي كل باد منه مظهر جلوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنا * وفي الزجر والفال الصحيح الادلة
وفي طي اوفاق الحساب وسرما * يتم من الاعداد فابدأ بستة
وفي نفثات السحر في العقد التي * تطوع لها كل الطباع الابية
يصور شكلا مثل شكل ويعتلي * عليه باوهام النفوس الخبيثة
وفي كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفي التقويم مجلى لرؤية
وفي خضرة الكمون ترجى شرابه * مواعيد عرقوب على اثر صفرة
وفي شجر قد خوفت قطع أصلها * فبان بها حمل لأقرب مدة
وفي النخل في تلقيحه واعتبر بما * أتى فيه عن خير البرية واسكت
وفي الطابع السبتي في الاحرف التي * يبين منها النظم كل خفية
وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
وفي حرز أقسام المؤدب محرز * وحزب أصيل الشاذلي وبكرة
وفي سيمياء الحاتمي ومذهب ابن سبعين اذ يعزى الى شر بدعة
وفي المثل الاولى وفي النحل الأولى * بها اوهموا الماتساموا بسنة
وفي كل ما في الكون من عجب وما * حوى الكون الا ناطقا بعجيبة
فلا سر الا وهو فيه سريرة * ولا جهر الا وهو فيه تجلة
سل الذكر عن انصاف أصناف ما ابتنى * عليه الكلام من حروف سليمة

قال فر يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال الموكلون بالغريين للقصار اسجد فأبى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فأبى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال ما منعك أن تسجد قال سجدت ولكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم في خصلتين فانك مجاب اليهما وانى قاتلك قال لابد من قتلي بقول هؤلاء قال لابد من ذلك قال فاني احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتي هذه قال له الملك ياجاهل لو حكمت على أن أجري على من تخلف وراءك مايغنيهم كان أصلح لهم قال ما احكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لوزرائه ماترون فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم وأيضا انك متى نقضت سنة نقضت أخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فارغبوا الى القصار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه فاني أجيبه الى ماشاء ولو بلغ حكمه شطر ملكي فرغبوا اليه فقال ما أحكم الا بضربة في عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما وأحضر القصار فابدى مدقته وضرب بها عنق الملك فاوهنه وخر مغشيا عليه فأقام لما به سنة وبلغت به

وعن وضعها فى بعضها وبلوغها * أنت فيه أمضى عدها وتثبت
فلابد من رمز الكنوز لذى الحجا * ولا ظلم الا ظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للامن خيفتى * لعاجل مس البرد خوفى لميتتى
ولولم تداركنى ولكن بعطفها * درجت رجائى ان نعشنى خيبتى
ولولم تؤانسنى عناقبل لم ولم * قضى العتب منى بغية بعد وحشتى
ونعم أقامت أم ملكى بشكرها * كماهونت بالصبر كل بلية

(ومن فصل الاعتقال)

سرت بفؤادى اذسرت فيه نظرتى * وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما أطلع الشمس فى الدجى * محيا ابنة الحيين فى خير ليلة
يمانية لو أنجدت حين أنجدت * لما أبصرت عيناك حيا كميت
لأصحمة فى نصحها قدم بنى * لكل نجاشى بها حصن ذمة
ألمت فخطت رحلها ثم لم يكن * سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلوسمحت لى بالتفات وحل من * مهاوى الهوى والهون جد تفلتى
ولكنها همت بنا فتذكرت * قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
اجلت خيالا اننى لاجله * ولم انتسب منه لغير تعلة
على أننى كلى وبعضى حقيقة * وباطل أوصافى وحق حقيقتى
وجنسى وفصلى والعوارض كلها * ونوعى وشخصى والهواء وصورتى
وجسمى ونفسى والحشا وغرامه * وعقلى وروحانيتى القدسية
وفى كل لفظ عنه ميل لمسمعى * وفى كل معنى منه معنى للوعتى
ودهرى به عيد ليوم عروبة * وأمرى أمرى والورى تحت قبضتى
ووقتى شهود فى فناء شهدته * ولا وقت لى الا مشاهد غيبة
أراه مى حسا ووهما وانه * مناط الثريا من مدارك رؤيتى
وأسمعه من غير نطق كأنه * يلقن سمعى ما توسوس مهجتى
ملأت بانوار المحبة باطنى * كانك نور فى سرار سريرتى
وجليت بالاجلال أرجاء ظاهرى * كانك فى أفقى كواكب زينة
فانت الذى أخفيه عند تسترى * وأنت الذى أبديه فى حين شهرتى
فته أحتمل واقطع أصل واعل أستفل * ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبى ان عاتبته فيك لم أجد * لعتبى فيه الدهر موقع نكتة
ونفسى تنبو عن سواك نفاسة * فلا تنتمى الا اليك بهمة
تعلقت الآمال منك بفوق ما * أرى دونه مالاينال بحيلة
وحامت حواليها وماوافقت حمى * سحائب يأس أمطرت ماء عبرتى
فلوفاتنى منك الرضا ولحقتنى * بعفو بكيت الدهر فوت فضيلة
ولو كنت فى أهل اليمين منعما * بكيت على ما كان من سبقية

العلة الى ان كان يسقى الماء بالقطن فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل سال عن القصار فقيل انه محبوس فامر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فانى قاتلك لامحالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لابد من قتلى فانى أحكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال ذهبت والله نفسى اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك مالا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى واحكم بغيره وأنفذه لك كائنا ما كان قال ما أرى حتى الا ضربة أخرى فقال الملك لوزرائه ماترون قالوا اتمت على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا لانى أعلم ماقدنالنى قالوا فما عندنا حيلة فلما رأى ماقد أشرف عليه قال للقصار أخبرنى ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريين أنك قد سعدت وانهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم أصدق قال فكنت سعدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال أشهد انك صادق وانهم كذبوا عليك وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك باسهم وأمرهم فضحك المهدى حتى فحص برجليه وقال أحسنت وكم

وكم من مقام قمت عنك مسائلا * أرى كل حى كل حى وميت
أتيت بفاراب أبانصرها فلم * أجد عنده علما يبرد غلتى
ولم يدر ما قولى ابن سيناء سائلا * فقل كيف أرجو عنده برء علتى
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرتجى * وفى ابن طفيل لاحتثاث مطيتى
لقد ضاع لولا أن تداركنى حمى * من الله سعى بينهم طول مدتى
فقيض لى نهجا الى الحق سالكا * وأيقظنى من نوم جهلى وغفلتى
فخضت أنظارا لجند جنيدها * بترك فلى من رغبة ريح رهبة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما * وانقذته من أسر حب الاسرة
وعدت على حلاج سرى بصلبه * وألقيت بلعام التفاتى بهوة
فقولى مشكور ورأيى ناجح * وفعلى محمود بكل محلة
رضيت بعرفانى فاعليت للعلا * وأجلسنى بعد الرضا فيه جلتى
فعشت ولا ضيرا أخاف ولا قلى * وصرت حبيبا فى ديار أحبتى
فها أنا ذا امسى واصبح بينهم * مبلغ نفسى منهم ما تمنت انتهت

ومن نظمه ايضا ما حكى عنه فى الاحاطة اذ قال وانشدنى قوله فى حال قبض وقيدتها عنه

اليك بسطت الكف استنزل الفضلا * ومنك قبضت الطرف استشعر الذلا
وها انا ذا قد قدمت يقدمنى الرجا * ويحجم بى الخوف الذى خامر العقلا
اقدم رجلا ان يضئ برق مطمع * وتظلم ارجائى فلا انقل الرجلا
ولى عثرات لست آمل ان هوت * بنفسى ان لا استقيل وأن اصلى
فان تدركنى رحمة انتعش بها * وان تكن الاخرى فاولى بى الاولى

وقوله رحمه الله تعالى

وجد تسعره الضلو * ع وما تبرده المدامع
هم تحركه الصبا * بة والمهابة لا تطاوع
أمل اذا وصل الرجا * أسبابه فالموت قاطع
بالله يا هذا الهوى * ما أنت بالعشاق صانع

وقال رحمه الله تعالى كما فى الاحاطة ومما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشئ

نحن ان تسأل بناس معشر * اهل ماء بجرته الهمم
عرب من بيضهم أرزاقهم * ومن السمر الطوال الخيم
قرضت أحسابهم أرواحهم * دون نيل العرض وهى الكرم
او رثونا المجد حتى اننا * نرتضى الموت ولا نزدحم
مالنا فى الناس من ذنب سوى * اننا نلوى اذا ما اقتحموا

وقال مما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى

أما والمسجد الاقصى * وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو * ق بين جوانحى رقصا

أبى حفصة بالباب فقال لا تأذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن ابن أبى عطية فيه فادخله فقال له المهدى يا فاسق ألست القائل فى معن

جبل تلوذ به نزار كلها * صعب الذرا متمنع الاركان

قال بل أنا الذى أقول فيك يا أمير المؤمنين

يا ابن الذى ورث النبى محمدا * دون الاقارب من ذوى الارحام

وأنشده الابيات كلها فرضى عنه وأجازه * وقال القعقاع بن الحكيم كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدى بوجه طلق وقال له يا سفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن انا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن افما تخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا ائذن لى ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك ما يريد هذا وأمثاله الان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى

فأقلع بى اليه هوى * جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستعدى * على الجثمان فاستعصى
فقمت أجول بينهما * فلا أدنى ولا أقصى

(قال رحمه الله تعالى) ومما قلته فى التورية بشان راوى المدونة

لاتعجبن لظبى قدها أسدا * فقدها أسدا من قبل سحنون

(ومن نظم مولاى الجد) مما لم يذكره فى الاحاطة قوله حسبما ألفى بخطه على ظهر نسخة من تاليفه القواعد

ناديت والقلب بالاشواق محترق * والنفس من حيرة الابعاد فى دهش
يامعطشى من وصال كنت آمله * هل فيك لى فرج ان صحت واعطشى

(ومن نظمه) ماأسنده الوانشريسى اليه

خالف هواك وكن لعقلك طائعا * تخذ الحقيقة عند طرف الناظر

(ومنه) مما نسبه له المذكور ورأيت من ينسبهما لغيره

لما رأيناك بعد الشيب يارجل * لاتستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنا نصدقه * بعد المشيب يشب الحرص والامل انتهى

(وفى الاحاطة) فى ترجمة شعره ماصورته قال ومما قلته من الشعر وبه نختم الكلام

أنبت عودا بنعماء بدأت بها * فضلا وألبسته بعد اللحى الورقا
فظل مستشعرا مستدثرا ارجا * ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكم * عودته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه واثر الدهر منبته * وغذه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها * ماجاء منها على ضوء وماطرقا

انتهى ماقصدته من ترجمة مولاى الجد على مااقتضاه الوقت ولو أرسلت عنان القلم فى شانه لضاق هذا الديوان عن ذلك ورحم الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدى أبا العباس الوانشريسى ثم التلمسانى نزيل فاس صاحب المعيار وغيره اذ قال فى تاليفه الذى عرف فيه بمولاى الجد لما ساله بعضهم فى ذلك وذكر ماحضره مانصه ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبدالله بن مرزوق الحفيد ترجمة المقرى فى كتاب سماه النور البدرى فى التعريف بالفقيه المقرى انتهى وقد تقدمت الاشارة الى أن اسم هذا التاليف مبنى على أن المقرى بفتح الميم وسكون القاف وقد علمت مافى ذلك مما مضى قلت وقد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه وهو أحد علماء مدينة فاس ألفه برسم مولاى الجد وسماه بالزهر الباسم وأطال فيه فى مدح مولاى الجد والثناء عليه والتنويه بقدره وذكر محاسنه ولم يحضرنى الآن لكونى تركته مع جملة كتبى بالمغرب وقد تعلق بحفظى ماقاله فى أوله من جملة أبيات

اذا ذكرت مفاخر أهل فاس * ذكرنا من أتى من تلمسان
وقلنا هل رأيتم فى قضاة * شبيه الفقيه العدل ثانى

الى

فولى على بن يقطين كنا مع المهدى بماسبذان فقال لى يوما أصبحت جائعا فاتنى بارغفة ولحم بارد ففعلت فاكل ثم دخل القصر ونام وكنا نحن فى الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال أمارأيتم مارأيت قلنا مارأينا شيأ قال وقف على رجل لو كان فى ألف رجل ماخفى على صوته فقال

كانى بهذا القصر قدباد أهله
وأوحش منهم ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة
وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الاذكره وحديثه
تنادى عليه معولات حلائله

قال على فماأتت على المهدى بعد رؤياه الاعشرة أيام حتى توفى (قال المسعودى) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبى حنيفة النعمان ابن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدى كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد ابن مسروق الثورى بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة ويكنى أبا عبدالله فى أيام المهدى وذلك فى سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبى ذئب وهو محمد بن عبد الرحمن بن

الى ان قال

ونفس العلم ان شانت لشخص * فما المقرى فى العلم شانى   انتهى

وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورون منهم لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين والوزير أبو عبد الله بن زمرك والاستاذ العلامة أبو عبد الله القيجاطى الآية فى علم القراآت والشيخ الفقيه القاضى الرحال الحاج أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجى الزمورى الدار المعروف بنقشابو والولى ابن خلدون صاحب التاريخ وفى بعض المواضع يعبر عنه بصاحبنا وفى بعضها بشيخنا والنظار أبو اسحق الشاطبى والعلامة أبو محمد عبد الله بن جزى والحافظ بن علاق وغيرهم ممن يطول تعداده ولا كالشيخ الولى الشهير الكبير العارف بالله سيدى محمد بن عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله فانه ممن يفتخر مولاى الجد رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذا له (ولا باس أن نورد ترجمته) تبركا به فى هذا الكتاب ولو لم تقتضه المناسبة التى راعيناها فى هذا التأليف فكيف وقد اقتضته (فنقول) قال فى حقه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج (ما صورته) هو شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشى الامام العالم المصنف السالك العارف المحقق الربانى ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة سليل الخطباء ونخبة العلماء أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظى الوجيه الحسيب الاصيل أبى اسحق ابراهيم بن أبى بكر بن عباد كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق عالى الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة نشا ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن ابن سبع سنين ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ فى طريق الصوفية والمباحثة على الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيه تواليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين ودرس كتبا وحفظها أو جلها كشهاب القضاعى والرسالة ومختصرى ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك ومقامات الحريرى وفصيح ثعلب وغيرها وقوت القلوب أخذ ببلده رندة عن أبيه القرآن وغيره وعن خاله الشيخ الفقيه القاضى عبد الله الفريسى العربية وغيرها وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبى الحسن على بن أبى الحسن الرندى حرف نافع وعرض عليه الرسالة وبتلمسان وفاس عن السيد الشريف الامام العالم العلامه المحقق أبى عبد الله التلمسانى الحسنى جمل الخونجى تفقها وغيره وعن الشيخ الفقيه القاضى العالم أبى عبد الله المقرى كثيرا من المختصر الفرعى لابن الحاجب وفصيح ثعلب وبعض صحيح مسلم كلها تفقها وعن الشيخ الفقيه العالم أبى محمد عبد النور العمرانى الموطأ والعربية وعن الامام العالم أبى عبد الله الابلى الارشاد لابى المعالى وجميع كتاب ابن الحاجب الاصلى وعقيدة ابن الحاجب تفقها وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبى الحسن الصرصرى بعض التهذيب تفقها وعن الشيخ الاستاذ المقرى الصالح احمد بن عبد الرحمن الجاصى شهر بالمكناسى كثيرا من جمل الزجاج وتسهيل ابن مالك وعن

المغيرة ويكنى أبا الحرث بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وذلك فى أيام المهدى * وفى سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ويكنى أبا بسطام وهو مولى لبنى شقرة من الازد وفيها توفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وفى سنة ست وستين ومائة مات حماد بن سلمة فى أيام المهدى (قال المسعودى) وللمهدى أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد أتينا على مبسوطه فى الكتاب الاوسط وكذلك من مات فى سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

(ذكر خلافة موسى الهادى)

وبويع موسى بن محمد الهادى لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر صبيحة الثلاثاء التى كانت فيها وفاة والده المهدى وذلك فى سنة تسع وستين ومائة وتوفى بعساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان يكنى أبا جعفر وأمه الخيزران بنت عطاء أم ولد جرشية وهى أم الرشيد وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له

الشيخ الفقيه الصالح أبى مهدى عيسى المصمودى جميع كتاب ابن الحاجب والحاجبية له أيضا تفقها وتفقه على الفقيه العالم أبى محمد الوانعلى فى كتاب ابن الحاجب الفقهى وأخذ عنه حرف نافع وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاويين أبى محمد عبد الله القستالى كثيرا من التهذيب وعن قاضى الجماعة وخطيب الحضرة أبى عبد الله محمد بن أحمد القستالى كثيرا من التهذيب تفقها وكذا عن غيرهم ولقى بسلا الشيخ الحاج الصالح السنى الزاهد الورع أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال قصدتهم لوجدان السلامة معهم ثم رحل لطنجة فلقى بها الشيخ الصوفى أبا مروان عبد الملك لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدنى من شعره وشعر غيره وترددت بينى وبينه مسائل فى اقامته بسلا وانتفعت به عظيما فى التصوف وغيره وأجازنى اجازة عامة مولده برندة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وتوفى بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمائة وحضر جنازته الامير فن بعده وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به ولم أر جنازة أحفل ولا أكثر خلقا منها ورثاه الناس بقصائد كثيرة انتهى كلام السراج * وقال غيره فى حقه محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن ابراهيم بن يحيى بن عباد النفزى نسبا الرندى بلدا الشهير بابن عباد الفقيه الصوفى الزاهد الولى العارف بالله تعالى * وقال فى حقه الشيخ ابن الخطيب القسطنى فى كتابه انس الفقير وعز الحقير هو الخطيب الشهير الصالح الكبير وكان والده من الخطباء الفصحاء الحياء ولابى عبد الله هذا عقل وسكون وزهد بالصلاح مقرون وكان يحضر معنا مجالس شيخنا الفقيه أبى عمران العبدوسى رحمه الله تعالى وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته وأخذ عنه وله كلام عجيب فى التصوف وصنف فيه كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير وله فى ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه ومن تصانيفه شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله فى سفر رأيته وعلى ظهر نسخة منه مكتوب

لا يبلغ المرء فى أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

ومن كلامه فيه الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس ومن كلامه فيه من لازم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص له بسره الى فضاء شهادة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته الى غير ذلك من كلامه وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك وما رأيته قط فى غير مجلس جالسا مع أحد وانما حظ من يراه الوقوف معه خاصة وكنت اذا طلبته فى الدعاء احمر وجهه واستحيا كثيرا ثم يدعو لى وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير ويتولى أمر خدمته بنفسه ولم يتزوج ولم يملك أمة ولباسه فى داره مرقعة فاذا خرج سترها بثوب اخضر أو ابيض وله تلامذة كلهم أخيار مباركون وبلغنى عن بعضهم انه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا وهو الآن امام جامع القرويين بفاس وخطيبه وأكثر قراءته فى صلاة الجمعة اذا جاء نصر الله وأكثر خطبته وعظ ومثله من يعظ الناس لانه اتعظ فى نفسه وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام

أخوه هرون البيعة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

لما أتت خير بنى هاشم * خلافة الله بجرجان
شمر للحرب سرابيله * برأى لا غمر ولا وانى

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

كان موسى قاسى القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محبا له وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا (حدث) يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدى عن ابراهيم أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من الخوارج فأمر بادخاله فلما قرب منه الخارجى أخذ سيفا من بعض الحرس فاقبل يريد موسى فتنحيت وكل من معى عنه وانه لواقف على حماره ما يتخلخل فلما أن قرب منه الخارجى صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فأوهمه فالتفت الخارجى لينظر وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فأخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا منه أكثر من الخارجى فوالله ما أنكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى بن داب يجالسه وكان من أهل الحجاز

والسلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والافاستحى منى ذكره الغزالى وعهدى
به انه على صفة البدلاء الصادقين النبلاء كثر الله مثله فى الاسلام انتهى قلت وقد زرت قبره
مرارا بفاس ودعوت الله تعالى عنده وهو عند اهل فاس بمثابة الشافعى عند اهـل مصر ومن
منن الله سبحانه على انى سكنت محله لما توليت الخطابة والامامـة بجامع القرويين من فاس
المحروسة مضافين الى الفتوى والدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور الى الآن تعرف
بدار الشيخ ابن عباد واقمت على ذلك خمس سـنين وأشهرا ثم قوضت الرحال للمشرق وها أنا
الى الآن فيها والله ييسر الخير حيث كان * وقال الشيخ سـيدى أحمد زروق فى شان الشيخ ابن
عباد انه ولد برندة وبها نشأ فى عفاف وصون ثم رحـل لفاس وتلمسان فقرأ بهـما الفقـه
والاصول والعربية ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضـل أهل زمانه علما وعملا سـيدى أحمد بن
عاشر نفعنا الله به فاظهر الله تعالى عليه من بركاته مالا يخفى على متأمل ثم نقل بعـد وفاة الشيخ
فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينـة فاس وبقى بها خمس عشرة سـنة خطيبا فتوفاه الله
تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سـنة اثنتين وتسعين وسـبعمائة ودفن
بكدية البراطل من داخل باب الفتوح وكان رضى الله عنـه ذا صمت وسمت وتحمل وزهد
معظما عند الكافة معوّلا فى حل المشـكلات على فتح الفتاح العليم

ومن علمه أن ليس يدعى بعالم * ومن فقره أن لا يرى يشتكى الفقرا
ومن حاله ان غاب شاهد حاله * فلا يدعى وصـلا ولا يشتكى هجرا

كذا رأيت بخط من أثق به فى تعريفه مختصرا مع زيادة ما تحققت وكتبه شاهـدة بكماله
علما وعمـلا فهـى كافية فى تعريفه وكان الذى طلبه فى وضع الشرح على الحكم سـيدى
أبو زكريا السراج الذى أكثر رسائله له وسـيدى أبو الربيع سليمان بن عمر انتهى
* وقال فى موضع آخر سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحـده ومقدم من أتى من
بعده أبو عبد الله قرأ بفاس وتلمسان العربية والاصول والفقه ككتاب الارشاد ومختصر ابن
الحاجب الفقـهى والاصلى وتسهيـل ابن مالك وتوفى بفاس وقبره بهـا مشهور ومزيتـه
معروفة شرقا وغربا وقد كتب مسائل معروفة اكثرها لسيدى يحيى السراج وله كتب
الشرح مع سيدى سليمان بن عمر الذى قال فى حقه انه ولى بلاشك بطلبهما ذلك ورأيت كتابا
فى الامامة وسماه تحقيق العـلامة فى احكام الامامة فذكرته لشيخنا القورى رحمه الله
تعالى وكان معتنيا بكتبه معوّلا عليها فى حاله فقال اظنه لوالده سيدى ابراهيم وقد كان خطيبا
بالقصبة اذ كانت عامرة وله خطب عظيمة الفصاحة حسـنة الموقع انتهـى * وقال الشيخ أبو
يحيى بن السكاك أما شيخى وبركتى أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه فانه شرح الحكم وعقد
درر منثورها فى نظم بديع وجمعت من انشائه مسائل مـدارها على الارشاد الى البراءة من
الحول والقوّة فيها نبذ كانفاس الاكابر مع حسن التصرف فى طريق الشاذلى وجودة تنزيل
على الصور الجزئيـة وبسط التعبير مع انهاء البيان الى أقصى غاياته والتفـنن فى تقريب
الغامض الى الاذهان بالامثلة الوضعية فقرب بها حقائق الشاذليـة تقريبا لم يسـبق اليه كما
قرب الامام ابن رشـد مـذهب مالك تقريبا لم يسـبق اليـه وكان مع ذلك آية فى التحقـيق

وكان أكثر أهـل عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس وأيامهـم وكان
الهادى يدعوله متكأ ولم
يكن غيره يطمع منه فى
ذلك وكان يقول له ياعيسى
ما استطلت بك يوما ولا
ليلة ولا غبت عنى الا ظننت
أنى لا أرى غيرك (وذكر)
عيسى بن داب أنه رفع الى
الهادى ان رجلا من بلاد
المنصورة من بلاد السند
من أشرافهم وأهل الرياسة
فيهم من آل المهلب بن أبى
صفرة ربى غـلاما سنديا
أوهنديا وان الغلام هوى
مولاته فراودها عن نفسها
فاجابته فدخـل مولاه
فوجدها معه فجب ذكر
الغلام وخصاه ثم عالجـه
الى ان برئ فأقام مدة وكان
لمولاه ابنان أحدهما طفل
والآخر يافع فغاب الرجل
عن منزله وقد أخذ السندى
الصبيين فصعد بهـما الى
أعالى سور الدار الى ان دخل
مولاه فاذا هو بابنيه مع
الغـلام عـلى السور فقال
يافلان عرضت ابنى للهلاك
فقال دع ذا عنك والله لو
لم تجب نفسك بحضرتى
لارمين بهما فقال له الله
الله فى وفى ابنى قال دع
عنك هـذا فوالله ماهى
الا نفسى وانى لأسمح بها
من شربة ماء وأهوى ليرمى
بهما فاسرع مولاه فاخذ
مدية فجب نفسه فلما رأى
الغـلام انه قد فعـل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ذلك الذى فعلت لفعلك بى وقتل هذين زيادة فأمر

بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم بل له مقاصد نفسية فى الاعراض عن الخلق وعدم المبالاة بهم واعظم اخلاقه التى لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب ان يحضر حيث ينسى الحق لا سيما ان كان نسيان الحق بالنسبة اليه فهو الذى يقلقه ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعا اليه احوال رجال الرسالة القشيرية والحلية ومامنحوا من المواهب قال فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته لاح لى ان تلك الصفات التى يذكر مشخصة فيه نشاهدها عيانا ولولم أر الشيخ لقلت انى لم أركالا وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب ذكر لى عن قطب المعقول بالمغرب والمشرق الابلى انه كان يشير اليه فى حال قراءته عليه اعنى الشيخ ابن عباد ويقول ان هناك علما جما لا يوجد عند مشاهير اهل ذلك الوقت الا انه كان لا يتكلم رضى الله عنه وشهد له المقطوع بولايتهم بالتقدم واقروا له بالشيخوخة وتبركوا به كسيدى سليمان البازغى وسيدى محمد المعمودى وسيدى سليمان بن يوسف بن عمر الانفاسى وامثالهم وكان شيخه الحجة الورع احمد بن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على سائر اصحابه ويأمرهم بالاخذ عنه والانتفاع به والتسليم له ويقول ابن عباد امة وحده ولا شك انه كذلك كان اعنى غريبا فان العارف غريب الهمة بعيد القصد لا يجد مساعدا على قصده وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدى عظمته وتنزيله نفسه منزلة اقل الحشرات لا يرى لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة الممالك وشهود المنة نظارا الى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة مع توفية المراتب حقها والوقوف مع الحدود الشرعية واعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم هذا دأبه مع الطائع والعاصى مالم يظهر له من احد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين ورؤية الحق اذ هى دعوى لا تليق بالعبد ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان بل هى علامة تقارب القطع على انه شقى مسلم الى غضب الله تعالى ومقته اعاذنا الله تعالى منه وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الاولاد الصغار فهم يحبونه محبة تفوق محبتهم لآبائهم وامهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل اوب ومن المكاتب البعيدة فاذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه ويتذللون بين يديه فلا يحفل بذلك وذكر لى بعض تلامذته ان اقواله لا تشبه افعاله لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة مع مافى كلامه من النور والحلاوة التى استفزت ألباب المشارقة بحيث صار لهم بحث عريض على تواليفه انتهى كلام ابن السكاك وله من التواليف الرسائل الكبرى والصغرى وشرح الحكم ونظمها فى ثمانمائة بيت من الرجز (وحدث) الشيخ أبو مسعود الهراس قال كنت أقرأ فى صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل فاذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره وجاء يطير فى الصحن كأنه جالس متربع حتى دخل فى البلاط الذى حول الصومعة ثم مشيت فوجدته يصلى حول المحراب وسأله السراج عن أبى حامد الغزالى فقال هو فوق الفقهاء وأقل من الصوفية ومما نقل من خطه رحمه الله تعالى ولا يدرى هل هى له أم لا

فرخص السند فى أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير وكان الهادى قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وأفرد الربيع بالزمام فمات الربيع فى هذه السنة وقيل ان الهادى سقاه شربة لاجل جارية كان قد وهبها له المهدى كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك * وظهر فى أيامه الحسين ابن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة أميال من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذى حاربه جماعة من بنى هاشم منهم سليمان بن أبى جعفر ومحمد بن سليمان ابن على وموسى بن على والعباس بن محمد بن على فى أربعة آلاف فارس وقتل الحسين وأكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فأسر فى هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على وأسر الحسن

الحـزم قبـل العـزم فاحزم واعـزم * واذا استبان لك الصـواب فصمم
واسـتعـمل الرفق الذى هـو مكسب * ذكر القلوب وجـد وأجمل واحـلم
واحرس وسر واشجع وصل وامنن وصل * واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم
واذا وعـدت فعـدتما تقـوى عـلى * انجازه واذا اصـطنعت فتـمم

وذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضى الحاج أبو سعيد بن أبى سعيد السـلوى أنه رأى فى حائط جامع القرويين أبياتا مكتوبة بفحم بخط الشيخ أبى عبد الله بن عباد وهى

أيتها النفس اليـه اذهـبى * فحبـه المشهور من مـذهـبى
مفضـض الثغر له نقطـة * من عنبرى خده المـذهـب
أيأسـنى التوبة من حبـه * طلوعـه شمسا من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد فاستشكلت هذه الابيات لما اشتملت عليه من التغزل وذكر الخال والخد والثغر ومقام الشيخ ابن عباد يجـل عن الاشـتغال بمثل هذا فلقيت يوما أبا القاسم الصيرفى فذا كرته بالقصـة ووجـه الاشكال فيها فقال لى مقامك عنـدى أعـلى من أن تستشـكل مثل هذا هذه أوصاف ولى الله القائم بأمر الله المهدى فشكرته على ذلك انتهـى قلت رأيت بخط الوانشريسى اثر هذه الحـكاية ما نصـه قلت فى صحة هـذه الحـكاية عن الشيخ نظر لما احتوت عليه من تعبير الحسن وقـدر الشيخ وورعه أعلى من هذا فهذان اشـكالان والله أعلم (وحكى) أن الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى لما احتضر جعل رأسه فى حجر أبى القاسم هذا وأخذ فى قراءة آية الـكرسى الى قوله الحى القيوم ثم يقول يا الله ياحى ياقيوم فيلقنـه من حضر لا تأخذه سنة ولا نوم فيمتنع الشيخ من قراءتها و يقول يا الله ياحى ياقيوم فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت وكان آخر ما تكلم به

ما عوّدونى أحبـائى مقاطعـة * بل عوّدونى اذا قاطعتهـم وصلوا

ولما توفى الشيخ ابن عباد رضى الله عنه فى التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمـد ابن السلطان أبى سالم وأهـل البلدتين يعـنى فاسا الجديد التى هى مسكن السلطان وخواص اتباعه وفاسا العتيق التى هى محـل الاعلام والخاص والعام من الناس فى ذلك القطر اذ هى اذ ذاك حضرة الخلافة وقبة الاسـلام فى المغرب وتقدم بعده للامامة والخطبة بجامع القرويين نائبـه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهونى حسبما قاله الجادرى رحمه الله تعالى (وحكى) الوانشريسى رحمه الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلم ابن دريدة الوالى فى مظلمة فلم يقبل فلما كان يوم الجمعة ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد قال الشيخ فى أثناء خطبتـه من الامور المستحسنة أن لا يبقى الوالى سنة انتهـى وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدى الناس ويقرؤن منها ما يتعلق بالمولد النبوى الشريف بين يدى السلطان تبركا بها وكذا يقرؤنها فى المجتمعات فى المواسم كأوّل رجب وشعبان ونصـفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان وقد حضرت بمراكش المحروسة سـنة عشر وألف قراءة كراسـة الشيخ فى المولد النبوى على صاحبـه الصلاة والسـلام بين يدى مولانا السلطان المرحوم أحمـد المنصور بالله الشريف

ابن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبد الله ابن الحسن بن على وللحسين ابن على الامان فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادى على موسى بن عيسى لقتـل الحسين بن عـلى بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليـه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى وأظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادى وزجرهـم وقال أتيتمونى مستبشرين كانكم أتيتمونى برأس رجـل من الترك او الديلم انه رأس رجـل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان أقـل جزائكم عنـدى لا أثيبكم شيأ وفى الحسين ابن على صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات

فلأبكين على الحسيـ - ـن بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى - أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ غدوة - فى غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا - لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم - غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم - فلهم على الناس المنن

وكان الهادى كثير الطاعة لامه الخيزران مجيبا لها فيما تسـئل من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففى ذلك يقول أبو المعافى

فاعتل عليها بعلة فقالت لابد من اجابتي قال لا افعل قالت فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لاقضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا أبالي وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعي كلامي والله والا نفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التي تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمي فانصرفت وما تعقل ما تطأ فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعاني الهادي في وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعوني في مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس في بيت صغير شتوي وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لي يا عيسى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال اني أرقت في هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم

الحسني رحمه الله وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله تعالى عن نيته خيرا وقد أشرت الى ذلك في كتابي الموسوم بروضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس وسردت جملة من القصائد والموشحات في وصف ذلك الصنيع ورحمة الله وراء الجميع (ولنرجع) الى مشايخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول (ومنهم) الشيخ الفقيه القاضي بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد ابن محمد ذكره في نفاضة الجراب وقال انه لقيه بمكناسة الزيتون سنة أحدى وستين وسبعمائة وكان من أهل المعرفة والحصافة قائما على كتاب أبي عمرو بن الحاجب في مذهب مالك وكان ممتازا به فيما دون تلمسان قرأه على الشيخين علمي الافق المغربي أبي موسى وأبي زيد ابني الامام عالمي تلمسان والمغرب جميعا قال لسان الدين في النفاضة وتصدر المذكور لاقرائه الآن فما شئت من اضطلاع ومعرفة واطلاع وقيد جزأ نبيلا على فتوى الامام القاضي أبي بكر بن العربي المسماة بالحاكمة وسماه بالجازمة على الرسالة الحاكمة أجاد فيه وأحسن وقرأت عليه بعضه واذن لي في تحمله انتهى (ومن اشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون) الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوانشريسي له عناية بفروع الفقه وولي القضاء بقصر كتامة (ومنهم) الفقيه الفاضل الخير ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي عفيف المتصدر لقراءة كتاب الشفاء النبوي لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل الصباغ وشاركه في قراءتها على الامام أبي عبد الله الآبلي (ومنهم) الفقيه المدرك الاستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الوانشريسي قال لسان الدين حضرت مذاكرته في مسئلة اعوزت عليه وطال عنها سؤاله وهي قول الشاعر

الناس اكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وصورة السؤال كيف وقوع افعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف اذا أوقع الشاعر اكيس بين الناس و بين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك انتهى قلت الاشكال مشهور والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر وقد أشار اليه أبو حيان في الارتشاف وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص أكثر من أن تحصى ولولا السآمة لذكرت ما قيل في ذلك وخلاصة ما قالوه أن في الكلام تقديرا والله أعلم (وممن لقيه) لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الاخباري الاديب المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسي الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة وهو كاتب عاقد للشروط ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم مؤلف وقد ذكرنا في غير هذا المحل مادار بينه و بين لسان الدين من المحاورة والمراجعة فليراجع قال لسان الدين رحمه الله تعالى ناولني المذكور تأليفه الحسن الذي سماه المنهل المورود في شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق الجزري فاربى بيانا وافادة واجادة وأذن لي في حمله عنه وهو في ثلاث مجلدات وأنشدني كثيرا من شعره (ومنهم) القاضي بها أبو عبد الله بن أبي رمانة قال لسان الدين لقيته بمكناسة وكان من أهل الحياء والحشمة وذوي السذاجة والعفة ثم ذكر ماداعبه به حين

تأخر عن لقائه وقد ذكرنا ذلك فى غير هذا الموضع (وممن لقيه لسان الدين بمكناسة) الفقيه العدل أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسى قال وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوى السذاجة والفضل ويقرض الشعر وله أرجوزة فى الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى انتهى وقال ابن الاحمر فى حقه هو شيخنا الفقيه المفتى المدرس القاضى الفرضى الاديب الحاج أبو على ابن الفقيه الصالح أبى سعيد عثمان التجانى المنعوت بالونشريسى أجازنى عامة أخذ عن الفقيه المفتى الاديب الخطيب المعمر القاضى المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبى البركات ابن الحاج البلفيقى انتهى ومولده فى حدود أربع وعشرين وسبعمائة * وذكر صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب جملة من فتاويه وقال فى وثائقه وقد أجرى ذكره ما صورته ان بلدينا الشيخ القاضى العلامة أبا على الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة وذلك أن السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة وكتب اسم الشيخ أبى على هذا فى العشرة فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سن أبى على فلما علم تشغيبهم صنع رجزا ورفعه الى مقام المتوكل على الله أبى عنان (نصه)

نبدأ أولا بحمد الله * ونستعينه على الدواهى
ثم نوالى بالصلاة والسلام * على نبى دونه كل الانام
وبعد ذا نسأل رب العالمين * أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان * لازال فى خير وفى أمان
ملكه الله من البلاد * من سوس الاقصى الى بغداد
ويسر الحجاز والجهادا * وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر * دونك أمرى انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن * قد قيل لا يشهد الان أسن
وهو فى أمركم المعهود * من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا * وسنه قارب أربعينا
مع الذى ينتسب العبد اليه * من طلب العلم وبحثه عليه
على الفرائض له أرجوزه * أبرز فى نظامها ابريزه
ومجلس له على الرساله * فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا * وعدله قد بلغ السماكا
وعلمه قد طبق الآفاقا * وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر فى كل حى * قصر عن ادراكه حاتم طى انتهى

(وحكى) بعض الحفاظ أنه لما بلغت الابيات السلطان أمر باقراره على ذلك وقد وقفت على رجزه المذكور وله شرح عليه لم أره والظاهر انه ممن تدبج معه لسان الدين رحم الله الجميع وهو معدود فى جملة من لقيه (ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله) ذو الكرامات الكثيرة

وهاج لى ماجرت اليه بنو أمية من بنى حرب وبنى مروان فى سفك دمائنا فقلت يا أمير المؤمنين هذا عبد الله ابن على قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلانا وفلانا حتى أتيت على تسمية من قتل منهم وهذا عبد الصمد بن على قد قتل منهم بالحجاز فى وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن على وهو القائل لسفك دمائهم

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * أخذى بثارى من بنى مروان
ومن آل حرب ليت شيخى شاهد * سفكى دماء بنى أبى سفيان

قال ابن دأب فسر والله الهادى وظهرت منه أريحية فقال يا عيسى داود بن على هو القائل ما ذكرت بالحجاز ولقد أذكرتنيهما حتى كأنى ما سمعتهما قلت يا أمير المؤمنين وقد قيل انهما لعبد الله بن على قالهما على نهر أبى فطرس قال قد قيل ذلك قال ابن دأب ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها فقال لى الهادى فضائلها أكثر قلت يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أوردوه والبينة على الدعوى وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون ان عيوبها أكثر من فضائلها قال مثل ماذا قلت يا أمير المؤمنين من عيوبها انها لا تمطر واذا مطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعاء قال الله عزوجل

والمقامات الكبيرة سيدي الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح المشهور كان لسان الدين رحمه الله تعالى حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها وقد لقيه ولم يتمهل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا أصحاب الرياسة ولذا قال لسان الدين لما ذكر أنه لقيه في نفاضة الجراب ماصورته يسر الله لقاءه على تعسره انتهى (وسنترجم) الولي المذكور في نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله تولى الله فابدأ وابتدر وقبره الآن بسلا محط رجاء الطالبين وكعبة قصد الراغبين تلوح عليه أنوار العناية وتستمد منه أنواء الهداية وهو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة وقد زرته ولله الحمد عند توجهي الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة والناس يشدون الرحال اليه من أقطار المغرب نفعنا الله تعالى به وأعاد علينا من بركاته بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (رجع) الى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى (ومنهم) الاستاذ المحقق العلامة الكبير النحوي الشهير أبو عبد الله محمد بن علي الفخار البيري رحمه الله تعالى كان شيخ النحاة بالاندلس غير مدافع وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبي أبي اسحق صاحب شرح الالفية والوزير ابن زمرك وغيرهما وقد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبي وقال لسان الدين في الاحاطة في ترجمة مشيخته ماصورته ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار البيري الامام المجمع على امامته في فن العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا واطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه انتهى ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول ومن فوائد ابن الفخار المذكور التي حكاها عنه الشاطبي قوله حدثني أن بعض الشيوخ كان اذا أتى باجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ اجازة ماوزنه وماتصريفه ثم قال الشاطبي ولما حدثنا بذلك سألناه عنها فاملى علينا مانصه وزن اجازة في الاصل افعالة وأصلها اجوازة فأعلت بنقل حركة الواو الى الجيم حملا على الفعل الماضي استثقالا فتحركت الواو في الاصل وانفتح ماقبلها في اللفظ فانقلبت ألفا فصارت اجازة بالفين فحذفت الالف الثانية عند سيبويه لانها زائدة والزائد أولى بالحذف من الاصلي وحذفت الاولى عند الاخفش لانها لاتدل على معنى وهو المد وقول سيبويه به أولى لانه قد ثبت عوض التاء من المحذوف في نحو زنادقة والتاء زائدة وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الاصلي للتناسب ووزنها في اللفظ عند سيبويه افعلة وعند الاخفش افالة لان العين عنده محذوفة انتهى وقال الشاطبي رحمه الله تعالى لما توفي شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله بن الفخار سألت الله عز وجل ان يرينيه في المنام فيوصيني بوصية انتفع بها في الحالة التي أنا عليها من طلب العلم فلما غت في تلك الليلة رأيت كأني أدخل عليه في داره التي كان يسكن بها فقلت له ياسيدي اوصني فقال لي لاتعترض على أحد ثم سألني بعد ذلك في مسئلة من مسائل العربية كالمؤنس لي فاجبته عنها ولا اذكرها الآن انتهى وقال الشاطبي أيضا ماصورته حدثنا الاستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا رحمه الله تعالى قال حدثني بسبتة بعض المذاكرين ان ابن خميس لما ورد عليها بقصد الاقراء بها اجتمع اليه عيون طلبتها فالقوا عليه مسائل

ضارة غير موافقة لازكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها ارضهم ومن غيوبها الريح التي يسمونها المريسية وذلك ان أهل مصر يسمون أعالي الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهي الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى أهل مصر الاكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القابل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القميص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ولتباين مهاب الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار وهي تمير ولا تمتار فاذا أجدبوا هلكوا وأما نيلها فكفاك الذي هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شئ من التماسيح وهي في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفي ذلك يقول الشاعر

أظهرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لي انما التمساح في النيل

من

من غوامض الاشتغال فحاد عن الجواب عنها بان قال لهم أنتم عندى كرجل واحد يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل انما تلقوها من رجل واحد وهو ابن أبى الربيع فكانه انما يخاطب رجلا واحدا ازدراء بهم فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما بان قال له ان كنت بالمكان الذى تزعم فاجبنى عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الاعراب التى أذكرها لك فان أجبت فيها بالصواب لم تحط بذلك فى نفوسنا لصغرها بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل وان أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد وهى عشرة الاولى أنتم يازيدون تغزون والثانية أنتن ياهندات تغزون والثالثة أنتم يازيدون وياهندات تغزون والرابعة انتن ياهندات تخشين والخامسة أنت ياهند تخشين والسادسة أنت ياهند ترمين والسابعة أنتن ياهندات ترمين والثامنة انتن ياهندات تعون أوتعين كيف تقول والتاسعة أنت ياهند تعين أوتعون كيف تقول والعاشرة أنتما تعوان أوتعيان كيف تقول وهل هذه الافعال كلها مبنية أومعربة أو بعضها مبنى و بعضها معرب وهل هى كلها على وزن واحد أوعلى أوزان مختلفة علينا السؤال وعليك التمييز لنعلم الجواب فبهت الشيخ وشغل المحل بان قال انما يسال عن هذا اصغار الولدان قال له الفتى فانت دونهم ان لم تجب فانزعج الشيخ وقال هذا سوء أدب ونهض منصرفا ولم يصح الابالقة متوجها الى غرناطة حرسها الله تعالى ولم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم الى أن مات رحمة الله تعالى عليه انتهى ثم قال الشاطبى والجواب عن هذه المسائل ما يذكر أما الجواب عن تغزون الاولى فانه معرب ووزنه أصلا تفعلون ولفظا تفعون وعن الثانية فبنى للحاق نون الاناث ووزنه تفعلن وعن الثالثة على التغليب فعلى رده للاول يلحق بالاول وللثانى كالثانى وأما تخشين من الرابعة فبنى للنون ووزنه تفعلن وعن الخامسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وأما ترمين من السادسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين ومن السابعة مبنى للنون ووزنه تفعلن وأما تعون وتعين من الثامنة فهما لغتان وهما مبنيان للنون والتاسعة لايقال الا تعين بالياء خاصة لتتفق اللغتان ووزنها تفعين كتخشين وأما تعيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا اشكال وعلى الواو فيظهر من كلام النحويين انه لايجوز الا بالواو انتهى وقد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى فى شرحه الواسع العجيب المسمى بتهيد المسالك الى شرح ألفية ابن مالك ونص محل الحاجة منه وقد حكى أن بعض طلبة سبتة أورد على ابى عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع وهى أنتم يازيدون تغزون وأنتن ياهندات تغزون وانتم يازيدون وياهندات تغزون وأنتن ياهندات تخشين وأنت ياهند تخشين وانت ياهند ترمين وانتن ياهندات ترمين وأنتن ياهندات تعون اوتعين كيف تقول وأنت ياهند تعون أوتعين كيف تقول وانتما تعوان اوتعيان على لغة من قال محوت كيف تقول وهل هذه الامثلة كلها مبنية أومعربة أومختلفة وهل وزنها واحد أو مختلف قالوا ولم يجب بشئ قلت فلعله استسهل امرها فاما المثال الاول فمعرب ووزنه تفعلون كتنظرون اذ أصله تغزوون فاستثقلت ضمة الواو التى هى لام فحذفت ثم حذفت الواو أيضا لالتقائها ساكنة مع واو الضمير وكانت أولى بالحذف لان واو الضمير فاعل ولغير ذلك

قال ويحك ما النواقيل التى ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه لا يتمتع بالماء الا فى الآنية لخوف مباشرة الماء فى النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت مشوقا الى النظر اليها فلقد زهدتنى بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألنى الهادى عن مدينة دنقلة وهى دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل أربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادى ايها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب وأخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على الأخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب ابن الزبير فما رأيت شيئا قبيحا الا و رأيت فى وجه الأحنف منه شبها كان صعل الرأس أحجن العين

أعصف الاذن باخق العين ناتئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين أحنف

مما تقدم بعضه وأما الثانى فبنى ووزنه تفعلن كتخرجن وأما الثالث فكالاول اعرابا ووزنا لان فيه تغليب المذكر على المؤنث وأما الرابع فبنى ووزنه تفعلن مثل تفرحن لانه لما احتيج الى تسكين آخر الفعل لاسناده الى نون جماعة النسوة ردت الياء الى أصلها لانها انما قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والآن ذهبت حركتها الاستحقاقها السكون واما الخامس فمعرب ووزنه تفعلين كتفرحين وأصله تخشيين فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير وترك فتحة الشين دالة على الالف واما السادس فمعرب ووزنه تفعلين كتضربين وأصله ترميين حذفت كسرة الياء لاستثقالها ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير وأما السابع فبنى ووزنه تفعلن كتضربن وأما الثامن والتاسع فضارع محى ورد بالاوزان الثلاثة فن قال يمحو قال فى المضارع من جماعة النسوة تمحون مثله من غزا بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كترمين بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه تمحين كتخشين بناء ووزنا ويقال فى المضارع للواحدة على اللغة الاولى تمحين كتدعين اعرابا ووزنا وتصريفا وقد تقدم فى كلام المصنف وعلى الثانية كما يقال لهما من رمى اعرابا ووزنا وتصريفا وعلى الثالثة كما يقال لهما من تخشى أيضا وقد تقدما وليس ماوقع فى السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين انه يقال فيها تمحون كتفرحن بشئ وأمر التثنية ظاهر انتهى بحروفه وماقاله رحمه الله تعالى فى الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر وقد مدحه ابن خطاب بقوله

رقت حواشى طبعك ابن خميس * فهفا قريضك لى وهاج رسيسى
ولمثله يصبو الحليم ويمترى * ماء الشؤون به وسير العيس
لك فى البلاغة والبلاغة بعض ما * تحويه من أثر مجل رسيس
نظم ونثر لايبارى فيهما * عززت ذاك وذا بعلم الطوسى

يعنى أباحامد الغزالى وقال لسان الدين بن الخطيب فى عائد الصلة فى حق أبى عبد الله محمد ابن خميس التلمسانى المذكور ماصورته كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا وأدبا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيدا عن الرياء عاملا على السياحة والعزلة عارفا بالمعارف القديمة مضطلعا بتفاريق النحل قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت فى الشعر وفحل الاوان فى المطول أقدر الناس على اجتلاب الغريب ثم ذكر من أحواله جملة الى أن قال وبلغ الوزير أباعبد الله بن الحكيم انه يروم السفر فشق ذلك عليه وكلفه تحريك الحديث بحضرته وجرى ذلك فقال الشيخ انا كالدم اتحرك فى كل ربيع انتهى وقال ابن خاتمة فى مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية انه نظم فى الوزير ابن الحكيم القصائد التى حليت بها لبات الآفاق وتنفست عنها صدور الرفاق وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء يرتكب مستصعبات القوافى ويطير فى القريض مطار ذى القوادم الباسقة والخوافى حافظا لاشعار العرب وأخبارها وله مشاركة فى العقليات واستشراف على الطب وقعد لاقراء العربية بحضرة غرناطة ومال بآخرة الى التصوف والتجوال والتحلى بحسن السمت وعدم الاسترسال بعد طى بساط مافرط له فى بلده من

الاحوال

الرجل ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه فجعل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة فقلنا الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب فقال له رجل والله ما أشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت حاجتها كف عنها طالبها وما أشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف أما البصرة فان أسفلها قصب وأوسطها خشب وأعلاها رطب نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن أكثر قندا ونقدا والله ما آتى البصرة الا طائعا ولا أخرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر بن وائل فقال يا أبا بحر بم بلغت فى الناس ما بلغت فوالله ما أنت بأجملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم قال يا ابن أخى بخلاف ما أنت فيه قال وما ذاك قال بتركى مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا ينبغى أن يعنيك (قال المسعودى) ولابن دأب مع الهادى أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا يتأتى لنا إيراد ذلك فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة

الاحوال وكان صنع اليدين حدثني بعض من لقيت من الشيوخ انه صنع قد حا من الشمع على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره واتقان صنعته وكتب بدائر شفته

وما كنت الازهرة في حديقة * تبسم عن ضاحكات الكمائم
فقبلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج وحكى لنا قال أنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكى لي قال لما وقفت على الجزء الذي ألفه ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبت على ظهره

الفقر عندي لفظ دق معناه * من رامه من ذوي الغايات عناه
كم من غبي بعيد عن تصوره * أراد كشف معماه فعماه

وأنشدنا شيخنا الاستاذ أبو عثمان بن لبون غير مرة قال سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد وكان يحسب أنهما له ويقال انهما لابن الرومي

رب قوم في منازلهم * غرر صار وا بها غررا
ستر الاحسان ما بهم * سترى لو زال ما سترا

ثم قال ابن خاتمة وقد جمع شعره ودونه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في جزء سماه الدر النفيس في شعر ابن خميس وعرف به صدره وقدم ابن خميس المرية سنة ست وسبعمائة فنزل بها في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم فوسع له في الايثار والمبرة وبسط له وجه الكرامة طلق الاسرة وبها قال في مدح الوزير المذكور قصيدته التي أولها

٣ العشي تعيا والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

ووجه بها اليه وهي طويلة ومنها

وسائغ ابن كماشة * مع كل بازغة وبازغ
تأتي بما تهوى النغا * نغ من شهيات اللغالغ

ومنها ماذاق طعم بلاغة * من ليس للعوشي ماضغ

ويقال ان الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله

لمن المنازل لا يجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة ثم لم يزد على ذلك الى أن توفي رحمه الله تعالى فكان آخر ما صدر عنه من الشعر وقد أشار معناه الى معناه وآذن أولاه بحضور أخراه وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وهو ابن نيف وستين سنة وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم أصابه قاتله بحقده على مخدومه وكان آخر ما سمع منه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله واستفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ابن خميس يطلبني ابن خميس يضربني ابن خميس يقتلني ومازال الامر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصا (وحكى) غيره

أهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك ذفر فقال لهم أهل البصرة من أين يأتي ماؤنا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة طاف وهما يمتزجان وسط بلادنا قال الكوفيون من طباع الماء العذب الصافي اذا خالط ماء البحر صارا جميعا الى الكدورة وقد يروق الانسان ماء اربعين ليلة فان جعل منه شيئا في قارورة أزبد وتكدر وقد افتخر اهل الكوفة بمائهم الذي هو الفرات على ماء دجلة وهو ماء البصرة فقالوا ماؤنا اعذب المياه واغذاها وهو اصح للاجسام من ماء دجلة والفرات خير من النيل فاما دجلة فان ماءها يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها الا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها وان لم يتدسم النازلون عليها اصابهم قحول في عظامهم ويبس في جلودهم وسائر من نزل من العرب على دجلة لا يكادون يسقون خيولهم منها ويسقونها من الآبار والركايا لاختلاف مياهها واختلاف أنواعها ليست بماء واحد لمصب الانهار كالزابين وغيرهما وسبيل

المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من

وهو يختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع فى أصول القصب والهروى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات أعذب المياه عذوبة وانما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة أسرع الأرض خرابا وأخبثها ترابا وأبعدها من السماء وأسرعها غرقا وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سالوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها ومايؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم وماالحق بهذه المعانى فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا فى هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادى وندل على هذا السانح وقد كان الهادى أراد ان يخلع أخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر بن موسى وحبس يحيى بن كانه

أن بعضهم كتب بعد قوله لمن المنازل لايجيب صداها ما نصه لابن الحكيم ومن بديع نظم ابن خميس قوله

تراجع من دنياك ما أنت تارك * وتسالها العتبى وهاهى فارك
تؤمل بعد التبرك رجع ودادها * وشر وداد ما تود الترائك
حلالك منها ما حلالك فى الصبا * فأنت على حلوائه متهالك
تظاهر بالسلوان عنها تجملا * فقلبك محزون وثغرك ضاحك
تنزهت عنها نخوة لا زهادة * وشعر عذارى أسود اللون حالك

وهى طويلة طنانة وفى آخرها يقول

فلا تدعون غيرى لدفع ملمة * اذا ما دهى من حادث الدهر داعك
فما ان لذاك الصوت غيرى سامع * وما ان لبيت المجد بعدى سامك
يغص و يشجى نهشل ومجاشع * بما أو رثتنى حمير والسكاسك
تفارقنى الروح التى لست غيرها * وطيب ثنائى لاصق بى صائك
وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى * وقد شمطت منى اللحى والافائك
يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى * اذا عاد للدنيا عقيل ومالك

ومما اشتهر من نظمه قوله

أرق عينى بارق من أثال * كأنه فى جنح ليلى ذبال
أثار شوقا فى ضمير الحشا * وعبرتى فى صحن خدى أسال
حكى فؤادى قلقا واشتعال * وجفن عينى أرقا وانهمال
جوانح تلفح نيرانها * وأدمع تهمل مثل العزال
قولوا وشاة الحب ماشئتم * مالذة الحب سوى أن يقال
عذرا للوّامى ولاعذرلى * فرلة العالم مالن تقال
قم نطرد الهم بمشمولة * تقصر الليل اذا الليل طال
وعاطها صفراء ذمية * تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحا واللمى مطعما * والتبر لونا والهوا فى اعتدال
عتقها فى الدن خمارها * والبكر لاتعرف غير الحجال
لاتثقب المصباح لا واسقنى * على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء مابينهما كالخيال
خذها على تنغيم مسطارها * بين خوابيها و بين الدوال
فى روضة باكروسميها * انجل دارين وأنسى اوال
كأن فأر المسك مفتوتة * فيها اذا هبت صبا أوشمال
من كف ساجى الطرف الحاظه * مفوّقات أبدا للنضال
من عاذرى والكل لى عاذر * من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبى الوعد كذابه * ليان لا يعرف غير المطال

كانه الدهر وأى امرئ * يبقى على الدهر اذا الدهر حال

أما تراني آخذا ناقضا * عليه ماسوّفني من محال

ولم أكن قطله عائبا * كمثل ما عابته قبلى رجال

يأبى ثراء المال علمى وهل * يجتمع الضدان علم ومال

وتانف الارض مقامى بها * حتى تهادانى ظهور الرجال

لولا بنو زيان مالذلى العيش ولاهانت على الليال

هم خوفوا الدهر وهم خففوا * على بنى الدنيا خطاه الثقال

لقيت من عامرهم سيدا * غمر رداء الحمد جم النوال

وكعبة للجود منصوبة * يسعى اليها الناس من كل بال

خذها أبازيان من شاعر * مستملح النزعة عذب المقال

يلتقط الالفاظ لفظ النوى * وينظم الآلاء نظم اللآل

مجاريا مهيار فى قوله * ما كنت لولا طمعى فى الخيال

وقصيدة مهيار مطلعها

ما كنت لولا طمعى فى الخيال * أنشد ليلى بين طول الليال

ومن نظم ابن خميس قوله

نظرت اليك بمثل عينى جؤذر * وتبسمت عن مثل سمطى جوهر

عن ناصع كالدر أو كالبرق أو * كالطلع أو كالاقحوان مؤشر

تجرى عليه من لماها نطفة * بل خمرة لكنها لم تعصر

لو لم يكن خمرا سلافا ريقها * تزرى وتلعب بالنهى لم تخطر

وكذلك ساجى جفنها لو لم يكن * فيه مهند لحظها لم يحذر

لو عجت طرفك فى حديقة خدها * وأمنت سطوة صدغها المتنمر

لرتعت من ذاك الحمى فى جنة * وكرعت من ذاك اللمى فى كوثر

طرقتك وهنا والنجوم كانها * حصباء در فى بساط أخضر

والركب بين مصعد ومصوب * والنوم بين مسكن ومنفر

بيضاء اذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فازرت بالصباح المسفر

سرحت غلائلها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر

منحتك ما منعتك يقظانا فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير

وكانما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من اردافها فى عسكر

وبجزع ذاك المنحنى ادمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور

وتحية جاءتك فى طى الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر

جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت فيها عرف ذاك الاذخر

هاجت بلابل نازح عن الفه * متشوق ذاكى الحشى متسعر

واذا نسيت ليالى العهد التى * سلفت لنا فتذكريها تذكرى

خالد البرمكي وأراد قتله فقال له يحيى وكان القيم بأمر الرشيد يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان ما أسأل الله ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه وينسأ فى أجل أمير المؤمنين ايظن أن الناس يسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال فتأمن ان يسموا اليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك الى غيرهم فتكون قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة اخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سالت اخاك ان يقدمه على نفسه قال نبهتنى والله على امر لم اكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضى أم كره وامر بالتضييق عليه فى الاكثر من اموره فاشار عليه يحيى ان يستأذنه فى الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد واستأذنه الرشيد فاذن له فسار الى شاطئ الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البر مما يلى السماوة وكتب الهادى اليه يامره بالقدوم فاكثر الرشيد التعلل وبسط الهادى لسانه فى شتمه وسنح للهادي الخروج نحو بلاد الحديثة فمرض هنالك وانصرف وقد ثقل فى العلة فلم يجسر احد من

وحسنا تغنينا ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاخزر
والروض بين مفضض ومعسجد * والجو بين ممسك ومعصفر

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المريني رحمه الله تعالى كثير العناية بنظم ابن خميس وروايته قال رحمه الله تعالى أنشدنا القاضي خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة يمنه الله قال أنشدنا بلفظه شيخ الادباء فحل الشعراء أبو عبد الله ابن خميس لنفسه

أنبت ولكن بعد طول عتاب * وفرط لجاج ضاع فيه شبابي
ومازلت والعلياء تعني غريمها * اعلل نفسي دائما بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامي أو يسوغ شرابي
خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادي بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وماهو الا السم شيب بصاب
وما صحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب ربىء فحل ضراب
اذا كعت الابطال عنها تقدموا * اعاريب غرا في متون عراب
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب
تراءت لجساس مخيلة فرصة * تأتت له في جيأة وذهاب
فجاء بها شوهاء تنذر قومها * بتشييد أرجام وهدم قباب
وكان رغاء الصقب في قوم صالح * حديثا فأنساه رغاء سراب
فما تسمع الآذان في عرصاتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه * وعن بيته في جعفر بن كلاب
وكانت على الاملاك منه وفادة * اذا آب منها آب خير مآب
يجير على الحيين قيس وخندف * بفضل يسار أو بفصل خطاب
زعامة مرجو النوال مؤمل * وعزمة مسموع الدعاء مجاب
فر يزجيها حواسر ظلعها * بما جلوها من منى ورغاب
الى فدك والموت أغرب غاية * وهذا المنى يأتي بكل عجاب
تبرض صفو العيش حتى استشفه * فداف له البراض قشف حباب
فاصبح في تلك المعاطف نهزة * لنهب ضباع أو لنهش ذئاب
وما سهمه عند النضال بأهزع * ولا سيفه عند الصراع بناب
ولكنها الدنيا تكر على الفتى * وان كان منها في أعز نصاب
وعادتها أن لا توسط عندها * فاما سماء أو تخوم تراب
فلا ترج من دنياك ودا وان يكن * فما هو الا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها * فأشقى الورى من تصطفي وتحابي
أبيت لها ما دام شخصي ان ترى * تمر ببابي أو تطور جنابي
فكم عطلت من أربع وملاعب * وكم فرقت من أسرة وصحاب

الناس على الدخول عليه لها أنا هالك في هذه الليلة وفيها يلي أخي هرون وأنت تعلمين ما قضى فيه أصل مولدي بالري وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن أخرى مما أوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعا لها على صدره وكان مولده بالري وكذلك مولد الرشيد فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادي وولاية الرشيد ومولد المامون ويقال ان الهادي أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادي يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذاري عما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت يوجب ذنبا ولكني أقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة
فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

فاطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخباريين من ذوي المعرفة باخبار الدولة ان موسى قال لهرون أخيه كاني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت عنه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون يا أمير المؤمنين من تكبر

وكم

و كم عفرت من حاسر ومدجج * و كم اشكلت من معصر و كعاب
اليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق * عليكم بصير بالامور نقاب
طويل مراس الدهر جذل مماحك * عريض مجال الهم حلس ركاب
تأتت له الاهوال أدهم سابقا * وغصت به الايام أشهب كابى
ولا تحسبوا أنى على الدهر عاتب * فاعظم مابى منه ايسر مابى
وما اسفى الاشباب خلعته * وشيب أبى الانصول خضاب
وعمر مضى لم احل منه بطائل * سوى ماخلا من لوعة وتصابى
لسالى شيطانى على الغى قادر * وأعذب ما عندى أليم عذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا * وماعكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار أزكى تحية * فتلك التى أعتد يوم حساب
فتلك عتادى اوثناء اصوغه * كدر سحاب او كدر سخاب

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * من ليس يامل ان يمر ببالها
وأنا الفقير الى تعلة ساعة * منها وتمنعنى زكاة جمالها
كم ذا وعن عينى الكرى متنائف * يبدو ويخفى فى خفى مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا * كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
وابن السبيل يجىء يقبس نارها * ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى فى النوم طيف خيالها * فتصيبنى ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما * زفت على ذكاء وقت زوالها
اسرى فعطلها وعطل شهبها * بأبى شذا المعطار من معطالها
وسواد طرته كجنح ظلامها * وبياض غرته كضوء هلالها
دعنى أشم بالوهم أدنى لمعة * من ثغرها وأشم مسكة خالها
ماراد طرفى فى حديقة خدها * الا لفتنته بحسن دلالها
أنسيب شعرى رق مثل نسيمها * فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا مررت برامة فتوق من * أطلائها وتمش فى أطلالها
وانصب لمغزلها حبالة قانص * ودع الكرى شركا لصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعها * وانضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقية معشر عركتهم * هذى النوى عرك الرحى بثفالها
أكرم بها فئة أريق نجيعها * بغيا فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم * فان انتشوا نجلوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية ماانالها * أحدونا لها لبعد منالها
وعدت على سقراط سورة كاسها * فهريق مافى الدن من جريالها

أولادك أعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور فى وجهه وقال ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن منى فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لاجلست الامعى فى صدر المجلس ثم قال ياخزانى احمل اليه الساعة ألف ألف دينار فاذافتح الخراج فاحمل اليه نصفه فلما أراد هرون الانصراف قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسألت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فأما قضيب موسى فأورق أعلاه قليلا وأما قضيب هرون فاورق من أوله الى آخره فقص الرؤيا على الحكيم ابن اسحق الصيمرى وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاماموسى فتقل أيامه وأماهرون فيبلغ آخر ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن الايام ودهره أحسن الدهور قال عمرو الرومى فلما أفضت الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسمعيل وو فى له ماوعده (وحدث)

وسرت الى فاراب منها نفحة * قدسية جاءت بنخبة آلها
ليصوغ من ألحانه فى حانها * ما سوّغ القسيس من أرمالها
وتغلغلت فى سهرور دفأسهرت * عينا يؤرقها طروق خيالها
نخبا شهاب الدين لما أشرقت * وخوى فلم يثبت لنور جلالها
ماجن مثل جنونه أحد ولا * سمحت يد بيضاء بمثل نوالها
وبدت على الشوذى منها نشوة * مالاح منها غير لمعة آلها
بطلت حقيقته وحالت حاله * فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذى صبابتهم ترق صبابة * فيروق شاربها صفاء زلالها

وهى طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى أخبرنى شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى رحمه الله تعالى قال لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو اسحق التنيسى من تلمسان الى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد فكان من قوله له كيف حال الشيخ العالم أبى عبد الله بن خميس وجعل يحليه باحسن الاوصاف و يطنب فى ذكر فضله فبقى الشيخ أبو اسحق متعجبا وقال من يكون هذا الذى حليتموه بهذا الحلى ولا أعرفه ببلده فقال له هو القائل

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * قال فقلت له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم انما هو عندنا شاعر فقط فقال له انكم لم تنصفوه وانه لحقيق بما وصفناه به قال السلطان وأخبرنا شيخنا الابلى المذكور أن قاضى القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تاملها والنظر فيها ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة الى قاضى القضاة تقى الدين المذكور لم يقرأها حتى قام اجلالا لها انتهى وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان كثيرا ما يتشوق لمشاهدها و يتأوه عند تذكره لمعاهدها وينشد القصائد الطنانة فى ذلك سالكا من الحنين اليها المسالك فمن ذلك قوله

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو * منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
ودارى بها الاولى التى حيل دونها * مثار الاسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدى بها والعمر فى عنفوانه * وماء شبابى لا اجين ولا مطخ
قرارة تهيام ومغنى صبابة * ومعهد أنس لا يلذ به لطخ
اذا الدهر منّى العنان منهنه * ولا ردع يثنى من عنانى ولا ردخ
ليالى لا أصغى الى عذل عاذل * كأن وقوع العذل فى أذنى صمخ
معاهد انس عطلت فكأنها * ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
وأربع آلاف عفا بعض آيها * كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطخ
فمن يك سكرانا من الوجد مرة * فانى منه طول دهرى ملتخ
ومن يقتدح زند الموقد جذوة * فزند اشتياقى لا عفار ولا مرخ
أأنسى وقوفى لاهيا فى عراصها * ولا شاغل الا التودع والسبخ

فدعا به موسى بعد ما ولى الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فى السيف فبدأهم ابن يامين البصرى فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا
خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا
ثم شابت فيه الذعاف المنون
واذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والجوهر الجارى فى صفحتيه ماء معين
ما يبالى اذا الضريبة خانت أشمال نيطت به أم يمين

وهى أبيات كثيرة فقال له الهادى لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معى وحرمتم من أجلى وفى السيف عوض ثم بعث اليه الهادى فاشترى منه السيف بخمسين ألفا وللهادى أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التأييد *(ذكر خلافة هرون الرشيد)* والا

والاختيال لى ماشيا فى سماطها * رخيا كما يمشى بطرته الرخ
والا فعدوى مثل ماينفر الطلا * وليدا وحجلى مثل ماينهض الفرخ
كانى فيها أردشير بن بابك * ولاملك لى الا الشبيبة والشرخ
واخوان صدق من لداتى كانهم * جا آذر رمل لا عجاف ولا برخ
وعاة لما يلقى اليهم من الهدى * وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ
هم القوم كل القوم سيان فى العلا * شبابهم الفرغان والشيخة السلخ
مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه * ومر الصبا والمال والاهل والبذخ
كأن لم يكن يوما لاقلامهم بها * صرير ولم يسمع لاكعبهم جبخ
ولم يك فى أرواحها من ثنائهم * شميم ولا فى القضب من لينهم ماخ
ولا فى محيا الشمس من هديهم سنى * ولا فى جبين البدر من طيبهم ضمخ
سعيتم بنى عمور فى شت شملنا * فما تجركم ربح ولا عيشنا ربخ
دعيتم الى ماترتجى من صلاحكم * فردكم عنه التعجرف والجمخ
تعاليتمو عما فطمتم عليكم * عباب له فى رأس عليائكم جلخ
وأوغلتمو فى العجب حتى هلكتم * جماح غواة ماينهنهم قفخ
كفاكم بها سجناطويلا وان يكن * هلاك لكم فيها فهى لكم فخ
فكم فتنة مناظفرتم بنيلها * بابشارها من حجن اظفاركم برخ
كانكمو من خلفها وأمامها * اسود غياض وهى ما بينكم أرخ
فللسوق منها القيدان هى أغربت * وللهام ان لم تعط ماورعت النقخ
كأن تحتها من شدة القلق القطا * ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ
وأقرب ماتهذى به الهلك والتوى * وأيسر ماتشكوبه الذل والفنخ
فماذا عسى نرجوه من لم شعثها * وقد خزمنها الفرع واقتلع الشلخ
ومايطمع الراجون من حفظ آيها * وقد عصفت فيها رياحهم الشيخ
زعانف أنكاد لئام عناكل * متى قبضوا كفا على اثره طخوا
ولما استقلوا من مهاوى ضلالهم * وأوموا الى اعلام رشدهم زخوا
دعاهم أبو يعقوب للشرف الذى * يذل له رضوى ويعنو له دمخ
فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم * وما لامرئ عن أمر خالقه نخ
ومازلت أدعو للخروج عليهم * وقد يسمع الصم الدعاء اذا اصخوا
وأبذل فى استئصالهم جهد طاقتى * وما الظن بابن ابن سابحة تفخ
تركت لمينا سنة كل نجعة * كما تركت للعز أهضامها شمخ
وآليت أن لا أرتوى غير مائها * ولو حل لى فى غيره المن والمذخ
وأن لا احط الدهر الا بعقرها * ولو بوأتنى دار ماتهابلخ
فكم نقعت من غلة تلكم الاضى * وكم أبرأت من علة تلكم اللبخ
وحسبى منها عدلها واعتدالها * وأبحرها العظمى واريافها النفخ

وبويع هرون الرشيد بن المهدى يوم الجمعة صبيحة الليلة التى مات فيها الهادى بمدينة السلام وذلك لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لها ساباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولى الخلافة وهو ابن احدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر

(ذكر جمل من أخباره وسيره)

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له يا أبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففى ذلك يقول الموصلى

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وماتت ريطة بنت أبى العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد وقيل فى آخر أيام الهادى وماتت الخيزران أم الهادى والرشيد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف

وأملا كما الصيد المقاولة الالى * لعزهم تعنو الطراخنة البلخ
كواكب هدى فى سماء رياسة * تضىء فايدجو ضلال ولا يطخو
ثواقب أنوار ترى كل غامض * اذا الناس فى طخياء غيهم التخوا
ورو ضات آداب اذا ما تارجت * تضاءل فى أفيائها أفنانها الرخ
مجامر ند فى حدائق نرجس * تنم ولا الفح يصيب ولا دخ
وأبحر علم لا حياض رواية * فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
بنو الغرفيين الالى من صدورهم * وأيديهم تملا القراطيس والطرخ
اذا ما فتى منهم تصدى لغاية * تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
رياسة أخيار وملك أفاضل * كرام لهم فى كل صالحة رضخ
اذا ما بدا منا جفاء تعطفوا * علينا وان دلت بناشدة رخوا
نزورهم حذا نخافا فننثنى * واجمالنا دلح وأبداننا دلخ
يربوننا بالعلم والحلم والنهى * فأخرجنا بز ولا حدنا برخ
وما الزهد فى املاك لخم ولا التقى * ببدع ولا لدنيا الزوق بمن يرخو
والافى رب الخورنق غنية * فما يومه سر ولا صيته رضخ
تطالع يوما والسرير أمامه * وقد نال منه العجب ماشاء والجفخ
وعن له من شيمة الحق قائم * بحجة صدق لاعبام ولا وشخ
فأصبح يجتاب المسوح زهادة * وقد كان يؤذى بطن أخمصه النخ
وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا * دواء ولكن ما لأدوائنا نتخ
تخلى عن الدنيا تخلى عارف * يرى انها فى ثوب نخوته لتخ
وأعرض عنها مستهينا لقدرها * فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
فكان له من قلبها الحب والهوى * وكان لها من كفه الطرح والطخ
وما معرض عنها وهى فى طلابه * كمن فى يديه من معاناتها ابخ
ولا مدرك ماشاء من شهواتها * كمن حظه منها التمعج والبخ
ولكننا نعمى مراعن الهدى * ونصلج حتى ما لآذاننا صمخ
وما لامرئ عما قضى الله مرحل * ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ
أبا طالب لم تبق شيمة سودد * يسادبها الا وأنت لها سنخ
تسوغت أبناء الزمان ايا ديا * لدرتها فى كل سامعة شخ
وأجريتها فيهم عوائد سودد * فما لهم كسب سواها ولا نخ
غذتهم غواديها فهى فى عروقهم * دماء وفى أعماق أعظمهم مخ
وعمتهم حزنا وسهلا فأصبحوا * ومرعاهم ورخ ومرعيهم وخ
بنى الغرفيين ابلغوا ما أردتم * فما دون ما تبغون وحل ولا زخ
ولا تقعدوا عمن أراد سجالكم * فما غربكم جف ولا غرفكم وضخ
وخلوا وراء كل طالب غاية * وتيهوا على من رام شأوكم وانخوا

ألف وستين ألف ألف درهم فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضى يسايره فى جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك فى كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا أكفر به فاسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وأمر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك ولأن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال يا خبيث ما كان هذا قولك فى البداءة فقال له سالتك بحق الله وبحق الامير الا ما أخبرتنى فى أى سورة هذه الآية فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال فى براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان

ولا

ولا تذروا الجوزاء تعلو عليكم * ففي رأسها من وطء أسلافكم شدخ
لأفواه أعدائي وأعين حسدي * اذا جليت خائني الغض والفضخ
دعوها تهادى في ملاءة حسنها * ففي نفسها من مدح أملاكها مدخ
يمانية زارت يمانين فانثنت * وقد جد فيها الزهو واستحكم الزمخ

وقد بسط في الاحاطة ترجمة ابن خميس المذكور ومما أنشد له قوله

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء * فعند صباها من تلمسان أنباء
وفي خفقان البرق منها اشارة * اليك بما تنمى اليها وايماء
تمر الليالي ليلة بعد ليلة * وللاذن اصغاء وللعين اكلاء
واني لاصبو للصبا كلما سرت * وللنجم مهما كان للنجم اصباء
وأهدي اليها كل يوم تحية * وفي رد اهداء التحية اهداء
وأستجلب النوم الغرار ومجعي * قتاد كما شاءت نواها وسلاء
لعل خيالا من لدنها يمر بي * ففي مره بي من جوى الشوق ابراء
وكيف خلوص الطيف منها ودونها * عيون لها في كل طالعة راء
واني لمشتاق اليها ومنبئ * ببعض اشتياقي لو تمكن انباء
وكم قائل تفني غراما بحبها * وقد أخلقت منها ملاء وأملاء
لعشرة أعوام عليها تجرمت * اذا ما مضى قيظ بها جاء اهراء
يطنب فيها عائثون وخرب * ويرحل عنها قاطنون وأحياء
كأن رماح الناهبين لملكها * قداح وأموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخا لراكب * فقد قلصت منها ظلال وأفياء
ومن عجب أن طال سقمي ونزعها * وقسم اضناء علينا واطناء
وكم أرجفوا غيظا بها ثم أرجؤا * فيكذب ارجاف ويصدق ارجاء
يرددها عيا بها الدهر مثل ما * يردد حرف الفاء في النطق فأفاء
فيا منزلا نال الردى منه ما اشتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء
وهل للظى الحرب التي فيك تلتظي * اذا ما انقضت أيام بؤسك اطفاء
وهل لي زمان أرتجي فيه عودة * اليك ووجه البشر أزهر وضاء

ومنها

أحن لها ما اطت النيب حولها * وما عاقها عن مورد الماء اظماء
فما فاتها مني نزاع على النوى * ولا فاتني منها على القرب اجشاء
كذلك جدي في صحابي وأسرتي * ومن لي به في أهل ودي ان فاؤا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لما فات نفسي من بني الدهر اقفاء
حماني فلم تنتب محلي نوائب * بسوء ولم ترز فؤادي أرزاء
واكفاء بيتي في كفالة جاهه * فصاروا عبيدا لي وهم لي أكفاء
يؤمون قصدي طاعة ومحبة * فما عقته عافوا وما شئته شاؤا

ابن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائي قال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء وأرق هواء على أحسن ماء بين صراري وحسان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل ابن عبد الرحمن بن شبيب ابن شبة وفي هذا القصر يقول ابن أبي عتبة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي
لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه
من منزل حاضر ان شئت أو بادي
ترقى قراقيره والعيس واقفة
والضب والنون والملاح والحادي

وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصري الفهمي ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع * وفي سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك ابن عبد الله بن سنان النخعي القاضي وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله بن أبي انمر الليثي لان ابن

دعانى الى المجد الذى كنت آملا * فلم يك لى عن دعوة المجد ابطاء
و بوأنى من هضبة العز تلعة * يناجى السهامنها صعود وطأطاء
يشيعنى منها اذا سرت حافظ * و يكلؤنى منها اذا ذاعت كلاء
ولا مثل نومى فى كفالة غيره * وللذئب المام وللصل الماء
بغيضة ليث أو بمرقب خالب * تبز كساه فيه وتقطع أكساء
اذا كان لى من نائب الملك كافل * ففى حيثما هومت كن وادفاء
واخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرنى منهم قيام وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل ما يخشى من الشر ابراء
اليك أبا عبد الاله صنعتها * لزومية فيها لوجدى افشاء
مبرأة مما يعيب لزومها * اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
أذعت بها السر الذى كان قبلها * عليه لأحناء الجوانح اضناء
وان لم يكن كل الذى كنت آملا * وأعوزا كلاء فما عازا كاء
ومن يتكلف مفعما شكر منة * فمالى الى ذاك التكلف الجاء
اذا منشد لم يكن عنك ومنشئ * فلا كان انشاد ولا كان انشاء

(رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده) قال الشاطبى حدثنا الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار قال جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ المقرئين فأتى المقرئ بمسئلة الزوائد الاربع فى أول الفعل المضارع وقال يجمعها قولك نايت فقال له ذلك الطالب لو جمعتها بقولك أنيت لكان أملح ليكون كل حرف تضعيف ما قبله فالهمزة لواحد وهو المتكلم والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه والياء لاربعة للواحد الغائب وللغائبين وللغائبين وللغائبات والتاء لثمانية للمخاطب وللمخاطبين وللمخاطبين والمخاطبة والمخاطبتين والمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه (وحكى) الشاطبى أيضا أن شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالا وهو كيف يجمع بين مسئلة رجل أوقع الصلاة بثوب حرير اختيارا و بين قوله * جرى الدميان بالخبر اليقين * فلم ينقدح لناشئ فقال الجواب ان الاول ممنوع عند الفقهاء شرعا ورد اللام فى دم فى التثنية ممنوع عند النحاة قياسا وكلاهما فى حكم المعدوم حسا واذا كان كذلك كان الاول بمنزلة من صلى بادى العورة اختيارا فتلزمه الاعادة وكان الثانى بمنزلة ما باشر فيه عين دم علم التثنية فتلزمه الفتحة وان كان أصلها السكون قال وهذه المسئلة تشبه مسئلة ابن جنى فى الخصائص قال ألقيت يوما على بعض من كان يعتادنى مسئلة فقلت له كيف تجمع بين قوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

و بين قوله اختصم زيد وعمرو فلم ينقدح له فيها شئ وعاد مستفهما فقال له اجتماعهما أن الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية اللازمة مطلقا والطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له (قال الشاطبى) وحدثنى أيضا قال كان لقاضى القضاة علماوجزالة أبى جعفر ولد يقرأ على بمالقة وكان ابنا نبيها فهما ونبلا فسألنى يوما مسئلة يذكرها لأقرانه وكان

اغرمات فى سنة أربعين وثلاثون سنة وكان شريك ابن عبد الله النخعى تولى القضاء بالكوفة أيام المهدى ثم عزله موسى الهادى وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه وبين مصعب ابن عبد الله كلام بحضرة المهدى فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل على بن أبى طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له أصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لانكم أهل الريبة * ومات فى أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر الاصبحى وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك فى ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن ابى ذئب على ما ذكر من التنازع فى وفاة ابن أبى ذئب وذكر الواقدى أن مالكا كان يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر أن يتكلم بعذره وسعى به الى جعفر بن سليمان وقيل له انه لا يرى

معجبا بالغرائب تجرى على لسانى أن قلت له بين على زيد فعل أمر وفاعل والاصل ابابين على زيد ثم سهل بالنقل والحذف على قياس التسهيل فصار بين كما ترى فأعجب بالمسئلة حتى ناظر فيها ليلة أباه وكان أنحى نحاة أهل عصره فاعجب مما يرى من ابنه من النبل والتحصيل فبلغت المسئلة الشيخ الاستاذ أبا بكر بن الفخار رحمه الله تعالى فاعتنى بها وحاول فى استخراج وجه من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبة العلم فوجد فى مختصر العين أن الكلمة من ذوات الواو ولم يذكر صاحب المختصر غير ذلك ولم يكن رحمه الله تعالى رأى قول أبى الحسن اللحيانى فى نوادره انه مما يتعاقب على لامه الواو والياء فيقال بأى يبأى بأوا وبأيا كما يقال شأى يشأى شأوا وشأيا فلم يقدم شيئا على أن اجتمع بالقاضى المذكور فقال له ألم تسمع ما قال فلان بين على زيد وانما هو بون على زيد لانه من ذوات الواو ونص على ذلك صاحب المختصر وحمله على أن يرسل الى ويردنى عن ذلك الذى قلته فى المسئلة واجتمعت أنا معه وحدثنى بما جرى له مع الاستاذ ابن الفخار فذكرت له ما حكاه أبو الحسن اللحيانى فى نوادره وما قاله ابن جنى فى سر الصناعة فسر بذلك وارسل بعد الى الاستاذ ابن الفخار وذكر له نص اللحيانى وقول ابن جنى وجمع القاضى بيننا وعقد فى قلوبنا مودة فكان الاستاذ ابن الفخار يومئذ يقصدنى فى منزلى وفى المواسم ويستشيرنى فى أموره على سبيل التانيس رحمة الله عليه فاواه على فقد امثاله (وقال الشاطبى أيضا) أنشدنى الفقيه الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله تعالى وقال الق فى سرى بيت لم أسمعه قط فى السادس عشر من شهر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة

لتكن راجيا كما أنت ترجو * ولأ ربى من الذى أنت راجى

قال الشاطبى وقرر لنا الاستاذ ابن الفخار المذكور يوما توجيه قول ابى الحسن الاخفش فى كسرة الذال من نحو يومئذ انها اعرابية لابنائية اذلم يذكر احد وجه هذا المذهب قبل قال ابن جنى ان الفارسى اعتذر له بما يكاد يكون عذرا فلما تم التوجيه قلت له وانا حينئذ صغير السن هب ان الامر على ما قاله الاخفش من ان الكسرة اعرابية فما يصنع ببناء الزمان المضاف الى اذ فى احد الوجهين والاضافة الى المفرد المعرب تقتضى الاعراب دون البناء فتعجب من صدور هذا السؤال منى اصغر سنى واجاب عنه بانه قد يذهب السبب ويبقى حكمه كما قاله ابن جنى فى اسم الاشارة فى ترجمة سيبويه هذا علم ما الكلم من العربية على أن يكون سيبويه وضعه غير مشير به وتركه مبنيا وأزال سبب البناء ونظر ذلك بباب التسوية على ماهو مقرر فى موضعه قال ونظير ذلك ما قرر من اضافة حيث الى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره الزمخشرى وذلك قوله * اما ترى حيث سهيل طالعا * وقوله أنشدنا ابن الاعرابى لبعض المحدثين

ونحن سعينا بالبلايا المعقل * وقد كان منكم حيث لى العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء وهو الاضافة الى جملة وحصول سبب الاعراب وهو الاضافة الى المفرد ولكنه لم يعتبر النادر وأبقى الحكم الشائع (وقال الشاطبى أيضا) كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى فى سورة البقرة قالوا الآن ونبتدئ جئت

أيمان بيعتكم شيأ فضربه بالسياط ومدلذلك حتى انخلع كتفاه وفى السنة التى مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد وهى سنة تسع وسبعين ومائة وفى سنة احدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك المروزى الفقيه بهيت بعد منصرفه من طرسوس وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى وهو ابن تسع وستين سنة وهو رجل من الانصار وولى القضاء سنة ست وستين ومائة فى أيام خروج الهادى الى جرجان واقام على القضاء الى أن مات خمس عشرة سنة (قال المسعودى) وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة الى أبى يوسف تستفتيه فيها فافتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأداه اجتهاده اليه فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فى كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تاولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين الورق وغيره وذلك فضل الله يؤتيه من

بالحق وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أى فهمنا وحصل البيان ثم قيل جئت بالحق يعنى فى كل مرة وعلى كل حال وكان رحمه الله تعالى يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور وله من انه على حذف الصفة أى بالحق البين وكان يحافظ عليه (وقال الشاطبى) أنشدنى صاحبنا الفقيه الاجل الاديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الامام الاستاذ الكبير الشهير أبى عبد الله بن الفخار يرثيه بها

أيا جدثا قد أحرز الشرف المحضا * بان صار مثوى السيد العالم الارضى
عجبت لما أحرزته من معارف * وشتى معال لم تزل تعمر الارضا
طويت عليه وهو عين زمانه * فيا جفن عين الدهر كم تؤثر الغمضا
فيا لك من صوب الحيا كل ديمة * تديم له فى الجنة الرفع والخفضا
فها نحن فى عيد الاسى حول قبره * وقوفا لنقضى من عيادته الفرضا
كمثل الذى كنا وقوفا ببابه * بعيد الامانى زائرين له أيضا
ومنا سلام لايزال يخصه * يذكره من بعض أشواقنا البعضا

قلت وابن حذلم المذكور له باع مديد فى العلم والادب وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم ومن نظمه قوله

أبت المعارف أن تنال براحة * الا براحة ساعد الجد
فاذا ظفرت بها فلست بمدرك * أربا بغير مساعد الجد

وقوله رحمه الله

كم من صديق حال فى وده * ولم أزل أرويه عن محضه
حضوره عين على وده * وغيبه عين على بغضه
ولم أكن أجهل هذا ولا * عجزت أن أجرى على قرضه
لكن من قدرنى بعضه * احب ان أصفح عن بعضه

وقوله رحمه الله يوم عيد وهو مما ألهج به أنا كثيرا

يقولون لى خل عنك الاسى * ولذ بالسرور فذا يوم عيد
فقلت لهم والاسى غالب * ووجدى يحيى وشوقى يزيد
توعدنى مالكى بالفراق * فكيف اسر وعيدى وعيد

وقوله رحمه الله

حبيب زارنى فى الليل سرا * فأحيا نفس مشتاق اليه
وعللنى بنشر المسك منه * وحيانى بصفحة وجنتيه
وعانقنى عناق الود صفعا * وفارقنى فيالهفى عليه

(رجع) وتوفى الاستاذ سيبويه زمانه أبو عبد الله محمد بن على بن الفخار أستاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثانى عشر رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة رحمه الله (رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى *(ومنهم الاستاذ ابن العواد) قال فى الاحاطة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده فى تحمل المنزل حق حمله تقوى وصلاحا وخصوصية واتقانا ونغمة

عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على قد أرادنى على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى ياأمير المؤمنين هذا الذى ترى المشنع على خرج والله مع أخى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على على جدك المنصور وهو القائل من أبيات

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا
ان الخلافة فيكم يابنى حسن

فى شعر طويل وليس سعايته ياأمير المؤمنين حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له ياعبد الله فلما أراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت آنفا انه قال لك ما ذكرته قال عبد الله فانى احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة

ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واضطلاعا بغرائبه واستيعابا لسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد الولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا على مقرا أبى عمرو ثم نقلنى الى استاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به انتهى *(ومن أشياخه رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبد الله بن بيبش) وله رحمه الله تعالى نظم جيد فمنه قوله ملغزا فى مسطرة الكتابة

ومقصورة خلف الحجاب وسرها * مضاع فما يلقاك من دونها ستر
لها جثة بيضاء أسبل فوقها * ذوائب زانتها وليس لها شعر
اذا ألبست مثل الصباح وبرقعت * رأيت سواد الليل لم يعده الفجر
عقيلة صون لا يفرق شملها * سوى من اهمته الخطابة والشعر

وقوله فى ترتيب حروف الصحاح

اساجعة بالواديين تبوّئى * ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعى ذكر وض زاره سقى شربه * صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادى قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهناهداه يراقب

وله جواب عن البيتين المشهورين

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتنى طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكانى
لا غرو اذ كان لى مضافا * أنى على الكسر فيه بانى

وقد ذكرت ذلك فى غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين فليراجع فى الباب الخامس من هذا الكتاب *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبو عبد الله بن بكر قال فى الاحاطة وقرأت على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر رحمه الله تعالى انتهى وقاضى الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضى القضاة عند المشارقة فليعلم ذلك *وابن بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن سعيد الاشعرى المالقى من ذرية أبى موسى الاشعرى كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراءة مبرزا فى الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وجرحا حافظا للانساب والاسماء والكنى قائما على العربية مشاركا فى الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض الجناح حسن الخلق عطوفا على الطلبة محبا فى العلم والعلماء مطرحا للتصنع عديم المبالاة بالملبس بادى الظاهر عزيز النفس نافذ الحكم تقدم ببلده مالقة ناظرا فى امور العقد والحل ومصالح الكافة ثم ولى القضاء بها فأعز الخطة وترك الشوائب وأنفذ الحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا للاوقات حريصا على الافادة ثم ولى القضاء بغرناطة المحروسة سنة ٧٣٧ فقام

فقال موسى الله أكبر حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن جده على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفى قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر فى أمره قال الفضل فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فامرت من يتعرف خبره فعرفت أنه أصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامى حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه فى حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت أحمال شوك تمر فى الطريق فقلت على بالواح ساج فطرحت على موضع قبره

بالوظائف وصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين واستهدف بذلك
الى معاداة ومناضلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتبعة فناله لذلك
من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله حتى كان لا يمشي الى الصلاة ليلا ولا يطمئن على حالة وجرت
له في ذلك حكايات الى أن عزم عليه الامير أن يرد للعدالة بعض من أخره فلم يجد في قناته
مغمزا ولا في عوده مجمعا وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنونا جمة فنفع وخرّج واقرأ القرآن
ودرس الفقه والاصول والعربية والفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا
على انشراح صدر وحفظ تحمل وخفض جناح قال القاضي ابن الحسن انه كان صاحب عزم
ومضاء وحكم صادع وقضاء احرق قلوب الحسدة واعز الخطة بازالة الشوائب وذهب
وفضض الحق بمعارفه ونفذ في المشكلات وثبت في المعضلات واحتج وبكت وتفقه
ونكت *وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقوري قال كنت جالسا بمجلس حكمه فرفعت اليه
امرأة رقعة مضمنها أنها محبة في مطلقها وتبتغي الشفاعة لها في ردها فتناول الرقعة ووقع على
ظهرها بالاهملة الحمد لله من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعه اصاخة مغيث وليشفع للمرأة
عند زوجها تأسيا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة في مغيث والله يسلم لنا العقل
والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين والسلام من كاتبه قال الشقوري قال لي بعض
الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح ان الحاكم لا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه على
المنصوص *قرأ ابن بكر المذكور على الاستاذ ابن أبي السداد الباهلي القرآن جمعا وافرادا
والعربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح أبي عبد الله بن عياش كثيرا من
كتب الحديث وسمع عليه جميع صحيح مسلم الا دولة واحدة وأخذ عن الاستاذ ابي جعفر بن
الزبير والخطيب بن رشيد والولي الصالح ابي الحسين بن فضيلة والاستاذ ابي عبد الله بن
الكماد واجازه العدل الرواية ابو فارس عبد العزيز بن الهواري وابو اسحق التلمساني
*(ومن أهل افريقية) المعمر أبو محمد بن هرون ومحمد بن سيد الناس *(ومن أهل مصر)
الشرف الدمياطي وجماعة من أهل الشام والحجاز فقد رحمه الله تعالى في المصاف يوم المناجزة
بطريف زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر وقال له
انصرف هذا يوم الفرح اشارة لقوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله وذلك ضحى
يوم الاثنين ٧ جمادى الاولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى *(ومن أشياخ لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ أبو اسحق بن أبي يحيى الشهير الذكر في المغرب) وقد عرف
به في الاحاطة في اسم ابراهيم من ترجمة الغرباء بما نصه ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر
التسولي من أهل تازي يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى (حاله من الكتاب المؤتمن)
كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبي زيد حسن الاقراء لهما وله عليهما
تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته اياهما على أبي الحسن الصغير حضرت مجالسه بمدرسة
عدوة الاندلس من فاس ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريسا منه كان فصيح اللسان
سهل الالفاظ موفيا حقوقها وذلك لمشاركته الحضر فيما بايديهم من الادوات وكان مجلسه
وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء على خلق بائنة على اخلاق

ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فأكثر التعجب من ذلك وأمرني بتخلية
موسى بن عبد الله رضي
الله عنه وان أعطيه ألف
دينار وأحضر الرشيد موسى
فقال له لم عدلت عن اليمين
المتعارفة بين الناس قال
لانا روينا عن جدنا علي
رضي الله عنه أنه قال من
حلف بيمين مجد الله فيها
استحيا الله من تعجيل
عقوبته وما من أحد حلف
بيمين كاذبة نازع الله فيها
حوله وقوته الا عجل الله له
العقوبة قبل ثلاث وقيل
ان صاحب هذا الخبر هو
يحيى بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسن بن علي أخو
موسى بن عبد الله رضوان
الله عليهم وكان يحيى قد
سار الى الديلم مستجيرا
فباعه صاحب الديلم من
عامل الرشيد بمائة ألف
درهم فقتل اه وقد روي
من وجه آخر على وجه
حسب تباين النسخ وطرق
الرواية في ذلك في كتب
الانساب والتواريخ أن
يحيى التي في بركة فيها
سباع قد جوعت فأمسكت
عن أكله ولاذت بناحيته
وهابت الدنو منه فبني
عليه ركن بالجص والحجر
وهو حي وقد كان محمد بن
جعفر بن يحيى بن عبد الله
ابن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد

اهل

أهل مصره امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله فى الرسائل فرفى ذلك حظ كبير من عمره ضائعا الا فى راحة دنيا ولا فى نصب آخرة ثم قال وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا الى ما يعطونه لا الى ما يأخذون من عمره و راحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا *(ومن كتاب عائد الصلة) الشيخ الفقيه الحافظ القاضى من صدور العلم له مشاركة فى العلم وتبحر فى الفقه كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل فى السفارة فلقيناه بغرناطة وأخذنا بها عنه تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة كريم الطبع صحيح المذهب (تصانيفه) قيد على المدونة بمجلس شيخه أبى الحسن كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل فى سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الافادة (مشيخته) لازم أبا الحسن الصغير وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه فى التفقه به وروى عن أبى زكريا بن يس قرأ عليه كتاب الموطا الا كتاب المكاتب و كتاب المدبر فانه سمعه بقراءة الغير وعن أبى عبد الله بن رشيد قرأ عليه الموطا وشفاء عياض وعن أبى الحسن بن عبد الجليل السدوانى قرأ عليه الاحكام الصغرى لعبد الحق وأبى الحسن بن سليمان قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد وعن غيرهم (وفاته) فلج باخرة فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان ومن دونه وتوفى بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى وقال ابن الخطيب القسمطينى ان ابن أبى يحيى المذكور توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة انتهى *(ومن أشياخ لسان الدين الطنجالى الهاشمى وهو محمد بن أحمد) قال فى عائد الصلة كان على سنن سلفه كثرة حيا وسمة صلاح وشدة انقباض وافراط ووقار وحشمة بذ الكهولة على حداثة سنه فى باب الورع والدين والاغراق فى الصلاح والخير وتقدم خطيبا ثم قاضيا ببلده فاظهر من النزاهة والعدالة ما يناسب منصبه ففزع الناس اليه فى كائنة الوباء العظيم باموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم فاستقر فى يده من المال الصامت والحلى والذخيرة والعدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه ووضعه وفق عهوده فلم يتلبس منه بنقير ولا قطمير وكان مدركا أصيل الرأى قائما على الفرائض والحساب ثم تحرج وطلب الاعفاء فاسعف به على حال ضنانة وفى ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن الحسن يخاطبه

لك الله يا بدر السماحة والبشر * رفعت باعلى رتبة راية الفخر
ولا سيما لما وليت أمورها * فرويتها من عذب نائلك الغمر
ودارت قضاياها عليك باسرها * على حين لا يرعين على بر
فقمت بها خير القيام مصمما * على الحق تصميم المهندة البتر
فسر بك الاسلام يا ابن جامة * وأمست بك الايام باسمة الثغر
تعيد عليك الحمد ألسن حالها * وتتلو لما يرضيك من سور الشكر
لذاك أمير المسلمين بعدله * أقامك تقضى فى الزمان على جبر
فاحييت رسم العلم بعد مماته * وغادرت وجه الحكم اسنى من البدر
ولكنك استعفيت عنه تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى

فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم فى البلدان وفى سنة ثمان وثمانين ومائة حج الرشيد وهى آخر حجة حجها فذكر عن أبى بكر بن عياش وكان من علية أهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة فى حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بنى العباس بعده أبدا فقيل له أضرب من الغيب قال نعم قيل بوحى قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول فى هذا الموضع وأشار الى الموضع الذى قتل فيه بالكوفة رضى الله عنه وفى سنة تسع وثمانين ومائة وذلك فى أيام الرشيد مات على بن حمزة الكسائى صاحب القرا آت ويكنى أبا الحسن وكان قد شخص مع الرشيد الى الرى فمات بها وكذلك مات محمد بن الحسن الشيبانى القاضى ويكنى أبا عبد الله ودفن بالرى وهو مع الرشيد وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا كان رآها فى نومه اه وفى هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك بن خالد وفى

فكم من ولى فر عنه لعلمه * به كأبى الحجاج جدك من ذخر
فزاد اتصالا عزه باجتنابه * له وسما قدرا على قنة النسر
جريت على نهج السلامة فى الذى * تبعت له فابشر بامنك فى الحشر
وأرضاك مولاك الامام بفضله * وأعفاك اعفاء الكرامة والبر
فانت على الحالين أفضل من قضى * وأشرف من يعنى الى آخر الدهر
لماخرت من شتى المعالى التى بها * تحليت عن أسلافك السادة الغر
صدور مقامات المعارف كلها * بحور النوال الجم فى اليسر والعسر
هم النفر الاعلون من آل هاشم * وناهيك من مجد أثيل ومن فخر

وهى طويلة انتهى * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الشيخ الامام الخطيب الرئيس سيدى ابو عبد الله بن مرزوق) ولنلخص ترجمته من الاحاطة وغيرها فنقول هو محمد ابن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية بشمس الدين قال أبو الحسن على بن لسان الدين بن الخطيب فى حقه سيدى وسند أبى فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام ومستخدم السيوف والاقلام ومولى أهل المغرب على الاطلاق أبقاه الله تعالى وأمتع بحياته وأعاننى على ما يجب فى حقه قاله تربيته وولده على ابن المؤلف انتهى يعنى ابن الخطيب وقال لسان الدين هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأتى خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب درب على صحبة الملوك والاشراف متقاض لايثار السلاطين والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويفتلهم فى الذروة والغارب بتنزله ويهتدى الى اغراضهم الكمينة بحذقه ويصطنع غاشيتهم بتلطفه ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط عظيم المشاركة لاهل وده والتعصب لاخوانه الف مألوف كثير الاتباع والعلق مسخر الرقاع فى سبيل الوساطة مجدى الجاه غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط انيقه عذب التلاوة متسع الرواية مشارك فى فنون من أصول وفروع وتفسير يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدو السداد فى ذلك فارس منبر غير جزوع ولا هياب رحل الى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده رحمه الله تعالى فحج وجاور ولقى الجلة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وصرف وجهه الى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا لا خلطه بنفسه وجعله مفضى سره وامام جمعته وخطيب منبره وأمين رسالته فقدم فى غرضها على الاندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولما حالت بالامير المذكور الحال استقر بالاندلس مفلتا من النكبة فى وسط عام اثنين وخمسين وسبعمائة وكان قد أقعده للاقراء بالمدرسة من حضرته وفى اخريات عام أربعة وخمسين صرف عنه وجه بره فى أسلوب طماح ودالة وسبيل هوى وقحة فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة وأنفذ فى الرحيل العزمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محل تجلة وبساط قرب مشترك الجاه مجدى التوسط ناجح الشفاعة والله يتولاه ويزيده من

فضله

سنة ثمان وثمانين ومائة كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فحدث غوث بن المدوع عن الرياشى قال سمعت الاصمعى يقول كنت عند الرشيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرسف فى قيوده فلما نظر اليه قال هيه يا عبد الله كأنى انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأنى بالوليد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بنى هاشم والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم منى قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أو توأما فقال بل توأما قال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه فى رعاياك التى استرعاك قد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو كعب بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان أو بيان أو جدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى أو زحل

قال فأراد يحيى بن خالد البرمكى ان يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغنى أنك حقود فقال أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندى انهما الباقيان

فضله * (مشيخته) من كتابه المسمى بحالة المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز * (فمن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام الامام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن على بن اسمعيل الواسطى) صاحب خطتى الامامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوى وأفرد جزأ فى مناقبه * (ومنهم الشيخ الامام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجى السعدى العبادى) تحمل عن عفيف الدين أبى محمد عبد السلام بن مزروع وأبى اليمن وغيره * والشيخ الامام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الامامة والخطابة به ومنشد الامداح النبوية هنالك * والشيخ الصالح الثقة المعمر محيي الدين أبو زكريا يحيي بن محمد المغراوى التونسى سمع ابن حامل والتوزرى * والشيخ نور الدين أبو الحسن على بن محمد الجبار الفراش بحرم رسول الله والوقاد به وكان مقصودا من كل قطر * والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعانى نائب القضاء بالمدينة * والشيخ الامام قاضى القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الاخميمى بن الاسيوطى * والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشى * والشيخ شهاب الدين أحمد ابن عبد الله المعتقى سمع ابن مزروع البصرى وغيره * والشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعى المصرى الخطيب بالمسجد الكريم بها * والشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير بن أبى صعصعة الاسوانى * والشيخ عفيف الدين المطرى * والشيخ الاديب أبو البركات أيمن بن محمد بن محمد الى أربعة عشر ابن أيمن التونسى المجاور * والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى التونسى المجاور * والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبى ركبون التونسى وقرأ بها على أبيه القرآن العظيم قال وكانت قراءتى عليه بالمدينة عند قبره عليه الصلاة والسلام * (وبمكة شرفها الله تعالى) الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجى المكى المتوفى وقد قارب المائة * والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر الطبرى المكى * والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمى * وشيخ شيوخ رباط الاعجام حيدر بن عبد الله المقرى * والشيخ مقرى الحرم برهان الدين ابراهيم بن مسعود بن ابراهيم الايلى المصرى * والشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمى * والامام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله القسطلانى التوزرى * والشيخ الامام الصالح أبو محمد عبد الله بن اسعد الشافعى الحجة انتهت اليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم * والشيخ فخر الدين عثمان بن أبى بكر النويرى المالكى * والشيخ الامام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازى اليمنى * والشيخ قاضى القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبرى * والشيخ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن براجين القشيرى التلمسانى وقرأ بها على أبيه والبسه بها الخرقة * والشيخ الملاك شرف الدين عيسى بن محمد بن ابى بكر بن ايوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد ابن أبى بكر بن أيوب * والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن ابراهيم الطبرى المكية * والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان المراكشى السفاح * والشيخ قاضى القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكنانى قاضى

الملك ثم أمر به فرد الى محبسه ثم التفت الى الاصمعى فقال والله يا أصمعى لقد نظرت الى موضع السيف من عنقه مرارا يمنعنى من ذلك ابقائى على قومى فى مثله (حدث) يوسف بن ابراهيم بن المهدى قال حدثنى سليمان الخادم الخراسانى مولى الرشيد انه كان واقفا على رأس الرشيد بالحيرة وهو يتغدى اذ دخل عليه عون العبادى وكان صاحب الحيرة وفى يده صحفة فيها سمكة منعوتة السمن فوضعها بين يديه ومعه محشى قد اتخذ لها فحاول الرشيد أكل شئ منها فمنعه جبريل بن بختيشوع وأشار جبريل الى صاحب المائدة ان يشيلها عن المائدة ويعزلها له ففطن له الرشيد فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده وخرج جبريل أمرنى الرشيد باتباعه وان أكبسه فى منزله وهو يأكل فارجع اليه بخبره ففعلت ما أمرنى وأحسب ان أمرى لم يخف على جبريل فيما تبينت من تحرزه وانه صار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فاحضر له وفيه السمكة فدعا باقداح ثلاث فجعل فى واحد منها قطعة

من السمك وصب عليها من خمر طبرناباذ (وهى قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم

وأشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل البقاع من الفرات شرابها موصوف بالجودة كوصف

القضاة بالديار المصرية *(وبمصر)* الشيخ علاء الدين القونوي * والتقي السعدي * وقاضي القضاة القزويني وهو شهير الذكر رفيع القدر * وقاضي القضاة البرهان الحنفي * والشرف أقضى القضاة الاخميمي * والشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد الفارقي * والقطب الحافظ أبو محمد بن منير * والشهاب أحمد الجوهري الحلبي * والمعمر الشرف يحيى المقدسي بن المصري والشيخ محسن القرشي * والشهاب الحنبلي * وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري * والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه * والامام أبو حيان * والمؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن علي ابن حاتم بن خليش الزبيري المصري يبلغ شيوخه نحوا من ألفي شيخ * والشيخ الشمس بن عدلان والشهاب البوشي المالكي * والشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثعلب المصري مدرس المالكية * والشمس بن كتشغري الخطابي الصيرفي * والعماد بن المنجم الدمياطي * والتاج الاشعري * والتقي الثعلبي * والفتح بن عبد القوي * والشمس الورجي والتقي الاشموني * والعلامة التقي السبكي * والمعروف بن بنت الشاذلي * وأبو الحسن التميمي * والبرهان الخيمي * والشمس الاسواني * والبرهان الحكري * والشمس بن جابر الوادي آشي * وأبو محمد عبد الكريم الطوسي * وأبو فارس الزروالي التونسي * وصالح بن عبد العظيم بن يونس * وأبو عبد الله بن القماح * والتاج التبريزي * والشيخ محمود الاصبهاني والشرف المقيلي * والبرهان السفاقسي *(ومن النساء)* الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومي البكري *(وببلبيس)* اسد الدين يوسف بن داود الايوبي من أبناء الملوك *(ومن الشاميين بالمقدس)* علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب وخطيب القدس النور بن الصائغ المقدسي ومحمد بن علي بن مثبت الاندلسي والبرهان الجعبري امام الخليل *(ومن أهل دمشق)* البرهان بن الفركاح والشمس بن مسلم قاضي الحنابلة *(وبالاسكندرية)* أحمد المرادي بن العشاب وأبو القاسم بن علي بن البراء والناصر بن المنير (وبطرابلس) الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار (وبتونس) الزبيدي والقاضي ابن عبد الرفيع والقاضي بن عبد السلام وابن راشد وأبو موسى والمحدث أبو عبد الله التلمساني والحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمساني نزيل تونس وأبو محمد بن سعد الله بن أبي القاسم بن البراء (وببلاد الجريد) الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن حيون (وبالزاب) ابن أبي والشيخ أبو محمد بن راشد (وببجاية) الامام النظار المجتهد أبو علي ناصر الدين المشذالي والحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بالبخت الزواوي والشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر وغيرهم (وبتلمسان) الشيخان الامامان ابنا الامام وقاضي القضاة بها أبو عبد الله بن هدية والخطيب أبو محمد المجاصي والشريف أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسني والشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن علي المعروف بابن اسحق الخياط وغيرهم *(محنته)* اقتضى الخوض الواقع بين يدي تاميل الامير أبي الحسن رحمه الله تعالى عودة الامر اليه وقد ألقاه اليم الى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بني زيان ارضاء لقبيلهم المتهم بمداخلته وقد رحل

القطر بلى) فصبه على السمكة وقال هذا أكل جبريل وجعل في قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل في القدح الثالث قطعا من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ما قدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزأ يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى أن ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألني عما عندي من خبر جبريل وهل أكل من السمكة شيأ أم لم يأكل فأخبرته بالخبر فأمر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما في القدح الاول وهو الذي ذكر جبريل انه أكله وصب عليه الخمر الصرف قد تفتت وانماع واختلط ووجد ما في القدح الثاني الذي قال

عنهم

عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى فصرف مأخوذا عليه طريقه منتهبا رحله منتهكة حرمته وأسكن قراره مطبق عميق القعر مقفل المسالك حريز القفل ثانى اثنين انتهى ملخصا (ورأيت) بخط ابن مرزوق على قوله وقد رحل عنهم دسيسا الى آخره مانصه لم أرحل عنهم الا باذنهم واقتراحهم على فى الاصلاح بينهم لكنهم غدر واتقية على أنفسهم قاله ابن مرزوق انتهى وكتب تحته ولد ابن الخطيب ماصورته نعم ماتوا* وعند الله تجتمع الخصوم* انتهى (رجع) الى كلام لسان الدين فى حقه قال بعد الكلام السابق مالخصه ولا يام قتل ثانيه ذبحا كان بعقر به من شفا تلك الركية وانقطع أثره وأيقن الناس بفوات الامر فيه ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه فى خبر يطرطرفه الى الكرامة فنجا ولا تسل كيف وخلصه الله خلاصا جميلا وقدم على الاندلس والله ينفعه بنيته انتهى (وكتب) ابن مرزوق على هذا المحل مانصه لم يكن المقتول حين قتل معى ولا قتل ذبحا قاله ابن مرزوق انتهى وكتب بعض علماء مصر تحته مانصه هذه دعوى والمؤرخ أعرف انتهى فكتب آخر بعد هذا مانصه أتخبرنى عنى انتهى (رجع) ثم قال لسان الدين فى ترجمة شعره ماصورته ركب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قبابها البيض وزينت الفحص العريض والروض الاريض فارتجل فى ذلك

انظر الى النوار فى أغصانه * يحكى النجوم اذا تبدت فى الحلك
حيا أمير المسلمين وقال قد * عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسفا حزت الجمال بأسره * فمحاسن الايام تومى هيت لك
أنت الذى صعدت به أوصافه * فيقال فيه ذا مليك أو ملك

الى أن قال ومن الشعر المنسوب الى محاسنه ما أنشده عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم عام ثلاثة وستين وسبعمائة

قل لنسيم السحر * لله بلغ خبرى
ان أنت يوما بالحمى * جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من * فوق الكثيب الاعفر
مستقريا فى عشبه * مخفى وطء المطر
تروى عن الضحاك فى الروض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى * وجدى بهم وسهرى
وحقهم ما غيرت * ودى صروف الغير
لله عهد فيه قضيت حميد الاثر
أيامه هى التى * أحسبها من عمرى
وباليل فيه ما * عيب بغير القصر
العمر فينان وجه الدهر طلق الغرر
والشمل بالاحباب منظوم كنظم الدرر

النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذى قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين ان خالط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدث له سهوكة كاد الرشيد أن يتقايأ حين قرب منه فامر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومنى على محبة هذا الرجل الذى يدبرنى بهذا التدبير فاوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله ابن مالك الخزاعى وكان على دار الرشيد وشرطته قال أتانى رسول الرشيد فى وقت ما جاءنى فيه قط فانتزعنى من موضعى ومنعنى من تغيير ثيابى فراعنى ذلك فلما صرت الى الدار سبقنى الخادم فعرف الرشيد خبرى فاذن لى فى الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلى وتضاعف الجزع ثم قال لى يا عبد الله أتدرى لم طلبتك فى هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال انى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشيا قد أتانى ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين

في ذلك اليك قال فمضيت
الى الحبس لاخرجه فلما
رآني موسى وثب الى قائما
وظن أني قد أمرت فيه
بمكروه فقلت لا تخف قد
أمرني أمير المؤمنين
باطلاقك وان أدفع اليك
ثلاثين ألف درهم وهو
يقول لك ان أحببت المقام
قبلنا فلك ما تحب وان أحببت
الانصراف فالامر في ذلك
مطلق اليك وأعطيته
الثلاثين ألف درهم وخليت
سبيله وقلت له لقد رأيت
من أمرك عجبا قال فاني أخبرك
بينما أنا نائم اذ أتاني النبي
صلى الله عليه وسلم فقال
موسى حبست مظلوما فقل
هذه الكلمات فانك لا تبيت
هذه الليلة في الحبس
فقلت بابي وأمي ما أقول
فقال قل يا سامع كل صوت
ويا سابق الفوت ويا كاسي
العظام لحما ومنشرها بعد
الموت أسألك باسمائك
الحسنى وباسمك الاعظم
الاكبر المخزون المكنون
الذي لم يطلع عليه أحد من
المخلوقين يا حليما ذا اناة
لا يقوى على أناته يا ذا
المعروف الذي لا ينقطع
أبدا ولا يحصى عددا فرج
عني فكان ما ترى (وذكر)

صفو من العيش بلا * شائبة من كدر
ما بين أهل تقطف الانس جنى الثمر
وبين آمال تبيع القرب صافي الغدر
يا شجرات الحي حياك الحيا من شجر
اذا أجال الشوق في * تلك المغاني فكري
خرجت من خدي حديث الدمع فوق الطرر
وقلت يا خدار ومن * دمعي صحاح الجوهري
يهدي بحادي الركب كالورقاء عند السحر
والعيس تجتاب الفلا * واليعملات تنبري
تخبط بالاخفاف مظلوم البرى وهو بري
قد عطفت عن ميد * والتفتت عن حور
قسي سير ما سوى العزم لها من وتر
حتى اذا الاعلام حلت لحق البشر
واستبشر النازح بالقرب ونيل الوطر
وعين الميقات للسفر نجاح السفر
فالناس بين محرم * بالحج أو معتمر
لبيك لبيك اله الخلق باري الصور
ولاحت الكعبة بيت الله ذات الاثر
مقام ابراهيم والمأمن عند الذعر
واغتنم القوم طوا * ف القادم المبتدر
وأعقبوا ركعتي السعي استلام الحجر
وعرفوا في عرفا * ت كل عرف أذفر
ثم أفاض الناس سعيا في غد للمشعر
فوقفوا وكبروا * قبل الصباح المسفر
وفي منى نالوا المنى * وأيقنوا بالظفر
وبعد رمي الجمرا * ت كان حلق الشعر
أكرم بذاك السفر والله وذاك السفر
يا فوزه من موقف * يا ربحه من متجر
حتى اذا كان الودا * ع وطواف الصدر
فاي صبر لم يخن * أو جلد لم يغدر
وأي وجد لم يصل * وسلوة لم تهجر
ما أفجع البين لقلب الواله المستعبر
ثم ثنوا نحو رسو * ل الله سير الضمر

حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال قال ابراهيم بن المهدي حججت مع الرشيد فبينا نحن في

فعاينوا فى طيبة * لألاء نور نير
زاروا رسول الله واستشفوا بلثم الجدر
نالوا به ما أملوا * وعرجوا فى الاثر
على الضجيعين أبى * بكر الرضا وعمر
زيارة الهادى الشفيع جنة فى المحشر
فاحسن الله عزا * ء قاصد لم يزر
ربع ترى مستنزل الآى به والسور
وملتقى جبريل بالهادى الزكى العنصر
ور وضة الجنة بين روضة ومنبر
منتخب الله و مختار الورى من مضر
والمنتقى والكون من * ملابس الخلق عرى
اذ لم يكن فى أفق * من زحل ومشترى
ذو المعجزات الغر أمثال النجوم الزهر
يشهد بالصدق له * منها انشقاق القمر
والضب والظبى الى * نطق الحصى والشجر
من أطعم الالف بصا * ع فى صحيح الخبر
والجيش روّاه بما * ء الراحة المنهمر
يا نكتة الكون التى * فاتت منال الفكر
يا حجة الله على الرائح والمبتكر
يا أكرم الرسل على الله وخير البشر
يامن له التقدم الحق على التاخر
يامن لدى مولده المقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ * ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفى * كأنه لم يسعر
ياعمدتى يا ملجئى * يامفزعى ياوزرى
يامن له اللواء والحوض وورد الكو
يامنقذ الغرقى وهم * رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق أملى * بؤت بسعى المخسر
صلى عليك الله يا * ثمال كل معسر
صلى عليك الله يا * نور الدجى المعتكر
ياويح نفسى كم أرى * فى غفلة من عمرى
واحسرتى من قلة الزاد وبعد السفر
يحجنى والله بالبرهان وعظ المنبر

الطريق وقد انفردت أسير وحدى وأنا على دابتى اذ حملتنى عيناى فسلكت بى الدابة غير الطريق فانتبهت وأنا على غير الجادة فاشتد بى الحر فعطشت عطشا شديدا فارتفع لى خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم أر بها انسيا فاطلعت فى القبة فاذا انا باسود نائم فاحس بى ففتح عينيه كأنهما أجانتا دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يا اسود اسقنى من هذا الماء فقال يا اسود اسقنى من هذا الماء محاكيا لى وقال ان كنت عطشانا فانزل واشرب وكان تحتى برذون خبيث نفور فخشيت ان انزل عنه فينفر فضربت راس البرذون وما نفعنى الغناء قط الا فى ذلك اليوم وذلك انى رفعت عقيرتى وانا اغنى

كفنونى ان مت فى درع اروى
واستقوا لى من بئر عروة ماء
فلها مربع بجنب اجاج
ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود راسه الى وقال ايما احب اليك أن اسقيك ماء وحده او ماء وسويقا فقلت الماء والسويق فأخرج قعبا له فصب السويق فى القدح فسقانى واقبل يضرب بيده على راسه وصدره ويقول واحر صدراه وانارات اللهب فى فؤادى يا مولاى زدنى وانا ازيدك وشربت

هذه وأحملها قدامك فقلت افعل قال فملأ قربته وسار قدامى وهو يحجل فى مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا امسكت لاستريح أقبل على فقال يا مولاى عطشت فاغنيه النصب الى أن أوقفنى على الجادة ثم قال لى سرعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمى معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدنى وقد بث البخت والخيل فى البريطلبونى فسربى حين رآنى فاتيته فقصصت عليه الامر فقال على بالاسود فما كان الاهنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ماحر صدرك فقال يا مولاى ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يا مولاى فامر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبنى جعفر الطيار واذا السوداء التى يهواها القوم من ولد الحسن ابن على فأمر الرشيد بابتياعها له فأبى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من

يا حسنها من خطب * لو حركت من نظرى
يا حسنها من شجر * لو أورقت من ثمر
أؤمل الاوبة والامر بكف القدر
أسوف العزم به * من شهر لشهر
من صفر لرجب * من رجب لصفر
ضيعت فى الكبرة ما * أعددته فى صغرى
وليس مامر من الايام بالمنتظر
وقلما ان جدت * سلامة فى غرر
ولى غريم لا ينى * فى طلب المنكسر
يا نفس جدى قد بدا الصبح ألا فاعتبرى
واتعظى بمن مضى وارتدعى وازدجرى
ما بعد شيب الفود من * مرتقب فشمرى
أنت وان طال المدى * فى قلعة وسفر
وليس من عذر يقيم حجة المعتذر
يا ليت شعرى والمنى * تسرق طيب العمر
هل أرتجى من عودة * أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من * ذاك الزلال الخصر
مقتديا بمن مضى * من سلف ومعشر
نالوا جوار الله وهو الفخر للمفتخر
أرجو بابراهيم مو * لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمترى * فى الصدق منه ممترى
وهو الامام المرتضى * والخير ابن الخير
أكرم من نال العلا * بالمرهفات البتر
محمد الملك وسيف الحق والليث الجرى
خليفة الله الذى * فاق بحسن السير
وكان منه الخبر فى العلياء وفق الخبر
فصدق التصديق من * مرآه للتصور
ومستعين الله فى * ورده وصدر
فاق الملوك الصيد بالمجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم * منسية لم تذكر
وحاز منه أوحد * وصف العديد الاكثر
برأيه المأمون أو * عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو * بعزمه المقتدر

ماله بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل) ابن السماك على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط بالعلم

بالعلم المنصور رأو * بالذابل المنتصر
يا ابن الامام الطاهر البر الزكى السير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من * مثلى كوسع المكثر
فان يقصر ظاهرى * فلم يقصر مضمرى انتهى

قلت قول لسان الدين فى حق هذه القصيدة انها من الشعر المنسوب الى محاسنه تعريض خفى بان هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلت على لسانه حسبما جرت بذلك عادة الا كابر والرؤساء أن ينسب اليهم ما ليس من كلامهم فى نفس الامر وليس الواقع عندى كذلك لان باع ابن مرزوق فى النظم والنثر مديد فأنى يقصر عن هذا القصيد ومن يصدر منه على البديهة قوله * انظر الى النوّار فى أغصانه * الابيات السابقة فى اللوز لا يستغرب منه مثل هذا ولذا كتب ابن لسان الدين على قول والده من الشعر المنسوب الى محاسنه ما صورته حضرت انشاءها وانشادها ليلة الميلاد الشريف فى التاريخ المذكور واستحسنها شعراء العدوتين وهى مما لا تنكر على مدارك سيدى أبى عبد الله ورسوخه فى علم النظم والنثر قاله على بن الخطيب اه وكتب بعضهم على قوله فى هذه القصيدة

أيامه هى التى * أعدها من عمرى ما نصه * ولت والله انتهى فكتب ابن مرزوق بعده ما نصه لكنها بدلت بخير منها والحمد لله وحصلت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما انتهى * وكتب ابن لسان الدين على قوله وقلما ان جدت * سلامة فى غرر ما نصه كذلك كان وليت والدى رحمه الله تعالى كذلك انتهى * وكتب على قوله برأيه المامون الخ ما نصه لو كان له رأى مامون مانزل على قلعة الملك لسكنى القصبة بدخيلة طلب الراحة فضربت عنقه وكانت الراحة منه انتهى * وكتب بعض اثر هذا ما صورته القدر لا يغالب الحذر ينفع مالم يأتك القدر فاذا أتى قدر لم ينفع حذر انتهى وكتب ابن لسان الدين على قوله فلم يقصر مضمرى ما صورته صدق والله انتهى * ثم قال لسان الدين ووردت باب السلطان الكبير أبى عنان فبلوت من مشاركته وحميد سعيه ما يليق بمثله ولما نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة فى أمره فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الامر لاخيه المتلاحق من الاندلس أبى سالم بعد الولد المسمى بالسعيد كان ممن دمث له الطاعة وأناخ راحلة الملك وحلب ضرع الدولة وخطب عروس الموهبة فانشب ظفره فى مناب معقود من لدن الاب مشدود من لدن التقرب فاستحكم عن قرب واستغلظ عن كثب فاستولى على أمره وخلطه بنفسه ولم يستأثر عنه بثه ولا انفرد بما سوى بضع أهله بحيث لا يقطع فى شئ الا عن رأيه ولا يعدو ويثبت الا واقفا عند حده فغشيت بابه الوفود وصرفت اليه الوجوه ووقفت عليه الآمال وخدمته الاشراف وجلبت الى سدته بضائع العقول والاموال وهادته الملوك فلا تحدو الحداة الا اليه ولا تحط الرحال الا لديه ان حضر أجرى الرسم وأنفذ الامر والنهى لحظا أو سرارا أو مكاتبة وان غاب ترددت الرقاع واختلفت الرسل ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوة ومتبذ المناجاة من دونه مصطف الوزراء وغايات الحجاب فاذا انصرف تبعته الدنيا وسارت

هتفت هاتفة اذ نها الف بين ذات طوق مثل عطف النون أقنى الطرفين وتراها ناظرة نحوك من ياقوتتين ترجع الانفاس من ثقبين كاللؤلؤتين وترى مثل الساتين لها قادمتين ولها الحيان كالصدغين من عرعرتين ولها ساقان حمرا وان مثل الوردتين نسجت فوق جناحيها لها برنوستين وهى طاووسية اللون بيان المنكبين تحت ظل من ظلال الأيك صافى الكتفين فقدت الفا فناحت من تباريح وبين فهى تبكيه بلا دمع جمود المقلتين وهى لا تصبغ عينا ها كما تصبغ عينى

(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يا معن قال فى طاعتك يا أمير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هى لك يا أمير المؤمنين قال وانك لجلد قال على أعدائك يا أمير المؤمنين فرضى عنه وولاه قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد

بين يديه الوزراء ووقفت ببابه الامراء قد وسع الكل لحظه وشملهم بحسب الرتب
والاحوال رعيه ووسم افذاذهم تسويده وعقدت ببنان عليتهم بنانه لكن رضا الناس
الغاية التى لاتدرك والحسد بين بنى آدم قديم وقبيل الملك مباين لمثله فطويت الجوانح
على سل وحنيت الضلوع على بث وأغمضت الجفون على قذى الى أن كان من نكبته
الثالثة ماهو معروف جعلها الله له طهورا ولما جرت الحادثة على الدولة بالاندلس وكان
لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ماأسلفته من وده فوفى الكيل واشرك فى الجاه وأدر
الرزق ورفع المجلس بعد التسبب فى الخلاص والسعى فى الجبر جبره الله تعالى وكان له
أحوج مايكون الى ذلك يوم لاينفع مال ولابنون الامن أتى الله بقلب سليم انتهى * وكتب
ابن لسان الدين على هذا المحل ماصورته هذا لسان أبى عليه فى الغيبة والحضور انتهى
(ومما خاطبه به لسان الدين) مهنئا من طريق القدوم على الابواب المرينية فلتا من البلية
بشفاعته مانصه سيدى الذى اليه انقطاعى وانحياشى وملجئ الذى يسر خلاصى وسنى
انتياشى ومنعمى الذى جبر جناحى وأنبت رياشى ومولى هذا الصنف العلمى ولا أحاشى
كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحرة ومسترق فضلكم الذى تألقت منه فى ليل الخطوب
الغرة ابن الخطيب لطف الله به من كذا وقد شد الى ابلاغ النفس عذرها فى مباشرة
تقبيل اليد التى لها اليد العظمى والسجية الرحمى فلكم طوّقت من نعمى وجبال النعم
قد أثقلت الظهر واستغرقت السر والجهر فباى لسان أو باى بنان ولا أثر بعد عيان
تقابل نعم تداركت الرمق وقد أشفى وأبقت الذماء والشروع فى استئصاله الايخفى
فيالك من فرد هزم ألفا ووعد نصر لم يعرف خلفا ونية خلصت تبتغى الى الله زلفى
لقد صدع بها مولاى غريبة فى الزمن بالغا حسن صنيعها صنعاء اليمن مترفعة عن
الثمن وان لم يتم بها مثله فمن فليهن سيدى ماذاع لجده بها من فخر وماقدم يوم تزل
الاقدام من ذخر وماجلب للمقام المولوى الابراهيمى من طيب ذكر واستفاضة حمد
وشكر لقد ارتهن دعاء الحافى والناعل والدال على الخير شريك الفاعل والذى أحيا
النفس جدير بردجدتها وانجاز عدتها واناقد قويت بجاهكم وان كنت ضعيفا
واستشعرت سعدا جديدا وقدرا منيفا وأيقنت أن الله عزوجل كان بى لطيفا اذ هيألى
من وجهة ذلك المقام المولوى على يدكم نصرا عزيزا وبوّأنى من جاهه حرزا حريزا وقد
استأسدت الاعداء وأعضل الداء واعتل الاعتداء وعز الفداء فانفرج الضيق
وتيسرت للخير الطريق وساغ الريق ونجا الغريق غريبة لاتمثل الا فى الحلم ولطيفة
فيها اعتبار لاولى العلم اللهم جاز سيدى فى نفسه وولده وحاله وبلده ومعاده بعد طول
عمره وانفساح أمده وكن له نصيرا احوج مايكون الى نصر واجعل له سعة من كل حصر
واقصر عليه جاه كل قصر كما جعلت ذاته فوق كل ذات وعصره فوق كل عصر وليعلم سيدى
أن من أراد بى منافسة وحسدا وزأر على اسدا لما استقل على الكرسى جسدا من غير
ذنب تبين ولاحد تعين أصابه من خلاصى المقيم المقعد ووعد النفس بامل أخلف منه
الموعد لما استنقذنى الله برحمته من بين ظفره ونابه وغطانى بستر جنابه وكثرنى

فى

أهل البصرة قال ويح هذا ماترك لربه شيئا وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة انى قد أعددتك لأمر كبير فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مشهودا على عدوّك فان شئت فقل وقيل ان هذا الجواب من كلام يزيد بن مزيد (وقال الكسائى) دخلت على الرشيد فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام فقال اقعد فلم أزل عنده حتى خف عامة من كان فى مجلسه ولم يبق الاخاصته فقال لى ياعلى ألاتحب أن ترى محمدا وعبدالله قلت ماأشوقنى اليهما ياأمير المؤمنين وأسرنى بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما فأمر باحضارهما فلم ألبث أن أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هدوء ووقار وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على أبيهما بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فصير محمدا عن يمينه وعبدالله عن يساره ثم أمرنى ان استقرئهما وأسالهما ففعلت فما سألتهما عن شئ الا احسنا الجواب فيه والخروج منه فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه ثم قال لى ياعلى كيف ترى مذهبهما وجوابهما فقلت ياأمير المؤمنين كما قال الشاعر

في العيون على قله وأعزني بعز نصره على حال ذله لم يدع حيلة الا نصبها أمامي ليحبط ذلك المقام الكريم ذمامي ويكدر جمامي ويستدرك حمامي وزعم أن بيده على البعد زمامي ويأبى ذلك رأي يفرق بين الحق وضده وعدل لا يخرج الشئ عن حده فبهت سيدي خوفا أن تنجح حيله أو تفسد وسيله وأنا قادم بالاهل والولد ليعمل في رب الصنيعة على شاكلة المجد الذي هو له أهل فما بابتدائه جهل ولا يختلف في عظم ما اسداه غر ولا كهل ولا ينبه مثله على تتميم واجزال فضل عميم ومؤانسة غريب وصلة نصر عزيز وفتح قريب بحول الله تعالى *(وقال) لسان الدين بعد ما سبق نقله عنه في حق ابن مرزوق ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله تعالى متجنى عليه بسببه محمولا عليه من أجله تقبض عليه وأجمع الملأ على قتله وشد اعتقاله وطلب بالمال العريض وانتهبت أمواله واعتقلت رباعه وجنبت مراكبه واصطفيت أمهات أولاده وتمادى به الاعتقال والشده الى أن عادته عوائد الله في الخلاص من الشده والانتياش عن الورطة ظاهرة عليه بركة سلفه قائمة له حجة الكرامة في أمره (حكى) أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال عرض لي والدي رحمه الله تعالى في النوم فقال يا ولدي اشفع في الفقيه ابن مرزوق فقبلت يده واقتضيت حظه وحكيت دانيته وعينت للوجهة في ذلك قاضي الحضرة فكان ذلك ابتداء الفرج (وحدثني) الثقة من خدام السلطان أبي عنان عنه مخبرا عن نفسه لما نفس عنه من نكبته وأجاره من سخطته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني بذلك وكفى بها جاها وحرمة قلت فترك سبيله وأتيح له ركوب البحر الى البلاد المشرقية باهله وولده فسار في كنف الستر وتحت جناح الوقاية في وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمائة من ساحل باديس صحب الله وجهته وختم عصمته انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين بلفظه (ورأيت) على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط المذكور ما صورته أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه اني قد وصلت الى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة خمس وستين فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالي ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس فيها وهي المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها الى أن توفي سنة احدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه الى أن رحلت في البحر في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين فحللت في الديار المصرية ولقيت من ملكها الذي لم أر في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان ابن حسين فاحسن لي وأجرى علي وعلى أولادي ما قام به الحال وقلدني دروسا ومدارس وأهلني للمثول بين يديه والحال مستمر على ذلك حتى الآن وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العاقبة وكتب في رمضان سنة خمس وسبعين انتهى *وكتب بعده أبو الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ما صورته صدق وهو فوق ذلك كله فقدره معروف ولطالما كان ملك المغرب يفتخر به فصار يفتخر بتقليد الدروس والدهر لا يبقى على حالة *انتهى (قال في الاحاطة) ولما شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه وأكثر النقل وبذل الجهد طلب أهل العدوتين نظم مقطوعات تتضمن من

زكا أصله وطاب مغرسه وتمكنت في الثرى عروقه وعذبت مشاربه أبوهما أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكمان بحكمه ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان في سعادته فامتع الله أمير المؤمنين بهما وآنس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تأدية ما حفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائي ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا أقبل علي فقال كأنك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله قد تشتتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء أنهم في عداد الموتى قلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر روي في أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين في مولدهما فقال لا والله الا باثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء وقال الاحمر النحوي بعث

الثناء على الكتاب المذكور واطراء مؤلفه فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعددت منه الاوراق واختلفت فى الاجادة وغيرها الارزاق ايثارا لغرضه ومبادرة من كل الجهات لاسعاف أربه وطلب منى أن ألم فى ذلك بشئ فكتبت له فى ذلك

شفاء عياض للصدور شفاء * فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية بر لم يكن لمديلها * سوى الاجر والذكر الجميل كفاء
وفى لنبى الله حق وفائه * وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحرا يقول بفضله * على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته * رعاه واغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغنى فى الحياة عتاده * ويترك منه للبنين رفاء
هو الاثر المحمود ليس يناله * دثور ولا يخشى عليه عفاء
حرصت على الاطناب فى نشر فضله * وتمجيده لو ساعدتنى فاء

واستزاد من هذا الغرض الذى لم يقنع فيه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالى من مدينة سلا حرسها الله تعالى

أأزاهير رياض * أم شفاء لعياض
جدل الباطل للحق بأسياف مواضى
وجلا الانواء برهانا * بحق وافتراض
وشفى من يشتكى الغلة فى زرق الحياض
أى بنيان مقال * آمن خوف انقضاض
أى عهد ليس يرمى * بانتكاث وانتقاض
ومعان فى سطور * كأسود فى غياض
وشفاء لصدور * من ضنى الجهل مراض
حرر القصد فما شين بنقد واعتراض
يا أبا الفضل ادر أن الله عن سعيك راضى
فاز عبد أقرض الله برجحان القراض
وجبت غر المزايا * من طوال أو عراض
لك يا أصدق راو * لك يا أعدل قاضى
لرسول الله وفيت بجهد وانتهاض
خير خلق الله فى حا * ل وفى آت وماضى
سدد الله ابن مرزو * ق الى تلك المراضى
زبدة العرفان معنى * كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما أجملت من غير انقباض
ساهرا لم يدر فى استخلاصه طعم اغتماض
ان يكن دينا على الايام قد حان التقاضى

الى الرشيد لتاديب ولده محمد الامين فلما دخلت قال يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك له واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروّه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وبدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القوّاد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له أبشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله ما أعرفه بمواضع الرعية أما والله انى لأتعرف فى عبد الله حزم المنصور ونسك المهدى

دام

دام فى علو ومن عا * داه يهوى فى انخفاض
ماوشى الصبح الدياجى * بسواد فى بياض

ثم نظمت له أيضا فى الغرض المذكور والاكثار من هذا النمط فى هذا الموضع ليس على سبيل التبجح باجادته وغرابته ولكن على سبيل الاشارة بالشرح المشار اليه فهو بالغ غاية الاستبحار

حييت يامختط سبت ابن نوح * بكل مزن يغتدى أو يروح
وحمل الريحان ريح الصبا * أمانة فيك الى كل روح
دار أبى الفضل عياض الذى * أضحت برياه رياضا تفوح
يا ناقل الآثار يعنى بها * وواصلا فى العلم جرى الجموح
طرفك فى الفضل بعيد المدى * طرفك للمجد شديد الطموح
كفاك اعجازا كتاب الشفا * والصبح لاينكر عند الوضوح
لله ما أجزلت فينا به * من منحة تقصر عنها المنوح
روض من العلم همى فوقه * من صيب الفكر الغمام السفوح
فمن بيان الحق زهر بدا * ومن لسان الصدق طير صدوح
تأرج العرف وطاب الجنى * وكيف لايثمر أولا يفوح
وحلة من طيب خير الورى * فى الجيب والاعطاف منها نضوح
ومعلم للدين شيدته * فهذه الاعلام منها تلوح
فقل لهامان كذا أوفلا * يامن أضل الرشد تبنى الصروح
فى أحسن التقويم أنشأته * خلقا جديدا بين جسم وروح
فعمره المكتوب لاينقضى * اذا تقضى عمر سام ونوح
كانه فى الحفل ريح الصبا * وكل عطف فهو غصن مروح
ماعذر مشغوف بخير الورى * ان هاج منه الذكر أن لايبوح
عجبت من أكباد أهل الهوى * وقد سطا البعد وطال النزوح
ان ذكر المحبوب سالت دما * ماهن أكباد ولكن جروح
ياسيد الاوضاع يامن له * بسيد الارسال فضل الرجوح
يامن له الفضل على غيره * والشمس تخفى عند اشراق يوح
ياخير مشروح وفى وا كتفى * من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به * ومن جناب الله تاتى الفتوح

ثم قال وعلى الجملة والتفصيل فهذا الرجل نسيج وحده شهرة وجلالة وخصالا وأبوة صالحة تولاه الله وكان له وانصرف بجملته الى بلاد المشرق عام أربعة وستين وسبعمائة تولاه الله تعالى وأسعد منقلبه ومولده بتلمسان عام احد عشر وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين ولنزد فى هذه الترجمة على ماذكره فنقول (قال) ابن خلدون صاحبنا الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبى مدين بالعباد ومتوارثين تربته من باهو أنهم وفيه مافيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لما حوته يده ومشاركة النساء والاماء

(قال الاصمعى) بينما انا أساير الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكى ثم أنشأ يقول

قلد أمور عباد الله ذا ثقة * موحد الرأى لانكس ولا برم
واترك مقالة أقوام ذوى خطل * لايفهمون اذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت انه يريد امرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيى فما لبث ان اتاه فقال يا أبا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف واعزها بعد الذل فما لبث أن ارتد عامة العرب على ابى بكر وكان من خبره ماقد علمت وان ابا بكر صير الامر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ماقد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير اهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته وأحمد طريقته واثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنو هاشم مائلون الى محمد

لدن جدهم خادمه في حياته وكان جده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا
بالولاية فيهم ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرني عام عشرة وسبعمائة انتهى
وهو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مر عنه ثم قال ابن خلدون وارتحل مع والده الى
المشرق سنة ثلاث عشرة وسمع ببجاية على الشيخ ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع
الى القاهرة فاقام وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين
الى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن محاصر التلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان
عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد
مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثني عليه فحلي بعينه فقربه وهو مع ذلك
يلازم ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الافاضل والاكابر والاخذ عنهم وحضر مع السلطان وقعة
طريف ثم استعمله في الرسالة الى الاندلس ثم الى ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ولده
الماسور يوم طريف ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى فرجع الى المغرب ووفد
على السلطان أبي عنان بفاس مع أمه حظية أبي الحسن ثم رجع الى تلمسان وأقام بالعباد
وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت والسلطان أبو الحسن
بالجزائر وقد حشد هنالك فارسل أبو سعيد بن مرزوق المذكور اليه سرا في الصلح فلما اطلع
أخوه أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه فبعثوا من حبس ابن مرزوق ثم أجازوه البحر
الى الاندلس فنزل على أبي الحجاج سلطانها بغرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء
فلم يزل خطيبه الى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على
تلمسان وأعمالها فقدم عليه ورعى له وسائله ونظمه في أكابر أهل مجلسه ثم بعثه لتونس عام
ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت الخطبة واختفت بتونس
ووشى الى السلطان أبي عنان انه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك وأمر بسجنه فسجن
مدة ثم أطلقه قبل موته * ولما استولى أبو سالم على السلطنة آثره وجعل زمام الامور بيده
فوطئ الناس عتبته وغشي أشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه فلما وثب عمر بن عبد الله
بالسلطان آخر عام اثنين وستين حبس ابن مرزوق ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل
الدولة قتله فمنعه منهم ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبي اسحق
وصاحب دولته أبي محمد بن تافراكين فاكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين وأقام بها
الى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولي ابنه خالد ثم لما قتل السلطان أبو العباس
خالدا واستولى على السلطنة وكان بينه وبين ابن مرزوق شئ لميله مع ابن عمه محمد صاحب
بجاية عزله عن الخطبة فوجم لها فاجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفينة
ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الى القاهرة ولقي اهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه
عندهم وأوصلوه الى السلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية فلم يزل بها موفر الرتبة معروف
الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس الى أن هلك سنة احدى وثمانين انتهى
ملخصا * (وقال الحافظ بن حجر) انه لما وصل لتونس أكرم اكراما عظيما وفوضت اليه
الخطابة بجامع السلطان وتدريس أكبر المدارس ثم قدم القاهرة فأكرمه الاشرف شعبان

في رايه وعبد الله المرضي الطريقة الاصيل الرأى الموثوق به في الامر العظيم فان ملت الى عبد الله اسخطت بني هاشم وان افردت محمدا بالامر لم آمن تخليطه على الرعية فاشر علي في هذا الامر برايك مشورة يعم فضلها ونفعها فانك بحمد الله مبارك الرأي لطيف النظر فقال يا أمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل رأي يتلافى خلا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مأمون والزلة فيه لا تستدرك وللنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فامرني بالتنحي فقمت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما فما زالا في مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على أن عقد الامر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ما انصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق وأعريته من العدد والقواد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وما أنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال اني وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب أحوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفي سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه ولياعهده الامين والمامون وكتب الشرطين بينهما

ودرس

ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والقمحية وكان حسن الشكل جليل القدر مات فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين انتهى * وقال ابن الخطيب القسمطيني هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفى بالقاهرة ودفن بها بين ابن القاسم وأشهب وله طريق واضح فى الحديث ولقى أعلاما وسمعنا منه البخارى وغيره فى مجالس ولمجلسه لباقة وجمال وله شرح جليل على العمدة فى الحديث انتهى (وكتب) بخطه بلدينا أبو عبد الله بن العباس التلمسانى مانصه نقلت من خط بعض السادات كتبه للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق انه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب مانصه الحمد لله على كل حال خرج الطبرى فى منسكه وأبو حفص الملاى فى سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قالا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التى باعلى مكة وليس بها يومئذ مقبور فقال يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر من هم يا رسول الله قال هم الغرباء من أمتى الذين يدفنون ههنا فى هذا الموضع دفن والدى رحمه الله تعالى وبعد سماعه لهذا الحديث بسبعة أيام دفن فيه افتراه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده أفما يشترى هذا باموال الارض افلا يرعى لى ثمانية واربعين منبرا فى الاسلام شرقا وغربا وأندلسا أفلا يرعى لى انه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب اسكندرية الى البحر والى الاندلس غيرى ونحو من مائتين وخمسين شيخا والله تعالى اعلم لكن حرمنى الله تعالى نبذة الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت اللهم غفرانك أفلا يرعى لى مجاورة نحو اثنى عشر عاما وختم القرآن فى داخل الكعبة والاحياء فى محراب النبي صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيرى افلا يرعى لى الصلاة بمكة سنين وغربتى بينكم ومحنتى فى بلدى على محبتكم وخدمتكم من ذا الذى خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله من ذنوبى وذنوبى أعظم وربى أعلم رب ارحم والسلام انتهى ففى هذا دليل على عظم قدره ومكانته فى الدين والدنيا قلت ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق الذى اعرفه وهو يقول قرأت فى هذا المصحف تجاه الكعبة المشرفة اثنى عشر الف ختمة انتهى ومع هذا فقد نسى فى المصحف المذكور لفظة اليك من قوله تعالى ينقلب اليك البصر حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدى ابو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله على الجميع وقال الخطيب المذكور رحمه الله تعالى فى بعض تعاليقه ما صورته ومن اشياخ والدى سيدى محمد المرشدى لقيه فى ارتحالنا الى الشرق وحين حملنى اليه وانا ابن تسع عشرة سنة نزلنا عنده ووافقنا صلاة الجمعة ومن عادته ان لا يتخذ للمسجد اماما وحضر يومئذ من اعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم فى غير ذلك المشهد قال فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء الى التقديم فاذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا وشمالا وانا خلف والدى فوقع بصره على فقال لى يا محمد تعال قال فقمت معه حتى دخلت معه فى موضع خلوة فباحثنى فى الفروض والشروط والسنن قال فتوضأت واخلصت النية فاعجبه وضوئى ودخل معى

وعلقهما فى الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبى ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع فقلت فى نفسى وقع قبل أن يرتفع ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصرى قال حججت فى هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والايمان فى الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

وبيعة قد نكثت أيمانها
وفتنة قد سعرت نيرانها

فقلت له ويحك ماتقول قال أقول ان السيوف ستسل والفتنة ستقع والتنازع فى الملك سيظهر قلت وكيف ترى ذلك قال أماترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به والله لا يكون آخر هذا الامر الا محاربة وشر (ويروى) ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت باخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرض الرشيد على امره وبعثته على ما نزل به (قال المسعودى) وفى سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المامون فاذا افضت الخلافة الى المامون كان

المسجد وقادنى الى المنبر وقال لى يا محمد ارق المنبر فقلت له يا سيدى والله لا أدرى ما أقول فقال لى ارق وناولنى السيف الذى يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس متفكر فيما أقول اذا فرغ المؤذنون فلما فرغوا نادانى بصوته وقال لى يا محمد قم وقل بسم الله قال فقمت وانطلق لسانى بما لا أدرى ما هو الا انى كنت أنظر الى الناس ينظرون الى ويخشعون من موعظتى فأكملت الخطبة فلما نزلت قال لى أحسنت يا محمد قرالك عندنا أن نوليك الخطابة وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت ثم سافرنا فحججنا وأرادوا لدى الجوار وأمرنى بالرجوع لأونس عمى وقرابتى بتلمسان وأمرنى بالوقوف على سيدى المرشدى هنالك فوقفت عليه وسألنى عن والدى فقلت له يقبل أيديكم ويسلم عليكم فقال لى تقدم يا محمد واستند الى هذه النخلة فان شعيبا يعنى أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين ثم دخل خلوته زمانا ثم خرج فأمرنى بالجلوس بين يديه ثم قال لى يا محمد أبوك من أحبابنا واخواننا الا أنك يا محمد الا أنك يا محمد فكانت هذه اشارة الى ما امتحنت به من مخالطتى أهل الدنيا والتخليط ثم قال لى يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه خليل المالكى وعن يساره أحمد قاضى مكة وأما بلدك فسمى الله نخط دائرة فى الارض ثم قام فقبض احدى يديه على الاخرى وجعلهما خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول تلمسان تلمسان حتى طاف بتلك الدائرة مرات ثم قال لى يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها فقلت له كيف يا سيدى فقال ستر الله ان شاء الله على من فيها من الذرارى والحريم ويملكها هذا الذى حصرها يعنى السلطان أبا الحسن وهو خير لهم ثم جلس وجلست بين يديه فقال لى يا خطيب فقلت يا سيدى عبدك ومملوكك فقال لى كن خطيبا أنت الخطيب واخبرنى بامور وقال لى لا بد أن تخطب بالجامع الغربى وهو الجامع الاعظم بالاسكندرية ثم أعطانى شيأ من كعيكات صغار وزودنى بها وأمرنى بالرحيل وأما خبر تلمسان فدخلها المرينى كما ذكر وستر الله من فيها من الذرارى والحريم وكان هذا المرشدى يتصرف فى الولاية كتصرف سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله بهما * وللخطيب ابن مرزوق المذكور تآليف منها شرحه الجليل على العمدة فى خمسة أسفار جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهانى مع زوائد وشرحه النفيس على الشفاء ولم يكمل وشرحه على الاحكام الصغرى لعبد الحق وشرحه على ابن الحاجب الفرعى سماه ازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله غيرها وديوان خطب بالمغرب مشهور كقصيدته التى قالها فى نكبته بتلمسان وأولها

رفعت أمورى لبارى النسم * وموجدنا بعد سبق العدم

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس

أودعكم وأثنى ثم أثنى * على ملك تطاول بالجميل
وأسأل رغبة منكم لربى * بتيسير المقاصد والسبيل
سلام الله يشملنا جميعا * فقد عزم الغريب على الرحيل

ومن نظم أبى المكارم بن آجروم يسلى المذكور عند ما سجن بعد قتل السلطان أبى سالم

ومائة توفى الفضيل بن عياض ويكنى أبا على وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فاقام بها الى أن مات (حدث) سفيان بن عيينة قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه فقال لى يا سفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت الى الرشيد فقال أنت يا حسن الوجه الذى أمر هذه الامة فى يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد يا أبا على ان لم تستحلها فأعطها ذا دين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له يا أبا على اخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فاخذ بلحيتى ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد مسموما لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة

يا شمس علم أفلت بعدما * أضاءت المشرق والمغربا
حجبت قسرا عن عيون الورى * والشمس لا ينكر أن تحجبا

وبيتهم بيت علم وولاية وصلاح كعمه وجده وأبيه وجد أبيه وكولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر المذكورين منهم فيما نعلم قلت كان مرادي أن أعرّف بجميعهم ولكني خشيت الطول فلنلم بذكر الحفيد عالم الدنيا وابنه العلامة المشهور بالكفيف لأنه أعني الكفيف والد أم جدي أحمد لأني أحمد بن محمد بن أحمد فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور وهو أعني الكفيف محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر وكان الكفيف إماما عالما علامة ووصفه ابن داود البلوي بأنه الشيخ الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأتقياء الأرضياء المسند الراوية المحدّث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل وأخذ العلم عن جماعة منهم عالم الدنيا أبوه قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرها كتاب من تآليفه وغيرها وتفقه وأجازه عموما وعن عالمي تلمسان أبوي الفضل ابن الإمام والعقباني وغيرهما كالبعاني والثعالبي والنظار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي وقاضي الجماعة ابن عقاب وحافظ الإسلام ابن حجر العسقلاني وكل هؤلاء أجازوه وقرأ عليهم مشافهة إلا ابن حجر فكاتبه ومولده غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره (وقال) السخاوي قدم الكفيف مكة سنة إحدى وستين وثمانمائة وسمعت سنة إحدى وسبعين وثمانمائة أنه في الأحياء انتهى وأخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي صاحب العقائد الشهيرة وغيرها والونشريسي صاحب المعيار والعلامة أبي عبد الله بن العباس وحلاه بشيخنا ومفيدنا علم الأعلام وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب وقال قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب الفرعي والأصلي وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض الخونجي وغيرها واخذ عنه بالإجازة عالم فاس ابن غازي حسبما ذكره في كتابه المسمى بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال الساكن والناد وقال بعض الحفاظ إن وفاته عام أحد وتسعمائة بتلمسان وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ونقل عنه المازوني في نوازله المسماة بالدرة المكنونة في نوازل مازونة (وأما) والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الإمام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد البارع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقري المجوّد النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأوّاب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فنّ بأوفر نصيب الراقي في كل علم مرعاه الخصيب حجة الله على خلقه المفتي الشهير الرحلة الحاج فارس الكراسي والمنابر سليل الأكابر سيد العلماء الأخيار وإمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول آخر النظار الفحول

وقد ذكرنا في رسالة بيان أسماء الأئمة القطعية من الشيعة أسماءهم وأسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك أجداده عليهم السلام ولكلثوم العتابي في الرشيد من أبيات

امام له كف يضم بنانها
عصا الدين ممنوع من البر عودها
وعين محيط بالبرية طرفها
سواء عليه قربها وبعيدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا
له في الحشا مستودعات يكيدها

(حدث) غوث بن المزرع قال حدثني خالد عن عمرو ابن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس فقال له راوية أبي نواس يوما كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول

اذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ منا بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

قال العتابي هذا سرقه قال ممن قال من أبي الهذيل الجمحي حيث يقول

واذا يقال لبعضهم نعم الفتى

قال لقد أحسن في قوله

فإن المغيرة ذلك النعم عقم النساء فلا يجئن بمثله * إن النساء بمثله عقم

حيث يقول
اذا ما سقيم حل عنها وكاءها
تصعد فيه برؤها وتصوّبا
وان خالطت منه الحشا خلت أنه
على سالف الايام لم يبق موهبا
قال فقد أحسن فى قوله
وما خلقت الابذل أكفهم
واقدامهم الالأعواد منبر
قال وقد سرقه أيضا قال
ممن قال من مروان بن أبى
حفصة حيث يقول
وما خلقت الابذل أكفهم
والسنهم الالتحبير منطق
فيه وما يسارون الرياح
سماحة
ويوم البذل الخاطب المتشدق
قال فسكت الراوية ولو أتى
بشعره كله لقال له سرقه
(وحدث) أبو العباس أحمد
ابن يحيى ثعلب قال كان أبو
العتاهية قد أكثر مسئلة
الرشيد فى عتبة فوعده
بتزويجها وأنه يسألها فى
ذلك فان أجابت جهزها
وأعطاه مالا عظيما ثم ان
الرشيد سنح له شغل استمر
به فحجب أبو العتاهية عن
الوصول اليه فدفع الى
مسرور الكبير ثلاث مراوح
فدخل بها على الرشيد وهو
يتبسم وكانت مجتمعة فقرأ
على واحدة منهن مكتوبا
ولقد تنسمت الرياح لحاجتى*

شيخ المشايخ صاحب التحقيقات البديعه والاختراعات الانيقه والابحاث الغريبه والفوائد الغزيره المتفق على علمه وصلاحه وهديه الذكى الفهامة القدوة الذى لا يسمع الزمان بمثله أبدا أوحد الافراد فى جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديده والاحوال السديده شيخ الاسلام وامام المسلمين ومفتى الانام الذى له القدم الراسخ فى كل مقام ضيق والرحب الواسع فى حل كل مشكل مقفل صاحب الكرامات والاستقامات السنى السنى الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والاهواء الزائغة الذى أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ورفع بين البرية محله ودرجته ووسع على خليقته به نحلته معدن العلم وشعلة الفهم وكيمياء السعادة وكنز الافادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبى العباس أحمد ابن الامام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد ابن الشيخ العالم الصالح الولى المجاور أبى العباس أحمد ابن الفقيه الولى الصالح الخاشع محمد ابن الولى الكبير ذى الكرامات والاحوال الصالحة محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى كان رحمه الله تعالى آية الله فى تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام التام على الفنون باسرها (أما) الفقه فهو فيه مالك ولأزمّة فروعه حائز ومالك فلو رآه الامام لقال له تقدم فلك العهد والولاية فتكلم فخلك يسمع فقهى وفروعى ومثلك من راعى ما ينبنى فروعى أو ابن القاسم لقرّ به عينا وقال له طالما دفعت عن المذهب عيبا وشينا أو المازرى لعلم أنه بمناظرته حرى أو الحافظ ابن رشد لقال هلم يا حافظ الرشد أو اللخمى لابصر منه محاسن التبصره أو القرطبى لنال منه التذكره أو القرافى لاستفاد منه قواعده المقرره أو ابن الحاجب لاستند الى بابه فى كشف الاشكالات المحرره الى ما انضم الى ذلك من معرفة التفسير ودرره والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره فلو رآه مجاهد لعلم أنه فى التحقيق خير جاهد أو مقاتل لقال مثلك طبق من الفهوم الكلى وأصاب المقاتل أو الزمخشرى لعلم انه كشاف الخفيات على الحقيقه وقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقه أو ابن عطيه لركب فى الرحلة الى الاستفادة منه المطيه أو أبو حيان لغرق فى نهره ولم تسل له نقطة من بحره الى الاحاطة بالحديث وفنونه والاطلاع على أسانيده ومتونه ومعرفة منكره ومعروفه ونظم أنواعه ورصف صنوفه اذ له الرحلة انتهت فى رواياته ودراياته وعليه المعوّل فى حل مشكلاته وفتح مقفلاته (وأما) الاصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده والبرهان لا يهتدى معه لحجه والمقترح لا يركب فى بحره لجه (وأما) النحو فلو رآه محمود دلالتجلج فى قراءة المفصل واستقل ما عنده من القدر المحصل أو الرمانى لاشتاق الى مفاكهته وارتاح واستجدى من ثمار فوائده وامتاح او الزجاج لعلم ان زجاجه لا يقوم بجواهره وانه لا يجرى معه فى هذا العلم الا فى ظواهره بل لو رآه الخليل لقال هذا هو المقصد الجليل واثنى عليه بكل جميل وقال لفرسان النحو مالكم الى لحوق عربيته من سبيل (واما) البيان فالمصباح لا يظهر له نور عنده هذا الصبح وصاحب المفتاح لا يهتدى معه الى الفتح والقزوينى يلقى علومه

لايضاح المعانى والسعد يرقى بفهومه فى مطالع المثانى وكم له من مناقب تنحط عن منالها الثواقب ومواهب تجلو بأنوارها الغياهب (وأما) زهده وصلاحه فقد سارت به الركبان واتفق عليه الثقلان فمن وصفه بالبحر فقل له دون علمه البحر أوالبدر فما يصل خلقه البدر أوالدر فأنى يشبه منطقه الدر وبالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته وفضلاء عصره لايرتقون الى صفاته فهو شيخ العلماء فى أوانه وامام الأئمة فى عصره وزمانه شهد بنشر علومه العاكف والبادى وارتوى من بحار تحقيقاته الظمآن والصادى

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

هكذا وصفه بعض العلماء وهو فوق ذلك كله (وقال فى حقه) بلديننا الشيخ أبو الفرج ابن أبى يحيى الشريف التلمسانى رحمه الله تعالى هو شيخنا الامام العالم العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع لواء الامامة بين الامم ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيى السنة بالفعال والمقال والشيم قطب الوقت فى الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأمم مستمر على الارشاد والهداية والتبليغ والافادة ذو الرواية والدراية والعناية ملازم الكتاب والسنة على نهج الأئمة المحفوظين من البدع فى زمن لاعاصم فيه من أمر الله الا من رحم وهمة عليه ورتبة سنيه وأخلاق مرضيه وفضل وكرم امام الأئمة وعالم الامة الناطق بالحكم ومنير الظلم سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين نتيجة مقدمات المهتدين حجة الله على العلم والعالم جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقه متمسك بالكتاب لايفارق فريقه الشيخ الامام أبو عبد الله محمد اتصلت به فأويت منه الى ربوة ذات قرار ومعين وقصرت توجهى عليه ومثلت بين يديه فأنزلنى أعلى الله قدره منزلة ولده رعاية للذمم وحفظا على الود الموروث من القدم فأفادنى من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخارى بقراءتى وقراءة غيرى مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذى وأبى داود بقراءتى والموطأ سماعا وتفقها والعمدة ومن علم الحديث أرجوزة الحديقة وبعض الكبرى وهى الروضة تفقها ومن العربية نصف المغرب تفقها وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك واوائل شرح الايضاح لابن أبى الربيع وبعض المغنى لابن هشام ومن الفقه التهذيب كله تفقها وابن الحاجب الفرعى وبعض مختصر خليل والتلقين وثانى الجلاب وجملة من المتيطية والبيان لابن رشد وبعض الرسالة وكل ذلك قراءة تفقه وتفقهت عليه من كتب الشافعية فى تنبيه الشيرازى ووجيز الغزالى من أوله الى كتاب الاقرار ومن كتب الحنفية مختصر القدورى تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقى تفقها ومن أصول الفقه المحصول ومختصر ابن الحاجب والتنقيح وكتاب المفتاح لجدى وقواعد عز الدين وكتاب المصالح والمفاسد له وقواعد القرافى وجملة من النظائر والاشباه للعلائى وارشاد العميدى ومن أصول الدين المحصل والارشاد تفقها وفى القرآآت قصيدة الشاطبى تفقها وابن البرى ومن البيان التلخيص والايضاح والمصابيح وكلها تفقها ومن التصوف

ان الذى ضمن النجاح كريم فقال قاتله الله ما أحسن ما قال ثم دعا به وقال ضمنت لك يا أبا العتاهية وفى غد نقضى حاجتك ان شاء الله وبعث الى عتبة ان لى اليك حاجة فانتظرينى الليلة فى منزلك فاكبرت ذلك وأعظمته وصارت اليه تستعفيه فحلف ان لايذكر لها حاجته الا فى منزلها فلما كان الليل سار اليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها لست أذكر حاجتى او تضمنين قضاءها قالت انا امتك وأمرك نافذ فى ما خلا أمر ابى العتاهية فانى حلفت لابيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر وبالمشى الى بيت الله الحرام حافية كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى لا أقتصر على الكفارة وكلما أفدت شيأ تصدقت به الا ما أصلى فيه وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد والله ما قصرت فى أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لى بذلك وشرح له الخبر قال أبو العتاهية فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا

 لا أدرى أين أنا قائم أوقاعد وقلت الآن يئست منها اذ ردتك وعلمت انها لا تجيب أحدا بعدك فلبس أبو

الاحياء للسغزالى سوى الربع الاخير منه وألبسنى خرقة التصوّف كما ألبسه أبوه وعمه وهما ألبسهما أبوهما جده انتهى ملخصا * وكتب المذكور تحت هذا ما نصه صدق السيد ابن السيد ابن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر وقد أجزته فى ذلك كله فهو حقيق بها مع الانصاف وصدق النظر جعلنى الله واياه ممن علم وعمل لآخرته واعتبر قاله محمد بن مرزوق انتهى وقال تلميذه الولى أبو زيد سيدى عبد الرحمن الثعالبى قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فاقام بها فاخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطا بقراءة صاحبنا أبى حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشانى وختمت عليه أربعينيات النووى قرأتها عليه فى منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع ثم يأخذ فى البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكى الى أن ختمت الكتاب وكان من أولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله وأجمع الناس على فضله من المغرب الى الديار المصرية واشتهر ذكره فى البلاد فكان بذكره تطرز المجالس وجعل الله تعالى حبه فى قلوب العامة والخاصة فلا يذكر فى مجلس الا والنفوس مشتوقة الى ما يحكى عنه وكان فى التواضع والانصاف والاعتراف بالحق فى الغاية وفوق النهاية لا أعلم له نظيرا فى ذلك فى وقته ثم ذكر كثيرا جدا من الكتب مما سمعه عليه وأطال فى ذلك وقال فى موضع آخر هو سيدى الشيخ الامام والحبر الهمام حجة أهل الفضل فى وقتنا وخاتمتهم ورحلة النقاد وخلاصتهم ورئيس المحققين وقادتهم السيد الكبير والذهب الابريز والعلم الذى نصبه التمييز ابن البيت الكبير والفلك الاثير ومعدن الفضل الكثير سيدى أبو عبد الله محمد ابن الامام الجليل الاوحد الاصيل جمال الفضلاء سليل الاولياء أبى العباس أحمد ابن العالم الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبى عبد الله محمد بن مرزوق * وقال أيضا فى موضع آخر هو شيخى الامام العلم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين سيد وقته وامام عصره وورع زمانه وفاضل أقرانه أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ذو الاخلاق المرضيه والاحوال الصالحة السنيه والاعمال الفاضلة الزكيه أبو عبد الله * وقال فى حقه المازونى فى أوّل نوازله شيخنا الامام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التواليف العجيبه والفوائد الغريبه مستوفى المطالب والحقوق أبو عبد الله بن مرزوق * وقال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسى عند ذكره ان امامنا مالكا سئل عن أربعين مسئلة فقال فى ست وثلاثين لا أدرى وجنة العالم لا أدرى ما نصه ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة ويكثر استعمالها غير شيخنا العالم العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق * وقال الشيخ أبو الحسن القلصادى فى رحلته أدركت بتلمسان كثيرا من العلماء والعباد والزهاد والصلحاء أولاهم فى الذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق حل كنف العلم والعلا وجل قدره فى الجلة والفضلا قطع الليالى ساهرا وقطف من العلم أزاهرا فأثمر وأورق وغرب وشرق حتى توغل فى فنون العلم واستغرق الى أن أطلع للابصار هلالا لا ان الغرب

وروحى فوجدت برد الياس بين جوانحى
فغنيت عن حل وعن ترحال
(وذكر) أنه لما اتصل بالرشيد قول أبى العتاهية
الآن طبيا الخليفة صادنى
ومالى عن ظبى الخليفة من عذر
غضب الرشيد وقال أسخر منا فغضب وأمر بحبسه فدفعه الى تجاب صاحب عقوبته وكان فظا غليظا فقال أبو العتاهية
تجاب لا تعجل على
فليس ذا من رائه
ماذلت هذا فى مخا
يل ضوء برق سمائه
وكان من أشعاره فى الحبس بعد ما طال مكثه
انما أنت رحمة وسلامه
زادك الله غبطة وكرامه
قيل لى قد رضيت عنى فمن لى
أن ارى لى على رضاك علامه
فقال الرشيد لله أبوه لو رأيته ماحبسته وانما سمعت نفسى بحبسه لانه كان غائبا عنى وأمر باطلاقه وأبو العتاهية الذى يقول
نراع لذكر الموت ساعة وقته
ونعتبر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت فيه فهو شئ محبب وهو الذى يقول أيضا

مطالعه وسماقى النفوس موضعه وموقعه فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من القائه لتى الشيوخ الاكابر وبقى جده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الاقلام وأفواه المحابر وكان رضى الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهوده وكانت له بالعلم عنايه تكشف بها العمايه ودرايه تعضدها الروايه ونباهه تكسب النزاهه فقرأت عليه رضى الله عنه بعض كتابه فى الفرائض وأواخر ايضاح الفارسى وشيأ من شرح التسهيل وعرضت عليه اعراب القرآن وصحيح البخارى والشاطبيتين وأكثر ابن الحاجب الفرعى والتلقين وتسهيل ابن مالك والالفية والكافية وابن الصلاح فى علم الحديث ومنهاج الغزالى وبعض الرسالة وغيرها ثم توفى يوم الخميس بعصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الازهر بعد صلاة الجمعة وحضر جنازته السلطان فمن دونه ولم أر مثلها قبل وأسف الناس لفقده وآخر بيت سمع منه قبل موته

ان كان سفك دمى أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

انتهى ملخصا * (وفى فهرست ابن غازى فى ترجمة شيخه أبى محمد الورياطى ما صورته) ومن لقى من شيوخ تلمسان المحروسة الامام العلم العلامة الصدر الاوحد المحقق النظار الحجة العالم الربانى أبو عبد الله بن مرزوق وقد حدثنى بكثير من مناقبه وصفة اقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم الى غيرها من شيمه الكريمه ومحاسنه العظيمه انتهى * وقال بعضهم فى حقه انه كان يسير سيرة سلفه فى العلم والتخلق والحلم والشفقة وحب المساكين آية الله فى الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة واتباع السنة فى الاقوال والافعال ومحبة أهلها فى جميع الاحوال مبغضا لاهل البدع ومحبا سد الذرائع له كرامات انتهى * وأما شيوخه فمنهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمسانى وعالم المغرب القاضى سيدى سعيد العقبانى التلمسانى والولى العابد الصالح أبو اسحق سيدى ابراهيم المصمودى وأفرد ترجمته بتآليف وعن أبيه وعمه ويروى عن جده بالاجازة وابن عرفة وأبى العباس القصار التونسى وبفاس عن النحوى أبى حيان وأبى زيد المكودى وجماعة غيرهما وبمصر عن السراج البلقينى والزين الحافظ العراقى والشمس الغمارى والسراج بن الملقن وصاحب القاموس والمحب بن هشام صاحب المغنى والنور النويرى والولى بن خلدون والقاضى التنيسى وغيرهم وأخذ عنه جماعة كالثعالبى والقاضى عمر القلشانى وابن العباس نصر الزواوى والولى سيدى الحسن بن كان وابنه وأبى البركات الغمارى وأبى الفضل المشذالى وقاضى غرناطة أبى العباس بن أبى يحيى الشريف وابراهيم بن قائد وأبى العباس التدرومى وابنه الكفيف وسيدى على بن ثابت والشهاب ابن كحيل التجانى والعلامة أحمد بن يونس القسمطينى والعلامة يحيى بن يدير وأبى الحسن القلصادى والشيخ عيسى بن سلامة البكرى وغيرهم كالحافظ التنيسى التلمسانى * قلت وسندى اليه عن عمى الامام سيدى سعيد المقرى عن الشيخ أبى عبد الله التنيسى عن

عجبا لمنتبه يضيع ما
يحتاج فيه ليوم رقدته
وقال
لا تأمن الدنيا على غدرها
كم غدرت قبل بأمثالكا
أجمع الناس على ذمها
وما أرى منهم لها تاركا
وقال
انما أنت مستعير ماسوى
بردين والمعار يرد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا
م عليه الانفاس فيها تعد
وقال
حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منها انتقصت به جزأ
وقال
ألا يا موت لم أر منك بدا
أتيت بما يخيف ولا تحابى
كأنك قد هجمت على مشيبى
كما هجم المشيب على شبابى
وقال
نسيت الموت فيما قد نسيت
كأنى لم أرى أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حى
فمالى لا أبادر ما يفوت
وقال
وعظتك أحداث صمت
ونعتك ألسنة خفت
وتكلمت عن أعظم
تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك فى القبو
ر وأنت حى لم تمت
وقال

ومشيد دار ليسكن ظلها * سكن القبور وداره لم يسكن (حدث) اسحق بن ابراهيم الموصلى قال بينا أنا ذات

والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنيسي المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته
وتآليفه وقال السخاوي في حقه هو أبو عبد الله يعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختص بابن
مرزوق وقد تلا لنافع على أبي عثمان الزروالي وانتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفة وأجازه
أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الانصاري ومحمد القيجاطي وحج قديما
سنة تسعين وسبعمائة رفيقا لابن عرفة وسمع من البهاء الدماميني والنور العقيلي بمكة
وفيها قرأ البخاري على ابن صديق ولازم المحب بن هشام في العربية وكذا حج سنة تسع
عشرة وثمانمائة ولقيه الزين رضوان بمكة وكذا لقيه ابن حجر انتهى * وأما تواليفه فكثيرة
منها شروحه الثلاثة على البردة وسمى الاكبر اظهار صدق المودة في شرح البردة واستوفى
فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت والاوسط والاصغر المسمى بالاستيعاب
لما فيها من البيان والاعراب ومنها المفاتيح القرطاسيه في شرح الشقراطسيه والمفاتيح
المرزوقية في استخراج رموز الخزرجيه ورجز في علوم الحديث سماه الروضة ومختصره في رجز
سماه الحديقة ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي مشتمل على ألف وسبعمائة بيت ونهاية
الامل في شرح الجمل أي جمل الخونجي واغتنام الفرصه في محادثة عالم قفصه وهو أجوبة
عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبة فاجابه عنها والمعراج
الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج في كراسة ونصف أجاب به أبا القاسم بن سراج
الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية وأنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين
وهو حديث أول حلية أبي نعيم في شان البدلاء وغيرهم والدليل المومى في ترجيح طهارة
الكاغد الرومي والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص في سبعة
كراريس رد به على عصريه الامام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسئلة الفقراء
الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم وخالفه هو ومختصر الحاوي في الفتاوي لابن عبد
النور والروض البهيج في مسائل الخليج وأنوار الدراري في مكررات البخاري ورجز تلخيص
ابن البناء ورجز تلخيص المفتاح نظمه في حال صغره ورجز حرز الاماني ورجز جمل الخونجي
ورجز اختصار ألفية ابن مالك وتأليفه في مناقب شيخه المصمودي وتفسير سورة الاخلاص
على طريقة الحكماء وهذه كلها تامة * وأما ما لم يكمل من تآليفه فالمتجر الربيح والسعي
الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح وروضة الاديب في شرح التهذيب
والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين ومن الاقضية
الى آخره في سفرين وايضاح السالك على ألفية ابن مالك الى اسم الاشارة أو الموصول
مجلد كبير في قدر شرح المرادي وشرح شواهد شراح الالفية الى باب كان مجلد وله خطب
عجيبة * وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا
وحضرا وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة ومن تآليفه أيضا عقيدته
المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد والآيات الواضحات في وجه
دلالة المعجزات والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم واسماع الصم في اثبات
الشرف من قبل الام وذكر السخاوي أن من تواليفه شرح ابن الحاجب الفرعي وشرح

التسهيل

ليلة عند الرشيد أغنيه اذ طرب لغنائي وقال لاتبرح ولم أزل أغنيه حتى نام فامسكت ووضعت العود
من حجري وجلست مكاني
فاذا شاب حسن القد عليه
مقطعات خز وهيئة جميلة
فدخل وسلم وجلس فجعلت
أعجب من دخوله في ذلك
الوقت الى ذلك الموضع
بغير استئذان ثم قلت في
نفسي عسى بعض ولد الرشيد
ممن لا نعرفه ولم نره فضرب
بيده على العود فاخذه
ووضعه في حجره وجسه
فرأيت أنه جس أحسن
خلق الله ثم أصلحه اصلاحا
ما أدري ما هو ثم ضرب
ضربا فاسمعت اذني صوتا
اجود منه ثم اندفع يغني

الا عللاني قبل أن نتفرقا
وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجا
وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم وضع العود من
حجره وقال يا عاض بظر أمه
اذا غنيت فغن هكذا ثم
خرج فقمت على اثره
فقلت للحاجب من الفتى
الذي خرج الساعة فقال
ما دخل هنا أحد ولا خرج
فقمت متعجبا ورجعت
الى مجلسي وانتبه الرشيد
فقال ما شانك فحدثته
بالقضية فبقي متعجبا وقال
لقد صادفت شيطانا ثم قال
أعد على الصوت فاعدته فطرب طربا شديدا وأمر لي بجائزة وانصرفت (وحدث) ابراهيم الموصلي

التسهيل انتهى *ومولده كما ذكره فى شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشرى ربيع الاول عام ستة وستين وسبعمائة قال حدثتنى أمى عائشة بنت الفقيه الصالح القاضى أحمد ابن الحسن المدونى وكانت من الصالحات ألفت مجموعا على أدعية اختارتها وكانت لها قوة على تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن انه أصابنى مرض شديد أشفيت منه على الموت ومن شأنهما وأبيها انهما لا يعيش لهما ولد الا نادرا وكانوا سمونى أبا الفضل اول الامر فدخل عليها أبوها أحمد المذكور فلما رأى مرضى وما بلغ بى غضب وقال ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ما الذى رأيتم له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل سموه محمدا لا أسمع أحدا يناديه بغيره الا فعلت به وفعلت يتوعد بالادب قالت فسميناك محمدا ففرج الله عنك انتهى *(ومن فوائده ما حكى فى بعض فتاويه)* قال حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن فجرى بيننا مذاكرات رائقة وابحاث حسنة فائقة منها انه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته وذكر أن فى النسخة خللا وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت الى تمامه فقلت ياسيدى معنى ماذكره أن جزم نقيض بمن الموصولة اشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط واذا كانوا يعاملون الموصول الذى لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله تعالى وفرح لما أن الانصاف كان طبعه وعند ذلك أنكر على جماعة من أهل المجلس وطالبونى باثبات معاملة الموصول معاملة الشرط فقلت نصهم على دخول الفاء فى خبر الموصول فى نحو الذى يأتينى فله درهم من ذلك فنازعونى فى ذلك وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل فقلت قال ابن مالك فيما يشبه المسئلة وقد يجزم متسبب عن صلة الذى تشبيها بجواب الشرط وأنشدت من شواهد المسئلة قول الشاعر

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقا للعالى انتهى بنقل تلميذه المازونى وقد ذكر الشيخ ابن غازى الحكاية فى فهرسته فى ترجمة شيخه الاستاذ الصغير وفيها بعض مخالفة لما تقدم فلننسقه قال حدثنى أنه بلغه عن ابن عرفة انه كان يدرس من صلاة الغداة الى الزوال يقرأ فنونا ويبتدئ بالتفسير وأن الامام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر هذه الآية ومن يعش عن ذكر الرحمن فكان أول ما فاتحه أن قال له هل يصح كون من هنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال له تشبيها لها بالشرط فقال ابن عرفة انما يقدم على هذا بنص من امام أو شاهد من كلام العرب فقال أما النص فقول التسهيل كذا وأما الشاهد فقول الشاعر

فلا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فقال ابن عرفة فأنت اذا ابن مرزوق قال نعم فرحب به انتهى وهو خلاف ما تقدم والاول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات انما يكون فى الجواب لا فى الشرط والله تعالى أعلم وفى بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انفصل المجلس *ومن

فيهم وحضر معنا مسكين المدنى ويعرف بأبى صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ صوتا فامر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدنى يأمرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فامسكنا جميعا متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا فى صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يا مسكين أعده فاعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجادت ورفعت الستارة بيننا وبينه قال مسكين يا أمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وما هو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاى على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتى تصرفت فى حوائجى فخطت يوما قميصا لبعض الطالبيين فدفع الى درهمين وتغديت وسقانى اقداحا فخرجت وأنا جذلان فلقيتنى سوداء على رقبتها جرة وهى تغنى هذا الصوت فاذهلتنى عن كل مهم وأنسانى كل حاجة

فوائده انه كان يصرف لفظ هريرة من أبي هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم وخالفه أهل فاس في ذلك لما بلغهم ومال الاستاذ الصغير والحافظ القوري الى منع الصرف لوجوه ليس هذا موضعها ومنها قول ابن مالك * ولاضطرار كبنات الاوبر * فانه مؤذن بأن جزء العلم علم وقد ألف في المسئلة أبو العباس تأليفا سماه الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف انتهى ومن نظمه

بلد الجدار ما أمر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهواها

ويعني ببلد الجدار تلمسان ولذلك قال في رجز في علم الحديث ما صورته

وأهلها اهل ذكاء وفطن * في رابع من الاقاليم قطن

يكفيك ان الداودي بها دفن * مع ضجيعه ابن غزلون الفطن

قلت وحدثني عمي الامام سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى ان العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه اهل تونس ان يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فاجابهم الى ذلك وعينوا له محل البدء فطالع فيه فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وأرادوا بذلك افحام الشيخ والتعريض به فوجم هنيهة ثم تفجر بينابيع العلم الى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة وساقها أحسن مساق وأنشد عليها الشواهد وجلب الحكايات حتى عد من ذلك جملة ثم قال في آخرها فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله غير أن فيه خصلة ذميمة وهي انكاره للضيف ثم افترق المجلس وأخبرني انه أطال في ذلك المجلس من الصبح الى قرب الظهر وقد طال عهدي بالحكاية وانما نقلتها بمعناها من حفظي وهي من الغرائب ولولا الاطالة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء برصة في الحجاز حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي رحم الله الجميع (رجع) الى ذكر مشايخ لسان الدين فنقول * ومن مشايخ لسان الدين الرئيس أبو الحسن علي بن الجياب وهو كما في الاحاطة علي بن محمد بن سلمان بن علي بن سليمان بن الحسن الانصاري الغرناطي أبو الحسن قال وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ * ومن مشايخه أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي وخلق قال وقد دونت شعره فمن معشراته قوله في حرف الجيم

جريأ على الزلات غير مفكر * جبانا على الطاعات غير معرج

جمعت لما يفنى اغترارا بجمعه * وضيعت ما يبقى سجية أهوج

جنونا بدار لا يدوم سرورها * فدعها سدى ليست بعشك فادرجي

جيادك في شأو الضلال سوابق * تفوت مدى سن الوجيه وأعوج

جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله * تجد دار سعد بابها غير مرتج

جناب رسول ساد أولاد آدم * وقرب في السبع الطباق بمعرج

جمال أنار الارض شرقا ومغربا * فكل سنى من نوره المتبلج

جلا صدأ المرتاب أن سبح الحصى * لديه بنطق ليس بالمتلجلج

فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر لا ألقيته عليك الا بدرهمين فاخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن عاتقها واندفعت فما زالت تردده حتى كأنه مكتوب في صدري ثم انصرفت الى مولاي فقال لي هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء ويطحني وضربني وحلق لحيتي ورأسي فبت يا أمير المؤمنين من أسوأ خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالني فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذي لقيتها فيه وبقيت متحيرا لا اعرف اسمها ولا منزلها اذ نظرت بها مقبلة فانسيت كل ما نالني وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الامر كما ذكرت وعرفتها ما مر بي من حلق الرأس واللحية فقالت وحق القبر ومن فيه لا فعلت الا بدرهمين فاخرجت جلي ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن رأسها واندفعت فغرت فيه ثم قالت كأني بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاي وجلا فقال هلم خراجك فلويت لساني فقال يا ابن اللخناء الم يكفك ما مر عليك بالامس فقلت انى اعرفك انى اشتريت

جعلت

جعلت امتداحى والصلاة عليه لى * وسائل تحظينى بما أنا مرتجى

وقال من الأغراض الصوفية السلطانية

هات اسقنى صرفا بغير مزاج * راحى التى هى راحتى وعلاجى
ان صب منها فى الزجاجة قطرة * شف الزجاج عن السنى الوهاج
واذا الخليع أصاب منها شربة * حاجاه بالسر المصون محاجى
واذا المريد أصاب منها جرعة * ناجاه بالحق المبين مناجى
تاهت به فى مهمه لا يهتدى * فيه لتأويب ولا ادلاج
يرتاح من طرب بها فكأنما * غنته بالارمال والاهزاج
هبت عليه نفحة قدسية * فى فىء باب دائم الارتاج
فاذا انتشى يوما وفيه بقية * سارت به قصدا على المنهاج
واذا تمكن منه سكر معربد * فليصبرن لمصرع الحلاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه * فغدا يفيض بمنطق لجلاج
اعشاه نور للحقيقة باهر * فتراه يخبط فى الظلام الداجى
رام الصعود بها لمركز أصله * فرمت به فى بحرها المواج
فلئن امد برحمة وسعادة * فليخلصن من بعد طول هياج
وليرجعن بغنيمة موفورة * ماشيب عذب شرابها باجاج
ولئن تخطاه القبول لما جنى * فليرجعن نكسا على الأدراج
ما أنت الادرة مكنونة * قد أودعت فى نطفة أمشاج
فاجهد على تخليصها من طبعها * تعرج بها فى أرفع المعراج
واشدد يديك معا على حبل التقى * فان اعتصمت به فأنت الناجى
ولدى العزيز ابسط بساط تذلل * والى الغنى امدد يد المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان ما * دقتا أنتجتا أصح نتاج
فاجنح الى ترك الهوى حمل الاذى * واقنع من الاسهاب بالادماج
حرفان قد جمعا الذى قد سطروا * من بسط أقوال وطول حجاج
والمشرب الاصفى الذى من ذاقه * فقد اهتدى منه بنور سراج
أن لا ترى الا الحقيقة وحدها * والكل مضطر اليها لاجى
هذى بدائع حكمة أنشأتها * باشارة المولى أبى الحجاج
وسع الانام بفضله وبعدله * وبحلمه وبجوده الثجاج
من آل نصر نخبة الملك الرضا * امن المروع هم وغيث الراجى
من آل قيلة ناصرى خير الورى * والخلق بين تخاذل وتحاج
ماذا أقول وكل قول قاصر * فى وصف بحر زاخر الامواج
منه لباغى العرف در فاخر * ولمن يعادى الدين هول فاجى
دامت سعودك فى مزيد والمنى * تاتيك أفواجا على أفواج

هـذا الصوت ولم يعلمنى امرأته طالق لو كنت قلته امس لاعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ما أدرى ايما احسن حديثك ام غناؤك وقد امرت لك بما ذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر

قف بالمنازل ساعة فتامل * فلسوف اجمل للبلى فى محمل

(واجرى) الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما أرسلت صار الى مجلسه فى صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف على فرسه وكان فى أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان فى عنان واحد لا يتقدم أحدهما صاحبه فتاملها فقال فرسى والله ثم تامل الآخر فقال فرس ابنى المامون قال فجا آيحمكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المامون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعى وكان حاضرا للفضل ابن الربيع يا أبا العباس هذا يوم من الايام فاحب ان توصلنى الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال يا أمير المؤمنين هذا الاصمعى يذكر شيأ من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سرورا قال هاته فلما دنا قال ما عندك يا أصمعى قال يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء

(وقال من المطولات)

لمن المطايا فى السراب سوابحا * تفلى الفلاة غواديا وروائحا
عوج كأمثال القسى ضوامر * يرمين فى الآفاق مرمى نازحا

وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا

زارت تجر لنحوه اذيالها * هيفاء تخلط بالنفار دلالها
فالشمس من حسد لها مصفرة * اذ قصرت عن أن تكون مثالها
وافتك تمزج لينها بقساوة * قد أدرجت طى العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها لكنه * صحت دلائل لم تطق اعلالها
تركت على الارجاء عند مسيرها * أرجا كأن المسك فت خلالها
ماواصلتك محبة وتفضلا * لو كان ذاك لواصلت افضالها
لكن توقعت السلو فجددت * لك لوعة لاتتقى ترحالها
فوحبها قسما يحق بروره * لتجشمنك فى الهوى أهوالها
حسنت نظم الشعر فى أوصافها * اذ قبحت لك فى الهوى أفعالها
ياحسن ليلة وصلها ماضرها * لو أتبعت من بعدها أمثالها
لما سكرت بريقها وجفونها * أهملت كاسك لم ترد اعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه * فافسح لنفسك فى مداه مجالها
واخلع عذارك فى البطالة جامحا * واقرن بأسحار الهنا آصالها
فى جنة تجلو محاسنها كما * تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت أيادى للحيا شكر الورى * شرف الملوك همامها مفضالها
وصميمها أصلا وفرعا خيرها * ذاتا وخلقا سمحها بذالها
الطاهر الاعلى الامين المرتضى * بحر المكارم غيثها سلسالها
حاز المعالى كابرا عن كابر * وجرى لغايات الكرام فنالها
ان تلقه فى يوم بذل هباته * تلقى الغمائم أرسلت هطالها
أو تلقه فى يوم حرب عداته * تلقى الضراغم فارقت أشبالها
ملك اذا ماصال بو ماصولة * خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فسيبه وبسيفه نلت المنى * واستعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها * فكفى العفاة سؤالها ومطالها
القاتل الآلاف قبل قراعها * فكفى العداة قراعها ونزالها
ان قلت بحر كفه قصرت اذ * شبهت بالملح الاجاج نوالها
ملأ البسيطة عدله وأمانه * فالوحش لاتعدو على من غالها
وسقى البرية فيض كفيه فقد * عم البلاد سهولها وجبالها
جمع العلوم عناية بعيونها * آدابها وحسابها وجدالها
منقولها معقولها وأصولها * وفروعها تفصيلها اجمالها

بُرزت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى أولى فاولى أن يقاربه لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدى قال استزرت الرشيد بالرقة فزارنى وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريض سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون فى هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام باكثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته

فاذا عفاتك عانوك تهللوا * لما رأوا من كفك استهلالها
واذا عداتك أبصروك تيقنوا * أن المنية سلطت ريبالها
بددت شملهم ببيض صوارم * روّيت من علق الكماة نصالها
وابحت أرضهم فاصبح أهلها * خورا تغادر نهبة أموالها
فتحت امارتك السعيدة للورى * أبواب بشرى واصلت اقبالها
وبنت مصانع رائقات ذكرت * دار النعيم جنانها وظلالها
وأجلها قدرا وأرفعها مدى * هذا الذى سام النجوم وطالها
هو جنة فيها الامير مخلد * بلغت اما رته بها آمالها
ولارض أندلس مفاخر أنتم * أربابها أضفيتم سربالها
فحميتمو أرجاءها وكفيتمو * أعداءها وهديتمو ضلالها
فبآل نصر فاخرت لاغيرهم * لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد ومحمد ومحمد * قصرت على الخصم الالد نضالها
فهم الالى ركبوا لكل عظيمة * جردا كسين من النجيع جلالها
وهم الالى فتحوا لكل ملمة * بابا أزاح بفتحه اشكالها
متقلدون من السيوف عضابها * متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها * والضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين ونخبة الاملاك صفوة محضها وزلالها
ان العبادمع البلاد مقرة * بفضائل لك مهدت أحوالها
فتفك عانيها وتحمى سربها * وتفيد حاماداغما جهالها

وقال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى

هو البين حتما الاعل ولاعسى * فمابال نفسى لم تفض عنده أسى
ومالفؤادى لم يذب منه حسرة * فتبا لهذا القلب سرعان ماقسا
وما لجفونى لاتفيض موردا * من الدمع يهمى تارة ومورسا
ومالسانى مفصحا بخطابه * وما كان لولا أوفى بعهد ليبلسا
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى * ووسدت منى فلذة القلب مرمسا
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى * كسانى ثوب الثكل لاكان ملبسا
أؤمل فى الدنيا حياة وأرتضى * مقيلا لدى أبنائها ومعرسا
فآها وللفعوع فيها استراحة * ولابدّ للصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى * فاسلمنى للقبر حيران مفلسا
ظللت به فى غفلة وجهالة * الى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
الى الله أشكو برح حزنى فانه * تلبس منه القلب ماقد تلبسا
وهدّة خطب نازلتنى عشية * فما أغنت الشكوى ولانفع الاسا
فقد صدّعت شملى وأصمت مقاتلى * وقد هدمت ركنى الوثيق المؤسسا

دينار فانه خير منها فعفعل الخادم ذلك فوالله ماأمكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتى دينار * وقال ابراهيم ابن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال لى الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هرون اسم أمير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزأرنى وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقى مالقى من نمروذ قال وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وأزيدك ياأمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبدالله ابن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف باعلى صوته ياابراهيم ياعاض كذاو كذا من أمه مدفالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله قال

ثبت لها صبر الشدة وقعها * فما زلزلت صبرى الجميل وقد رسا
وأطمع أن يلقى برحمته الرضا * وأجزع أن يشقى بذنب فينكسا
أبا القاسم اسمع شكو والدك الذى * حسا من كؤس البين أفظع ما حسا
وقفت فؤادى مذ رحلت على الاسى * فأشهد لا ينفك وقفا محبسا
وقطعت آمالى من الناس كلهم * فلست أبالى أحسن المرء أم أسا
تواريت يا شمسى وبدرى وناظرى * فصار وجودى مذ تواريت حندسا
وخلفت لى عبأ من الثكل فادحا * فما أتعب الثكلان نفسا وأتعسا
احقا توى ذاك الشباب فلا أرى * له بعد هذا اليوم حولى مجلسا
فيا غصنا نضرا توى عندما استوى * فأوحشنى أضعاف ما كان آنسا
ويا نعمة لما تبلغتها انقضت * فأنعم احوالى بها صار أبأسا
لودعته والدمع تهمى سحابه * كما سلم السلك الفريد المخمسا
وقبلت فى ذاك الجبين مودعا * لأكرم من نفسى على وانفسا
وحققت من وجدى به قرب رحلتى * وماذا عسى ان ينظر الدهر من عسا
فيا رحمة للشيب يبكى شبيبة * قياس لعمرى عكسه كان اقيسا
فلو أن هذا الموت يقبل فدية * حبوناه اموالا كراما وانفسا
ولكنه حكم من الله واجب * يسلم فيه من بخير الورى ائتسى
تغمدك الرحمن بالعفو والرضا * وكرم مثواك الجديد وقدسا
وألف منا الشمل فى جنة العلا * فنشرب تسنيما ونلبس سندسا

وكتب الى القاضى الشريف وهو بوادى آش

اهزلا وقد جدت بك الله الشمطا * وأمنا وقد ساورت يا حية رقطا
اغرك طول العمر فى غير طائل * وسرك أن الموت فى سيره ابطا
رويدا فان الموت أسرع وافد * على عمرك الفانى ركائبه حطا
فاذ ذاك لا تسطيع ادراك ما مضى * بحال ولا قبضا تطيق ولا بسطا
تأهب فقد وافى مشيبك منذرا * وها هو فى فوديك احرفه خطا
فرافقت منه كاتب السر واشيا * له القلم الاعلى يخط به وخطا
معمى كتاب فكه احذر فهذه * سفينة هذا العمر قاربت الشطا
وان طالما خاضت به اللجج التى * خبطت بها فى كل مهلكة خبطا
ومازلت فى امواجها متقلبا * فآونة رفعا وآونة حطا
فقد أوشكت تلقيك فى قعر حفرة * تشد عليك الجانبين بها ضغطا
ولست على علم أأنت بعدها * ملاق أرضوانا من الله أم سخطا
وأعجب شئ منك دعواك فى النهى * وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة * وقد خالفتك النفس فادعت القسطا
وطاوعت شيطانا تجيب اذا دعا * وتقبل ان أغوى وتأخذ ان اعطى

رسول عبد الله معه أطباق خيزران عليها مناديل ومعها كتاب بخط الرشيد

وكنت يوما عنده فاذا يقرأ الكتاب ويقول بره الله ووصله ثم قال هذا عبد الله بن صالح ثم كشف المنديل فاذا بعضها فوق بعض فى أحدها فستق وفى الآخر بندق الى غير ذلك من الفاكهة فقلت يا أمير المؤمنين ما فى هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء الا أن يكون فى الكتاب شئ قد خفى على فنبذه الى فاذا فيه دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لى فى دارى عمرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فأخذت من كل شئ وصيرته فى أطباق قضبان ووجهته الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه ما وصل الى من نوافل بره قلت ولا والله ما فى هذا أيضا ما يستحق به هذا فقال يا غبى أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران اعظاما لأمنا رحمها الله تعالى * ووقف رجل من بنى أمية فى طريق الرشيد ومعه كتاب فيه

يا أمين الله انى قائل * قول ذى لب وصدق وحسب
لكم الفضل علينا ولنا * بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لأم ولأب
فصل الارحام منا انما * عبد شمس عم عبد المطلب

ثنائى

تداني عن الاخرى وقد قربت مدى * تداني من الدنيا وقد أزمعت شحطا
وتمنحها حبا وفرط صبابة * وما منحت الا القتادة والخرطا
فها أنت تهوى وصلها وهي فارك * وتأمل قربا من حماها وقد شطا
سراط هدى فكبت عنه عماية * ودار ردى اودعت في شجنها سرطا
فمالك الا السيد الشافع الذى * له فضل جاه كل ما يرتجى يعطى
دليل الى الرحمن فانهج سبيله * فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبته شرط القبول فمن خلت * صحيفته منها فقد فقد الشرطا
وما قبلت منه لدى الله قربة * ولا زكت الاعمال بل حبطت حبطا
به الحق وضاح به الافك زاهق * به الفوز مرجو به الذنب قد حطا
هو الملجأ الاحمى هو الموئل الذى * به في غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحي محبته التي * بقلبي خطت قبل أن أعرف الخطا
اليك ابن خير الخلق بنت بديهة * تقبل تبجيلا أناملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة * لتبسط من شتى بدائعها بسطا
وتتلو آيات التشيع انها * لموثقة عهدا ومحكمة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد * وحسبك أن تنمى الى سبطه سبطا
الى شرف دين وعلم تظاهرا * تبارك من أعطى وبورك في المعطى
ورهطك أهل البيت بيت محمد * فأعظم به بيتا وأكرم به رهطا
بعثت به عقدا من الدر فاخرا * وذكر رسول الله درته الوسطى
وأهديت منها للسيادة غادة * نظمت من الدر الثمين بها سمطا
وحاشيتها من كل ما شانها فان * تجد حوشي تجد لفظها سبطا
وفي الطيبين الطاهرين نظمتها * فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ما ذر شارق * وما رددت ورقاء في غصنها الغطا

وقال

لله عصر الشباب عصرا * فتح للخير كل باب
حفظت ماشئت فيه حفظا * كنت أراه بلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * ند ولكن بلا اياب
لا تعتنوا بعدها بحفظ * وقيدوا العلم بالكتاب

وقال

يا أيها الممسك البخيل * الهك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالاله تربح * فان احسانه جزيل
وقدم الاقربين واذكر * ما روى ابدا أبمن تعول

وقال

وقائلة لم عراك المشيب * وما ان بعهد الصبا من قدم
فقلت لها لم أشب كبرة * ولكنه الهم نصف الهرم

وقال

أيعتاد نى سقم وأنت طبيب * وتبعد آمالي وأنت قريب
يقيني أن الله جل جلاله * يقيني فراجي الله ليس يخيب

على الرشيد فقال له الحاجب ان أمير المؤمنين قد اصيب في هذه الليلة بولد وولد له ولد فعزوهن فلما مثل قال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر * ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هون عليه الاطباء علته فارسل الى طبيب فارسي كان هناك فاراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرفوا صاحب هذا الماء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هذه العلة فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرئ مثله فيما مضى

واشتد ضعفه وارجف الناس بموته فدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت على السرج فقال أنزلوني صدق المرجفون ثم دعا بأكفان فاختار منها ما أراد وأمر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال ما أغنى عنى ماليه هلك عني سلطانيه ثم دعا باخي رافع فقال أزعجتموني حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتي وضعفي وكان رافع ممن خرج عليه قال لاقتلنك قتلة ما قتل مثلها أحد قبلك ثم أمر ففصل عضوا عضوا

بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لامانتكم والنصيحة لائمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم أموالا وضياعا (قال) الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحانت منه التفاتة فقال اجلس يا أصمعى أرأيت ما كان قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أما والله لو كان لامر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لابى العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت منه غداة مضى دساكره
وبمن أذل الموت مصرعه فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم صاروا مصيرا أنت صائره
يا مؤثر الدنيا بلذته والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الد نيا فان الموت آخره

ثم قال الرشيد كانى والله أخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا ما

وقال

هى النفس ان أنت سامحتها * رمت بك أقصى مهاوى الخديعه
وان أنت جشمتها خطة * تنافى رضاها تجدها مطيعه
فان شئت فوزا فناقض هواها * وان واصلتك أجزها القطيعه
ولا تعبأن بميعادها * فميعادها كسراب بقيعه

وقال

من أنت يا مولى الورى مقصوده * طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق * وشهوده قامت عليه شهوده
وليفنين عن نفسه ورسومه * طرا وفى ذاك الفناء وجوده
وليحفظنه بارق يرقى به * فى أشرف المعراج ثم يعيده
حتى يظل وليس يدرى دهشة * تقريبه المقصود أم تبعيده
لكنه ألقى السلاح مسلما * فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده اكرامه * وهوانه ومفيده ومبيده

وقال ملغزا فى جل

حاجيت كل فطن لبيب * ما اسم لانثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فز رها قربة * فزورها أحق بالتقريب
تشركها فى الاسم انثى لم تزل * حافظة لسرها المحجوب
وقد جرى فى خاتم الوحى الرضى * لها حديث ليس بالمكذوب
وهو اذا ما الفاء منه صحفت * صبغ الحياء لا الحيا المسكوب
فها كها واضحة أسرارها * فامرها أقرب من قريب

وقال أيضا فى آب

حاجيتكم ما اسم علم * ذو نسبة الى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحبيب هو بالتصحيف أو بدء قسم
دونكه أوضح من * نار على رأس علم

وقال فى كانون

وما اسم لسميين * ولم يجمعهما جنس
فهذا كلما يأتى * فبالآخر لى انس
وهذا ماله شخص * وهذا ماله حس
وهذا ماله سوم * وذا قيمته فلس
وهذا أصله الارض * وهذا أصله الشمس
وهذا واحد من سبعة تحيا بها النفس
فمن محموله الجن * ومن موضوعه الانس
فقد بان الذى الغز * ت ما فى أمره لبس

وقال فى سلم

ما اسم مركب مفيد الوضع * مستعمل فى الوصل لا فى القطع
ينصب لكن اكثر استعمال من * يعنى به فى الخفض أو فى الرفع
هو اذا خففته مغيرا * تراه شملا لم يزل ذا صدع
فالاسم ان طلبته تجده فى * خامسة من الطوال السبع
وهو اذا صحفته يعرب عن * مكسر فى غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل * آثاره محمودة فى الشرع
هما جميعا من بنى النجار والافضل أصل فى حنين الجذع
فها كه قد سطعت أنواره * لا سيما لكل ذاكى الطبع

وقال فى مائدة

حاجيت كل فطن نظار * ما اسم لانثى من بنى النجار
وفى كتاب الله جاء ذكرها * فقلما يغفل عنها القارى
فى خبر المهدى فاطلبها تجد * ان كنت من مطالعى الاخبار
ماهى الا العيد عيد درجة * ونعمة ساطعة الانوار
يشركها فى الاسم وصف حسن * من وصف قضب الروضة المعطار
فها كه كالشمس فى وقت الضحى * قد شق عنها حجب الاستار

(ثم قال لسان الدين) وأما نثره فطوّلات عرفت بما تخللها من الاحوال متونها وقلت لمكان البديهة والاستعجال عيونها وقد اقتنصت جزأ منها سميته تافه من جم ونقطة من يم وولد بغرناطة فى جمادى الاولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة وتوفى ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من شوّال عام تسعة وأربعين وسبعمائة وأنشدت من نظمى فى رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة

ما للبراع خواضع الاعناق * طرق النعى فهن فى اطراق
وكأنما صبغ الشحوب وجوهها * والسقم من جزع ومن اشفاق
ما للصحائف صوّحت روضاتها * أسفا وكن نضيرة الاوراق
ما للبيان كؤسه مهجورة * غفل المدير لها ونام الساقى
مالى عدمت تجلدى وتصبرى * والصبر فى الازمات من أخلاقى
خطب أصاب بنى البلاغة والحجا * شب الزفير به عن الاطواق
أمّا وقد أودى أبو الحسن الرضا * فالفضل قد أودى على الاطلاق
كنز المعارف لا تبيد نقوده * يوما ولا تفنى على الانفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى * ما بين شام للورى وعراق
من لليراع يجيل من خطيها * سمر العدا ومفاتح الارزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى * وأراقم ينفثن بالترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنها * خجل الخدود وصبغة الاحداق
تغتال احشاء العدو كأنها * صفحات دامية الغرار رقاق

(فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة) لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله لا يحيى فى رأيه ولا الفضل فى جوده ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته ولا محمد ابن يحيى فى رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى فى شجاعته وفيمن ذكرنا يقول الشاعر أولاد يحيى بن خالد وهم

أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم اذا سألت بهم
مفرق فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الاموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان ايقاعه بهم فى سنة سبع وثمانين ومائة واختلف فى سبب ذلك فقيل احتيازا الاموال وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبى طالب كان فى أيديهم وقيل غير ذلك والله أعلم (ويحكى) أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يديه الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد

عن النظر فى أمور الرعية ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فانه من عاد الى ما يزينه لم يعرفه أهل دهره الا به والسلام وكتب فى أسفله هذه الابيات

انصب نهارا فى طلاب العلا
واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا
واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهى
فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا
يستقبل الليل بامر عجيب
ألقى عليه الليل أستاره
فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة
يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر الى ما يكتب فلما فرغ قال أبلغت يا أبت فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى أن انصرف عن عمله (قال) اسحق كنت عند الرشيد يوما وأحضر البرامكة الشراب وأحضر يحيى بن خالد جارية فغنت

أرقت حتى كأنى أعشق الارقا
وذبت حتى كأن السقم لى خلقا
وفاض دمعى على قلبى فاغرقه
يامن رأى غرقا فى الماء محترقا

وتهـز أعطاف الولى كأنها * راح مشعشعة براحة ساقى
من للفنون يجيل فى ميدانها * خيل البيان كريمة الأعراق
من للحقائق أبهمت أبوابها * للناس يفتحها على استغلاق
من للساعى الغر تقصد جاهه * حرما فينصرها على الاخفاق
كم شد من عقد وثيق حكمه * فى الله أو أفتى بحل وثاق
رحب الذراع بكل خطب فادح * أعيت رياضته على الحذاق
صعب المقادة فى الهوادة والهوى * سهل على العافين والطراق
ركب الطريق الى الجنان وحورها * يلقينه بتصافح وعناق
فاعجب لانس فى مظنة وحشة * ومقام وصل فى مقام فراق
أطيبا بمحامد العمل الرضى * ومكفنا بمكارم الاخلاق
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى * رضوى نسير به على الاعناق
ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى * ان اللحود خزائن الأعلاق
يا كوكب الهدى الذى من بعده * ركد الظلام بهذه الآفاق
يا واحدا مهما جرى فى حلبة * جلى بغرة سابق السباق
يا ثاويا بطن الضريح وذكره * أبدا رفيق ركائب ورفاق
يا غوث من وصل الصريخ فلم يجد * فى الارض من وزر ولا من واقى
ما كنت الا ديمة منشورة * من غير ارعاد ولا ابراق
ما كنت الا روضة ممطورة * ماشئت من ثمر ومن أوراق
يا مزمعا عنا العشى ركابه * هلا ثويت ولو بقدر فواق
رفقا أبانا جل ما حملتنا * لا تنس فينا عادة الاشفاق
واسمع ولو بمزار لقى فى الكرى * تبقى بها منا على الارماق
واذا اللقاء تصرمت أسبابه * كان الخيال تعلة المشتاق
عجبا لنفس ودعتك وايقنت * أن ليس بعد نواك يوم تلاقى
ما عذرها ان لم تقاسمك الردى * فى فضل كأس قد شربت دهاق
ان قصرت اجفاننا عن أن ترى * تبكى النجيع عليك باستحقاق
واستوقفت دهشا فان قلوبنا * نهضت بكل وظيفة الآماق
ثق بالوفاء على المدى من فتية * بك تقتدى فى العهد والميثاق
سجعت بما طوقتها من منة * حتى زرت بحمائم الاطواق
تبكى فراقك خلوة عمرتها * بالذكر فى طفل وفى اشراق
أما الثناء على علاك فذائع * قد صح بالاجماع والاصفاق
والله قد قرن الثناء بارضه * بثنائه من فوق سبع طباق
جادت ضريحك ديمة هطالة * تبكى عليه بوا كف رقراق
وتغمدتك من الاله سعادة * تسمو بروحك للمحل الراقى

فقال الرشيد لمن هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فاحضرت وقيل للجارية أعيدى فاعادت فقال لمن صبرا

صبرا بنى الجباب ان فقيد كم * سيسر مقدمه عما هو لاقى
واذا الاسى لفح القلوب أواره * فالصبر والتسليم أى رواق

وأنشد فى هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزى

ألم تر أن المجد أقوت معالمه * فاطنابه قد قوّضت ودعائمه
هوى من سماء المعلوات شهابها * وخانت جواد المكرمات قوائمه
وثلت من الفخر المشيد عروشه * وفلت من العز المنيع صوارمه
وعطل من حلى البلاغة قسها * وعرّى من جود الانامل حاتمه
أجل انه الخطب الذى جل وقعه * وثلم غرب الدين والعلم جاهمه
والافا للنوم طار مطاره * وما للازيم الحزن قصت قوادمه
وما لصباح الانس أظلم نوره * وما لمحيا الدهر قطب باسمه
وما لدموع العين فضت كأنها * فواقع زهر والجفون كمائمه
قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى * فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ومن قارع الايام سبعين حجة * ستنبو عراراه ويندق قائمه
وفى مثلها أعيا النطاسى طبه * وضل طريق الحزم فى الرأى حازمه
تساوى جواد فى رداه وباخل * فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه
وما نفعت رب الجياد كرامه * ولا منعت منه الغنىّ كرائمه
وكل تلاق فالفراق أمامه * وكل طلوع فالغروب ملازمه
وكيف مجال العقل فى غير منفذ * اذا كان بانى مصنع هو هادمه
ليبك عليا مستجير بعدله * يصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
ليبك عليا مائح بحر علمه * يروّى بانواع المعارف هائمه
ليبك عليا مظهر فضل نحله * يحلأ عن ورد الماء ثم حائمه
ليبك عليا معتف جود كفه * يواسيه فى أمواله ويقاسمه
ليبك عليا ليله وهو قائم * يكابده أو يومه وهو صائمه
ليبك عليا فضل كل بلاغة * يخلده فى صفحة الطرس راقمه
وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه * ليوث الشرى فى خيسها وضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى * اذا الله أعطى فهو فى الناس قاسمه
يسدّده سهما وينضوه صارما * ويشرعه رمحا فكل يلائمه
اذا سال من شقيه سائل حبره * بما شاء منه سائل فهو عالمه
ليبك عليه اليوم من كان باكيا * فتلك مغانيه خلت ومعالمه
تقلده منه الملك عضب بلاغة * يقدّ السلوقىّ المضاعف صارمه
وقلده مثنى الوزارة فاكتفى * بها ألمعىّ حازم الرأى عازمه
ففى يده وهو الزعيم بحقها * يراعته والمشرفى وخاتمه
سخى على العافين سهل قياده * أبىّ على العادين صعب شكائمه

ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا أرى ان لسان النعمة انطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة أمدح

سرورك الهاك عن موعدى
فصيرت تفاحتى تذكره
فاخذ الرشيد تفاحة وكتب عليها بغالية
تقاضيت وعدى ولم أنسه
فتفاحتى هذه معذره
ثم قال يا خالد قل فى هذا شيأ فقال
تفاحة خرجت بالدر من فيها
أشهى الى من الدنيا وما فيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية
كأنما قطفت من خدمهديها

(حدث الجاحظ) عن أنس بن أبى شيخ قال ركب جعفر بن يحيى ذات يوم وأمر خادما له أن يحمل ألف دينار وقال سأجعل طريقى على الاصمعى فاذا حدثنى فرأيتنى ضحكت فاجعلها بين يديه ونزل جعفر عند الاصمعى فجعل يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك فلم يضحك وخرج من عنده فقال له أنس رأيت منك عجبا أمرت بالف دينار للاصمعى وقد حرك بكل مضحكة وليس من عادتك ان ترد الى بيت مالك ما قد خرج عنه فقال له ويحك انه قد وصل اليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة فرأيت فى داره خباء مكسورا وعليه دراعة خلق

اذا اضلت الآراء فى ليل حادث * رآها برأى يصدع الخطب ناجمه
وقام بأمر الدين والملك حاميا * فذل معاديه وضل مراغمه
وقد كان نيط العلم والحلم والتقى * به وهو ما نيطت عليه تمائمه
ودوخ أعناق الليالى بهمة * يبيت ونجم الافق فيها يزاحمه
وزاد على بعد المنال تواضعا * أبى الله الا أن تتم مكارمه
سقيت الغوادى أى علم وحكمة * ودين متين ذلك القبر كاتمه
ومازال يستسقى بدعوتك الحيا * وها هو يستسقى لقبرك ساجمه
بكت فقدك الكتاب اذ كان شملهم * يؤلفه من دوح فضلك ناعمه
وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم * نداك فكنت الروض ناحت حمائمه
ويبكيك منى ذاهب الصبر موجع * توقد فى جنبيه للحزن جاحمه
فتى نال منه الدهر الا وفاءه * فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه
عليل الذى زرت عليه جيوبه * قريح الذى شدت عليه حزائمه
فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة * تعارض دونى بأسه وتصادمه
سأصبر مضطرا وان عظم الأسى * أحارب حزنى مرة وأسالمه
وأهديك اذ عز اللقاء تحية * وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد الفقيه القاضى أبو جعفر بن جزى قصيدة أولها

أبثكما والصبر للعهد ناكث * حديثا املته على الحوادث

وأنشد القاضى أبو بكر بن على القرشى قصيدة أولها

هى الآمال غايتها انفاد * وفى الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب القاضى أبو القاسم بن الحكم قصيدة أولها

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا * ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وهذه ثلاث قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك والتجلة فى مثل هذا مقصورة على أولى الامر انتهى ما لخصته من ترجمته فى الاحاطة ولنزد فنقول ومن ألغازه فى الدرهم

ما بغيض الى الكرام خصوصا * وحبيب الى الانام عموما
فاعجبوا منه كيف يحمى ويحمى * ويكف العدا ويغنى العديما
ان تغير شطريه فالاول اسم * يألف الضرع والغمام السجوما
و يكون الثانى كبير أناس * حطمته حياته تحطيما
فاذا ما قلبت أول شطر * رد منطوق لغزه مفهوما
واذا ما قلبت ثانى شطر * كان كفا وليس كفا رقيما
قلبه بعد حذف الفاء منه * هو شئ يحال التحريما
أو صغير مستحسن لم يؤدب * ان تعلمه يقبل التعليما
فلتبين ما قلته ولتعين * وبه فلتقم مقاما كريما

عنه وفى الرشيد وجعفر يقول الشاعر

أضاف الى بيعته بيعة * فقام بها جعفر وحده
بنو برمك أسسوا ملكه * وشدوا الوارثه عقده

وكان يحيى بن خالد ذا بحث ونظر وله مجالس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجر والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجرير والكمية والكيفية والمضاف والامامة أنص هى أم اختيار وسائر ما توردونه من الكلام فى الاصول والفروع فقولوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ما سنح له فيه وخطر بباله فقال على بن هيثم أيها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمى وهو خارجى المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر

وقال فى المسك

ما طاهر طيب ولكن * ما اصله من ذوى الطهاره
من الظباء الحسان لكن * اذا تأملته ففاره
نص حديث الرسول فيه * شهادة تقتضى بشاره
تصحيفه بعد حذف حرف * منزلك الآهل العماره يعنى مبنى

وقال فى فلك

ما اسم لشئ مرتقى * فى مغرب ومشرق
اذا حذفت فاءه * كان لك الذى بقى

وقال أيضا فى الفنار

ما اسم اذا حذفت منه فاءه المنوعه
فانه ابنة الزنا * مضافة لاربعه يعنى ابنة الزناد وهى النار

وقال فى النوم

ما اسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان دخلت البيت بالتصحيف حق التعنيف
وان أردت شبهه * فقلبه بالتصحيف
بينه فهو فى كتا * ب الله بادى التعريف

وقال فى غزال

حاجيتكم ما اسم شئ * يروق فى الوصف حسنا
له محاسن شتى * منها فرادى ومثنى
٣ * له بل الشعر أثنى
مهما تنله بحذف * أتاك حرف المعنى
ان زال أول حرف * زال الذى منه يعنى
أو زال ثانيه منه * فالقتل أدهى وأفنى
أو زال ثالثه فهو لغوصب معنى
أو زال رابعه فالجهاد فيه تسنى
فأوضح القصد يا من * قد فاق عقلا وذهنا

وقال فى النمل

ما حيوان اسمه * قد جاء فى الذكر الحكيم
وهو اذا قلبته * لمن به انت عليم
وان تصحف اسمه * فبعض اوصاف اللئيم

وقال فى دواة

وما انثى بهار عى الرعايا * وامضاء المنايا والقضايا
وتقصدها بنوها من رضاع * اذا انبعثوا الابرام القضايا

صيب المزن فى خلال الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو مغرى بى أيها الوزير العشق يختم على النواظر و يطبع على الافئدة مرتعه فى الاجساد ومسرعه فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام لا يصفو له موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غير أنه من أريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمائل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسنح به نازع العذل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق أرق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى ما اقتصد فاذا أفرط عاد أصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضحه

٣٠ ط ت ٣ هكذا بياض بالاصل ولعله (النشرفية ثناء) تأمل اه من هامش الاصل المطبوع

لها اسم ان أزلت النقط منه * فعذ بالله من شر البلايا
وان أبدلت آخره بهمز * فقد أبرأت نازلة الشكايا
وان بدلت أوله بنون * أتيت ببعض أرزاق المطايا
فأوضح ما رمزناه بفكر * سديد القصد مبد للخفايا

وقال فى سفينة

ماذات نفع وغناء عظيم * لها حديث فى الزمان القديم
أوحى بها الله الى عبده * فيذا فعل الرسول الكريم
دعا بها فيما مضى صالح * حسبك مانص الكتاب الحكيم
وفى كتاب الله تردادها * فاقرأ تجده فى قضايا الكليم
ان أنت صحفت اسمها تلقه * محل انس أو بلاء مقيم
أو هو فعل لك فيما مضى * لكن اذا ابرأت داء السقيم
فها كه قد لاح برهانه * مبينا الكل فكر سليم

وقال فى المسك ايضا

كتبتم كثيرا ولم تكتبوا * كهذا الذى سبله واضحه
فما اسم جرى ذكره فى الكتاب * فان شئته فاقرأ الفاتحه
ففيها مصحف مقلوبه * يعبر عن حالة صالحه
ولسيت بغادية فاعلموا * ولكنها ابدا رائحه

و يعنى بقوله فى الفاتحة قوله اول الابيات كتبتم فافهم

وقال فى صقر

حاجيتكم ما اسم لبعض السباع * تصحيفه مالك فيه انتفاع
وعكسه ان شئت عكساله * يوجد لكن عند دور السماع
وان تصحف بعد قلب له * فمذهب يعزى لاهل النزاع
فبين الالغاز وارفع لنا * بنور فكر منك عنه القناع

وقال فى الحوت

ماحيوان فى اسمه * ان اعتبرته فنون
أحرفه ثلاثة * والكل منها هو نون
ان انت صحفت اسمه * فاجناه المذنبون
أو ابيض أو أسود * او صفة النفس الخؤن
قلب اسمه مصحفا * عليه دارت السنون
كانت به فيما مضى * عبرة قوم يعقلون
اودع فيه زمنا * سر من السر المصون
فها كه كالنار فى الزند له فيها كمون

وقال فى لبن

ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بالفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وماعلة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراطه هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكا فمن أجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير أن ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى ان العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا قوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك أن التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السوداء فاذا

أعديك ما اسم اذا ما * صحفته فهو سبع
وان تصحف بعكس * ففيه للقبط شرع
والاسم يعرب عما * لديه رى وشبع
فى النحل يأتى ولكن * لا يتقى فيه لسع
فليس للنحل أصلا * ولا لها فيه فرع
فهاكه قد تبدى * يحجبه عنه رفع

وقال فى القلم

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسقى دموعا * يرقن كما يروق الابتسام

وله رحمه الله تعالى كثير من هذا ولم أر أحدا أحكم الالغاز مثل ما أحكمها ابن الجياب المذكور ولولا الاطالة لذكرت منها ما يستدل به على صحة الدعوى وفيما ذكرنا كفاية

*(ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور) فى رثاء عمر بن على بن عتيق القرشى الهاشمى الغرناطى قوله

قضى الامر فيا نفس اصبرى * صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادى انه * حكم ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكمها تدبيره * نحن منها فى سبيل السفر
أجل مقدر ليس بمستقدم يوما ولا مستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى * خشية لربه فى عمر
فى امامنا التقى الخاشع الطاهر الذات الزكى النير
قرشى هاشمى منتقى * من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه * دائم الذكر طويل السهر
فى صلاة بعثت وفودها * زمر المصطفى من مضر
قائما أو راكعا وساجدا * لطلوع فجره المنفجر
جمع الرحمن شملنا غدا * بحبيب الله خير البشر
وتلقته وفود رحمة الله تأتى بالرضا والبشر انتهى

قلت هذا النظم وان برد بما فيه من الزحاف فله من الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف *قال لسان الدين ولما نظم القاضى أبو بكر بن شبرين بيت الكتابة وما ألف الجملة هذين البيتين

ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

وأخذ الاصحاب فى تذييل ذلك قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب رحمه الله تعالى ورضى عنه

قويت جلبت الفكر فتشتعل على الحرارة وتلتهب الصفراء ثم تستحيل الصفراء سوداء وتصير مادة لها فتقوى طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد ما به فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه مات فيصير حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه فى تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجأة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزأها انصافا وجعل لكل نصف جسدا فكل جسد لقى قسيمه وهو ذلك النصف من الكرة كان بينهما عشق المناسبة القديمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب ما قوم الى تعتقده العرب فى ذلك ومنه قول جميل فى بثينة

تعلق روحى روحها قبل خلقها * ومن قبل ما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا * وليس وان متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة * وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

وقال جالينوس المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما

فمن يعمر الاوقات طرا بذكره * فليس نصيب في الهدى كنصيبه
ومن كان عنه معرضا طول عمره * فكيف يرجيه شفيع ذنوبه

وقال أبو القاسم بن أبي العافية

أليس الذي جلى دجى الجهل هديه * بنور أقنا بعده نهتدي به
ومن لم يكن من ذاته شكر منعم * فشهده في الناس مثل مغيبه

وقال ابو بكر بن ارقم

نبي هدانا من ضلال وحيرة * الى مرتقى سامي المحل خصيبه
فهل ينكر الملهوف فضل مجيره * و يغمط شاكي الداء شكر طبيبه

فانتهى القول الى الخطيب ابي محمد بن ابي الجد فقال

ومن قال مغرورا اجابك ذكره * فذلك مغمور طريد عيوبه
وذكر رسول الله فرض مؤكد * وكل محق قائل بوجوبه

وقال يوما الشيخ ابو الحسن بن الجياب تجربة للخاطر على العادة

جاهد النفس جاهدا فاذا ما * فنيت منك فهو عين الوجود
وليكن حكمها المسدد فيها * حكم سعد في قتله لليهود

فاجابه ابو محمد بن ابي الجد بقوله

ايها العارف المعبر ذوقا * عن معان عزيزة في الوجود
ان حال الفناء عن كل غير * كمقام المراد غير المريد
كيف لي بالجهاد غير معان * وعدوي مظاهر بجنود
ولواني حكمت فيمن ذكرتم * حكم سعد لكنت جد سعيد
فاراها حياته بي فتونا * واراني في حبها كيزيد
كيف اسلو بمحكم عن هواها * ولو ابدت فعل المحب الودود
ليس شيء سوى الهلك يبقى * واعتبر صدق ذا بقول لبيد

انتهى

وابن أبي الجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن محمد بن اشعث الرعيني من ارجدونة من كورة رية يكنى ابا محمد ويعرف بابن ابي الجد كان من اعلام الكورة سلفا وصلاحا ونيه في الصالحين كثير الايثار بما تيسر مليح التخلق حسن السمت طيب النفس حسن الظن له حظ من الادب والفقه والقراآت والفرائض وخوض في التصوف قطع عمره خطيبا وقاضيا ببلده ووزيرا قرأ على الاستاذ ابي جعفر بن الزبير وابن ابي فضيلة المعافري وابن رشيد واجازه طائفة كبيرة توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة وثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى (رجع) ومن نظم ابن الجياب ما كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة

ياطالب العلم هذا بابه فتحا * فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل ومرتحل * اذ قرب الله من مرماك ما نزحا
وشرفت حضرة الاسلام مدرسة * بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا

في العقل ولا تقع بينهما الاحمقين وان كانا شكلين في الحمق لان العقل يجري على ترتيب فهما يجزيان فيه على طريق واحدة والاحمق لا يجري على ترتيب ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان ولا يختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال

ثلاثة أحباب فحب علاقة
وحب تملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية ببغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لا مثل له ولا نظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه وللباطنية المتصوفة في هذا كلام كثير وقال افلاطون ما أدري ما الهوى غير أنه جنون والهوى لا محمود ولا مذموم * وكتب بعض الكتاب الى أخ له انى صادفت منك جوهر نفسي فانا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وانما خرجنا عما كنا فيه آنفا من أخبار البرامكة

أعمال يوسف مولانا ونيته * قد طرزت صحفا ميزانها رجحا

ومنه قوله

أبى الله الا أن تكون اليد العليا * لاندلس من غير شرط ولا ثنيا
وان هي عضتها بنوب نوائب * فصيرت الشهد المشور بها شريا
فما عدمت أهل البلاغة والحجا * يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا
اذا خطبوا قاموا بكل بليغة * تجلي القلوب الغلف والاعين العميا
وان شعروا جاؤا بكل غريبة * تخال النجوم النيرات لها حليا
فأسأل في الدنيا من الله ستره * علينا وفي الاخرى اذا حانت اللقيا

وقال أبو الحسن بن الجياب

أرى الدهر في أطواره متقلبا * فلا تأمنن الدهر يوما فتخدعا
فما هو الا مثل ما قال قائل * مكر مفر مقبل مدبر معا

(وحكى) أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له يا فقيه نعم بالهدنة زمانك أراد نعمت الهدية رمانك وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله تعالى * (ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى) ما كتبه عن سلطانه الى بعض سلاطين وقته وهو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس ونصه المقام لدى الملك المنصور الاعلام والفضل الثابت الاحكام والمجد الذي أشرقت به وجوه الايام والفخر الذي تتدارس أخباره بين الركن والمقام والعز الذي تعلو به كلمة الاسلام مقام محل الاب الواجب الاكبار والاعظام السلطان الكذا أبقاه الله في ملك منيع الذمار وسعد باهر الانوار ومجد رفيع المقدار وسلطان عزيز الانصار كريم المآثر والآثار كفيل بالاعلاء لدين الله والاظهار معظم مقامه وموقره ومجل سلطانه ومكبره المثني على فضله الذي أربى على ظاهره مضمره الشاكر لمجده الذي كرم أثره المعتد بأبوته العلية في كل ما يقدمه ويؤخره ويورده ويصدره الداعي الى الله تعالى بطول بقائه في سعد سام مظاهره حام عسكره فلان سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي أولاكم ملكا منصورا وفخرا مشهورا وأحيا بدولتكم العلية لمكارم الاخلاق ذكرا منشورا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اختاره بشيرا ونذيرا وشرح بهدايته صدورا وجعل الملأ الاعلى له ظهيرا والرضا عن آله وصحبه الذين ظاهروه في حياته وخلفوه في أمته بعد وفاته فنالوا في الحالين فضلا مسطورا وأجرا موفورا والدعاء لمقامكم الاعلى أسماه الله تعالى بنصر لا يزال به الاسلام محبوا محبورا وسعد يملأ أرجاء البسيطة نورا فكتبته كتب الله لكم عوائد السعاده وحباكم من آلائه بالحسنى والزياده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه الا الخير الاكمل والبر الاشمل والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله واما الذي عند معظم أمركم من الاعظام لمقامكم والاكبار والثناء المردد المجدد على توالي الاعصار والشكر الذي تتلى سوره آناء الليل والنهار والعلم بما لكم

عند ذكرنا العشق فتغلغل بنا الكلام الى ايراد ما قيل في ذلك فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا في الملك وتناهوا في الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيى ويحك يا جعفر ليس في الارض طلعة أنا بها آنس ولا اليها أميل وأنا بها أشد استماعا وأنسا مني برؤيتك وان للعباسة أختي مني موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت في أمري معكما فوجدتني لا أصبر عنك ولا عنها ورأيتني ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها وكذلك حكمي في يوم كوني معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لي به السرور وتتكاثف لي به اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد في أمورك كلها قال له الرشيد قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها في مجلس أنا معكما فيه فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر اليه في ذلك وأبى فاشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه وأخذ

من المكارم التي سار ذكرها في الاقطار أشهر من المثل السيار والاعتداد بسلطانكم
العلي في الاعلان والاسرار والاستناد الى جنابكم الكريم في الاقوال والافعال والاخبار
فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظا لحوظا بعين الاستبصار والله ولي العون على ذلك بفضله
وطوله والى هذا أيد الله تعالى سلطانكم ومهد أوطانكم فقد تقدمت مطالعة مقامكم
أسماه الله أن ملك قشتالة دس من يتحدث في عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد ويرتفع به
عنها مكابدته من جهة الاعاد وقدرنا أولا أن ذلك ليس على ظاهر الحال فيه وأنه يبدي
به غير ما يخفيه ولكن جرينا معه في ذلك المضمار قصد التشوف على الاخبار فلما دار
الحديث في هذا الحكم ظهر منه انه قد جنح للسلم وكان خديمنا نقروز بحكم الاتفاق قد ورد
اشبيلية لبعض اشغاله فاستحضره وأخذ معه في أمر الصلح وشرح أحواله وأعاده الى معظمكم
ليستفهم ما عنده ويعلم مذهبه وقصده فاعيد اليه بانه ان أراد المصالحة على صلح والده مع
هذه الدار النصريه من غير زيادة على شروط تلك القضيه ولا يعرض لاسترجاع معقل من
المعاقل التي أخلصت من يد النصرانيه وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة وغيرهما
من البلاد الاندلسية فلا بد من مطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين أبي سعيد أيده الله
واستطلاع ما يراه وحينئذ نعمل بحسب نظره الجميل ومقتضاه وأكد على نقروز في أنه ان انقاد
لهذا الامر فليعقد معه هدنة لا بد من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال واعلامكم
ويستطلع فيها نظر مقامكم فها هو الآن عاد يوم تاريخ هذا بكتاب ملك قشتالة وقد أجاب الى
الصلح وانقاد اليه على حسب ما شرط عليه وأعطى مهادنة مدة شهر فبراير ليعرف فيها
مقامكم ويعلم ما لديه ووافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الاجل أبي عبد الله بن حبشية أعزه
الله من بابكم الكريم أسماه الله فاخذ معه في هذا القصد واستفهم عما لديه من مقامكم
في ذلك من الامضاء أو الرد فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم في عقد السلم على ما يراه من
الاحكام اذ ظهر فيها المصلحة لاهل الاسلام فلما عرف مذهبكم الصالح وقصدكم
الناجح رأى أن يوجه الى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح على ما يعود ان شاء الله
تعالى على المسلمين بالنجح وقدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدي جوابكم الوافد
من مقامكم صحبة الفقيه أبي عبد الله أعزه الله تعالى ولا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد
في الوقت الى هدنة يستدرك بها رمقها ما لقيته من جهد الحرب وما حل بها في هذه السنين
من القحط والجدب فالصلاح بحمد الله في هذه الحال بادي الظهور والى الله عاقبة الامور
هذا ما تزيد لدى معظم مقامكم وما يتزيد بعد فليس الا المبادرة الى مطالعتكم واعلامكم
وما كان امساك الفقيه أبي عبد الله بن حبشية في هذه الايام الا الانتظار خبر الصلح حتى
يأتيكم به مستوفى الشرح وها هو قد أخذ في الرجوع الى بابكم الاسمى والقدوم الى
حضرتكم العظمى والله يصل سعودكم ويحرس وجودكم ويبلغكم أملكم ومقصودكم
والسلام * (ومن انشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى) في العزاء بالسلطان أبي الحسن المريني
ما صورته بعد الصدر أما بعد حمد الله الواحد القهار الحي القيوم حياة لا تتقيد بالاعصار
القهار الذي كل شيء في قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار الغني في ملكوته فلا

الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ أيمانه أنه لا يخلو بها ولا يجلس معها ولا يظله وإياها سقف
بيت الا وأمير المؤمنين
الرشيد ثالثهما فحلف له
جعفر على ذلك ورضي به
وألزمه نفسه وكانوا يجتمعون
على هذه الحالة التي وصفنا
وجعفر في ذلك صارف بصره
عنها وزور بوجهه هيبة لامير
المؤمنين ووفاء بعهده
وأيمانه ومواثيقه على ما
وافقه الرشيد عليه وعلقته
العباسة وأضمرت الاحتيال
عليه وكتبت اليه رقعة
فأزال رسومها وتهددها
وعادت فعاد بمثل ذلك فلما
استحكم اليأس عليها قصدت
لامه ولم تكن بالحازمة
فاستمالتها بالهدايا من نفيس
الجواهر والالطاف وما
أشبه ذلك من كثرة المال
وألطاف الملوك حتى اذا
ظنت انها لها في الطاعة
كالامة وفي النصيحة
والاشفاق كالوالدة ألقت
اليها طرفا من الامر الذي
تريده وأعلمتها ما لها في ذلك
من جزيل العاقبة وما لها
من الفخر والشرف
بمصاهرة أمير المؤمنين
وأوهمتها ان هذا الامر
اذا وقع كان به أمان لها
ولولدها من زوال النعمة
وسقوط مرتبته فاستجابت
لها أم جعفر ووعدتها أعمال
الحيلة في ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما فأقبلت على جعفر يوما فقالت له يا بني قد وصفت

يلحقه

بحقه لاحق الافتقار المريد الذى بارادته تصريف الاقدار وتقدير الآجال والاعمار
العالم الذى لاتعزب عن علمه خفايا الاسرار وخبايا الافكار مالك الملك وأهله ومدبر
الامور بحكمته وعدله تذكرة لاولى الالباب وعبرة لاولى الابصار خالق الموت والحياة
لينقلنا من دار الفناء الى دار القرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى
المختار الذى نهتدى بهديه الكريم فى الايراد والاصدار والاحلاء والامرار فى الشدة
والرخاء والسراء والضراء بسيره الكريمة الآثار ونتعزى بالمصيبة به عما دهم من
المصائب الكبار ونقدم منه الى ربنا شفيعا ماحيا للاوزار وآخذا بالحجز عن النار ونعلم
أننا باتباع سبيله نسعد سعادة الابرار وباقامة ملته وحماية شرعته ننال مرضاة الملك الغفار
والرضا عن آله وصحبه وأوليائه وحزبه الذين ظاهروه فى حياته على اقامة الحق الساطع
الانوار وخلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للذمار والدعاء لمحل أبينا والدكم المقدس
قدس الله روحه وبرد ضريحه بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار
والرضوان الذى يتبوأ به مبوأ أصدق فى الملوك المجاهدين الاخيار ولمقامكم الاعلى بسعادة
المقدار وتمهيد السلطان وبلوغ الاوطار فانا كتبناه كتب الله لكم عوائد النصر وربط
على قلبكم بالصبر من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عندما تحقق لدينا النبأ الذى فت فى
الاعضاد وشب نار الاكباد والحادث الذى هدّ أعظم الاطواد وزلزل الارض الراسية
الاوتاد والواقع الذى لولا وجودكم لحارسم الاجواد وعطل رسوم الجهاد وكسا الآفاق
ثوب الحداد والخطب الذى ضاقت له الارض بما رحبت وأمرت الدنيا بعد ما عذبت من
وفاة محل أبينا أكبر ملوك المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين والدكم أتحفه الله تعالى
برود رضاه وجعل جنته نزله ومثواه ونفعه بما أسلف من الاعمال الكريمه وما خلده من الآثار
العظيمه فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما قضاه ورضا بما أنفذه وأمضاه وعند الله
نحتسبه منه والدا شفيقا حانيا رفيقا لم يزل يولى الجميل قوله وفعله ويصل لنا من أسباب
عنايته ما اقتضاه فضله وما هو أحق به وأهله وكنا طول حياته لم نجد أثر الفقد الوالد
لما أولانا من جميل العوائد وكرم المقاصد جزاه الله أحسن جزائه وأعاننا على توفية حقه
وأدائه ولمثل هذه المصيبة ولا مثل لها تظلم الارجاء ويضيق الفضاء وتبكيه مسومة
الجياد ومعالم الجهاد والسيوف فى الاغماد وشتى العباد والبلاد فلا تسألوا كيف
هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم والحادث المقعد المقيم والرزية التى لارزية مثلها
والحادثة التى أصيبت بها الملة وأهلها فوجدنا الفقد يتضاعف مع الآناء ويتجدد
تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء ولكنه أمر حتم وقضاء من الله جزم وسبيل
يسلك عليها الاول والآخر والآتى والغابر وليس الا التسليم لما حكم به الحكيم العليم
ولما انتهى الينا هذا النبأ الذى ملأ القلب حسره والعين عبره وتواترت شتى الانباء
وغلب اليأس فيها على الرجاء وجدنا له ما يوجد لفقد الاب الذى ابتدأ بالاحسان والاجمال
وأولى عوارف القبول والاقبال ولكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد وجبر كسر ذلك الفقد
الامام من الله به علينا وعلى المسلمين من تقلد حكم ذلك الملك الذى بكم سمت معالمه وقامت

لى وصيفة فى بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت فى الادب والمعرفة والظرف
والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة مالم ير مثله وقد عزمت على اشترائها لك وقد قرب الامر بينى وبين مالكها فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه وتطلعت اليها نفسه وجعلت تمطله حتى اشتد شوقه وقويت شهوته وهو فى ذلك يلح عليها فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له أنا مهديتها اليك ليلة كذا وكذا وبعثت الى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت اليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد وقد بقى فى نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه فدخل منزله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ولا على خلقها واقفا فقام اليها فواقعها فلما قضى اليها حاجته قالت له كيف رأيت حيل بنات الملوك قال وأى بنات الملوك تعنين وهو يرى انها من بعض بنات الملوك فقالت أنا مولاتك العباسة بنت المهدى فوثب فزعا قد زال عنه سكره وفارقه عقله فاقبل عليها وقال لقد بعتنى بالثمن
الرخيص وحملتنى على المركب الوعر وانظرى ما يؤول اليه حالى وانصرفت مشتملة منه على

مراسمه وعليكم انعقد الاجماع وبولايتكم استبشرت الاصقاع وكيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الاواب صاحب الحرب والمحراب عدة الاسلام وعلم الاعلام من ثبتت فضائله أوضح من محيا النهار وسارت مكارمه في الآفاق أشهر من المثل السيار وقد كان محل أبينا والدكم رضي الله عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار وماقمتم به من حقه الذي وفيتموه توفية الصلحاء الابرار ألقى اليكم مقاليد سلطانه وآثر اليكم أثر قبوله ورضوانه حتى انفصل عن الدنيا وقد ألبسكم من أثواب رضاه ماتنالون به قرة العين وعز الدارين والظفر بكلتا الحسنيين فتلك المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامي ذمارها وابن خيارها ومطلع أنوارها الملك الرضى العدل الطاهر قوام الدياجي وصوام الهواجر حسنة هذا الزمان ونخبة ذلك البيت المؤسس على التقوى والرضوان فالحمد لله على أن جبر بكم صدع الايمان وانتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان وأقر بكم ملك آبائكم الملوك الاعاظم وتدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم فان فقدنا أعظم مفقود فقد ظفرنا باكرم مقصود ومامات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيي سنن المعالي والمكارم وتعمل على شاكلة أسلافها الاكارم فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله ونور سعدكم في أرجائها طالع وسيف بأسكم في أعدائها قاطع وعزمكم الامضى لامرها جامع مانع قد أوت منكم الى الملجا الاحمى واستمسكت بايالتكم العظمى وعرفت انكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين وفضلكم المبين ومعاليكم القاطعة البراهين مايملؤها عدلا واحسانا وتبلغ به آمالها متمنى ووجدانا فهنيئا لناولها أن صارت في ملككم وأن تشرفت بملككم وألقت مقاليدها الى من يحمي حماها ويدفع عداها وليهن ذلك المقام الاعلى ما أولاه من العز الممكين وماقلده من الملك الذي هو نظام الدنيا والدين وأن أعطاه راية الجهاد فتلقاها باليمين لينصر بها ملة الرسول الصادق الامين فله الفخر بذلك على جميع السلاطين وأما هذه البلاد الاندلسية حماها الله فهي وان فقدت من السلطان الاعلى أبي سعيد أكرم ظهير ووقع مصابه منها بمحل كبير فقد لجأت منكم الى من يحميها ويكف باس أعاديها و يبتغي مرضاة خالقها فيها فلكم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب جديد الاثواب عريق الانساب أصيل الاحساب ومجدكم جار على أعراقه جري الجياد العراب وانا لما وردعلينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى ووفد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرة الكبرى علمنا أن الله سبحانه قد رأب ذلك الصدع بهذا الصنع الجميل وتلافى ذلك الخطب بذلك الخير الجزيل فاخذنا من مساهمتكم في الامور النصيب الوافر ورأينا أن آمالنا منكم قد جلت عن محياها السافر وعينا للوفادة على بابكم لينوب عنا في العزاء والهناء عين الاعيان الفضلاء ووجه القواد والزعماء* ولنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا رحمه الله تعالى ورضي عنه وعامله بمحض فضله *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوي اللغوي صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي قال في الاحاطة فيه مامخصه عبد

وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتهما بتربيته وطالت مدة جعفر وغلب هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التي لايتقدمها أحد من نظرائها وكان يحيي بن خالد لايزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيي بن خالد يا أبت مابال ام جعفر تشكوك فقال يا أمير المؤمنين أمتهم انا في حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله فقال لا تقبل قولها قال الرشيد فلست اعاودك فازداد يحيي لها منعا وعليها في ذلك غلظة وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل ويمضي بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت يا أمير المؤمنين مايحمل يحيي على ما لا نزال تفعل من منعه اياي من خدمي ووضعه اياي في غير موضعي فقال لها الرشيد يحيي عندي غير متهم في حرمي فقالت ان كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه فقال وماذاك فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط في يده وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد

الى مكة فقال لها فيعلم هذا أحد غيرك قالت ما فى قصرك جارية الا وقد علمت به فأمسك على ذلك وطوى عليه كشحا وأظهر أنه يريد الحج فخرج هو وجعفر بن يحيى وكتبت العباسة الى الخادم والحاضنة أن يخرجا بالصبى الى اليمن فلما صار الرشيد الى مكة وكل من يثق به بالفحص والبحث عن أمره فوجد الامر صحيحا فلما قضى حجه ورجع اضمر فى البرامكة على ازالة نعمهم فأقام ببغداد مدة ثم خرج الى الانبار فلما كان فى اليوم الذى عزم فيه على قتل جعفر دعا بالسندى بن شاهك فامره بالمضى الى مدينة السلام والتوكيل بدور البرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وان يجعل ذلك سرا من حيث لا يكلم أحدا حتى يصل الى بغداد ثم يفضى بذلك لمن يثق به من أهله وأعوانه فامتثل السندى ذلك وقعد الرشيد وجعفر عنده فى موضع يعرف فى الانبار بالقمر فاقاما يومهما باحسن هيئة وأطيب عيش فلما انصرف جعفر من عنده خرج الرشيد حتى ركب مشيعا له ثم رجع فمضى جعفر الى منزله وفيه فضله الشراب ودعا بابى بكار الاعمى الطنبورى وابن أبى نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه

عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمى أبو محمد شيخنا الرئيس صاحب القلم الاعلى بالمغرب من الاكليل تاج المفرق وفخر المغرب على المشرق أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق وأثر منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق ماشئت من مجد سامى المصاعد والمراقب عزيز عن لحاق النجم الثاقب وسلف زينت سماؤه بنجوم المناقب نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده وفخر يشيده وطهارة يلتحف مطارفها ورياسة يتفيأ أوارفها وأبوه رحمه الله تعالى قطب مدارها ومقام حجها واعتمارها فسلك الوعور من المعارف والسهول وبذ على حداثة سنه الكهول فلما تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى واشتهر اشتهار الصباح اذا تجلى تنافست فيه همم الملوك الاخاير واستأثرت به الدول على عادتها فى الاستئثار بالذخائر فاستقلت بالسياسة ذراعه وأخدم الذوابل والسيوف يراعه وكان عين الملك التى بها يبصر ولسانه الذى يسهب به أو يختصر وقد تقدمت له الى هذه البلاد الوفاده وجلت به عليها الافاده وكتب عن بعض ملوكها وانتظم فى عقودها الرفيعة وسلوكها وله فى الآداب الراية الخافقه والعقود المتناسقه ومشيخته حافلة تزيد عن الاحصاء وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة وان كان داخلا تحت طور الاجادة فمن ذلك قوله

تراءى سحيرا والنسيم عليل * وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت * شوى ادهم الظلماء منه حجول
بريق باعلى الرقتين كأنه * طلائع شهب فى السماء تجول
فمزق ساجى الليل منه شرارة * وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه * وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنها * يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم * لهن خفيف فوقها وهديل
اذا سجعت فى لحنها ثم قرقرت * يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقنى * اليه رسوم دونها وطلول
وجاد رباه كلما ذر شارق * من الودق هتان اجش هطول
ومالى استسقى الغمام ومدمعى * سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى * وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فراق وغربة * ونأى على ماخيلت ورحيل
ذرينى أسعى للتى تكسب العلا * سناء وتبقى الذكر وهو جميل
فما تربنى من ممارسة الهوى * نحيلا فحد المشرفى نحيل
وفوق أنابيب اليراعة صعوة * تزين وفى قد القناة ذبول
ولولا السرى لم يجتل البدر كاملا * ولا بات منه للسعود نزيل
ولولا اغتراب المرء فى طلب العلا * لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد * لاصبح ربع المجد وهو محيل

اذا ماهمتهم أن
يظهروا ماقد دفنا
وأمر الرشيد من ساعته
ياسرا خادمه المعروف بوخلة
فقال له انى أنديك لامر لم أر
محمدا ولا القاسم له أهلا
ولا موضعا ورأيتك به
مستقلا ناهضا فحقق ظنى
واحذر أن تخالفنى فقال
يا أمير المؤمنين لو أمرتنى أن
أدخل السيف فى بطنى
وأخرجه من ظهرى بين
يديك لفعلت فمر بامرك
فانى والله مسرع فقال
ألست تعرف جعفر بن
يحيى البرمكى قال يا أمير
المؤمنين وهل أعرف سواه
أو ينكر مثل جعفر قال ألم
تر تشييعى اياه عند خروجه
قال بلى قال فامض الساعة
اليه فائتنى برأسه على أى
حالة تجده عليها فأرتج على
ياسر الكلام وأخذته
رعدة ووقف لا يحير جوابا
فقال يا ياسر ألم أتقدم
اليك بترك الخلاف قال
بلى يا أمير المؤمنين ولكن
الخطب أجل من ذلك
والامر الذى ندبنى اليه
أمير المؤمنين وددت لو أنى
كنت مت قبل أن يجرى
على يدى منه شئ فقال دع
عنك هذا وامض لما قد
أمرتك فمضى ياسر حتى
دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرنى فيك بكيت وكيت فقال جعفر

وزير سما فوق السماك جلالة * وليس له الا النجوم قبيل
من القوم أما فى الندى فانهم * هضاب وأما فى الندى فسيول
حووا شرف العلياء ارثا ومكسبا * وطابت فروع منهم وأصول
وماجونة هطالة ذات هيدب * مرتها شمال مرجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع * من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت * شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمد * اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا * ينم عليها اذخر وجليل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر * تعطر منها للنسيم ذيول
وفى مقل النوار للطل عبرة * ترددها أجفانها وتحيل
بأطيب من أخلاقه الغر كلما * تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الاله مناقبا * تفوت يدا من رامها وتطول
فغرناطة مصر وأنت خصيبها * ونائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلا * ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيرا وناصحا * فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الامور مفوّضا * اليك فلم يعدم يمينك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد * نهوض بما أعيا سواك كفيل
وساس الرعايا منك أشوس باسل * مبيد العدا للمعتفين منيل
وأبلج وقاد الجبين كأنما * على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها * بثينته فى الحب وهو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها * حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره فى الخافقين فأصبحت * اليه قلوب العالمين تميل
وأعدى قريضى جوده وثناؤه * فأصبح فى أقصى البلاد يجول
اليك أبا فخر الوزارة ارقلت * برحلى هوجاء النجاء ذلول
فليت الى لقياك ناصية الفلا * بأيدى ركاب سيرهن ذميل
تسددنى سهما لكل ثنية * ضوامر أشباه القسى نحول
وقد لفظتنى الارض حتى رمت الى * ذراك برحلى هوجل وهجول
فقيدت أفراسى به وركائبى * ولذ مقام لى به وحلول
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة * عليها لاحداث الزمان دحول
وتهوى العلا حظى وتغرى بضده * لذاك اعترته رقة ونحول
وتأبى لى الايام الا اذالة * فصونك لى ان الزمان مذيل
فكل خضوع فى جنابك عزة * وكل اعتزاز قد عداك خمول

وقال

أبت همتى أن يرانى امرؤ * على الدهر يوما له ذا خضوع

وما

وماذاك الالاني اتقيت * بعز القناعة ذل الخشوع

مولده بسبتة عام ستة وسبعين وستمائة وتوفي بتونس ثاني عشر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة في الطاعون وكانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى انتهى (وحكى) أن السلطان أبا الحسن المريني سب الشيخ عبد المهيمن الحضرمي بمجلس كتابه فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال هذا هو الجامع بيني وبينك ثم ان السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وخجل مما صدر منه وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا ويرتفع نسبه الى العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل سلفه من اليمن وكان جدهم الاعلى عبدون لحقه الضيم ببلاده فارتحل الى المغرب فنزل سبتة ولعبد المهيمن الحضرمي شيوخ أجلاء كابن الربيع النحوي وابن الشاط وابن مسعود وغيرهم وكان ذا سعد وسودد حسن الخط رأيت خطه باجازته لابي عبد الله بن مرزوق وغيره وكان عالي الهمة سريا أعطى المنصب حقه وكان لا يحتمل الضيم واحتقار العلم وكان سريع الجواب حكى أن القاضي المليلي وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمي المذكور صاحب العلامة للسلطان أبي الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلي جمع من الفنون كذا حتى وضع يده على أبي محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا للسلطان ويكتب لك أحسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلي وقال نعم يا مولاي ويقضي لك أحسن من ذا (وقال) ابن الخطيب القسمطيني الشهير بابن قنفذ في وفياته ما نصه وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفي الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي السبتي ومن أشياخه الاستاذ ابن أبي الربيع وابن الغماز وابن صالح الكناني وغيرهم من الاعلام انتهى وقال غيره ان والد عبد المهيمن توفي غرة صفر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى (وحكى) أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بني العزفي فاثنى عليهم فقال له أحد الحسينيين وكان بينهم شئ انهم كانوا يحبون أهل البيت فكيف حبك أنت لهم يعني لاهل البيت فقال أحبهم حب التشرع لا حب التشيع انتهى قيل يعني بالعزفيين أهل الدولة الثانية وأما أهل الاولى فكانوا من المختصين بمحبة الآل وهم احدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ومن أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمي من التشبيه قوله

لقد راقني مرأى سجلماسة الذي * يقر له في حسنه كل منصف
كأن رؤس النخل في عرصاتها * فواتح سورات بآخر مصحف

وهذا من التشبيه العقيم الذي لم يسبق اليه فيما أظن وكان سبب قوله ذلك أن السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المريني لما تحرك لقتال أخيه السلطان أبي علي عمر بسجلماسة وظفر به استمطر أنواء أفكار الكتاب وغيرهم في تشبيه النخل فقال عبد المهيمن ما مر فلم يترك مقالا لقائل وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال أنشدني شيخنا ولي الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي لشيخه الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي رحمه الله تعالى قوله

ان أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فاحسب ان هذا جنس منه فقال والله ما افتقدت من عقله شيئا ولا ظننته شرب خمرا في يومه مع ما رأيت من عبارته قال له فان لي عليك حقوقا لم تجد لها مكافأة وقتا من الاوقات الا هذا الوقت قال تجدني الى ذلك سريعا الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فأعلمه انك قد نفذت ما امرك به فان اصبح نادما كانت حياتي على يديك جارية وكانت لك عندي نعمة مجددة وان اصبح على مثل هذا الراي نفذت ما امرت به في غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فأصير معك الى مضرب امير المؤمنين حتى اقف بحيث اسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا ابديت عذرا ولم يقنع الا بمصير رأسي اليه برأسي خرجت فاخذت رأسي من قرب قال له أما هذا فنعم فمضيا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت راسه يا امير المؤمنين وها هو ذا بالحضرة فقال له ائتني به والا والله قتلتك قبله فخرج فقال اسمعت الكلام قال نعم فشانك وما امرت به فأخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وأدخل راسه الى الرشيد فلما راى الراس بين يديه اقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ثم قال يا ياسر ائتني بفلان

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يلفون حيث مصابيح الدنانير

قلت ورأيت هذين البيتين فى كتاب دوح الشجر وروح الشعر للعالم الكاتب ابن الجياب منسوبين لابى المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الاشبيلى قال أنشدنى أبو الحجاج الحافظ قال أنشدنى الهيثم فذكر البيتين وكان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن فتعين أن البيتين ليسا من نظمه وانما تمثل بهما ونسبتهما له وهم لا محالة والله أعلم وأما ما اشتهر على الالسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبد المهيمن بقوله

ليس فى الغرب عالم * مثل عبد المهيمن
نحن فى العلم اسوة * أنا منه وهو منى

فقد نسبه ابن غازى الى أبى حيان كما اشتهر لكن تاريخ مرور أبى حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء وهو عندى محمول على أحد أمرين أن المراد عبد المهيمن جد عبد المهيمن المذكور أو أن أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبد المهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بلا ريب ولذا ما ذكر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أنباء أهل المائة الثامنة الشيخ أبا حيان قال وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدى * ولعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدمناه منع منها الاختصار وقد ألف الخطيب ابن مرزوق باسم ولده ولدولده فهرسته المشهورة وحلاه فى صدرها أحسن حلية وهو أهل لذلك وقد ذكره مولاى الجد فى شيوخه كما تقدم وقال فيه انه امام الحديث والعربية وكاتب الدولة العثمانية والعلوية فليراجع ذلك فيما سبق فى ترجمة الجد وأبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالى الهمة كأبيه ولما بويع السلطان أبو عنان طلب منه أن يكون مرتسما فى جملة كتاب بابه فامتنع وقال لا أكون تحت حكم غيرى وعنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتاب فكيف يكون هو مرؤسا بغيره فلم ترض همته رحمه الله تعالى الا رتبة أبيه أو الترك وارتحل أبو سعيد محمد المذكور وكان فقيها عالما من فاس لسبتة الى أن توفى بها سنة ٧٨٧ وكان قليل الكلام جميل الرواء حسن الهيئة والبزة والشكل روى عن ولده وعن الحجار وكتب له سنة ٧٢٤ وروى عن الفقيه أبى الحسن بن سليمان والرحالة ابن جابر الوادى آشى وابن رشيد وغيرهم وابن أبى سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجده وكان صاحب القلم الاعلى روى عن أبيه وجده وغيرهما رحم الله الجميع *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى)* الامام العلامة قاضى الجماعة أبو البركات ابن الحاج البلفيقى نادرة الزمان وشاعر ذلك الاوان وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن الشيخ الولى أبى اسحق بن الحاج البلفيقى وكان أبو البركات أحد رجال الكمال علما ومجدا وسوددا موروثا ومكتسبا وقد عرف به فى الاحاطة بترجمة مدفيها النفس وكتب ابنه على أول الترجمة ما صورته رحمك الله تعالى يا فقيه الاندلس وحسيبها وصدرها وشيخها وبرد ضريحك فلله ما أفدت من نادرة وأكسبت من فائدة انتهى (وحكى) فى الاحاطة أنه لما استسقى وحصلت

الى الرشيد فى تلك الليلة فلما ادخلت اليه قال يا أصمعى قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فانشد

لو أن جعفر هاب أسباب الردى
لنجا بمهجته طمره لجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا
يسمو اليه به الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته
لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الاصمعى ورجعت الى منزلى فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر واصيب على باب قصر على بن عيسى ابن ماهان بخراسان فى صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

ان المساكين بنو برمك
صبت عليهم غير الدهر
ان لنا فى أمرهم عبرة
فليعتبر ساكن ذا القصر

(قال المسعودى) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد الى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وقد رثتهم الشعراء فمن ذلك قول على بن أبى معاذ

يا أيها المغتر بالدهر * والدهر ذو صرف وذو غدر

الاجابة أنشده لسان الدين

ظمئت الى السقيا الاباطح والربا * حتى دعونا العام عاما مجدبا
والغيث مسدول الحجاب وانما * علم الغمام قدومكم فتأدبا

ثم ذكر فى الاحاطة تأليف أبى البركات وشعره الى أن قال حاكيا عن أبى البركات ما صورته ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب لملازمتى البناء وحفر الآبار

فى احتفار الاساس والآبار * وانتقال التراب والجيار
وقعودى ما بين رمل وآجر وجص والطوب والاحجار
وامتهانى بردى بالطين والما * ء ورأسى ولحيتى بالغبار
نشوة لم تمر قط على قلـب خليع ومالها من خمار
من غريب البناء أن بنيه * متعبون يهوون طول النهار
يبتغون الوصال من صانعيه * والبدار اليه كل البدار
فاذا حل فى ذراهم تراهم * يشتهون منه بعيد المزار
من عذيرى من لائم فى بنائى * وهو لى الترجمان عن أخبارى
ليس يدرى معناه من ليس يدرى * أن ما عنده على مقدار
أقتدى بالذى يقول بناها * ذلك الخالق الحكيم البارى
وبمن يرفع القواعد من بيت عتيق للحج والزوار
وبمن كان ذا جدار وقد كا * ن أبوه من صالحى الابرار
وبما قد أقامه الخضر المخصوص علما بباطن الاسرار
كان تحت الجدار كنز وما أد * راك ما كان تحت كنز الجدار
وبمن قد مضى من ابائى الغر الالى شيدوا رفيع المنار
فالذى قد بنوه نبنى له مثلا ونجرى له على مضمار
قد بنينا من المساجد دهرا * ثم نبنى لجارها خير جار
مثل ما قد بنت للعد أمثا * ل مبانيهم بكل اعتبار
فالمبانى لسان حالى ولى فيها لعمرى ذكر من الاذكار
روح أعمالنا المقاصد لكن * حيث تخفى تخفى مع الاعذار
فعسى من قضى ببنيان هذى الدار يقضى لنا بعقبى الدار

ثم قال فى الاحاطة بعد كلام ومن نظمه فى الانحاء على نفسه واستبعاد وجود المطالب فى جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا منزو فى غار ببعض جبال المرية

زعموا أن فى الجبال رجالا * صالحين قالوا من الابدال
وادعوا ان كل من ساح فيها * فسيلقاهم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مرارا * بنعال طورا ودون نعال
ما رأينا بها خلاف الافاعى * وشبا عقرب كمثل النبال
وسباع يجرون بالليل عدوا * لا تسلنى عنهم بتلك الليالى

لا تأمن الدهر وصولاته * وكن من الدهر على حذر ان كنت ذا جهل بتصريفه *
فانظر الى المصلوب بالجسر
فان فيه عبرة فاعتبر
يا ذا الحجا والعقل والفكر
وخذ من الدنيا صفا عيشها
واجرع الدهر كما يجرى
كان وزير القائم المرتضى
وذا الحجا والفضل والذكر
وكانت الدنيا بأقطارها
اليه فى البر وفى البحر
يشيد الملك بآرائه
وكان فيه نافذ الامر
فبينما جعفر فى ملكه
عشية الجمعة بالقمر
يطير فى الدنيا بأجناحه
بأهل طول الجلد والعمر
اذ عثر الدهر به عثرة
يا ويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة
كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس فى ليلة السـ
ـبت قتيلا مطلع الفجر
وأصبح الفضل بن يحيى وقد
أحيط بالشيخ وما يدرى
وجىء بالشيخ وأولاده
يحيى معاقى الغل والاسر
والبرمكيين وأتباعهم
من كان فى الآفاق والمصر
كأنما كانوا على موعد
كموعد الناس الى الحشر
وأصبحوا للناس أحدوثة
سبحان ذى السلطان والامر
وقال
الى ان أرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد
ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمى مهند

ولولا أننا كنا الذى العدوة الاخرى رأينا نواجذ الرئبال
واذا أظلم الدجا جاء ابليس الينا بزور طيف خيال
هو كان الانيس فيها ولولا * ه أصيبت عقولنا بالخبال
خل عنك المحال يا من تعنى * ليس يلقى الرجال غير الرجال انتهى

وجمع شعره وسماه العذب والاجاج من كلام أبى البركات بن الحاج وسمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه باللؤلؤ والمرجان من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان ومن نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه الله تعالى

ألا ليت شعرى هل لما أنا أرتجى * من الله فى يوم الجزاء بلاغ
وكيف لمثلى أن ينال وسيلة * لها فى سبيل الصالحين مراغ
ولم رمت دهرى فتح باب عبادة * يكون بها فى الفائزين مساغ
فكدت ولم أفعل وكيف وليس لى الـ * ـمعينان فيها صحة وفراغ
لأصبحت من قوم دعاهم الى الرضا * منادى الهدى فاستنكروه فراغوا
اباغ ترى أخراه من يزدهيه من * زخارف دنياه الدنية باغ
ويضرب صفحا عن حقيقة ماطوت * فيلهيه زور قد أتته مصاغ
اذا ما بدا للرشد نهج بيانه * يراع به من وحشة فيراغ
فيارب برد العفو هب لى اذاغلت * من الحر فى يوم الحساب دماغ
فمن حرق للنفس فيه لواعج * ومن خجلى للوجد فيه صباغ
وعظتك نفسى لو أنبت وفى الذى * وعظت به لو ترعوين بلاغ

وأنشد القاضى أبو البركات فى هذا الروى قول شيخه الاستاذ أبى على بن سليمان القرطبى

ألا هل الى ما أبتغيه بلاغ * وكيف يرى يوما اليه فراغ
وقد قطعت دونى قواطع جمة * أراع لها مهما جرت وأراغ
ومالى الا عفو رب وفضله * ففيه الى ما أرتجيه بلاغ

وكان القاضى أبو البركات من بيت كبير علما وصلاحا وزهدا وجده الامام الولى العارف سيدى أبو اسحق بن الحاج أشهر من نار على علم وقبره مشهور بمراكش وقد زرته بها وله كرامات مشهورة (وحكى) فى مزية المرية من كراماته جملة قال حفيده الشيخ أبو البركات دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج فى منزله بالمرية عائدا قال أظنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين ساله عن حاله ادع لى فقلت له يا سيدى بل أنت تدعو لى فقال لى شرح الله صدرك ونور قلبك بنور معرفته فمن عرف الله لم يذكر غيره فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى أبى اسحق بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيأ فقلت نعم أرى كانى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ومن كذا الى كذا فاعرض عنى وقال ألا ترى الا الله قال ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى رأيت هذا والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا اذكره اذا غاب عنى ولا ارى الا الله انتهى * ومن تآليف ابى البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه اخبار سلفه رضى الله عنهم وذكر جملة من كرامات جده سيدى ابى اسحق المذكور نفعنا الله به ومن شعر جده المذكور

وقال فيهم سلم الخاسر
خوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف الهادى طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابى
لقد خان هذا الدهر أبناء برمك * وأى ملوك لم تخنها دهورها
ألم يك يحيى والى الارض كلها * فأضحى بكن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزة الاعرابى وقيل أبو نواس
ما رمى الدهر آل برمك لما * أن رمى ملكهم بأمر بديع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى * غير راع حقا لآل الربيع

وقال
يا بنى برمك واها لكم * ولأيامكم المقتبله

وقال اشجع فيهم
ولى عن الدنيا بنو برمك * فلو توالى الناس ما زادا
كأنما أيامهم كلها * كانت لأهل الارض اعيادا

وقال منصور اليمنى
أبدت بنى برمك لدينا * تبكى عليهم بكل وادى
كانت بهم برهة عروسا * فاضحت الارض فى حداد

وقال دعبل
ألم تر صرف الدهر فى آل برمك * وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال أشجع فيهم أيضا
قد سار دهر ببنى برمك * ولم يدع فيهم لنا القيا

المذكور قوله

الا كرّم الله البلاد بخطبة * هم وحسنات الدهر لانابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم * وحبهم وحقا قد اوجبه الرب
اذا ماسألت الله شيأ فسل بهم * فتعظيمهم قرب وغيبتهم حوب

وقوله

شكا فشكا قلبى خبالا مبرحا * على غير علم كان منى بشكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع * من النعت سلطان الحقيقة سواه
فيافرحة المجهود ان بات سره * وسر الذى يهواه مأواه ماواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيا * فكيف ترى مغناه والقلب مثواه
بدا فبدت أعلام ضدين فى الهوى * هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده * ومت بها من أجل علمى ببلواه
فها أنا حى ميت بلقائه * ولم ينج من لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكن أنت الحبيب بعينه * رضا وعتابا ضل من قال يهواه
وأكذب ما يلقى الفتى وهو صادق * اذا لم يحقق بالافاعيل دعواه

وقوله رضى الله تعالى عنه

الحب فى الله نور يستضاء به * والهجر فى ذاته نور على نور
جنب أخا حدث فى الدين ذا غير * ان المغير فى نكس وتغيير
حاشى الديانة أن تبنى على خبل * سبحان خالقنا من قول مثبور
ان الحقائق لا تبدو لمبتدع * كذا المعارف لا تهدى لمغرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت * يمناه ماظل فى ظن وتقدير
حقق ترى عجبا ان كنت ذا أدب * ولا يغرنك الجهال بالزور
ان الطريقة فى التنزيل واضحة * وما تواتر من وحى ومشهور
فافهم هديت هدى الرحمن واهد به * هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

وقوله صدر رسالة وجه بها الى ابنه محمد أيام قراءته باشبيلية

اذا شئت ان تحظى بوصلى وقربتى * فجنب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيار الديلمى وهما

ومن عجب أنى احن اليهم * وأسأل شوقا عنهمو وهمو معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

وحدث القاضى أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمسانى المتقدم الذكر قال سمعت بعض الاشياخ يقول كان الشيخ أبو اسحق البلفيقى الكبير يقول اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب (وحكى) الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الاصبغ ابن عزرة قال هذه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أخذتها عن رابك الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على بن الحاج مشافهة وقال لى انها صلاة أبى اسحق بن الحاج جدك وهى

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى * ففى يده كشف المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلا نحن فى الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سهامنا اذا وقعت * بقدر ما تعلو بها رتبه
واذا بدت للنمل اجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمى دخلت على والدتى يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لى اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فاقبلت عليها بوجهى أحدثها واعظمها ثم قلت لها أيا ماه ما أعجب ما رأيت فقالت يا بنى لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسى أربعمائة وصيفة وانى أعد ابنى عاقا ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى جلدى شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم

وأموالهم فجعلتها الامير المؤمنين وتقربت بها رجوت ان يكون لك السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيى والله لأن تزول النعمة عنى أحب الى من أن ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيى والفضل فى الحبس قال أتانى مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسى ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بلطف فقال لى مسرور أخرج الفضل بن يحيى فلما مثل بين يديه قال ان أمير المؤمنين يقول لك انى قد أمرتك ان تصدقنى عن أموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندى أنك أبقيت لك اموالا وقد أمرت مسرورا ان لم تطلعه عليها أن يضربك مائتى سوط فقال له الفضل فعلت والله يا أباهاشم فقال له مسرور يا أبا العباس ارى لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فانى لا آمن أن انفذ ما أمرت به فيك ان آتى على نفسك فرفع الفضل رأسه الى السماء وقال له يا أباهاشم ما كذبت أمير المؤمنين ولو كانت الدنيا لى وخيرت بين الخروج

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك وتخلد بخلودك ولا غاية لها دون مرضاتك ولا جزاء لقائلها ومصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم (ونقل) أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بالمرية بهذا الدعاء اللهم اجعلنا فى عياذ منك منيع وحصن حصين وولاية جميلة حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك قال وفى وسط الدعاء وآخره وا كفنا دوننا ابليس وأعداءنا من الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا * وكان الشيخ رضى الله عنه يواصل أربعين يوما * ومن مآثره انه بنى ثمانية عشر جبا فى مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبنى أكثر سور حصن بلفيق كل ذلك من ماله *وقال رضى الله عنه فى بعض رسائله الصوفى عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد غير منتسب لسبب من الاسباب ولا مخل بأدب من الآداب قد عرف شانه وزمانه وملكت مكارم الاخلاق عنانه لا ينتصر لنفسه ولا يتفكر فى غده وأمسه العلم خليله والقرآن دليله والحق حفيظه ووكيله نظره الى الخلق بالرحمه ونظره الى نفسه بالحذر والتهمه انتهى وأحوال هذا الشيخ عجيبة وكراماته شهيرة وانما ذكرنا هذا النزر اليسير تبركا بذكره رضى الله عنه فى هذا الكتاب وتطفلا على رب الارباب أن ينفعنا بامثاله ويحقق لنا النجاة والمتاب انه على ذلك قدير (رجع الى أخبار أبى البركات) ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين ردعليه ابن صفوان فانتصر لابى البركات بعض طلبته بتاليف سماه شواظ من نار ونحاس يرسل على من لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول وألفى على ظهره بخط الشيخ أبى البركات ما صورته

قد شبع الكلب كما ينبغى * من حجر صلد ومن مقرع
فان يعد من بعد ذا اللذى * قد كان منه فهو ممن نعى

ومن بديع نظم الشيخ أبى البركات رحمه الله تعالى قوله

يلوموننى بعد العذار على الهوى * ومثلى فى وجدى له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصبا * وكيف أرى الامساك والخيط أسود

وقوله فى المجبنات

ومصفرة الخدين مطوية الحشى * على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها * ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف

وفى هذين البيتين تورية متعددة (وحدث) القاضى أبو البركات انه لما أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله متى عزمت على الرحيل فانشد أبو البركات

أما الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

فانشد الشريف رحمه الله تعالى

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد

(وحكى) أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضى أبا البركات فى بعض أسفاره

زمن

زمن الشباب ببر الاندلس أعاده الله تعالى فلما انتهيا الى قرية ترليانة وأدركهما النصب واشتد عليهما الهجير نزلا وأكلا من باكر التين الذى هناك وشربا من ذلك الماء العذب واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ثم التفت الى السيد أبى العباس وقال

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى * يفنى زمانى فى حل وترحال

وأرتج عليه فقال لابى العباس أجز فقال بديها

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها * لاترتضى بمقام دون آمال

دعها تسر فى الفيافى والقفار الى * أن تبلغ السؤل أوموتا بتجوال

الموت أهون من عيش لدى زمن * يعلى اللئيم ويدنى الاشرف العالى

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الكنانى ثم المغيلى طلقة كتب نسختها بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آل محمد يقول عبد الله الراجى رحمته محمد المدعو بابى البركات بن الحاج خار الله له ولطف به ان الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى ففيهم السخى والبخيل والشجاع والجبان والغبى والفطن والكيس والعاجز والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع الى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق كانت العشرة لاتستمر بينهم الا بأحد أمرين اما بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها واما بصبر أحدهما على صاحبه اذا عدم الاشتراك ولما علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح اليه من عيل صبره على صاحبه توسعة عليهم واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلى طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها دونه عارفا قدره قصد بذلك اراحتها من عشرته طالبا من الله أن يغنى كلا من سعته مشهدا بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الثانى عام أحد وخمسين وسبعمائة انتهى *(ومن نوادره رحمه الله تعالى) انه لما استناب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج المرية فاتفق أن جاء بعض الجنانين بفحص المرية يشتكى من جائحة أو اذاية أصابت جنانه ففسدت غلته لذلك فاخذ ذلك الجنان قرعة وأشار اليها متشكيا وقال هذه القرعة تشهد بما أصاب جنانى فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك غريبتان فى عام واحد القرعة تقضى والقرعة تشهد وكان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير *وقال رحمه الله تعالى نظمت صبيحة يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام خمسة وأربعين وسبعمائة وقد رأيت فى النوم كأنى أريد اتيان امرأة لاتحل لى فيأتى رقيب فيحول بينى وبين ذلك المرة بعد المرة قولى

ألا كرّم الله الرقيب فانه * كفانى أمورا لايحل ارتكابها

وبالغ فى سد الذريعة فاغتدى * يلاحظنى نوما ليغلق بابها

منهاو بين ان أقرع مقرعة لاخترت الخروج منها وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم

انا كنا نصون أعراضنا بأموالنا وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بانفسنا فان كنت أمرت بشئ فامض له فامر بالمنديل فنفض فسقط منه اسواط بثمارها فضرب مائتى سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه اشد الضرب الذى يكون بغير معرفة فكادوا يأتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان هنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أوشبهه فسر اليه واسأله ان يعالجه قال فانهيت اليه ذلك قال لعلك تريد ان تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغنى ماصنع به فقلت اياه أريد قال فامض بنا اليه حتى أعالجه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب مائتى سوط قال ما أظن الا أن هذا أثر خمسين سوطا ولكن يحتاج أن ينام على بارية وأدوس صدره ساعة فاخذ بيده فجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاء به فالقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى أقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره

شئ كثير ثم جعل يختلف اليه و يعالجه الى أن نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال يا أبا يحيى قد

وقال رحمه الله أنشدنى شيخى أبو عبد الله بن رشيد عند قراءتى عليه شرحه لقوافى أبى الحسن حازم وقد باحثته يوما مناقشة فى بعض ألفاظه من الشرح المذكور

تسامح ولا تستوف حقك كله * وأغض فلم يستوف قط كريم

ومن نظم الشيخ أبى البركات قوله

ألا خل دمع العين يهمى بعقالى * لفرقة عين الدمع وقف على الدم
فللماء فيه رنة حنفية * كرنة مسلوب الفؤاد متيم
وللطير فيه نغمة موصلية * تذكرنى عهد الصبا المتقدم
وللحسن أقمار به يوسفية * ترد الى دين الهوى كل مسلم

وله رحمه الله تعالى

ما كل من شد على رأسه * عمامة يحظى بسمت الوقار
ماقيمة المرء بأثوابه * السر فى السكان لا فى الديار

وله سامحه الله تعالى

اذا ما كتمت السر عمن أوده * توهم أن الود غير حقيقى
ولم أخف عنه السر من ضنة به * ولكننى أخشى صديق صديقى

وله وقد جلس فى حلقة بعض المشايخ واستدبر بعض الفضلاء ولم يره بسببه

ان كنت أبصرتك لا أبصرت * بصيرتى فى الحق برهانها
لاغرو أنى لم أشاهدكم * فالعين لا تبصر انسانها

ومما يجبه رحمه الله من قوله قال فى الاحاطة ويحق أن يجبه

تطالبنى نفسى بما ليس لى به * يدان فأعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم لج فى طلباته * يصالح عنها بالمحال فيفصل

ومما أورد له فى الاحاطة وذكر أنه لو رحل راحل الى خراسان لما أتى الا بهما

رعى الله اخوان الخيانة انهم * كفونا مؤنات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم * نراوح ما بين النسيئة والنقد

وقد تمثل القاضى أبو البركات فى مخاطبة له للسان الدين بقول القائل

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

(وحكى) غير واحد منهم ابن داود البلوى أن القاضى أبا البركات لما عزم على الرحلة الى المشرق كتب اليه ابن خاتمة بما صورته

أشمس الغرب حقا ما سمعنا * بأنك قد سئمت من الاقامه
وانك قد عزمت على طلوع * الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب * بحق الله لا تقم القيامه

قال الحاكى فخلف أبو البركات أن لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذا انتهى يشير بقوله لقد زلزلت الخ الى طلوع الشمس من مغربها (قلت) ولما عزمت على هذه الرحلة

يرى أبو العباس ادن منى حتى ترى قال فدنوت منه فأرانى فى ظهره كمانا بتاتم قال أتحفظ قولى هذا أثر خمسين سوطا قلت نعم قال والله لو ضربت ألف سوط ما كان أثرها أشد من ذلك الاثر وانما قلت ذلك لكى تقوى نفسه فيعيننى على علاجه فلما خرج الرجل قال لى الفضل يا أبا يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهم فسر الى المعروف بالسنانى وأعلمه حاجتى اليها قال فأتيته بالرسالة فأمر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى أحب أن تمضى بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فمضيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا أبا يحيى فأقبلت أعتذر عن الفضل وأذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فامتعض من ذلك حتى أفزعنى وقال عشرة آلاف درهم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فأبى فصرت الى الفضل فأعلمته فقال لى استقلها والله ثم قال لى الفضل أحب أن تعود الى السنانى ثانية وتعلمه انى احتجت الى عشرة آلاف درهم أخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السنانى عشرة آلاف أخرى ورجعت الى الرجل ومعى المال وعرفته الخبر فأبى أن يقبل شيأ منه فقال

كتب الى بعض أصحابنا المغاربة بالابيات المذكورة متمثلا ولم أرجع عن العزم والله غالب على أمره * قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى وما أحسن قول شيخنا أبي البركات معتذرا عن زرقة عينيه

حزنت عليك العين يا مغني الهوى * فالدمع منها بعد بعدك ما رقا
ولذاك ما ظهرت بلون أزرق * أوما ترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه الله تعالى وهو من الغريب * وقال بعض الشيوخ كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير فنسيت ذات ليلة السفر الذى كنت اقرأ فيه بمنزلي فاتفق أن حضر الجامع الصحيح للبخارى فقال الشيخ بعد أن اردت القراءة عليه من أوله افتح فى اثناء الاوراق ولا تعين وما خرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها ففعلت فاذا غزوة احد فقرأت الحديث الاول من الباب وهو عن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين ايديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم أن تشركوا ولكنى اخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ قوله صلى على قتلى احد لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء وشرعا على الافعال المخصوصة المعلومة واذا دار اللفظ بين الشرعى واللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدل الدليل على خلافه فقوله صلى على قتلى أحد يحتمل الصلاة الشرعية ويكون ذلك منسوخا اذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك ولا على من قد صلى عليه ولمن يعارضه أن يقول ان قتلى أحد متفرقون فى أماكن فلا تتاتى الصلاة الشرعية عليهم اذ الصلاة الشرعية انما تتاتى لو كانوا مجتمعين والجواب أنهم وان كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة وليس بعد ما بينهم بحيث لا تتاتى معه الصلاة عليهم هذا وان احتمل حمله على الصلاة اللغوية وقوله كالمودع للاحياء والاموات أما وداعه للاحياء فلا اشكال فيه وأما الاموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم لانه اذا مات فقد حيل بينه وبين الدعاء لهم فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم انى بين أيديكم أى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فرط أى متقدم وبين اذا أضيفت الى الايدى تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده والمعنى هنا فى قوله بين أيديكم أى أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم وأنا شهيد عليكم فيه وجهان أحدهما أن يخلق الله فى قلبه علما ضروريا يميز به بين البر والفاجر فيشهد بما خلق الله فى قلبه من ذلك اذ لا تكون الشهادة الا على أمر مشاهد ومعلوم انه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق الله له علما بذلك الوجه الثانى أن يخبره الله تعالى بذلك كما فى حديث الحوض وليذادن عنه أقوام كما يذاد البعير الضال فاقول ألا هلم ألا هلم فيقال انهم قد غيروا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا فيشهد بما أخبره الله تعالى به وهو نظير ما روى فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا من أن قوم نوح يقولون كيف تشهدون علينا وزمانكم متاخر عن زماننا فيقولون لان الله تعالى قص علينا أخباركم فى كتابه فقال انا أرسلنا نوحا

أنا أعالج فتى من الابناء بعد اذهب عنى فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ما قبلتها فرجعت الى الفضل وأخبرته الخبر فقال لى يا أبا يحيى حدثنى باحسن ما رأيت أو بلغك من أفعالنا قال فجعلت أحدثه فقال لى دع عنك هذا فوالله ان ما فعله هذا الرجل أحسن من كل ما فعلناه فى أيامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس واربعين سنة ومات يحيى بالرقة فى سنة تسع وثمانين ومائة على ما قدمنا (قال المسعودى) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا فى ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين يعفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة أخبار حسان وما كان منهم من الافضال بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد فى هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد فى غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك

منهم فى أيام المنصور واكتفينا بما ذكرناه فى هذا الكتاب من التلويحات من أخبارهم واللمع من آثارهم

(ذكر خلافة محمد الامين)

بويع محمد بن هرون فى اليوم الذى مات فيه هرون الرشيد وهو يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم ببيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل ابن الربيع وكان محمد يكنى بابى موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبى جعفر وكان مولده بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى خراسان وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وكان أصغر من المأمون بستة أشهر وكانت أيامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

(وذكر جملا من أخباره وسيره ولمعا مما كان فى أيامه)

قبض الرشيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فاتاه بالخبر فى اثنى عشر يوما الى مدينة المؤتمن

الى قومه الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم وان موعدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا نظره صلى الله عليه وسلم الى الحوض فيه وجهان أحدهما أن يكون نظره اليه بقلبه اذ كان قد أطلعه الله عليه ليلة الاسراء فصار مرتسما فى قلبه فيكون نظره اليه بعين قلبه كما يرتسم فى قلب أحدنا شكل بيته ومافيه من المتاع والثياب وغير ذلك الثانى أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه فيكون نظره اليه بعينه مشاهدة وقوله صلى الله عليه وسلم وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ان قيل كيف قال ذلك وقد ارتد عن الاسلام من ارتد من العرب بعده فالجواب انه انما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ولم يراع رعاع العرب وجهالهم اذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم وقوله عليه الصلاة والسلام ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قد وقع ما خشى منه عليه الصلاة والسلام من المنافسة فى الدنيا فكان كما ذكر صلى الله عليه وسلم انتهى (وحدث) الشيخ أبو البركات قال كنت ببجاية بمجلس الامام ناصر الدين المشذالى أيام قراءتى عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الانبياء فقلت الدليل لان الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم الى بعض حتى قال لى بعضهم استند ياسيدنا كانه يقول استند الى حائط ليزول هوس رأسك وكانت عباراتهم فى ذلك وكل منهم يقول لى نحو ذلك ازراء وقال لى الامام ناصر الدين أبصر فانهم يقولون لك الحق وكانت لغته أن يقول ابصر قال فقلت أتقولون ان أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار قالوا نعم قلت أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه قالوا لا فان ذلك من شان العبد دون أن يؤمر بل السيد يختبر تواضعه بان يؤمر بالسجود للعبد قلت فكذا الملائكة لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده قال فكانما ألقمتهم حجرا قال الشيخ أبو البركات وهذه كحكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة وذلك انه اجتمع معه فى مجلس الخليفة فناظره فى مسئلة رؤية البارى فقال له رئيسهم ما الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى لا تدركه الابصار فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا جن القاضى وذلك أن هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم أتقولون ان من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا لا قال أتقولون ان من لسان العرب الحجر لا ياكل قالوا لا قال فلا يصح اذا نفى الصفة الا عما من شانه صحة اثباتها له قالوا نعم قال فكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار له لم يصح نفيه عنه فاذعنوا لما قال واستحسنوه *وقال الشيخ أبو البركات كنت ببجاية وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس فى الاخذ عنه والرواية لما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هناك فى العلم فعجبت لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك فقالوا الى لانه قدم علينا ونحن لا نعرفه وهو فى زى حسن بخادم يخدمه يظن من يراه أن أباه من أعيان أهل بلده فسالناه أحى أبوه أم لا قال بل حى قلنا أهو من أهل العلم قال لا هو دلال فى سوق الخدم فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم قال فقلت لهم حق له ان ترتفع منزلته ويعلو صيته لتخلقه وفضله وفوائد ابى البركات كثيرة *ومن تآليفه

المؤتمن على أنباء ابناء الزمن كتاب مفيد جدا وهو رضى الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقال الشيخ ابو البركات ذكر لى ان الشيخ الفقيه الكاتب اباالحسن بن الجياب يحدث عنى ولا اذكر الآن انى قلت ذلك ولكننى لما سمعته علمت انه مما من شانى ان اقوله وهو انى قلت مثل العالم مثل رجل يصب ماء فى قفة ان واظب على صب الماء بقيت القفة ملأى وان ترك صب الماء بقيت القفة لا شئ فيها من الماء فكذلك العالم ان واظب على طلب العلم بقى العلم لم ينقص منه شئ وان ترك الطلب ذهب علمه انتهى * ونقلت ممن راى كلام ابن الصباغ فى ترجمة ابى البركات ما نصه لما ورد مدينة فاس فى غرض الهناء والعزاء على امير المسلمين ابى بكر السعيد ابن امير المؤمنين ابى عنان وابصر الدار غاصة بارباب الدولة الفاسية ولم يعدم منها عهدا شخصه والولد على اريكة ابيه انشد

لما تبدلت المجالس اوجها * غير الذين عهدت من جلسائها
ورايتها محفوفة بسوى الالى * كانوا حماة صدورها وفنائها
انشدت بيتا سائر امتقدما * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما القباب فانها كقبابهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

انتهى

وأظن أنه تمثل بالابيات فى سره والا فيبعد أن يقولها فى ذلك الحفل لما فى ذلك من التعرض للهلاك والله سبحانه أعلم * وحكى بعضهم انه كان جالسا فى دهليز بيته مع بعض الاصحاب فدخلت زوجته من الحمام وهى بغير سراويل لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها فدخل خلفها مسرعا وغاب ساعة ثم خرج وأنشد

كشفت على ساق لها فرأيته * متلألئا كالجوهر البراق
لا تعجبوا ان قام منه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وله فى خديم اسمه يحيى احتجم محجمة واحدة

أرانى يحيى صنعة فى قفائه * مهذبة لما تبادر للباب
أرى الخمس فيها لا تفارق ساعة * فصوّر بالموسى بها شكل محراب

وتوفى الشيخ القاضى أبو البركات المذكور بشوال سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الحكيم العلامة التعاليمى الشاعر البليغ أعجوبة زمانه فى الاطلاع على علوم الاوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل وقد قال فى الاحاطة فى حقه ما ملخصه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى أبو زكريا شيخنا جرى ذكره فى التاج المحلى بما نصه درة بين الناس مغفله وخزانة على كل فائدة مقفله وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفله أبدع من رتب التعاليم وعلمها وركض فى الالواح قلمها وأتقن من صور الهيأة ومثلها وأسس قواعد البراهين وأثلها وأعرف من زاول شكايه ودفع عن جسم نكايه الى غير ذلك من المشاركة فى العلوم والوصول من المجهول الى العلوم والمحاضرة المستفزة للحلوم والدعابة التى ماخالع العذار فيها بالملوم فما شئت من نفس عذبة الشيم وأخلاق كالزهر من بعد الديم ومحاضرة تتحف المجالس والمحاضر وحذاكرة يروق فى

فى المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهى بمجلس فقعد اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البذل ثقيل الحمل نكد الامر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد عذوق الود تجور أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الاسلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان فى الليلة التى وضعت فيها محمدا دخلن على وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسى ونظرن فى وجهى ثم قالت احداهن شجرة نضرة وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف فى بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنا فزعة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمتى فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدى ومحمد أمامى فى مهده اذ بهن قد وقفن على رأسى وأقبلن على ولدى محمد فقالت احداهن

النواظر زهرها الناضر وله ادب ذهب فى الاجادة كل مذهب وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب والادب نقطة من حوضه وزهرة من زهرات روضه وسيمر له فى هذا الديوان ما يبهر العقول ويحاسن بروائه ورائق بهائه الفرند المصقول فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات والعرفيات قوله

ألا أستودع الرحمن بدرا مكملا * بفاس من الدرب الطويل مطالعه
فنى فلك الأزرار يطلع سعده * وفى أفق الاكباد تلفى مواقعه
يصير مرآه منجم مقلتى * فتصدق فى قطع الرجاء قواطعه
تجسم من ماء الملاحة خده * وماء الحيا فيه ترجرج مائعه
تلوّن كالحرباء فى خجلاته * فيحمر قانيه ويبيض ناصعه
اذا اهتزغنى حليه فوق نحره * كغصن النقا غنت عليه سواجعه
يذكر حتف الصب عامل قده * وتعطف من واو العذار توابعه
أعد الورى سيفا كسيف لحاظه * فهذا هو الماضى وذاك يضارعه

وقال
وصالك هذا أم تحية بارق * وهجرك أم ليل السليم لتائق
أياديك والاشواق تركض خيلها * بصفحة خدى من دموع سوابق
أبارق ثغر من عذيب رضابه * قضت مهجتى بين العذيب وبارق

ومنها
فلا تتعبن ريح الصبا فى رسالة * ولا تخجل الطيف الذى كان طارق
متى طعمت عينى الكرى بعد بعدكم * فانى فى دعوى الهوى غير صادق

وقال
بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا * وجنة أنس فى صباح تنفسا
حوى النجم قرطا والدرارى مقلدا * وأسبل من مسك الذوائب حندسا
كأن سنى الاصباح رام يزورنا * وخاف العيون الرامقات فغلسا
أتى يحمل التوراة ظبيا مزنرا * لطيف التثنى اشنب الثغر العسا
وقابل أحبار اليهود بوجهه * فبارك مولانا عليه وقدسا
فصير دمعى أعينا شرب سبطه * وعمرى تيها والجوانح مقدسا

وقال منها

رويت ولوعى عن ضلوعى مسلسلا * فاصبحت فى علم الغرام مدرسا
نفى النوم عنى كى أكون مسهدا * فاصبحت فى صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعى * ويأوى الى قلبى مقيلا ومكنسا
طغى ورد خديه بجنات صدغه * فاضعفه بالآس نبتا وما أسا

وهذا البيت محال على معنى فلاحى قال أهل الفلاحة ان الآس اذا اغترس بين شجر الورد اضعفه بالخاصية * وقال رحمه الله تعالى ورضى عنه

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى
وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

ملك جبار متلاف مهذار بعيد الآثار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقى مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة وسالت مفسرى الاحلام والمنجمين فكل يخبرنى بسعادته وحياته وطول عمره وقلبى يأبى ذلك ثم زجرت نفسى وقلت وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الاجل (ومات أبو بكر بن عياش) الكوفى وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثمانى عشرة ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله أبوك فعبد الملك بن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع فحلان فى أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه فى مراده الى أن بلغ الى هرثمة بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر

تحسب

تحسب البدر محيا ثمل * قدسقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قدغدت * مسكة الليل عليهن ختاما
يا عليل الريح رفقا على * أشف بالسقم الذى حزت سقاما
أبلغن شوقى عريبا بالاوى * همت فى أرض بها حلوا غراما
فرشوا فيها من الدرحصى * ضربوا فيها من المسك خياما
كنت أشفى غلة من صدكم * لو أذنتم لجفونى أن تناما
واستقدت الروح من ريح الصبا * لو أتت تحمل من سلمى سلاما

وقال منها أيضا

نشات للصب منها زفرة * تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب البرق مع القلب بها * وبها الانات طارحن الحماما
طال لاتشتفى الاذن به * وهو للعينين قد ألقى كلاما
ترك الساكن لى من وصله * ضمة الجدران لثما والتزاما
نزعات من سليمان بها * فهم القلب معانيها فهاما
شادن يرعى حشاشات الحشى * حسب حظى منه ان أرعى الذماما

وقال

أأرجو أمانا منك واللحظ غادر * ويثبت عقلى فيك والطرف ساحر

ومنها

أعد سليمان أليم عذابه * لطائر قلبى فهو للبين صائر
أشاهد منه الحسن فى كل نظرة * وناظر أفكارى بمغناه ناظر
دعت للهوى أنصار سحر جفونه * فقلبى له عن طيب نفس مهاجر
اذا شق عن بدر الدجى أفق ذره * فانى بثمو به العواذل كافر
وفى حرم السلوان طابت خواطرى * وقلبى لما ألقى وجنبيه مجاور
وقد ينزع القلب المبلى لسلوة * كما اهتز من قطر الغمامة طائر
يقابل أغراضى بضد مرادها * ولم يدر أن الضد للضد قاهر
ونار اشتياقى صعدت من أدمعى * فضمر سرى فوق خدى ظاهر
وقد كنت باكى العين والبين غائب * فقل لى كيف الدمع والبين حاضر
وليس النوى بالطبع مراوانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر

وقال

يا بارقا قاد الخيال فاومضا * اقصد بطيفك مدنفا قد غمضا
ذاك الذى قد كنت تعهد نائما * بالسهد من بعد الاحبة عوضا
لاتحسبنى معرضا عن طيفه * لكن منامى عن جفونى أعرضا

ومنها

عجب الوشاة لمهجتى أن لم تذب * يوم النوى وتشككت فيما مضى
خفيت لهم من سر صبرى آية * ما فهمت الا سليمان الرضا
لله درك ناهجا سبل الهوى * فلمثله أمر الهوى قد فوضا
أمنت غزلا فوق خدك سارحا * وسللت سيفا من جفونك منتضى

وقال فى المدح

شيخ هذه الدعوة وباب هذه الدولة لايخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع مارفعه اليه فيما مضى وكان على بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون فسيره فى جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الرى قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن ان طاهرا لايثبت له فقال ماطاهر الا شوكة من أغصانى وشرارة من نارى وما مثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامين الا أن تقع عينه على سوادكم فان السخال لاتقوى على نطاح الكباش والثعالب لاتقدر على لقاء الاسد فقال له ابنه ابعث طلائع وارتد موضعا لعسكرك فقال ليس طاهر يستعدله بالمكايد والتحفظ ان حال طاهر يؤدى الى أمرين اما أن يتحصن بالرى فيثب به أهلها و يكفونا مؤنته أو يخليها و يدبر راجعا لو قد قربت حيوانا منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراما فقال ان طاهرا ليس قرنا فى هذا الموضع وانما تحترس الرجال من أقرانها وسار على بن عيسى وبث عساكره من الرى وتبين ماعليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الرى متياسرا

علي بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد فى القلب فى نحو سبعمائة من الخوارزمية نحويرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد وكان فارسا فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان على على برذون كميت أرجل وتمالأ على رأسه الرجال وتنازعوا فى خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجى وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس ابن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) أحمد ابن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم أنى قتلت فى المعركة ومعى رأس على فقال الدشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامى فى المخلاة فطرحه قدامه ثم أتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب اذا ماتت فامر به طاهر فألقى فى بئر وكتب الى ذى الرياستين فكان فى الكتاب أطال الله بقاءك

حريص على جر الذوائب والقنا * اذا كعت الابطال والجو عابس
وتعتنق الابطال لولا سقوطها * لقلت لتوديع أتتــه الفوارس
اذا اختطفتهم كفه فسروجهم * مجال وهــم فى راحتيــه فرائس

وقال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح اشكو

بحيث البنود الحمر والاسد الورد * كتائب سكان السماء لها جنـد
وتحت لواء النصر ملك هو الورى * تضيق به الدنيا اذا راح أو يغدو
تأمنت الارواح فى ظـل بنـده * كأن جناح الروح من فوقه بند
فـلو رام ادراك النجوم لنالها * ولو هم لانقادت له السند والهند

ومنها

بعينى بحر النقع تحت أسـنة * تنمنمه وهنا كما نمنم البرد
سماء عجاج والاسـنة شهبها * ووقـع القنا رعـد اذا برق الهنـد
وظنوا بان الرعد والصعق فى السما * محاق به من ايده الصعق والرعد
عجائب أشكال سماه رمس بها * مهندسـة تأتى الجبال فتنهـد
ألا انهـا الدنيا تريك عجائبا * وما فى القوى منها فلا بد أن يبدو

وقال وهو معتقل

تـباعد عنى منزل وحبيب * وهاج اشـتياقى والمـزار قريب
وانى على قرب الحبيب مع النوى * يكاد اذا اشتد الانين يجيب
لقد بعدت عنى ديار قريبة * عجبت لجار الجنب وهو غريب
أعاشر أقواما تقر نفوسهم * فللهم فيها عنـد ذاك ضروب
اذا شعروا من جارهم بتأوه * أجابتـه منهـم زفرة ونحيب
فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا * لكل امرئ مما دهاه نصيب
كانى فى غاب الليوث مسالم * يروعـنى منـه الغـداة وثوب
يحكم فيها الدهر والعقل حاضر * بكل قياس والاديب اديب
ولو مال بالجهال ميلته بنا * لجاء بعـذران ذا العجيب
رفيق بمن لا ينثنى عن جريمة * بطوش بمن ما أو بقتـه ذنوب
ويطمعنا منه بوارق خلب * تقول عساه يرعوى فيؤب
اذا ما تشـبثنا باذيال برده * دهتنـا اذا جر الخطوب خطوب
أدار علينا صولجانا ولم يكن * سـوى أنه بالحادثات لعوب

ومنها

أيا دهر انى قـد سئمت تهـددى * أجرنى فان السهم منك مصيب
اذا خفق البرق الطروق أجابه * فؤادى ودمع المقلتين سكوب
وان طلع الكف الخضيب سحيرة * فدمعى بحناء الدماء خضيب
تذكرنى الاسحار دارا ألفتها * فيشتد حزنى والحمام طروب
اذا علقت نفسى بليت وربما * تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربى والدعاء ضراعـة * وأنت تناجى بالدعا فتجيب

لئن

لئن كان عقبى الصبر فوزا وغبطة * فانى على الصبر الجميل دروب

وقال وبعثت اليه هدية من البادية فقال يصف منها ديكا

أيا صديقا جعلته سندا * فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم سريد كاخنشار * وجئتم لى مكانه لبدا
صير منى مؤرخا ولكم * ظللت فى علمه من البلدا
قلت له آدم أتعرفه * قال حفيدى بعصر ناولدا
نوح وطوفانه رأيتهما * قال علونا بفيضه أحدا
فقلت هل لى بجرهم خبر * فقال قومى وجيرتى السعدا
فقلت قحطان هل مررت به * قال نفثنا ببرده العقدا
فقلت صف لى سبا وسا كنها * فعندهم ذا تنفس الصعدا
فقال كم لى بدجنهم سحرا * من صرخة لى وللنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به * فقال ريشى لسهمه نفدا
فقلت كسرى وآل شرعته * فقال كنا بجيشه وفدا
ولو اوصاروا واوها أنا لبد * فهل رأيتم من فوقهم احدا
ديك اذا ما انثنى لفكرته * رأى وجود اطرائقا قددا
يرفل فى طيلسانه ولها * قد صير الدهر لونه كمدا
اذا دجا الليل غاب هيكله * كأن حبرا عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته * برجان جازا من الهواء مدى
كأن حصناء لابهامته * أعده للقتال فيه عدا
يرنو بياقوتتى لواحظه * كأنما اللحظ منه قد رمدا
كأن منجالتى ذوائبه * قوس سماء من أصله بعدا
وعوسج مدمن مخالبه * طغى بها فى نقاره وعدا
فذاك ديك جلت محاسنه * له صراخ بين الديوك بدا
يطلبنى بالذى فعلت به * فكم فللنا بليته مدى
وجهته محنة لا [٢] كله * والله ما كان ذاك منك سدى

ولم نزل بعد نستعدى عليه باقراره بقتله ونطلبه بالقود عند تصرفه بالعمل فيوجه الدية لنا فى ذلك رسائل وقال فى غرض أبى نواس

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا * وقد شرفوا الناسوت اذعبدوا عيسى
وقد رفعوا الانجيل فوق رؤسهم * وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
فما استيقظوا الا لصكة بابهم * فادهش رهبانا وروع قسيسا
وقام بها البطريق يسعى ملبيا * وقد لين الناقوس رفعا وتانيسا
فقلنا له أمنا فانا عصابة * أتينا التثليث وان شئت تسديسا
وماقصدنا الا الكؤس وانما * تحيل فى القول خبثا وتدليسا

وكبت أعداك كتابى اليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى والحمد لله رب العالمين فسر المامون بذلك وسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسمعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحق فاشترى الرشيد أم المامون فاستخلاها فعلقت بالمامون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا التنازع فى ذلك أعنى قصص ابراهيم واسمعيل واسحق وقول من ذهب الى أن اسحق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسمعيل وما ذكر كل فريق منهم وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسمعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحق يعقوب الا ترى أنه بشر ابراهيم بولادة اسحق فكيف يامره بذبحه فقال له عكرمة أنا أوأخذك أن الذبيح اسحق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم

ففتحت الابواب بالرحب منهم * وعرّس طلاب المدامة تعريسا
فلما رأى رقى أمامى وزهرى * دعانى آنانيسا لحنت وتلبيسا
وقام الى دن يفض ختامه * فكبس اجرام الغياهب تكبيسا
وطاف بها رطب البنان مزنر * فابصرت عبد اصير الحر مرؤسا
سلافا حواها القار لبسا نخلتها * مثالا من الياقوت فى الحبر مغموسا

ومنها

الى أن سطا بالقوم سلطان نومهم * ورأس قبيل الشمع نكس تنكيسا
وثبت اليه بالعناق فقال لى * بحق الهوى هب لى من الضم تنفيسا
كتبت بدمع العين صفحة خده * فطلس حبر الشعر كتبى تطليسا
فبئس الذى احتلنا وكدنا عليهم * و بئس الذى قد أضمروا وقبل ذا بيسا
فمنتا يرانا الله شر عصابة * نطيع بعصيان الشريعة ابليسا

وقال بديهة فى غزالة من النحاس ترمى الماء على بركة

عنت لنا من وحش وجرة ظبية * جاءت لورد الماء ملء عنانها
وأظنها اذ حددت آذانها * ريعت بنا فتوقفت بمكانها
حيث بقرنى رأسها اذ لم تجد * يوم اللقاء تحية ببنانها
حنت على الندمان من افلاسهم * فرمت قضيب لجينها لحنانها
لله در غزالة أبدت لنا * در الحباب تصوغه بلسانها

(قال لسان الدين) وفلج المذكور فلزم منزلى لمكان فضله ووجوب حقه وقد كانت زوجه توفيت وصحبه عليها وجد فلما ثقل وقربت وفاته استدعانى وكاد لسانه لا يبين فاوصانى وقال

اذا مت فادفنى حذاء حليلتى * يخالط عظمى فى التراب عظامها
ولا تدفننى فى البقيع فاننى * أريد الى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحى كيفما شاءه الهوى * تكون أمامى أو أكون أمامها
لعل اله العرش يجبر صدعتى * فيعلى مقامى عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى فى الخامس والعشرين لذى قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى انتهى ومن نظم ابن هذيل

وظبى زارنى والليل طفل * الى أن لاح لى منه اكتهال
وألفى الشك من وصل فقلنا * بليل الشك يرتقب الهلال

(ومن أشياخ لسان الدين) الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين وهو أعنى أبا بكر الوزير الكاتب الاديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر فى الفنون أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذى الوزارتين ابى عبد الله الحكيم الرندى ومن نظمه قوله

تصبر اذا ما ادركتك ملمة * فصنع اله العالمين عجيب
وما يلحق الانسان عار بنكبة * ينكب فيها صاحب وحبيب
ففيمن مضى للمرء ذى العقل اسوة * وعيش كرام الناس ليس يطيب

نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار ونعمته على اسحق أن فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن عباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات أعظم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر فصرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن أبى جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذها فراشا مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب يتقد مقداره خمسة أرطال و بين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فاتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليكما لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة فدعوتكما لافرح بكما وبحديثكما فاقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص

ويوشك

ويوشك ان تهمي سحائب نعمة * فيخصب ربع للسرور جديب
الهك ياهذا قريب لمن دعا * وكل الذى عند القريب قريب

قال ابن خاتمة وأنشدني الوزير أبو بكر مقدمه على المرية غازيا مع الجيش المنصور قال أنشدني أبي

ولما رأيت الشيب حل بمفرقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسي فقلت لها انظري * الى ما أرى هذا ابتداء الحقائق

و بيتهم بيت كبير واخذ عن غير واحد عن والده وهو ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيي اللخمي الرندي الكاتب البليغ الاديب الشهير الذكر بالاندلس واصل سلفه من اشبيلية من أعيانها ثم انتقلوا الى رندة في دولة بني عباد و يحيي جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة ايام السلطان ابي عبد الله محمد بن محمد بن نصر اثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة ابا عبد الله ابن رشيد الفهري فالحقه السلطان بكتابه واقام يكتب له في ديوان الانشاء الى ان توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده ابو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابه واشرك معه في الوزارة اباسلطان عبد العزيز بن سلطان الداني فلما توفي ابو سلطان افرده السلطان بالوزاره ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره الى ان توفي بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوّال سنة ثمان وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه ومولده برندة سنة ستين وستمائة وكان رحمه الله تعالى علما في الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمة عالي الهمة كاتبا بليغا أديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على أنواع كلها جميلة الانطباع خطيبا فصيح القلم زاكي الشيم مؤثرا لاهل العلم والادب برا باهل الفضل والحسب نفقت بعدته للفضائل أسواق وأشرقت بامداده للافاضل آفاق ورحل للشرق كما سبق فكانت اجازته البحر من المرية فقضى فريضة الحج وأخذ عمن لقي هنالك من الشيوخ فشيخته متوافرة وكان رفيقه كما مر الخطيب أبا عبد الله بن رشيد الفهري فتعاونا على هذا الغرض وقضيا منه كل نفل ومفترض واشتركا فيمن أخذا عنه من الاعلام في كل مقام وكانت له عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب جمع من أماتها العتيقه وأصولها الرائقة الانيقه مالم يجمعه في تلك الاعصر أحد سواه ولاظفرت به يداه أخذ عنه الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي وتدبج معه رفيقه أبو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدحا وممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي والرئيس أبو الحسن بن الجياب وناهيك بهما * ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها في أولها

ياقادما عمت الدنيا بشائره * أهلا بمقدمك الميمون طائره
ومرحبا بك من عيد تحف به * من السعادة أجناد تظافره
قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل * أبدى بك البشر باديه وحاضره

جواريه تسمى ضعفا قال فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال فقال لها غنينا فوضعت العود في حجرها وغنت

كليب لعمري كان أكثر ناصرا
وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها اسكتي قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى أن سلا وضحك ثم أقبل عليها وقال هات ما عندك فغنت

هم قتلوه كي يكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غني فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

وقيل بل انها غنت

أما ورب السكون والحرك
ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومي غني فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان قال ابن المهدي فقمت

قد جاء أمر فادح
فيه لذى عجب عجب

قال فما قنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بام ولده فطم وهى أم موسى الذى كان سماه الناطق بالحق وأراد خلع المامون والعقد له من بعده فهلكت أم موسى فطم فجزع عليها جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بام جعفر زبيدة قالت احملونى الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال ياسيدتى ماتت فطم فقالت

نفسى فداؤك لا يذهب بك اللهف
ففى بقائك مما قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزية
ما بعد موسى على مفقودة أسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدى قال استأذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فابوا ان ياذنوا لى بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك وكان فى وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء فى دجلة وفى المخترق شباك حديد

والارض قد لبست أثواب سندسها * والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث فى ساحاته حللا * لما سقاها درا كا منه باكره
فلاح فيها من الانوار باهرها * وفاح فيها من النوّار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلا * والزهر قد رصعت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة * فها هو اليوم للابصار ناشره
فالغصن من نشوة يثنى معاطفه * والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها * كما بدت لك من خل ضمائره
لله يومك ما أذكى فضائله * قامت لدين الهدى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت * وكم جمال بدا للناس ظاهره
فافخر بحق على الايام قاطبة * فما لفضلك من ند يظاهره
فانت فى عصرنا كابن الحكيم اذا * قيست بفخر أولى العليا مفاخره
يلتاح منه بافق الملك نور هدى * تضاءل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما * طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذى رفعت * أعلامه والندى الفياض زاخره
وليس هذا بيدع من مكارمه * ساوت أوائله فيه أواخره
يلقى الامور بصدر منه منشرح * بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى أمور الرعايا معملا نظرا * كمثل علياه معدوما نظائره
والملك سير فى تدبيره حكما * تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لا بطش يكدرها * فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الا عن اشارته * فالرشد لا تتعداه مصايره
تجرى الامور على أقصى ارادته * كانما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له فى كل مكرمة * أنست موارده فيها مصادره
ففضلها طبق الآفاق أجمعها * كانه مثل قد سار سائره
فليس يجحده الا أخو حسد * يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره * لا ملك أسعد من ملك يوازره
باعز أمر به اشتدت مضاربه * يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثنى البلاد وأهلوها بما عرفوا * ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول مأمله * تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نوار مطالعه * والجود قد أسبلت سحا مواطره
والناس فى بشر والملك فى ظفر * عال على كل عالى القدر قاهره
والارض قد ملئت أمنا جوانبها * بيمن من خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثنى وموحدة * تساجل البحران فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه * كساه امواله الطولى دفاتره

فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لى فن

فمن يؤدي لما أولاه من نعم * شكرا ولو أن سحبانا يظاهره
يا أيها العيد بادر لثم راحته * فلثمها خير مأمول تبادره
وافخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على * عصر يباريك أو دهر تفاخره
وللصيام وقد عظمت حرمته * فاجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا * واهنأ به قادما عمت بشائره

(ومن نثر ذي الوزارتين آخر اجازة ما صورته) وها أنا أجري معه على حسن معتقده وأكله في هذا الغرض الى ما رآه بمقتضى تودده وأجيزه ولولديه أقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية جميع ما نقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته فقد أطلقت لهم الاذن في جميعه وأبحت لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ويجعلها في ابتغاء مرضاته قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا لله عز وجل ومصليا ومسلما * ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم قوله

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لا سيما ان كان في غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

اني لأعسر أحيانا فيلحقني * يسر من الله ان العسر قد زالا
يقول خير الورى في سنة ثبتت * أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا

وهو من أحسن ما قال رحمه الله * ومن شعر ذي الوزارتين المذكور قوله

فقدت حياتي بالعراق ومن غدا * بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها * جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد

وقد سبقه الى هذا القائل

أواري أواري بالدموع تجلدا * وكم رمت اطفاء اللهيب وقد وقد
فلا تعذلوا من غاب عنه حبيبه * فمن فقد المحبوب مثلي فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا * أواري أواري والدموع تبينه * وهو الصواب قال ابن خاتمة وأنشدني رئيس الكتاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري قال أنشدني رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي قال أنشدني رئيس الكتاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

صح الكتاب وعنه * واختم على ملتفه
واحذر عليه من مخا * لسة الرقيب بجفنه
واجعل لسانك سجنه * كيلا ترى في سجنه

قال ابن خاتمة وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل (وحكي) ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب بن أبي مدين أنشده ابن أبي مدين

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه

وقد ثنيت بالسلام وكررت لا تؤذوني بقرطي قد ذهبت في البركة الى دجلة والمقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا در قال فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال الا انه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير غير مفكر في أمره (وحكي) انه اصطبح يوما وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا في السبع الى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بختي فحط بباب القصر وأدخل فجعل في صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه وشيلوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل أسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب في وجهه وبقي الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين بيده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه

وحبنى ذكرا لجليس اليكمو * فلما التقينا كنتمو فوق وصفه

فانشده ذو الوزارتين بن الحكيم

مازلت أسمع عن عليائك كل سنى * أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت * اذنى فوفق بين السمع والبصر

ويعجبنى فى قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبى اسحق الحساوى رحمه الله

سحر البيان بنانى صار يعقده * والنفث فى عقده من منطقى الحسن
لا أنشد المرء يلقانى ويبصرنى * أنا المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

(رجع) وقال لسان الدين فى عائد الصلة فى حق ذى الوزارتين بن الحكيم ما صورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزمة مهتزا للمديح طلقا للآمل كهفا للغريب برمكى المائدة مهلبى الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس فى باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحديث والتحديث نفق بضاعة الطلب واحيا معالم الادب واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها قام له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحه وأمل فى الآفاق النائيه انتهى المقصود منه ومن أحسن مارثى به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم

قتلوك ظلما واعتدوا * فى فعلهم حد الوجوب
ورموك أشلاء وذا * أمر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدى * قبر فقبرك فى القلوب

(وقال لسان الدين فى الاحاطة فى حق رحلة ذى الوزارتين بن الحكيم ما صورته) رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنه اول عام ثلاثة وثمانين وستمائة فحج وزار وتجول فى بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانها ومنقرا عنها عند مسنى شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فاخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامى الى دمشق ثم كر الى المغرب لا يمر بمجلس علم أو تعلم الا روى أو روّى واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة فأقام بها عينا فى قرابته وعلما فى أهله معظما لديهم الى أن اوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة فى اثر ذلك فتعرض اليه وهناه بقصيدة طويلة من اوليات شعره أولها

هل الى رد عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فأثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته فوفد آخر عام ستة وثمانين فاثبته فى خواص دولته وأحظاه لديه الى أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفى السلطان ثانى

فخذ بها الامين وقبض على أصل أذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره وتبادر الناس الامين فاذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فاتى بجبر فرد عظام أصابعه الى مواضعها وجلس كانه لم يعمل شيئا فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكى) أن المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنو هاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أما علمتم ان محمدا المهدى ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكانما سفى فى وجوههم الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة واراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كانى بكم لما أخبرتكم بتسميتى اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذى على رأسه تختلف الكلمة وتنتهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذاك ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هرون الرشيد لم يولد بعد فقال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدى وكان هذا موسى الهادى أخا الرشيد وكان العهد الذى كتبه الرشيد بين الامين والمامون وأودعه الكعبة ان الغادر

الملوك من بنى نصر وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله فزاد فى احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذى الوزارتين واعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى أن كان من أمره ما كان انتهى ملخصا * وقال فى الاحاطة بعد كلام طويل فى ترجمته قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الاكبر أبا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره * فقضى أسى او كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره

وقد ذكرناها فى غير هذا المحل ومن نظمه مما يكتب على قوس

انا عدة للدين فى يد من غدا * لله منتصرا على اعدائه
أحكى الهلال وأسهمى فى رجمها * لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه
قد جاء فى القرآن أنى عدة * اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدو أصابه سهمى فقد * سبق القضاء بهلكه وفنائه

(قال لسان الدين) ومن توقيعه مانقلته من خط ولده يعنى أبا بكر فى كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادى آش الفقيه الطرينى فكتب الى خاصة والدى أبى جعفر بن داود قصيدة على روى السين يشكى فيها من مشرف بلدهم اذ ذاك أبى القاسم بن حسان منها

فيا صنى أبى العباس كيف ترى * وأنت أكيس من فيها من اكياس
ولو ان كان ممن ترتضون به * فقد دنا الفتح للاشراف فى فاس

ومنها بستطرد ذكر ذى الوزارتين

للشرق فضل فنه أشرقت شهب * من نورهم أقبسونا كل مقباس

فوقع عليها رحمه الله تعالى

ان أفرطت بابن حسان غوائله * فالامر يكسوه ثوب الذكر والباس
وان ترل به فى جوره قدم * كان الجزاء له ضربا على الراس
فقد أقامنى المولى بنعمته * لبث أحكامه بالعدل فى الناس

(ثم أطال فى أمره الى أن قال فى ترجمة قتله ماصورته) واستولت يد الغوغاء على منازله شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره فضاع بها مال لا يكتب وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخرثى وأخفرت ذمته وتعدى به عدوه القتل الى المثلة وقانا الله مصارع السوء فطيف بشلوه وانتهب فضاع ولم يقبر وجرت فيه شناعة كبيرة رحمه الله تعالى انتهى المقصود منه *(رجع) ومن مشايخ لسان الدين الاستاذ أبو الحسن على القيجاطى وقال فى حقه فى الاحاطة ما محصله على بن عمر بن ابراهيم بن عبد الله الكنانى القيجاطى أبو الحسن أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا ورد على غرناطة مستدعى عام اثنى عشر وسبعمائة وقعد بمسجدها الاعظم يقرئ فنونا من العلم من قرا آت وفقه وعربية وأدب وولى الخطابة وناب عن بعض القضاة بالحضرة مشكور المآخذ حسن السيرة عظيم النفع وقصده الناس وأخذوا عنه وكان أديبا لوذعيا

(وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها ماءانه ليس بجزع النساء وهلعن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع ووراءك وراءك ويقال ان محمدا قصف عند طاهر فبينا طاهر فى بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ماقام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أودع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم والله ماهذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه من بنى هاشم الا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومحمد بن زبيدة وفى محمد بن زبيدة يقول أبو الهذيل

ملك أبوه وأمه من نبعة
منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرا بطحائها
ماء النبوة ليس فيه مزاج

وفى سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمامون وفى سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن على فى أيام الامين وكان عبد

فكها حلوا وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والادب اثر قراءة المكتب وله تآليف فى فنون وشعر ونثر فمن شعره قوله

روض المشيب تفتحت أزهاره * حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه * وظلامه قد لاح فيه نهاره
فاتى حمام لا يعاف وقوعه * ومضى غراب لا يخاف مطاره
والعمر مثل البدر يبدو حسنه * حينا ويعقب بعد ذاك سراره
ماللاخاء تقلصت أفياؤه * ماللصفاء تكدرت آثاره
والحر يصفع ان أخل خليله * والبر يسمع ان تجر أجاره
فتراه يدفع ان تمكن جاهه * وتراه ينفع ان علا مقداره
ولأنت تعلم أننى زمن الصبا * مازلت زندا والحياء سواره
ولأنت تعلم اننى زمن الصبا * مازلت ممن عف فيه ازاره
والهجر مابين الاحبة لم يزل * ترك الكلام أو السلام مثاره
ولكم تجافى عن جفاء خليله * فطن وقد ظفرت به اظفاره
ولكم أصر على التدابر مدبر * افضى الى ندم به اصراره
فاقام كالكسعى بان نهاره * أو كالفرزدق فارقته نواره
انكرتم من حق معترف لكم * بالحق مالا ينبغى انكاره
والشرع قد منع التقاطع نصه * قطعا وقد وردت به اخباره
والسن سن تورع وتبرع * وتسرع لتشرع تختاره
مايومنا من أمسنا متدارك * ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
هل لاحظرتم أو حذرتم منهما * حق عليكم حظره وحذاره
عجبا لمن يجرى هواه لغاية * محدودة اضماره مضماره
يأتى ضحى ماكان يأتيه دجى * فكأنه ماشاب منه عذاره
فيعد ماتفنى به حسناته * ويعيد ماتبقى به اوزاره
فالنفس قد أجرته مل عنانها * يشتد فى مضمارها احضاره
والمرء من اخوانه فى جنة * بل جنة تجرى بها أنهاره
واليمن قد مدت اليه يمينه * واليسر قد شدت عليه يساره
شعر به أشعرت بالنصح الذى * يهديه من اشعاره أشعاره
ولو اختبرتم نقده بمحكة * لامتاز بهرجه ولاح نضاره
هذا هدى فيه اقتده تنل المنى * أو أنت فى هذا وما تختاره
وعليكم منى سلام مثل ما * أرجت بروض يانع أزهاره

وقال من قصيدة رثائية

حمام حمام فوق أيك الاسى تشدو * تهيج من الاشجان ماأوجد الوجد
وذلك شجو فى حشا حزنا شجى * وذلك هزل فى ضمائرنا جد

مشيد وبستان مغتم بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا القصر قال لك ولى بك ياأمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له ياأبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لاتكون كذلك وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافى فسيح وجبال وصيح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل بن الربيع فقال ضرب السياط أهون على من هذا الكلام ولما سمى محمدا بنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بامر ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه فى ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده واحضنه على بن عيسى بن ماهان قال فى ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلى بن أبى طالب
اضاع الخلافة غش الوزير
وفعل الامام ورأى المشير

وماذاك الا طريق غرور * وشر المسالك طرق الغرور

أرى

أرى أرجل الأرزاء تشتد نحونا * وأيديها تسعى الينا فتمتد
ونحن أولو سهو عن الامر مالنا * سوى أمل ابجابنا عنده جد
فان خطرت للمرء ذكرى بخاطر * فتسبيحة الساهى اذا اسمع الرعد
مصاب به قدت قلوب وأنفس * لدينا اذا فى غيره قطعت برد
تلين له الصم الصلاب وتنهمى * عيون ويبكى عنده الحجر الصلد
فلا مقلة ترنو ولا اذن تعى * ولا راحة تعطو ولا قدم تعدو
وقد كان يبدو الصبر منا تجلدا * وهذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين وستمائة وتوفى بغرناطة ضحى السبت فى السابع والعشرين لذى حجة عام ثلاثين وسبعمائة وحضره السلطان فمن دونه رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب) قال فى الاحاطة فى حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب قال ابن الصباغ من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا القلب ثار أثار ادكارا * لقلبى فاذكى عليه أوارا
تروم جفونى لنار الهوى * خمودا فتهمى دموعا غزارا
فماء جفونى يسح انهمالا * ونار فؤادى تهيج استعارا
أطيل العويل صباحا مساء * كئيبا ولست أطيق اصطبارا
رقيت مراقى للعب شتى * فافنى مرارا وأحيا مرارا
أحن اشتياقا اذا ريح سرت * وأبدى هياما اذا برق أنارا

فعال الخليفة أعجوبة * وأعجب منه فعال الوزير وأعجب من ذا وذا أننا * نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يحسن مسح انفه * ولم يخل من متنه حجر ظير وما ذاك الا بباغ وغاو * يريدان نقض الكتاب المنير
وهذان لولا انقلاب الزما * ن فى العير هذان أم فى النفير ولكنها فتن كالجبال * ترفع فيها بضع الحقير

ولما قتل طاهر بن الحسين على بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وادبار أصحاب الامين وهزيمتهم فى كل حال وأيقنوا بقتله وظهور المأمون واسقط فى يدى الفضل بن الربيع وأصحابه فقال الشاعر

عجبت لمعشر يرجون نجحا * لأمر ما تتم به الامور وكيف يتم ما عقدوا وراموا * وأس بنائهم منه الفجور
أهاب الى الضلال بهم غوى * وشيطان مواعده غرور يصيب بهم ويلعب كل لعب * كما لعبت بشاربها الخمور
وكادوا الحق والمأمون غدرا * وليس بمفلح أبدا غدور هو العدل النجيب البر فينا * تضمن حبه منا الصدور
وعاقبة الامور له يقينا * به شهد الشريعة والزبور فملك أربعين لها وفاء * يتم به الاهلة والشهور
فكيدوا أجمعين بكل كيد * وكيد كم له فيه السرور

وبلغ محمدا الخمع قواده عند ما ظهر من أمر طاهر وشاورهم وقال أحضروا الى غناء كم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها وكانت كما قال أعشى ربيعة

ثم ماهابوا ولكن قدموا * كبش غارات اذا لاقى نطح

أما والله لقد حدثت بحديث الامم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من أقام دولها فما رأيت فى حديثهم حديث الرجل منهم وأبى كهذا الرجل فى اقدامه وسياسته وقد قصدنى واجترأ على وتملى الهامة العظيمة من الجند ومجمع القواد وساسة الحروب فهاتوا ما عندكم فقالوا يبقى الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغى من بغى عليهم

ولما انهزم جيش محمد بين يدى طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبى جعفر لعن الله الغدار وما ذا جلب على الامة بغدره وسوء رأيه وأبعد الله نسبه أهل الفضل لأسرع ما انتصر الله للمأمون بكبش المشرق وفى ذلك يقول الشاعر

تبا للذى الايام والمتزندق * ما ذا دعاه الى العظيم الموثق والغدر بالبر الزكى أخى التقى * والسائس المأمون غير الاخرق
زين الخلافة والامامة والنهى * أهل السماحة والندى المتدفق ان تغدروا جهلا بوارث أحمد * ووصى كل مسدد وموفق
فالله للمأمون خير موازر * والماجد القمقام كبش المشرق

ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرقى والغربى وكان هرثمة ابن أعين نازلا مما يلى النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربى مما يلى الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذى يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذى يعطى بقدرته من يشاء ويمنع والحمد لله الذى يقبض ويبسط واليه المصير أحمده على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى

الله على رسوله وآله وسلم وقال انى لا فارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة انى محتال لنفسى فاسأل الله أن يلطف بى بعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك تنصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح وقد رأيت الصلاح فى معاونة أخى والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فاعطنى الامان على نفسى وولدى وأمى وجدتى وحاشيتى وأنصارى واخوانى أخرج اليه وهذا الامر الى أخى فان رأى الوفاء لى بامانك والا كان أولى وأحق قال فلما قرأ طاهر الكتاب قال الآن ضيق خناقه وهيض جناحه وانهزم فساقه لا والذى نفسى بيده حتى يضع يده فى يدى وينزل على حكمى فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكم أمانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله من الابناء وغيرهم ممن استامن اليه لدفع المامونية عنده فالوا نحو هرثمة وكان طاهر يمد هرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع ذلك كثير كمد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر وبشر الازدمان ثم انفض الجمع وكان طاهر قد نزل فى البستان المعروف بباب الكباش بالطاهرى ففى ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم * عظيم الشان والخطب علينا فيه بالانجا * دعن هرثمة الكلب

ومنا لابى الطيب يوم صادق الكرب ٢٦٦ أتاه كل كرار * ولص كان ذا نقب وعريان على جنبيه آثار من الضرب

اذا ما حل من شرق أتيناه من الغرب وضاق الامر بمحمد الامين ففرق فى قواده المحدثين دون غيرهم خمسمائة ألف درهم وقارورة غالية ولم يعط قدماء أصحابه شيأ فاتت طاهرا عيونه وجواسيسه بذلك فراسلهم وكاتبهم ووعدهم ومناهم وأغرى الاصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك وشغبوا على الامين وقال بعضهم

قل لامين الناس فى نفسه ما شتت الجند سوى الغاليه

وطاهر نفسى فدا طاهر برسله والعدة الكافيه

ومنها

حننا او شوقا الى معلم * حوى شرفا خالد الايجارى
به أسكن الله أسمى الورى * نبيا كريما وصحبا خيارا
هو المصطفى المنتقى المجتبى * أرى معجزات وآيا كبارا
يحق علينا ركوب البحار * وجوب القفار اليه ابتدارا
فيا فوز من فاز فى طيبة * بلثم المغانى جدارا جدارا
وألصق خدا على تربها * وأكمل حجا بها واعتمارا
وأهدى السلام لخير الانام * على حين وافى عليه مزارا
فيا هادى الخلق دار نعيم * تناهت جمالا وطابت قرارا
لانت الوسيلة والمرتجى * ليوم يرى الناس فيه سكارى
وما هم سكارى ولكنهم * دهتهم دواه فهاموا حيارى
ترى المرء للهول من أمه * ومن أقربيه يطيل الفرارا
وكل يخاف على نفسه * فيكسوه خوف الاله انكسارا
فصلى الاله رسول الهدى * عليك وأبقى هداك منارا
وقدس ربى ثرى روضة * يعم الجهات سناها انتشارا
أعير شذا المسك منها الثرى * بل المسك منه شذاه استعارا
هنيأ لمن بهداك اهتدى * ومغناك وافى واياك زارا

وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التى نظمها بالحجاز فى

أضحى زمام الملك فى كفه * مقابلا للفئة الباغيه قد جاءك الليث بسيدانه مستكلبا فى أسد ضاريه طريق فاهرب فلا مهرب من مثله * حقا الى النار أو الهاويه وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست وتسعين ومائة وقاتل الاخ أخاه والابن أباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت الاموال فقال الاعمى فى ذلك تقطعت الارحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر فذاك انتقام الله من خلقه بهم لما اجترموه من ركوب الكبائر فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن اصلحنا فساد السرائر ولا نستمع من واعظ ومذكر فينجع فينا وعظ ناه وآمر فأبك على الاسلام لما تقطعت * رجاه ورجى خيرها كل كافر فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور وعز بز وقاهر وصار رئيس القوم يحمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر

ولا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفع الفاجر تراهم كامثال الذئاب رأت دما * فامته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أقرانها بالحناجر فأبك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكى بحزن على ابنها * فيبكى لها من رحمة كل طائر * وذات حليل أصبحت وهى أيم
وتبكى عليه بالدموع البوادر * تقول له قد كنت عزا وناصرا * فغيب عنى اليوم عزى وناصرى
وأبك لاحراق وهدم منازل * وقتل وانهاب اللهى والذخائر * وابراز ربات الخدور حواسرا
خرجن بلا خمر ولا بمآزر * تراها حيارى ليس تعرف مذهبا * نوافر أمثال الظباء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظرا * وملهى رأته عين لاه وناظر * بلى هكذا كانت فأذهب حسنها
وبددها الشمل حكم المقادر * وحل بهم ما حل بالناس قبلهم * فاضحوا أحاديثا لباد وحاضر
أبغداد يا دار الملوك ومجتبى * صروف المنايا مستقر المنابر * ويا جنة الدنيا ويا مطلب الغنى
ومستنبط الاموال عند الضرائر * أبينى لنا أين الذين عهدتهم يحلون فى روض من العيش زاهر
وأين ملوك فى المواكب تغتدى
تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم
لورد أمور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة
ورصف كلام من خطيب وسائر
وأين مراح للملوك عهدتها
مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها
يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشية
الى كل فياض كريم العناصر
ولهو وقيان تستجيب لنغمها
اذا هو لباها حنين المزامر
فالملوك العزمن آل هاشم
وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون فى سلطانهم وكانهم * يروحون فى سلطان بعض العشائر * يجادل عما نالهم كبراؤهم
فنالتهمو بالكره أيدى الاصاغر * فاقسم لو أن الملوك تناصروا * لزالت لها خوفا رقاب الجبابر
وبعث هرثمة بن أعين بن زهير بن المسيب الضبي من الجانب الشرقى فنزل الماطر مما يلى كلواذا وغشى ما فى السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المنجنيقات ونزل فى رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم التبابين والمياز ر وقد اتخذوا لرؤسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ودرقا من الخوص والبوارى قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده فالعريف له أناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والامير وناس عراة قد جعل فى أعناقهم الجلاجل والصوف

طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام وهى طويلة ومطلعها
وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجئناك نطوى اليك القفارا
وقد تبارى الشعراء فى هذا الوزن وهذا الروى ومنه القصيدة المشهورة
أقول وآنست بالحى نارا * ولابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة وقال فى الاحاطة فى حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي غرناطى أبو سعيد من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق رأس بنفسه وبرز بمزية ادراكه وحفظه فاصبح حامل لواء التحصيل وعليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه الى المعرفة بالعربية واللغة ومعرفة التوثيق والقيام على القرآت والتبريز فى التفسير والمشاركة فى الاصلين والفرائض والادب وجودة الحفظ وأقرأ بالمدرسة النصرية فى الثامن والعشرين لرجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة معظما عند الخاصة والعامة مقرونا اسمه بالتسويد قعد للتدريس ببلده على وفور الشيوخ وولى الخطابة بالجامع معظما عند الخاصة والعامة قرأ على القيجاطى والعربية على ابن الفخار وأخذ عن ابن جابر الوادى آشى فن شعره فى النسيب
خذوا للهوى من قلبي اليوم ما أبقى * فما زال قلبي كله للهوى رقا
دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره * فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الاشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا * فكل الذى يلقون بعض الذى ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيدا * فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا

الاحمر والاصفر ومقاود قد اتخذت ولجم من مكاس ومذاب فيأتي العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على
رؤسهم خود ودرق البواري ويأتي النقيب والقائد والامير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول
المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ماذكرناه فكانت للعراة على زهير
وأتاه المدد من هرثمة فانهزمت العراة ودمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف فقتل منهم خلق وقتل من النظارة
خلق فقال في ذلك بعضهم وذكر رمي زهير بالمنجنيق لاتقرب المنجنيق والحجرا * وقد رأيت القتيل اذ قبرا

ما كر كيلا يفوته خالل * ولاقتيل وخلف الخبرا * ياصاحب المنجنيق مافعلت
كفاك لم تبقيا ولم تذرا * كأن داره سوى الذي أمرا * هيهات أن يغلب الهوى القدرا

فلما ضاق الامر بالامين فى ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الاباضيات مما
يلي باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب في وسط الجانب الغربي وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر
الحرق والهدم ببغداد في الكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الامر وتنقل الناس

من موضع الى موضع وعم
الخوف فقال الشاعر
من ذا أصابك يابغداد
بالعين
ألم تكوني زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان قربهم
وكان مسكنهم زينا من
الزين
صاح الزمان بهم بالبين
فانقرضوا
ماذا لقيت بهم من لوعة البين
أستودع الله قوما ماذكرتهم
الا تحدر ماء الدمع من عيني
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم
والبين يصدع مابين
الفريقين
ولم تزل الحرب بين الفريقين
أربعة عشر شهرا وضاقت
بغداد بأهلها وتعطلت

بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم * اذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله * يحوزون في يوم السباق بها السبقا
وكم جمعت طرق الهوى بين أهلها * وكم أظهرت عند السوى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله * فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة تزجي سحائب عبرة * اذا زفرة ترقا فلا عبرة ترقا
اذا سكتوا عن وجدهم أعربت به * بواطن أحوال وما عرفت نطقا

وقال في وداع شهر رمضان

أأزمعت ياشهر الصيام رحيلا * وقاربت يابدر الزمان أفولا
أجدك قد جدت بك الآن رحلة * رويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فأزمعت الرحيل كأنما * نويت رحيلا اذ نويت نزولا
وماذاك الا ان أهلك قد مضوا * تفانوا فأبصرت الديار طلولا
تفكرت في الاوقات ناشئة التقى * أشد به وطأ وأقوم قيلا

وهي طويلة وكان موجودا عند تأليف الاحاطة رحمه الله تعالى اه بالمعنى * وقال الحافظ
ابن حجر انه صنف كتابا في الباء الموحدة وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم بن علي المالقي ومات
سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة انتهى * وقال تلميذه المنتوري مانصه من شيوخي الشيخ
الاستاذ الخطيب المقرى المتفنن المفتي أبو سعيد بن لب مولده سنة احدى وسبعمائة وتوفي
ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة عام اثنين وثمانين انتهى وهو مخالف لما

المساجد وتركت الصلاة ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد في أيام حرب سبق
المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب في خمسين ألف عراة ولم ينزل باهل بغداد شر من هذا
الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد استعظم أهل بغداد ما نزل بهم في هذا الوقت في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خروج
أبي اسحق المتقي عنهم وما كان قبل الوقت من البزيديين وبوزون التركي وما دفعوا اليه من الوحشة بخروج أبي محمد
الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه علي بن عبد الله عليهم لبعد العهد بما حل بالمنازل بها وطول السنين
وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا في ذلك العصر واشتد الامر بين المأمونية والعراة وغيرهم
من أصحاب المخلوع وحصر محمد في قصره من الجانب الغربي فكان بينهم في بعض الايام مواقعة تفانى فيها خلق كثير من
الفريقين فقال في ذلك حسين الخليع أمين الله ثق بالله * تصيب النعم والنصره كل الامر الى الله * كلاك الله ذو القدره
رأيت الحرب أحيانا * علينا ولنا تاره وكانت وقعة أخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل

في الطرق والشوارع ينادى هذا يا مأمون والآخر يا مخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه
من رجل وامرأة وإنما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وفي ذلك يقول الشاعر

بكت عيني على بغداد لما * فقدت غضارة العيش الانيق تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فافنت أهلها بالمنجنيق فقوم أحرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى يا صحابي * وقائلة تنادى يا شقيقي وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادى بالشفيق فلا شفيق * وقد فقد الشفيق مع الرفيق وقوم أخرجوا من ظل دنيا * متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق توسط من قتالهم جميعا * فما يدرون من اى الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه * وقد هرب الصديق عن الصديق ومهما أنس من شئ تولى * فانى ذاكر دار الرقيق

وسال قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب في يوم ماله فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال
ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوى الباس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض ٢٦٩ العراة وقدامه مدة طويلة حتى
فنيت سهام القائد وظن
أن العريان فنيت حجارته
فرماه بحجر بيت في المخلاة
وقد حمل عليه القائد فا
أخطأ عينه وثناه بحجر
آخر فكاد يصرع القائد عن
فرسه ووقعت البيضة عن
رأسه فكر راجعا وهو
يقول يا أبا طاهر ليس
هؤلاء بناس هؤلاء شياطين
ففي ذلك يقول أبو يعقوب
الخزيمي

الكرخ أسواقه معطلة
يستن عيارها وعابرها
خرجت الحرب بين
أسواقهم
أسود غيل علت قساورها

وقال على الاعمى

خرجت هذه الحروب رجالا * لا لقحطان لا لآل نزار معشر في جواشن الحصر يعدو * ن الى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا الابـ * ـطال عاذوا من القنا بالفرار واحد منهم يشد على ألـ * ـفين عريان ماله من ازار
و يقول الفتى اذا طعن الطعـ * ـنة خذها من الفتى العيار وتوالت الحرب وطاهر في قوة واقبال واصحاب المخلوع
في نقص وادبار واصحاب طاهر يهدمون و يأخذون بعض الدور و ينهبون المتاع فقال رجل من المحمدية

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لأخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل القنيص وان بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها
علينا فما ندرى الى اين نشخص اذا حضروا قالوا بما يبصرونه * وان لم يروا شيئا قبيحا تخرصوا
وقد خصت قراؤنا في قتالهم * وما قتل المقتول الا المرخص

ولما نظر طاهر الى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال
الصعبة قطع عنهم مواد الاقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز في حد المأمونية عشرين رطلا

سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت أدرى اذ المنتوري تلميذه ونحوه للشيخ أبي زكريا
السراج في فهرسته اذ قال شيخنا الفقيه الخطيب الاستاذ المقرى العالم العلم الصدر الاوحد
الشهير كان شيخ الشيوخ وأستاذ الاساتذة بالاندلس اليه انتهت فيها رياسة الفتوى في
العلوم كان أهل زمانه يقفون عند ما يشير اليه قرأ على أبي على القيجاطي بالسبع وتفقه عليه
كثيرا في أنواع العلوم ولازمه الى أن مات وأجازه عامة وعليه اعتمد وأخذ عن أبي جعفر
ابن الزيات وأبي اسحق بن أبي العاصي وابن جابر الوادي آشي وقاضي الجماعة أبي بكر سمع
عليه البخاري وتفقه عليه وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما و بعض الارشاد و بعض
التهذيب وعن أبي محمد بن سلمون والبركة أبي عبد الله الطنجالي الهاشمي وأجازه انتهى
بمعناه و بالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه شيخ الشيوخ أبو
سعيد بن لب الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام انتهى وقل من لم يأخذ عنه
في الاندلس في وقته فممن أخذ عنه الشاطبي وابن علاق وأبو محمد بن جزي والاستاذ
القيجاطي والاستاذ الحفار والشيخ الوزير ابن الخطيب السلماني والكاتب ابن زمرك في
خلق كثير من طبقتهم ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى بن عاصم وأخوه القاضي أبو بكر بن
عاصم والشيخ ابو القاسم بن سراج والمنتوري في خلق لا يحصون * وله تواليف فمنها شرح
جمل الزجاجي وشرح تصريف التسهيل و كتاب ينبوع عين الثرة في تفريع مسألة الامامة
بالاجرة وله فتاوى مدونة بايدى الناس وممن جمعها الشيخ ابن تركاط الاندلسي وله كتابة
في مسألة الادعية اثر الصلوات على الهيئة المعروفة وقد رد عليه في هذا التأليف تلميذه أبو

بدرهم وفي حد المحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقي مع المخلوع وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكباش فاشتد القتال وتبادرت الرؤس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل في أصحاب طاهر وفني من العراة خلق وكان ذلك في يوم الاحد ففي ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد * كانت حديث الابد
كم جسد أبصرته * ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له * منية بالرصد
أتاه سهم عائر * فشق جوف الكبد
وآخر ملتهب * مثل التهاب الاسد
وقائل قد قتلوا * ألفا ولم يزد
وقائل أكثر بل * مالهم من عدد
قلت لمطعون وفيه * طعنة لم تشد
من أنت ياويلك يا * مسكين من محمد
فقال لا من نسب * دان ولا من بلد
ولا أنا الغني قا * تلت ولا للرشد
ولا لشئ عاجل * يصير منه في يدي

ولما ضاق بمحمد الحال واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح ان يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب أموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر الاغنياء من ذريح والهرش ففي ذلك يقول على الاعمى

أظهروا الحج وما ينغونه * بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة * ركض الليل عليهم بالعطب

من شعر له طويل ولما عم البلاء أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر انهم ممنوعون منه ومن الخروج اليه ومغلوب على أموالهم وان العراة والباعة هم الآفة فقال بعضهم ان كاتبتم طاهرا لم تأمنوا صولة المخلوع بذلك فدعوهم فان الله مهلكهم وقال قائلهم

دعوا أهل الطريق فعن قريب * تنالهم مخاليب الهصور
فتهتك حجبا اكبادشداد * وشيكا ما تصير الى القبور
فان الله مهلكهم جميعا * لاسباب التمرد والفجور

وثارت العراة ذات يوم في نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات والقراطيس على رؤسها ونفخوا في القصب وقرون البقر وغيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المامونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المامونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المامونية على العراة من أصحاب محمد فغرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ففي ذلك يقول الاعمى

بالامير الطاهر بن الحسين * صبحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار اليهم * كل صلب القناة والساعدين
ياقتيل العراة ملقى على الشط * تطاه الخيول في الجانبين
ما الذي كان في يديك اذا ما اص * طلح الناس أية الحالتين

يحيى بن عاصم الشهيد في تأليف نيل انتصار الشيخ ابى اسحق الشاطبي رحم الله تعالى الجميع * (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب) أبو القاسم بن جزي ففي الاحاطة ما ملخصه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة وذوي الاصالة والنباهة فيها شيخنا وأصل سلفه من ولبة من حصن البراجلة نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيى رياسة وانفراد بالتدبير وكان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا قائما على التدريس مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وقراآت وأدب وحديث حفظة للتفسير مستوعبا للاقوال جماعة للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس ممتع المحاضرة قريب الغور صحيح الباطن تقدم خطيبا بالمسجد الاعظم من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن اصالته قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن جعفر ابن الزبير العربية والفقه والحديث والقرآن وعلى ابن الكماد ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد وطبقتهم كالحضرمي وابن أبي الاحوص وابن برطال وأبي عامر بن ربيع الاشعري والولي أبي عبد الله الطنجالي وابن الشاط * وله تواليف منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم والانوار السنيه في الكلمات السنيه والدعوات والاذكار المخرجة من صحيح الاخبار والقوانين الفقهيه في تلخيص مذهب المالكيه والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبليه وكتاب تقريب الوصول الى علم الاصول وكتاب النور المبين

أوز يرامن قائد بل بعيد * أنت من ذين موضع الفرقدين كم بصير غدا بعينين كى ينـظر ماحالهـم فراح بعين

واشـتد الامر بمحمد المخلوع فباع مافى خزائنه سرا وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ولم يبق معه مايعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار فى بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فمامنهـم الا عدو من معى ومن على أما هؤلاء فيريدون مالى وأما أولئك فيريدون نفسى وقال

تفرقوا أودعونى * يامعشر الاعوان

فكلـكم ذووجوه * كثيرة الالوان

وما أرى غير أفك * وترهات الامانى

ولست أملك شيئا * فسائلوا اخوانى

فالويل فيما دهانى * من نازل البستان

يعنى طاهر بن الحسين ولما اشتد الامر عليـه ونزل هرثمة بن أعـين بالجانب الشرقى وطاهر بالجانب الغربى وبقى محمد فى مدينة أبى جعفر شاور من حضر من خواصه فى النجاة بنفسه فـكل أدلى برأى وأشار بوجه فقال قائل منهم تـكاتب ابن الحسين وتحلف له انك مفوض أمرك اليـه لعـله أن يجيبك الى ماتريد منـه فقـال ثـكلتك أمك لقد أخطات الرأى فى طلبى المشورة منك أما رأيت آثار رجل لا يؤول الى عذروهـل كان المامون لواجتهد لنفسه وتولى الامر برأيه بالغا عشر مابلغه له طاهر ولقد دسست وفحصت عن رأيه فما رأيته

يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف أطمع فى استدلاله بالاموال وفى غـدره والاعتماد فى عقـله ولو قـد أجاب الى طاعتى وانصرف الىّ ثم ناصبنى جميع الترك والديلم ماأهتممت بمناصبتهـم ولـكنت كما قال أبو الاسود الدؤلى فى الازد عند اجارتها زياد ابن أبيه فلما رآهم يطلبون وزيره وساروا اليـه بعـد طول تمـادى أتى الازد اذ خاف الذى لابقالها عليـه وكان الرأى رأى زياد

فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا * أصبت فكاشف من أردت وعاد

فاصبح لايخشى من الناس كلهم * عدوا ولوما لوا بقوة عاد

والله لوددت انه أجاب الى ذلك فابحته خزائنى وفوضت اليه ملكى ورضيت بالمعاش تحت يديه ولا أظننى مغلته ولو كانت ألف نفس فقال السندى صـدقت يا أمير المؤمنين ولو أنك أبوه الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمـد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعـده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله وبلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه ووعـده هرثمة ان يأتيه فى حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصيربه الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج فى تلك الليلة وهى ليلة الخميس الخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفى اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج فى هذه الليلة فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة فنجبى الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جـديدة فقال هذا والله

فى قواعد عقائد الدين وكتاب المختصر البارع فى قراءة نافع وكتاب أصول القراء الستة غير نافع وكتاب الفوائد العامه فى لحن العامه الى غير ذلك مما قيده فى التفسير والقراآت وغـير ذلك وله فهرسـة كبيرة اشـتهرت وا شـتملت على جـلة كبيرة من علماء المشرق والمغرب * وله شعر فمن شعره قوله فى الابيات الغينيـة ذاهبا مـذهب المعرى وابن المظفر والسلفى وأبى الحجاج بن الشيخ وأبى الربيع بن سالم وابن أبى الاحوص وغيرهم

لـكل بنى الدنيا مرادومقصـد * وان مرادى صحـة وفـراغ

لأبلغ من علم الشريعـة مبلغا * يكون به لى للجنان بـلاغ

ففى مثل هذا فلينافس أولو النهى * وحسـبى من دار الغرور بلاغ

فما الفوز الافى نعـيم مـؤبد * به العيش رغد والشراب يساغ

وقال

أروم امتـداح المصطفى فيردنى * قصورى عن ادراك تلك المناقب

ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لى باحصاء الحصى والكواكب

ولو أن اعضـائى غدت ألسنا اذا * لما بلغت فى المـدح بعض مآربى

ولو أن كل العالمين تسابقوا * الى مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنـه هيبـة وتأدبا * وعجزا واعظـاما لارفع جانب

ورب سكوت كان فيـه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

وقال

يارب ان ذنوبى اليوم قد كثرت * فما أطيق لها حصرا ولا عـددا

وليس لى بعذاب النـار من قبل * ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

الرأى فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر فى جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم أنه الرأى ان فعله فبعث الى سليمان بن أبى جعفر والى ابن نهيك والسندى بن شاهك وكانوا مع الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأى لاخربن ضياعكم ولازيلن نعمكم ولاتلفن نفوسكم فدخلوا على الامين فى ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأى وأتاه هرثمة فى الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيرى أغر محجل أدهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى وعبد الله فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتى عليكما فلست أدرى ألتقى معكما بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر نمى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين فى الزوارق وعلى الشط فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فاتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن لهرثمة شاغل الا ابحاشة نفسه فتعلق بزورق وصعد اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقى وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوقع نحو العراة

الى عسكر قرين الديرانى غلام طاهر فاخذه بعض السواس حين شم منه رائحة المسك والطيب فاستأذن فيه طاهرا فاتاه الاذن فى الطريق وقد حمل الى طاهر فقتل فى الطريق وهو يصيح انا لله وانا اليه راجعون أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو المامون والسيوف تاخذه حتى بردوا أخذوا رأسه وكانت ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة (وذكر) أحمد بن سلام وقد كان مع الامين فى الحراقة حين أصيب فسبح فقبض عليه بعض أصحاب طاهر وأراد قتله فارغبه فى عشرة آلاف درهم وانه يحملها اليه فى صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا مظلما فبينما أنا كذلك اذ دخل على رجل عريان عليه سراويل وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة فخلوه معى وتقدموا الى من فى حفظنا فلما استقر فى البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بينى وبين نفسى وجعل ينظر الى ثم قال أيهم أنت قلت أنا مولاك ياسيدى فقال وأى الموالى أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تاتينى بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك ياسيدى قال ادن منى وضمنى اليك فانى أجد وحشة شديدة قال فضممته الى فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ثم قال أخبرنى عن أخى المامون أحى هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال قبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد فقال لى يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل فى وزرائى الا خيرا فما لهم ذنب ولست باول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التى عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالى فهذه له كثير ثم قال لى يا أحمد ما أشك انهم سيحملونى الى أخى أفترى أخى قاتلى قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لى هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت

فانظر الهى الى ضعفى ومسكنتى * ولا تذيقنى حر الجحيم غدا

وقال

وكم من صفحة كالشمس تبدو * فيسبى حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظرى اليها * محافظة على عرضى ودينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة وتسعين وستمائة وفقدوه بحرض الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الاولى عام احد وأربعين وسبعمائة وعقبه طاهر بين القضاء والكتابة انتهى وأذكرنى روى الغين الصعب قول الشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن يوسف السكونى الاندلسى المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله ورضى عنه

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى * اميل لزور بالغرور يصاغ
وأرتاح للذات والشيب منذر * بما ليس عنه للانام مراغ
ومن لم يمت قبل الممات فانه * يراع بهول بعده ويراغ
فيارب وفقنى الى ما يكون لى * به للذى أرجوك منه بلاغ

توفى المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ وكان خطيبا بحصن قارش رحمه الله تعالى ومن نظم ابن جزى المذكور قوله

ايا من كففت النفس عنه تعففا * وفى النفس من شوقى اليه لهيب * غرام
الا انما صبرى كصبر انما * على النفس من تقوى الاله رقيب * لجام

وهما من التخيير المعلوم فى فن البديع وقول لسان الدين رحمه الله تعالى وله عقب طاهر

له ان أمان هرثمة أمان أخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينما نحن كذلك اذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح
فاطلع فى وجه محمد مستثبتاله فلما أثبته معرفة خرج وأغلق الباب واذا هو محمد الطاهرى قال فعلمت ان الرجل مقتول وقد
كان بقى على من صلاتى الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر فقمت لاوتر فقال لى يا أحمد لا تبعد منى وصل بقربى فانى أجد وحشة
شديدة فدنوت منه فقل ما ابثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بايديهم السيوف مصلتة
فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى فى سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث وجاؤا حتى
قاموا على باب البيت الذى نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فاخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول أنا ابن
عم رسول الله أنا ابن هرون الرشيد أنا أخو المامون الله الله فى دمى فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة فى مقدم
رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلنى الرجل فدخل
منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه فى خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل فى كيفية قتله
غير هذا وقد أتينا على التنازع فى ذلك فى الكتاب الاوسط وأتى بخادمه كوثر فنصب على باب من أبواب بغداد
يعرف بباب الحديد نحو قطربل فى الجانب الغربى الى الظهر ودفنت جثته فى بعض تلك البساتين ولما وضع رأس الامين بين يدى طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير وحمل الرأس الى خراسان الى المامون فى منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المامون وبكى واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان

بين القضاء والكتابة ترديه بنيه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضى أبا محمد عبد الله
* ولنذكرهم فنقول (أما) أبو بكر أحمد فهو الذى ألف أو أبوه الانوار السنية وهو من أهل
الفضل والنزاهة وحسن السمت والهمة واستقامة الطريقة غروب فى الوقار ومال الى
الانقباض وله مشاركة حسنة فى فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو
ببعضه الاجادة الى غاية بعيدة وقرأ على والده ولازمه واستظهر ببعض تآليفه وتفقه
وتادب به وقرأ على بعض معاصرى أبيه ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لاول دولة
السلطان أبى الحجاج بن نصر وولى القضاء ببرجة وباندرش ثم بوادى آش مشكور السيرة
معروف النزاهة ومن شعره

أرى الناس يولون الغنى كرامة * وان لم يكن أهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم * وان كان أهلا أن يلاقى باكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة * فما صححوا الا حديث ابن دينار

ومن بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندى بقوله

أقول لعزمى أو لصالح أعمالى * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
أما واعظى شيب سما فوق لمتى * سمو حباب الماء حالا على حال
انار به ليل الشباب كأنه * مصابيح رهبان تشب لقفال
نهانى عن غى وقال منبها * ألست ترى السمار والناس أحوالى
يقولون غيره لتنعم برهة * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رأيته فامر المامون بنصب الرأس فى صحن الدار على خشبة واعطى الجند
وامر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الرأس فقال
لعن الله هذا ولعن والديه وادخلهم فى كذا وكذا من امهاتهم فقيل له لعنت امير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المامون منه
وتغافل وامر بحط الرأس وترك ذلك المخلوع وطيب الرأس وجعله فى سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله اهل بغداد
وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة ام جعفر

اودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنع فؤادك عن مقتولك الباسا * لما رأيت المنايا قد قصدن له
اصبن منه سواد القلب والراسا * فبت متكئا ارعى النجوم له * اخال سنته فى الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التى اودى بها الكاسا * رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا * فليس من مات مردودا لنا ابدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدى ولم يكن دخل بها فقالت ابكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والسيف والترس
ابكى على سيد فجعت به * ارملنى قبل ليلة العرس * يا مالكا بالعراق مطرحا * خانته اشراطه مع الحرس
ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل امير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطالب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم امرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المامون

لخير امام قام من خير عنصر * وافضل راق فوق اعواد منبر * ووارث علم الاولين وفخرهم
وللملك المامون من ام جعفر * كتبت وعينى تستهل دموعها * اليك ابن عمى مع جفونى ومحجرى
اصبت بادنى الناس منك قرابة * ومن زال عن كبدى فقل تصبرى * اتى طاهر لا طهر الله طاهرا
وما طاهر فى فعله بمطهر * فابرزنى مكشوفة الوجه حاسرا * وانهب اموالى واخرب ادورى
يعز على هرون ما قد لقيته * ٢٧٤ * وما نالنى من ناقص الخلق اعور * فان كان ما اسدى لامر امرته
صبرت لامر من قدير مقدر

فلما قرأ المامون شعرها بكى ثم قال اللهم انى اقول كما قال امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما امرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودى) وللمخلوع اخبار وسير غير ما ذكرنا قد اتينا عليها فى كتابنا اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله سبحانه ولى التوفيق

أغالط دهرى وهو يعلم أننى * كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالى
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه * بآنسة كانها خط تمثال
اشيخا وتاتى فعل من كان عمره * ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال
وتشغلك الدنيا ومال شغفتها * كما شغف المهنوءة الرجل الطالى
ألا انها الدنيا اذا ما اعتبرتها * ديار لسلمى عافيات بذى خالى
فاين الذين استاثروا قبلنا بها * لناموا فان من حديث ولا صال
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من * لعوب تنسينى اذا اقت سربالى
وقد علمت منى مواعيد توبتى * بان الفتى يهذى وليس بفعال
ومذ وثقت نفسى بحب محمد * هصرت بغصن ذى شمار يخ ميال
وأصبح شيطان الغواية خاسئا * عليه قتام سيئ الظن والبال
ألا ليت شعرى هل تقول عزائمى * تخيلى كرى كرة بعد اجفال
فانزل دارا للرسول نزيلها * قليل هموم ما يبيت باوجال
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل * بيثرب أدنى دارها نظر عالى
ومن ذكره عند القبول تعطرت * صباو شمال فى منازل قفال
جوار رسول الله مجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى
ومن ذا الذى يثنى عنان السرى وقد * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ألم تر أن الظبية استشفعت به * تميل عليه هونة غير مجفال

(ذكر خلافة المامون)

وبويع المامون عبد الله بن هرون وكنيته ابو جعفر وامه باذغيسية واسمها مراجل وقيل كنيته ابو العباس وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين وتوفى بالبليدون على عين القشيرة وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون وقيل ان اسمها بالرومية ايضا رقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثمانى عشرة ومائتين وهو ابن تسع واربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها اربعة عشر شهرا كان يحارب اخاه محمد بن زبيدة على ما ذكرنا وقيل سنتان وخمسة اشهر وكان اهل خراسان فى تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر فى الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها *(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه)* وغلب على المامون الفضل بن سهل حتى ضايقه فى جارية اراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المامون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم احمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وابو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المامون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداد وفى خلافته قبض

على بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المأمون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمه وكان المأمون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المأمون اذا المرجى سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته فجدد عنده ذكرى على * وصل على النبي وآل بيته فاجابه ابراهيم رادا عليه * اذا الشيعى جمجم فى مقال فسرك ان يبوح بذات نفسه * فصل على النبي وصاحبيه * وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدى مع المأمون اخبار حسان هى موجودة فى كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدى (ودخل) ابودلف القاسم ابن عيسى العجلى على المأمون فقال له ياقاسم ما احسن ابياتك فى صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك فى المغنيات قال يا امير المؤمنين اى ابيات هى قال قولك لسل السيوف وشق الصفوف * ونقض التراب وضرب القلل قال ثم ماذا ياقاسم قال ولبس العجاجة والخافقات * تريك المنايا بروس القلل * وقد كشفت عن سناها هناك * كأن عليهم شروق الطفل خروس نطوق اذا استنطقت * جهول يطيش على من جهل * اذا خطبت اخذت مهرها * وزير المعاطف بين القلل الذ واشهى من المسمعات * وشرب المدامة فى يوم طل * انا ابن الحمام وترب الصفاح * ٢٧٥ وترب المنون وترب الاجل

وقال لها عودى فقالت له نعم * ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى
فعادت اليه والهوى قائل لها * وكان عداء الوحش منى على بالى
رثى لبعير قال أزمع مالكى * ليقتلنى والمرء ليس بفعال
وثور ذبيح بالرسالة شاهد * طويل القرا والروق اخنس ذيال
وحن اليه الجذع حنة عاطش * لغيث من الوسمى رائده خالى
وأصلين من نخل قد التأماله * فما احتبسامن لين مس وتسهال
وقبضة ترب منه ذلت لها الظبا * ومسنونة زرق كانياب أغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا * وليس بذى رمح وليس بنبال
وحسبك من سوط الطفيل اضاءة * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
وبدت به العجفاء كل مطهم * له حجبات مشرفات على الفال
ويا خسف أرض تحت باغيه اذ علا * على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد اخمدت نار لفارس طالما * أصابت غضى جزلا وكفت باجذال
ابان سبيل الرشد اذ سبل الهدى * يقلن لاهل الحلم ظلا بتضلال
لاحمد خير العالمين انتقيتها * وريضت فذلت صعبة أى اذلال
وان رجائى أن ألاقيه غدا * ولست بمقنى الخلال ولاقالى
فأدرك آمالى وما كل آمل * بمدرك اطراف الخطوب ولا والى
ولاخفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة (قلت وقد أذكرنى

ثم قال يا امير المؤمنين هذه لذتى مع اعدائك وقوتى مع اوليائك ويدى معلك ولئن استلذ مستلذ شيا من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال ياقاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شانك واللذة لذتك فماذا تركت للوسنان عما خلفت واظهرت له من قليل ما سترت قال يا امير المؤمنين وأى اشعارى قال حيث تقول
أيها الراقد المؤرق عينى * نم هنيئا لك الرقاد اللذيذ
علم الله ان قلبى مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ
قال يا امير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا ظن متاخر قال ياقاسم ما احسن ما قال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا * وما لليالى فى الذى بيننا عذر * اذا لم يكن بين المحبين زورة * سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر فقال ابودلف ما احسن ما قال يا امير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف ادتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت انى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال يا امير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خاط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونارضوءه عند التاليف وكان المأمون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المأمون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المأمون يقول اعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر ان يقبل ولما اتى الملك للمامون قال هذا جسيم لولا انه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا انه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المأمون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق وزراع للقلوب ومحل مالوف وفضل منتشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى

الحساء واحمد للشيم وباب لرضا العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المامون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على هراب النحل لو كان طريقا ما سلكته ولو كان قيصا ما لبسته (وحضر) المامون أملاكا لبعض اهل بيته فساله من حضر أن يخطب. فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تاليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل النجيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا واقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنا يوما عند المامون فدخل يحيى بن أكثم وكان قد ثقل عليه موضعى منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى فى مسالة دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطؤا كلهم وأغفلوا وجه الدلالة فاستعظم منى ذلك واكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المامون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا الايه سالى ماقال ولا ماشنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم أن الحق فى واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة اخطؤا وأصاب العاشر وقلت انا أخطأ العاشر فما انكرت قال فنظر المامون الى وتبسم وقال لم يعلم ابو محمد انك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق فى واحد قال بلى قلت فهل يخلى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عند ذلك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما انكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لانى خطأتهم فى الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطأتهم عند الخلاف وادنى الدلالة الى قول بعضهم فخطأت من خالفنى وانت خطأت من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى بغداد فوقفوا للمامون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم أمير المؤمنين يدك احق يد بتقبيل لعلوها فى المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفى العفو فى قلة التثريب من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم اقض حوائجهم (وذكر ثمامة) ابن اشرس قال بلغ المامون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول مانى ويقول بالنور والظلمة من اهل البصرة فامر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا نظر اليهم طفيلى فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل فى وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشانهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلى نزهة لا شك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جىء

فصلى

هذا التصدير قصيدة الاديب حازم صاحب المقصورة اذ صدر قصيدة امرئ القيس قفا نبك ولنذكرها هنا قال رحمه الله تعالى

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا * لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعى لبعدها * على النحر حتى بل دمعى محملى
فيا حادى الآبال سر بى ولا تقل * عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسى بذاك وأقسمت * علىّ وآلت حلفة لم تحلل
فقلت لها لا شك أنى طائع * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وكم جملت فى أظهر العزم رحلها * فيا عجبا من رحلها المتحمل
وعاتبت العجز الذى عاق عزمها * فقالت لك الويلات انك مرجلى
نبى هدى قد قال للكفر نوره * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
تلا سورا ما قولها بمعارض * اذا هى نصته ولا بمعطل
لقد نزلت فى الارض ملة هديه * نزول اليمانى ذى العياب المحمل
أنت مغربا من مشرق وتعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
ففازت بلاد الشرق من زينة بها * بشق وشق عندنا لم يحول

بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي بلغ من تطفيلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا قال والله ما أدرى غير انى رجل طفيلي خرجت فى هذا اليوم من منزلى فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا الوليمة فدخلت فى وسطكم وحاذيت بعضكم كانى فى جملة احدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم مبارك فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم فورد على ما قد أزال عقلى فاخبرونى ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الان قد حصلت فى الاحصاء وأوثقت فى الحديد وأما نحن فمانية غمز بنا الى المامون وسندخل اليه ويسائلنا عن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة مانى لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلي والطفيلي يكون ٢٧٧ معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشئ من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المامون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من مانى ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المامون للموكلين من هذا قالوا والله ما ندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المامون ما خبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتى طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيأ وانما أنا رجل طفيلي وقص عليه خبره من أوله الى آخره فضحك المامون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ما أدرى ما مانى ايهوديا كان أم مسلما فقال المامون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدى قائما بين يدى المامون فقال يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه واحدثك بحديث عجيب فى التطفيل عن نفسى قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح فى دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسى اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفى الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك ومعصم ما رأيت أحسن منهما قط فشغلني يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت باهتا قد ذهل عقلى ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا مثله فانا كذلك اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لى

فصلى عليه الله ما لاح بارق * كلمع اليدين فى حبى مكلل
نبى غزا الاعداء بين تلائع * وبين اكام بعد ما متأمل
فكم ملك وافاه فى زى منجد * بمجرد قيد الاوابد هيكل
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ومن ابطحى نيط منه نجاده * بجيد معم فى العشيرة مخول
ازالوا بيد رعن بروجهم العدا * كما زلت الصفواء بالمتنزل
وفادوا ظباهم لا يفتك فتى ولا * كبير أناس فى بجاد مزمل
وفضى جموعا فدفدا جامعا بها * لنا بطن حقف ذى ركام عقنقل
وأحموا وطيسا فى حنين كانه * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمرى * ولا تبعد ينا من جناك المعلل
وممن له سددت سهمين فاضربى * بسهميك فى أعشار قلب مقتل
فما اغنت الابدان درع بها اكتست * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وأضحت لواليها ومالكها العدا * يقولون لا تهلك اسى وتجمل
وقد فر منصاع كما فر خاضب * لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وكم قال يا ليل الوغى طلت فانجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل
فليت جوادى لم يسر بى الى الوغى * وبات بعينى قائما غير مرسل
وكم مرتق اوطاس منهم بمسرج * متى ما ترق العين فيه تسهل

الخياط هذان منادماه قلت ما اسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا أني منهما بسبيل فرحب وأجلسني في أجل موضع فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه الالوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجالس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غصن بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة وأتي بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ثم اندفعت تغني

توهمها طرفي فآلم خدها * فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحها كفي فآلم كفها * فمن لمس كفي في أناملها عقر
ومرت بقلبي خاطرا فجرحتها * ولم أر شيئا قط يجرحه الفكر

فهيجت والله يا أمير المؤمنين على بلا بلي وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني

أشرت اليها هل علمت مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءني من الطرب ما لا أملك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني

أليس عجيبا أن بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف يسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وأصابتها معنى الشعر وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته فقلت بقي عليك يا جارية شيء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى يا سيدنا فأتيت بعود فأصلحت من شانه ما أردت واندفعت أغني

ما للمنازل لا يجبن حزينا * أصممن أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متن وان حيين حيينا

فما استتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها وهي تقول المعذرة والله لك يا سيدي فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنيعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت أغني

أبالله هل عسين لا تذكريني * وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو أنها أجنبية * واني لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من

وقرطه خرصا كمصباح مسرج * أمال السليط بالذبال المفتل
فيرنو لهدفوق هاديه طرفه * بناظرة من وحش وجرة مطفل
ويسمع من كافورتين بجانبي * اثيث كقنو النخلة المتعثكل
ترفع ان يعزى له شدشادن * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
ولكنه يعدى كما مر مزبد * يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب او * كجلمود صخر حطه السيل من عل
جياد أعادت رسم رستم دارسا * وهل عند رسم دارس من معول
وريعت بها خيل القياصر فاختفت * جواحرها في صرة لم تزيل
سبت عربا من نسوة العرب تستبي * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وجزن بدورا من ليالي شعورها * تضل العقاص في مثنى ومرسل
وأبقت بارض الشام هاما كأنها * بارجائها القصوى انابيش عنصل
وما جف من حب القلوب بغورها * وقيعانها كأنه حب فلفل
لخضراء ما دبت ولا نبتت بها * اسار يعظبي او مساويك اسحل
شداطيرها في مثمر ذي ارومة * وساق كأنبوب السقي المذلل
فشدت بروض ليس يذبل بعدها * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وكم هجرت في القيظ تحكي ذوارعا * عذارى دوار في ملاء مذيل

عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده يامن رأى كلفا مستهترا أسفا * كانت منيته فى عينه ويده
فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل
جيد الشراب ونديما دونه فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا أقداحا ثم قال يا سيدى
ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال يا سيدى
وانى أعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم وسالنى عن قصتى وكيف حملت نفسى على
ما فعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجارية له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة
فانظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله ما بقى غير أمى وأختى ولانزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له
جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى
هى جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا

وجى ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه أختى فلانة وأنا أشهدكم انى قد زوجتها من سيدى ابراهيم ابن المهدى وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروا بهذا الذى حضر فى الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال يا سيدى أمهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك فاحشمنى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت بل أحضر عمارية وأحملها الى منزلى فقال افعل ما شئت فاحضرت
عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فتعجب المامون من كرم
ذلك الرجل واطلق الطفيلى وأجازه بجائزة حسنة وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المامون واهل مودته
ولم يزل معه على افضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قال كان كلثوم العتابى واقفا بباب المامون
فجاء يحيى بن اكثم فقال له العتابى ان رأيت ان تعلم امير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل
وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله قد اتحفك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت
وبالتغيير ان كفرت وانا لك اليوم خير منك لنفسك ادعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تابى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة
الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فأخبر المامون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فامره بالجلوس
واقبل يساله عن أحواله وشانه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المامون وأخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال
يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى

وكم ادلجت والقتر يهفو هزيره * ويلوى باثواب العنيف المثقل
وخضن سيولا فضن بالبيد بعدما * اثرن غبارا بالكديد المركل
وكم ركزوا رمحا بدعص كانه * من السيل والغثاء فلكة مغزل
فلم تبن حصنا خوف حصنهم العدا * ولا أطما الا مشيدا بجندل
فهدت بعضب شيب بعد صقاله * بأمراس كتان الى صم جندل
وجيش باقصى الارض ألقى جرانه * وأردف اعجازا وناء بكلكل
يدك الصفا دكا ولو مر بعضه * وأيسره على الستار ويذبل
دعا النصر والتاييد راياته اسحى * على أثر ينا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل طاو كانه * منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الاعداء فى عذباته * عصارة حناء بشيب مرجل
صحاب برواهام العداة وكم قروا * صفيف شواء او قدير معجل
وكم أكثروا اماطاب من لحم جفرة * وشحم كهداب الدمقس المفتل
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم * مداك عروس او صلاية حنظل
لامداح خير الخلق قلبى قد صبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسل
فدع من لايام صلحن له صبا * ولا سيما يوم بدارة جلجل
واصبح عن أم الحويرث ماسلا * وجارتها أم الرباب بمأسل

ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المأمون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم انه اسحق ثم قال اباذن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة افياذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى به فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك وامر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مضر وكان من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على مالم يكن كثير من الناس فى عصره مثله* وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله ونظم فى ذلك شعرا فقال لسان الفتى كاتبه * ووجه الفتى حاجبه وندمانه كله * وكل له واجبه ٢٨٠ وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستطرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وانا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتى وتشقى بما فيه سعادتى وأنا شريك وأنت معين وأنا نائم وأنت قرين

وكن فى مديح المصطفى كمديح *	يقلب كفيه بخيط موصل
وأمل به الاخرى ودنياك دع فقد *	تمتعت من لهو بها غير مجمل
وكن كنبيث للفؤاد منابث *	نصيح على تعذاله غير موتل
ينادى الهى ان ذنبى قد عدا *	على بانواع الهموم ليبتلى
فكن لى مجيرا من شياطين شهوة *	على حراص لو يسرون مقتلى
وينشد دنياه اذا ما تدللت *	افاطم مهلا بعض هذا التدلل
فان تصلى حبلى بجبر وصلته *	وان كنت قد ازمعت صرمى فأجملى
وأحسن بقطع الحبل منك وبته *	فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
ايا سامعى مدح الرسول تنشقوا *	نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وروضة جد للنبى محمد *	غذاها نمير الماء غير محلل
ويا من أبى الاصغاء ما أنت مهتد *	وما ان ارى عنك الغواية تنجلى
فلو مطفلا انشدتها لفظها ارعوت *	فالهيتها عن ذى تمائم محول
ولو سمعته عصم طود أمالها *	فانزل منها العصم من كل منزل انتهت

وقد عرفت بحازم هذا فى أزهار الرياض وذكرت جملة من نظمه ومن بارع ما وقع له قوله

أدر المدامة فالنسيم مؤرج *	والروض مرقوم البرود مدبج
والارض قد لبست برود جمالها *	فكانما هى كاعب تتبرج
والنهر مما ارتاح معطفه الى *	لقيا النسيم عبابه متموج

وانما سميت نديما للندم على مفارقتى* وللعتابى أخبار حسان وتصنيفات ملاح فى ذكرها خروج عما اليه قصدنا يسمى ونحوه يممنا وانما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها (وحكى) الجوهرى عن العتبى عن عباش الزبدى قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن ياذن له فى الدخول عليه والاستماع منه فاذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتنى فاخذت منى ما كانت الدنيا أعطتنى فلم تبق لى ضيعة الا خربت ولا نهر الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلى دين كثير ولى عيال أطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عنى المكاسب وبى حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو فى الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر منى قط الا فى موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم* قال أبو العتاهية وجه الى المأمون يوما فصرت اليه فالفيته مطرقا متفكرا مغموما

فاجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسماعيل شان النفس المال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تانس بالالف
قلت أجل يا أمير المؤمنين ولى من هذا بيت شعر قال وما هو قلت

لا تصلح النفس اذ كانت مطرفة * الا التنقل من حال الى حال

قال أحسنت زدنى فقلت حسنت زدنى فقلت لا أقدر على ذلك وأنسته بقية يومه وأمر لى بمال فانصرفت

(ويحكى) أن المامون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا فى الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فاتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمر الرومى وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهرى هؤلاء من خواص امير المؤمنين فاجبهم عما يسالون فقال المامون الى أين خرجت فى هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرنى القمر وسمعت تكبيرا فلم أشك انه أذان فقال له المامون اجلس فجلس فقال له المامون قد طبخ كل واحد منا قدرا وهو ذا يقدم اليك من كل واحد منا قدر فاخبر عن فضائلها وما ترى من طبيخها فقال هاتوا فقدمت فى طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل واحدة ممن طبخها علامة فبدأ

فذاق قدرا طبخها المأمون فقال زه وأ كل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكانها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكانها والاولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر عمر الرومى فقال وهذه قدر طباخ ابن طباخ جاد ما أحكمه ثم ذاق قدر يحيى ابن أكثم فاعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرا فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى وطابوا معه فلما برق الفجر قال له المامون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج فى مثل هذا الوقت مرة أخرى فقال لا أعدمكم الله الطبيخ ولا أعدمنى الخروج فسالوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل فى خدمة المامون وخدمة الجميع وصار فى جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمامون قال قال لى المامون ما أعيانى الاجواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذى الرياستين أعزيها عنه فقلت لا تاسى عليه ولا تحزنى لفقده فان الله قد أخلف عليك منى ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عنى منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبنى ولدا مثلك وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات باز بها أمره ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهى بيضاء وجعلت أعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو أتيتنى بشئ واحد من علاماته أو آية من آياته كنت

يمسى الاصيل بعسجدى شعاعه * ابدا يوشى صفحه ويديج
وتروم ايدى الريح تسلب ما اكتسى * فتزيده حسنا بما هى تنسج
فارتح اشرب كؤس راح نورها * بل نارها فى مائها تتوهج
واسكر بنشوة لحظ من احببته * أو كأس خمر من لماه تمزج
واسمع الى نغمات عود تصطبى * قلب الخلى الى الهوى وتهيج
بم و زير يسعدان مثانيا * ومثالثا طبقاتها تتدرج
من لم يهيج قلبه هذا فما * للقلب منه محرك ومهيج
فاجب فقد نادى بالسن حاله * للانس دهر للهموم مفرج
طربت جمادات وأفصح اعجم * فرحا وأصبح من سرور يهزج
أفيفضل الحى الجماد مسرة * والحى للسراء منه احوج
ما العيش الا ما نعمت به وما * عاطاك فيه الكاس ظبى ادعج
ممن ير وقلك منه ردف مردف * عبل وخصر ذو اختصار مدمج
فاذا نظرت لطرة ولغرة * ولصفحة منه بدت تتأجج
ايقنت ان ثلاثهن وما غدا * من تحتها ينآد أو يتموّج
ليل على صبح على بدر على * غصن تحمله كثيب رجرج
كاس ومحبوب يظل بلحظه * قلب الخلى الى الهوى يستدرج
ياصاح ما قلبى بصاح عن هوى * شيآن بينهما المنى تستنتج

أوّل من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى أعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا أعلم بكثرة كلامكم فقالوا امافينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فامرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكوا من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أوّل سنة وليناف انا بعنا أثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا أمان لك بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى ابن أكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا أخفافكم ثم احضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما جالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان أشير ان لا يؤذن له فبدأ المامون فقال ائذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال أتأذن فى الدنوّ منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال أتاذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ورضا منك ام بالمغالبة لهم بالقوّة عليهم بسلطانك قال لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أجمع المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولأخ معى ولاية هذا الامر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البعيد لى ولأخ معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى

وبمهجتى الظبى الذى فى اضلعى * قد حل وهو يشبها ويؤجج
ناديت حادى عيسه يوم النوى * والعيس تحدى والمطايا تحدج
قف ايها الحادى اودع مهجة * قد حازها دون الجوانح هودج
لما تواقفنا وفى أحداجها * قمر منير بالهلال متوج
ناديتهم قولوا لبدركم الذى * بضيائه تسرى الركاب وتدلج
يحيا العليل بلفظة أو لحظة * تطفى غليلا فى الحشا يتاجج
قالوا نخاف يزيد قلبك لاعجا * فاجبتهم خلوا اللواعج تلعج
وبكيت واستبكيت حتى ظل من * عبراتنا بحر ببحر يمزج
وبقيت أفتح بعدهم باب المنى * ما بيننا طورا وطورا يرتج
وأقول يا نفس اصبرى فعسى النوى * بصباح قرب ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهر شجا * والدهر من ضد لضد يخرج
وترج فرجة كل هم طارق * فلكل هم فى الزمان تفرج

وتذكرت هنا جيمية ابن قلاقس وهى

عرضت لمعترض الصباح الابلج * حوراء فى طرف الظلام الادعج
فتمزقت شيم الدجى عن غرتى * شمسين فى أفق وكل له هودج
ووراء أستار الحمول لواحظ * غزلان معتدل الوشيج الاعوج
من كل مبتسم السنان اذا جرى * دمع النجيع من الكمى الاهوج

ولقد

ولقد صحبت الليل قاص برده * لعباب بحر صباحه المتموج
وكأن منتثر النجوم لآلئ * نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت ارقب من سهيل خافقا * متفردا وكأنه قلب الشجى
واستعبرت مقل السحاب فاضحكت * منها ثغور مفوف ومدبج

ولنعد الى ذكر أبى بكر بن جزى فنقول وله تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ورجز فى الفرائض واحسانه كثير وتقدم قاضيا بالجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين وسبعمائة ثم صرف عنها ثم لما توفى الاستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب رحمه الله تعالى وكان خطيب الجامع الاعظم بغرناطة ولى عوضا عنه أستاذا وخطيبا عام اثنين وثمانين وسبعمائة فبقى فى الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفى وأظن وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأما أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد أعجوبة الزمان وتوفى بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة وقيل وهو الصواب ان وفاته آخر شوال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء وهى فاس الجديدة قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وكان دفنه يوم الاربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الاعظم من المدينة البيضاء وكان مولده فى شوال من عام واحد وعشرين وسبعمائة انتهى قال الامير ابن الاحمر فى نثير الجمان أدركته ورأيته وهو من أهل بلدنا غرناطة وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الاندلس الطائرة فتياه منها الى طرابلس وقتل شهيدا بطريف

الذى عقده معى على هذا السبيل التى مضى عليها فلما صار الى علمت انى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت أطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج أحد بيته ولم يجاهد فى سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الامر حياطة للمسلمين ومجاهدا للعدو وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه وأكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولى الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فأمر المأمون على بن صالح بان ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت يا أمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ما قال لى الا خيرا ذكر أنه ناظر فى أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا باسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء بايسر الخطب فقلت الحمد لله الذى ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول (قال المسعودى) وكان يحيى قد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون فرفع الى المأمون انه أفسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لو طعنوا عليه فى أحكامه قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين فى صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم فقال المأمون وما الذى قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى وهو قوله

أربعة تفتن ألحاظهم * فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه * منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مقبوحة * من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم * ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المأمون ذلك فى الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين فأمر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم

يا ليت يحيى لم يلده أكثمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه * ألوط قاض فى العراق نعلمه
أى دواة لم يلقها قلمه * وأى شعب لم يلجه أرقمه * وضرب الدهر ضرباته

فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ورخص له فى أمور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال ذلك ابن أبى نعيم يا أمير

المؤمنين وهو القائل

أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس
قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي وعلى الـأمـة وال من آل عباس

فاطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفي ابن أبي نعيم الى السند وكان يحيى اذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب في اقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اذاعته ومجاهرته باللواط ان المأمون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ففرض أربعمائة غلام مردا اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال في ذلك راشد بن اسحق يذكر ما كان من أمر يحيى في الفرض

خليلى انظرا متعجبين * لاظرف منظر مقلته عيني * لفرض ليس يقبل فيه الا
اسيل الخد حلو المقلتين * والا كل أشقر أكثمي * قليل نبات شعر العارضين * يقدم دون موقف صاحبيه
بقدر جماله ويقبح ذين
يقودهم الى الهيجاء قاض
شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم شجاع
تجدل للجبين ولليدين
يقودهم على علم وحلم
ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ منحنيا عليه
بمصرعه يجو زالركبتين
يغادرهم الى الاذقان صرعى
وكلهم جريح الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضا

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا
فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
وقاضى قضاة المسلمين يلوط

وكان يحيى بن اكثم بن عمر بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المامون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه وأصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان احمد بن أبي داود بن علي مناظرات كثيرة وفي خلافة المامون كانت وفاة ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم امير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله وما ذكرنا فشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه

بعد ان ابلى بلاء حسنا وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالاندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف وله فيه أمداح عجيبة ولم يزل كاتبا في الحضرة الاحمدية النصرية الى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج انتهى ويعني ابن الاحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلما مبينا هكذا ألفيته في بعض المقيدات ثم قال ابن الاحمر فقوض الرحال عن الاندلس واستقر بالعدوة فكتب بالحضرة المرينية لامير المسلمين أبي عنان الى أن توفي بها رحمه الله تعالى وكان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بدرا مشرقا وسارت براعته مغربا ومشرقا وسما بشعره فوق الفرقدين كما أربى بنثره على الشعرى والبطين له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث عارف بالماضي من الشعر والحديث ان نظم انسالك أبا ذؤيب برقته ونصيبا بمنصبه ونخوته وان كتب أربى على ابن مقلة بخطه وان أنشأ رسالة انسالك العماد بحسن مساقها وضبطه وهو رب هذا الشان * وفارس هذا الميدان ومع تفننه في الشعر فهو في العلوم قد نبغ وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ بل سلموا التقدم فيه اليه والقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ودخلوا تحت راية الادب التي حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل عم أبينا ابن جدنا الرئيس الامير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارعة وحذف منها الراء المهملة

قسما بوضاح السنى الوهاج * من تحت مسدول الذوائب داج

مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب (وحدثنى فقير بن مسكين عن المزنى بهذا وكان فقير يحدث عن المزنى وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزنى دخلت على الشافعى غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا أدرى الى الجنة تصير روحى فاهنيها ام الى النار فاعزيها وانشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وفى هذه السنة التى مات فيها الشافعى وهى سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسى وهو ابن احدى وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبى (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبى مرسل قال أما الساعة فانا موثق قال ويلك من غرك قال أبهذا تخاطب الانبياء اما والله لولا انى موثق لأمرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لا يجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها فضحك المامون وقال من قيدك قال هذا الذى بين يديك قال فنحن نطلقك وتأمر جبريل أن يدمدمها فان أطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فامر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال يا جبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بينى وبينكم الان خير غيرى يملك الاموال وأنا لاشئ معى ما يذهب لكم الا السجان فامر باطلاقه والاحسان اليه (حدث) ثمامة بن أشرس قال شهدت مجلسا للمامون وقد أتى برجل ادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المامون ماسمعت باجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى كلامه قال شأنك واياه قلت يا هذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت أضرمت له النار والقى فيها فكانت عليه بردا وسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا وسلاما كما كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو ألين على من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وماهى قلت ألقى العصا فاذا هى حية تسعى تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ماهو ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت أحياء الموتى فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا قلت فلا بد من براهين قال مامعى من هذا شئ قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين فاعطونى حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام على وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم فضحك المامون وقال هذا من الانبياء التى تصلح للمنادمة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المامون أخاه المعتصم بن

و بابلج باسك خطت نونه * من فوق وسنان اللواحظ ساجى
و بحسن خد دبجت صفحاته * فغدت تحاكى مذهب الديباج
و بمبسم كالعقد نظم سلكه * ولمى حكى الصهباء دون مزاج
و بمنطق تصبو القلوب لحسنه * انسى المسامع نغمة الاهزاج
و بمائس الاعطاف تثنيه الصبا * فيميس كالخطى يوم هياج
ومنعم مثل الكثيب بقله * مستضعف يشكوا من الادماج
وبموعد للوصل انجزفاه * من بعد طول تمنع ولجاج
وباكؤس أطلعن فى جنح الدجى * شمس السلافة فى سماء زجاج
وحدائق سحب السحاب ذيوله * فيها وبات لها النسيم يناجى
وجداول سلت سيوفا عندما * جئت بجيش للصبا عجاج
و باقعوان قد تضاحك اذ بكت * عين الغمام بدمع ثجاج
وقدود أغصان يملن كأنها * تخفى حديثا بينها وتناجى
وحمائم يهتفن شجوا بالضحى * فهديلهن لذى الصبابة شاجى
ان المعالى والعوالى والندى * والبأس طوع يدى أبى الحجاج
ملك تتوج بالمهابة عندما * لم يستعز فى الدين لبس التاج
وأفاض حكم العدل فى أيامه * فالحق أبلج واضح المنهاج
هو منقذ العانى ومغنى المعتفى * ومذلل العاتى وغوث اللاجى

الرشيد من ولاية العهد وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق واشتد أمره ومعه محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن على رحمهم الله ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين عليهم السلام وزيد بن موسى ابن جعفر فغلبوا على البصرة وفى هذه السنة مات أبو طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم ابن طباطبا صاحب أبى السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه

ماضى العزيمة والسيوف كليلة * طلق المحيا والخطوب دواجى
علم الهدى والناس فى عمياء قد * ضلوا لوقع الحادث المهتاج
غيث الندى والسحب تبخل بالحيا * والمحل يبدى فاقة المحتاج
ليث الوغى والخيل ترجى بالقنا * والبيض تنهل فى دم الاوداج
يتقشع الاظلام اذ يبدو له * وجه كمثل الكوكب الوهاج
من آل قيلة من ذؤابة سعدها * أعلى بنى قحطان دون خلاج
حيث العلا ممدودة الاطناب لم * تخلق معالمها يد الانهاج
والاعوجيات السوابق تمتطى * فتظلل الآفاق سحب عجاج
والبيض والاسد العوامل تقتضى * مهج الكماة بابلغ الازعاج
مجد ليوسف جمعت أشتاته * أعيا سواه بعد طول علاج
مولاى هاك عقيلة تزهو على * أخواتها كالغادة المغناج
انشاء عبد خالص للحبه * ومن العبيد مداهن ومداجى
آوى الى اكناف نعماك التى * ليست اليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة والوغى * لشعاب كل منهما ولاج
جانبت أخت الزاى منها عامدا * فأتت من الاحسان فى أفواج
فافتح لها باب القبول وأول من * أهداكها ماينبغى من حاج

ثم قال ابن الاحمر وأنشدنى أيضا لنفسه يمدح امير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس

ملك

وتسمى بامير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها الى المأمون بخراسان والمأمون يومئذ بمرو فامنه المأمون وحمله معه الى جرجان مات محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب فى كتابنا حدائق الأذهان فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الارض وظهر فى أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن على ابن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة فاتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمى فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن الافطس وافى الموقف بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكندغوش بابى السرايا فاتى به الحسن بن سهل فقتله وصلبه على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس ابن أبى خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحة عسكره (قال المسعودى) وفى سنة مائتين بعث المأمون برجاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم الى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين الرضا لاشخاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر المأمون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المأمون

على بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فانزله المامون أحسن انزال وأمر المامون بجمع خواص الاولياء واخبرهم انه نظر فى ولد العباس وولد على رضى الله عنهم فلم يجد فى وقته أحدا أفضل ولا احق بالامر من على بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام وغير ذلك الى الخضرة وغى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا ان فى ذلك خروج الامر عنهم وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر اخو الرضا بامر المامون واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المامون ومبايعة ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك فى سنة ثلاث ومائتين وفى سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل فى حمام غيلة وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان وذلك فى دار المامون فى مسيره الى العراق وقبض على بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وصلى عليه المامون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة أشهر وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المامون زوج ابنته أم حبيبة لعلى ابن موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمد بن على بن موسى والاخرى تحت أبيه على بن موسى واضطربت بغداد فى أيام ابراهيم بن المهدى وثارت الرويضية وسموا أنفسهم المطوعية وهم رؤساء العامة والتوابع وقرب المامون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثانى من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين فخلعه أهل بغداد وكان دخول المامون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابك الخرمى ببلاد البدين فى أصحاب جاويذان ابن شهرك وقد قدمنا ذكر بلاد بابك وهى البدين من اذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الجبل الفتح والباب والابواب ونهر الرأس وجريانه نحو بلاد البدين

ملك المغرب

ان قلبى لعهدة الصبر ناكث *	عن غزال فى عقدة السحر نافث
أضرم النار فى فؤادى وولى *	قائلا لاتخف فانى عابث
ورمانى من مقلتيه بسهم *	ثم قال اصطبر لثان وثالث
كم عذول أتى يناظر فيه *	كان تعذاله على الحب باعث
ويمين آليتها بالتسلى *	فقضى حسنه بانى حانث
جبر الله صدع قلب عميد *	صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو الى البروق ويروى *	عن نسيم الصبا ضعيف الاحادث
سلبته الاشجان الا بقايا *	من أمانى حبالهن رثائث
وبكاء على عهود مواض *	ملأت صدره هموما حدائث
است وحدى أشكو بليلة وجدى *	ان داء الغرام ليس بحادث
يامضيع العهود والله يعفو *	عنك انى ارتضيت خطة ناكث
غرنى منك والجمال غرور *	وظبا اللحظ فى القلوب عوابث
مقل يقتسمن أعشار قلبى *	بالرضا منى اقتسام الموارث
كيف غيرت بانتزاحك حالى *	وتغيرت لى ولست بحارث
فرط حبى وفرط بخلك آلا *	أن عينيك بالفتو رنوافث
وندى فارس وحسبك ردا *	قول من قال سد باب البواعث

وبث المامون عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدى وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زى امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المامون فقال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مدله من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فامر المامون فصيرت التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى احمد بن خالد ثم رضى عنه من

بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له   ان الذى قسم المكارم حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أهلها * وجرى وداد كل خير جامع   فبذلت أعظم مايقوم بحمله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع   وانحدر المامون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين
وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى
جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع واسماء
جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ مافيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها
فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال
لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على
المامون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والجمالين والملاحين وكل من ضمه
العسكر من تابع ومتبوع

مرتزق وغيره فلم يكن أحد من الناس يشترى شيأ فى عسكر المامون مما يطعم ولا مما
تعتلفه البهائم فلما أراد المامون ان يصعد فى دجلة الى مدينة السلام قال للحسن حوائجك يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أسألك ان تحفظ على مكانى من قلبك فانه لا يتهيا لى حفظه الا بك وأمر المامون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة فقالت فى ذلك الشعراء فاكثرت واطنبت الخطباء فى ذلك وتكلمت فيما استظرف مما قيل فى ذلك من الشعر قول محمد بن حازم الباهلى
بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من
فلما نمى هذا الشعر الى المامون قال والله ماندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المامون بعد مدة من الظفر به فقال ان هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المامون فقال ما أشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع ماتخاف لما ترجو وأنشد
رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فبؤت منها وما كافيتها بيد * هما الحياتان من موت ومن عدم
البر وطامنك العذر عندك لى * فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم
ولابراهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره فى حال اختفائه فى سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها قد أتينا على جميعها فيما سمينا من كتبنا التى كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدى كتبا منها كتابه فى أخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدى

ملك الباس والندى فهو بالسيف وبالسيب عائث أو غائث
محرز المجد والثناء فهذا * سائر فى الورى وذلك لابث
أوطأ الشهب رجله وترقى * صاعدا فى سموه غير ماكث
فدرار تسرى وما لحقته * ونجوم خلف القصور لوابث
وله المقربات لا بل هى العقبان من فوقها الليوث الدلاهث
مطلعات من كل نعل هلالا * فلهذا تجلو دجى كل حادث
ان ترافعن فالجبال الرواسى * أو تسابقن فالغيوث الحثائث
والمواضى كأنها قد أعيرت * حدة الذهن منه عند المباحث
هى نار محرقات الاعادى * وهى ماء مطهرات الخبائث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا * ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا * كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مر سحيرا * بالازاهير فى البطاح الدمائث
فى سبيل الاله يقصى ويدنى * ويوالى فى ذاته ويناكث
شرف الملك منه سام وحام * ففدته سام وحام ويافث
هاكها من بنات فكرى بكرا * ليس يسمو لها من الناس طامث
ذات لفظ لا يعتريه اختلال * ومعان لا تنتحيها المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا * كنت دون الورى لهن الوارث

من أراد انتقادها فهي هذي * عرضة البحث فليكن جد باحث

ورأيت بخط ابن الصباغ العقيلي على هامش قوله وندى فارس وحسبك رداً البيت ما نصه ما أبدع تخلصه للمدح وأطبعه فانه أشار الى قول الشاعر راداً عليه بالتبكيت ومعقباً له بالتعنيت

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق انتهى

وقيل ان السلطان أبا عنان اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد على ما جرت به عادة الملوك فقال ابن جزي المذكور في وصف الحال

لله يوم بدار الملك مر به * من العجائب ما لم يجر في خلدي
لاح الخليفة في برج العلا قمراً * يشاهد الحرب بين الثور والاسد

ومن بادع نظمه رحمه الله تعالى قوله

أبا حسن ان شتت الدهر شملنا * فليس لودي في الفؤاد شتات
وان حلت عن عهد الاخاء فلم يزل * لقلبي على حفظ العهود ثبات
وهبني سرت مني اليك اساءة * ألم تتقدم قبلها حسنات

وقوله وهو بحال مرض

ان يأخذ السقم من جسمي مآخذه * وأصبح القوم من أمري على خطر
فان قلبي بحمد الله مرتبط * بالصبر والشكر والتسليم للقدر

في أنواع الأخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهو أن المأمون لما دخل بغداد على ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلباً لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جعلاً خطيراً من المال قال ابراهيم فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لا أدري أين أتوجه فصرت الى زقاق ولا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركني وأغلق الباب في وجهي ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة في وانه خرج ليدل علي فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لي جعلني الله فداك اني حجام واني أعلم أنك تتقذر مما أتولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدي وكانت بي حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسي قدراً ما أذكر أني أكلت أطيب منها ثم قال لي بعد ذلك هل لك في النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله في الطعام وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيأ منه بيده ثم قال لي بعد ذلك أتأذن لي جعلني الله فداك أن أقعد ناحية منك فآتي بنبيذ فأشرب منه سروراً بك قال فقلت افعل ذلك فلما شرب ثلاثاً دخل خزانة له وأخرج منها عوداً وقال يا سيدي ليس من قدري أن أسألك أن تغني ولكن قد وجبت عليك حرمتي فان رأيت أن تشرف عبدك بان تغنيه قال فقلت وكيف توهمت علي أني أحسن الغناء فقال متعجباً يا سبحان الله أنت أشهر من أن لا أعرفك أنت ابراهيم بن المهدي الذي قد جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم قال فلما قال لي ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال يا سيدي أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك قلت هات فاقترح

ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى قلت هبك عرفتني هذه الأصوات من أين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحق الموصلي وكثيراً ما كنت أسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ولم أتوهم أني أسمع ذلك منك في منزلي فغنيته وأنست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معي خريطة فيها دنانير فقلت له خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على أني أعرض عليك جملة عندي وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجللتك عن ذلك فامتنع من قبول شيء ومضى حتى دلني على الموضع الذي احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفي سنة ست ومائتين وذلك في خلافة المأمون مات يزيد بن هرون بن زاذان الواسطي وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بني سليم وكان أبوه يخدم في مطبخ زياد ابن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا أحد أئمة أهل الحديث في علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات جرير بن خزيمة بن حازم وشبيبة بن سوار المدني والحجاج بن محمد الأعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ المدني مولى

لبني مخزوم و وهب بن جرير ومؤمل بن اسمعيل و روح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدي وكان يضمر عليه نسبه وله يقول القائل اذا نسبت عديا في بني ثعل * فقدم الدال قبل العين في النسب وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبني هاشم وهو صاحب السير والمغازي وقد ضعف في الحديث وذكر ابن أبي الازهر قال حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشئ تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أساله التوسعة علي لما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قراري اذ كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلي مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أساله المواساة فوجه بكيسي بخاتمي قال فتواسينا الالف اثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المامون فدعاني فشرحت له الخبر فامر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي ببغداد وصلى عليه المامون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لابي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما افضت الخلافة اليه أشخص اليه من البصرة فساله المنصور عن زوجته و بناته وكان يعرفهن باسمائهن وأظهر بره وأكرامه ووصله باربعة آلاف درهم وأمره أن لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك أن لا تصير الي مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الامر كما ذكرت فامر له باربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال اني لم أقدم عليك للامرين اللذين نهيتني عنهما وانما بلغني أن علة عرضت لامير المؤمنين فاتيته عائدا فقال ما أظنك أتيت الا مستوصلا فامر له باربعة آلاف درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا فماذا أقول في هذه المرة ثم أجمع فابوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فاتى المنصور فقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن

فالمرء في قبضة الاقدار مصرفه * للبرء والسقم أو للنفع والضرر

(وحكي) أن الفقيه الرحال أبا اسحق ابراهيم بن الحاج النميري بقي في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما خرج في يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله بن جزي المذكور لنفسه

ماسرار البدور الا ثلاث * فلماذا أرى سرارك شهرا
اتعجلته سرار العام * ثم تبقى في سائر العام بدرا

(وحكي) انه كتب للرئيس صاحب القلم الاعلى والعلامة بفاس أبي القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين وقصد التصحيف بقوله احسن زان بيتك * نجيب تسربه بر مرضى * تصحيفه * أحب شراب سكنجبين شربه برء مرضى قال فجاوبني ابن رضوان بقوله ان برك نفيس * تصحيفه * مقلوبا يشفيك ربنا ومن نظم ابن جزي المذكور قوله

رعى الله عهدا بالمرية ما أرى * به أبدا ما عشت في الناس بالناسي
وكيف ترى بالله صحبة معشر * مجاهد بعض منهم وابن عباس

وقوله في الزاوية التي أنشاها السلطان أبو عنان

هذا محل الفضل والايثار * والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى * فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هي ملجأ للواردين ومورد * لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس * أكرم بها في المجد من آثار

لازال

النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من اسماء الله تعالى من سال الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لاتروه فانى قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك انى منذ جئتنى أسال الله به أن لا يردك الى وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائذا أوزائرا ووصله باربعة آلاف درهم وقال له قد أعيتنى فيك الحيلة فصر الى متى شئت وفى سنة تسع ومائتين ركب المامون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ابن ابراهيم الامام أخى أبى العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقى وغيره وابن عائشة هذا أول عباسى صلب فى الاسلام وتمثل المامون حين قتله بقول الشاعر اذا النار فى أحجارها مستكنة * متى مايهجها قادح تتضرم وكان رجل من ولد العباس بن على بن ابى طالب ذومال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس بن العباس العلوى بمدينة السلام وكان المعتصم يشنؤه لحال كانت بينهما فتمكن فى نفس المامون أنه شانئ لدولته ماقت لايامه فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس المامون على الجسر فقال له المامون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله ياأمير المؤمنين ولكنى ذكرت قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين فى الكلام قال تكلم قال الله الله فى الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر عنها ولم يبق على احد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ماركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة ألف درهم وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمامون وما كان من أمره فى كتابنا فى أخبار الزمان وفى سنة

لازال منصور اللواء مظفرا * ماضى العزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديمها * بهم العلى محمد بن حداد
فى عام أربعة وخمسين انقضت * من بعد سبع مئين فى الاعصار

ومن نظمه قوله موريا

وماانسى الاحبة يوم بانوا * تخوض مطيهم بحر الدموع
وقالوا اليوم منزلنا آلحنايا * فقلت نعم ولكن من ضلوعى

وقوله موريا أيضا

ورب يهـــودى أتى متطببا * لياخذ ثارات اليهود من الناس
اذا جس نبض المرء أودى بنفسه * سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقوله

من أى أشجانى التى جنت النوى * أشكو العذاب وهن فى تنويع
من وصلى الموقوف أو من هجرى الـموصول أو من نومى المقطوع
أو من حديث تولهى وتواهى * خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يرويه خدى مسندا عن أدمعى * عـــن مقلتى عن قلبى المفجوع

وأول هذه القصيدة

ذهبت حشاشة قلبى المصدوع * بين السلام ووقفة التوديع

وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة اذ قال من قصيدة مطلعها

أهمى دموعك ساعة التوديع * يامقلتى عز وجـــــة بجميع

احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمرى معمر بن المثنى وكان يرى رأى الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان فى أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمساوى الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب ابو نواس عليها فى غيبته صلى الاله على لوط وشيعته * أباعبيدة قل بالله آمينا فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللواط أبى نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل بن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ما قد منا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها ان الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر ان لا يكلم فى طريقه ولا يعلم مايراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق انما يراد قتلك فقال أبو العتاهية ولعل ماتخشاه ليس بكائن * ولعل ماترجوه سوف يكون

بقوله   يوم استقلت عيسهم وترحلوا * ذهبت حشاشة قلبى المصدوع

وقوله   بخدى وجسمى والفؤاد وأدمعى * شهود بهم دعوى الغرام تصحح

ومن عجب أن رجح الناس نقلهم * وكلهم ذو جرحة فيه تقدح

فجسمى ضعيف والفؤاد مخلط * ودمعى مطروح وخدى مجرح

وقوله   يا محيا كتب الحسن به * أحرفاً أبدع فيها وبرع

ميم ثغر ثم نون حاجب * ثم عين هى تتميم البدع

أنا لا أطمع فى وصلك لى * وعلى وجهك مكتوب منع

ثم قال ابن الاحمر ومن انشائه البارع مورياً بالكتب ورفعها الامير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بابلال ولده ولى عهده الامير أبى زيان محمد من مرض

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من * خصال مجدك وهو الزاهر الزاهى

وما الفصيح بكلمات موعبها * كاف فيأتى بأنباء وانباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ولزاهر كماله التاج المحلى تجلى من حلاه نزهة الناظر ويسير بعلاه المثل السائر ويتسق من سناه العقد المنظم ويتضح بهداه القصد الامم ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ومعونة السعد باشارته منوطه وهدايته متكفلة باحياء علوم الدين وايضاح منهاج العابدين وارشاده يتولى تنبيه الغافلين ويأتى من شفاء الصدور بالنور المبين وميقات الخدمة يسابه مطمح الانفس وملخص الجود من كفه بغية المتلمس قد حكم أدب الدين والدنيا بانك سراج الملوك لما أتت عوارفك

واعل ماهوّنت ليس بهيّن * ولعل ماشدّدت سوف يهون   وحج فى بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوماً عن راحلته ومشى ساعة ثم أعيا فقال هل لك يا أبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا أبا العتاهية حركنا فقال

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا * وما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

ولأبى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملاً مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لى ولم يدر مابى * أتحب الغداة عتبة حقا فتنفست ثم قلت نعم حبـ

ـاً جرى فى العروق عرقاً فعرقا ليتنى مت فاسترحت فانى * أبدا ما حييت منها ملقى

لا أرانى أبقى ومن يلق مالا * قيت من لوعة الهوى ليس يبقى فاحتسب صحبتى وقل رحمة الله

على صاحب لنا مات عشقا أنا عبد لها وان كنت لا أر * زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضاً قوله يا عتب مالى ولك * ياليتنى لم أرك ملكتنى فانتهكى * ماشئت ان تنتهكى

أبيت ليلى ساهرا
أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر الغضى
ملتحفا بالحسك

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله

اخلاى بى شجو وليس بكم شجو
وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه
على جره فى صدر صاحبه حلو
أذاب الهوى جسمى وعظمى وقوتى
فلم يبق الا الروح والبدن النضو

ومامن حبيب نال ممن يحبه * هوى صادقا الا يداخله زهو * وانى لنائى الطرف من غير خلتى * بالمشرع
ومالى سواها من حديث ولا لهو * لها دون اخوانى وأهل مودتى * من الود منى فضلة ولها العفو

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله   يالهف نفسى على الذى اجتنبت * باى جرم ترونها عتبت

تبارك الله بئس ما صنعت * بى فى هواها وبئس ما ارتكبت أتيتها زائرا فانحرفت

على اذ جئتها وما احتسبت كم من ديون والله يعلمها * لنا عليها لم تقض اذ وجبت

ما وهبت لى من فضلها عدة * الا استردت جميع ما وهبت فاى خير وأى منفعة

لذات دل تريق ما حلبت الله بينى وبين ظالمتى * طلبت منها وصالها فابت

ماذا عليها لو انها بعثت * منها رسولا الى أو كتبت رغبت فى وصلها وقد زهدت

عتبة فى وصلنا وما رغبت وكان أبو العتاهية قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب ومن مليح شعره

قوله من لم يذق لصبابة طعما * فلقد أحطت بطعمها علما انى منحت مودتى سكنا * فرأيته قد عدها جرما ياعتب ما ابقيت من جسدى * لحما ولا ابقيت لى عظما ياعتب ما انا من صنيعك بى * اعمى ولكن الهوى أعمى ان الذى لم يدر ما كلفى * ليرى على وجهى به وسما وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله

هم القاضى بيت يطرب * قال القاضى لما عوتب * مافى الدنيا الا مذنب * هذا عذر القاضى واقلب

وزنه فعلن اربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودى) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد فى العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

من لعين لاتنام * دمعها سح سجام والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

يالبكر لاتنوا * ليس هذا حين ونى وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا فى هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره فى كتابنا فى أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى الكاتب الانبارى عن الخليل بن احمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل كان ذلك له لازما ولما أورده كاسرا وللناشى اشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها اهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى انواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب * عنك يشفى غليل نائى المزار ما أجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار ان تكن اوحشت فبعد انيس * أوخلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا * ووصلنا الاسحار بالاسحار واغتبقنا على صبوح ولهو
وحنين النايات والاوتار بين وردونرجس وخزامى * وبنفسج وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو * ر والشهى الجنى والجلنار فرمتنا الايام أحسن ما كنا * على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع * ونأينا بعد اقتراب الديار وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين نادى منادى المامون برئت الذمة من احد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فى أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس فى السبب الذى من أجله أمر بالنداء فى أمر معاوية فقيل فى ذلك أقاويل منها ان

بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ووضحت معالم مجدك وضوح انوار الفجر وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر فلك فى جمهرة الشرف النسب الوسيط ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير وانت حجة العلماء الذى تقصر عن تقصى مآثره فطن الاذكياء ان ابهم التفسير ففى يديك ملاك التاويل اواعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل وان تشعب التاريخ فلديك استيعابه اوتطاول الادب ففى ايجاز بيانك اقتضابه وان ذكر الكلام ففى انتقائك من برهانه المحصول اوالمنطق ففى موجز مالك لبابه المنخول وليس اساس البلاغة الا ما تأتى به من فصل المقال ولا جامع الخير الا ما خزنته من تهذيب الكمال ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب وحبك قوت القلوب ولا غرو أن كنت من العلياء درتها المكنونه فاسلافك الكرام هم جواهرها الثمينه بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان وبجود جودهم تسنى رى الظمآن وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الايمان وأنت المنتقى من سمط جمانهم والواسطة فى قلائد عقيانهم عنك تؤثر سيرة الاكتفاء وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الابناء فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها وأنس مجالسها وقطب سرورها ومطالع نورها وولى عهدك درتهم الخطيره وذخيرتهم الاثيره لازال كامل سعادته بطول مقامك محكما وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك ورضاك معلما وقد وجبت التهنئة بما كان فى حيلة برئه من التيسير وما تهيأ فى استقامة قانون صحته من نجح التدبير ولم يكن الا أن بعدت به عنك المسالك واءوز نورطرفه تقريب

بعض سماره حدث محدث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفى وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار فى كتابه فى الاخبار المعروفة بالموفقيات التى صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائنى يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع ابى المغيرة الى معاوية فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشئ حدث فينا أو فى عملنا فقلت له مالى أراك مغتما منذ الليلة قال يا بنى انى جئت من عند أخبث الناس قلت له وماذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ماعندهم اليوم شئ تخافه فقال لى هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل وفعل مافعل فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن احد فى مثل نسبه فعمل ماعمل وعمل به فوالله ماعدا ان هلك فهلك ذكره وذكر مافعل وان اخا هاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فاى عمل يبقى مع هذا لا أم لك والله الا دفنا دفنا وان المامون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفى خلافة المامون كانت وفاة أبى عاصم النبيل وهو الضحاك ابن مخلد بن سنان الشيبانى وذلك فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وفيها مات محمد ابن يوسف الفارابى وفى سنة خمس عشرة ومائتين وذلك فى خلافة المامون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبى بكر ويكنى بابى الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان فى الجانب الشرقى وفيها مات محمد ابن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى وفيها مات اسحق بن الطباع باذنة من الثغر الشامى ومعاوية ابن عمرو ويكنى بابى عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بابى عامر من بنى عامر بن صعصعة وفى سنة سبع عشرة ومائتين دخل المامون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المامون أرض الروم وقد كان شرع فى بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلى طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذل النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودى) وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقى بدمشق قال لما توجه المامون غازيا ونزل البدندون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين ان يرد عليك نفقتك التى أنفقتها فى طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن

المدارك وتذكر ما عهده من الايناس الموطا جنابه عند أفضل مالك فورى من شوقه سقط الزند والتهب فى جوانحه قبس الوجد فامددته من دعائك الصالح بحلية الاولياء فظفر لما شارف مشارق الانوار من حضرتك بالشفاء وقد حاز كمال الاجر بذلك العارض الوجيز وكان له كتشبيب الابريز وها هو قادم بالطالع السعيد آيب بالمقصد الاسنى من الفتح والتمهيد يطلع بين يديك طلوع الشهاب ويبسم عن مفصل الثناء فى الهناء بذلك زهر الآداب فأعد له تحفة القادم من احسانك الكامل واخصصه بالتكملة من ايناسك الشامل فهو الكوكب الدرى المستمد من أنوارك السنيه وفى تهذيب شمائله ايضاح للخلق الكريمة الفارسيه لازالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الاخبار وتتعطر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الازهار وتتلى من محامدك الآيات البينات وتتوالى عليك الالطاف الالهيات عن الله سبحانه وفضله والسلام الكريم يعتمد المقام العلى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وللمذكور عدة مقطعات يورى فيها باسماء الكتب فمنها قوله

ظبى هو الكامل فى حسنه * وثغره أبهى من العقد
جماله المدهش لكنما * أخلاقه تحكى صبا نجد

وقوله أيضا

لك الله من خل حبانى برقعة * حبتنى من آياتها بالنوادر
رسالة رمز فى الجمال نهاية * ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى

قصتى فى الهوى المدونة الكبرى وأخبار عشقى المبسوطه

جحى

غزاتك فقام المامون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على نفقتي فاني سمعت الله تعالى يقول في كتابه حاكيا عن بلقيس واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل أسير من المسلمين في بلاد الروم فما في يدك الا أحد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار الى ما اراد واما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره وأما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو أني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة في حال اسرها فقالت وامحمداه وامحمداه عد الى صاحبك فليس بيني وبينه الا السيف يا غلام اضرب الطبل فرحل فلم ينثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب فاقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فاعجبه برد مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فامر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته

وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة برده فبينما هو كذلك اذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فجعل لمن يخرجها سيفا فبدر بعض الفراشين فاخذها وصعد فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه المامون اضطربت وافلتت من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المامون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ثم انحدر الفراش ثانية

حجتي في الغرام واضحة اذ * لم تزل مهجتي بوجد منوطه

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الارجاني

لما تالق بارق من ثغره * جادت دموعي بالسحاب الممطر

فكأن عقد الدوح قلائد العقيان منه على صحاح الجوهري

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

وظبي لاوضاع الجمال مدرس * عليم باسرار المحاسن ماهر

أرى جيده نص المحلى وقررت * ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة

ومعطر الانفاس يبسم دائما * عن در ثغر زانه ترتيب

من لم يشاهد منه عقد جواهر * لم يدر ما التنقيح والتهذيب

وقوله أيضا

سفهني عاذلي عليه * وقال لي وده عليل

فقلت معتل او صحيح * يودعه عينه الخليل

وقوله أيضا

حاز الجمال بصورة قمرية * تجلو عليك مشارق الانوار

وحوى الكمال بصورة عمرية * تتلو عليك مناقب الابرار

وقول الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي

فاخذها ووضعها بين يدي المامون في منديل تضطرب فقال المامون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر يتحرك من مكانه فغطي باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعفة ويصيح البرد البرد ثم حول الى المغرب ودثر وأوقد النيران حوله وهو يصيح البرد البرد ثم أتي بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ما هو فيه عن تناول شيء منها ولما اشتد به الامر سال المعتصم بختيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المامون وهو في سكرات الموت وما الذي يدل عليه علم الطب من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فاخذ احدى يديه وبختيشوع الاخرى وأخذا المجسة من كلتا يديه فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء والانحلال والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت أو كلعاب بعض الافاعي فاخبرا المعتصم بذلك فسالهما عن ذلك فانكرا معرفته وانهما لم يجداه في شيء من الكتب وأنه دال على انحلال الجسد وأفاق المامون من غشيته وفتح عينيه من رقدته فامر باحضار أناس من الروم فسالهم عن اسم الموضع والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم القشيرة فقيل له تفسيره مد رجليك فلما سمعها اضطرب من

هذا الفال وتطير به وقال سلوهم ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المامون انه يموت بالموضع المعروف بالرقة وكان المامون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم علم انه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مد رجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجونى أشرف على عسكرى وانظر الى رجالى وأتبين ملكى وذلك فى الليل فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد من النيران فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار ما لم ير مثله قط وأقبل يحاول البطش بيده بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٩٦ ثمانى عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على حسب ما قدمنا فى أول هذا الكتاب (قال المسعودى) وللمامون اخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جيلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفى المامون يقول أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ * مون شيأ وملكه المأنوس
خلفوه بعرصتى طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

وكان المامون كثيرا ما ينشد هذه الابيات

ومن لا يزل غرضا للمنو * ن يتركنه ذات يوم عميدا
فان هن اخطانه مرة * فيوشك مخطئها ان يعودا
فبينا تحيد وتخطئنه * قصدن فاعجلنه أن يحيدا

من اغتدى موطئا أكنافه * صح له التمهيد فى أحواله
وقابل استذكاره بالمنتقى * من رأيه المختار من أعماله
وأوضحت المسالك الحسنى له * تدنى تقصيا قصى آماله
وسار من مشارق الانوار فى * ادنى المدارك أوالى اكماله

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة عارضها وزاد ذكر القبس والمعلم

قل للموطا للورى اكنافه * بشراه بالتمهيد فى الاحوال
واذا اكتفى بالمنتقى استذكاره * وفى له المختار فى الاعمال
ومسالك الحسنى تؤديه الى * أقصى التقصى من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رشده * من معلم التفصيل والاجمال

(رجع الى ابن جزى) ومن نظمه

يا دوحة الانس من بطحاء واسجة * هل من سبيل الى أيامك الاول
اذ تجتلى أوجه الايناس مسفرة * ونجتنى ثمر اللذات والغزل

ومن نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه الى بلاد المغرب وورى بكتابى تحفة القادم وزاد المسافر فقال

وانى لمن قوم يهون عليهم * ورود المنايا فى سبيل المكارم
يطيرون مهما ازور للدهر جانب * باجنحة من ماضيات العزائم

وما (ذكر خلافة المعتصم)

وبويع المعتصم فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المامون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هرون ويكنى بابى اسحق وكان بينه وبين العباس ابن المامون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وأمه اساحية اسمها مارية بنت شبيب وقيل انه بويع سنة تسع عشرة وتوفى بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة اشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وقبره بالجوسق على ما ذكرنا *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)* واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن ابى دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك فى أيام المعتصم والواثق الى ان ولى المتوكل وكان فى نفسه عليه شئ فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا فى الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا

وما كل نفس تحمل الذل انني * رأيت احتمال الذل شان البهائم
اذا أنا لم أظفر بزاد مسافر * لديكم فعند الناس تحفة قادم

وزاد المسافر لصفوان والتحفة لابن الابار ومن نظمه قوله

نصب الحبائل للورى بالحسن اذ * رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عني العواذل غيلة * فهو الممال وقلبي المكسور

وقوله أيضا

ثلاث الذوائب ذبت من شوقي لها * واللحظ يحميها بأي سلاح
يا قلب فانج وما اخالك ناجيا * من فتنة الجعدي والسفاح

وقوله أيضا

وعاشق صلى ومحرابه * وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت لهم * تعبدا يفهم معناه

وقوله رحمه الله تعالى

لا تعد ضيفك ان ذهبت لصاحب * تعتده لكن تخير وانتق
أوما ترى الاشجار مهما ركبت * ان خولفت اصنافها لم تعلق

وقوله رحمه الله تعالى

أيتها النفس قفي عندما * ألزمت فعلا كان أو قولا
فمن يكن يرضى بما ساءه * أو سره فهو له الاولى

محمودة فاولها عمران الارض التي يحيا بها العالم وعليها تزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة في قلبه فذكر أحمد بن أبي داود وكان به انسا قال فلما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لي لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيي بن ماسويه ويحك اني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الا ان في يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فأكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له أصباغ تدفع اذاها وتلطفها وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتي فصار اليوم اذا أنكرت عليه شيئا خالفني وقال آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل أصبعك في عينيه قال جعلت فداك ما أقدر أراده ولا أجترئ عليه

في خلاف فلما افرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لي ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلا وفي قلة طعمك الذي قد هد جوارحي وأنحل جسمي قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى في ذلك على ما يحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فجعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا فيه ورأى ما قد داخلني فقال يغفر الله لك يا أحمد لقد فرحت بما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك أن تزامله فتهيأ بشروط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف أتهيأ اهيئ لي رأسا غير رأسي اشترى لحية غير لحيتي أ أزيد في قامتي أنا متهيئ وفضلة قال لست تدري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد وما هي هات يا من تدري قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا وكان برسم الحجاب شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لا يبزق ولا يسعل ولا يتنخع ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة واحدا وليس له أن ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا مال جانب لا يشعر به كان في ذلك ما لا خفاء به وعلى

لايترك العبد وما شاءه * الا اذا اهمله المولى

وقوله أيضا سامحه الله تعالى

لولا ثلاث قد شغفت بحبها * ماعفت فى حوض المنية موردى

وهى الرواية للحديث وكتبه * والفقه فيه وذاك حسب المهتدى

وأما اخوهما القاضى أبو محمد عبد الله بن أبى القاسم بن جزى فهو الامام العالم العلامة المعمر رئيس العلوم اللسانية قال فى الاحاطة هذا الفاضل قريع بيت بنيه وسلف شهير وأبوة خير وأخوة بليغة وخؤلة أديب حافظ قائم على فن العربيه مشاوك فى فنون لسانيه ظرف فى الادراك جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة قعد للاقراء ببلده غرناطة معيدا ومستقلا ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة أخذ عن والده الاستاذ الشهير الشهيد أبى القاسم أشياء كثيرة وعن القاضى أبى البركات بن الحاج وقاضى الجماعة الشريف السبتى والاستاذ البيانى والاستاذ الاعرف أبى سعيد بن لب والشيخ المقرى أبى عبد الله بن بيبش وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب وقاضى الجماعة أبو عبد الله أبو بكر وأبو محمد بن سلمون والقاضى ابن شيرين والشيخ أبو حيان وقاضى الجماعة أبو عبد الله المقرى وأبو محمد الحضرمى وجماعة آخرون وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد انتهى المقصود منه وممن أخذ عنه العباس البقنى شارح البردة والقاضى أبو بكر ابن عاصم وبالاجازة الامام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم وقد عرف ابن فرحون فى الديباج المذهب بابيه الشهيد أبى القاسم وأخيه القاضى أبى بكر دونه وعرف ابن الخطيب فى

الاحاطة

ابن الجنيد ينظر اليه فلما أكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه حرها اذهب له فقل له ما نزاملك الا من أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال يا على أبعث اليك تزاملنى فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءنى بشروط حسان الشاشى وخالويه المحاكى فقال لا تبزق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يمطط فى كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيده ولا يسعل ولا يعطس وهذا لا يقوم لى ولا أقدر عليه فان رضيت ان أزاملك فان جاءنى الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت ذاك فافس واضرط والا فليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله فى قبة على بغل فسارا ساعة وتوسطا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال تحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فقال له على تعال حتى اسارك فلما دنا منه فسا وناوله كمه وقال اجد دبيب شئ فى كمى فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما ارى شيئا ولكنى لم اعلم ان فى جوف ثيابك كنيفا والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب

به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لى لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط فلم افعل ولكنى اخرأ عليك قال فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد نضجت القدر واريد اخرى فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه ويلك يا غلام الارض الساعة اموت ودخل على بن الجنيد الاسكافى يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزهاله يا على مالى لا اراك ويلك انسيت الصحبة وما حفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذى أريد أن اقوله قلته أنت ما أنت الا ابليس فضحك ثم قال لا تجئنى قال اهكم أجىء فلا اصل انت اليوم نبيل فكانك من بنى مارية وبنو مارية أناس من أهل السواد يضرب بهم اهل السواد الامثال لكبرهم فى نفوسهم فقال له المعتصم هذا سندان التركى واشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له يا سندان اذا حضر على فاعلمنى وان اعطاك رقعة فاوصلها الى وان حملك رسالة فاخبرنى بها قال نعم يا سيدى وانصرف فاقام اياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة اخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا على الك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين ان رأيت سندان التركى فاقرأه منى السلام فضحك وقال ما حاله قال حاله انك جعلت بينى وبينك انسانا رأيتك قبل ان اراه وقد اشتقت اليه فاسالك ان تبلغه منى السلام فغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندان واكد عليه فى مراعاة امره فكان لا يمنع منه وعبر المعتصم من سر من راى من الجانب الغربى وذلك فى يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من اصحابه واذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذى توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يمر فيعينه على حمله

فوقف عليه وقال مالك يا شيخ قال فديتك حماري وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت انظر انسانا يعينني على حمله فذهب المعتصم ليخرج
الحمار من الطين فقال جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي اشمه من اجل حماري هذا قال لا عليك فنزل واحتمل
الحمار بيد واحدة واخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويتعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه في وسطه
واهوى الى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ
السوادي رضي الله عنك وقال بالنبطية اسعل فرمي باجوافنا وتفسير ذلك فديتك يا شاب واقبلت الخيول فقال لبعض خاصته
أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوزه أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفي سنة تسع عشرة ومائتين
كانت وفاة أبي نعيم الفضل بن دكين مولى طلحة بن عبيد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسي وعبد الله بن رجاء العراقي وفيها
ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفي هذه السنة وهي سنة تسع عشرة ومائتين
قبض محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وذلك لخمس خلون من ذي الحجة ودفن
ببغداد في الجانب الغربي بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس
وعشرين سنة وقبض أبوه
علي بن موسى الرضا ومحمد
ابن سبع سنين وثمانية
أشهر وقيل غير ذلك
وقيل ان أم الفضل بنت
المأمون لما قدمت معه من
المدينة الى المعتصم سمته
وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا
لان أهل الامامة اختلفوا
في مقدار سنه عند وفاة
ابيه وقد اتينا على ما قيل
في ذلك في رسالة البيان
في اسماء الائمة وما قالت
في ذلك الشيعة من
القطعية وفي هذه السنة
وهي سنة تسع عشرة ومائتين
اخاف المعتصم محمد بن القاسم
ابن علي بن عمر بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب
فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هناك حروب وكوائن
وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه في ازج اتخذه في بستان بسر من
رأى وقد تنوزع في محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك
البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه
فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وانه حي يرزق وانه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وانه مهدي هذه
الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول
رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية في موسى بن جعفر وهم الممطورة وبهذا تعرف هذه

الاحاطة بابيه وأخويه أبي بكر وأبي عبد الله وفيما ذكرنا من أمرهم كفاية ومما نسبه
الوادي آشي لابي محمد عبد الله بن جزي قوله

يا من أتاني بعده بعدما * عاملته بالبر واللطف
اني تاملت وقد سرني * بجملة من سورة الكهف

وله أيضا

لقد قطعت قلبي يا خليلي * بهجر طال منك على العليل
ولكن ما عجيب منك هذا * اذا التقطيع من شان الخليل

(رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى (ومنهم القاضي الاديب جملة الظرف أبو بكر
ابن شيرين) وقد استوفى ترجمته في الاحاطة وذكره أيضا في ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم
بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته وممن رثاه شيخنا أبو بكر بن شيرين رحمه
الله تعالى بقوله

سقى الله اشلاء كرمن على البلا * وما غض من مقدارها حادث البلا
ومما شجاني أن اهين مكانها * وأهمل قدرا ما عهدناه مهملا
الا اصنع بها يا دهر ما أنت صانع * فما كنت الا عبدها المتذللا
سفكت دما كان الرقوء نواله * لقد جئتها شنعاء فاضحة الملا
بكفي سبنت أزرق العين مطرق * عدا فغدا في غيه متوغلا
انعم قتيل القوم في يوم عيده * قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمشكل * فؤادي فما ينفك ما عشت مشكلا

الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم فى المقالات فى أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية
وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح فى أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره فى كتابنا
المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جميع الأتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف
فالبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر
ومن حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستنفذ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه
وكانت الاتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول فى الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل
بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل فى فضاء
من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع
والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هنالك قرية يسكنها خلق من
الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هنالك قصرا وبنى الناس

وانتقلوا عن مدينة
السلام وخلت من السكان
الا اليسير وكان فيما قاله
بعض العيارين فى ذلك
معير المعتصم بانتقاله عنهم
أيا ساكن القاطول بين
الجرامقه
تركت ببغداد الكباش
البطارقه
ونالت من المعتصم شدة
عظيمة لبرد الموضع وصلابة
أرضه وتاذوا البالى ففى ذلك
يقول بعض من كان فى
الجيش
قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا
فنحن نامل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأى بينهم
والله فى كل يوم محدث شانا

ولما تاذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هنالك للنصارى دير عادى فسال بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا فقال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها فى الكتب السالفة
والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أى بلاد هى والام تضاف قال من بلاد طيرهان واليها تضاف فنظر
المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمرأها واستطاب هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد
فى كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتاثير الهواء والتربة فلما استطاب
الموضع دعا باهل الدير فاشترى منهم أرضهم باربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فاسس بنيانه وهو الموضع
المعروف بالوزيرية بسر من رأى واليها يضاف التين الوزيرى وهو أعذب الأتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين
الشام ولا تين أهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر
البقاع أنواع الغروس والاشجار فجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفراغنة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان

فقدناه فى يوم اغر محجل * ففى الحشر نلقاه اغر محجلا
سمت نحوه الايام وهو عميدها * فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الاسياف منه ممدحا * كريما سما فوق السما كين مرجلا
وخانته رجل فى الطواف به سعت * فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدل لم يحضره فى الحى ناصر * فمن مبلغ الاحياء ان مهلهلا
يد الله فى ذاك الاديم ممزقا * تبارك ما هبت جنوبا وشمالا
ومن حزنى أن لست أعرف ملحدا * له فارى للترب منه مقبلا
رويدك يا من قد غدا شامتا به * فبالامس ما كان العماد المؤملا
وكنا نغادى أو نراوح بابه * وقد ظل فى اوج العلا متوقلا
ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا * بدمع اذا ما امحل العام اخضلا
ومازج منه الحزن طول اعتبارنا * ولم ندر ما اذا منهما كان اطولا
وهاج لنا شجوا تذكر مجلس * له كان يهدى الحى والملأ الأعلى
به كانت الدنيا تؤخر مدبرا * من الناس حتما أو تقدم مقبلا
لتبكى عيون الباكيات على فتى * كريم اذا ما اسبغ العرف اجزلا
على خادم الآثار تتلى صحائحا * على حامل القرآن يتلى مفصلا
على عضد الملك الذى قد تضوعت * مكارمه فى الارض مسكا ومندلا
على قاسم الاموال فينا على الذى * وضعنا لديه كل اصر على علا

على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع اشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار فدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهي بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب عن موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزي السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعي غنم فابتاعوا منه شاة وسأموا شراء شئ من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل بن سنباط فأخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جمله خشي أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد ارمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن في ذلك الرغائب فلما سمع سهل بن سنباط من الراعي ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذي به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه أمثلك يأكل معي فقام سهل عن المائدة وقال اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعي غنم وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بومادة فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج فاطلقه وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور

وأنى لنا من بعده متعلل * وما كان في حاجاتنا متعللا
ألا يا قصير العمر يا كامل العلا * يمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم * عليك صلاة فيه يشهدها الملا
وذلك لأن الامر فيه شهادة * وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا أيها الميت الكريم الذي قضى * سعيدا حميدا فاضلا ومفضلا
لتهنك من رب السماء شهادة * تلاقي ببشرى وجهك المتهللا
رثيتك عن حب ثوى في جوانحي * فأودع القلب العميد وما قلا
ويا رب من أوليته منك نعمة * وكنت له ذخرا عتيدا وموئلا
تناساك حتى ما تمر بباله * ولم يذكر ذاك الندى والتفضلا
برابض في مثواك كل عشية * صفيف شواء أو قدير معجلا
تحى الله من ينسى الاذمة رافضا * ويذهل مهما أصبح الامر مشكلا
حنانيك يا بدر الهدى فلشد ما * تركت بدور الافق بعدك أفلا
وكنت لآمالي حياة هنيئة * فغادرت مني اليوم قلبا مقتلا
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذي * على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذي آويتني متغربا * وأنت الذي أكرمتني متطفلا
فآليت لا ينفك قلبي مكمدا * عليك ولا ينفك دمعي مسبلا

وكتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته شكر الله وفاءك يا ابن شيرين

وقدس لحدك وأين مثلك في الدنيا حسنا ووفاء وعلما الا كما صنع ابن زمرك في ابن الخطيب مخدومه قاله على بن الخطيب انتهى (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الشيخ الاستاذ العلامة العلم الاوحد الصدر المصنف المحدث الافضل الاصلح الاورع الاتقى الاكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقي الفاضل المبرور المرحوم أبي جعفر أحمد ابن ليون التجيبي رضي الله تعالى عنه وهو من أكابر الائمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح وله تواليف مشهورة منها اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر واختصار المرتبة العليا لابن راشد القفصي وكتاب في الهندسة وكتاب في الفلاحة وكتاب كمال الحافظ وجمال اللافظ في الحكم والوصايا والمواعظ وكان مولعا باختصار الكتب وتواليفه تزيد على المائة فيما يذكر وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين * ومما حكى عن بعض كبراء المغرب انه رأى رجلا طوالا فقال لمن حضره لو رآه ابن ليون لاختصره اشارة الى كثرة اختصاره للكتب ومن تواليفه كتاب نفع السحر في اختصار روح الشعر وروح الشعر لابن الجلاب الفهري رحمه الله ومنها كتاب أنداء الديم في الوصايا والمواعظ والحكم وكتاب الابيات المهذبه في المعاني المقربه وكتاب نصائح الاحباب وصحائح الآداب أورد فيه مائتي قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ولننفع منها نبذة فنقول منها في التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى

زاحم أولي العلم حتى * تعتد منهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أخذ أعلى طريقه

وبث الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان أفنى عساكر السلطان فسار الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المامون وكان فيلا عظيما قد حلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة بختية قد جللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بانواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم جليل الى أسير فقد العز ذليل اخطأته الاقدار وزالت عنه الجدود وتورطته المحن انها الفرحة تقتضي ترحه وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول الى سامرا مددا واحدا متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى ببابك فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فمال اليه الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر فان بقطع يديه ورجليه (قال المسعودي) ورأيت في كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه طويلا ثم قال له أنت بابك قال نعم أنا عبدك وغلامك وكان اسم بابك الحسين واسم أخيه عبد الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ في النطع في دمه وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله فلم يلتفت الى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من اضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بحز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام ونصب على الجسر وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شانه وكثرة جنوده واشرافه على ازالة ملك وقلب ملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام ففعل به إسحق بن ابراهيم ما فعل باخيه بابك بسامرا وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في اقاصي سامرا وموضعه مشهور الى

هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك وان كانت سامرا فى هذا الوقت من خلا سا كنها وبان عنها قاطنها الا اليسير من الناس فى بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من امره ما تقدم ذكره قام فى مجالس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فمن قام فى ذلك اليوم ابراهيم بن المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو

يا أمين الله ان الحـ * ـمد لله كثيرا هكذا النصر فلا زا * ل لك النصر وزيرا

وعلى الاعـداء أعطـ * ـيت من الله ظهيرا * هنأك الله لك الفتح يسيرا

فهو فتح لم ير النا * س له فتحا نظيرا وجزى الافشـين عبد الله خيرا وحبورا * فلقد لاقى به بابك يوما قمطريرا ذاك مولاك الذى ألـ * ـفيته جلدا صبورا * لك حتى ضرج السيـ * ـف له خدا نضيرا * ضربة أبقت على الدهـ * ـر له فى الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب والبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين باترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهى زفت عروس الى عروس * ٣٠٣ بنت رئيس الى رئيس

أيهما كان ليت شعرى
أجل فى الصدور والنفوس
أصاحب المذهب المحلى
أم ذو الوشاحين والشموس

وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الجورى فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس فى الامصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فانشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد فيها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى * هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت * ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره يا غارة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة ودخل الافشين من درب الحدث ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف ولقى ملك الروم الافشين فحاربه فهزمه الافشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وجاء رجل من المتنصرة يقال له نصير فى خلق من أصحابه

فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه

وقوله
شفاء داء العى حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لا تبال
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فأن ينال

وقوله
علمت شيأ وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فالعلم احصاء
للعلم قسمان ما تدرى وقولك لا * أدرى ومن يدعى الاحصاء هذاء

وقوله
من لم يكن علمه فى صدره نشبت * يداه عند السؤالات التى ترد
العلم ما أنت فى الحمام تحضره * وما سوى ذلك التكليف والكمد

وقوله
الدرس رأس العلم فاحرص عليه * فكل ذى علم فقير اليه
من ضيع الدرس يرى هاذيا * عند اعتبار الناس ما فى يديه
فعزة العالم من حفظه * كعزة المنفق فيما عليه

وقال رحمه الله تعالى فى غير ما سبق
ثلاث مهلكات لا محاله * هوى نفس يقود الى البطاله
وشح لا يزال يطاع دأبا * وعجب ظاهر فى كل حاله

وقال
اللهو منقصة بصاحبه * فاحذر مذلة مؤثر اللهو
واللغو نزه عنه سمعك لا * تجنح له لا خير فى اللغو

وقال
لا تمالئ على صديقك وادرأ * عنه ما اسطعت من أذى واهتضام
ما تناسى الذمام قط كريم * كيف ينسى الكريم رعى الذمام

وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك فى ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك والملوك تبقى بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوى البطريق منها وسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة فى فتحها برا وبحرا فاتاه ما أزعجه وازاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وان ناسا قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فاتجل المعتصم فى مسيره وحبس العباس وشيعته وفى هذه السنة مات العباس بن المأمون وفى سنة خمس وعشرين ادخل المازيار بن مازن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان الى سامرا فاقر على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها ان هو منّ عليه بالبقاء فابى قبول ذلك وتمثل ان الاسود أسود الغيل همتها ٣٠٤ يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب وما لت خشبة مازيار الى خشبة بابك فتدانت اجسامهما وقد كان صلب فى ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته ففى ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفى الاحشاء من برحائها اذ صار بابك جار مازيار ثانيه فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذ هما فى الغار فكانما انحنيا ليكتما بطويا عن ماطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين فى الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فاقر عليه وأخرج الافشين ميتا فصلب بباب العامة وأحضرت أصنام زعموا انها كانت حملت اليه فالقيت عليه وأضرمت النار فاتت على الجميع

تطعم الكلب مرة فيحامى *	عنك والكلب فى عداد اللئام
وقال احذر مواخاة الدنىء فانها *	عار يشين ويورث التضريرا
فالماء يخبث طعمه لنجاسة *	ان خالطته ويسلب التطهيرا
وقال تحفظ من الناس تسلم ولا *	تكن فى تقربهم ترغب
ولا تترك الحزم فى كل ما *	تريد ولا تبغ ما يصعب
وقال اخوانك اليوم اخوان الضرورة لا *	تثق بهم يا أخى فى قول اوفعل
لاخير فى الاخ الا أن يكون اذا *	عرتك نائبة يقيك أو يسلى
وقال طلب الانصاف من قلة انصاف فساهل	
لا تناقش وتغافل *	فاللبيب المتغافل
قلما يحظى اخو الانصاف فى وقت بطائل	
وقال من خافه الناس عظموه *	وأظهروا بره وشكره
ومن يكن فاضلا حليما *	فانما حظه المضره
فامرر وكن صارما مبيرا *	يهبك من قد تخاف شره
وقال ان تبغ عدلا فاترضى لنفسك من *	قول وفعل به اعمل فى الورى تسد
وكل ما ليس ترضاه لنفسك لا *	تفعله مع أحد تكن أخا رشد
وقال حسبى الله لقد ضلت بنا *	عن سبيل الرشد اهواء النفوس
عجبا ان الهوى هون وأن *	نؤثر الهون واذلال الرؤس

وفى سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلى وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا مصيبا وهو القائل وقال

يوما ترانى على طمرّ * ترهبنى الاجبل الرواسى ويوم لهو أحث كاسا * وخلف أذنى قضيب آس

(وذكر) أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففى ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا لا تعجبوا فلوان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبى دلف أن أخاه دلف وكان يكنى أبوه أبا دلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو فى مجلس ابيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون ان لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وأنه لا يتهيأ الطعن على أحد من ضربته وأنا أبغض عليا قال فما كان باوشك من أن خرج أبو دلف فلما رأيناه قمنا له فقال قد سمعت ما قاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك

انى كنت عليلا فبعثت الى أختى جارية لها كنت بها معجبا فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها الى فبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى على أن شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به الفرهسانى قال حدثنا دلف بن أبى دلف قال رأيت فى المنام آتيا أتانى فقال لى أجب الامير فقمت معه فادخلنى دارا وحشة وعرة وأصعدنى على درج منها ثم أدخلنى غرفة فى حيطانها أثر الرماد واذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فانشا يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسال بعده عن كل شئ

ثم قال أفهمت قلت نعم وانتبهت * وفى خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلى المصرى وأبو النعمان حازم ومحمد بن الفضل السدوسى وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشحى البصرى من الازد وسعد بن الحكم بن أبى مريم البصرى وأحمد بن عبد الله العرانى وسليمان الساد كونى وعلى ابن المدنى وفى سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافى ببغداد

وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحى وابراهيم بن يسار الرمادى وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدى والصحيح أن وفاته كانت فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال المسعودى) وفى سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة فى قصره المعروف بالخاقانى يوم الخميس لثمان عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست

وأربعين سنة على ما قدمنا فى انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة فى الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره فى فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة فى أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكى عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن أبى دواد القاضى ويعقوب بن الليث الكندى فى لمع أوردها فى رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا فى هذا لمعا منبهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم * (ذكر خلافة الواثق) * وبويع هرون بن محمد ابن هرون الواثق ويكنى بابى جعفر وأمه أم ولد رومية وتسمى قراطيس وذلك فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة

وقال
من يخف شره يوف الكرامه * ويوالى الرعاية المستدامه
وأخو الفضل والعفاف غريب * يحمل الذل والجفا والملامه

وقال
دع من يسىء بك الظنون ولا * تحفل به ان كنت ذا همه
من لم يحسن ظنه أبدا * بك فاطرحه تكتفى همه

وقال
نزه لسانك عن قول تعاب به * وارغب بسمعك عن قيل وعن قال
لا تبغ غير الذى يعنيك واطرح الـ * ـفضول تحيا قرير العين والبال

وقال
كثرة الاصدقاء كثرة غرم * وعتاب يعيى وادخالهم
فاغن بالبعض قانعا وتغافل * عنهم فى قبيح فعل وذم

وقال
ذل المعاصى ميتة يالها * من ميتة لا ينقضى عارها
عز التقى هو الحياة التى * ذوو العقل والهمة يختارها

وقال
لا تسمع يوما صديقك قولا * فيه غض ممن يحب الصديق
ان بر الصديق لا شك منه * لصديق الصديق أيضا فريق

وقال
للجار حق فاعتمد بره * واجمل اذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصى به فاغتفر * زلاته الباطن والظاهرا

وقال
سالم الناس ما استطعت ودارى * أخسر الناس أحمق لا يدارى
ضرك الناس ضر نفسك يجنى * لا يقوم الدخان الا لنار

وقال
النصح عند الناس ذنب فدع * نصح الذى تخاف ان يهجرك

اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ما قدمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان (ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقدا الرعيته وسلك فى المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعيب عليهما فيما رأيا وقلدهما الامر وفوض اليهما المملكة (وذكر) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الحاسمى نسبة الى حاسم وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بحاسم على أميال من الجابية وبلاد براوهى من مراعى أيوب عليه السلام قال خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها القينى اعرابى فاردت أن أعلم خبر العسكر منه فقلت يا أعرابى ممن أنت قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل ارضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لا ترام وجبل لا يضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فما تقول فى محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الدانى شره ووصل الى البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلاب قلت فما تقول فى عمرو بن فرج قال ضخم نهم استعذب الدم بنصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال رجل نبش بعد ما قبر ليس تعد له حياة فى الاحياء وعليه خفة الموتى قلت فما تقول فى الوزير قال تخاله كبش الزنادقة أما تراه اذا انجله الخليفة سمن ورتع واذا هزه أمطر فامرع قلت فما تقول فى أحمد بن الخصيب قال ذاك أكل أكلة نهم فزرق زرقة بشم قلت فما تقول فى ابراهيم أخيه قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فما تقول فى أحمد بن اسرائيل قال لله دره أى فاعل هو وأى صابر هو أعد الصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول فى المعلى بن أيوب قال ذاك رجل خبر نصيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا منه قلت فما تقول فى ابراهيم بن رباح قال ذاك رجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وفوقه خليفة لا يظلمه قلت فما تقول فى الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فما تقول فى نجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كانه شعلة نار له من الخليفة فى الاحيان جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالى منزل أنا أشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما أدركنى الرقاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان أعطونى لم أحمدهم وان ضيعونى لم أذمهم وانى كما قال هذا الغلام الطائى وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

الناس أعداء انصاحهم * فاترك هديت النصح فيمن ترك

وقال
تجرى الامور على الذى قد قدرا * ماحيلة أبدا ترد مقدرا
فارض الذى يجرى القضاء به ولا * تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا

وقال
أخوك الذى يحميك فى الغيب جاهدا * ويستر ما تاتى من السوء والقبح
وينشر ما يرضيك فى الناس معلنا * ويغضى ولا يالو من البر والنصح

وقال
لا تصحب الاردى فتردى معه * وربما قد تقتنى منزعه
فالحبل ان يجرر على صخرة * ابدى بها طريقة مشرعه

وقال
مافات أو كان لا تندم عليه فما * يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
ارجع الى الصبر تغنم أجره وعسى * تسلو به فهو مسلاة ومغتنم

وقال
السخط عند النائبات زيادة * فى الكرب تنسى ما يكون من الفرج
من لم يكن يرضى بما يقضى فيا * لله ما شقى وأصعب ما انتهج

وقال
ان تبتغى الاخوان مالن تجد * أخاسوى الدينار والدرهم
فلا تهنهما وعززهما * تعش عزيزا غير مستهضم

وقال
من يستعن بصديقه * يعن العدو على أذاته
برالصديق مهابة * للمرء تحمل من عداته
فاحفظ صديقك ولتكن * تبدى المحاسن من صفاته

وقال
نعوذ بالله من شر اللسان كما * نعوذ بالله من شر البريات

قلت فأنا قائل هذا الشعر قال أنتك أنت الطائي قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل

ما جود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهي وقد أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك وفي رواية أخرى ليست في الكتاب قلت أنشدني شيأ من شعرك فانشدني

أقول وجنح الدجا ملبد * ولليل من كل فج يد
ونحن ضجيعان في مجسد * فلله ماضمن المجسد
فيا غدان كنت بي محسنا * فلا تدن من ليلتي يا غد
ويا ليلة الوصل لا تنفدي * كما ليلة الهجر لا تنفد

فقلت لله أبوك ورددته معي حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره فاوصله الى الواثق فامر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام فان كان صادقا فيما قال ولا أراه فقد أحسن الاعرابي في الوصف وان كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقد قصر في نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ماجنا وربما أداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الى أبو تمام وأنا بفارس فاقام عندي مقاما طويلا وبلغني الى من غير وجه أنه لا يصلي فوكلت به من يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على ما اتصل بي عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه أن قال لم أنشط للشخوص اليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة وأكسل عن ركعات لا مؤنة على فيها لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت أن يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام أن يقضى الدين امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس في أبي تمام في طرفي نقيض متعصب له يعطيه أكثر من حقه ويتجاوز به في الوصف ويرى أن شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفي عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق اليها وتفرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت في مجلس القاضي أبي اسحق واسمعيل بن اسحق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثي الذي قال فيه علي بن الجهم الشامي

لم يطلعا الا لأبدة * الحارثي وكوكب الذنب

فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبي تمام وشعره وأن الحارثي أنشد لابي تمام معاتبة أحسن فيها وأن المبرد استحيا أن يستعيد الحارثي الشعر أو يكتبه منه لاجل القاضي قال ابن سعدان فاعلمت المبرد أني أحفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده مني مرارا حتى حفظه مني وهو

جعلت فداك عبد الله عبدي * ستعقب النأي عنه والبعاد
له لمة من الفتيان بيض * قضوا حق الصداقة والوداد
دعوتهم عليك وكنت ممن * يعينه على الفقر الجياد

قال وسألته عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر قال لابي تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحتري

يجني اللسان على الانسان ميتته * كم للسان من آفات و زلات

وقال

من لم يكن مقصده مدحة * فقد أتى بحبوحة العافيه
محبة المدحة رق بلا * عتق وذل يا له داهيه
من لا يبالي الناس مدحا ولا * ذما أصاب العيشة الراضيه

وقال

شر اخوانك من لا * تهتدي فيه سبيلا
يظهر الود ويخفي * مكره داء دخيلا
يتقي منك اتقاء * وهو يوليك الجميلا

وقال

قوام العيش بالتدبير فاجعل * لعيشك منه في الايام قسطا
وخذ بالصبر نفسك فهو عز * تلوذ به اذا ما الخطب شطا

وقال

العيش ثلث فطنة * والغير منه تغافل
فتغافل ان كنت امرأ * ايثار عيشك تأمل

وقال

ينفذ المقدور حتما لا يرد * فعلام الحرص دابا والكمد
أرح النفس تعش في غبطة * وكل الامر الى الله فقد

وقال

زر من تحب و زره ثم زره ولا * تمل واجعله دأبا موضع النظر
لولا متابعة الانفاس ما بقيت * روح الحياة ولا دامت مدى العمر

وقال

لا تترك الحزم في شئ فان به * تمام امرك في الدنيا وفي الدين
من ضيع الحزم تصحبه الندامة في * أيامه ويرى ذل المهاوين

ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من أبى تمام لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة
من طعن طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة
والخشلبة فى نظام واحد وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر
منه لكان أشعر نظرائه فدعانى هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبى تمام وأسقطت خواطئه وكل ماذم من شعره
وأفردت جيده ووجدت ما يتمثل به ويجرى على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا أعرف شاعرا جاهليا
ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحترى يختم الشعر وانشدنى له بيتين زعم المبرد أنهما لو اضيفا
الى شعر زهير لجاز افيه وهما

وما سفه السفيه وان تعدى * بانجح فيك من حلم الحليم
متى احفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحترى فى هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه قوله فى بنى صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابنى صاعد * ادت اليك مخايل ابنى مخلد
كالفرقدين اذا تامل ناظر * لم يعل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عنى الخليفة للذى * أولاه من بر ومن احسان
حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث يرانى
أغنت يداه يدى وشرد جوده * بخلى فافقرنى كما أغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا * منه وأعطيت الذى اعطانى

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيتنى * مكان بياض الشيب كان بمفرقى

وقوله

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشاناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد منك مهربا
وكنت متى تجمع يمينك والعلا * لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله

مازال صرف الدهر يؤيس صفقتى * حتى رهنت على المشيب شبابى

وقوله فى المنتصر

وان عليا لاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر
وكان له فضله والحجو * ل يوم البراذين قبل الغرر

وقوله

تعيب الغانيات على شيبى * ومن لى أن أمتع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب
وللسهم الشريد أخف عبأ * على الرامى من السهم المصيب

وقوله

وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطى وتحرم
سحاب خطانى جوده وهو مسبل

وقال

كن اذا زرت حاضر القلب واحذر * أن تمل المزور أو أن تطيلا
لا تثقل على جليس وخفف * ان من خف عد شخصا نبيلا

وقال

من خلا عن حاسد قد * مات فى الاحياء ذكره
انما الحاسد كالنا * ر لعود طاب نشره
لا عدمنا حاسدا فى * نعمة ليست تسره

وقال

حبيبك من يغار اذا زللتا * ويغلظ فى الكلام متى اساتا
يسر ان اتصفت بكل فضل * ويحزن ان نقصت أو انتقصتا
ومن لا يكترث بك لا يبالى * أحدت عن الصواب ام اعتدلتا

وقال

ان لمن تخشى اذاه * والقه فى باب داره
انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره

وقال

حسد الحاسد رحمه * لا يرى الا لنعمه
انما الحاسد يشكو * حر أكباد وغمه
لا عدمنا حاسدا فى * نعمة تكثر همه

وقال

تبديل شخص بشخص * خسران الاثنين جمله
فاشدد يديك على من * عرفت وارفع محله
فان قطع خليل * بعد التواصل زله

وقال

انت بخير ما تركت القهور * والقال والقيل وطرق الشرور

وبحر عدانى فيضه وهو مفعم * أأشكو نداه بعد أن وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وذكر محمد بن الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله فى العلم والادب والمعرفة يسىء الرأى فى أبى تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ما تقول فى قوله

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * سبيل الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفو والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول   فان ترم عن عمر تداعى به المدى * فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول   شرف على أول الزمان وانما الشرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول   اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول   ممطر لى الحياة والمال لا ألقاك الا مستوهبا أو وهوبا

٣٠٩

واذا ما أردت كنت رشاء
واذا ما أردت كنت قليبا
والقائل
خشعوا لصولتك التى عودتهم
كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء اشارة
خوف انتقامك والحديث سرار
أيامنا معقودة أطرافها
بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة وتغتدى
رفقا الى زوارك الزوار
وفيمن يقول
اذا أوهدت أرضا كان فيها
رضاك فلا تحن الى رباها

من خاض بحرا فهو لابد يبتل ومن يجر يصبه العثور
سلامة المرء اشتغال بما * يهمه لنفسه من أمور

وقال   انت حر ما تركت الطمعا * وعزيز ما تبعت الورعا
وكفى بالعز مع حرية * شرفا يختاره من قنعا

وقال   خل بنيات الطرق * ووافق الناس تفق
من خالف الناس أتى * أعظم أبواب الحمق
فكن مع الناس فتر * لجلة الناس خرق

وقال   لا تضق صدرا بحاسد * فهو فى نار يكابد
من يرى انك خير * منه تعروه شدائد
انما الحاسد يشقى * وهو لا يحظى بعائد

وقال   من يستمع فى صديق قول ذى حسد * لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد
يهابك الناس ما تدنى الصديق فان * أقصيته زدت للاعداء فى العدد

وقال   كم من أخ صحبته * والنفس عنه راغبه
خشيت ان فارقته * بالهجر سوء العاقبه

وقال   اذا كانت عيوبك عند نقد * تعد فانت أجدر بالكمال
متى سلمت من النقد البرايا * وحسبك ما تشاهد فى الهلال

وقال   اذا انطوت القلوب على فساد * فان الصمت ستر أى ستر

قال فوالله لكأنى أغريت ابن المدبر بأبى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذ فعلت ذلك لقد حدثنى عمر بن أبى الحسين الطوسى الراوية أن أباه وجه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فمرت بنا أراجيز فانشدته أرجوزة لابى تمام لم أنسبها اليه وهى

وعاذل عذلته من عذله * فظن أنى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما بأخيك كله
لبست ريعانى فدعنى ابله * وملك فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله * بذلت مدحى فيه باغى بذله
فجز حبل أملى من وصله * من بعد ما استعبدنى بمطله
ثم اعتدى معتديا بجهله * ذاعنى فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جده وهزله * يعجب من تعجبى من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله * حتى كأنى جئته بعذله
يا واحدا منفردا بعدله * أكسبته المال فلا تمله
ما يصنع الغمد بغير نصله * والمدح ذم ما لم يكن فى أهله

فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لابى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابن المدبر

فيهم من عمله لان الواجب أن لا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك * وقد ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية أنه قال أخذت من كل شئ أحسن ما فيه حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب قيل ما أخذت من الكلب قال الفه لاهله وذبه عن صاحبه قيل فما أخذت من الغراب قال شدة حذره قيل فمن الخنزير قال بكوره فى حوائجه قيل فمن الهرة قال حسن نغمتها وتملقها لاهلها عند المسئلة ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الاجادة أبعد غاية وأقصى نهاية فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام أشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام فقال كانه جمع شعر العالم فانتخب جوهره وقد كان أبو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفى الناس من يسميه كتاب الخبية انتخب ٣١٠

فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره وتصرفه فى أنواع علومه ومذاهبه واستدل الصولى على ما وصف عن أبى تمام بما وجد من شعره من ذلك قوله فى صفة الخمر

جهمية الاوصاف الا انهم قد لقبوها جوهر الاشياء

وقد رثته الشعراء بعد وفاته والادباء من اخوانه منهم الحسن بن وهب الكاتب وكان شاعرا ظريفا له حظ فى المنثور والمنظوم فقال

فلا تنطق وقلبك فيه شئ * بغير الحق واحذر قول شر

وقال
ان كنت لا تنصر الصديق فدع * سماعك القول فيه واجتنب
سماع عرض الصديق منقصة * لا يرتضيها الكريم ذو الحسب

وقال
أنت فى الناس تقاس * بالذى اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعلو * وتنل ذكرا جميلا
صحبة الخامل تكسو * من يواخيه خمولا

وقال
اسمح يزنك السماح * ان السماح رباح
لا تلق الا ببشر * فالبشر فيه النجاح
تقطيبك الوجه جد * أجل منه المزاح

وقال
من كنت تعرفه كن فيه متئدا * يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه
لا تبغ من أحد عرفته أبدا * غير الذى كنت منه قبل تألفه

وقال
حاسب حبيبك كالعدو تدم له * منك المحبة فالتناصف روحها
من كان يغمض فى حقوق صديقه * نقصت مودته وشيب صريحها

وقال
تغافل فى الامور ولا تناقش * فيقطعك القريب وذو المودة
مناقشة الفتى تجنى عليه * وتبدله من الراحات شده

وقال
ان شئت تعرف نعمة الله التى * أولاك فانظر كل من هو دونكا
لا تنظر الاعلى فتنسى ما لديك ومن من الضعفاء يستجدونكا

سقى بالموصل الجدث الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا
اذا أطللنه أطللن فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق به خدودا * وشققت الخدود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى * حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا أديبا * أصيل الرأى فى الجلى أريبا
اذا شاهدته روّاك فيما * يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا * لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لا ترانا * نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت أخا لنا أبدى الينا * ضمير الود والنسب القريبا
فلما أنبت كدرت الليالى * قريب الدار والاقصى الغريبا
فابدى الدهر أقبح صفحتيه * ووجها كالحا جهما قطوبا
فأحر بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا

وقال

وللعسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله

أبت مقلتاك لفرط الحزن * عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لا تناما * وقلبك مختلس مرتهن
وبين الجوانح داء دفين * لعمرك مستتر قد كمن
نجى الهموم وقرن الكلوم * ووهى الحلوم وبعد الوطن
شديد النفار كثير العثار * خليع العذار يجر الرسن

أفي كل يوم تطيل الوقوف * تناجي الديار وتبكي الدمن وتستخبر الدار عن أهلها * وتذرى الدموع على من ظعن
كانك لم ترفيما مضى * من الدهر ذاصبوة مفتتن عذرتك أيام شرخ الشباب * وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشبا * ب عنك و ولى كأن لم يكن وألبسك الشيب بعد الشباب * قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى في عيون الحسان * يخنك عهدا وان لم تخن ويصدفن عنك اذا رمتهن و كنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وأنت امرؤ * بما فيه رشدك طب فطن

وفي خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بنى مخزوم وكان من علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في المحنة على القرآن (قال المسعودى) وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء يقوم قائماً لصغر سنه ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوى الاسنان وكان ذكياً أذوناله في الافاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من

النقل فبعض قال نبات السكر و بعض قال رمان و بعض قال تفاح و بعض قال قصب السكر ينضج بماء الورد وبعض اخرجته الفلسفة الى النقيض فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يمعى بعذاب النبيذ ويجلى على سورة الشراب ومرارة النقل قال ما صنعتم شيأ ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكنانج مشير فوافق ذلك ما في نفس الواثق وقال أصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفي سنة ثلاثين ومائتين وذلك في خلافة الواثق توفي عبد الله بن طاهر في ربيع الاول من هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول أناس ان مصر بعيدة * وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر * وأبعد من مصر رجال تراهم
بحضرتنا معروفهم غير حاضر * عن الخير موتى ما تبالى أزرتهم * على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم و تاخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد أحببت أن أعلم كيفية ادراك معرفة الطب ومأخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه

وقال عجبا أن ترى قبيح سواكا * وتعادى الذى يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فيك وترضى الوصاة ممن نهاكا

وقال جرب الناس ما استطعت تجدهم * لا يرى الشخص منهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العفو وداري جميع أبناء جنسه

وقال فرط حب الشئ يعمى ويصم * فليكن حبك قصد الايصم
نقص عقل أن يغطى حسك الحب أو يلهيك عن أمر مهم

وقال سلم وغض احتسابا * فذا هو اليوم أسلم
النقد نار تجلى * في القلب جمرا تضرم
فاطو اعتراضك واغفل * عن عيب غيرك تسلم

وقال عدة الكريم عطية * لا مطل في عدة الكريم
المطل تحريض العدا * ة وذاك من فعل اللئيم
فدع المطال اذا وعدت فانه عمل ذميم

وقال من تناسى ذنوبه قتلته * وابانت عنه الولى الحميما
ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى * لك انكار فعله مستديما

وقال عجبا المادح نفسه لا يهتدى * لتنقص يبديه فيه مدحها
مدح الفتى عند التحدث نفسه * ذكرى معايبه فيدرى قبحها

وقال من حسنت أخلاقه عاش في * نعمى وفي عز هنىء وود

يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بان يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة فيوجد بالحس في آخر الاحوال كما يوجد في أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادئ أربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاءها فزعموا ان قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشيء من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره فيتردد ويغلب ظنه بعطبه فيجربه بان يفعله كما يرى في منامه فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسما هو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض

الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور في علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العالم ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التي عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل ما يكون في كل علة وجدت وانظر أولم توجد وبرهنوا بان زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال وأن وجود أحدهما ينفي الآخر في الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشيء ظاهر يستدل به على كل شيء خفي والشيء الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون القطع على ما يوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم في اليونانيين مثل ماسوس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون باصحاب الطب الجبلي قال الواثق لهم جميعا فاخبروني عن جمهورهم الاعظم الام يذهبون في ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب ماخوذ من مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان في الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت في الشاهد أن الحيوان يختلف في صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها وأن الاجساد الحيوانية

ومن تسؤ للخلق أخلاقه * يعش حقيرا في هموم وكد

وقال

من كان يحمي ناسه صار ذا * عز وهابته نفوس البشر
ومن يكن يخذل أحبابه * هان ومن هان فلا يعتبر

وقال

قارب وسدد اذا ما كنت في عمل * ان الزيادة في الاعمال نقصان
ما خالف القصد في كل الامور هوى * نفس وكل هوى شؤم وحرمان

وقال

بقدر همته يعلو الفتى أبدا * لا خير في خامل الهمات ممتهن
هيهات يعلو فتى خمول همته * يقوده لابتذال النفس والمهن

وقال

اصحب ذوي الحدة وارغب عن الخبيث فالصحبة داؤها
وانظر الى قول نبي الهدى * خيار أمتي أحداؤها

وقال

ما صديق الانسان في كل حال * يا أخي غير درهم يقتنيه
لا تعول على سواه فتغدو * خائب القصد دون ما تبتغيه

وقال

يستفز الهوى للانسان حتى * لا يرى غير محنة أو ضلال
ويرى الرشد غير رشد ويغدو * يحسب الحق من ضروب المحال

وقال

لا تبالغ في الشر مهما استطعتا * وتغافل واحلم اذا ما قدرتا
فانقلاب الامور أسرع شيء * وتجازى بضعف ما قد صنعتا

وقال

مثل عواقب ما تاتي وما تذر * واحذر فقد ترتجي أن ينفع الحذر
لا تقدمن على أمر بلا نظر * فان ذلك فعل كله خطر

تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من الماكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة فى البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصححة فالواجب على الطبيب لامحالة من هذه المقدمات التى قد صحت اذا أراد علاج المريض النظر فى طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة فى كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم فى كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشئ من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره فى الجسد وزعموا أن الوثيقة فى الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والارايح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كان الاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا فى الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله فى الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لحنين من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها فى اللحى الاعلى ستة عشر سنا وفى اللحى الاسفل كذلك ومن ذلك أربعة فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف ٣١٣ تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من الماكل بالسكين وهى الثنايا والرباعيات وعن جنبى هذه الاربعة فى كل واحد من اللحيين سنان رؤسهما حادة وأصولهما عريضة وهى الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما

وانظر وفكر لما ترجو توقعه *	فعمدة العاقل التفكير والنظر
وقال حافظ على نفسك من كل ما *	يشينها من خلل أو زلل
واحرص على تخليصها بالذى *	تنجو به من قول او عمل
وقال سكر الولاية ماله صحو *	وكلامها وحراكها زهو
يهذى الفتى أيام عزتها *	فاذا تقضت نابه شجو
فحذار لا تغررك صولتها *	وزمانها فثبوتها محو
وقال دع الجدال ولا تحفل به أبدا *	فانه سبب للبغض ما وجدا
سلم تعش سالما من كل متعبة *	قرير عين اذا لم تعترض أحدا
وقال اذا ترى المبتلى اشكر أن نجوت ولا *	تشمت به ولتسل من ربك العافيه
وخف من أن تبتلى كما ابتلى فترى *	كما تراه وما تقيك من واقيه
وقال العمر ساعات تقضى فلا *	تقضها فى السهو والغفلة

٤٠ ط ث يؤكل وعن جنبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهى الاضراس و يسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل ولكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها فى اللحى الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس فى اللحى الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة فى الاصول لتعلقها باعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لى كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا فى هذا المجلس وفى غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف فى كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهى أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هى أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ومزاج

الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب
للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونة وخاصة كلما كانت أعظم ومتى
بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد بردا قال أخبرني عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال
والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا
أميل الى الحرارة واليبس والدبور أميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك قال هي
أربعة الأول الارتفاع والثاني الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحي أربع
وهي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب أسخن وناحية الشمال أبرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان
واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل
متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانها تهب فيه الريح الشمالية
فقط ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن * قال فاخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها
البحار كيف اختلفت قال حتى ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان في ناحية الشمال
كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فاخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية
جعلت ذلك البلد أبرد وأجف وان كانت طينا جعلته أبرد وأرطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار

قال اذا جاورت نقائع ماء
أو جيفا أو بقولا عفنة أو
غير ذلك مما يتعفن تغير
هواؤها * فلما كثر هذا
الكلام من السائل
والمجيب اضجر ذلك الواثق
فقطع ذلك وأجاز كل واحد
ممن حضر * ثم أمرهم أن
يخبر كل واحد منهم عما
حضره في الزهد في هذا
العالم الذي هو عالم الدثور
والفناء والغرور فذكر كل
واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وابذ أ
ودوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من
نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير المؤمنين كل ما ذكروه حسن
وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر امس انطق
منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

كفى حزنا بدفنك ثم أنى * نفضت تراب قبرك من يديا وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر في تقديره * خلقت فيها انخفاض وانحدار بينما المرء على اعلائها * اذهوى في هوة منها فغار
انما متعة قوم ساعة * وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودي) وللواثق أخبار حسان مما كان في أيامه من
الاحداث وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات
والسمعيات في جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب في باب
خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار في أخلاق الخلفاء من بني العباس لمعنى أوجب ايرادها في باب خلافة القاهر

واعمل لما أنت له صائر * مادمت من عمرك في مهلة
ولا تكن تاوي لدنيا وقل * لابد لابد من النقلة

وقال
كن رفيقا اذا قدرت حليما * وتغافل تسلك طريقا قويما
لا تظن الزمان يبقى على من * سره أو ينيل عزا سليما
ان للدهر صولة وانقلابا * ولهذا نعيمه ان يدوما

وقال
من لم يكن ينفع في الشده * فلا تكن معتمدا وده
لا تعتمد الا أخا حرمة * ان ناب خطب تلفه عده
وخل من يهزأ في وده * ولا ترى في معضل جده

وقال
أخوك الذي تلفيه في كل معضل * يدافع عنك السوء بالمال والعرض
ويستر ما تأتي من القبح دائما * وينشر ما يرضى وان سؤته يغضى

وقال
لا تنه عما أنت فاعله * وانظر لما تأتيه من ذنب

*واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبى دواد وكان قاضى القضاة فدعا فى خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره فى هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته *(ذكر خلافة المتوكل على الله)* وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان فى اليوم الثانى لقبه أحمد بن أبى دواد المتوكل على الله وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ويكنى بابى الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة أشهر وتسع ليال وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)* ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال والترك لما كان عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من فى داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا فى ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعى والرعية اليها فالباقى فى أيدى الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهى نوع من ثياب الملحم نهاية فى الحسن والصبغ وجودة الصنع *وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف فى عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض فى الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا افضال أو يتعالى عن مجون وطرب *وكان الفتح بن خاقان التركى مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا فى الادب ترجمه بكتاب البستان *وأحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب وهيئتها للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبى عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفى ذلك يقول ابن المدبر فى ذكره لهذه البيعة

يا بيعة مثل بيعة الشجره * فيها لكل الخلائق الخيره
أكدها جعفر وصيرها * الى بنيه الثلاثة البرره

وفى ذلك يقول على بن الجهم

قل للخليفة جعفر يا ذا الندى * وابن الخلائف والائمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد * وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد * وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس

وابدأ بنفسك فانهها فاذا * تقفو الصواب فانت ذواب

وقال
ليس الصديق الذى يلقاك مبتسما * ولا الذى فى التهانى بالسرور يرى
ان الصديق الذى يولى نصيحته * وان عرت شدة اغنى بما قدرا

وقال
عجبا لمستوف منافع نفسه * ويرى منافع من سواه تصعب
ماذاك الا عدم انصاف ومن * عدم التناصف كيف يرجو يصحب

وقال
من عدم الهمة فى راحة * من أمره يكرم أو يهتضم
والعايشى أخو همة * فان الانكاد بقدر الهمم

وقال
قلما تنفع المداراة الا * عند أهل الحفاظ والاحساب
من يدارى اللئيم فهو كمن يستعمل الدر فى نحور الكلاب

وقال
دنياك هذى عرض زائل * تفتن ذا الغرة والغفله
فاعمل لاخراك وقدم لها * مادمت من عمرك فى مهله

السفاح بمائة سنة و بعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ في كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة في الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته باشهر فقبض أمواله وجميع ما كان له و قلد مكانه أبا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رؤس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فامر المتوكل بادخاله في ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن ياذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد فاستاذن المتوكل في ذلك فاذن له فكتب

هي السبيل فمن يوم الى يوم * كانه ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فامر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه في ذلك التنور الى أن مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل في تحريض المامون على ابراهيم بن المهدي حين خرج عليه

ألم تر أن الشئ للشئ علة * يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربنا الامور وانما * يدلك ماقد كان قبل على البعد
وظني بابراهيم أن فكاكه * سيبعث يوما مثل أيامه النكد
تذكر أمير المؤمنين قيامه * وأيامه في الهزل منه وفي الجد
اذا هز أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند

في شعر طويل جدا ومن شعره قوله في مرثية للمعتصم بالله

وظل له سيف النبي كانما * مدامعه من شدة الحزن تذرف
حمائله والبرد تشهد أنه * هو الطيب الاولى الذي كان يعرف
أقول ومن حق الذي قلت أنني * أقول وأني بعد ذاك وأحلف
لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا * ولا أنصف المظلوم مثلك منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الاوسط فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجاني ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا في الكتاب الاوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد بن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان في تاويل آية وتنازع الناس في قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي وكانت اليه البصرة فحملني اليه مكرما فلما اجتزت بناحية النعمانية بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتني نفسي الى دخوله فدخلته ومعي شاب ممن يرجع الى دين وادب فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا الي فقلت ما يقعدك بينهم وانت بائن عنهم فكسر جفنه ورفع عقيرته وانشا يقول

ان وصفوني فناحل الجسد * او فتشوني فابيض الكبد
اضعف وجدي وزاد في سقمي * أن لست اشكو الهوى الى احد
وضعت كفي على فؤادي من * حر الاسى وانطويت فوق يدي
آه من الحب آه من كبدي * ان لم امت في غد فبعد غد
كأن قلبي اذا تذكرهم * فريسة بين ساعدي اسد

فقلت احسنت لله درك زدني فانشأ يقول

ما اقتل البين للنفوس وما * اوجع فقد الحبيب للكبد
عرّضت نفسي من البلاء لما * اسرف في مهجتي وفي جلدي
ياحسرتي أن اموت معتقلا * بين اعتلاج الهموم والكمد
في كل يوم تفيض معولة * عيني لعضو يموت في جسدي

فقلت احسنت لافض فوك زدني فانشأ يقول

الله يعلم انني كمد * لا استطيع ابث ما اجد

وقال
نصيحة الصديق كنز فلا * ترد ما حييت نصح الصديق
وخذ من الامور ما ينبغي * ودع من الامور ما لا يليق

وقال
أنت حر ما لم يقيدك حب * أو تكن في الورى يرى لك ذنب
الهوى كله هوان وشغل * والمعاصي ذل يعاني وكرب

وقال
هوّن عليك الامورا * تعش هنيأ قريرا
واعلم بان الليالي * تبلي جديدا خطيرا
وتستبيح عظيما * ولا تجير حقيرا

وقال
ألف صديق قليل * والود منهم جميل
كما عدو كثير * اذ ضره لا يزول
فلا تضيع صديقا * فالنفع فيه جليل

وقال

نفسان لى نفس تضمنها * بلد واخرى حازها بلد وارى المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يعينها جلد

وأظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى أجد فقلت والله أحسنت فاستزدته فقال أراك كلما أنشدتك استزدتنى وما ذاك الالفرط أدب وفراق شجن فانشدنى أنت أيضا فقلت للذى معى أنشده فانشأ يقول

عذل و بين وتوديع ومرتحل * أى العيون على ذا ليس تنهمل * تالله ما جلدى من بعدهم جلد

ولا اختزان دموعى عنهم بخل * بلى وحرمة ما ألقين من خبل * قلبى اليهن مشتاق وما رحلوا

وددت أن البحار السبع لى مدد * وأن جسمى دموع كلها همل * وان لى بدلا من كل جانحة

فى كل جارحة يوم النوى مقل * لادر در النوى لو صادفت جبلا * لانهد منها وشيكا ذلك الجبل

الهجر والبين والواشون والابل * طلائع يتراءى أنها الاجل فقال المجنون احسنت وقد حضرنى فى معنى ما انشدت الى شعر أفانشده قلت هات فانشأ يقول ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف * لو كنت املكهم يوما لما رحلوا

ياحادى العيس مهلا كى نودعها * رفقا قليلا ففى توديعها الاجل * ما راعنى اليوم شئ غير فقدهم

حتى استقلت وسارت بالدمى الابل * انى على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعرى وطال الدهر ما فعلوا

قال المبرد فقال الفتى الذى معى ماتوا فقال المجنون آه آه ان ماتوا فسوف اموت وسقط ميتا فما برحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فادخلت على المتوكل وقد عمل

فيه الشراب فسئلت عن بعض ماوردت له فاجبت و بين يدى المتوكل البحترى الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفى المجلس أبو العتاهية الصيمرى فانشد البحترى قصيدته التى أولها

عن أى ثغر تبتسم
وباى طرف تحتكم
حسن يضئ بحسنه
والحسن أشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم المرتضى ابن المجتبى * والمنعم ابن المنتقم

أما الرعية فهى من * أمان عدلك فى حرم يابانى المجد الذى * قد كان قوض فانهدم

اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم تلنا الهدى بعد العمى * بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس فقال يا أمير المؤمنين تأمر برده فقد والله عارضته فى قصيدته هذه فامر برده فاخذ أبو العنبس ينشد شيئا لولا أن فى تركه بتر الخبر لما ذكرناه وهو

من أى سلح تلتقم * وباى كف تلتطم ادخلت رأس البحترى * ابى عبادة فى الرحم

ووصل ذلك بما اشبهه من الشتم فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى ابى العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح ياسيدى البحترى الذى هجى واسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى اشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال و يدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا كلنا فى شفاعة الهزل ولم ينفع البحترى جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابى العنبس أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان من شعره فى الرؤيا التى اريتها قال نعم يا امير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جريرة ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها فرأيته فيما يرى النائم فقلت له ياحمارى الم ابرد لك الماء وانق لك الشعير واحسن اليك جهدى فلم مت على غفلة وما خبرك

وقال دع الحسود تعاتبه لظى حسده * حتى تراه لقى يموت من كمده
ما للحسود سوى الاعراض عنه وأن * يبقى الى كربه فى يومه وغده

وقال الناس حيث يكون الجاه والمال * خل عنك ولا تحفل بما قالوا
وعد عمن يقول العلم قصدهم * أو الصلاح أما تبدوله الحال
انظر لماذا هم يسعون جهدهم * يبن لك الحق لا يعروه اشكال

وقال توسط فى الامور ولا تجاوز * الى الغايات فالغايات غى
كلا الطرفين مذموم اذا ما * نظرت واخذك المذموم عى

وقال عامل جميع الناس بالحسنى * ان شئت أن تحظى وأن تهنا
لا تسئ يوما الى أحد * فتجمع الراحة والامنا

وقال لا تفكر فللامور مدبر * وارض ما يفعل المهيمن واصبر
أنت عبد وحكم مولاك يجرى * بالذى قد قضى عليك وقدر

قال نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء فرأيتها فأخذت بمجامع
قلبي فعشقتها واشتد وجدي بها فبت كمدا متأسفا فقلت له يا حماري فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشدني

هام قلبي بأتان * عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبخد ذي دلال * مثل خد الشنغراني
فبها مت ولو عشت إذا طال هواني

قال فقلت يا حماري فما الشنغراني فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم
بشعر الحمار وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن
عرفة النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنهم ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل
افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه
فعرّض وقد كان سعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل وقيل له إن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه إليه ليلا
من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر
ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد
والوعيد فأخذ على ما وجد عليه وحمل ٣١٨ إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كاس
فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس الذي في يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه فعافاه وقال أنشدني شعرا أستحسنه فقال إني لقليل الرواية للأشعار فقال لا بد أن تنشدني فأنشده

وقال اذا رأيت القبيحا * فقل كلاما مليحا
وأغض واستر وسلم * وكن حليما صفوحا
تعش هنيأ وتلقى * براوشكرا صريحا
وقال من ينكر الاحسان لا توله * ما عشت احسانا فلا خير فيه
البذر في السباخ ما ان له * نفع فبذره فهو فعل السفيه
وقال من لم يكن ينفع في وده * دعه ولا تقم على عهده
ود بلا نفع عناء فلا * تعن بشيء حاد عن حده
وقال درمع الدهر كيفما * داران شئت تصحبه
ودع الحذق جانبا * ليس بالحذق تغلبه
وحذار انقلابه * فكثير تقلبه
وقال من ليس يغني في مغيب عنك لا * تحفل به فوداده مدخول
يثني

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل * واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا * ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل * فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل * قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا * وطالما كنزوا الأموال وادخروا
فخلفوها على الأعداء وارتحلوا * أضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال فأشفق من حضر على علي وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى
من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله من
ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وذلك
في سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الأبكار ويركب الخيل التي تقطف وتعنق
لم ينكر من نفسه شيئا وحكى ابنه سماعة بن محمد قال لي أبي محمد بن سماعة وجدت في حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور
كتابا له بخطه أراه من شعره أو أبيات استحسنها وهي سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في أجلادها تتكسر

واخليت منها مخها فكانها * قوارير في اجوافها الريح تصفر * اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت
فرائصها من خوف ما تتحذر * خذي بيدي ثم ارفعي الثوب وانظري * ضنى جسدي لكنني اتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين * وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولي مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها في كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف) أخباره والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الاسدي أنه رأى في منامه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر في الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فامر باحضار السندي وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعي عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فاعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فامر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتني أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر انه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما ٣١٩ توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابي فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله في فان هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتني الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بي عليكم وجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسن بن علي فاحفظوهم في قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابي فعرفتهم فكاني أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقمت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتني جراح فعمدت الى أشدهم كان في أمرها وأولهم على هتكها فقتلته ولم أزل امنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فاخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لي اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتني له لاعاودت معصية ولادخلت في ريبة حتى ألقى الله فاخبره اسحق بالرؤيا التي رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شيء من ذلك * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين رضي المتوكل عن أبي محمد يحيى ابن أكثم الضبعي فاشخص الى سر من رأى وولي قضاء القضاة وسخط على أحمد بن أبي دواد وولده أبي الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبي الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار وأحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وفي سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبي عبد الله أحمد بن أبي دواد بعد وفاة أبي الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) ان المعتصم كان بالجوسق يوما مع

يثني عليك وأنت معه حاضر * فاذا تغيب يكون عنك يميل

وقال
دع نصح من يعجبه رأيه * ومن يرى ينجحه سعيه
النصح ارشاد فلا توله * الا فتى يحزنه غيه
لا يقبل النصح سوى مهتد * يقوده لرشده هديه

وقال
البخت أفضل ما يؤتى الفتى فاذا * يفوته البخت لا ينفك يتضع
يكفيك في البخت تيسير الامور وأن * يكون ما ليس ترضى عنك يندفع

وقال
افعل الخير ما استطعت ففعل الـ * ـخير ذكر لفاعليه وذخر
وتواضع تنل علاء وعزا * فاتضاع النفوس عز وفخر

وقال
صديق المرء درهمه * به ما دام يعظمه
فصنه ما استطعت ولا * تكن في اللهو تعدمه
ففقر المرء ميتته * لذا تغدو فترجمه

ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن أبي دواد فقال هذا غلام ابن أبي دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتي فيقول فلان الهاشمي وفلان القرشي وفلان الانصاري وفلان العربي فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أني لا أقضي اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لأبي عبدالله الاهنيهة فقال لجلسائه كيف ترون قولي قالوا فلا تأذن له قال سوءة لكم حمى سنة أهون علي من ذلك ودخل فما هو الا ان سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبدالله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما في طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من أول قدر أكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لأني أراك قد أمعنت في هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا أمير المؤمنين على أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلت من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد أحسن طابخها اذ أكثر فلفلها وأقل كمونها وأما هذه فقد أجاد طابخها اذ أكثر خلها وأقل زيتها وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه مرة يحدثهم بأخبار الأكلة في صدر الاسلام معاوية بن أبي سفيان وعبيدالله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن أكلة دهره مثل سردة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامي فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة يا أبا عبدالله قال نعم يا أمير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون

أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبدالله النوفلي قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وما هي قال ضياع ابراهيم بن المعتمر تردها قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها حتى قام خطيبا فقال يا أمير المؤمنين رعاك عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولازلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الأيام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذي يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعد بألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط في الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا اللئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها وأنا أعلم انه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا * وفي أحمد بن أبي دواد يقول الطائي

لقد أنست مساوي كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دواد * فما سافرت في الآفاق الا
ومن جدواه راحلتي وزادي * مقيم الظن عندك والاماني * وان قلقت ركابي في البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفري وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ علي وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسي فقعد عليه وأقبل يحادثني اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما أطيب رائحتها علي بها على حالها فبادر الفراشون

وقال
لا تقرب ما استطعت خل عدو * تخليل العدو خالف عداوه
وتحفظ منه ودار به وانظر * هل ترى من سيماه الا القساوه

وقال
لا تعد ذكر ما مضى فهو أمر * قد تقضى وقد مضى لسبيله
وتكلم فيما تريد من الآتي * ودبر للشيء قبل حلوله

وقال
قساوة المرء من شقائه فاذا * يلين ساد بلا ين ولا نصب
لا يرحم الله الا الراحمين فمن * يرحم ينل رحمة في كل منقلب

وقال
جئ بالسماح اذا ما جئت في غرض * ففي العبوس لدى الحاجات تصعيب
سماحة المرء تنبي عن فضيلته * فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

وقال
لا تسامح يوما دنيا اذا ما * قال في فاضل كلاما رديا
ان قصد الدني انزال أهل الفضل حتى يرى عليهم عليا

وقال
خذ من القول بعضه فهو أولى * وتحفظ مما يقول العداة

فانتزعوها من بين يدى الملاحين فلما عاين الملاحون اصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين ايدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها وا كل كل واحد منا ثلاث لقم واقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر واقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من اكله امر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وامر ان تملأ دراهم فجىء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفى درهم فقال للخادم كان بين يديه خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها وما فضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم * وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة وكان من حديثة الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتاديب بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

وسكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

٣٢١

ربما تاخذ الكلام بجد * وهو هزل قد غمته عداة
فاحترز من غرور الاقوال واعلم * أن الاقوال بعضها كذبات

وقال

نافس الاخيار كيما * تحرز المجد الاثيلا
لا تكن مثل سراب * رىء لم يشف غليلا
انما أنت حديث * فلتكن ذكرا جميلا

وقال

الصمت عز حاضر * وسلامة من كل شر
فاذا نطقت فلا تكثر واجتنب قول الهذر
وحذار مما يتقى * وحذار من طرق الغرر

وقال

سلامة الانسان فى وحدته * وأنسه فيها وفى حرفته
ما بقى اليوم صديق ولا * من ترتجى النصرة فى صحبته
فقر فى بيتك تسلم ودع * من ابتلى بالناس فى محنته

قال فقالت هذه العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فاتى الموضع ونظر اليها وهى تمر بين الماء فانشا يقول

وأنا الذى غرقتنى * بعد القضا لو تعلمينا

٤١ ط ث

فزج بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثنى حديثا يسلينى عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بان يتبع الرسول برسول آخر يامره أن يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا خرج ثم أمر فاخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمى فاجملى

فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق انى عنك مشغول

فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

يكفيك عنى عدو ثائر حنق * فى كفه صارم كالملح مسلول

فغنته فقال قل قال يامر لى برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى مالى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير فى عشق بلا موت

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابى عبد الله محمد بن جعفر الاخبارى بالبصرة فقال أنا اخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثنى به حدثنى واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسى أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

ياقمر الغصن متى تطلع * أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى ما أرى * منك على رأسى فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فهتكت الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على اثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا احدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن مصرح الراجحى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من اخيه نحوا من مائة ألف وخمسين الف دينار ثم صولح محمد على احد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر ان يصفع فى كل يوم فاحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد واقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها واحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وأنفع (قال المسعودى) وكانت وفاة احمد بن حنبل

فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن بباب حرب فى الجانب الغربى وصلى عليه محمد ابن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الأمور منها ان رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى باعلى صوته

وأظلمت الدنيا لفقد محمد * واظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك ان الدنيا اظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم * وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم ير مثله قط وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهى الليلة التى وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفى السنة التى مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافى وكان من اهل النظر والبحث وما عليه أهل العدل وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة اربع وثلاثين ومائتين وكان من كبار اهل العدالة واهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى بن طغج سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع أصحابه فى مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم

وقال
مطاوعة النساء الى الندامه * وتوقع فى المهانة والغرامه
فلا تطع الهوى فيهن واعدل * ففى العدل الترضى والسلامه

وقال
كانت مشاورة الاخوان فى زمن * قول المشاور فيهم غير متهم
والآن قد يخدع الذى تشاوره * اشماتا وحسدا يلقيك فى الندم
فاضرع الى الله فيما أنت تقصده * يهديك للرشد فى الافعال والكلم

وقال
عد عمن يراك تصغر عنه * وتحفظ من قربه وأبنه
ان من لا يراك فى الناس خيرا * منه فالخير فى التحفظ منه

وقال
رزانة المرء تعلى قدره أبدا * وطيشه مسقط له وان شرفا
فاربأ بنفسك من طيش تعاب به * وان تكن حزت معه العلم والشرفا

وقال
الصدق عز فلا تعدل عن الصدق * واحذر من الكذب المذموم فى الخلق
من لازم الصدق هابته الورى وعلا * فالزمه دأبا تفز بالعز والسبق

الكوفى الحرار وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفى التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام فى التوحيد والامامة فقال هشام لابى الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لا زعمت أنها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع ابو الهذيل سائلا فقال له من اين قلت ان الصفة ليست الموصوف ولا غيره قال هشام من قبل انه يستحيل أن يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيرى لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بانفسها فلما لم يكن فعلى قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى انا وجب انه لا انا ولا غيرى وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست انا ولا غيرى وعلتى فى أنها ليست أنا ولا غيرى علتك فى انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبى موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بابى حذيفة فى سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وأن وفاته كانت سنة سبع وأربعين ومائة وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع

مع هشام بن الحكم وهشام يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعلى من يلى عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلى أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة فى سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ماخلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به التحليل والتحريم والامر والنهى فقال له هشام فلم خلق الله لك فما قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدى هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على مايصلح له فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ماخلقت له الا بخالق القلب فيكون هو الباعث لها على ماتفعله والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره فلم يأت عمرو بفرق يعرف وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هرون الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل واخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الأوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب

وقال
ليس التفضل يا أخى أن تحسنا * لأخ يجازى بالجميل من الثنا
ان التفضل أن تجازى من أسا * لك بالجميل وأنت عنه فى غنى

وقال
من واصل اللذات لابد أن * تعقبه منها الندامات
فخذ من اللذات واترك ولا * تسرف ففى الاسراف آفات

وقال
دع معجبا بنفسه * فى غمه ولبسه
لا يقبل النصح لها * من نخوة برأسه
خله لكيده * وعجبه بنفسه

وقال
عتب الصديق دلالة * منه على صدق الموده
فاذا يقول فقصده التنزيه عما قام عنده
فاحلم اذا عتب الصديق ولا تخيب فيك قصده

وقال
ترتجى فى النوائب الاخوان * هم لدى كل شدة أعوان

فنذكرهم لعاوكذلك غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب فى حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طلبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم بن العباس اجتازبه يريد خراسان والمامون بها وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضى وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة فسألته أن ينسخها الى ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلنى وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر على فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست بيمين السلطان عندك يمينا لانك رافضى فقلت له تاذن لى فى الدنو منك فاذن لى فقلت ليس مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر وهاهو والمتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ماجرى سوى الرفض والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به وأخبرته بالشعر فوالله ماهو الا أن قلت ذلك له حتى سقط فى يده ثم قال أحضر الدفتر الذى بخطى فقلت له هيهات لا والله أو توثق لى بما أسكن اليه أنك لا تطالبنى بشئ

مما جرى على يدى وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فحلف لى على ذلك وخرق العمل المعمول واحضرته الدفتر فوضعه فى خفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة * ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها فى الكتاب الاوسط فمما استحسن من فصوله وان كانت كلها فى نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه

فاذا المحيشاركوا فسواء * هم والاعداء كيفما قد كانوا

وقال

انصر أخاك على علاته أبدا * تهب وتسلك سبيل العز والظفر

ولا تدعه الى الاشمات مطرحا * فان ذلك عين الذل والصغر

وقال

من عز كانت له الايام خادمة * تريه آماله فى كل ماحين

ومن يهن أولغت فيه المدى وأرت * له النوائب فى أثوابها الجون

وقال

خل المنجم يهذى فى غوايته * واقصد الى الله رب النجم والفلك

لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا * يخالف النجم الا انه فى درك

وقال

حماية المرء لمن يصحب * تدل أن أصله طيب

لا خير فيمن لا يرى ناصرا * صديقه وهو له ينسب

وقال

يا عاتبا من لا له همة * ألا اتئد الى متى تعتب

هل يسمع الميت أو يبصر الاعمى محال كل ما تطلب

وقال وقد بما غذت المعصية أبناءها فحلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى اذا رتعوا فامنوا وركبوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما ففجرت مجارى ألبانها منهادما وأعقبتهم من غذائها مرا وخطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا واباحة وقسرا وقل من أوضع فى الفتنة مرهجا فى لهبها ومتقحما عند ضلالها الا استقعمته آخذة بمخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزا ولا جله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان فمما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها فن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستدام دماؤها * حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب فى الحقوق فناؤها وقوله ولكن الجواد أباهشام * وفى العهد مأمون المغيب وقوله ومن ذخرت زمانى * شنأت فى الخلان ومن ذخرت لنفسى * فعاد ذخر الزمان لو قيل لى خذ أمانا * من أعظم الحدثان لما أخذت أمانا * الامن الاخوان وقوله واذا جزى الله امرأ بفعاله * فجزى اخاك ماجدا اسمعا نبهته من كذبه فكأنما * نبهت اذ نبهته صبحا ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله تزيده الايام ان أقبلت * حزما وعلما بتصاريفها

كأنها في وقت اسعافها * تسمعه صوت تخاريفها   ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله
سقيا ورعيا الايام لنا سلفت * بكيت منها فصرت اليوم أبكيها كذاك أيامنا لاشك نندبها * اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها
وقوله أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا *
من كان يألفهم في المنزل الخشن   وقوله   لا تلمني فان همك أن تشــــرى وهمي مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت * كفاه من ذاق لذة الانفاق   وقوله أسد ضار اذا ماهجته * وأب بر اذا ما قدرا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا * يعلم الادنى اذا ما افتقرا   وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم
علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم في الارتقاء وكان ابراهيم يدعي خؤولة العباس بن الاحنف
الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضي عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال أنشدهم
ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف   ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجراني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب   فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع
القليل النظير ما سمعت كلاما أجزل منه في رقة ولا أسهل في صعوبة ولا أبلغ في انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله
أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فطوبى لمن أغنى من الليل ساعة * وذاق اغتماضا ان ذاك لناعم   وقوله   ٣٢٥   اصرف فؤادك يا عباس معتمدا *

وقال	لا يعرف الفضل لاهل الفضل * الا أولو الفضل من اهل العقل
	هيهات يدري الفضل من ليس له * فضل ولو كان من اهل النبل
وقال	لا تطلب المرء بما اعتدت من * أخلاقه والمرء في وهن
	تنتقل الاخلاق لاشك مع * تنقل الحالات والسن
وقال	لا تعامل ما عشت غيرك الا * بالذي أنت ترتضيه لنفسك
	ذاك عين الصواب فالزمه فيما * تبتغيه من كل أبناء جنسك
وقال	باعد الناس يوالوكا * واعتزل عنهم يهابوكا
	فاذا ما تصطفيهم * وقعوا فيك وعابوكا
وقال	اياك لا تخذل الصديقا * وارع له العهد والحقوقا
	نصرته ما قدرت عز * تمهد للعلا طريقا
	فلا تسامح به عدوا * وكن له ناصرا حقيقا

عنها وان متّ في حبها كمدا
لو أنها من وراء الروم في بلد ما كنت أسكن الا ذلك البلدا
يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا
وقوله
أغب الزيارة لما بدا له الهجر او بعض أسبابه
وما صد عنا ولكنه

طريد ملالة أحبابه (حدثنا) أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا الرياشي قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا
خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة
قال فلنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاي لما به يريد أن يوصيكم فلنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت
شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فاحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشا يقول
يا غريب الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد البكاء به * دبت الاسقام في بدنه
ثم أغمي عليه طويلا وانا لجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد
الطائر ثم قال   ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه   شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه
قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه و كفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا
الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني
قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم بن مخلد الكلبي سنة أربعين ومائتين وفي سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين نفى المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما
كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من

حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال فى ذلك وهو فى الشرق

أزيد فى الليل ليل * أم سال بالصبح سيل ذكرت أهل دجيل * وأين منى دجيل

وكان على بن الجهم السامى هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه واظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام وقد قدمنا فيما اسلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه وما قال الناس فى عقب سامة بن لؤى بن غالب وقول على بن محمد بن جعفر العلوى الشاعر

وسامة منا فأما بنوه * فأمرهم عندنا مظلم أناس أتونا بانسابهم * خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبى * وكل أقاويله محكم اذا ما سئلت ولم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وقول العلوى فيه أيضا لو اكتنفت النضر أو معدا * أو اتخذت البيت كفا مهدا * وزمزما شريعة ووردا

والاخشبين محضرا ومبدى * ما ازددت الا من قريش بعدا * أو كنت الا مصقليا وغدا

وانما أعدنا هذا الشعر فى هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب لما سنح لنا من ذكر على بن الجهم فى أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا الشعر على بن الجهم واجابته العلوى على هذا الشعر فكان ما أجاب به على بن الجهم لعلى ابن محمد بن جعفر العلوى لم تذقنى حلاوة الانصاف * وتعسفتنى أشد اعتساف

وتركت الوفاء علما بما فيـ * ـه وأسرفت غاية الاسراف ٣٢٦ غير أنى اذا رجعت الى حـ * ـق بنى هاشم بن عبد مناف

لم أجد لى الى التشفى سبيلا * بقواف ولا بغير قوافى

لى نفس تأبى الدنية والاشـ * ـراف لا تعتدى على الاشراف

وله فى الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله

قالوا حبست فقلت ليس بضائر * حبسى وأى مهند لا يغمد

أوما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد نقد

والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد والنار فى أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المستورد بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحفد

لو لم يكن فى الحبس الا أنه لا يستذلك بالحجاب الاعبد ومما أحسن فيه قوله

خليلى ما أحلى الهوى وأمره * وأعلمنى بالحلو منه وبالمر * بما بيننا من حرمة هل رأيتما *

أرق من الشكوى وأقسى من الهجر * وأفصح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجرى

ومما اختير من قوله حسرت عنى القناع ظلوم * وتولت ودمعها مسجوم

شرما أنكرت تصرم عهد * لم يدم لى وأى عهد يدوم أنكرت ما رأت برأسى وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم

قلت أولاهما علمت فقالت * آية يستثيرها المهموم هى عندى من الهموم التى يحـ * ـسن فيها العزاء والتسليم

ان أمرا أخنى على بشيب الـ * ـرأس فى ليلة لأمر عظيم ليس عندى وان تعزيت الا * طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره هى النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأكمل أخلاق الرجال التفضل

وقال حدث جليسك ما أصغى اليك فان * تراه يعرض فاقطع عنه وانصرف

خفف فقد يضجر الذى تجالسه * طول المقام أو التحديث فى سرف

وقال جماع الخير فى ترك الظهور * واظهار التواضع والبرور

وفى اضدادها من غير شك * جميع وجوه أنواع الشرور

وقال محبة الدرهم طبع البشر * فاقنع من المرء بما قد حضر

وقس على نفسك فى بذله * تقف على تحقيق عين الخبر

وقال لا يلم غير نفسه كل من قد * عرض النفس أن تهان فذلا

ينظر العاقل الامور فيأبى * أن يرى منه غير ما هو اولى

وقال اعذر الناس من أتته المضره * من أخ كان يرتجى منه نصره

مثل من غص بالشراب فكان الـ * ـهلك فيما رجاه يدفع ضره

وقال سلم تعش سالما مما يقال * من يعترض يعترض فى كل حال

ولا عار ان زالت عن المر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل
وما المال الا حسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله فى المتوكل ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يورد ها المر * ء ولكن سوابق الاقدار فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى * من تجافى عن الذنوب الكبار أو تعاقب فانت أعرف بالله وليس العقاب منك بعار
ومما جوّده قوله لما قيد فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها
فلا تجزعى اما رأيت قيوده * فان خلاخيل الرجال قيودها وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن
عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله
وكتب اليه الحمد لله شكرا * قلوبنا فى يديه صار الامير شفيعا * الى شفيعى اليه
وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم
أبو صاعد فقال أريقى الدمع واجتنبى الهجوعا * وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى * غدا بالشام مجدلا صريعا عزاء يا بنى جهم بن بدر * فقد لاقيتم خطبا فظيعا
اما والله لو تدرى المنايا * بما لاقيتم لبكت جميعا ثوى كهف الارامل واليتامى ٣٢٧ * ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى
وليثا دون حادثة منيعا
قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق فان تدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق
ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين
داريا ودمشق على ساعة من المدينة فى أعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر
المأمون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة * وذكر سعيد بن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل فى
مضربه بدمشق اذ شغبت الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمى بالنشاب وأقبلت
أرى السهام ترتفع فى الرواق فقال لى يا أبا سعد ادع لى رجاء الحضارى فدعوته فقال له يا رجاء أما ترى ما خرج اليه هؤلاء فما
الرأى عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا فى هذا السفر من مثل هذا فاشرت بما اشرت من تأخيره فقال امير المؤمنين
اليه فقال دع ما مضى وقل الآن مما حضر برأيك فقال يا أمير المؤمنين توضع الاعطية فقال له فهذا ما أرادوا وفيه مع ما خرجوا
اليه ما يعلم قال يا أمير المؤمنين مر بهذا فان الرأى بعده فأمر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال وبدئ بانفاقه
دخل رجاء فقال مر الآن يا امير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق فانهم لا يأخذون مما أخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك
الناس الاعطية حتى ان المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قد رأوا انهم يقتلون
المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون

وقد الفتى غافلا عن عيبه * لا يرتضى عذرا رباب الكمال
وقال تواضع المرء ترفيع لرتبته * وكبره ضعة من غير ترفيع
فى نخوة الكبر ذل لا اعتزاز له * وفى التواضع عز غير مدفوع
وقال اياك لا تنكر فضيلة كل من * تدرى فضيلته فترمى بالحسد
انكارها يجنى عليك تنقصا * ويزيده شرفا يديم لك الكمد
وقال انصر أخاك ما استطعت فانما * تعتز بالاخوان ما عز وا
من يخذل الاخوان يخذل نفسه * ويهن وماله سوانه عز
وقال اذا جزاك بسوء من أسأت له * فذاك عدل وما فى العدل من زلل
جزاء سيئة بالنص سيئة * لا حيف فى ذاك فى قول ولا عمل
وقال نفس وشيطان ودنيا والهوى * يا رب سلم من شرور الاربعه
أنت الخلاص من رجالك وانى * أرجوك فيما أتقى أن تدفعه

فيها ان بغا دبر ان يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وأنا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا ما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحى كذا ونواحى كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته فى هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن ان يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التى ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التى ذكرت فأخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك ان ما كتب له حق فاقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند ٣٢٨ المتوكل على خلاف ذلك وقد دهاهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد أبت نفسى مكانك منى ورأيت أن أقلدك هذا الصقع واقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرنى بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة فى ذلك الى أن تمت الحيلة* قال ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركى من وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له يا باغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك وانى قد صرت عندك فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبته وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لى ما شئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على عملى وعمل على قتلى وسفك دمى وقد صح عندى ذلك منه قال فتريد منى ماذا قال أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتى فى الارض فاذا أنا وضعتها فى الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد فى نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعى بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن أنه نسى فغمزه بعينه أى افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم أنى فكرت فى أنه حدث وانه ولدى وقد رمت أن استخلصه هذه المرة فقال له يا باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفنى كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ما شئت حتى أفعله قال أخى وصيف قد صح عندى انه يدبر على وعلى رفقائى وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عول على أن يقتلنا ويفنينا ويتفرد بالامور قال فماذا تريد أن تصنع به قال أفعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذى يكون معى قاعدا عليه فاذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار

وقال

لا تعظم يا أخى نفسك ان شئت السلامه
من يعظم نفسه يجن امتهانا وملامه
فتواضع تلق عزا * واحتفاء وكرامه

وقال

دع لذة الدنيا فمن يبتلى * بحبها ذاق عذاب السموم
لذاتها حلم وأيامها * لمح ولكن كم لها من هموم
محبة الدنيا هلاك فمن * يرومها أهلكه ما يروم

وقال

كل خل بعدما انت تخطى * لا تعول على صفاء وداده
انما الخل من تناسى خطايا * ك ويبقى له جميل اعتقاده

وقال

من عامل الناس بالانصاف شاركهم * فى مالهم وأحبوه بلا سبب
انصافك الناس عدل لا تزال به * تعلو الى أن ترى فى أرفع الرتب

وقال

قل جميلا ان تكلمت ولا * تقل الشر فعقبى الشر شر

وصيف الى بغا احضر باغر وقام مقام المستعد فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر انى فكرت فى أنه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ووصله وأعطاه ثم انه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك قال قلبى على ما تحب فقل ما شئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندى أنه على ايقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا واريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه وقال هذا لا يجىء منه شئ قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوى لكم شئ ويقتلكم أبوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبى أيسر من ذلك فقال له ويحك وتفعل هذا وتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له فادخل أنت فى اثرى فان قتلته والا فاقتلنى وضع سيفك على وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ انه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل * وفى سنة سبع واربعين توفيت شجاع ام المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك فى شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة اشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين *وكان مولده بفم الصلح حدث البحترى قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا امر السيوف فقال بعض من حضر بلغنى يا امير المؤمنين انه وقع عند رجل من اهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب

عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من اهل اليمن فامر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من امره وانتضاه فاستحسنه وتكلم كل واحد منا بما يحب وجعله تحت ثنى فراشه فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لى غلاما اثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على راسى لا يفارقنى فى كل يوم ما دمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى اقبل باغر التركى فقال الفتح يا امير المؤمنين هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما اراده امير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وامره بما اراد وتقدم ان يزاد فى مرتبته وان يضعف له الرزق قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا اخرج من غمده من الوقت الذى دفع اليه الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف قال البحترى لقد رايت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجبا وذلك أننا تذاكرنا امر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عزوجل ثم اخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته وراسه وقال انما انا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحترى فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على راسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما بقى احد سمع هذا الصوت من مخارق غيرى وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحترى فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه قبيحة فقال له الرسول يا امير المؤمنين تقول لك قبيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه

من يفعل خيرا ينل خيرا ومن * يفعل الشر اذا يخشى الضرر

وقال

اذا التأمت امورك بعض شئ * بارضك فاستقم فيها ولازم
فما فى غربة الانسان خير * وما بالغربة الدنيا تلازم

وقال

الى متى تسرح مرخى العنان * قل يا أخى حتى متى ذا الحران
ارجع الى الله وخل الهوى * فما الهوى يا صاح الا هوان
قد أنذر الشيب فهل سامع * أنت فصغ للذى قد أبان

وقال

من يكفر النعمة لا بد أن * يسلبها من حيث لا يشعر
ومن يكن يشكرها معلنا * دامت له نامية تكثر

وقال

اعذر أخا الفقر فى أن * يضيق ذرعا بنفسه
الفقر موت ولكن * من للفقير برمسه
ان الفقير لميت * ما بين أبناء جنسه

دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كأنه دبقي من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فاني على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه الى طرفه قال فأخذه ولفه ودفعه الى خادم قبيحة الذي جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفني الى عند وفاتي فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم تبرق في ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فأخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحتري فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا في البساط الذي قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل ٣٣٠ فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحدا من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثير من الفراغنة والاشروسنية الى أن كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه في هذا الموضع اذ كان أحسن ألفاظا وأقرب مأخذا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اكثاره في هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه في اليوم الذي قتل فيه فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كأني أجد حركة الدم فاحتجم في ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا الجاهل المغرور فهي دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآلام فعزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب ولا يبقى الا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفي ذلك يقول البحتري في غدر المنتصر بابيه وقتله به من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره * فمن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذي مضى * ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وايام الشباب وقد اخذ هذا بعض الشعراء

وقال كما تدين أنت يا صاحبي * تدان فاعمل عمل الفاضل
أنت كما أنت نخل الذي * يزين النفس من الباطل
وأين أنت ثم أنت ادرذا * حسبك فاحذر زلل العاقل
وقال مالك ما أنفقته قربة * لله والباقي حساب عليك
فقدم المال ترد آمنا * من بعده وهو ثواب لديك
وقال دع مدح نفسك ان أردت زكاءها * فبمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها يزيد علاؤها * والعكس فانظر رأيك أحوط
وقال ذو النقص يصحب مثله * فالشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل كيما * تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك اذا * يكسب طيبا محله
وقال من عيني المرء يبدو ما يكتمه * حتى يكون الذي يرعاه يفهمه

فقال قربك أشهى موقعا عندنا * من لين السعر وأمن السبيل ومن ليالى الحب موصولة * بطيب أيام الشباب الجميل

(قال المسعودى) وقد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها فى أيام المتوكل ويقال انه أنفق على الهارونى والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفى بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد فى صناعته فى جد ولا هزل الا وقد حظى فى دولته وسعد بايامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد بن ابى عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة ان يسقى الحسن كاسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فانشأ يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر * من الورد يسعى فى قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة * من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فأسرع وذكر فاوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى أنه لما أتى بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وانت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لى فيك لظنين أسبقهما الى قلبى أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى * أمام الهدى والعفو بالحر أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة * فمن لى بفضل منك والمن أفضل
لانك خير السابقين الى العلا * وانك خير الفعلتين ستفعل

فقال المتوكل أفعل خيرهما وأمن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فمن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له

عبيد أمير المؤمنين قتلنه * وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم صبرا فكل مصيبة * سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن يزيد المهلبى من قصيدة طويلة

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يصغ مثله نور ولا جسد

وفيه يقول بعض الشعراء

سرت ليلا منيته اليه * وقد خلى منا عمه وناما
فقالت قم فقام وكم أقامت * اخا ملك الى هلاك فقاما

وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا اساءت اليه بعد احسان
اما رأيت خطوب الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله اهدى اليه الناس على أقدارهم واهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف

ما يضمر المرء يبدو من شمائله * لناظر فيه يهديه توسمه

وقال
انما الدنيا خيال * وأمانيها خبال
حبها سكر ولكن * وصلها مالا ينال
فتنزه عن هواها * فهوى الدنيا ضلال

وقال
قلما يؤذيك من لا يعرفك * فتحفظ من صديق يالفك
لا تثق بالود ممن تصطفى * كم صديق تصطفيه يتلفك

وقال
لا تضجرن فى الامور وارض بما * يقضى به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لا مرد له * فما يفيد العناء والتعب

وقال
تنزه عن دنيات الامور * وخذ بالحزم فى الامر الخطير
فاشراف الامور لها جمال * وخطر فى البهاء وفى الظهور
وفى سفسافها لاشك وهن * وتهوين يشين مدى الدهور

وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال علي فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا علي دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك جعفر افما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فقلت يا سيدي أنا وحدي أو أنا ومحبوبة قال لا بل انت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتني الى القول ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تاذن لي فاذن لها فغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا * لئن اودعت خطا من المسك خدها

لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا * فيا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما اسر واجهرا

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المستهلات جعفرا قال علي وتغلت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر قال فقال لي المتوكل ويلك يا علي ما امرتك به فقلت يا سيدي اقلني فوالله لقد عزب عن ذهني فلم يزل يضرب به على رأسي و يعيرني به الى أن مات قال علي ودخلت اليه أيضا لا نادمه فقال لي ويلك يا علي علمت اني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وأنفت من كلامها فقلت يا سيدي ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور أمير المؤمنين ويمد في عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر

برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك يا علي اني رأيت البارحة في النوم أني قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لا أدري ما هي فقال لي قم ويلك حتى ننظر ماهي فقام حافيا وقد اتبعته حتى قربنا من مقصورتها فاذا هي تخفق عودا وتترنم بشئ كأنها تصوغ لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور في القصر لا أرى احدا * أشكو اليه ولا يكلمني حتى كأني اتيت معصية

ليس لها توبة تخلصني * فمن شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره وصارمني قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه فدخل اليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهي ثالثتنا قال علي فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فامر بهتك الستارة وأمر بالقينات فاقبلن يرفلن في الحلي والحلل واقبلت محبوبة حاسرة من الحلي والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غني قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وامر بالعود فوضع في حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود في حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

اي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا * ملك قد رأيته * في نجيع معفرا

كل من كان ذا خبل * او سقيم فقد برا * غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى

لاشترته بما حوته يداها لتقبرا قال فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان آخر العهد بها (قال المسعودي) ومات في خلافة المتوكل جماعة من اهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم علي بن جعفر

وقال
من يبتلى من أهله بمنغص * يصبر فما أحد بغير منغص
من أزمنت بالوجه منه قرحة * يعزم على ضرر بشين مخصص

وقال
من كان في عزته داره * وكرر المشي الى داره
قبل يدا تعجز عن قطعها * ولن لمن تخشى من اضراره

وقال
لا تبتغ النعمة من جائع * لم يرها قبل لآبائه
لا يرشح الاناء ما لم يكن * ملآن قد أفعم من مائه

وقال
مروءة المرء رأس ماله * وصونه أشرف اعتماله
من لم يصن نفسه تردى * وزال عن رتبة اكتماله

وقال
ترك المطامع عزه * واليأس أهنى وأنزه
هيهات يعتز من * أضحى للاطماع نهزه
نزاهة النفس عز * ماذل من يتنزه

وقال

المدائنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها ابن المدينى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التى قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفى هذه السنة مات أبو الربيع بن الزهرى وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها يحيى بن معين فمنهم من رأى ماقدمنا فى هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر انه مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بابى زكريا مولى بنى مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا بالمدينة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة أبى الحسن على بن محمد المدائنى الاخبارى وقيل مات فى أيام الواثق فى سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك بن عبد العزيز * وفيها مات الجمانى الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بابى عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفى خلافة المتوكل مات هند بن خالد وسفيان بن فرج الايلى وابراهيم بن محمد الشافعى وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائتين * وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسى بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسى وعبيد الله بن معاذ العبدى * وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضى الكندى صاحب أبى يوسف وقد قيل ان فى هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسى * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن ابى شيبة الكوفى بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدرى * وفى سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفرى وعبد الواحد بن عتاب * وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقى وحميد بن مسعود الناجى

وعبد الله بن معاوية الجمحى وفيها مات يحيى بن أكثم القاضى فى الربذة ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب * وفى سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصى وعنبسة ابن اسحق بن شمر وموسى ابن عبد الملك (قال المسعودى) وللمتوكل اخبار وسير حسان غير ما ذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار فى كتابنا فى اخبار الزمان والله الموفق للصواب

وقال
تعظيمك الناس تعظيم لنفسك فى * قلوب الاعداء طرا والاوداء
من يعظم الناس يعظم فى النفوس بلا * مؤنة وينل عز الاعزاء

وقال
اقنع من الناس بمقدار ما * يعطون لاتبتغ منهم مزيد
حسبك من كل امرئ قدر ما * يعطيك فالاطماع ماان تفيد

وقال
لن اذا كانت الامور صعابا * وتواضع لها تجدها قرابا
دار من شئت تنتفع منه واترك * صولة الكبر فهى تجنى عذابا
لاتكن تاخذ الامور بعنف * من يعانى الامور بالعنف خابا

وقال
سامح الناس ان أساؤا اليكا * وتغافل اذا تجنوا عليكا
ماترى كيف أنت تعصى ومولا * ك يزيد الانعام دأبا لديكا

وقال
اغتنم ساعة انس * وانس ما كان بامس
ليس للمرء من دنيـ * ـاه سوى راحة نفس

(ذكر خلافة المنتصر بالله)

وبويع محمد بن جعفر المنتصر فى صبيحة الليلة التى قتل فيها المتوكل وهى ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين ويكنى بابى جعفر وأمه ام ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى احدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان واربعين ومائتين وكانت خلافته ستة اشهر *

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) *

كان الموضع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضع الذى قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه فى الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبى العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية فى خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش ببساط سوسنجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كانه ينطق فقرأت الكتابة فاذا هى صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بى النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق الى

مجالس وصيف وبغا وهما فى الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذى عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشا ستة أشهر بعدما قتلا فجزع وصيف من ذلك وقال على بايوب بن سليمان النصرانى خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش فى هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذى كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سالنى امير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من اثر الحادثة فقال ان الامر اشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام امير المؤمنين من مجلسه فخذه وأحرقه بالنار فلما قام احرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد ايام قال لى المنتصر افرش ذلك البساط الفلانى فقلت واين ذلك البساط فقال وما الذى كان من امره فقلت ان وصيفا وبغا امرانى باحراقه قال فسكت ولم يعد فى امره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب فى هذه الايام فدعا بدنان بن الحرث العوّاد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدى بالامام محمد * وما كنت اخشى أن يطول به عهدى
فاصبحت ذا بعد ودارى قريبة * فيا عجبا من قرب دارى ومن بعدى
رايتك فى برد النبى محمد * كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثانى يوم الاضحى ٣٣٤ وقد كان المنتصر صلى بالناس فى هذا العيد ومما غنى به من الشعر للمنتصر فى ذلك اليوم

رايتك فى المنام اقل بخلا
واطوع منك فى غير المنام
فليت الصبح بادولا نراه
وليت الليل آخر الف عام
ولو ان النعاس يباع بيعا
لاغليت النعاس على الانام

ومن شعر المنتصر ايضا مما غنى بحضرته

انى رأيتك فى المنام كانى
اعطيتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأنما * بتنا جميعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * بيدى اليمين وفى يمينك ساعدى
فظللت يومى كله متراقدا * لاراك فى نومى ولست براقد

وقد كان استوزر احمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نهى عبد الله بن خاقان وذلك أن احمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فاخرج رجله من الركاب فزج بها فى صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد * اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودى) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس فى وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته فى شئ من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به أن قال اضرطى والتقطى * واحسبى لا تغلطى فأخجلها ذلك فقطعها عما له قصدت فمضت من فورها الى المقتدر والسيدة فاخبرتهما بذلك فامر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكتاب بنى أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيئ الرأى فى والده وكان عاملا له فجاءنى مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب

من يكن حلف هموم * باع دنياه ببخس

وقال
حسبك الشئ يغطى قبحه * فتراه حسنا فى كل حال
لا يرى المحبوب الاحسنا * كان قبح فيه مع ذا أو جمال
حتم الحب على ذى الحب أن * لا يرى المحبوب الا فى كمال

وقال
يحسب الناقص أن الناس قد * غفلوا عن حاله فى ضعته
لا يرى الناقص الا أنه * كامل من نعته فى صفته
غلط المرء يغطى عقله * أن يرى النقص الذى فى جهته

وقال
أيام عمرك هذى * ساعاتها رأس مالك
فاحرص على الخير فيها * قبل أوان ارتحالك
فانما أنت طيف * تجتاب سبل المهالك

وقال
تجد الناس على النقص ولا * تجد الكامل الا من ومن
زمن

لاعمالكم فلانا وقد أمره في والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندي بعض أصدقائنا من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدي بذلك فاشتغلت عن جليسي الكاتب فاتكا على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا في هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فاستتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لى ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام فى البازهنج فضربه الهواء وركبته حمى هائلة فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال ياسيدى أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام فى البازهنج فقال له المنتصر أتخاف أن أموت رأيت فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وأنى أبقى فى الخلافة هذه المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة ❊ وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فاذن لها وأظهرته بسامرا ❊ وقد قيل ان الصنفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فاخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد ٣٣٥ أقبل فى القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون فقال قتلنى الله ان لم اقتلهم وافرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فاراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان فى المبضع وشرب شربة بعد ذلك فخلت قواه ويقال ان السم كان فى مبضع الطبيب حين فصده ❊ وقد ذكر ابن أبى الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبى جعفر قال رأيت فى نومى المتوكل والفتح بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل على فقال يا عبد الملك قل لمحمد بالكاس الذى سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على عيادته فسمعته فى آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض ❊ وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير المعروف راغبا فى الخير سخيا أديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق وكثرة الانصاف وحسن المعاشرة بما لم يسبقه خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبى طالب قبل خلافته فى محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالذريج بالمسير الى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وهدمه ومحو أرضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على هذا القبر فكل خشى العقوبة وأحجم فتناول الذريج مسحاة وهدم أعالى قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ماذكرنا الى ان استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبى طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل

	زمن الباطل وافى أهله ❊ وكذاك الناس أشباه الزمن
وقال	قل جميلا اذا أردت الكلاما ❊ تجتنب عزامهنا مستداما
	ان قول القبيح يورث بغضا ❊ وصغارا عند الورى وملاما
وقال	حسن الظن تعش فى غبطة ❊ ان حسن الظن من أقوى الفطن
	من يظن السوء يجزى مثله ❊ قلما يجزى قبيح بحسن
وقال	ان تبغ اخوان الصفاء فهم ❊ تحت التراب انتقلوا للقبور
	اخوانك اليوم كأزمانهم ❊ مشتبهون فى جميع الامور
وقال	ومستقبح من أخ خلة ❊ وفيه معايب تسترذل
	كاعمى يخاف على أعور ❊ عثارا وعن نفسه يغفل
وقال	من يبتغ الود من الناس ❊ يكن لما قالوه بالناسى
	اغض عن الناس تنل ودهم ❊ انك لاتغنى عن الناس

أبى طالب وأمر بردفدك الى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبى طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم وفى ذلك يقول البحترى من أبيات له

وان عليا لاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو * ل يوم التراهين دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى وكان من شيعة آل أبى طالب وما كان امتحن به الشيعة فى ذلك الوقت وأغريت بهم العامة

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم * حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم * لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى الملكه محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة

ثلاثة أملاك فاما محمد * فنور هدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه * شبيهك فى التقوى ويجدى كما تجدى
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة * تقى وفى بالوعيد وبالوعد
فاولهم نور وثانيهم هدى * وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقال

اعيت مع الناس الحيل * وبار فيهم العمل
فى أى وجه أملوا * يخيب منهم الامل
فآثر العزلة عنهم تنج من كل خاتل

وقال

لا ترج غير الله فى شئ تنل * ما تبتغيه وتكف كل مخوف
الله أعظم من رجوت فثق به * فهو الذى أعطى وأنجى من كفى

وقال

توسل الى الله فى كل ما * تحب بمحبوبه المصطفى
تنل ما تحب كما تبتغى * وحسبك جاها به وكفى

انتهى ما لخصت واخترت من الكتاب المذكور

وهذه نبذة من كتابه الابيات المهذبة فى المعانى المقربة فمن ذلك قوله

اكتم السر واجعل الصدر قبره * لا تبح ما حييت منه بذره
انت ما لم تبح بسرك حر * فاذا بحت صرت عبدا بمره

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا * بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون امامهم وكأنهم * زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى

لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا * وطائر سعد جعفر بن محمد
لمنتصر بالله أثبت ركنه * وأكد بالمعتز قبل المؤيد

وممن قال فى ذلك فأحسن القول وأجاد النظم من ادريس بن أبى حفصة

ان الخلافة ما لها عن جعفر * نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا قضى منها الخليفة جعفر * للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد * خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بايام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى فظلم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركى فكانت له مع الشارى حروب فاسر الشارى وأتى به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره احمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى أنه قال حين رضى عن الشارى ان لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول

هذا الامام المنتصر * والملك الحادى عشر * وأمره اذا أمر * كالسيف ما لاقى بتر * وطرفه اذا نظر * كالدهر فى خير وشر

وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منه له * وحدثنى أبو الحسن أحمد بن على بن يحيى المعروف بابن المديم قال حدثنا على بن يحيى المنجم قال ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف لقد رآنى يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتى وكنت أحب شراها فلم أزل أعمل الحيلة

على مالكها حتى أجابنى الى بيعها ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار فى وجهى وشغل القلب فقال لى أراك مفكرا فما قصتك فجعلت أزوى عنه خبرى وأستر قصتى فاستحلفنى فصدقته عن خبر الضيعة فقال لى المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فامسك عنى ولم يجبنى وتشاغل عنى ساعة ثم دعا بدواة و بطاقة ثم وقع فيها بشئ لا أدرى ماهو وأشار الى خادم كان على رأسه بما لم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلنى بالحديث وبطأ عنى الكلام الى أن اقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لى يا على اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لى بالثمن أو نصفه فاتيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى دارى استقبلنى وكيلى فقال ان خادم أمير المؤمنين صار الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الى وأخذ خطى بقبضهما قال فداخلنى من الفرح والسرور مالم أملك به نفسى ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الى البدرتين فحمدت الله تعالى على ما حباه لى ووجهت فى وقتى الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومى بتسلمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فما أعاد على حرفا ولا سألنى عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا

(قال المسعودى) وذكر الفضل بن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر فى أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريرى فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من فى المجلس أخبرنى عن أى شئ أعظم عند النفس فقدا وهى به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر ممن حضر ما أشد جولة الرأى عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط فى آذانهم ولوعات الحب نيران فى أبدانهم مع دموع المغانى كغروب السوانى وانما يعرف ما أقول من أبكته المغانى والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هدأ عزاء ولقد أحسن الذى يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

فكل قالوا وأكثر الخطب فى ذلك فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريرى يا صالح هل عشقت قط قال اى والله أيها الامير وان بقايا ذلك فى صدرى قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة فى أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج فى جواريها وتقوم فى أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى امر القصر اذ ذاك وكانت تمر بى فاحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فاطردت رسولى وهددتنى وكنت اقعد على طريقها لا كلمها فاذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن أحضرها وأزوجكها ان كانت حرة وأشتريها ان كانت امة فقال والله أيها الامير انى الى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر بأحمد بن الخصيب وسأله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا وكذا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لأمر الحرم بمدينة السلام فمضى الرسول وقد كانت أعتقتها

من يرد أن يعيش عيشا هنيئا * يتحفظ مما عسى ان يضره

وقال
عداوة العاقل مع عسرها * آمن من صداقة الاحمق
يمكن الاحمق من نفسه * عمدا ومن احبابه يتقى
لا يحفظ الاحمق خلا ولا * يرضاه للصحبة الاشفق

وقال
اذا أمعنت فى الدنيا اعتبارا * رأيت سرورها رهن انتحاب
بعاد عن تدان وافتقار * عن استغنا وشيب عن شباب
حياة كلها اضغاث حلم * وعيش ظله مثل السراب

وقال
من تره يسرف فى ماله * يتلفه فى لذة وانهماك
فذلك المغبون فى رأيه * يسلك بالنفس سبيل الهلاك

وقال
من لا يرى نفسه فى الناس قاصرة * عن الكمالات لم يكمل له أدب
ومن يكن راضيا عن نفسه أبدا * فذاك غر عن الآداب محتجب

وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين ان ازوجك قالت انما أنا امتك أيها الامير ومولاتك فافعل مابدا لك فاحضر صالحا وأملكه بها واصدقها عنه وأمهرها ثم خرج به فاحضر حوراء مر صصا وعركا مخلعا فنثره عليه واقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب التمار فى ذلك

منح الله أبا الفضل حياة لاتنغص * وتولاه فقد دبا * لغ فى الحب واخلص

عاشقا كان على التز * ويج للعقد تحرص * من هوى من شعرها يخضب بالحنا المعفص

فتراه عندما ينصل كالبرد المحرص * فهى من أصلح خلق الله فى النتاج المفحص

رزق الصبر عليها * فتأنى وتربص * شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص

قرنصت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص * أى حنظال لولا العرك والحور المرصص

لبثه قد جعل الامر اليها وتخلص * فابو الجوذن منها * حين يدنو يتقاص

وذكر ابو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر فى ايام امارته قد وجهنى الى مصر فى بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا معى فازعجنى السفر وقد علقها قلبى فاخذنى المقيم المقعد من حبها وندمت على مافاتنى من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهنى اليه وأديت اليه ماعملت حمد أثرى فيه وسالنى عن حاجتى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها فاعرض عنى وجعل لايزداد الاحدة وقلبى لايزداد الا كلفا وصبرى لايزداد الاضعفا وسليت نفسى عنها بغيرها فكانى أغريتها ولم تنسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى اليها وتحيلت اليه بندمائه وأهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات اولاده وجدته ام الخليفة أن يشتريها الى وهو لايجيبنى الى ذلك ويعيرنى بقلة الصبر وكان قدام أحمد بن الخصيب ان يكتب الى عامل مصر فى ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر اليها وسمع منها فعذرنى فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شانها فلما كان يوم من الايام استجلسنى وأمرها ان تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت انى أعلمه انى قد عرفتها حتى ظهر فى ما كتمت وغلب على صبرى فقال مالك ياسعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته انى سمعته منها وأنى استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اى والله ايها الامير وكنت اطمع فى صاحبته فاما الآن فقد ايست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف الى حياته فقال والله ياسعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله أنى مارأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شحوبة التبذل فهى لك فدعوت له بما أمكننى من الدعاء وشكره عنى من حضره من الجلساء وامر بها فهيئت وحملت الى فردت الى حياتى بعد أن اشرفت على الهلكة ولا احد عندى احظى منها* ومن ملاحات احاديث الملهين المجان ماذكره أبو الفضل بن ابى طاهر قال حدثنى احمد بن الحرث الخزاز عن ابى الحسن المدائنى وابى على الحرمازى قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على الخش الريب وكان من اشراف قريش ولم يذكر اسمه فشكا اهل مكة ذلك الى الوالى

آداب الانسان تحقيقا تواضعه * وجريه دائما على الذى يجب

وقال
يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لاشك يبدو

وقال
كل ماقد فات لاترده * فلتكن عن ذاك مصروف الطمع
ايعود الحسن من بعد الصبا * قلما اد برشئ فرجع

وقال
اغتنم غفلة الزمان وبادر * لذة العيش مابقيت سليما
امر هذى الحياة ايسر من أن * تقتدى فيه لائما وملوما

وقال
لاتغرنك صولة الجاه يوما * اوتظنن انها تتمادى
صولة الجاه لفح نار ولكن * كل نار لابد تلقى رمادا

وقال
تنح عن الناس مهما استطعت * ولاتك فى الناس بالراغب
من اعتمد الناس يشقى ولا * يرى غير منتقد عائب

فغر به الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فلقي بها حرفاءه من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم منى فقالوا واين بك وانت بعرفات فقال حماربدرهمين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد انك لصادق فكانوا ياتونه فكثر ذلك حتى افسد على اهل مكة أحداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى اميرهم فارسل اليه فاتى به فقال اى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال اصلح الله الامير انهم يكذبون على و يحسدونى فقالوا للوالى بيننا و بينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالى ان فى هذا لدليلا وامر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله واتاه امناؤه فقال ما بعد هذا شئ جردوه فلما نظر الى السياط قال ولابد من ضربى قال لابد يا عدو الله قال اضرب فوالله ما فى هذا اشئ باشد من ان يسخر بنا أهل العراق ويقولون اهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالى وقال لأضربك اليوم وامر بتخلية سبيله وترك التعرض له * (قال المسعودى) وللمنتصر بالله أخبار حسان واشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة و كذلك فى الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونحليه بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

وقال

لاتقل يوما أنا * فتقاسى محنا
من يعظم نفسه * يلق هوانا وعنا
شر ما ياتى الفتى * مدحه لو فطنا

وقال

الناس اخوان ذى الدنيا وان قبحت * أفعاله وغدا لا يعرف الدينا
يعظمون أخا الدنيا وان عثرت * يوما به أولغوا فيه السكاكينا

وقال

العدل روح به تحيا البلاد كما * هلاكها أبدا بالجور ينحتم
الجور شين به التعمير منقطع * والعدل زين به التمهيد ينتظم
يا قاتل الله أهل الجور كم خربت * بهم بلاد وكم بادت بهم أمم

وقال

اليأس أسلى وأغنى * من نيل ما يتمنى
يسلو أخو اليأس حتى * يهنا ولا يتعنى
لليأس برد فمن لم * يذقه لم يتهنا

(ذكر خلافة المستعين بالله)

و بويع أحمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين ويكنى بابى العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة اشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) واستوزر المستعين بالله ابا موسى اوتامش وكان المتولى لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد ان قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركى تعصبت الموالى وانحدر وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فانزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك فى المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لا امر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط وفى المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالاله * كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا فى فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله أشعار كثيرة حسان فمما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت اخوفه بالدعاء * واخشى عليه من المأثم
فلما اقام على ظلمه * تركت الدعاء على الظالم

وقوله اسيدتى مالى اراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يسترىدها * فاصبحت كالدنيا تذم صروفها
وتتبعها ذما ونحن عبيدها وقوله الله يعلم والدنيا مولية * والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وان هاجت لجمعته * عليك أخوف فى قلبى من الاجل وكنت أفرح بالدنيا ولذتها
واليأس يحكم للاعداء فى الامل وقوله وما كان حبها الاول نظرة * ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى * يسلى عن الدنيا اذا ما تولت وقوله كأن انحدار الدمع حين تجيله
على خدها الريان در على در الا أن سعيدا على ما وصفناه عنه من الادب كان يتنصب و يظهر التسنن والتحيل وظهر عنه
الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء
ما رأينا لسعيد بن حميد من شبيه * ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه * انه لزنديق مستو * ل على دين أبيه
وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير
رأس من يدعى البلاغة منى * ومن الناس كلهم فى حرامه * وأخونا ولست أعنى سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط
وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه لا يزال يأتى بالبيت النادر والمثل السائر الذى لا يأتى به غيره وكان ابن ميادة
بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ويحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه فى وقته ودون البحترى ٣٤٠

فمن مشهور شعره قوله فى
المعلى بن أيوب
لعمر أبيك ما نسب المعلى
الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعى الهشيم
ومما استحسن له من شعره
قوله
اذا ما اغتدت طلابة العلم ما لها
من العلم الا ما يخلد فى الكتب

وقال اذا عظمت نفس امرئ صار قدره * حقيرا وحيث احتل فالذل صاحبه
يسود ويعلو ذو التواضع دائما * و يحظى كما يرضى وتقضى مآربه
وقال ودمن يصطفيك للنفع زور * والجميل الذى يربك غرور
انما الودود من ليس يخشى * فيك عن يلوم أو من يضير
وقال اشكر لمن والاك معروفا * تكن بفضل النفس معروفا
شكر أخى المنة عدل فكن * بالعدل مهما اسطعت موصوفا
من يكفر الاحسان لا بد أن * يلفى عن الاحسان مصروفا
وقال حسب الانسان ماله * وهو فى الدنيا كماله
يحجر الفقر أخا الحلم وان طال احتماله
عزة المرء غناه * وبه تحسن حاله
وقال لا تصاحب أبدا من * عقله غير متين

غدوت بتشمير وجد عليهم * فعبرتى سمعى ودفترها قلبى ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج ان
خوجنا نبتغى مكة حجاجا و عمارا فلما شارف الحيرة داعى ابلى حارا فقلت احطط بها رحلى * ولا تعبأ بمن حارا
فصادفنا بها الهوا * وبستانا وخمارا وظبيا عاقدا بين النقا والخصر زنارا فظنك بالخلفا * ان أشعلتها نارا
وظهر فى هذه السنة وهى سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن
اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى
بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما كان فى نفوسهم من المحبة له لانه استفتح أموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ
شئ من أموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من
الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنؤنه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله
ابن جعفر بن أبى طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت أقعد نسبا فى آل أبى طالب
وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد
أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار النبى صلى الله عليه
وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يا بنى طاهر البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فأمر ابن طاهر

بانزاله لما رأى من الناس وما هم عليه وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى يا بنى طاهر كلوه وبيا * ان لحم النبى غير مرى ان وترا يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حرى وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر باشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله وما رثى به من الشعر فى الكتاب الاوسط ومما رثى به ما قاله فيه أحمد بن أبى طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودع * اذا ما مضى آل النبى فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم * وأضحت عروس المكرمات تضعضع
أتجمع عين بين نوم ومضجع * ولابن رسول الله فى الترب مضجع
فقد أقفرت دار النبى محمد * من الدين والاسلام فالدار بلقع
وقتل آل المصطفى فى خلالها * وبدد شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى * نفوسهم أم المنون فتتبع
بنى طاهر واللؤم منكم سجية * وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم فى الترك غير قواطع * ولكنها فى آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم * وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شرع * وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع فى دار آل محمد * وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتم بان الله يرعى حقوقكم * وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده * وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ويقتل قاتل * ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

قال وكان يحيى دينا كثير التعطف ٣٤١ والمعروف على عوام الناس بارا بخواصهم واصلا لاهل بيته مؤثرا لهم على نفسه مثقل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن لم تظهر له زلة ولا عرفت له خزبة ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملى والدنى وفى ذلك

ان نقص العقل داء * يتقى مثل الجنون
صحبة الاحمق عار * لاحق فى كل حين

وقال
وافق الناس ان أردت السلامه * ان روح الوفاق روح كرامه
من يوافق يعش هنيئا قريرا * آمنا من أذية وملامه
فتوق الخلاف واحذر أذاه * فركوب الخلاف عمدا ندامه

وقال
ظلمات الخطوب مهما ادلهمت * يجلها كالصباح فجر انفراج
أرح النفس لا تبت حلف هم * كم هموم فيها السرور يفاجى

وقال
من لم يكن يقصد أن يحمدا * يعش هنيئا و ينل أسعدا
من يبتغى المدحة لا بد أن * يلحقه الذل وأن يجهدا
عيش الفتى فى ترك تقييده * وموته البحت اذا قيدا

وقال
قل لاهل الحاجات مهما ابتغوها * حسبكم ما أتى من التنبيه

يقول بعض شعراء عصره وممن جزع على فقده

بكت الخيل شجوها بعد يحيى * و بكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا * و بكاه الكتاب والتنزيل
والمصلى والبيت والركن والحجر جميعا لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا * يوم قالوا أخو الحسين قتيل
و بنات النبى يندبن شجوا * موجعات دموعهن تسيل
و يؤبن للرزية بدرا * فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الاعادى * بابى وجهه الوسيم الجميل
وليحيى الفتى بقلبى غليل * كيف يرضى بالجسم ذاك العليل
قتله مذكر لقتل على * وحسين ويوم أوذى الرسول
فصلاة الاله وقفا عليهم * ما بكى موجع وحن ثكول

وكان ممن رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر وكان ينزل بالكوفة فى حمان فاضيف اليهم فقال

يا بقايا السلف الصا * لح والتجر الربيح
نحن للايام من بين * قتيل و جريح
خاب وجه الارض كم غيب من وجه صبيح * آه من يومك ما أو * داه للقلب القريح

وفيه يقول تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى * وما كان لولا شلوه يتضوع مصارع فتيان كرام أعزة * اتيح ليحيى الخير منهن مصرع وقوله انى لقومى من احسابى قومكم * بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف

ثم أغلق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف   وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا وهو أخو اسمعيل العلوى لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم يمض اليه ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب الهاشميين وكان على بن محمد الحمانى مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسال عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه على بن محمد بجواب مستقتل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعرا لا يقدم على مثله من يرغب فى الحياة

قتلت أعز من ركب المطايا * وجئتك أستلينك فى الكلام
وعز على أن ألقاك الا * وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح اذا أهيضت * قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست أنكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير أب * لابنى على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أنملة * ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا ٣٤٢ أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به على بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى بن عمر فاجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه * لما كان وقافا غداة التوقف
فان مات تلقاء الرماح فانه * لمن معشر يشنون موت الترف
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم * على سنن منهم مقام المخالف
لهم معكم اما جدعتم انوفكم * مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا فى الشيب

قد كان حين علا الشباب به * يقق السوالف حالك الشعر
وكانه قمر تمنطق فى * أفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله * فلك العلا وقلائد السور
من اسرة جعلت مخايلهم * للعالمين مخايل النظر
تتهيب الاقدار قدرهم * فكانهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته * فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة فى أخيه

هذا ابن أمى عديل الروح فى جسدى * شق الزمان به قلبى الى كبدى
فاليوم لم يبق شئ أستريح به * الا تفتت أعضائى من الكمد
أو مقلة بحياء الهم باكية * أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد * نام الخلى ولم أهجع ولم أكد
من لى بمثلك يا نور الحياة ويا * يمنى يدى التى شلت من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة * تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها * على القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا * وللمنية من أحببت فاعتمدى
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد

ان تريدوا الحاجات من غير بطء * فاطلبوها عند الحسان الوجوه

وقال

خذ الامور برفق واتئد أبدا * اياك من عجل يدعو الى وصب
الرفق أحسن ما تؤتى الامور به * يصيب ذو الرفق او ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه * كما يشاء بلا أين ولا تعب

وقال

من يبتغى السودد لابد أن * يرهقه الجهد فلا يضجر
يصعب ادراك المعالى فمن * يرم لحاق بعضها يصبر
لا يحصل السودد هينا ولا * يظفر بالبغية الاجرى

وقال

عاش فى الناس من درى قدر نفسه * ثم دارى جميع ابناء جنسه
علم الانسان قدره نيل عقل * وذكاء يبين عن فضل حدسه

وقال

عظم الناس تنل تعظيمهم * واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يرى الناس بتحقير يكن * عندهم مؤذى حقيرا أبدا

وكانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد ومازالت فى يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله الثتار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا من سائر ما يجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم وظهر فى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور الى محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ودعا الى الرضا من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى

وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن بن أحمد ابن محمد بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد ابن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فأخرها الصغر سنه وكان عيسى ابن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين واحتاش أهله * من الموقف الدحض الذى مثله يردى

فول ابنك العباس عهدك انه * له موضع واكتب الى الناس بالعهد

فان خلقته السن فالعقل بالغ * به رتبة الشيخ الموفق للرشد

فقد كان يحيى أوتى العلم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فرأيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث والخير وافد والستر مسبل اذ قال كانى أشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدى باردة قال يا غلام هات رغيفا وخلا وملحا فأكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال يا أبا العباس كانى جائع فما ترى أن آكل قلت مثل ما أكلت البارحة فقال أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كانى

لا يغرنك اهمال امرئ * ربما يؤذى الذباب الاسدا

وقال

حب الرياسة ياله من داء * كم فيه من محن وطول عناء

طلب الرياسة فت أعضاد الورى * واذاق طعم الذل للكبراء

ان الرياسة دون مرتبة التقى * فاذا اتقيت علوت كل علاء

وقال

لا تركنن الى بشر * ان شئت تأمن كل شر

ذهب الذين اذا ركنت لهم امنت من الضرر

لم يبق الا شامت * او من يضر اذا قدر

وقال

خل راى الجهال ما اسطعت واتبع * راى اهل الحلوم والتجريب

لا تحيدن عن مشورة فى مهم * فهى مما تنمى حياة القلوب

راى اهل الصلاح نور يجلى * ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

وقال

لا يرتضى بالدون الا امرؤ * مقصر ذو همة خامله

أشتهي الطعام وقلت الليلة كأني جائع وبينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لي صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أو منظوما قال لا بل منثورا قلت أطيب الطعام ما لقي الجوع بطعم وافق شهوة قال فما أطيب الشراب قلت كأس مدام تبرد بها غليلك وتعاطى بها خليلك قال فأي السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فأي الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فأي النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فأي الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذي اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يا بشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع مني مائة دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتي دينار فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الري الا جمعة

*وكان المستعين حسن المعرفة بايام الناس وأخبارهم لهجا بأخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا في أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبي طالب وغيرهم من الانصار فاقمنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت ايأذن أمير المؤمنين في الكلام قال ذلك اليك فشرعت معه فيما قصد اليه وتسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم في أخبار الناس ثم انصرفنا واقيم لنا الانزال والافضال فلما كان في أول الليل أتانا خادم ومعه ٣٤٤ عدة من الاتراك فرسان فحملت على جنيبة كانت معهم وأتى بي الى المستعين فاذا هو جالس في الجوسق فقربني وأدناني ثم أخذ بعد أن أنسني في أخبار العرب وأيامها وأهل التتيم فانتهى بنا الكلام الى اخبار العذريين والمتيمين فقال ما عندك من أخبار عروة بن حزام وما كان منه مع عفراء فقلت يا أمير المؤمنين ان عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصبابة اليها فمر به ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم

ألا أيها القصر المغفل اهله * نعينا اليكم عروة بن حزام

ففهمت صوته وأشرفت عليه وقالت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام

فاجابها رجل من القوم فقال

نعم قد تركناه بارض بعيدة * مقيما بها في سبسب وآكام

فقالت لهم

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بان قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك لذة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى شريفا كمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

ثم سالتهم أين دفنوه فاخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته قالت أنزلوني فاني أريد قضاء حاجة فانزلوها فانسلت الى قبره فاكبت عليه فما راعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذا هي ممتدة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال فقال لي فهل عندك من خبره غير ما ذكرت قلت نعم يا أمير المؤمنين هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي عن الهيثم بن عدي بن عروة عن أبيه قال بعثني عثمان بن عفان مصدقا في بني عذرة في بلاد حي منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا ببيت جديد منحاش عن الحي فملت اليه فاذا بشاب قائم في ظل البيت واذا عجوز جالسة في كسر البيت فلما رآني ترنم بصوت ضعيف يقول

الموت خير من حياة الفتى * مهتضما ذا رتبة سافله
روح حياة المرء في عزه * من ذل مات الميتة العاجله

وقال

استغن عمن تشاء * فالله يغنيك عنه
من أمل الناس يشقى * وليس يقنع منه
فان ظفرت بحر * فاحفظ عليه وصنه

وقال

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا * لا تبغ ازيد واحذر ان يجفوكا
من يبغ مقدار الذي يحتاجه * من اخيه يبق مخيبا متروكا
شان الالى رزقوا الحجا أن يقنعوا * فابغ القناعة انها تغنيكا

وقال

هن اذا عز اخوكا * واخش ان يقرض فيكا
ان من عاند أقوى * منه قد ضل سلوكا
نقص عقل أن تعادى * بشرا الا يتقيكا

وقال

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى فقالا نعم نشفى من الداء كله
وقاما مع العواد يبتدران فما تركا من رقية يعرفانها * ولا شربة الا بها سقيانى
وقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان فلهفى على عفراء لهفا كانه
على النحر والاحشاء حدسنان * فعفراء أحظى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتدانى
وانى لأهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان * ألا لعن الله الوشاة وقولهم
فلانة أضحت خلة لفلان ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت أيتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء
بيتك الا قد مات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت فى وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام
العذرى وأنا أمه والله ماسمعت له أنة من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول
من كان من أمهات باكيا أبدا * فاليوم انى أرانى فيه مقبوضا
تسمعيه فانى غير سامعه * اذا علوت رقاب القوم مفروضا
قال فاقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك الى ذلك قلت اكتساب الاجر فيه
والله قال فوصل الجماعة وفضلنى عليهم فى الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فن
ذلك ماحدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحاجب الجمحى القاضى ٣٤٥ قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال أخبرنى

أبو الهياج بن سابق النجدى ثم الثقفى قال خرجت الى أرض بنى عامر لالشئ الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله أبر هؤلاء عندى فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله فلما عرف أمره

وقال	تنزه ماحييت عن القبيح * وخالف من يرى رد النصيح
	وخذ بالحزم مهما اسطعت واحذر * من ان يلقيك حزمك فى فضوح
	فلا تعدل عن الحق التفاتا * لغير الحق من بعد الوضوح
وقال	لاتخف فى الحق لوما * صدقه ينجيك حتما
	ينجلى الحق ويبدو * نوره لايتعمى
	شأن ذى الحق اهتداء * واخو الباطل اعمى
وقال	عامل بجد جميع الناس تحظ به * وجنب الهزل ان الهزل يرديكا
	الجد احسن ماتبديه من خلق * والجد اشرف مافى الناس يعليكا
	من لازم الجد هابته النفوس ومن * يهزل يكن ابدا فى الناس مهتوكا
وقال	كفاك الله شر من اصطفيتا * وضر من اعتمدت ومن عرفتا
	جميع الناس موتى عنك الا * معارفك الذين لهم ركنتا

٤٤ ط ث وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه فكان يعض شفتيه ولسانه حتى
خشينا أن يقطعهما فلما رأينا ذلك خلينا سبيله فر فى هذه الفيافى يذهب اليه فى كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا
عاينه جافيا كل واذا اخلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فسألتهم أن يدلونى عليه فدلونى على فتى من الحى وقالوا
انه لم يزل صديقاله وليس يانس باحد سواه فسألته أن يدلنى عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندى الى أمس وأنا
ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيئا أتيتك به قلت أريد أن تدلنى عليه قال ان رآك يفر منك وأخاف أن يذهب منى
فيما بعد فيذهب شعره فابيت الا أن يدلنى فقال اطلبه فى هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستأنسا فانه يتهددك ويتوعدك
أن يرميك بشئ فى يده فاجلس كانك لاتنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب
به قال فخرجت اليه يومى فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خطا فادنوت منه غير منقبض ففر والله كما يفر
الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فاقبلت حتى جلست قريبا منه فمكثت ساعة وهو كانه نافر فلما
طال جلوسى سكن وأقبل يعبث باصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول
وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذار الماقد كان أوهو كائن وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى الا ان ماحان حائن قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه

حيث أقول   أبى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو * تكاد يدي تندى اذا ما لمستها
و ينبت في أطرافها الورق الخضر   عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر   قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد
فاصبته ففعلت فعلي بالامس وفعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت
هبوني امرأ ان تحسنوا فهو شاكر * لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح   فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا * فان الذي بيني وبينك صالح
قال فبكى وقال أنا والله أشعر منه حيث أقول   وأدنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث مالي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح   ثم ظهرت لنا ظبية فوثب في اثرها فانصرفت ثم عدت
في اليوم الثالث فلم أصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذي كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم ان الطعام على حاله ثم
غدوت مع أخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه في واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلادي
(قال) وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركي وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب
ما لم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا
دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن
ولم يكن يلبس على بدنه شيئا من الحديد فعذل في ذلك فقال رأيت في نومي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه

جماعة من أصحابه فقال لي يا بغا أحسنت الى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل قال الذي خلصته من السباع فقلت يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمري فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأتم أجله فقلت يا رسول الله خمس وتسعون سنة فقال رجل كان بين يديه ويوقى من الآفات فقلت للرجل من أنت قال أنا علي بن أبي

تحفظ من قريب أو صديق * وكن في الغير دهرك كيف شئتا

وقال
من كان يرغب عن أحبابه ويرى * تقريب اعدائه لاشك يهتضم
يدني العدو فلا تدنوه ودته * هيهات كل معاد قربه ندم
فاحفظ صديقك واحذر أن تعاديه * ان الصديق اذا عاديته يصم

وقال
جامل عدوك كي يلين حقده * فيكف بعض البغض من ايذائكا
واحفظ صديقك ما استطعت فانه * ادرى بطرق الضر من أعدائكا

وقال
اذا ظفرت بمن أخنى عليك فخذ * بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا
ان المسيء اذا جازيته ابدا * بفعله زدته في غيه شططا
العفو أحسن ما يجزى المسيء به * يهينه أو يريه أنه سقطا

وقال
قاتل عدوك بالفضائل انها * اعدى عليه من السهام النفذ
كسب الفضائل عدة تعليك في * رتب بها سبل السعادة تحتذي

فاحرص

طالب فاستيقظت من نومي وأنا أقول علي بن أبي طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك
الرجل الذي خلصته من السباع قال كان أتي المعتصم برجل قد رمي ببدعة فجرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة فقال لي
المعتصم خذه فألقه الى السباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت
الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمني قال فارتعدت ودخلتني له رقة وملئ
قلبي له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتي فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه
قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت أنا أعجمي وهو يتكلم بكلام عربي ما أدري ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان في
السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسي ووقيتك بروحي فاجهد أن لا تظهر
في أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر
الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه في ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق
به في الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودي) ولما انحدر المستعين ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك
والفراغنة وغيرهم من الموالي بسامرا واجمعوا على بعث جماعة اليه يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصاروا اليه عدة من وجوه

الموالى ومعهم البردو القضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ويسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فاجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فاعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم واياسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجمع الموالى على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين أسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت الكتب فى سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالى لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع

المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فاظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره فخاطبته العامة وعليه البردة فانكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله ابن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم وعلى أنه ينزل بمكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس فى حل من بيعته وعهودا يطول ذكرها وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عاجل فى نقضها فخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذ وافى مدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد بن طولون التركى وذلك قبل ولايته مصر وعلم بعجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بامر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطافت بنا الاتراك حولا محرما * وما برحت فى جحرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة * فلما بدت أبدت لنا لؤم غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت * تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة * وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردو القضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم

فاحرص على نيل الفضائل جاهدا * ان الفضيلة صعبة فى المأخذ

وقال
وعد الكريم وفاء * تجنيه كيف تشاء
ما حال قط كريم * ولا نشاه التواء
فأنجز الوعد مهما * وعدت فهو الزكاء

وقال
ليس الغنى عن كثرة العرض * ان الغنى فى النفس أن ترض
رأس الغنى ترك المطامع عن * زهد بلا ميل ولا غرض
فازهد تعش أغنى البرية فى * عز بلا هم ولا مضض

وقال
زمن الفضائل قد مضى لسبيله * ولوى بطيب العيش وشك رحيله
ركدت رياح الجد بعد هبوبها * وعلا فريق الهزل بعد خموله
هيهات ما زمن الكرام وما هم * ذهبوا وجد الدهر فى تحويله

وقال
مروءة المرء ثوبه * والعرى فى الناس عيبه

و كتب محمد بن عبد الله الى المعتز فى شاهك ان من أتاك بأرث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان فى جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا فى صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن فى عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى وجعل يبكى فلما اقترب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم أضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه * وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه فى هذا الكتاب وأوردناه فى هذا الباب قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما أوردنا فى هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهمها فانا بحمد الله لم نترك شيئا من أخبار الناس وسيرهم وما جرى فى أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا فى كتبنا أحسنه وفوق كل ذى علم عليم والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المعتز بالله)

بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثمانى عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا وبايعه القواد والموالى والشاكرية وأهل بغداد وخطب له فى المسجد الجامع ببغداد فى الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ودفن بسامرا فجملة أيامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذى خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر وتوفى وله أربع وعشرون سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

ولما خلع المستعين بالله وأحدر الى واسط بعد أن أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس فى حل من بيعته قالت فى ذلك الشعراء فأكثرت ووصفته فى شعرها فأغرقت فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة

الى واسط خلف الدجاج ولم يكن * لينبت فى لحم الدجاج مخالب

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكنانى من قصيدة

انى أراك من الفراق جزوعا * أمسى الامام مسيرا مخلوعا
وغدا الخليفة أحمد بن محمد * بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الايام تضحك زهرة * وهو المبيع لمن أراد بيعا
فأزاله المقدور من رتب العلا * فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر و يوم * ومات فى خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن يزيد الرفاعى وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمدانى بالكوفة وأحمد بن صالح المصرى وأبو الوليد السرى الدمشقى وعيسى بن حماد زغبة المصرى بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفى وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائتين * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة تسع

بثوبه المرء يعلو * قدرا ويحفظ قربه
من لم يصن ثوبه * لم يصن وان لاح شيبه

وقال

لا تصح ما بقيت حيا القول * ليس يجنى عليك الا المضره
واطرح ما أتاك منه وجنب * من يرى بالفضول واتق ضره

وقال

ثقيل تراه النفس فى العين كالقذى * وكالجبل الراسى على الصدر والقلب
تثير غموم المرء رؤية وجهه * وتشكو جفاه الارض شكوى ذوى الكرب

وقال

أما ترى الاشجار مصفرة * أوراقها كالشمس عند المغيب
ماهى الا صفرة آذنت * بأنها ترحل عما قريب

وقال

كل ما تحب وتشتهى * ودع الطبيب وما يرى
حفظ الغذاء مشقة * ليست ترد مقدرا
كم عذ من متحفظ * كم صح ممن قصرا

كل

وأربعين ومائتين كانت وفاة الحسن بن صالح البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان الجهني بالمصيصة والحسن بن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفي بسامرا ومحمد بن زنبور المكي بمكة وسليمان بن أبي طيبة وموسى ابن عبد الرحمن البرقي * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التميمي قاضي البصرة ومحمود بن خداش وأبو مسلم أحمد بن شعيب الحراني والحرث بن مسكين المصري وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في سنة ستة من كتابنا المترجم بالاوسط وانما ذكرنا من وفاة من ذكرنا لئلا نخلي هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالجبل وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص في أصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش في قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك الا مات قتيلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح اذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان في ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز حين ٣٤٩ استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت * والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له * وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحتري

لله در عصابة تركية * ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد * وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسما * وامامنا فيه شبيه الضيف

وفي المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير

آب أمر الاسلام خير مآبه * وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقرا قراره مطمئنا * آهلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وحده والتمس بالعفو عمن هفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في خلافة المعتز بالله وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع في جنازته جارية تقول ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد في داره بسامرا ودفن هناك حدثنا أبو الازهر قال حدثني القاسم بن عباد قال حدثني يحيى بن هرثمة قال وجهني المتوكل الى المدينة لاشخاص علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فأشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقد ذنب دابته فعجبت من فعله

كل التحفظ زائد * لا بد مما قد قدرا

وقال
من كان يأكل ما اشتهى * ويرى مخالفة الطبيب
سيرى مضرة ما أتى * بطرا ويندم عن قريب
ان التحفظ في الامور * لشيمة الفطن اللبيب
من لم يكن متحفظا * يخطي ويبعد أن يصيب

وقال
وللحمام حالات اذا ما * ظفرت بها عثرت على النعيم
غناء وحكاك مجيد * وقول يجري على الاديم
وحوض مفعم ماء لذيذا * وحجام على النهج القويم
وللعاق الحديدة حين تمني * وأطيبها حديث أخ كريم

(وقال في الغزل) وهي آخر كتابه المذكور
الله أكبر جلت فتنة البشر * بنور غرتك المغني عن البصر

فلم يكن بعد ذلك الاهنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عز اليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الى وقال أنا أعلم انك أنكرت ما رأيت وتوهمت أنى علمت من الامر مالا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التى يكون فى عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق ابن ابراهيم الطاهرى وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركى وكنت من اصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيرى فعجبت من قولهما وعرّفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فاحسن جائزته واظهر بره وتكرمته وحدثنى محمد بن الفرج بمدينة جرجان فى المحلة المعروفة بسراى غسان قال حدثنى أبو دعامة قال أتيت على بن محمد بن على بن موسى عائدا فى علته التى كانت وفاته منها فى هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لى يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا احدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما احوجنى الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن موسى قال حدثنى أبى موسى بن جعفر قال حدثنى أبى جعفر بن محمد قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن الحسين قال حدثنى أبى الحسين بن على قال حدثنى أبى على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال ٣٥٠ والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدرى والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها لصحيفة بخط على بن أبى طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغرا عن كابر (قال المسعودى) وقد ذكرنا خبر على بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين ابن على بن ابى طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت فى كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك فى خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذى القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على مالم يكن عليه أحد من نظرائه وفيه يقول الحسن بن على بن طاهر من قصيدة له

شمس تطلع فى أفق الجمال لها * نورتألق فى داج من الشعر
ووردة الخد فى أبراد سوسنها * شقائق زانها التغليف بالدرر
ومسكة الخال فوق الخد شاهدة * بان ابداعها احكام مقتدر

(وهذه نبذة من كتابه أنداء الديم فى المواعظ والوصايا والحكم) وكل ما فيه كالذى قبله من نظمه رحمه الله تعالى فمن ذلك قوله رحمه الله

العلم نور وهدى * فكن بجد طالبه
واحرص عليه واعتمد * فيه الامور الواجبه
من لازم العلم علا * على الانام قاطبه

وقال
خالف النفس عند قصد هواها * تبق ما عشت سالما من أذاها
فاتباع الهوى هوان ولكن * هان للنفس كى تنال مناها

وقال
من يخالف فى شئ الناس يرجع * هدفا للسهام من كل راشق

كسف البدر والامير جميعا * فانجلى البدر والامير عميد
عاود البدر نوره لتعليه ونور الامير ليس يعود
يا كسوفين ليلة الاحد النحس أحلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد السيف والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فاقبل عليه وقال لابد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعاشرة وتلذ بمنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا ان يكون شرير الاخلاق أودنس الاعراق أوظاهر الاملاق قال فاعملت الفكر وقلت أيها الامير خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس وخلا من ثقل المؤانس خفيف الوطأة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أردت قال ومن ذلك قلت مانى الموسوس قال أحسنت

والله فليتقدم الى أصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه برفعه رفعة فما كان باسرع من أن اقتنصه صاحب الكرخ فصار
به الى باب الامير فاخذوحذف وتنظف وأدخل الحمام والبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الأمير فقال محمد
وعليك السلام يامانى أما آن لك أن تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوب منا نحوك فقال مانى الشوق شديد
والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا فى الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطفت فى الاستئذان
فليلطف لك فى الاذن لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ثم أذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام فاكل ثم غسل يديه
وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى فاحضرت فكان أول ما غنت به

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا ❊ دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم ❊ بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت وبحق الامير الا ما زدت فيه ❊ وقت أناجى الفكر والدمع حائر ❊ بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الامير بغيرة ❊ على ظالم قد لج فى الهجر والصد ❊ فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت يامانى فاستحى
وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح
محمد على مؤنسة هذا الصوت ❊ حجبوها عن الرياح لانى ❊ قلت ياريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن ❊ منعوها عن الرياح الكلاما ❊ فغنته فطرب محمد ودعا برطل فشرب فقال
مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه
فتمنعت ثم قالت لطيف
آه ان زرت طيفها الماما
خصه بالسلام منى فأخشى
يمنعوه الشقوتى ان تناما
لكان اثقب لزند
الصبابة بين الاحشاء
وأشد تغلغلا الى الكبد
الصديا من زلال الماء مع
حسن تاليف نظمه
والانتهاء بالمعنى الى نهاية
تمامه فقال محمد أحسنت يامانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

ياخليلى ساعة لا تريما ❊ وعلى ذى صبابة فاقيما
ما مررنا بدار زينب الا ❊ هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى ولولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران الا عن
استحسان لهما فقال محمد يامانى الرغبة فى حسن ما تاتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر ❊ بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ايما ❊ ض بروق أو لؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يامانى فأجز هذا الشعر ❊ لم تطب اللذات الا بمن ❊ طابت بها اللذات مأنوسه ❊ غنت بصوت أطلقت عبرة
كانت بسجن الصبر محبوسه ❊ فقال مانى ❊ وكيف صبر الناس عن غادة ❊ أظلمها ان قلت طاووسه

وجرت ان سميتها بانة ❊ فى جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل ان عدلنا بها ❊ جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكتت فقال محمد ما عدا فى وصفه لها فقال مانى ❊ جلت عن الوصف فما فكرة ❊ تلحقها بالنعت محسوسه
فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يامانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك
محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفلك مجيبا

ليس لى ألف فيعطفنى ❊ فارقت نفسى الاباطيل
أنا موصول بنعمة من ❊ حبله بالمجد موصول

كن مع الناس كيف كانوا ووافق ❊ ان من لا يوافق الناس مائق

وقال
أرح النفس تنتفع بحياتك ❊ واغنم العيش قبل يوم وفاتك
واطرح عيب من سواك وسالم ❊ جملة الناس يغفلوا عن اذاتك
واعتبر بالذين بادوا وبادر ❊ ما يدانيك من سبيل نجاتك

وقال
سالم الناس ما استطعت وجامل ❊ من يعاديك ان اردت السلامه
وتنزه عن القبيح وجنب ❊ من يرى بالفضول واحذر كلامه

وقال
صديقى أنت ما أبقى بخير ❊ وموتى غير محتاج اليكا
فان أحتج اليك فانت منى ❊ برىء لا صداقة لى عليكا

وقال
من أنت عنه غنى ❊ كن فيه مثل اعتقاده
فان يكن منه ود ❊ فجازه بوداده
وان يكن منه بعد ❊ فخله لبعاده

أنا مغبوط بنعمة من * طبعه بالمجد مأمول   فاومأ اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك قل النظير له * زانه الغر البهاليل   طاهري في مواكبه * عرفه في الناس مبذول

دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول   يا أبا العباس صن أدبا * حده بالدهر مفلول

فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب في الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * خوف الغبار وعرضه مبذول   فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت فما رأيت أحضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفك وانشاده عند قولها ذلك

ليس لي الف فيعطفني * فارقت نفسي الاباطيل   قال فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفي * ونمي الى المعتز ان المؤيد يدبر عليه وانه قد استمال جماعة من الموالي فحبس المؤيد وأبا أحمد وهما الاب والام وطولب المؤيد بان يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى ان أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز ان جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه فيقال انه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبي أحمد فكان بين دخوله سر من رأى وما لقى ٣٥٢ بها من الاكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة ثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن قبيحة وهو أخو المعتز لابيه وأمه مكان المؤيد في ولاية العهد واجتمع قواد الموالي الى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك * وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف ابن اسمعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فنال الناس في هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز بأبي الساج الاشر وسني الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف وقتل خلق من أصحابه وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسيني بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفي هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا اخرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فأمر المعتز بتكفيلهم والتخلية عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولي عيسى بن الشيخ فلسطين * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات صفوان العقيلي صاحب ديار مضر في حبس سامرا * وفي هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراغنة والاتراك لوصيف التركي وتخاص بغا منهم واشتد أمر ساور الشاري ورتب صالح بن وصيف في موضع وصيف * وفي سنة أربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت الموالي داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر في زورق فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب رأسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم أخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان المعتز في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا من بغا وقال لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي وكان يقول اني لاخاف أن ينزل علي بغا من السماء أو يخرج علي من الارض وقد كان بغا عزم على أن ينحدر

وقال   عليك بنفسك لا تشتغل * بشيء سواها وخل الفضول
تعش رائح القلب في غبطة * فلا من يضر ولا من يقول

وقال   اترك الفكر في الامور ودعها * فكما قدرت تكون الامور
كل فكر وكل رأي وحزم * غير مجد اذا جرى المقدور

وقال   هون عليك خطوب الدهر ان لها * نهاية والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة * يصبحها ظلمة المكروب تنبلج

وقال   احذر البخل انه شر خلق * يتحلى به وشر طريقه
من يجد غير مسرف فهو في النا * س موقى تثني عليه الخليقه

وقال   الذل في طلب الافادة عزة * فاحرص على نيل الافادة ترشد
ان التعزز في الذي تحتاجه * كبر وكبر المرء أقبح مقصد

وقال   دع من عرفت ولا تشدد عليه يدا * وداره وتحفظ منه ما بقيا

سرا فيصل الى سامرا فى الليل و يصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من أمره ماوصفنا ولما رأى الاتراك
من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة فى فنائهم وانه قد اصطنع المغاربة والفراغنة دونهم صاروا اليه باجمعهم
وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالاموال
وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قوّاد الاتراك فلج وأنكر أن يكون قبله شئ من المال فلما حصل المعتز فى أيديهم بعث
الى مدينة السلام فى محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى وقد كان المعتز نفاه اليها واعتقله فيها فاتى به فى يوم وليلة الى سامرا فتلقاه
الاولياء فى الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على ان يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله
وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فاتى بالمعتز وعليه قميص
مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخى
ماهذا الامر قال المعتز أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له فاراد المهتدى أن يتوسط امره و يصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال
المعتز لا حاجة لى فيها ولا يرضونى لها قال المهتدى فانا فى حل من بيعتك قال أنت فى حل وسعة فلما جعله فى حل من بيعته
حوّل وجهه عنه فاقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل فى محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا فى صدر هذا الباب *وقد
قالت الشعراء فى خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فاحسنت فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له

عين لا تبخلى بسفح الدموع * واندبى خير فاجع مفجوع
خانه الناصح الشفيق ونالتـ ـه أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه * خلعة افديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فالفو * ه كريم الاخلاق غير جزوع
كان يعشى بحسنه بهجة البد * ر فتلقاه مظهرا للخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشـ * ـرق امارأته وقت الطلوع
لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ * ـف فلهفى على القتيل الخليع
أصبح الترك مالكى الامر والعا * لم ما بين سامع ومطيع
وترى الله فيهم مالك الامـ * ـر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة
أصبحت مقلتى بدمع سفوحا * حين قالوا أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا * حين أهدوا اليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها * وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـ * ـر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا للسيف عاقبة الامـ * ـر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا
أصبحت مقلتى تسح الدموعا * اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسى عليه ما كان أملا * ه واسراه تابعا متبوعا
ألزموه ذنبا على غير جرم * فثوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه * أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ * ـزى عدوّ ولا تكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بنى العباس وكذلك جماعة من بنى أمية
يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس
فى فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك
وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقباع القضاة * وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى

أماترى البلد الذى نشأت به * محقرا كلما أصبحت معتليا
وغيره من بلاد الله قاطبة * يعليك لاسيما ان كنت متقيا

وقال
ينبغى للذى تحلى بعقل * أن يرى كالبازى مدة عمره
بين أيدى الملوك اوفى فلاة * خيفة من شر ورأبناء دهره

وقال
العزل يضحك ذله * من تيه سلطان الولايه
فاذا وليت فسر على * نهج الدمانة والرعايه
واقصد مداراة الورى * واحذر كيود ذوى السعايه

وقال
لاتقبل الحكم على بلدة * نشأت فيها انه يحقد
رياسة المرء على الاهل والـ * ـجيران والخلان لا تحمد

وقال
هى الدنيا اذا فكرت فيها * رأيت نعيمها سما نقيعا
فلا تحفل بها واحذر أذاها * فان لسمها قتلا ذريعا

ابن جعفر العلوى فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وما نال أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعده وفاة محمد بن يوسف مع أبى الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبه المعروف ببنى الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ومن مات منهم فى الحبس و بالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه على فلما مات الاب خلى عنه وذلك فى ايام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب بارض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قتله العباس بمكة وحمل فى أيام المعتز من الرى على بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات فى حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان من النسك والزهد فى نهاية الوصف وكان معه ادريس

بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بنى فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفى خلافة المعتز فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدوّ الفتنة بين الملالية والسعدية بالبصرة وما انتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج

ولا تاسف على مافات منها * وبادر فى حياتك ان تطيعا

وقال

كن وحيدا ماعشت تحيا بخير * سالما من شرور كل البريه
ان من لا يخالط الناس يبقى * دهره لا تعروه منهم أذيه

وقال

لا تبح ما حييت يوما بسر * لصديق ولا لغير صديق
ان سرا يجاوز الصدر فاش * يدريه العدا ومن فى الطريق

وقال

لا تصاحب ماعشت الا الكبارا * تنم ذكرا وتعتلى مقدارا
ان من ماشى فى طريق حقيرا * يكتسى منه مهنة واحتقارا
فتحفظ من أن تواخى دنيا * فهو يعديك ذلة وصغارا

وقال

محدثات الامور أردى الشرور * فتحفظ من محدثات الامور
انما المحدثات غى فدعها * واجتهد ان ترى مع الجمهور
كل من يتبع الحوادث يشقى * ويرى نفسه بغير نظير

* وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والأوسط وبالله التوفيق وقال

(ذكر خلافة المهتدى بالله)

وبويع المهتدى محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه ام ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بابى عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة فى سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان فى سنة ثمانى عشرة ومائتين

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

واستوزر المهتدى بالله جماعة على قصر مدته فسلموا منه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدى قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالرى مشتغلا بحرب آل أبى طالب كالحسن بن زيد الحسنى وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتلهم أهلها فلما نمى الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر صالح بن وصيف والاتراك فى ذلك قفل من ثلث الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين

كيفية قتله وتنازع الناس فى ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية باخبار الدول قد تباينوا فى مقتله
فمنهم من ذكر أن المعتز مات فى حبسه فى خلافة المهتدى بالله على ما قدمنا من التاريخ بحتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع فى
حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى فمن
أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر فى الاخباريين ممن عنى بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره
فى دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من
ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم أسقى شربة ماء مقراة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك
ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار فى كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل
بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وأن لا يحل عن مركزه للحاجة اليه فأبى موسى
ابن بغا الا الاغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع
المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يا فرعون قد جاءه موسى وكان صالح بن
وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والشخوص اليها
وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكيال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل
موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب
موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها باشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بمن فى الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فتنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارجوج وقد كان موسى بن بغا انصرف

وقال
من تفضلت عليه * أنت لا شك أميره
ومن احتجت اليه * أنت بالرغم أسيره
ومن استغنيت عنه * أنت فى الدنيا نظيره

وقال
لم يبق من يطمع فى وده * كلا ولا من ترتضى صحبته
الناس أشباه ذئاب فهل * يعلم ذئب حسنت عشرته
من يبتغى اليوم صديقا كما * يرضى فقد زلت به بغيته

وقال
فاعل الخير موقى كل ما * يتقى من ضر او من فتنة
ليس يخشى فاعل الخير أذى * ان فعل الخير أوقى جنة

وقال
تحفظ من صديقك فى أمور * فربما يضر بك الصديق
من اعتمد الصديق ولم يبالى * يصبه الضر وهو به خليق

وقال
لا تركنن لمخلوق وكن أبدا * ممن توكل فى الدنيا على الله

عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فأقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة
وتقشف حتى ان الجند تاسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج
والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف
يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى
موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه احمى له حمام وأدخل اليه فمات على حسب ما فعل بالمعتز وقوى أمر شاور الشارى ودنا فى
عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فاخرج المهتدى بالله موسى بن بغا وبايكيال الى
حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفل من غير أن يلقيا شراة فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى
جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا القتال المهتدى فكانت
بين المهتدى وبين بايكيال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكيال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين
بايكيال على المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى
الاسواق فلا مغيث وقدامه أناس من الانصار فمضى مؤيسا من النصر الى دار ابن خيعونة بسامرا فاختفى فهجموا عليه وعزلوه
وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن احملهم على سيرة الرسول

صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم وأنت انما رجالك تركي وخزري ومغربي وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على ماذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى وأشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ماظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا سوء رأي منكم وخطأ في تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا قال وسيأتي عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال جرحه بخنجر في أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روي منه والتركي سكران فلما روي من دم المهتدي قام قائما وقد مات المهتدي فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدي والاشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات ولما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا ومارجوج التركي غير داخلين في فعل الاتراك وكان حنق

الاتراك على المهتدي بسبب قتله بايكيال وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدي فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى انه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدي لما افضت الخلافة اليه أخرج أحمد ابن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقا عند المهتدي فيما يجب في حكم الشريعة فلا أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدي وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدي ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره (قال المسعودي) فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا واشدهم في كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى ان عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا في زي ندمائه ودخل في جملتهم وظن حاجبه ان ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من اولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج احمد بن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم ان الحيلة قد تمت عليه وان ابن المدبر لا يرضى في عقوبته الا بقتله فمر وهو يجر رجليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ماجلوسك فقال الساعة جلسنا يا بغيض فقال ارجع اليه فقل له اي شئ أنت فقال قل له طفيلي يرحمك الله فقال له ابن

ولا تمل لسواه ما حييت فمن * يرجو سوى الله هاوٍ حبله واهي

وقال

طلب الغاية اتباع غوايه * فاعتمد في الامور ترك النهايه
من يكن راضيا بما يتسنى * عاش عيش الملوك دون اذايه

وقال

لا تعتمد أبدا على مخلوق ان * تبغ النجاح وتقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده * ويذل وهو مخيب قصدا

وقال

سفر المرء قطعة من عذابه * فيه تخليق جسمه وثيابه
انما العيش للفتى بين أهليه وخلانه وفي أحبابه
من يرده بخير الله يكفه * كرب تجواله وذل اغترابه

وقال

سلم ولا تعترض يوما على أحد * ان شئت تسلم من حقد واضرار
من يعترض يعترض لا شك وهو حر * بذاك فالشر مقدار بمقدار

وقال

ان الصديق لعون * في كل ما تبتغيه

المدبر انت طفيلي قال نعم اعزك الله قال ان الطفيلي يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض في اسرارهم لخصال منها ان يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد أو ضاربا بالعود أو الطنبور فقال ابدك الله انا احسن هذه الاشياء كلها قال وفي اى وظيفة انت منها قال في العليا من جميعها قال لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلي أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من دارنا قال فان قمرت قال أعطيناك ألف درهم قال فان رأيت أيدك الله أن تحضر الالف درهم فان في حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلي ومد يده لياخذ الدراهم فقال الحاجب لينفي عن نفسه بعض ما وقع فيه أعز الله الاستاذ انه زعم أنه في الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فاحضر الغلام فغلب الطفيلي فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فاحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا ياسيدي في الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلب الطفيلي فقال له اخرج فقال ياسيدي فالعود فاتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب ياسيدي في جوارنا شيخ هاشمي يعلم القيان أحذق منه فاحضر الشيخ فكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه وغنى غناء في النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر في جوارنا أحذق منه فاحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فابت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال ياسيدي بقيت معي بابة حسنة قال ما هي قال تامر لي بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه في دبره بهن وان اخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتي فضج الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر في ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه في ادخال الطفيلي الى مجلسه فامر با كافين فاحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلي فرمى به فما أخطأه وخلى عن الحاجب وهو يتاوه لما به فقال له الطفيلي أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال يا قرنان ما دام البرجاس استى فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلي مع المتوكل في اللوزينج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى ما فوقه من القراز ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد في هذا الكتاب لمعا ما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رحل من الموضع الذي كان يأوي اليه فاصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسالوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول

فلاتسئ لصديق * واحذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير * بنفسه وأخيه

وقال
افعل الخير ما استطعت تنل ما * تبتغيه من الثناء الجميل
فاعل الخير آمن ليس يخشى * صرف دهر ولا حلول جليل

وقال
يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لا شك يبدو

وقال
ان شئت عزا دائما * فاسلك سبيل من اقتنع
ان القناعة عزة * والذل عاقبة الطمع
المرء ان قنع اعتلى * قدرا وان طمع اتضع

وقال
استعن في الامور بالكتمان * وتحفظ من شر كل لسان
كل ما لا يدري من امرك فضل * ليس فيه شئ من الخسران

اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفى شرهم (وذكر) صالح بن على الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدى للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فاقبلت أرمقه ببصرى اذ نظر فى القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت فكانه علم ما فى نفسى فقال يا صالح أحسب أن فى نفسك شيأ تحب ان تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمر فى ان لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعانى فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لى يا صالح أتحدثنى بما فى نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين أحسن فقال كانى بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أى خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامى مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فاوجز فرأيت الحياء منه فى حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبى دواد فيما يسالك عنه فقال يا أمير المؤمنين احمد يقل ويضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار فى مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له ابو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له هوّن عليك يا أمير المؤمنين أتاذن فى كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فاقبل الشيخ على أحمد فقال له يا احمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن داخلة فى الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فامسك أحمد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله فى كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتك بخلق القرآن فالله أصدق فى اكماله واتمامه أو أنت فى نقصانك فامسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة اخبرنى يا احمد عن قول الله عز وجل فى كتابه يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية فقالتك هذه التى دعوت الناس اليها ما بلغها الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فامسك فقال الشيخ يا امير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة اخبرنى يا احمد ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن اوسعه أن امسك عنهم ام لا قال احمد بل اتسع له ذلك فقال وكذلك لابى بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلى رضى الله عنهم قال نعم فصرف وجهه الى الواثق وقال يا امير المؤمنين اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعوه ثم قال للشيخ لم جاذبت عليه قال لانى عقدت فى نيتى ان اجاذب عليه فاذا أخذته اوصيت ان يجعل بين كفنى وبدنى حتى اقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدنى ظلما واراع فى اهلى فبكى الواثق وبكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له الواثق يا شيخ اجعلنى فى حل فقال يا امير المؤمنين ما خرجت من منزلى حتى جعلتك فى حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال

من مال عنك بشبر * مل أنت عنه بميل
فالله يغنيك عنه * فغنه كل جميل
فليس فى الود خير * مع ترك حسن القبول

وقال

لا تقطعن صديقا * وان يضق بك صدرا
واحرص عليه وزده * ان يجف براوشكر
فان قطع صديق * لا شك يعقب ضرا

وقال

خل التأنق فى اللباس وسر على * نهج الافاضل فى اختصار الملبس
ان التأنق فى اللباس يكثر الـحساد والاعداء للمتلبس
فالبس كمثل الناس لا تخرج عن الـمعتاد فى شئ فتخطئ اوتسى

وقال

لا تحقرن عدوّا * ولو يكون كذره
واحذره ما اسطعت واجهد * أن لا تحرك شره

لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسره ثم قال له اقم عندى آنس بك فقال مكانى فى ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير ولى حاجة قال سل مابدا لك قال يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع الى الموضع الذى اخرجنى منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدى يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى

انى عرفت علاج الطب من وجعى * وماعرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن الفه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فقطب وجه المهتدى بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدى كثيرا ما ينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد بن على الربعى ممن يكثر ملازمة المهتدى فقال قال لى ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن على بن أبى طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لى يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لى يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها ثيابا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يا نوف ان الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبنى اسرائيل أن لا يدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم انى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولاحد من خلقى قبلهم مظلمة قال محمد بن على الربعى فوالله لقد كتب المهتدى هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان لخلوته وهو يبكى ويقول يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر الخ الى أن كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن على قلت للمهتدى ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها يا أمير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها الطالب بها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك له منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفاته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به سائلا سأله عن ذلك وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأكثر الناس يقول انه دعى آل أبى طالب وكان من أهل قرية من أعمال الرى يقال لها وزنيق وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمى به أنه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان أفعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان

ان البعوضة تؤذى الملوك فوق الاسره

وقال

ما أهنأ الانسان فى عيشه * ما بين أهليه وفى منزله
الذل فى الغربة يا كربها * وكرب من قوض عن معقله
وفى اقتلوا أو اخرجوا شاهد * ساوى خروج المرء مع مقتله

وقال

المال يستر عيب المرء فاقتنه * واحفظه تبقى موقى مدة الزمن
من ضيع المال أبدى عيبه وجنى * تمهينه أبدا من كل ممتهن

وقال

سريرة المرء تبديها شمائله * حتى يرى الناس ما يخفيه اعلانا
فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا * فى كل ما أنت تبغيه وبرهانا

وقال

ما تمت الدنيا لشخص ولا * أمل ذا فيها سوى من فتن
عادتها الفتك بمن رامها * وكل من أعرض عنها أمن
فلا تغرنك بلذاتها * فان من غر بها قد غبن

أنصاره الزنج وكان ظهوره ببرغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أوّل من صنف أخباره وما كان من بدوّ أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المامون وهو الرجل الذى كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس وما كان من أمره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدوّ خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا فى هذا الكتاب فى الموضع المستحق له لما من ذكره وما كان من أمره فى مقتله (قال المسعودى) وفى هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان أبو الحسن المدائنى كثير الكتب الا أن أبا الحسن المدائنى كان يؤدى ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها ٣٦٠ لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه فى نهاية الكمال ما لم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث) يموت بن المزرع وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالى أناس من البصرة من أصدقائه فى العلة التى مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا فى هذه العلة المتناقضة التى يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعنى عمره قال يموت بن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فما لك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فما طربت طربى لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له فى حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشام فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع

مهلهل قد حلبت شطور دهر * فكا فخى بها الزمن العنوت * وجاريت الرجال بكل ربع
فسادعت الجبالة والذموت * فاوجع ما أجن عليه قلبى * كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذى وداع * وابقاء العتيد لها النحوت * وقد أسهرت عينى بعد غمض

وقال لا يكن عندك الخديم نديما * ان قدر الخديم دون النديم
من ينادم خديمه يتأذى * ويصير الخديم غير خديم
انما يصلح الخديم ابتعاد * واشتغال بشأنه المعلوم

وقال تثبت فى الامور ولا تبادر * لشئ دون ما نظر وفكر
قبيح أن تبادر ثم تخطى * وترجع للتثبت دون عذر

وقال كن فى زمانك كيف يرضى أهله * لا تعد طورهم ولا تتبدل
فاذا ترى الحمقى تحامق معهمو * واذا ترى العقلاء فاتعقل
من لم يكن أبدا كاهل زمانه * يشقى ولا يحظى بنيل مؤمل

وقال الفاضل اليوم غريب بلا * عون على شئ من الحق
ان غاب لم يحضروان قال لم * يسمع ولم يؤبه بما يلقى
ما أضيع الفاضل يا ويحه * كأنه ليس من الخلق

وقال

مخافة أن يضيع اذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء * بمثلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتي * فلا تقطعك جائحة سبوت
وقل بالعلم كان أبي جوادا * يقال ومن أبوك فقل يموت
تقر لك الاباعد والاداني * بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدي أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولي التوفيق * (ذكر خلافة المعتمد على الله) * وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة * (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) * ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبي أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فاوقع مفلح التركي بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فاصاب مفلحا سهم في صدغه فاصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج * وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم ٣٦١ السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والامام الثاني عشر عند القطعية من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن علي عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب المقالات في أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدي) سير بقبيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا في كتابنا في أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه في حال صغره صفارا وخروجه مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة واتصاله بدرهم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلي بلاد سجستان المعروفة باوق وترقي الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كبك بن زابلستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسني مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي وما كان من أمره في أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جنديسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب بني

٤٦ ط ث

وقال وهو آخر أنداء النديم

العز عاقبة التقى * والذل عاقبة الرياسه
فاذا اتقيت علوت في * أهل الجادة والنفاسه
واذا أسأت نزلت في * طرق التخلق والسياسه
فالتختر التقوى ولا * ترأس فتخطيك الكياسه

وكان تاريخ فراغه من كتاب أنداء النديم نصف شعبان عام واحد وثلاثين وسبعمائة (ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه ببلد قصبة المرية أعادها الله تعالى) فمما أنشده رحمه الله تعالى لابي العباس أحمد بن العريف صاحب محاسن المجالس

من لم يشاور عالما باصوله * فيقينه في المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكل تذكار لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون

كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد لتسع خلون من رجب من السنة فى الموضع المعروف باضطرنر بين السبت ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه بخر عليه النهر المعروف بالسبت فغشى الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم بن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد بن أوتامش التركى وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت فى عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار فى هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى بن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربى المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ومعه الحسن بن قريش وأتى الموفق وكان فى القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان فى هزيمة الصفار فى ذلك اليوم مع ماذكرنا من بخر النهر وانتظام الخيول فيه أن بصيرا الديلمى مولى سعيد بن صالح الحاجب كان فى الشذوات فى بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار فى الابل والبغال والخيول وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بختى من حمر وغيرها فتفرقت الابل فى العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس فى مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه فى عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار بماذكرنا ٣٦٢ ويقال ان يعقوب بن الليث قال فى سفرته هذه أبياتا وفى مسيره وانه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى اضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت
ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة * وصاحب رايات الهدى غير حارس

والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وأنشد رحمه الله تعالى من وجادة

أعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل ان يشيخوا
احدودبوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

وأنشد لنفسه رحمه الله تعالى

أقلل العشرة تغبط * ان من أكثر يخلط
وعليك الصدق واحذر * أن ترى فى القول تشتط
والزم الصمت اذا ما * خفت أن تلحى فتغلط
فعلى الفاضل يلفى * كل مفضول مسلط

وأنشد لنفسه أيضا

جنة العالم لأد * رى اذا ما احتاج جنه

فاذا

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لاسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ماذكرنا بجندي سابور (وخلف) فى بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب ابن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف بحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فماذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بارض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وأنه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش فى فمها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤى فى عسكره فى ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا فى خدمته مؤثر الانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمى أو طعان أوغير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سال عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا

وافقه ماسمعه منه قال له اصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح فيقف على جميع ما معه ثم يبعث أناسا قد رتبوا لذلك فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عينا أو ورقا ويدفع اليه ويثبت فى الديوان ثم يزيح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل اليه محتملا بما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل مقتصدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها ساسة ووكلاء يقومون بامرها الاخصوص دوابهم التى تكون عندهم الآن ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيئا يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيارهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثان أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد أو فى الايام التى يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة واغاضر بت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل) بعض ثقاته ممن ينظر حاله عن اشغاله فى خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غيرما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأى ولا غيره وان تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففى هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسينى بطبرستان وذلك فى سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون فى طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد وجميع ما خلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشئ ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أرجح والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شئ غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع رايته فيجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان) من سنته للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيمرون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه او أمره او نهيه دعاه فامره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز واخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر يامر به صاح بهم فخرجوا اليه والا

فاذا ما ترك الجنة بانت فيه جنه
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنة

وأنشد للعلاج رحمه الله تعالى

يابدر ياشمس يانهار * انت لنا جنة ونار
تجنب الاثم فيك اثم * وخشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم * فكيف من لا له عذار

وانشد مما ينسب للعلاج أيضا

سقمى فى الحب عافيتى * ووجوى فى الهوى عدمى
وعذاب ترتضون به * فى فى احلى من النعم
مالضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم

وأنشد لسيدى ابى العباس بن العريف فى محاسن المجالس وهى احسن ما قيل فى طول

فهو فى أكثرها ره وليله فى ذلك الموضع لا يقومون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مظنبة كلها يدور وفيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة تتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله اوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال) بعض من ورد اليه برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك لبس فى خيمتك الا سلاحك ومسح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به اصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الآلات لاثقلنا البهائم ولا ئتم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال وكان السبب فى ذلك انه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعى وليس فى وسع البغال ذلك (قال المسعودى) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد فى الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا فى وصفها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب منها المعالم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفى سنة أربع وستين ومائتين) وذلك فى خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا

وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشئ

مات موسى فهان ذاك علينا
لم يضرنى اذ قيل قد مات شيا
وكذا لا يضرنى موت من لم
يسد خيرا الى اذ كان حيا

(وفى هذه السنة) وهى سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزنى صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها مات) أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب وهو واغر صاحب مالك بن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس بن عبد الاعلى الصدفى بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضى (وشخص الموفق) لمحاربة صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعرانى صاحب العلوى قد تحصن بها فى جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه ووقع مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبى) من علية أصحاب على بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلى ابن محمد ويترحم بذلك على أبى بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا فى خطبته ويلعن جبابرة بنى العباس وأبا موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان على ما قدمنا من قوله فى هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأى الازارقة من الخوارج ولما ركن من بقى بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبى فاجتمعوا فى بعض الجمع فوضع فيهم السيف فن ناج سالم ومن

الليل

لست ادرى اطال ليلى ام لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليـ * ـل وعن طوله من الفكر شغلا

وأنشد رحمه الله تعالى مما أنشده بعض الوعاظ الغرباء

عانقت لام صدغها صاد لثمى * فارتها المرآة فى الخد لاصا
فاسترابت لما رأت ثم قالت * اكتابا ارى ولم ار شخصا
قلت بالكشط يمحى قالت اكشط * بالثنايا وتابع الكشط مصا
ثم لما ذهبت اكشط قالت * كان لصا فصار والله فصا
قلت ان الفصوص تطبع بالاثم * على خد كل من كان رخصا

وأنشد لابن خفاجة

مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرنا فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهى تبكى ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلانى لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيئا لا يدرك ولا يضبط (وكان) مقتله ما بينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد (وقد كان) الموفق بعد ذلك وجه بصاعد ابن مخلد فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن فى بعض الايام فاحتجم فى حفة وأذنه عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال فى ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن ابن سعيد القطربلى الكاتب فى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو

بكتعن لما ظعن * ودان بدين الجهم
وأصبح فى حفة * وفى أذنه محجم

فأشخصه الموفق الى واسط فكان مدة مقامه فى الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصرانى وماتت جارية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق ففى ذلك يقول عبد الله ابن الحسين بن سعيد من أبيات له

اخذت جعفر برأس القطار * ثم قالت آذنتكم بالبوار
فاجابت أم الامير وقالت * قد اتيناك أول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب * كتبه للتلاق والاشكدار

واحصى ماوجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات فى خاصة نفسه دون ماوجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته فى سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) فى الحبس وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبى سليمان بن وهب الكاتب واحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية احمد بن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر يصاحب الزنج ومرض احمد بن طولون عشرة اشهر ولما يئس احمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبى

واغر كاد لطافة وطلاقة * ينساب ماء بيننا مسكوبا
قد قام فى سطر الندامى فاستوى * فحسبته ألفا به مكتوبا
واكب يشربها وتشرب ذهنه * فرأيت منه شاربا مشروبا
مشمولة بينا ترى فى كفه * ما ترى فى خده الهوبا

وانشد لابن عبد ربه صاحب العقد مما نسبه له الفتح فى مطمح الانفس ومسرح التأنس

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأنشد لابن عبد ربه أيضا

ودعتنى بزورة واعتناق * ثم قالت متى يكون التلاقى

الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدد أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعسر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على ابن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على بن أحمد المادرانى هو المعتقل في يد الاخشيد أحمد بن طغج في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف ابن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعي والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعي

يا قل لمن لم ترعين من رآه مثله * من كان من قد راءه * ما قد رأى من قبله * ومن كلا مناله * حيث عقلنا عقله
لأن ما يجنه * ٣٦٦ فاق الكمال كله * العلم ينهى أهله * أن يمنعوه أهله
لعله يبذله * لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامر وتدبيرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فم الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد خفت الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفي سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو في عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى اسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف بسفواس من جبل اللكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها أبو مثنى سيما الطويل في عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها في السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستأمنا فاتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج بما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج

وتصدت فاشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق افظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وأنشد له أيضا

هيج البين دواعى سقمى * وكسا جسمى ثوب الالم
أيها البين أقلنى مرة * فاذا عدت فقد حل دمى
ياخلى الذرع نم فى غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبى سقما * حب من لو شاء داوى سقمى

وانشد للمصحفى

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت * عن عينه برداء نور سابغ

وكادت الحال أن تنفرج بينهم في ذلك اليوم حتى قيل في عسكر الموفق

كيفما شئتم فقولوا * انما الفتح للؤلؤ

فكان ابن طولون على انطاكية في آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان فتتاحه اياها في سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلي الجبل وباب فارس فاتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها فوعده وفتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعده و في عسكره وأخذ أهبته وسيما في داره فما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فارسلت عليه امرأة من أعالي سطح حجر رحا فاتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فاتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابوني الانطاكي الحنفي فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامي فاتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار الخادم فلم يكن له في فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فخف في السير ودخل الفسطاط ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ماجرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم في أرض النصرانية غازيا في

جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي وابن أبي عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثغور الشامية والحرورية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلي بن يحيى الارمني صاحب الثغور الشامية أشد اقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في الملطيين فلقي ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان علي بن يحيى الارمني انصرف عن الثغر الشامي وولي أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل علي بن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لاتعلم أنه علي بن يحيى الارمني (وأخبرني) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل الباس والنجدة والمكايد في النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق فاسره من القسطنطينية فأقاد منه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلي بن يحيى الارمني والعربل ابن بكار وأحمد بن أبي قطيعة وقرماس السلقاني صاحب مدينة ابريق وهي اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت

خفت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

وانشد لابن شهيد

هب من رقدته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة عن عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل اسودا
اجمت من عضتي في نهدها * ثم عضت حر وجهي عمدا
فانا المجروح من عضتها * لاشفاني الله منها أبدا

وانشد لصفوان بن ادريس

حمى الهوى قلبه واوقد * فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سال * قلده الله ما تقلد

وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومارنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وابو القاسم بن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا اخبار الزمان (فاما خبر معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فاسر جماعة منهم فاوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حروجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه أين أنت عنا يا معاوية اذ اهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجل الامر فى اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالرومية فاحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وساله اعمال الحيلة فيه والتانى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك وأعلم بحال الرجل فاذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطش عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيئا وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتانى الصورى فى الامر على حسب ما رسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشام وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر اليه ولاطفه بالقصد والهدايا واجعله القيم بامرك والمتفقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك الى الشام فان منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يأمرك بابتياعه تكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على مالم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الأيام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ما ذنبى اليك واذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدأنى وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من اسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فاست احب ان يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك

وباللوى شادن عليه * جيد غزال ولحظ فرقد
علله ريقه بخمر * حتى انتشى طرفه فعربد
لاتعجبوا الانهزام طرفى * بجيش اجفانه مؤيد
انا له كالذى تمنى * عبد نعم عبده وازيد
ان بسملت عينه لقتلى * صلى فؤادى على محمد

وأنشد لابى على ادريس بن اليمانى

علقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
يسفر عن مستنير وجه * صير جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذاك ماء * اضرم فيه الحياء نارا

وأنشد للرمادى أو لابن بردا القرطبى

لما بدا فى لازورد * دى الحرير وقد بهر

كبرت

فأمر في جميع حوائجك وجميع ما يعرض من امورك بارض الاسلام واهدى الى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط
والطيب والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسال الملك
والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لاتتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنون فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري وقد
أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمرني بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لي بساطا سوسنجرديا بمخاده ووسائده
يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فانعم له بذلك وكان
من شان الصوري اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر
مشيد ومتنزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المتنزه وكانت الضيعة
مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصوري الى معاوية سرا وأخبره بالحال فاحضر معاوية بساطا
بوسائده ومخاده ومجالس فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية
ايقاعها وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم في المؤانسة وفي العشرة وفي الروم طمع وشره فلما دخل من
البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصوري خبر البطريق من أصحاب
القوارب والمراكب فاخبر أن البطريق في ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين
وهما الرومي ومانطش على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ٣٦٩ والضياع والعمائر على هذا الخليج من
حافتيه والمراكب تختلف والقوارب بانواع المتاع والاقوات الى القسطنطينية وهذه المراكب لاتحصى في هذا الخليج كثرة فلما علم الصوري ان البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجالس بالوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه والرجال تحت المجالس بأيديهم المجاذيف مشكلة
قائمة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب الا من ظهر منهم في المركب عمله
والريح في القلع والمركب مار في الخليج كانه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة
سيره واستقامته في جريه فاشرف على قصر البطريق وهو جالس في مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب
وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب الصوري غنى طربا وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل
القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب فنظر الى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كانه رياض تزهر
فلم يستطع اللبث في موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصوري من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه في المركب ودنا
من المجلس ضرب الصوري بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب
فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فاذا هو في وسط البحر لا يلوي على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر
لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وحملة
المجاذيف في ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشأم وأي البر وحمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين
يدي معاوية بالفرح والسرور ولا تلاحه بالام وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال علي بالرجل القرشي فاتي به
وقد حضره خواص الناس فاخذوا مجالسهم وانغص المجلس باهله فقال له معاوية انظر لا تتعد ما جرى عليك منه واقتص

كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فاجابني لاتنكروا * ثوب السماء على القمر

وأنشد من وجادة

ياذا الذي عذب محبوبه * أنخت عيس العزم مغنى الهوان
لم ينبت الشعر على خده * بل دب في أصداغه عقربان
رفقا على نفسك لاتفنها * فجوهر الانفس در يصان

وأنشد من حديقة ابن يربوع

غزا القلوب غزال * حنت اليه العيون
خطت بخديه نون * وآخر الحسن نون

وأنشد من وجادة

أودع فؤادي حرقا أودعي * ذاتك تؤذي أنت في أضلعي

منه على حسب ما صنع بك ولا تتعد وراع ما أوجب الله عليك من المماثلة فلطمه القرشى لطمات ووكزه فى حلقه ثم انكب
القرشى على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاعك من سوّدك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع
حماك وتصون رعيتك وأغرق فى دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف
الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص
لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك وقال للصورى سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد
المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا فى المركب فطابت لهم الريح فكانوا فى اليوم الحادى
عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه
وانصرف الصورى راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنئين
له من الاسر فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين فى أيامه وقال
الملك هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لو هم بأخذى لتمت له الحيلة على (وقد
أتينا) على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف
من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا وللملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف
الى هذا الوقت أخبار حسان مع ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس فى المغازى والسرايا وغيرها وكذلك
لاهل الثغور الشامية
والحرورية الى هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة قد أتينا على
مبسوطها فيما سلف من
كتبنا وقدمنا فى هذا
الكتاب جملا من أخبارهم
ومقادير أعمارهم وأيامهم
ولمعا من سيرهم وكذلك
أخبرنا عن ملوك الامم
وسيرهم (قال المسعودى)
وكان المعتمد مشغوفا
بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهى وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم أيها
وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجا فقال له أخبرنى عن أول من اتخذ العود فقال ابن خرداذبه قد قيل
فى ذلك يا أمير المؤمنين اقاويل كثيرة اول من اتخذه لامك بن متوشلخ بن محويل بن عاد بن خنوخ بن فاد بن آدم وذلك انه
كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت اوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع فاخذ خشبا
فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق وراسه كالقدم والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به
وناح عليه فنطق العود فقال الجدونى
وناطق بلسان لا ضمير له * كانه فخذ نيطت الى قدمى
يبدى ضمير سواه فى الحديث كما * يبدى ضمير سواه منطق القدم
واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف
وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت اغانيهم
اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناى للعود والثانى للطبلوت والسريانى للطبل والسنج الصنج وكان غناء الفرس
بالعيدان والصنوج وهى لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية وهى سبع طرق فاولها اسكاف وهو اكثرها
استعمالا لتفعل الانهار وهو افصحها مقاطع وامرشه وهو اجمعها لمحاسن النغم واكثرها تصعدا وانحدارا وماداروسنان وهو
اثقلها واسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجس المنقل وحوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء اهل خراسان

وارم سهام اللحظ أو كفها * أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها قلبى وأنت الذى * مسكنه فى ذلك الموضع
وأنشد من حديقة ابن يربوع
يخط الشوق شخصك فى ضميرى * على بعد التزاور خط زور
وتدنيك الامانى من فؤادى * دنو البرق من لمح البصير
فلا تذهب فانك نور عينى * اذا ما غبت لم تطرف بنور
وأنشد للوزير المهلبى
لعينيك فى قلبى على عيون * وبين ضلوعى للشجون فنون
لئن كنت صبا مخلقا فى يد الهوى * فحبك غض فى الفؤاد مصون
نصيبى من الدنيا هواك وانه * عذابى ولكنى عليه ضنين
وأنشد لصالح بن شريف

وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء اهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومى جعلت الاوتار اربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهى الاوعر وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبان وله اربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللوزا وهى الرباب وهى من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القشاوة ولها اثناعشر وترا ولهم الصلبح وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصفة ولهم الارغين وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء فى العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادى ياهاديا ياهاديا و يايداه يايداه فكان الحداء أول السماع والترجيع فى العرب ثم اشتق الغناء من الحداء وتحن نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركبانى والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمى وكانت العرب تسمى القينة ٣٧١ الكرينة والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها جنسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفى وحميرى والحنفى أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم

أيها العاذل بالله اتئد	لك قلب فى ضلوعى أو كبد
هى أجفانى فذرها تنهمى	هى أحشائى فدعها تتقد
لاتظن الحب شيأ هينا	ليس فى الحب قياس يطرد
أنت خلو وأنا صب شجى	فاذا حدثت عنى قل وزد
فاترك اليوم ملامى انه	يترك الشئ اذا مالم يفد
انا أسلوعن حبيبى ساعة	ياعذولى قل هو الله أحد

وأنشد له أيضا

وافى وقد زانه جمال	فيه لعشاقه اعتذار
ثلاثة مالها شبيه	الوجه والخد والعذار
فمن رآه رأى رياضا	الورد والآس والبهار

وأنشد من حديقة ابن يربوع

أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة و يهيج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب و الغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لا تبعثن على همومك اذ ثوت * غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لاتنام الا على غناء مطرب اوسهر لذيذ والعربية لاتنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عروقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء و يستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى بن خالد بن برمك الغناء ما اطربك فارقصك وابكاك فاشجاك وماسوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فاحسنت ووصفت فاطنبت وأقمت فى هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهى وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فاصفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى اختلاسه وتفرع فى اجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين وهى طرب محرك مستخف

لاريحية تنعش النفس ودواعي الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر في وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثي لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء جوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بالقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثاني وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف ثقيل الثاني نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مردودتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثاني وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخوري وانما سمي بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلي وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاب تميزها كالمحصور والمخبول والمحثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يوناني صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فاطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذي يليه ومثل ثلثه والرسان وصلاها الذي يلي الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع في صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد في هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور (فلما كان) في صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر في اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لي الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لي شمائله فقال المسؤل يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون في رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع في الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثاني وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء في طباعه وأشياء في خلقته وأشياء في عمله فاما ما يحتاج اليه في طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه محتالا الى التدبير في رقصه والتصرف فيه وأما ما يحتاج اليه في خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل في الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها في نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص السكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال في الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه في عمله فكثرة التصرف في ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن

عليك باكرام وبرلستة * من الناس واحذر شرهم وتوقه
طبيب وحجام وشيخ وشاعر * وصاحب ديوان ومن يتفقه

وأنشد لبعض الصوفية

ما ترى عند أحمق * في أمور توسطا
بل تراه في أمره * مفرطا أو مفرّطا

وأنشد لبعض الادباء

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

ولنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر فقد حصلت الاطالة بل ونكتفي من مشايخ لسان الدين بمن ذكرناه ولنورد ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته وان تكرر مع ما تقدم * ونصه المشيخة قرأت كتاب الله عزوجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حتى حمله تقوى

الاستدارة وثبات القدمين على مدارهما واستواءما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر أن يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا وما يتثبط به متسافلا (قال المسعودى) وللمعتضد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الآداب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عبثه والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك

حى التحية أصحاب التحيات * القائلين اذا لم تسقهم هات * أما الغداة فسكرى فى نعيمهم
وبالعشى فصرعى غير أموات * وبين ذلك قصف لا يعادله * قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك فى المناقل والاطباق فنضد نضدا ورصف رصفا والابانة عن المراتب فى ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى قيمته من المتولدات فى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكى فى ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديما وكيفية الادب فى لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد فى ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب فى أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس فى ردغيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس فى ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا وهو فى بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفى أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجف بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل بن بلبل الى كفهمن وقيل الى بكتمر وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد اليها فى يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيارة الى ولده وقد كان يانس الخادم ومؤنس الخادم وصافى الحرمى وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما احضر اسمعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالى

وصلاحا وخصوصية واتقانا ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا فى هذا الفن واطلاعا لغرائبه واستيعابا لسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا الى مقرآت أبى عمرو رحمة الله عليهما ثم نقلنى الى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على الفخاطى فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبى القاسم بن جزى رحمه الله ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته فى فن العربية المفتوح عليه من الله حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه وقرأت على قاضى الجماعة الصدر المتفنن أبى عبد الله بن بكر رحمه الله وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الاعلى الصالح الفاضل أبى الحسن بن الجياب ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية كالمحدث أبى عبد الله بن جابر وأخيه أبى جعفر والقاضى الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبى البركات

وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وابواب السجون ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد الا اخرج وكان أمرا فظيعا غليظا وخلع على أبى العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل فى داره مايقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال مايقعد عليه وقام بامر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب واجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة ايام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وامه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استظل بظل الملك واجتمعت * له الامور فمنقاد ومقسور
حطت عليه لمقدار منيته * كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بامور الناس فى التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج ولخادمه وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن وهب فاحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك فى يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بانواع العذاب وجعل فى عنقه غل فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا والبس جبة صوف قد صبغت فى ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وامر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزانته فضربت وفرقت فى الجند (قال المسعودى) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يا موشكير للموكل به مافعلت الرؤس بارقابها وقد كان قدم من الليل ان يقدم له رأسا حملين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فاول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحدهما واما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فاكلوا أكل المعتمد وأعوانهم فاما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى فى الليل واما المضحك فانه مات قبل الصباح واما المعتمد فاصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل اسمعيل بن حماد القاضى الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان اول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من باس أو اثر مات فجأة وقتلته مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل فى تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله اعلم ان سبب وفاته أنه سقى نوعا من السم فى شرابهم الذى كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه فى سنبل الطيب وهو الوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء واسر وغيرهما من أحمد بن عيسى بن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وماحدث فى

ابن الحاج والشيخ المحدث الصالح أبى محمد بن سلمون وأخيه القاضى أبى القاسم سلمون وأبى عمرو ابن الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وله رواية عالية والاستاذ اللغوى أبى عبد الله بن بيش والمحدث الكاتب أبى الحسن التلمسانى المسن والحاج أبى القاسم بن المهنى المالقى والعدل أبى محمد السعدى تحمل عن الامام ابن دقيق العيد والقائد الكاتب ابن ذى الوزارتين أبى بكر بن الحكيم والقاضى المحدث الاديب جملة الظرف أبى بكر بن شيرين والشيخ أبى عبد الله بن عبد الملك والخطيب أبى جعفر الطنجالى والقاضى أبى بكر بن منظور والراوية أبى عبد الله بن حزب الله كلهم من مالقة والقاضى أبى عبد الله المقرى التلمسانى والشريف أبى على حسن بن يوسف والخطيب الرئيس أبى عبد الله بن مرزوق كلهم من تلمسانى والمحدث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع والرئيس أبى محمد الحضرمى السبتيين والشيخ المقرى أبى محمد بن أيوب المالقى آخر الرواة عن ابن أبى الاحوص وأبى عثمان بن ليون من أهل المرية والقاضى أبى الحجاج المنتشافرى من أهل رندة وطائفة كبيرة من المعاصرين تحملا وتدبجا ومن أهل العدوة

كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة المعتضد بالله) وبويع أبو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وامه ام ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ماذكرناه وله اربعون سنة واشهر على تباين اصحاب التواريخ فى كتبهم وما ارخوه فى ايامهم والله الموفق

(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه) ولما افضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وكان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب واديل له فى اكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بامر الخلافة بدر مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه حمل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف الف دينار ومن الورق اربعين الف الف درهم والدواب والبغل والحمير والجمال اثنى عشر الف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته وممن كان يانس به فى خلواته انه امر ان تنقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الاتراك ثمن كل رغيف اوقية وان يبتدأ

بامر خبزه لان للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا واكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى اول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه ان يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها لتقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى ان يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر ان تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه انه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى اذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا موثقا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها اصناف العذاب وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب الناس ولم يكن له رغبة الا فى النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر) عبيد الله بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله (وقد كان المعتضد) فى هذه السنة وهى سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (ففى ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس فى حل ولا احرام
ماذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عى ولا افحام

(وفى هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر بخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة

العدوة الغربية والمشرق وأفريقية الكثير بالاجازة وأخذت الطب والتعاليم والمنطق وصناعة التعديل عن الامام أبى زكريا بن زهر ولازمته هذا على سبيل الالماع ولو تفرغت لذكر أفذاذهم لخرج هذا التأليف عما وضع له انتهى كلامه فى الاحاطة وقد ذكرت فى هذا الباب زيادة فى بعض التراجم على ما فى الاحاطة على ما اقتضاه الحال اذ ذلك لا يخلو من فائدة زائدة وحكمة بالخير عائدة ولو لم يكن فى هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا لاشتماله على تصوف وحكم وكرامات وآداب ووصايا وانشادات وغيرها مما يغنى عن خبره العيان ويشتاق الى الوقوف عليه ذووا الملكة فى البيان ولو لم يشتمل الا على المدائح النبوية التى فيه لتمت محاسنه والله سبحانه ينفع به بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه

(الباب الرابع)

فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العليه وثناء غير واحد من أعلام اهل

وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوّال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويج ابنة خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهر الم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه وأعلم قطر الندى بنت خمارويه ان ما أخذه ودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبى الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش فى نفسه وحباه به بدرة من الجوهر المثمن فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وا كاليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر فى رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام فى الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار وبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع فى نفسى أن عددها يتجاوز العشرين فقلت له جعلنى الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لى مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقانى أبو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل

عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ووقوفهم عند اشارته ورسمه ومايضاهى ذلك فى حظه وقسمه وسعيهم بين يديه * (اعلم) سلك الله بى وبك الطريق الاقوم الاقوى وحلى صدور جميعنا بزينة التقوى أن لسان الدين ذكر فى كتبه كالاحاطة ونفاضة الجراب وغيرهما جملة مما خاطبه به الملوك وغيرهم من تبجيل وتنويه وانذكر بعض ذلك من كتبه ومن غيرها تتميما للمقصود وتبليغا النفوس الناظرين فى هذه العجالة ما تؤمله وتنويه * فمن ذلك ما ذكره فى الاحاطة من اكرام السلطان أبى زيان المرينى ابن الامير أبى عبد الرحمن ابن السلطان أبى الحسن له وسرد ما كتب له به من قوله هذا ظهير الى قوله أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره وبعد ما صورته للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الارفع الامجد الاسمى الاوحد الانوه الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد الصدر الاحفل الافضل الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز الارفع

فوصفت له ما رأيت فقال وافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بينى وبينه فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شأنك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت لشعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص باى شئ ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها (وكانت وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بابى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص ممن كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا تعلق بطلال الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد اتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بانه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له

كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وافتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختطف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى مالا ينظر اليه وكل من في مجلسك يخدمك وانا احب أن اخدم وأخرى لست آمن ان تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء واحفظ فقال بلغنا عنك بذاء قال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال نعم العبد انه اوّاب وقال جل ذكره هماز مشاء بنميم الآيه فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبي والذمي فلا ضير في ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أك صادقا * ولم أشتم النكس اللئيم المذمما ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذى تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيي بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول في عبد الله بن يحيي بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول في ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزيته له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فاضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على مقدارها تجره الجمارات فصير بذلك اجمع الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجالس الشرطة في الجانب الشرقي فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو فمن الحضر بلاد كابل وبلاد ماحان وهي بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى بن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (ففى ذلك) يقول الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافى القمى

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين لم يدع كابلا ولا زابلستا * ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كبك الملك ببلاد زابلستان التي ليس في قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومن أكثر في الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى في الجوّ ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما في العالم من الامم المختلفة الخلق والخلائق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد في مراكب بحرية ببعض

الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحظى الافضل الحسيب الاصيل الاكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العالى وأمر في جملة ماسوّغه من الآلاء الوارفة الظلال الفسيحة المجال بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله في كل شهر ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شئ من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تامّا واحتراما عامّا أعلن بتجديد الحظوة واتصالها واتمام النعمة وكمالها من تواريخ الاوامر المذكورة الى

مشحمة بالشحم والنورة على ما في بحرهم ووفد فيها خلائق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولي القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج في مراكبهم في دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة في أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقباع على رؤسهم ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر العامر ودثر الظاهر واختلفت الهواء وخسفت الجوزاء وتناخت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا في ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فانظر الينا بعين الامام تستقيم لك الايام وتنقاد لك الانام والافحص البصريون لا اندفع عن فضيلة ولا تنافس عن جليلة وسجع في كلامه وأغرق في خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم في خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سالت في خمس من الابل شاة وفي العشر شاتان ثم مضى في وصف فرائض الابل وأصناف ما يجب فيها اذا كر التنازع في موضعه منها ثم شرع في البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن في ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له

اكتب لهم عما يريدون وأجبهم الى ما سالوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك (وكان) أبو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وأبو خليفة مصروفا عن قضائه فبعث العامل الى أبي خليفة ان مبرمان النحوي صاحب أبي العباس المبرد قد زارني نفسه في هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فاتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسالوه الحضور معهم فخلسوا في سمارية متنكرين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام البادي وهي الايام التي يعمر فيها التمر والرطب فيكسونه في القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يحمل في التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابي خليفة غير مكترث له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال في النخل أخبرني أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قي وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فاسالك أن تحمل بالجملة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال أبو خليفة ق قيا قوا قي قيا قين وكان بالقرب منهم جماعة من الاكرة فلما سمعوا ذلك استعظموه وقالوا يا زنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وغدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبي خليفة

الآن ومن الآن الى ما يأتي على الدوام واتصال الايام وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت والوظائف اذا افترضت حتى يتصل له تالد العناية بالطارف وتتضاعف أسباب المنن والعوارف بفضل الله وتحرر له الازواج التي يحرثها بالمغت من كل وجيبة وتحاشي من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة وكتب في التاريخ انتهى وقوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة صح في التاريخ * وقد عرف لسان الدين في الاحاطة بهذا السلطان بما نصه محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن علي أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب الى هذا العهد يكنى أبا زيان وصل الله نصره على عدو الدين وأرشده الى سنن الخلفاء المهتدين (حاله) فاضل سكون منقاد مشتغل بخاصة

وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجه بى المعتضد الى محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بام الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للاحق لا تأخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف رأيت صاحبنا تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك ان ترجع اليه بكتاب فلعلنا ان نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا احسنا اجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع ✽ عليك خوفا واشفاقا وقل سددا واستعمل الفكر فى قولى فانك ان

فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا ولا تثق برجال فى قلوبهم ✽ ٣٧٩ ضغائن تبعث الشنآن والحسدا

نفسه قليل الكلام حسن الشكل درب بركض الخيل مفوض للوزراء عظيم التأنى لاغراضهم ووكل الامور لمن استكفاه منهم استقدم من أرض النصارى بالاندلس وقد فر اليهم خوفا على نفسه فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط فكان وصوله الى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى والعشرين لصفر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من الكواكب السيارة وقد كان الوزير قيم الامر والمثل فى الكفاية والاستطلاع بالعظمة عمر بن عبد الله بن على اليابانى لما ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه الله تعالى وأقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بابى عمر استدعى هذا المترجم به وقد نازله الامير عبد الحليم ابن عمهم وتوجه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الامر لا يستقيم بنصبه فتلطف فيه الى طاغية النصارى واستعان بالسلطان أبى عبد الله بن نصر وقد جمعتهما بالته فتم له اللحاق بالمغرب وانصرف الامير عبد الحليم الى سجلماسة فتملكها وتم الامر للامير أبى زيان يقوم به عنه وزيره

مثل النعاج تجول فى بيوتهم حتى اذا أمنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
وأعط الخليفة ما يرضيه منك ولا تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أخا يشكر ردا يكون له ردا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن احمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا أخا يشكر ما بآراء النساء تساس الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فأخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فأظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لا أرجو أن أشفعها فى كثير من القوم فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال يا شعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه ✽ وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا ✽ ولقد نصحت فما أطعت وكم حرصت بان أطاعا
فأبى بنا المقدور الا أن نقسم أو نباعا ✽ يا ليت شعرى هل نرى يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى يا شهاب كأنى والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وما ذاك الا لحسن رأيه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا بما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى ✽ رأس الخلائق من قريش الابطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها ✽ بعد الفساد وطالما لم تصلح وتزحزحت بك قبة العز التى
لولاك بعد الله لم تتزحزح وأراك ربك ما تحب فلا ترى ✽ مالا يحب فجد بعفوك واصفح

يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها * هب ظالمي ومفسدي لمصلح   قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالري لسبع بقين من ذي القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبي دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذي الحجة من هذه السنة (وفي سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدي ولمحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فاقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد في يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبي فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فامر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا في أن يدله على الطالبي وخلى عبيد الله بن المهتدي لعلمه ببراءته ثم أراد

المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبي الذي أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان في مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتني على النار ما زدتك على ما سمعت مني ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل في حديدة طويلة أدخلت في دبره وأخرجت من فيه وأمسك باطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد فكل وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يمسها وهو في الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى أن تفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والدواب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد أذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان أمامهم الصلت بن مالك ببلاد بروا من أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفي هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفي هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبي الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى أذربيجان في الكتاب الاوسط (وفي هذه السنة) سار اسمعيل بن احمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد

ومستدعيه المذكور مصنوعا له في خدمته أعانه الله تعالى وأصلح حال وأحوال الخلق على يديه ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولي

لمن علم في هضبة الملك خفاق * أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة * تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها * وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد * فسجل عهد للوفاء وميثاق
احلما ترى عيناي ام هي فترة * أعندكما في مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله في الارض تبتغي * ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا * وفلج لسقي الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا * وللفتنة العمياء في الارض اطباق
وللغيث امساك وفي الارض رجة * وللدين والدنيا وجوم واطراق

واستيلائه على امره خراسان الى ارض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك واسر خمسة عشر القامن الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم واراه من الجنسين المعروفين بالخدلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبى الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من امره ماذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج فى هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوى الحسنى صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفى الرى وأنزله بها واضاف اليه قزوين وأرجان وابهر وقم وهمذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن ابى دلف وفيها استأمن الى المكتفى على كوره وسار الى المعتضد فى عدة كثيرة وفيها سار طغج بن شبث بن الاخشيد صاحب مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس غازيا وافتتح لوريه ومما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسار عاسحق بن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد اتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من امره وصعوده الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى اتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون

ابن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين

فلكل فريق فيه للبغى راية * وكل طريق فيه للغيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث * يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف * ومن رفرف العز الالهى رستاق
اطل على الدنيا وقد عاد ضوءها * دجى وعلى الأحداق للذعر احداق
فاشرقت الارجاء من نوره بها * وساح بها الله لطف واشفاق
فمن ألسن لله بالشكر أعلنت * وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر ابرم الله ناقض * وليس لمسعى النجح فى الله اخفاق
محمد قد احييت دين محمد * ولاغلق أذماء تفيض وأرماق
ولولم تثب غطى على شفق الضحى * دم لسيوف البغى فى الارض مهراق
فأين بمنجون من الفلك سابح * له باختيار الله حط وايساق
اقلك والدأماء تظهر طاعة * اليك وصفح الماء أزرق رقراق

وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته وأكله السودان مماليك أبى الجيش وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم باولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما احدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وماذكروه من الصفات (وذكر المدائنى) أن معاوية بن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصى غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصى فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ماحرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم ان الحق ماقالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوت وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس فى عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارئ جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس فى الجناية عليهم مايقلب أعيانهم ويزيل خلق البارئ جل وعز وقد قلنا فى علة

ءدم نتن الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا لان الخادم بطيء لا يوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل أبو الجيش) في تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فاخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضي أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبداني وصلى عليه وذلك في الليل فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى في القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فاحدر من السرير ودلى في القبر وانتهينا من السورة في هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا اصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه في الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله في تلك الليلة واخذت العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فامر باحضار صاحب الحرس وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلي فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تات به أو بالذي نقبه واخذ المال ألزمك امير المؤمنين غرمه فجد في طلبه وطلب اللص الذي جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه واحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ انواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هي فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ماسرقوه فتقدم اليهم في الطلب وتهددهم واوعدهم وطالبهم

فتفرق القوم في الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار فما لبثوا أن احضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا يا سيدي هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد واطبق القوم كلهم على انه صاحب النقب ولص المال فاقبل عليه مؤنس العجلي فقال له ويلك من كان معك ومن اعانك واين اصحابك ما اظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة ما كنتم الا عشرة واقل ذلك خمسة فاقر لي بالمال ان كان مجتمعا وعلى اصحابك ان كان المال قد قسم فما زاده على الانكار شيأ فاقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه ويعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه على جحوده وانكاره فلما اغاظه ذلك وانكره ويئس من اقراره أخذ في عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه واسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشيء فبلغ ذلك المعتضد فاحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت في المال فاخبره الخبر فقال له ويلك تاخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال فاتي به وقد حمل في جل فوضع بين يديه وقد عقل فساله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك وتحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال علي باهل الطب فاحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بارفق العلاج واظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا ان تبرؤه في اسرع وقت فاخذوه اليهم واخرج ما لامكان المال وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصلح في ايام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوي جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكره فامر باحضاره فلما احضر بين يديه

الى هدف السعد انبرى منه والدجى * يضل الحجا سهم من السعد رشاق
نخطت لتقويم القوام جداول * وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
تبارك من اهداك للخلق رحمة * ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة * وبالشر والايام سم وترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفة * له في مجال السعد عدو واعناق
وقالوا ابنان ما استقل بكفه * تفيض على العافين أم هي أرزاق
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا * فلم يجد اطناب ولم يغن اغراق
ألست من القوم الذين اكفهم * غمام ندى ان اخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههم * بدور لها في ظلمة الروع اشراق
رياض اذا العافي استظل ظلالها * ففيها جنى ملء الاكف وايراق
أبوك ولي العهد لو سالم الردى * وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا

فن

ساله عن حاله فدعا وشكر وقال انا بخير ما بقى الله أمير المؤمنين ثم ساله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك الست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا اظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت اخذت بعضه سمعنا لك به فاقر على أصحابك فانى اقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى اصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك وسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فابى الا الانكار فاستحلفه بالله واظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى ساظهر على المال فان انا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم استبقك فابى الا الانكار فقال له فضع يدك على راسى واحلف بحياتى فوضع يده على راسه وحلف بحياته انه ما اخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وانا برىء من دمك قال نعم فامر باحضار ثلاثين اسود بحيث يراهم ويرونه وامرهم ان يتناوبوا فى ملازمته فاتت عليه ايام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستلقى ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه ووقع راسه حتى اذا ضعف وقارب التلف امر باحضاره فاعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وعالم يستحلفه به انه ما اخذ المال ولا يعرف من اخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبى يشهد أنه برىء وان ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد اثمنا فى هذا الرجل وساله ان يجعله فى حل ففعل ثم امر باحضار مائدة عليها طعام واحضر باردا الشراب وامره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم امر ببخور وطيب فبخر وطيب واتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استلقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه الوسن فقال له حدثنى كيف صنعت وكيف نقبت ومن اين خرجت والى اين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدى وخرجت من النقب الذى دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك وقد به فاخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقمام والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هناك فامر برده الى فراشه فردوه واضجعوه عليه ثم أمر باحضار المال فاحضر عن آخره واحضر مؤنس العجلى وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجدد وأنكر فامر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال أليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فسقط فى يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ فى دبره وأتى بقطن فحشى فى أذنيه وفمه وخيشومه وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدى وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر اعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق امر بعض الاطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين وهما فى الجبين فاقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى ان خمد وتلف وكان ذلك اعظم منظر رؤى فى ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عيناه وان عددها كان اكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس بأخبار ونوادر ومضاحك ويعرف بابن المغازلى وكان فى نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلى فوقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادى

فمن ذا له جد كجدك أو أب * لآلئ والجد المؤثل نساق
وحسب العلا فى آل يعقوب أنهم * هم الاصل فى العلياء والناس ألحاق
اسود سروج أو بدور أسرة * فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهم * فهم للمعالى والمكارم عشاق

ومنها

لئن نسيت احسان جدك فرقة * تزرع لى أعناقهم منه أطواق
اجازت خروج ابن ابنه عن تراثه * ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما راموه لله قدرة * ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
خذ العفو وابذل فيهم العرف ولتسع * جريرة من أبدى لك الغدر أخلاق
فربتما تنبو مهندة الظبا * وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
وما الناس الا مذنب وابن مذنب * ولله ارفاد عليهم وارفاق

فحضر حلقتي بعض خدمة المعتضد فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم انصرف عني فلم يلبث
أن عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وماجرى
من نوادرك فاستضحكت فرآني أمير المؤمنين فانكر ذلك مني وقال ويلك مالك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف
بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية اعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم الاحكاها ويخلط ذلك
بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية ياسيدي
أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فأبى الا النصف فطمعت في النصف
وقنعت به فأخذ بيدي وادخلني عليه فسلمت واحسنت ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه فرد علي السلام وقد كان ينظر
في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه الي وقال انت ابن المغازلي قلت نعم يا امير المؤمنين قال قد بلغني انك تحكي
وتضحك وانك تاتي بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم يا امير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس واتقرب الى
قلوبهم بحكاياتها التمس برهم واتعيش بما انا له منهم قال فهات ماعندك وخذ في فنك فان اضحكتني اجزتك بخمسمائة درهم
وان لم اضحك فمالي عليك فقلت للحين والخذلان ماهي الا قفاي فاصفعه ما احببت وكم شئت وبما شئت فقال لي قد انصفت
ان أضحكت فلك ماضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشئ يسير

وبشئ خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري ولا
أخلف ظني وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فامر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية اعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا قاض ولا زطي ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا شطارة ولا
عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا احضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندي وتصدع رأسي ولم يبق ولي
ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وودعاهم من الامر فقلت يا أمير المؤمنين قد نفد والله ما معي
وتصدع رأسي وذهب معاشي ومارأيت قط مثلك ومابقيت لي الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين وعدتني أن
تصفعني عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك ان تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال
تفعل يا غلام خذ بيده فأخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقط على قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور
كانه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت
العشرة صحت ياسيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من اضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت
ياسيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا أقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة
على قلتها أو كثرتها وامير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد اضعفها فقد استوفيت نصفها وبقي لخادمك نصفها فضحك
حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك براق بطنه
حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فاتي به وكان طوالا فامر بصفعه فقال يا أمير المؤمنين أي شئ
قضيتي وأي جنايتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها فلما أخذه الصفع

ولا ترج في كل الامور سوى الذي * خزائنه ماضرها قط انفاق
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع * وان حشدت طسم وعاد وعملاق
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا * تحوم بمختط الصليب وأعماق
فيسر لليسرى وأحبابك الورى * وللروع ارعاد عليك وابراق
فجاز صنيع الله وازدد بشكره * مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى * فانت كريم طهرت منك أعراق
وتهنيك يامولى الملوك خلافة * شجتها تباريح اليك وأشواق
وقد بلغت أقصى المنى بك نفسها * وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع * ولا نال منها جدة السعد اخلاق
أمولاي راع الدهر سربي وغالني * فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر * ولا ليدي الاعداك اعلاق

وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول ياسيدى لا تأخذ نصفها الك سدسها الك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولى للخادم وعتابى له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكأته صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها وأعلمنى كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة وودت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفى سنة) اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل بن اسحق القاضى والحرث بن أبى أسامة وبلال بن العلاء الرقى (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت وسار الحسن بن حمدان فى الاولياء لحرب هرون الشارى فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فاتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسنى ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم فى الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج

وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم فى اثر الحسن بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد فى اثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضاف عن يساره أخوه عبد الله ابن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم وعبيد الله ابن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس فى منصرفهم من الجانب الشرقى الى الغربى فانخسف بهم كرسى الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب والغاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر انه ابنه وجعل يقول يا سيدى لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا بالريا كالك السمك ولم تمت حبيبى اذ كحلت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبى فى أيديهم وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين وسألوا عنه واستبحثوا فاذا الاعين ولا أثر وعرف توابو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياستين واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفاس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكان التى على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقى الآجر ويعزله فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكانه

ولى فيك ود واعتداد غرسته * فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة * تحل به للضر عنى اوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر * وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى * اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ما ترجى لديك شفاعة * اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص * له فيك تقييد بروق واطلاق
اذا قال أما كل سمع لقوله * فصغو وأما كل أنف فنشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما * ذهبت لمسعى لم يكن فيه اخفاق

وعدت منه ببر كثير واحترام شهير (دخوله غرناطة) لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته وبنى عمه وتقريبهم الى مصارعهم فكان وصوله فى رمضان من عام خمسين وسبعمائة ثم رابه رائب لحق لأجله بصاحب قشتالة وأقام فى جملته الى حين استدعائه المتقرر آنفا وهو

التى على باب داره فقال يا عبد الله أى شئ تصنع ومن أمرك بهذا الفعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهما فى المحاورة فاخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أى شئ تريدون منى أما تستحيون تعبثون بى وأنا شيخ كبير فقالوا أما الناو العبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرنى صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التى جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فادخل يده فيها كانه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأى شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته امس وملحفة لبيتى وسراويل فرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بابى البازوله أخبار عجيبة وحيل وهو الذى احتال للمتوكل حين بايعه بختيشوع الطبيب انه ان سرق من داره شيأ يعرفه فى ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالى ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعة فاتى بهذا الشيخ فى عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئا لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله فى صندوق واتى به المتوكل فى خبر ظريف وانه رسول لعيسى ابن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما أورده من حيله على ذالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (وطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وانواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الاكسيرات من سدى الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم فى القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها فى كتابنا أخبار الزمان وما ذكروه فى ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة وماريه وما ذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم فى شعره الذى يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق ❊ وما يوجد فى الطرق وشيأ يشبه البرقا

فدبره بلا حرق فان أحببت ملكا ❊ فقد سودت فى الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندى رسالة فى ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندى أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى صناعة الطب الذى هو عشر مقالات وأرى القول أن ما ذكره الكندى فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابى بكر بن زكريا فى هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام فى هذه الصنعة فى الاحجار المعدنية وغير ذلك من كيفية الاعمال وهذا

لهذا العهد امير المسلمين بالمغرب أعانه الله تعالى على الخير وأطلق به يده وألهمه الى ما يرضى منه بفضله وكرمه انتهت الترجمة ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط الخطيب الشهير الامام أبى عبد الله بن مرزوق التلمسانى رحمه الله ما صورته توفى يعنى السلطان أبا زيان مغتالا عام ستة وستين على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله بن على الوزير رداه فى بئر وأشاع انه افرط فى السكر وألقى نفسه فى البئر المعروفة برياض الغزلان وبايع لعمه عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فسلطه الله عليه وأخذ حقوق الخلائق على يديه فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه فأعمل الحيلة فى قتله واستمر ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب الى أقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرد اهلها كل مشرد فعندما اقبلت الدنيا عليه واستقام ملكه وكاد يلحق ملك ابيه اويزيد مات رحمه الله تعالى قيل مطعونا وقيل غير ذلك وذلك فى حدود اربع وسبعين وولى ولده ثم عزل بابن عمه ابى العباس ابن السلطان ابى سالم وحاز ملك المغرب الى حين كتب هذا سنة سبع وسبعين وسبعمائة انتهى ما الفيته بخط

باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من التهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم في شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشام الى مصر في جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحي ونيدفة بن كبجور وابن كنداج فساروا الى وادي القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل احمد المارداني بن محمد بن علي المارداني المقبوض عليه في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا اقد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي وأراه مع المتقي في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمر ومقدام بن عمرو الرعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقي (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن

الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولى الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة أربع وثمانين ومائتين) أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان يا عقيق صب ماء واطرح دقيق يا عاق يا طويل الساق وذلك ان الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم في الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فامر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشغب العامة لذلك (وفي هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له في اعلى الدار التي بناها فاكثر الناس القول في ذلك واستفاض الامر واشتهر في خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمني الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى ان ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فيه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك

سيدي ابي عبد الله بن مرزوق ورأيت تحته بخط ابن لسان الدين أبي الحسن علي ما صورته رحمة الله عليك يا عمر بن عبد الله بن علي فلقد كنت غسلت ملك المغرب من درن كبير وقت على ملك لهو وضعف شهير وشهرت سيف الحق على الزواكرة الخرق فابتهج منبر الدين انتهى ومراده بهذا الكلام الرد على ابن مرزوق في ذمه للوزير عمر وقوله الزواكرة لفظ يستعمله المغاربة ومعناه عندهم المتلبس الذي يظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد وعند الله تجتمع الخصوم * ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ومما خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم ابراهيم ابن السلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد البسملة والصلاة من عبد الله المستعين بالله ابراهيم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الأجل الاسنى الاعز

ظن وحسبان فاحضر المعتضد المعزمين واشتد قلقه واستوحش وحار عليه امره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد اتينا على الخبر في ذلك وما حكي عن افلاطون في هذا المعنى وعلى خبر سغب ام المقتدر بالله والسبب الذي من اجله حبسها المعتضد واراد قطع انفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان (وفي هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهرا فكبا به فرسه فذبحه سيفه فاخذ عيسى النوشري رأسه وانفذه الى بغداد (وفي سنة) خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نبهان وسنبس وغيرهم من طيئ بالحاج وعلى الحاج يحيى الكبير وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الاجفر وتشوش الحاج واخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيى ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول ما ان رأى الناس كيوم الاجفر * الناس صرعى والقبور تحفر وأخذ من الناس نحو من الفي ألف دينار وفي هذه السنة وهي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذي الحجة ودفن مما يلي باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع اصدقائه بما استحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ

البغداديين في وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم في الحديث وكان يتفقه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي (وأخبرنا) أبو اسحق بن جابر قال كنت أجالس يوم الجمعة في حلقة ابراهيم الحربي وكان يجالسنا غلامان في نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبزتهما واحدة كأنهما روحان في جسدان قاما قاما معا وان قعد اقعدا معا فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه فتوسمت ان غيبة الآخر لعلة قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان في الجمعة الاولى منهما وان الصفرة والانكسار ابين في لونه ونشاطه فعلمت أن ذلك للفراق بينهما ولاجل الالفة الجامعة لهما فلم يزالا يتسابقان في كل جمعة الى الحلقة فايهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فصح عندي ما كان تقدم في نفسي جواز كونه فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما فجلس الينا وجاء الآخر فاشرف على الحلقة فاذا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك في حماليق عينيه واذا في يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها في وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا متحياوأنا أرمقه ببصري وكذلك جماعة ممن كان جالسا في الحلقة وكان الى جانبي على اليمين أبو عبد الله علي بن الحسن بن جوير بة وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدي ابراهيم الحربي فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شأنه فعل ذلك اذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لانه رأى ملقيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة بسبابته وابهامه وحذفني بها فتأملت ما فيها وقد كنت مستطلعا نحوها

الاحظى الاوجه الانوه الصدر الاحفل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى الوزير الارفع الأنجد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبي محمد بن الخطيب وصل الله عزته ووالى رفعته سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى والرضا عن آله وصحبه أعلام الاسلام وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء لهذا الامر العلي العزيز المنصور والمستعين بالنصر الاعز والفتح الاسنى فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل من منزلنا الاسعد بصفة تازي ملوية عنه الله وصنع الله جميل ومنه جزيل والحمد لله ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل والعناية المتكفلة برعي الوسائل ذلكم لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلي المولوي العلوي جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه وسقاه غيوث رحمته وحنانه وما أهديتم الينا من التقرب لدينا بخدمة ثراه الطاهر والاشتمال بمطارف حرمته السامية المظاهر والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى

لتبين الملقى لها فاذا فيها مكتوب

عفا الله عن عبد أعان بدعوة * لخلين كانا دائمين على الود
الى أن وشى واشى الهوى بنميمة * الى ذاك من هذا فحالا عن العهد

فكانت الرقعة معى فلما كانت الجمعة الثانية حضر امعا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابى جويرية انى لارى الدعوة قد سبقت لهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان فى تلك السنة كنت ممن حج فكأنى أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل أراهما متآلفين الى ان كهلا وأرى أنهما فى صف أصحاب الديباج فى الكرخ أوغيره من الصفوف (قال المسعودى) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم بن جابر القاضى قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصر الللفقر على الغنى فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك فى سنة تسع وثلثمائة واذاهو بالضد عما عهدته متوليا القضاء على ماوصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له أيها القاضى تلك الحكاية التى كنت تحكيها عن الوالى الذى كان بالرى وأنه قال لك ان الخواطر اعترضتنى بين منازل الفقراء والاغنياء فرأيت فى النوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لى يافلان ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء شكرا لله تعالى وأحسن من ذلك تعزز الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لى ان الخلق تحت التدبير لاينفكون من أحكامه فى جميع متصرفاتهم وكنت كثيرا ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذم ذوى الحرص على الدنيا ويذكر فى ذلك خبرا عن على كرم الله وجهه وهو ان عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لاتحمل هم يومك الذى لم يات على يومك الذى أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيأ فوق قوتك الاكنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك المماليح من الخيل (ولقد أخبرت) أنه قطع لزوجته اربعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخلف مالا عظيما لغيره (وفى هذه السنة وهى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ويكنى بابى العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست سنين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربى وكان عالى الاسناد (وفى هذه السنة) كان الفزع من أبى سعيد الجبائى بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكبسها وكتب الواثق وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فاطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفى هذه السنة) ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحيه فيد منكرا فى ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابى الاغر ليستنقذوا ما صار من يده فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ديال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ديال يئس من الخلاص من يد أبى الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فاخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابى الاغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيئ وأحلافها فكانت رجالتها نحوا من ثلاثة آلاف راجل والخيل نحوا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشى والحاجر ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبى الاغر الحيلة على صالح بن مدرك

ووالى رفعتكم فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده المقابل بالاسعاف المستعذب ورده فوقفنا على مانصه واستوفينا ماشرحه وقصه فآثرنا حسن تلطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل الينا ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا وفى الحين عينا لكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا فى حقكم والاعتمال بوفقكم خديمينا أبا البقاء ابن ناسكورت وأبا زكريا بن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما وأمس تاريخه انفصلا مودعين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه وشرح العمل الذى يوفيه فكونوا على علم من ذلكم وابسطوا آماله جملة آمالكم وانا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم وبرعاية حلالكم والله سبحانه يصل مبرتكم ويتولى تكرمتكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب فى الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبعمائة فراجعه ابن الخطيب بما نصه مولاى خليفة الله بحق وكبير ملوك الارض عن حجة ومعدن الشفقة والحرمة ببرهان وحكمة أبقاكم الله تعالى عالى الدرجة فى المنعمين وافر الحظ عند جزاء المحسنين وأراكم

سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وبحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وادخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو وقد أتينا على كيفية اسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فاحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد منّ على العباس بن عمرو بعد ذلك فاطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح ابو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من اجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل بن أحمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها ٣٩٠ فلم ينقض صفوفه وولى فاسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فاسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل اليه مستأمنا فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على ابن الفضل صاحب المذيخرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمناه من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحناه من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالحرامى واستأمن الى المعتضد وصيف الشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الا كثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشأم فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم

ثمرة برابيكم فى البنين وصنع لكم فى عدو كم الصنع الذى لا يقف عند معتاد وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد عبد كم الذى ملكتم رقه وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه وجبرتم قلبه يقبل موطئ الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة العز المعملة الخطو فى مجال السعد وميسر الحظ ابن الخطيب من شالة التى تاكد بملككم الرضى احترامها وتجدد برعيكم عهدها واستبشر بملككم دفينها وأشرق بحسناتكم نورها وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم فثاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالحمد لله الذى أجرى الخير على يد كم الكريمة وأعانكم على رعى زمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجدائهم ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى وجود كم واختصكم

خاقان المفلحى ووصيف موشكير وعلى كوزه وغيرهم من القواد فقاتلهم وصيف وذلك فى الموضع المعروف بدرب الحبب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد فسلمه الى مؤنس الفحلى وأمن جميع أصحابه الانفر انضافوا اليه من الثغر الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة اذنة من الثغر الشامى وغيرهم من البحرين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام فى الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوّق وسوّر خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أبلى فى ذلك اليوم الذى كان فيه أسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله واقدامه ثم قال ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه احد بل فى طبعه ان يرؤس فى نفسه وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من الريحان اشمها وكتب من سير الملوك الغابرة انظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد واخبر انه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يهوّن على نفسه الموت (وفى هذه السنة) كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى اخيه يوسف بن أبى الساج ومنهم من انحاز الى ولده بوادر (وفى هذه السنة) ادخل عمرو بن الليث الى مدينة السلام فى جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان فى هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر وثلثمائة ألف دينار ليفرقها فى أصحابه ويبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وامر عبد الله بن الفتح ان يحمل فى طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله فى عساكره الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد الشكرية (وفى اول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم فاخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فاباح لهم ذلك فالبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلى بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فاقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله (وفى هذه السنة) تشغب الجند والعامة فعمدت العامة اليه تماجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبى على وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه فى رداء بعضهم وحملوه على اكتافهم وهم نحو

واختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا وهيأتكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكت الاموال وقصارى من امتعض لذلك ان يكون كبعض خدامكم من عرب تاه سنا فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا الى رحمكم بالاهل والولد عن حسنة تبرعتم بها وصدقة جادتكم الحر على بذلها ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهى الفزعة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كانى ترامت عليهم فى الحياة أمام الذعر الذى يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقاده مامن يوم الاوأجهر بعد التلاوة يا ليعقوب بالمرين نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ولا يسلبنى عنايتكم ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ويتقبل دعائى

من مائة الف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه فى دجلة وذلك انهم شيعوه فى الماء سباحة فغرق منهم فى جرية الماء خلق كثير (وفى هذه السنة) أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بابى الفوارس وبعد ان قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حوّل الى ناحية الكناس مما يلى الناشرية من الجانب الغربى فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) فى قتل أبى الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه اشاعت العامة انه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتى تكون قبلك فانى راجع بعد اربعين يوما فكان يجتمع فى كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون فى الطرق فى ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قدم واغا السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكى لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس فى ذلك حتى نودى بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان) ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق فى آل أبى طالب سرا فغمز بذلك الى المعتضد فاحضر الرجل الذى كان يحمل المال اليهم فانكر عليه اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبى طالب وكان السبب فى ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن على الوراق الانطاكى الفقيه المعروف بابن الغنوى بانطاكية قال أخبرنى محمد بن يحيى بن أبى عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو فى سجن أبيه كأن شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير فى يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت ٣٩٢ قال فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبى طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدى ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء فى ذلك وأكثرت ووصفت فى أشعارها ذلك واطنبت فاحسن يحيى بن على المنجم فقال

يامحيي الشرف اللباب * ومجددا الملك الخراب ومعيد ركن الدين فيــنا ثابتا بعد اضطراب والتطارح

فت الملوك مبرزا * فوت المبرز فى الحلاب اسعد بنيروز جعــلت الشكر فيه الى الثواب

قدّمت فى تأخيرما * قد قدموه الى الصواب وقوله يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافى * أبدا فى أحد عشر (وكان) وصول قطر الندى بنت خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين ففى ذلك يقول على بن العباس الرومى

ياسيد العرب الذى زفت له * باليمن والبركات سيدة العجم اسعد بها كسعودها بك انها

ظفرت بما فوق المطالب والهمم ظفرت بملأى ناظريها بهجة * وضميرها نبلا وكفيها كرم

شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم (ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد فى هدايا تقدمت له قبل أسره فقال فى ذلك الحسن بن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه * يكون عسيرا مرة ويسيرا

وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو فى الجيوش أميرا

حباهم باجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وفى ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنيا أما أبصرت عمرا * مقبلا قد ارکب الفالج بعد الملك قسرا

فيكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاى يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامى بين يدى قبرك المتوسل الى الله ثم الى ولدك بك ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك والتقرب الى الله تعالى برعيك والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك وأنتم من أنتم من اذا صنع صنيعة كملها واذا منّ منه تممها واذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملى ويخلص قصدى وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مأملك قلبى ثم قلت للطلبة أيها السادة بينى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوّة التالف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم فامنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى نرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله وشأنه من التعلق

وعليه برنس السخطة اذلالا وقهرا رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا
أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفرا ولما قتل محمد بن هرون محمد بن زيد العلوى أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء النهر ببلخ فى أيام المعتضد وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى مؤدب المكتفى بالله فى المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره (وفى سنة اثنتين) كانت وفاة أبى سهل محمد بن أحمد الرازى المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين) مات أبو على بشر بن عميرة الاسدى وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العبدى فى أيام المعتضد (قال المسعودى) وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر

سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل ابن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن سمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته فى منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شكوا فى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم يا سيدى الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله فأطلقنا لهم العطاء فقطب وهم هم فى سكرته فكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ما ذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

* (ذكر خلافة المكتفى بالله) *

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينة السلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت

والتطارح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى * وكان تقدم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور وكان ما سبق من كتاب السلطان جوابا له وذلك بعد رجوع لسان الدين من مراكش واستقراره فى مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بنى مرين ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبى سالم المذكور ونص الكتاب مولاى المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة مقبل موطئ قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة ايابه من الوجهة المباركة وزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم لا يجر انفاد مال ولا اقتحام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر وأجر واطابة ذكر

خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس في تواريخهم والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي لله من اسمه علي الا علي بن أبي طالب والمكتفي ولما نزل المكتفي قصر الحسني في اليوم الذي كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعي له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهاني وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن يسار وابن منارة لشيء بلغه عنهم فاوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا في الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففي ذلك يقول علي بن بسام

عذرناك في قتلك المسلمين * وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المناري ماذنبه * ودينكما احد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفي الى نهر ديال فعسكر هنالك وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة

يقدر عليها من الشر وأغراه به فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمر و بن يوسف القاضي فارسل به الى بدر في سرا فاعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفي وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه في السرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فاحاطوا بالسرا وتنحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم ان يصلي ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فامهلوه للصلاة فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفي فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل المكتفي الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففي محمد بن يوسف القاضي يقول بعض الشعراء في ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفي

قل لقاضي مدينة المنصور * بم أحللت أخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق والعهد * وعقد الامان في مسطور
أين أيمانك التي يشهد الله * على انها يمين فجور
أين تأكيدك الطلاق ثلاثا * ليس فيهن نية التخيير
أن كفيك لا تفارق كفيه * الى ان ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الامة * يا شاهدا شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحسن * أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت في رمضان * راكعا بعد سجدة التكبير
أي ذنب أتيت في الجمعة الزهراء * في خير خير الشهور
فاعد الجواب للحكم العدل * من بعد منكر ونكير
يا بني يوسف بن يعقوب أضحى * أهل بغداد منكم في غرور

وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم انه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لي صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب يعني ابن مرزوق سني الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم انت يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملا الكبير والجم الغفير أكببت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذني نحو قبره وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله فكأني به يقول لي قل لمولاك يا ولدي وقرة عيني المخصوص برضاي وبري وستر حريمي ورد ملكي وصان أهلي وأكرم صنائعي ووصل عملي أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك الدنيا

شتت الله شملكم وأراني * بكم الذل بعد ذل الوزير   أنتم كلكم فداء أبي حا * زم المستقيم كل الامور

قالوا وكان بدر حراوهو بدر بن خير من موالي المتوكل وكان بدو في خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه وخف بين يديه في أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته وكان السبب في ذلك ان المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب في ابعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودي) وأخبرني أبو بكر محمد ابن يحيى الصولي النديم الشطرنجي بمدينة السلام قال كان لي وعد على المعتضد فاظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أوّلها

أيها الهاجر مزحا لا مجد * أجزاء الود أن يلقى بصد

لامير المؤمنين المعتضد * بحر جود ليس يعدوه أحد   وأبو النجم لمن يقصده * جدول منه الى البحر يرد

قد مضى الفطر الى الاضحى وقد * آن أن يقرب وعد قد بعد   ما اقتضاني الوعد أن لست على

ثقة من أنه آخذ بيد   غير أن النفس تهوى عاجلا * وسواء أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لي بما وعدني به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول أنا آنف من هبة القليل ولأرى الدنيا لو كانت لي أموالها وجمعت عندي تفي بقدر جودي والناس

يزعمون اني بخيل أتراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم بيني وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطاقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الانطاكي بمدينة انطاكية قال أخبرني ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن علي المنجم النديم قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي يا يحيى من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا   فقلت يقول الحكم بن مرة المازني فقال لله دره

أنشدني هذا الشعر فانشدته   ويلي على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس في أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا   مستقبل بالذي يهوى وان كثرت

منه الذنوب ومعذور بما صنعا   في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكوفي فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا   بحث المسك عن عرق الجبين بنانه ولعا

(وفي سنة) تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطي بالشام وكان في حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفي الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه بن مبرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودي) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم غدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنين بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين

الدنيا دار غرور والآخرة خير لمن اتقى * وما الناس الا هالك وابن هالك * ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فانكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري وتهمم بي وسبق الناس الى رثائي وأنشدني ومجدني وبكاني ودعا لي وهناني بمصير أمري اليك وعفر وجهه في تربي وأملني لما انقطعت مني آمال الناس فلو كنت يا ولدي حيا لما وسعني أن أعمل معه الا ما يليق بي وأن أستقل فيه الكثير وأحتقر العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك وأحلته يا حبيب قلبي عليك وقد أخبرني انه سليب المال كثير العيال ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمل أن ينقطع بجواري ويستتر بدخيلي وخدمتي ويرد عليه حقه بخدمتي ووجهي ووجوه من ضاجعني من سلفي ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي وقد كنت تشوقت الى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره يخبرك فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل

والامير في الفداء ابن جيغار ستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدى به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدى به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعة وخمسين نفسا وعدد من فودى به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمارات وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه علي بن يحيى يقول ابو هفان لربيع الزمان في الحول وقت * وابن يحيى في كل وقت ربيع رجل عنده المكارم سوق * يشترى دهره ونحن نبيع قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يردد عليه الحلواو وكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فاخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير

(وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة ففي ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير * ونشرب يا قوم في ثالثه
فلا قدس الله تلك العظام * ولا بارك الله في وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك في أيام المكتفي وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة في خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته في اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفي أخبر عنه انه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعي خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابي حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله * طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين حلقة * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصني * مغصهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود
وان الذي يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب يا سيدي أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب

تاخرت أستبقي الحياة فلم أجد * حياة لنفسي مثل أن أتقدما

فقال له عبد الواحد مه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمي حيث

خديمي بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شئ وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره وتعين بامرك مرتبه ودثاره فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتي منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لابد له أن يذكر ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاورا ضريحي تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا لما يصله منك ويقرؤه على من السعي في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال انتهى والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته واتعلموا وتحققوا أني لو ارتكبت الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت حسائن الملوك الاعزة ممن وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد

بعد

يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال   ومالى شئ فى الوغى غير أننى * أخاف على مجراى أن يتحطما
ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها * لدى الدرع ما باليت أن أتقدما   فلما انتهى ذلك الى المكتفى ضحك
وقال قد قلت للقاسم ليس عمى عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه
وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا العمى كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد
كان) المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل
غير ذلك والله أعلم (وممن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم فى خشكانجه على بن العباس بن سريج الرومى وكان
منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلقى معانى الشعراء والمجودين فى القصير والطويل متصرفا فى المذاهب تصرفا حسنا
وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله   رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يعوض أو يسلى او ينسى
أبت نفسى الهلاك لفقد شئ * كفى حزنا لنفسى فقد نفسى   (ومن قوله) العجيب الذى ذهب فيه الى معانى
فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد
لما تؤذن الدنيا به من زوالها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع   والا فما يبكيه منها وانها * لافسح مما كان فيه وأوسع
ومما دق فيه فأحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله
غموض الشئ حين تذب عنه * يقلل ناصر الخصم المحق   ٣٩٧
تضيق عقول مستمعيه عنه * فيقضى للمعل على المدق
(ومما أجاد) فيه فى وصف القناعة قوله
اذا ما شئت أن تعلـ * ـم يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يصدرك * عن المرة والحلوه
وطأ ما شئت يحصنك * عن الحسناء والدره
وكم أنساك ما تهوا * ه نيل الشئ لم تهوه
وقوله بأبى حسن وجهك اليوسفى * يا كفى الهوى وفوق الكفى   فيه ورد ونرجس وعجيب * اجتماع الشتوى والصيفى
وقوله فى العنب الرازقى ورازقى مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور   ألين فى المس من الحرير
لو أنه يبقى على الدهور * لقرطوه الحسان الحور * (ولابن الرومى) أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله وأبى
الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى وأبى العباس الزجاجى النحوى وكان ابن الرومى الاغلب عليه من الاخلاط السوداء
وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبى سهل اسمعيل بن على النوبختى وغيره من آل نوبخت
(وفى سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفى سنة) احدى
وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن فى
مقابر الشام فى حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف
دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى ان كبر وصار اماما فى صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة
لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد بن المبرد عالمين قد ختم بهما خاتم الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين
أيا طالب العلم لا تجهل * وعذ بالمبرد أو ثعلب   تجد عند هذين علم الورى * وأنك كالجمل الاجرب
علوم الخلائق مقرونة * بهذين فى الشرق والمغرب   (وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع فى المناظرة

بعد أن بلغهم تذممى بهذا الدخيل ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من حيث
الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار للكبار الا
الجود الذى لا يتعقبه البخل والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده
الله تعالى بعز الاتكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم
وقد وسلفكم لا سيما مولاى والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاى أبا الحجاج
ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمده بأمواله ثم صيره الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا
وقبيلا فقد قرت يا مولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم
وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل
انكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه وقد علم
تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلقى بثوب الملك الصالح والد الملوك
الكرام مولاى والدكم وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس وما

مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه وكان
صديقهما قال قلت لابي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى احمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن
يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم
لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي ان أبا علي الدينوري هذا كان
يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك
يردعه وقيل ان وفاة احمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات محمد بن محمد الجذوعي
القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة)
اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى
الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في سنة آلاف وتسعين بمصر
وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم فاحرق الغلة بباب الطاق نحوا من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجي
في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجي
الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفي سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن
عبد الله بن مروان البزاز المحدث المعروف بالجمال في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد
ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس في أغراضهم مختلفين وفي طلابهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون
غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبي مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث
في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في
سن أبي مسلم على ما ذكرنا من تنازع الناس في تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل
موته حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده في رقاع (وأخبرنا) محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي قال كنا يوما كل بين يدي
المكتفي فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه في نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء
هذا فقال له يحيى بن علي نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز * والسكر الماذي حشو الموز
تسبح في أزى دهن الجوز * سررت لما وقعت في حوزي * سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومي

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف *

فقال هذا يقتضي ابتداء فانشدني الشعر من أوله فانشدته لابن الرومي

وخبيصة صفراء دينارية * ثمنا ولونا زفها لك جؤذر
عظمت فكادت أن تكون أوزة * وثوت فكاد اهابها يتفطر
طفقت تجود بوبلها جوزابه * فاذا الباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيبها * يهمي ونعم الارض ظلت تمطر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها * قدامها بصبيرها تتغرغر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها

توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون الاغتنام هذه الفضيلة الغريبة وأملي منكم أن يتعين
من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويخبر بمثواي مترامياً
على قبر والدكم ويقرر ما ألزمكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة
عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطالبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن المعلوم أني
لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ماوسعهم بالنظر العقلي الاحفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا
الوطن فالحياء والحشمة يابيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة واذا تم هذا الغرض ولاشك في
اتمامه بالله تعالى تقع صدقتكم على القبر الكريم بي وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته
وتفقده ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين يديه وهو غريب مناسب
لبركم به الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم وأعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر والثناء من أهل
المشرق والمغرب وأتعوض من ذمتي بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك برتهاذريتي وقد
ساومت في شيء من ذلك منتظرا ثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولو ظننت انهم يتوقفون
لكم

وكأن تبراعن لجين يقشر وتقدمتها قبل ذاك ثرائد * مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومرققات كأنهن مزخرف * بالبيض منها ملبس ومدثر وأتت قطائف بعد ذاك لطائف
ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها * دمع العيون مع الدهان يغضر
فاستحسن المكتفي بالله الابيات وأومأ الى أن أكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولى وأكلنا يومابين يديه بعد هذا بمقدار شهر بخاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومي اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته

لا يخطئني منك لوزينج * اذا بدا أعجب أو أعجبا لم تغلق الشهوة أبوابها
الا أبت زلفاه أن تحجبا لو شاء أن يذهب في صخرة * لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفخة في جامه * دورا ترى الذهن له لولبا عاون فيه منظر مخبرا
مستحسن ساعد مستعذبا كالحسن المحسن في شدوه * تم فاضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه * أرق جلدا من نسيم الصبا كأنما قدت جلابيبه
من أعين القطر الذى طنبا تخال في رقة خرسانه * شارك في الاضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه * ثغر الكان الواضح الاشنبا من كل بيضاء يود الفتى
ان يجعل الكف لها مركبا مدهونة أرقاء مدفونة * ٣٩٩ شهباء تحكى الاورق الاشهبا

لكم في مثل هذا أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طالبته لكنهم أسرى وأفضل وانقطاعى أيضا الوالد كم عما لا يسع مجد كم الاعمل ما يليق بكم فيه وها أنا أرتقب جوابكم عالى عند كم من القبول ويسعى مجد كم في الطلب وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به والسلام وكتب في الحادى عشر من رجب عام احد وستين وسبعمائة * وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة

مولاى ها أنا في جوار أبيكا * فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى * والله يسمعك الذى يرضيكا
واجعل رضاه اذا نهدت كتيبة * تهدى اليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبرى قلبه تنل المنى * وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البر ورامه * وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا * وعما تؤمل نيله يأتيكا

دين له اللوز فلا مرة
مرت على الذائق الا أبا
وانتقد السكر نقاده
وشار فوا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت
ولا اذا الضرس علاها نبا
فحفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر المكتفي لنفسه
انى كلفت فلا تحلو بجارية
كأنها الشمس بل زادت على الشمس
لها من الحسن أعلاه فرؤيتها * سعدى وغيبتها عن ناظرى نحسى

وللمكتفي أيضا
بلغ النفس ما اشتهت * فاذا هى قد اشتفت انما العيش ساعة
أنت فيها وما انقضت كل من يعد ذل المحب اذا ما هدا سكت

وله أيضا
من لى بان تعلم ما ألقى * فتعرف الصبوة والعشقا ما زال لى عبدا وحبى له
صيرنى عبدا له رقا أعتق من رقى ولكننى * من حبه لا أملك العتقا

(وأخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفي فقال فيكم من يحفظ في نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومى
اذا أخذت حبه ودبسه * ثم أخذت ضربه ومرسه * ثم أطلت في الاناء حبسه * شربت منه البابلى نفسه
فقال المكتفي قبحه الله ما أشرهه لقد شوقنى في هذا اليوم الى شرب الدوشابى وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل في وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارئ فلحظنى المكتفي وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته في الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ما هو قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر العتبى والمدائنى أن أبان القارى تغدى مع الرشيد فجاؤا بهريسة عجيبة

في وسطها امثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجللت الرشيد من أن أمد يدي فاغمس فيه قال ففتحت باصبعي فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوي فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفي سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتي خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة ست وتسعين ومائتين وقيل في سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كنانة وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدي المغرب (قال) واشتدت علة المكتفي بالله بالذرب فاحضر محمد بن يوسف القاضي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب فاشهدهما على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع (قال المسعودي) وللمكتفي بالله أخبار حسان وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الخليجي بمصر وأمر القرمطي بالشام وأمر ذكرويه وخروجه على ٤٠٠ الحاج وغير ذلك مما كان في خلافته قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

قد هز عزمك كل قطر نازح * وأخاف مملوكا به ومليكا
فاذا سموت الى مرام شاسع * فغصونه ثمر المنى تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبي * لما جعلتك في الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها في مقصدي * ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوائجي وأريتني * أملا فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولي يدا فهو الذي * برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي * اني ومهجتي التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما * يضفي على العز في ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها * باق اذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرر الوعد الذي * أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية * من كل محذور الطريق يقيكا
بقائك

(ذكر خلافة المقتدر بالله)

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوّال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ماذكرنا والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاوّل سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ماقد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشاري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ مافيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعاني

فمن ذلك قوله يقول العاذلون تعزعنها * وأطفئ لهيب قلبك بالسلو وكيف وقبلة منها اختلاسا * ألذمن الشماتة بالعدو

(وقوله) ضعيفة أجفانه * والقلب منه حجر * كأنما ألحاظه * من فعله تعتذر (وقوله)

تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب لقد أبغضت نفسي في مشيبي * فكيف تحبني الخود الكعاب

(وقوله) عجبا للزمان من حالتيه * وبلاء دفعت منه اليه رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير أباحسن ثبت في الأرض وطأتي * وأدركتني في المعضلات الهزاهز

والبستني درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله) ومن شر أيام الفتى بذل وجهه * الى غير من خفت عليه الصنائع

متى يدرك الاحسان من لم تكن له * الى طلب الاحسان نفس تنازع (وقوله)

فان شئت غادتني السقاة بكاسها * وقد فتح الاصباح في ليلة فما نخلت الدجا والفجر قد مد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما

(وقوله) وأبكي اذا ما غاب نجم كأنني * فقدت صديقا أو رزئت حميما

فلو شق من طرف الليالي كواكب * شققت لها من ناظري نجوما ومما أحسن فيه قوله في عبيد الله بن سليمان

لآل سليمان بن وهب صنائع * الي ومعروف لدى تقدما هم وعلموا الايام كيف بنوتي * وهم غسلوا من ثوب والدي الدما

وقوله عند وفاة المعتضد بالله قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا * اماما يؤم الخلق بين يديه ٤٠١

بقائك الدنيا تحاط وأهلها * فالله جل جلاله يبقيكا انتهى

فلما وصل الكتاب الى السلطان أجابه بما مر آنفا * ورأيت بخط الفقيه الاديب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب في هذه الرسالة ولا شك عند عاقل أنكم ان انحلت عروة تأميلكم الخ ما صورته كذلك وقع آخر الامر وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقي من بلاد الاندلس للاسلام في محرم عام سبعة وتسعين وثمانمائة فرحم الله تعالى ابن الخطيب العاقل اللبيب وغفر له برحمته انتهى * ومما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم في الغرض المتقدم قوله

عن باب والدك الرضا الأبرح * يأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح

ضربت خيامي في حماه فصبيتي * تجنى الجميم به وبهمى تسرح

حتى يراعي وجهه في وجهتي * بعناية تشفى الصدور وتشرح

أيسوغ عن مثواه سيري خائبا * ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام للسلام عليه وقوله في فصادة المعتضد بالله يا دما سال من ذراع الامام أنت أذكى من عنبر ومدام قد ظننناك اذ جريت الى الطشت دموعا من مقلتي مستهام انما غرق الطبيب شبا المبضع في نفس مهجة الاسلام

(وقوله) اصبر على حسد الحسود * فان صبرك يقتله

فالنار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تاكله (وقوله) يطوف بالراح بيننا بشر * محكم في القلوب والمقل

يكاد لحظ العيون حين بدا * يسفك من خده دم الخجل (وقوله) رشا تيه بحسن صورته * عبث الفتور بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من نار وجنته (وقوله) اذا اجتنى وردة من خده فبه * تكونت تحتها أخرى من الخجل

(قال) وكانت وفاة أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الاصبهاني الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا في رتبة الادب وتصرف في بحار اللغة وتفنن في موارد المذاهب وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف في عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف الفقهيات ككتابه في الوصول الى معرفة الأصول وكتاب الانذار وكتاب الأعذار والأنحار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشي وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبته في كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا في سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدي من خيفة البين لوعة * يكاد لها قلبي أسى يتصدع يخاف وقوع البين والشمل جامع

فيبكي بعين دمعها متسرع * فلو كان مسرورا بما هو واقع * كما هو محزون بما يتوقع

لكان سواء برؤه وسقامه * ولكن وشك البين أدهى وأوجع (وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع * الى وقت السرور بالاجتماع فكم جربت من وصل وهجر * ومن حال ارتفاع واتضاع

وكم كأس أمر من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعى فلم أر فى الذى لاقيت شيأ * أمر من الفراق بالاوداع

تعالى الله كل مواصلات * وان طالت تؤل الى انقطاع (وقوله)

لاخير فى عاشق يخفى صبابته * بالقول والشوق فى زفراته بادى يخفى هواه وما يخفى على أحد

حتى على العيس والركبان والحادى (وفى سنة ثلاث وثلثمائة) فى خلافة المقتدر بالله كانت وفاة على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وكان شاعرا لسانا مطبوعا فى الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله فى هجاء أبيه واخوته وسائر أهل بيته فما قال فى أبيه

بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء

فالجوع داخلها والذل خارجها * وفى جوانبها بؤس وضراء (وله فيه)

ماينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء (وله فيه)

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أننى أموت وتبقى فلئن عشت بعد يومك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

(وله فيه) رأى الجوع طباً فهو يحمى ويحتمى * فلست ترى فى داره غير جائع ويزعم ان الفقر فى الجود والسخا

وأن ليس حظ فى اكتساب الصنائع ٤٠٢ * لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

(وأنشدنى) أبو الحسن محمد ابن على الفقيه الوراق الانطاكى بانطاكية لعلى ابن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائى أمير بغداد وعبدون النصرانى أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله * وأمر العباد الى دانيه ومن قبلها كان أمر العباد * لعمر أبيك الى زانيه

فان رضيت رضيت أنه * كذا اليه فوقها دالبه وظل ابن بلبل يدعى الوزير * ولم يك فى الاعصر الخاليه

وطحان طى تولى الجسور * وسقى الفرات وزرقاميه ويحكم عبدون فى المسلمين * ومن ضله موجد الحاليه

وأحول بسطام ظل المشير * وكان يحوك ببر زاطيه وحامد ياقوم لو أمره * الى لألزمته الراويه

نعم ولأرجعته صاغرا * الى بيع رمان حصراويه واسحق عمران يدعى الامير * لداهية أيما داهيه

فهذى الخلافة قد ودعت * وظلت على عرشها خاويه فخل الزمان لاوغاده * الى لعنة الله والهاويه

فيارب قد ركب الارذلون * ورجلى فى رحلهم عاليه فان كنت حاملنا مثلهم * والا فارحل بنى الزانيه

جمع فى شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة فى ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوى صاحب المبرد فى المعتضد وقد ختن ابنه جعفر المقتدر انصرف الناس من ختان * يدعون من جوعهم حزاما فقلت لاتعجبوا لهذا * فهكذا تختن اليتامى

(وله أيضا فى المعتضد) الى كم لانرى مانرتجيه * ولاننفك من امل كذوب

لئن سموك معتضدا فانى * اظنك سوف تعضد عن قريب (وله فى الوزير) العباس بن الحسن وابن عمرويه الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ

لعن الله الذى قلـ ـد عباس الوزاره * والذى ولى ابن عمر * ويه بغداد الاماره

أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى * يرضيه منك فوزن عقلك أرجح

فى مثلها سيف الحمية ينتضى * فى مثلها زند الحفيظة يقدح

وعسى الذى بدأ الجميل يعيده * وعسى الذى سد المذاهب يفتح انتهى

وقد عرف فى الاحاطة بالسلطان ابى سالم فقال بعد كلام أملاك المسلمين وحماة الدين وأمراء المغرب الاقصى من بنى مرين غيوث المواهب وليوث العرين ومعتمد الصريخ وسهام الكافرين حفظ الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلهم وزين ببدور الدنيا والدين هالتهم وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أو من أقاربهم فما عسى أن يطنب اللسان فى مدحهم وأين تقع العبارة وماذا يحصر الوصف الى أن قال وفاته وفى ليلة العشرين من ذى القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن على نسمة السوء وجملة الشؤم والمثل البعيد فى الجراءة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى القصر السلطانى

لوز يرشح الوجـــه بطين كالقواره وقفافيه سناما * ن ورأس كالخياره لم يزل يعرف بالزفـــن قديما والعياره
وأمير أعجـمى * كحمار ابن حماره رحل الاسلام عنا * بتوليه الوزاره (وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى)
لجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر لما أرانى وجه برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر
(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام) خبيصة تعقد من سكره * وبرمة تطبخ فى قنبره
عندفتى أسمح من حاتم * يطبخ قدرين على مجمره وليس ذا فى كل أيامه * لكنه فى الدعوة المنكره
فى يوم لهو فظع هائل * ومجمع اللذات والقرقره يقول للآكل من خبزه * تعسا لهذا البطن ما أكبره
(وله فى أبيه أيضا) خبز أبى جعفر طباشير * فيه الافاويه والعقاقير فيه دواء لكل معضلة * للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة * يرهق من حولها النواظير ونيل ما ترتجيه من يده * ما ليس تجرى به المقادير
(وله فيه) بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن * لأعلم أن العير صار لنا صهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه * فيركبه بطنا وأركبه ظهرا (وقال فى جماعة من الرؤساء)
قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم * ومن يؤمل فيه الرفد والعمل ان تشغلونى باعمال أصيرها * شغلا والافى أعراضكم شغل
وقوله مالى رأيتك دائبا * مستسخطا أبد الرزقك ارجع الى ما تستحق فان قوتك فوق حقـــك
(وله فى عبيدالله بن سليمان الوزير) عبيدالله ليس له معاد * ولا عقل وليس له سداد ٤٠٣

السلطانى بالبلد القديم متحولا اليه حذرا من قطع فلكى كان يحذر منه استجله بضعف نفسه وأعانه على فرض صحة الحكم به وسد الباب فى وجهه ودعا الناس الى بيعة أخيه المعتوه وأصبح حائرا بنفسه يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس وجها الى نجاح حيلة فاعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه وأسلمه الدهر وتبرأ منه الجد وعندما جن عليه الليل فر لوجهه وقد التف عليه الوزراء فسفهت حلومهم وذالت آراؤهم ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا أوجههم شطر مظنة الخلاص واتصفوا ببلاغ الاعذار ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا أدراجهم وتسللوا راجعين الى يد غادر الجملة وقد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتاذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهار الغد واقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل بظاهر البلد ثانى اليوم الذى غدر به فيه جعلها الله تعالى له شهادة ونفعه فلقد كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعدا عن الشر وروركونا للعاقبة وأنشدت على قبره

رددت الى الحياة فعدت عنها
اقول الله لو ردوا لعادوا
(وله فى القاسم بن عبيدالله ابن سليمان)
قل للولى دولة السلطان
عند الكمال توقع النقصان
كم من وزير قد رأيت معظما
أضحى بدار مذلة وهوان
(وله فى عبيدالله بن سليمان)
لابد يا نفس من سجود

فى زمن القرد للقرود هبت لك الريح يا ابن وهب * فخذ لها أهبة الركود (وله فى اسمعيل بن بلبل الوزير)
لابى الصقر دولة * مثله فى التخلف مزنة حين ألمعت * آذنت بالتكشف (وله فى العباس بن الحسن الوزير)
تحمل أوزار البرية كلها * وزير بظلم العالمين يجاهر ألم تر أسباب الذين تقدموا * وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر
(وله فى الوزير صاعد بن مخلد) سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدى القرود
فما نالت أناملنا بشئ * علمناه سوى ذاك السجود (وله فى العباس بن الحسن الوزير)
بنيت على دجلة مجلسا * تباهى به فعل من قد مضى فلا تفرحن فكم مثل ذا * رأيناه ما تم حتى انقضى
(وله فى الوزير على بن محمد بن الفرات) وقفت شهور الوزير أعدها * فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله * ولا أنا أستحى الوقوف وآنف (وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر الفوملى)
سألت أبا جعفر * فقال يدى تقصر فقلت له عاجلا * يكون كما تذكر (وله فيه)
لحية كثة أضر بها النتـــف ووجه مشوه ملعون قلت لما بدا يجمجم فى القو * ل ويهذى كأنه مجنون
صدق الله أنت من ذكر الله مهين ولا يكاد يبين (وله فى ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه)
بخلت عنى بعقرف عظب * فلم ترانى ما عشت أركبه وان تكن صنته فما خلق الله مصونا وأنت تركبه

(وله مما أحسن فيه) تضمن لى فى حاجة ما أحبه * فلما قضيت الوعد قطب واعتلى

وصرت عذارا شغله واتصاله * ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا (ولعلى بن محمد بن بسام) فى هذه المعانى أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايرادها وأكثر منه فى هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبوه محمد بن جعفر فى غاية الستر والمروأة وكان رجلا مترفا حسن الزى ظاهر المروأة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبى قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمنى وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها وفى وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها وقد ملئ جمر الغضى وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فاجلسنى بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهى ثم رأيته قد استسقى ماء فاتوه بماء رأيت فيه ثلجا فلم يكن لى وكد الا قطع ما بينى وبينه ثم خرجت من عنده الى بردما نع وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه فى بعض الايام وهو جالس فى موضع فى آخر داره وقد رفعه على بركة وفى صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس فى الجنة قال فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فجلست واستقر بى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفى وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهى مملوأة من ماء ورد وقد جعل سافا على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج

الذى وورث به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أديت فيها بعض حقه

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة وكان يصف لسان الدين بعقربى وجليسى كما سبقت الاشارة اليه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبى رمانة والله يسبل على الجميع رداء عفوه سبحانه وقد تقدم انه شفع لابن الخطيب عند أهل الاندلس ولذلك قال يخاطبهم

سمى خليل الله أحييت مهجتى * وعاجلنى منك الصريخ على بعد
فان عشت أبلغ فيك نفسى عذرها * وان لم أعش فالله يجزيك من بعدى

(وقال الرئيس الامير الاديب أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر فى حق ابن الخطيب ما صورته) هو شاعر الدنيا وعلم المفرد والثنيا وكاتب الارض الى يوم العرض لا يدافع مدحه فى الكتب ولا يجنح فيه الى العتب آخر من تقدم فى الماضى وسيف مقوله ليس بالكهام اذ هو الماضى والا فانظر كلام الكتاب الاول من العصبه كيف كان فيهم بالافادة صاحب القصبه

وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم اتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين ايدينا جانة صينى بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيرى وأخرى مثلها قد عبى فيها التفاح الشامى قد رنا مقدارا سا حضر فيها الفحبة فما رايت طعاما انظف منه ولا ريحا اظرف منه فقال لى هذا احق الصبوح فما انسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم ان على بن محمد ابنه أخبر بضد ما كان عليه وانه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله فى القاسم بن عبيد الله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج وتمثل بقول على بن بسام

حياة هذا كموت هذا * فليس يخلو من المصائب فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله فى أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو تعس الزمان لقد أتى بعجائب * ومحا رسوم الظرف والآداب أوما ترى أسد بن جهور قد أتى متشبها باجلة الكتاب وأتى باقوام لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذى الحجة

وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن
عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان
خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى
الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن
العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته
وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته
وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فاتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله بن
محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر على بن عيسى ثانية ثم استوزر على بن محمد بن
على بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلواذى ثم استوزر بعده الحسن
ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات (وقتل
المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى
كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا
الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) أن الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها
فقال له المقتدر أى وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد بن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر
أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن
الجبارى وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان فى المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك فى كتابينا
أخبار الزمان مفصلا وفى الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ويمد لنا فى
العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير
نظم من تاليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب
وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخاط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن
اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب
الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بان أركان البيت الحرام الاربعة
غرقت حتى عم الغرق المطاف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف بن يعقوب
ابن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة
محمد بن داود بن خلف الاصبهانى الفقيه وقد قدمنا ذكره وأن وفاته كانت فى سنة ست وتسعين ومائتين وانما حكينا الخلاف
فى ذلك (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبى عوف البرورى المعدل ببغداد وذلك فى شوال

القصبه للبراعة بالبراعه وبه أسكتت صائلهم وماجدت بكرهم وأصائلهم للغزالة
المشربة بالحلاوه الممكنة من مفاصل الطلاوه وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين
بالاطلاع على العلوم العقليه والامتاع بالفهوم النقليه لكن صل لسانه فى الهجاء ألسع
ونجاد نطاقه فى ذلك أنسع حتى صدمنى وعلى القول فيه أقدمنى بسبب هجوه لابن عمى
ملك الصقع الاندلسى سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى المعظم فى الملوك بالقول الجنى
والانسى ثم صفحت عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير القاذر لان مثلى
لا يليق به اظهار العورات ولا يجمل له تتبع العثرات اتباعا للشرع فى تحريم الغيبه
وضربا عن الكريهة واثباتا لحظوظ النقيبة الرغيبه فاضره لو اشتغل بذنوبه
وتاسف على ما شربه من ماء اللهو بذنوبه وقد قال بعض الناس من تعرض للاعراض
صار عرضه هدفا لسهام الاغراض انتهى * ومثل هذا فى لسان الدين لا يقدح
ومازالت الاشراف تهجى وتمدح وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع فالاولى

وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى الجانب الغربى وانما نذكر هؤلاء لتقدمهم السن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم
وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن
بباب آل حرب من الجانب الغربى وقد قدمنا فى هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبى طالب فى أيام بنى أمية وبنى العباس
وفى غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا
وانما نذكر من ظهر من آل أبى طالب واللمع من أخبارهم فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم
ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذى ينتهى اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة
يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن
يحيى وكان ظهور أبى الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى أعمال دمشق فى سنة
ثلثمائة وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب
على الجسر الحديد بالجانب الغربى وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على وأخرج عنها المسودة وذلك فى
سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم
جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين

وغيرها وبنى فى الديلم
مساجد والديلم زعم كثير
من الناس من ذوى المعرفة
بالنسب أنهم من ولد باسل
ابن ضبة بن أدّ وأن الجيل
من تميم وقد قيل ان دخول
الاطروش الى طبرستان
كان فى أول يوم من المحرم
سنة احدى وثلثمائة
وان فى هذا اليوم دخل
صاحب البحرين البصرة
وقتل أميرها سبكا المفلحى
وقد أتينا على خبر الاطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبى محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على
طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبى العباس أحمد بن سريج القاضى
فى سنة ست وثلثمائة (وكانت) وفاة أبى جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضى بحلب وأدخل الليث بن على بن الليث ابن أخى
الصفار الى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل
الى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن
سليمان المروزى المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين (وفى هذه السنة) كان دخول
فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشام فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين
وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع فى الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادى وريح مظلمة وذلك فى شهر
رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة فى سنة
تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها اطلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنانة صاحب الغز والبحر
الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين
ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم وأقام وهنانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق

أن ينشد

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

*(وممن أثنى على لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى بعض أكابر علماء تلمسان ولم
يحضرنى الآن اسمه فى تأليف عرّف فيه بالشيخ العلامة سيدى أبى عبد الله الشريف
التلمسانى وابنيه العالمين أبى يحيى وسيدى عبد الله فقال بعد كلام فى حق الشريف مانصه
وكان علماء الاندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى ان العالم الشهير لسان
الدين بن الخطيب صاحب الانباء العجيبة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه اليه
وعرضه عليه وطلب أن يكتب عليه بخطه وكان الشيخ الامام الصدر المفتى أبو سعيد بن لب
شيخ علماء الاندلس وآخرهم كلما أشكلت عليه مسئلة كاتبه بها وطلب منه بيان ما أشكل
عليه مقرا له بالفضل انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور *(رجع) وكتب لسان
الدين بن الخطيب متمثلا بشيخه الاوحد قاضى الجماعة أبى البركات بن الحاج البلفيقى
رحمهما

ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفي سنة أحدى وثلثمائة) مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهري بمدينة السلام في سنة اثنتين وثلثمائة والذي صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم بن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن في الجانب الغربي في الشارع المعروف بشارع الحماليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضي وأبو جعفر محمد ابن اسحق بن البهلول القاضي وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبي عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين في هذا الوقت (وفي هذه السنة) وهي سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابي حرة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة) أدخل يوسف بن أبي الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم ووراءه من أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التي أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبي الساج بناحية

اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلي بن حسان وأبي الفضل المروي وأحمد بن علي بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبي الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التي هي من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسلك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقي وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره في حربه لابي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبي الساج وما كان في هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف ومسير القرمطي ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك في سنة تسع وثلثمائة

(ذكر خلافة القاهر بالله)

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بابي منصور وأمه أم ولد *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي ابن مقلة في سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله الخصيبي وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش باعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلي بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده اذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يتعدى على من قبله من الخلفاء والتشغب والوثب عليهم وكان

رحمهما الله تعالى

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

ويغلب على ظني انه خاطبه بذلك عند قدومه أعني لسان الدين من المغرب الى الاندلس والله تعالى أعلم *(وكان قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الشامي) كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى لانه تلقى أخباره من قاضي القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه في غير هذا الموضع ولقد رأيت بخطه على هامش بعض تآليف لسان الدين في الانشاء ما نصه هذا بليغ الى الغاية انتهى * وكتب اثره بعض أكابر علماء المشرق ما نصه هذا خط العلامة قاضي القضاة برهان الدين الباعوني وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الاندلسي معظم له ولانشائه وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم وكيف لا وهو شاعر مفلق وخطيب مصقع وكاتب مترسل بليغ لولا ما في انشائه من الاكثار

قليل التثبت في أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حي هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضي بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقي لله أصيب القاهر معتقلا في بعض المقاصير فأمر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التي وصفنا (وذكر) محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنسا قال خلا بي القاهر فقال اصدقني أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بيني وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لي انظر يقولها ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عني شيئا ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيئا قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة باخبار بني العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس فمن دونه فقلت على أن لي الأمان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت أما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن علي بمصر وحازم بن خزيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحرا سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان في عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرني عن المنصور قلت الصدق يا أمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفي أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليه وقد نظر في العلوم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرني عن المهدي كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسلك الناس في عصره سبيله وذهبوا في أمرهم مذهبه واتسعوا في مساعيهم وكان من فعله في ركوبه أن يحمل معه بدور الدنانير والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبي العرجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن اياس من تأييد المذاهب المانية والدنساقية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا

الذي لا يكاد يخلو من عثار والاطناب الذي يفضي الى الاجتناب والاسهاب الذي يقد الالهاب ويورث الالتهاب انتهى قلت وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين وان أطنب وأسهب فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب ويرحم الله تعالى العلامة البرهان الباعوني المذكور رأى علاه اذ كتب بخطه في آخر بعض تآليف لسان الدين في الانشاء ما صورته قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعوني لطف الله تعالى به الحمد لله على ما ألهم من البيان وعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقفت على هذا الكتاب من أوله الى آخره وعمت من بحر بلاغته في زاخره وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره فانه برز فيه غاية التبريز وأتى بما هو أحسن من الذهب الابريز لا بل بما هو أبهى من الجواهر والنجوم الزواهر وعجبت من تلك الالفاظ المشبهة لسحر الالحاظ ورقة المعاني المحكمة المباني انتهى فانظر أيدك الله تعالى بعين الانصاف الى كلام هذا الفاضل المنصف الكامل وقسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل مع أن الكلام الذي

تعرض

من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأذالوا شبه الملحدين فاوضحوا الحق للشاكين وشرع في بناء
المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل
قال فاخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين
يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة فسلكت عماله طريقته ويمموا منهجه وكثر السلاح في عصره
قال لقد أجدت في وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فاخبرني عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا
على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور في طريق مكة وأظهر ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبي صلى
الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة
وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته
وقفته رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فقمع الباطل وأظهر الحق وأنار الاسلام وبرز على سائر الامم وكان أحسن
الناس في أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والآبار
بمكة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت على ذلك من
الوقوف وما ظهر في أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب
بالصولجان في الميدان ورمى بالنشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب ٤٠٩ وقرب الحذاق في ذلك فعم
الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف قال القاهر فاراك قد قصرت في تفضيل أم جعفر فلم ذلك قلت يا أمير المؤمنين
ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر في
طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحي فاهوى بها نحوي فزغت منها
فاسترجع وقد أخطأتني فقال ويلك أبغضت ما فيه عيناك ومللت الحياة قلت هو يا أمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر زدني
منها قلت نعم يا أمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فاما الجد والآثار الجميلة
التي لم يكن في الاسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها في كل خفض
ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف
وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك
دون ما كان في وقتها من البذل وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثاني مما تتباهى به الملوك في أعمالهم
وينعمون به في أيامهم ويصونون به دولهم ويدونون في أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة
بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ الشاكرية
من الخدم والجواري يختلفون على الدواب في جهاتها ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة
والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر

تعرض له ذلك بالقدح هو الذي تصدى له الباعوني بالمدح وكل اناء بالذي فيه ينضح
وانما يعرف الفضل لاهل الفضل أهل الفضل والامر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح
(رجع) الى ما كنا بصدده وقال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب
أمير المسلمين الغني بالله بعد كلام كثير ما صورته محل الحاجة منه وكان هذا السلطان من
نيل الاغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا في قوس الخلافة وحكى لي
شيخنا القاضي أبو العباس الحسني أن كبير ولده الامير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذي
الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغني بالله أن يبادر باعذاره اذ كان
قد جاوز سن الاثغار دون اعذار لمكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث
المهمة فساعده الشيخ بذلك وقال للغني بالله يا مولانا ان سيدي يوسف وكلني على طلب
اعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه فقال له الغني بالله حسبي الله وسكت
سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ثم قال ونعم الوكيل فعدها الاكياس

والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس في سائر افعالهم بأم جعفر ولما افضى الامر
الى ولدها يا امير المؤمنين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم
واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية
وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن في يديه فاستحسنهن
واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات وألبسوهن
الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته
يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر
والاقفية ومناطق الذهب والفضة فاخذ الكاس بيده فاقبلت أتامل صفاء جوهر الكاس ونورية الشراب وشعاعه
وحسن أولئك الجوارى والحربة بين يديه وأسرع في شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون
فكان في بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها
ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على
قراءتها فافتن في فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك
كله وأظهر القول بالتوحيد ٤١٠ والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين
كابي الهذيل وأبي اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله

من مدارك نبله ومحاسن قوله وفعله انتهى قلت هذا من السلطان في حق لسان الدين
غاية التبجيل أعني قوله ونعم الوكيل فاين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد حتى
آل أمره الى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة مامر ولم يكن قتله الا بسبب
السلطان المذكور وكما

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ولما قضى الله عز وجل بالادالة ورجعنا الى أوطاننا من
العدوة واشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدالة والتكبر
على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ورغبت في تبرئة
الذمة ونفرت عن الاندلس بالجملة خاطبني يعني أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن
الاشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله والى هذا يا سيدى ومحل تعظيمى واجلالى أمتع الله
تعالى الوجود بطول بقائكم وضاعف في العز درجات ارتقائكم فانه من الامر الذى

وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم لم
للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه في فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين
سلك في النحلة رأى أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم في الآلة ولبس القلانس
والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل في أيامه
وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة
في سائر الامصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير
المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه وأمر
بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه
قال القاهر قد سمعت كلامك وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرني ما سمعت منك ولقد
فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لي بجائزة عجل لي عطاءها في وقتها ثم قال لي اذا شئت فقم فقمت وقام
على أثرى بحربته فخيل والله لي أن يرميني بها من ورائي ثم عطف نحو دار الخدم فما مضت الا أيام يسيرة حتى كان من أمره
ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حي يرزق الى هذه الغاية وهي

سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مداحا للملوك شاعر الاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا * على جديد أدنياه للبلى
لست اذا ما أبهضتنى غمرة * ممن يقول بلغ السيل الزبى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعى زفرة * تملا ما بين الرجا الى الرجا

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة اليزيديين وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائى لم أطع نهى الهوى * مدى الصبا نطلب من حاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلب * دامياً ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل الغضى * أغضت وفى أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول)

وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع فى الانفس من حد الظبا
أسرع من حرف الى جوء من * حب الى حبة قلب وحشى

فصاعد من ملك ابن حمير * ما بعده لمرتقين مرتقى

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الحلوانى بن محمد بن زيد الداعى بطبرستان بقوله

قفا خليلى على تلك الربا * وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتى ربعت ربوعها * عليك باستنجادها تشفى الجوى

(ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا)

ما شئت قل هى المها هى القنا * جواهر يكين أطراف الدمى

وممن تأخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دريد فما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين * ودون مزارها ذو الحلمتين
المخيلها وهنا برحلى * فولى رعيه الشرطين عينى

وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة الراضى بالله)

وبويع الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فاقام فى الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

واستوزر الراضى أبا على محمد بن على بن مقلة ثم استوزر أبا على عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم أبا عبد الرحمن بن محمد اليزيدى وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار حسان فى معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما انتقص عنه فمن ذلك قوله فى حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهى اذا تأمله * طرفى ويحمر وجهه خجلا

لم يغب عن رأى العقول ولا اختلف فيه أرباب المعقول أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها وتاج مفرقها وواسطة سلكها وطراز ملكها وقلادة نحرها وفريدة دررها وعقد جيدها المنصوص وتمام زينتها على العموم والخصوص ثم أنتم مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان احسانها وطبيب مارستانها والذى عليه عقد ادارتها وبه قوام امارتها ولديه يحل المشكل واليه يلجأ فى الامر المعضل فلا غرو أن تتقيد بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان والافكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرامى سهامكم لا سيما مع اقامتكم على جناح خفوق وظهوركم فى ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الديار ويلقى عصاه التسيار ولى العذر فى ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم يبر بعد جناحها المهيض ولا جم ماؤها المغيض ولا

حتى كأن الذى بوجنته * من دم وجهى اليه قد نقلا (ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد دنا مزاره * يسترنى ومؤنسى أزراره * ساق مليح القد كد جاره

سراجه ووجهه مناره * يشهد لى بيذله زناره * تاه بخد لحظه راجراره

ماس مع الجمرة جلناره * أى كثيب قد حوى ازاره * وأى نور ضمنت أزراره

طوع الكؤس غره عذاره * اخفاؤه تعتاده امراؤه * لا كان لهو لم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولى يروى كثيرا من أشعار الراضى ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه فى بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضى رأى فى بعض متنزهاته بالبوثا بستانا ناموتقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال لعب الصولى بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولى فى بدء دخوله الى المكتفى وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردى اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفى فحمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولى غايته غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل عن هواه ونصره للماوردى وقال له صار ماء وردك بولا (قال المسعودى) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل

بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيه مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادى اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر فى ذلك مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى تفصيل صنعة الكلام وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل ابن أحمد من أجل احسانه فى النحو والعروض وضع كتابا فى الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وتراقط ولا مس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا فى الكلام ولو جهد كل بليغ فى الارض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوى مرته فى الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان الله الذى لا يبقى منه شئ قال الجاحظ ولولا أن أسخف الكتاب واهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل حكيت صدر كتابه فى التوحيد وبعض ما وصفه فى العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاد فيه الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيآت تهاست صور لم يظهر فى اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهى ثمانية فى مثلها وتنسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة فى ستة عشر والامثلة تنصب فيها فى أول وهلة فى أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الرقاب منها فى صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهى عشرة فى مثلها والزيادة فى أمثلتها قطعتان تسميان الدباسين ومسيرهما كمسير الشاة الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التى تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة

تميزت من داجيها لياليها البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولا نسيت غماؤها بل هى كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافيه ويتمسح منكم باليد الشافيه فبحنانكم عليها وعظيم حرمتكم على من لديها لا تشوبوا لها عذب المجاج بالاجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فالداء اوحياة قربكم غير طبكم من علاج وانى ليخطر بخاطرى محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم اذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وان الوطن احدى المواطن الاظآر التى يحق لهن جميل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح وبحق نفسكم عن حق أوليائكم اسمح ولانى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجع وهب أن الدر لا يحتاج فى الاثبات الى شهادة النحور واللبات والياقوت غنى المكان عن مظاهرة القلائد والتيجان أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها فى تاج الملك أنوشروان

الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل فى عشقها للاشخاص العلوية أوتحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم فى النفس ونزولها فى عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة أبيات فى ثمانية وامثلتها اثناعشر فى كل جهة منها ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهى سائر الحواس والخامس المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والماتح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة التحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها * أحمى من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

أنوشروان فالشمس وان كانت أم الانوار وجلاء الابصار مهما أغمى مكانها من الافق قيل أليل هو أم نهار وكما فى علمكم ما فارق ذووا الارحام وأولوا الاحلام مواطن استقرارهم وأماكن قرارهم الا برغمهم واضطرارهم واستبدال دار خير من دارهم ومتى توازن الاندلس بالمغرب أو يعوض عنها الابمكة أو يثرب ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد وما فوقه مرابط جهاد ومعاقد ألوية فى سبيل الله ومضارب أوتاد ثم يبوّأولده مبوّأ أجداده و يجمع له بين طارفه وتلاده أعيذ أنظاركم المسددة من رأى فائل وسعى طويل لم يحل منه بطائل فحسبكم من هذا الاياب السعيد والعود الحميد وهى طويلة قال لسان الدين رحمه الله تعالى فاجبته بقولى

لم فى الهوى العذرى أولا تلم * فالعذل لا يدخل اسماعى
شانك تعنيفى وشانى الهوى * كل امرئ فى شانه ساعى

أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وذكر الهوى المتقادم لا يصغر الله مسراك فما أسراك

ومما قيل لها وبولغ فى وصفها واستوعب النظر لا كثر معانيها ما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جلة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر أعقاب الاحاديث فى غد * بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذاك أنه * أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الآن عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا فى استيعاب معانيها (من ذلك قول بعضهم)

لا خير فى النرد لا يغنى ممارسها * حسن الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها بحكمهما * ضدين فى الحال ميمونا ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب * يفوته القمر الا كان مظلوما

(وأخبرنى) أبو الفتح محمد بن الحسن السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهى

أيها المعجب المفاخر بالنرد * دليز هو بها على الاخوان   فلعمري حوصت جهدا على قـ...ـرك لولم تواتك الفصان

غبران الاذيب يكذبه الظن ويبكي لشدة الحرمان   واذاما القضاة جاءت بحكم * لم يحد عن قضائها الخصمان

ولعمري ما كنت أوّل انسا * ن تمنى فاخلفته الاماني   وأنشدني أبو الفتح أيضا لابي نواس

ومأمورة بالامر تاتي بغيره * ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا   اذا قلت لم تفعل وليست مطيعة * وأفعل ماقالت فصرت لها عبدا

(وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال في النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لاتنال بالكيس ولا بالحيل وماذكر عن أردشير بن بابك في ذلك أنه أوّل من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وماقدمنا من ذكرها في هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا فتبين باللعب بها انه لا صنع له فيها بل تصرفه فيها على مايوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضي وهو ممن كان له أدب الراضي وغيره من الخلفاء وابنائهم قال حدثت الراضي ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلي في الكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك مني في حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه في مجلسه فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لي وقد أقبل على

لعل الزمان أن يبلغ بي أن أتأدب بهذه الخصال وأكون في مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا الرجل من أصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن اعجب برأيه لم يشاور كفيئا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطا مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوّه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوّه وثق بامر قوّته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وابصر من عقاب واهدى من قطاة واحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد واحقد من جمل واروغ من ثعلب واسخى من ديك واشح من ظبي واحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب واجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق ومن احب ان يحب تحبب (قال المرضي) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله في حال صباه وقد حضر جماعة من ذوي العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن ابي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم ان يرسل اليه سراويل اجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الى بسراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وأن لايقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادي نمته ثمود

لقد جبت الى من هموي ليلا * وجست رجلا وخيلا * ووفيت من صاع الوفاء كيلا وظننت بي الاسف على مافات فأعملت الالتفات لكيلا فاقسم لو أن الامر اليوم بيدي أو كانت اللمة السوداء من عددي ما أفلت أشراكي المنصوبة لامثالك حول المياه وبين المسالك ولا علمت ماهنالك لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء وغيرت ربعه الانواء فخمد بعد ارتجاجه وسكت أذين دجاجه وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه وطال عهده بالزمن الاوّل وهل عند رسم دارس من معوّل وحيا الله ندبا الى زيارتي ندبك وبآدابه الحكمية أدبك فكان وقد أفادبك الاماني كمن أهدى الشفاء الى العليل وهي شيمة بوركت من شيمه وهبة الله تعالى قبله من لدن المشيمة ومن مثله في صلة رعي وفضل سعي وقول ووعي

قسما بالكواكب الزهر والزهر عاتمه

انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

كساني

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضي بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون انه راكب وقد كان جدي علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدي العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لي قائل ممن حضر ان أعجب ما في الدنيا طير يكون بارض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالككم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره أخذوا احدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر علي بن يزيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة ان هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم ترقط قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك انه لا يطأ الارض بقدميه بل

باحداهما خوفا على الارض أن تنخسف به من تحته قال والعجب الثاني دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة من يكرى نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضي معارضا لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن اعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور في نفسها أنها احسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثاني الكركي لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالثاني خوفا من أن تنخسف الارض من تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذي يقعد على سوق الماء من الانهار اذا انحزنت الذي يعرف بمالك الحزين على شبه الكركي خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضي فافترق من حضره وكل متعجب من الراضي مع صباه وصغر سنه كيف تتاتى منه هذه المذاكرات مع ان من حضره من اهل الرأي والسن والمعرفة (قال المسعودي) وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فاغنى ذلك عن ايرادها في هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضي وما كان من أمره في صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ما تاتى لنا ذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سهرت عند الراضي في ليلة شاتية صهباكية فرأيته قلقا متململا فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت بحديثك ما اجده من الهم فلك ما علي وبمحتي على ان أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت يا أمير المؤمنين رجل من بني

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل وحلى شكره وكنت دويواه عن التجمل ونظرني بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التامل واستطلع طلع نثى ووالى في مبرك المعجزة حثى انما أشكو بثي * ولو ترك القطا ليلا لناما * وما حال شمل وتده مفروق وقاعدته فروق وصواع بني أبيه مسروق وقلب قرحه من عضة الدهر دام وجمرة حسرته ذات احتدام هذا وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يرع أن هجم لما نجم ثم تهال عارضه واسحم

لا تجمعي هجرا علي وغربة * فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فاذا النفس فريسة ظفر وناب والمال أكيلة انتهاب والعمر رهن ذهاب واليد صفر من كل اكتساب وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لا خيار مع الزمان

وهب أن العمر جديد وظل الامن مديد ورأى الاغتباط بالوطن سديد فما الحجة لنفسي

هاشم الى ابن عمه بالمدينة فاقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فخاف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فاقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أمارأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا ان نصنع له شيئا لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه فى شرابه فلما احضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقياه مولاهما من غيره فلما اخذ الشراب منهما تناوم المولى وتمغص الفتى فقال للتى تليه ياسيدتى أين الخلاء فقالت لصاحبتها مايقول لك قالت يسالك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار * فمنزل اهلها منها قفار فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين ومافهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتى اين الحش فقالت لصاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

أوحش الدقرات والدرمنها * فغناهما بالمنزل المعمور فغنته فقال الفتى اظنهما عراقيتين ومافهمتاعنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لصاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبى فغنته فقال أظنهما حجازيتين ومافهمتا عنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتى ابن الكنيف قالت لصاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانيا فغنته فقال اظنهما يمانيتين ومافهمتاعنى ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياهذه أين المستراح فقالت لصاحبتها ماقال لك قالت يسالك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا وقلا الصبابة واستراحا فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشا يقول

تكنفنى السلاح وأضجرونى على مابى بتكرير الاغانى فلما ضاق عن ذلك اصطبارى زرقت به على وجه الزوانى ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية

اذا مرت بعطارح جفوتها وملاعب هفوتها ومثاقف قناتها ومظاهر عزاها ومناتها والزمان ولود وزناد الكون غير صلود

واذا أمرؤ لدغته افعى مرة * تركته حين يجر حبل يفرق

ثم ان المرغب قد ذهب والدهر قد استرجع ماوهب والعارض قد اشتهب وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضه وأسماؤه على الجوار مخفوضة والنية مع الله على الزهد فيما بايدى الناس معقوده والتوبة بفضل الله عزوجل منقوده والمعاملة سار يه ودروع الصبر سابريه والاقتصاد قد قرت العين بصحبته والله قد عوض حب الدنيا بمحبته فاذاراجعها مثلى من بعد الفراق وقد رقى لدغتها ألف راق وجعتنى بها الجره ما الذى تكون الاجره جل شانى وان رضى الوامق وسخط الشانى انى الى الله تعالى مهاجر وللعرض الادنى هاجر ولاطعان السرى زاجر لتجدان شاء الله تعالى وحاجر لكن دعانى للهوى الى هذا المولى المنعم هوى خلعت نعلى الوجود وماخلعته وشوقى أمرنى فاطعته وغالب والله صبرى

للناظرين وانتبه المولى فى اثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخى ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جوار يرون المخرج صراطا مستقيما لايدللنى عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضى المضحك كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من الف دينار (وذكر) الصولى قال قال الراضى ما كان السبب فى لبس المامون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما اخبرنا به محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المامون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن على وكانت اقعد ولد العباس نسبا واكرمهم بيتا فسالوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المامون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد على بن أبى طالب اقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن احدا فيما كان منك قال لها ياعمة ما كلمنى احد فى هذا المعنى بكلام اوقع من كلامك ولا أقصد لما اردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الامرة ابو بكر فقد عرفت ما كان من امره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد نهيا فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فاقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى على بن ابى طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما احد منهم الاولاه فكانت هذه فى اعناقنا حتى كافاته فى ولده بما فعلت

ولا يكون بعد هذا الامر محبون ثم رجع الى لبس السواد وللمأمون يا امير المؤمنين شعر يشاكل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله

الام على شكر الوصي ابى الحسن * وذلك عندى من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس والاول الذى * اعان رسول الله فى السر والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم امرة * وكانت على الايام تقصى وتمتهن
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم * ومن فيه اولى بالتكرم والمنن
فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى * وفاض عبيد الله جودا على اليمن
وقسم اعمال الخليفة بينهم * فلا زلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه على وغيرهم فغيبها فلما قبض عليه وسملت عيناه وافضت الخلافة الى الراضى طولب القاهر بالاموال فانكر أن يكون عنده شئ من ذلك فاوذى وعذب بانواع من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا فاخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له واعطاه حق العمومية والسن والتقدم فى الخلافة ولاطفه واحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن انواع الاطيار من القمارى والدباسى والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد

شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولا شئ قبله منها وساله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا باحد من

فالاستطاعة والحال أغلب وعسى أن لا يخيب المطلب فان يسر رضاه فاركل وراحل احتمل وحاد أشجى الناقة والجمل وان كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق والتسليم بمقامى لائق

ما بين غمضة عين وانتباهتها * يصرف الامر من حال الى حال

وأما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره وعموم خيره وبركة جهاده وعمران رباه ووهاده باشلاء عباده وزهاده حتى لا يفضله الا أحد الحرمين فحق برىء من المين لكننى للحرمين جنحت وفى جو الشوق اليهما سنحت فقد أفضت الى طريق قصدى محجته ونصرتنى والمنة لله تعالى حجته وقصد سيدى اسنى قصد توخاه الحمد والشكر ومعروف عرف به النكر والآمال من فضل الله بعد تمتار والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه بظهر الغيب مدد وعدة وعدد وبره حالى الظعن والاقامة معتمل ومعتمد ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد والسلام انتهى * ومن خط ابن الصباغ ما صورته يكفى ابن خاتمة الغاية التى سلمها

ولده فأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج فسار به الراضى الى البستان وساله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك فكان ذلك فحفر البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ فى حفره فلم يجد شيئا فقال له الراضى فما ههنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتاسفت على ان يمتع به بعدى غيرى فتاسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فأضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيعجل السرور ويؤخر ثواب من سره تسويفا وعدة فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله

لا ينصرف أحد ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتات لنا الامور كتاتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بل اخواننا ببعض ماحضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتاخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور مالم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة بجكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس بجكم ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أماترى صنع هذا الانسان وماتسمو اليه همته وماتحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به فى أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تلقى من أتباعها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمامون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان * بصاف من معتقة الدنان بكأس خسروانى عتيق * فان العيد عيد خسروانى

وجنبنى الزبيبين طرا * فشان ذوى الزبيب خلاف شانى فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفورب ذى امتنان

ويشربها ويزعمها حلالا * ٤١٨ وتلك على الشقى خطيئتان فطرب وأخذته أريحية فقال لى صدقت ترك الفرح فى مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد فى مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه فى الفرح والسرور وأجاز فى ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بجكم الطافه من أرض العجم فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودى) وقد أتينا على ماكان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا فى كتابينا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وماكان من أمره حال خروجه مع بجكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بجكم وأبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرنا فى هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان فى الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغنى عن كثير الاقتدار * (ذكر خلافة المتقى لله) * وبويع المتقى لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) * ولما أفضت الخلافة الى المتقى لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطى ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهانى ثم استوزر أبا الحسن على بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء تورون التركى واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش فى الماء فى الشذوات والطيارات والسماريات والديادب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش فى البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا

له امام الطريقه وواحدها الفذ على الحقيقه حيث قال

انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

ومن نظمه وقد تخلى عن الكتابة وطلب منه أن يعود فابى وأنشد

تقضى فى الكتابة لى زمان * كشان العبد ينتظر الكتابه

فمن الله من عتقى بمالا * يطيق الشكر أن يملا كتابه

وقالوا هل تعود فقلت كلا * وهل حر يعود الى الكتابه

فانظر حسن هذه التورية العجيبة انتهى * ولابن خاتمة يخاطب ابن جزى ياأخى الذى سماوده أن يجازى وسيدى الذى علا مجده عن أن يوازى وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء والاعتزاز وكافأ مالك من الاختصاص بالفضائل والامتياز أما انه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز ولم يجب التكلف باجابة من ابان فاعجز لغطيت عجزى عن عين تعجيزك ولما تعاطيت المثول بين يدى مناهزك أو مجيزك لكنه فى حكم الود المكنون

المكنوز

المكنوز مما لا يحل ولا يجوز فالكم الفضل فى الاغضاء عن عاجز دعاه حكم التكاف الى
القيام قيام مناجز وان لم يكن ذلك عند الانصاف وجيد الاوصاف من السائغ الجائز
فعن جهد ما بلغ وليك الى هذه الاحواز ولم يحصل الحقيقة الا على المجاز وأما ماذهبتم اليه
من تخميس القصيدة التى أعجزت وبلغت من البلاغة الغاية التى عزت مناهضتها وأعوزت
فلم أكن لاستهدف ثانيا لمناضلة الاعجاز واسجل على نفسى بالافلاس والاعواز انتهى
* وكتب قبلها قصيدة زائية أجابه بها عن قصيدة رائية التزم فيها ابن جزى ترك الراء
لانه كان ألثغ يدلها غينا رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة
المذكور انه الصدر المتفنن المشارك القوى الادراك السديد النظر الثاقب الذهن الكثير
الاجتهاد الموفور الادوات المعين الطبع الجيد القريحة الذى هو حسنة من حسنات
الاندلس أحمد بن على بن خاتمة من أهل المرية الى أن قال ومما خاطبنى به بعد المام الركاب
السلطانى ببلده وأنا صحبته ولقائه اياى بما يلقى به مثله من تانيس وبر وتودد وتردد

الرغائب فانضاف اليهم بجرية السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفر من القرامطة وكل ذلك
مع تورون وكان تورون من رفقاء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر تورون الى واسط لحرب البزيديين وكانوا املكوا واسط
وتغلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة
وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن يحدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل
ذلك خرج اليهم وتورون فى جملتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة
وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم البزيديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم
ماذكرنا فى كتابينا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن
عبد الله وخلاصه مما دبره عليه تورون وجحجح التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ تورون ذلك رجع الى بغداد وقصد بنى
حمدان فكان التقاؤهم بعكبرا فكانت بينهم سجالا ثم كانت لتورون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه
فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى
مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة
والكراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه
قائدا من قواده وجعل أمره
وزاد فى حاله وبر جميع من
معه من وزيره أبى الحسن
على بن مقلة وقاضى القضاة
أحمد بن عبد الله بن اسحق
الحرقى وسلام الحاجب
المعروف بأخى نجح الطولونى
وجماعة الوجوه والغلمان
ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن
طغج الى الرقة ولا الى شئ
من جانب الجزيرة وديار
مضر وعبر المتقى وسار الى
معسكره من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران طول
مقام المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين
والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب تورون بالمتقى وتواترت رسله
يسأله الرجوع الى الحضرة وأشهد تورون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع
والطاعة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود مما بذل من الأيمان وأعطى
من العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر وخوفوه من تورون وحذروه أمره فانه لا يأمنه على نفسه فأبى الا مخالفتهم
والثقة بما ورد عليه من تورون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم
يكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها باكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر
وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن سيرار كاتب تورون باحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى فى انحداره حتى دخل النهر
المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر فتلقاه تورون هنالك وترجل له ومشى بين يديه
فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضربه له على الشط من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة
السلام فأقام هنالك وانفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفى فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ونهب جميع

ما كان معه وقبض على وزيره أبى الحسن على بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذى كان الاخشيد ضمه الى المتقى ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفى فبويع له وبكى المتقى وصاح النساء والخدم لصياحه فامر تورون بضرب الدبادب حول المضرب لخفى صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفى بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفى بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما نزل المتقى الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه فى الخدمة لطول صحبته فقال لى فى بعض الايام فى الرقة وهو جالس فى داره على الفرات اطلب لى رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه فى خلواتى وأستريح به فى الاوقات قال فسالت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فارشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته فى الدخول الى المتقى لله فقام معى كالمكره وصرنا الى المتقى فاعلمته احضارى للرجل الذى طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه فى الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقى ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها فرالرجل فى أخبار آل أبى طالب الى أن صار الى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقى أتحفظ شعر أبى المقاتل نصر بن نصر الحلوانى فى محمد بن زيد الحسنى الداعى قال لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة

الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة فى أنسنا فاحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد قال نعم قال المتقى أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لا تقل بشرى وقل لى بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان
خلقت كفاه موتا وحياة * وحوت أخلاقه كنه الجنان فهو فصل فى زمان بدوى * وابن زيد مالك رق الزمان
فهو للكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان أوحد قام بتشييد المبانى * فبه استنبط أجناس المعانى
مسرف فى الجود من غير اعتذار * وعظيم البر من غير امتنان وهو من أرسى رسول الله فيه * وعلياه المعلى والحسان
سيدعرق فيه السيدان * والذى يكبر عن ذكر الحصان مختف فكرته فى كل شئ * فهو فى كل محل ومكان
يعرف الدهر على ما غاب عنه * فيرى المضمر فى شخص العيان تتناءى ألفاظنا عنه ولكن * هو بالاوصاف فى الاذهان دان
أخرجت ألفاظه ما فى الخفايا * وكفاه الدهر نطق الترجمان كافر بالله جهرا والمثانى * كل من قال له فى الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه * وانكفت عيناه بالسيف اليمان بعثت سطوته فى الموت رعبا * أيقن الموت بان الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى * يترك المقدام فى شخص الجبان ملك الموت يناديه أجرنى * منك كم تغزو بضرب وطعان
لا تكلفنى فوق الوسع وارفق * فلقد ملكك الله عنان ياشقيق القدر المحتوم كم قد * رضت بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان * يقتفى يوم أرون أوريان أنجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأحاطت لك بالدنيا اليدان
فاذا ما أروت اليمنى حباء * همت اليسرى بارواء السنان جدنا فى النفع والضر بدارا * فهما فى كل حال ضرتان

يامن حصلت على الكمال بما رأت * عيناى منه من الجمال الرائع
قمر يروق وفى عطافى برده * ماشئت من كرم ومجد بارع
أشكو اليك من الزمان تحاملا * فى فض شمل لى بقربك جامع
جسم البعاد عليه ضنا باللقا * حتى تقاص مثل برق لامع
فلواننى ذو مذهب لشفاعة * ناديته يامالكى ياشافعى

شكواى الى سيدى ومعظمى أقر الله تعالى بسنائه أعين المجد وأدر بثنائه ألسن الحمد شكوى ظمآن صد عن القراح العذب لاول وروده والهيمان رد عن استرواح القرب لمعضل صدوده من زمان هجم على بابعاده على حين اسعاده ودهمنى بفراقه غب انارة أفقى به واشراقه ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر حتى حرم عن تشييع كماله الباهر فقطع عن توفية حقه ومنع من تادية مستحقه لاجرم انه أنف لشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الاناره وبخل بالامتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية

عن

أرخت كفاك فى الآفاق حتى * ما تلاقى بسوالك الشفتان قد تمسك المدح العروصات * لك أيضا فى أعاديك الهجان
أنت لا تحوى بعتة ول كتاب * لك شأن خارج عن كل شان لك أثقال أيادى مثقلات * عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحى وزبور * والذى ضمت عليه الدفتان ها كها جوهرة تبر يه تو * لى وجوه الموت تكفين الجنان
يا امام الدين خذها من امام * ملكت أشعاره سبق الرهان واستمع للرمل الاول ثمن * كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن * ستة أجزاؤها عز الوزان كرة الآفاق لا تطلع الا * صارت الريح لها كالصولجان
حليت فى صنعة الالفاظ ما * يرتجيه كل ذى عفو وجان أنت تحكى جنة الخلد طباعا * والقوافى فيك كالحور الحسان
وابق للشعر بقاء الشعر والشكر مع الدهر فنعم الباقيان عمر رضوى بل ثبير وشا م * وأرام وشماريخ أبان
شهد الله على ما فى ضميرى * فاستمع لفظى ترجيع أذان حسنات ليس فيها سيآت * مدحة الداعى أكتبا يا كاتبان
فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيرار الكاتب سمعه ينشد هذا البيت لا تقل بشرى وقل لى بشريان فقال له الغلام وقد كان أنس به يا أمير المؤمنين دامت البشرى فقل لى بشريان وقد كان أنشده أولا القصيدة لا تقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لى وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى فوالله ما زال المتقى يقول لا تقل بشرى ولا يختار فى ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقى والغلام والله لتطيرنا لامير المؤمنين من اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ما ذكرنا (وحدث) ٤٢١ محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا الى مدينة غانة دعا بالرقى وغلامه فحادثاه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ خبر سليمان ابن ربيعة الباهلى فقال الغلام ذكر أبو عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان ابن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن الخطاب فجاءه عمرو بن معديكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمرو شكاه اليه فقال سليمان ادع باناء رجراج قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك فى عتقه فاسرع ونزل وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجن فاسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بحضره قال أنت سليمان الخيل فقال المتقى فما عندكما عن الاصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن الاصمعى قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه فى كاهله ومغروز عجزه فى صلبه واذا جادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى * عنه كسرحان القضيمة منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه * فى العين جرع من أوائل مشرب واذا اعترضت له استوت أقطاره * فكأنه مستدبر المتصوب
وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاجر واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ما قيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم
خير ما يركب الشجاع اذا ما * قيل يوما الا اركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلق متين الشظى عتيق النجار

عن لطيف العباره فراجع أنظاره واسترجع معاره والا فعهدى بغروب الشمس الى الطلوع وان البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع فما بال هذا النير الاسعد غرب ثم لم يطلع من الغد ماذاك الا لعدوى الايام وعدوانها وشأنها فى تغطية اساءتها وجه احسانها وكما قيل عادت هيف الى أديانها أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أولت من الاثر التى أزرى العيان فيها بالاثر وأربى الخبر على الخبر فقد سرت متشوقات الخواطر وأقرت مستشرفات النواظر بما حوت من ذلكم الكمال الباهر والجمال الناضر الذى قيد خطا الابصار عن التشوف والاستبصار وأخذ بأزمة القلوب عن سبيل كل مأمول ومرغوب وأنى للعين بالتحول عن كمال الزين أو للطرف بالتنقل عن خلال الظرف أو للسمع من مراد بعد ذلكم الاصدار الادبى والايراد أو للقلب من مراد غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل وأبراد وهل هو الا الحسن جمع فى نظام والبدر طالع لتمام وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام فما ترعى العين منه

سلجم اللحى واسع المنخر حد الاذن وافى الدماغ والوجه عارى ماجته الحرار واشتد عليا
ه فاكدى محدودبا بالعوار محضر القص مكرب الرسغ دامى الابط ساعى الجفون والاشفار
مسرف مفتل نجيب اذا أد * بر مستدبر ككر صغار فهو فى خلقه طوال ورحب
وعراض الى سداد قصار طال زاهيه والذراعان والاضلاع منه فتم فى اخفار
ثم طالت وأيدت فخذاه * فهو كفت الوثوب بيت الخيار والرحيب الفروج والجلد والمش
عر قدام منحر كالوجار والعريض الوظيف والجنب والاو * راك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر قوب والطرف حدة فى وقار فهو صافى الاديم والعين والحا
فر غمر بديهة الاحضار والقصير الكراع والظهر والرسغ العصيب العسيب والصلب وارى
لم تحن مثله القطاة ولم يسـ * ـلمه تركيبها الى استئخار مطمئن النسور بين خرام
كل لام أحم كالمنقار يكفت المشى كالذى يتخطى * طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير ما بأ * س به مانع من استمرار * لان فاهتز مقبلا فاذا أد
بر أهوى متابع الادبار * فى تعاقيب كالتماثيل أو كالـ * ـجن أو كالظباء أو كالحوار
فاذا ما طحابه الجرى فالعقـ * ـبان تهوى كواسر الاعسار ٤٢٢ فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى
ما كنتما عليه البارحة
واشرعا فى أخبار الحلائب
ومراتب الخيل فيها قال
الغلام يا أمير المؤمنين
أذكر قولا جامعا أخبرنى
به كلاب بن حمزة العقيلى
قال كانت العرب ترسل
خيلها عشرة عشرة أو أسفل
والقصب تسعة ولا يدخل
الحجر الحجر من الخيل
الاثمانية وهذه أسماؤها
الاول السابق وهو المجلى
قال أبو المنذام كلاب انما سمى المجلى لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال
الفراء انما سمى المجلى لانه يجلى عن وجه صاحبه والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهى صلاه والصلا عجب
الذنب بعينه والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة أولانه سلى عن صاحبه بعض
همه بالسبق والرابع التالى سمى بذلك لانه تلا هذا المسلى فى حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى
الراحة خمس أصابع لا يعدمها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس
وذلك أيضا ما يومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومئ بها يديه جميعا ويقابل
الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا وسمى السادس حظيا لان له حظا
وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس حظه وهى آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمى السابع العاطف
لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل الحجر وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا
الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشى أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وان كان خائبا لانه
قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر
السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا

فى غير مرعى خصيب ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب ولا تستطلع
النفس سوى مطلع له فى الحسن والاحسان أوفر نصيب لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه
التقصير وانفسح مدى علاه بكل باع قصير وسفه حلم القائل ان الانسان عالم صغير
شكر الله الدهر على يد أسداها بقرب مزاره وتحفة أهداها بمطلع أنواره على تغاليه فى ادخاره
نفائسه وتحليه بنفائس ادخاره لاغرو أن يضيق عنا نطاق الذكر ولا يتسع لنا سوار
الشكر فقد عمت هذه الاقطار بما شاعت من تحف بين تحف وكرامه واجتنت أهلها ثمرة
الرحلة فى ظل الاقامه وجرى لهم الامر فى ذلك مجرى الكرامه ألا وان مفاتحتى لسيدى
ومعظمى حرس الله تعالى مجده وضاعف سعده مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه وجرى
له القدر على وفق مرغوبه فشرع له الى أهله بابا ورفع له من خجله جلبابا فهو يكلف
بالاقتحام ويانف من الاحجام غير أن الحصر عن درج قصده يقيده والبصر يهرج نقده
فيقعده فهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويجدد عزما ثم لا يتحرى فان أبطأ خطابى فلواضح
الأعذار

ويدفعون للفرد سوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبى
اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا * سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل وان تك حقا بالسكيت مخلفا * فتورث مولاك المذلة بالنبل
أماذ كره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتجعف وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب قال
كلاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب فى الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكرها على
مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من أقليم بلخ من كورة
الرقة من ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان * بجمعية ضمها الموسم
نقود اليها مقاد الجميع * ونحن بصنعتها أقوم
غدونا بعقودة كالقداح * غدت بالسعود لها الانجم
مقابلة نسبة فى الصريح * فاهن للاكرم الاكرم
كمت اذا ما تباطى بهل * يفوت الخطوط اذا الجم
فهن أحوى ممرّ أغر * وأجرد ذو غرة أرثم
تلألألأ فى وجهه فرجة * كأن تلألؤها المرزم
فقيدت لمذخور ماعندها * لمنتظرى أنها تجسم
عليهن سحم صغار الشخوص * عماهم لجام انى تجسم
كأنهم فوق أشباحها * زراز برفى نفق حوّم
فصفت على الخيل فى محضر * يلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم * فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة * من الناس كلهم أعلم
فقلت ونحن على جدة * من الارض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون * ٤٢٣ ومهما يكن فهو لا يكتم

فأقبل فى أمرنا نافر
كما يتبل الوابل المثجم
وأتبع فوضى ومرفضة
كما ارفض من سلكه المنظم
أوالسرب سرب القطا راعه
من الجو شوذانق مظلم
فواصل من كل سقط له
كأن عنابيبها العندم
وللمرء من فرح ما تستشير
سنابكهن سنا يحزم
فجلى الاغر وصلى الكميت
وسلى فلم يذمم الادهم

وأردفها رابع تاليا * وأين من المجد المتهم
وماذمر تاحها خامسا * وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظى لها سادسا * فاسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستجير * يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخب * وغنى له الطائر الاشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا * فمن كل ناحية يلطم
يخب السكيت على اثره * وذفراه من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذى * جمانة نيط بها قمقم
اذا قيل من رب ذا لم يحر * من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يعد للحلاب الجواد * وشيك لعمرك ما يندم
وماذوا اقتضاب لمحمولها * لمن ينتميها و يستلزم
فرحنا بسبق شهرنا به * ونيل به الفخر والمغنم
وأحرزن عن قصبات الرهان * رغائب أمثالها تقسم
برود من القصب موشية * وأكسية الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة * كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة * ينوء بها الاغلب الاعصم
ففضت لهن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم
نوزعها بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم
وأنا لنرتبط المعربا * ت فى اللذات فما نرزم
نعدلها المحض بعد الثليث * كما يصلح الصبية المفطم
ونخلطها بصميم العيال * بمن لم يخب وهو المحرم
مشاربها الصافيات العذاب * ومطعمها فهو المطعم
فهنّ بأكناف أبياتنا * صوافن يصهلن أوحوم
ومال محمد بن يزيد فى كلمته هذه الى انه لاحظ للثامن وجعل

الاعذار ومثلكم من قبل جليات الاقدار والله سبحانه يصل لكم عوائد الاسعاد والاسعاف
ويحفظ بكم ما للمجد من جوانب وأكناف ان شاء الله تعالى وكتب فى عاشر ربيع الاوّل
عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى * ومن خاتمة رسالة من انشاء ابن خاتمة المذكور
فلنصرف عنان البطالة عن الاطالة ونسلم على السيادة الطاهرة الاصالة باطيب تسليم
ختامه مسك ومزاجه من تسنيم * ومن نظم ابن خاتمة المذكور

هو الدهر لا يبقى على عائذبه * فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه * بفوت أمانيه وفقد حبائبه

ومنه قوله ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يقضى بعمرك

وقال لسان الدين وكتب الى يعنى ابن خاتمة المذكور عقب انصرافه من غرناطة فى بعض
قدماته عليها مانصه مما قلته بديهة عند الاشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين

للسابع حظا فى السبق والهندسة اجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تجلب اليها
خيولها من كل مكان (قال المتقى) أتيتنا بما يجرى فى هذه الاوقات ودوناه فلم يزالا معه فى ذلك يجدد لهما البر الى أن كان من أمره
ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقى فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره فى هذا الوقت
واستفاض فى الناس وظهر فنهم أبو نصر القاسم بن أحمد الحرورى وهو أحد المطبوعين المجودين فى البديهة المعروفين بالغزل
فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدى وبدلنى به * جسدا تكون من هوى متجسد
مازال ايجاد الهوى عدمى الى * أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن انكك الشاعر وهو

لم لا ترى أصداقتى تصديقا * فينا ولم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة * حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا * وعلى الرفيق بان يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أوحل كا * ن مداعبا أوقال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده * مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام * بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا وتباعد * وقطعت أنت تواصل الاقلام
هلا ألفت اذا الزمان مشتت * الالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذرا أبا عيسى عسى لك فى القلا * عذرا وذا علم بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام
خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدر درك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى * فصلتها الى والكلام كلامى

وشعره فى الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشيع بموته وان اليزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى
فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما نذكر من أخبارهم فى هذا الكتاب لمعا لاشتراطنا فيه على أنفسنا
الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بجكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من
أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كونكار الديلمى واستيلائه على جيش بجكم وانحدار محمد بن رائق من الشام
ومحاربته كونكار بعكبرا ومخاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى ان انهزم كونكار واستولى
محمد بن رائق على الامر وما كان من اليزيديين وموافاتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلى فى كتابنا
المترجم باخبار الزمان فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المستكفى بالله)

وبويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة
وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وأمه أم
ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

قد قدمنا عند ماذكرنا خلع المتقى لله ان المستكفى
بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادور بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى
بايع له أبو الوفاء توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحسين

أتحفتهم سيادتكم بالاشراف عليه والدخول اليه وتنعيم الابصار فى المحاسن المجموعة
لديه وان كان يوما قد غابت شمسه ولم يتفق أن كمل أنسه وأنشدته حينئذ بعض من
حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى اعادة الحديث

أقول وعين الدمع نصب عيوننا * ولاح لبستان الوزارة جانب
أهذى سماء أم بناء سمائه * كواكب غضت عن سناها الكواكب
تناظرت الاشكال منه تقابلا * على السعد وسطى عقده والجنائب
وقد جرت الامواه فيه مجرة * مذانبها شهب لهن ذوائب
وأشرف من عليائه بهو تحفه * شماسى زجاج وشيها متناسب
يطل على ماء به الآس دائرا * كما افتر ثغر أو كما اخضر شارب
هنالك ما شاء العلا من جلالة * بها يزدهى بستانها والمراتب

ولما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيته من الليل

وسار حتى نزل فى يوم الاحد بالشماسية فلما كان فى يوم الاثنين انحدر فى الماء راكبا فى الطيار الذى يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفى بالله وعلى رأسه تورون التركى ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقى ضرير او أحمد ابن يحيى القاضى مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد ابن على السامرى مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسال عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فامر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لأشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقى محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الحنفى وعلى الجانب الغربى محمد بن الحسن بن أبى الشوارب الاموى الحنفى فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى فى الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه و بين الفضل بن

حضرنى أن قلت

دعونا الخطيب أبا البركات * لاكل طعام الوزير الاجل
وقد ضمنا فى نداه جنان * به احتفل الحسن حتى كمل
فاعرض عنا العذر الصيام * وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء * وليس الجنان محل العمل

وعندما فرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لى لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لاكلت معكم برا بهذه الابيات والحوالة فى ذلك على الله تعالى انتهى *ومن نظم ابن خاتمة المذكور فى فران

رب فران جلا صفحته * لهب الفرن جلاء العسجد
يضرم النار باحشاء الورى * مثل ما يضرم فى المستوقد
فكأن الوجه منه خبزة * فوقها الشعر كقدر أسود انتهى

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ولما قدمت مالقة آيبا من السفارة الى ملك المغرب محفوفا بفضل الله تعالى وجميل صنعه موفى المآرب مصحبا بالاعانة لقينى على عادته مهنيا يعنى أحمد ابن صفوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها وأنشدنى معيدا فى الود ومبديا وضمن غرضا له تعجل قضاءه والحمد لله تعالى

قدمت بما سر النفوس اجتلاؤه * فهنيت ما عم الجميع هناؤه
قدوما بخير وافر وعناية * وعز مشيد بالمعالى بناؤه
ورفعة قدر لا يدانى محلها * رفيع وان ضاهى السماك اعتلاؤه
عنيت بامر المسلمين فكلهم * بما رتجيه قد توالى دعاؤه
بلغت الذى أملته من صلاحهم * فادركت مأمولا عظيما جزاؤه
فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته * وقام باعباء الامور غناؤه
تشوقك الملك الذى بك فخره * وأنت حقيقا حسنه وبهاؤه
فلازال مزدانا بحليك جوده * ولازال موفورا عليك اصطفاؤه
وخصصت من رب العباد بنعمة * ينيلكها تخصيصه واحتفاؤه
وعشت عزيزا فى النفوس محببا * يلبى بتبجيل وبر نداؤه
وقد جاءنى داعى السرور مؤديا * لحق هناء فرض عين أداؤه
ولى بعد ذا مارب متوقف * على فضلك الرحب الجناب قضاؤه
هززت له عطف البطر ونى راجيا * له النجح فاستعصى وخاب رجاؤه
ولم يدرانى من علاك لمنتض * حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
يصمم ان هزته كفى لمعضل * فيكفى العنا تصميمه ومضاؤه
فحقق له دامت سعودك حرمتى * لديك برحنى مطله والتواؤه
وشارك محبا خالصا لك حبه * قديما كريما عهده ووفاؤه
وصل بجزيل الرعى حبل زمامه * يصلك جزيل الشكر وثناؤه

المقتدر الذى يسمى بالمطيع قبل ذلك مجاورة فى دار ابن طاهر وعداوة فى اللعب بالحمام وتطييرها واللعب

بقيت وصنع الله يدني لك المنى * ويوليك من مصنوعه ما تشاؤه
بحرمة من حقت سيادته على * بني آدم والخير منه ابتداؤه

وجمعت ديوان شعره أيام مقامي بمالقة عند توجهي صحبة الركاب السلطاني الى اصراخ الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء بالدرر الفاخره واللجج الزاخره وطلبت منه أن يجيزني وولدي عبد الله رواية ذلك عنه فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه الحمد لله مستحق الحمد أجبت سؤال الفقيه الاجل الافضل السري الماجد الاوحد الاحفل الاديب البارع الطالع في أفق المعرفة والنباهة والرفعة المكينة والوجاهة بابهى المطالع المصنف الحافظ العلامة الحائز في النظم والنثر واسلوبي الكتابة والشعر رتبة الرياسة والامامة محلي جيد العصر بتآليفه الباهرة الرواء ومجلي محاسن بنيه الرائقة على منصة الاشارة والانباء الى عبد الله بن الخطيب وصل الله تعالى سعادته وحرس مجادته وسني من الخير الاوفر والصنع الابهر مقصده وارادته وبلغه في نجله الاسعد وابنه الراقي بمجده الفاصل ومنشئه الاطهر محتل الفرقد افضل ما يؤمل لنجابته اياه من المكرمات وافادته واجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى في عزة سنية الخلال وعافية ممتدة الافياء وارفة الظلال رواية جميع ما تقيد في الاوراق المكتتب على ظهر اول ورقة منها من نظمي ونثري وما توليت انشاءه واعتمدت بالارتجال والرواية اختياره وانتقاءه ايام عمري وجميع مالي من تصنيف وتقييد ومقطوعة وقصيد وجميع ما احمله عن اشياخي رضي الله تعالى عنهم من العلوم وفنون المنثور والمنظوم باي وجه تادى ذلك الي وصح حملي له وثبت اسناده لدي اجازة تامة في ذلك كله عامة على سنن الاجازات الشرعي وشرطها المأثور عند اهل الحديث المرعي والله ينفعني واياهما بالعلم وحمله وينظمنا جميعا في سلك حزبه المفلح واهله ويفيض علينا من انوار بركته وفضله قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الله الغني به احمد ابن ابراهيم بن احمد بن صفوان ختم الله تعالى له بخير حامدا الله تعالى ومصليا ومسلما على نبيه المصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم وصحابته البررة أولي الاثرة والتقديم في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * وكتب الفقيه ابو جعفر بن عبد الملك العذري من اهل بلنسية الى لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض الاغراض

انى بعبدك لم ازل مستيقنا * ان لا يهدم بالتغير ما بنى
اذ انت اعظم ماجد يعزى له * صفح واكرم من عفا عمن جنى

وكتب ايضا

ان كان دهري قد اساء وجارا * فذمام مجدك لا يضيع جارا
فلأنت اعظم ملجا يحبى اذا * ما الدهر انجد موعدا واغارا

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبت الشيخ الشريف الفاضل ابا عبد الله بن نفيس محجة عن سكن اشتريته منه وكان قد أهدى الي فرسا عتيقا

المطيع من داره وعلم أنه سياتي عليه فلما استقرت للمستكفي طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على ابن أحمد الكاتب البغدادي قال لما استخلف المستكفي ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته فكان المستكفي يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفي ان يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شير زاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين فقال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام فقال له امض

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما * جزى الاله شريف البيت يوم جزى
ان أعجز الشكر منى منة ضعفت * عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

سيدى أبقى الله شرفك تشهد به الطباع اذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع وتعترف به الابصار والاسماع وان جحدت عارضها الاجماع باى لسان أثنى أم أى الافنان أهصر وأجنى أم أى المقاصد الكريمة أعنى أمطيت جوادك المبارك وأسكنت دارك واوسعت مطابى اصطبارك وهضمت حقك وبوأت جوارك ووصلت للغرباء ايثارك أشهد بانك الكريم ابن الكريم لا أقف فى تعدادها عند حد الى خير جد فان أعان الدهر على مجاراه وان ترفع كرمك عن موزاه فحاجة نفس قضيت وأحكام آمال أمضيت وان اتصل العجز فعين على القذى اغضيت ومناصل عزم ما انتضيت وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع واللسان والحمد لله طائع والله مشتر ما أنت بائع وقد وجهت من يحاول لسيدى ثمن ما اكتسبه مجده وسفرت عنه جده والعقيدة بعد التراضى وكمال التقاضى وحميد الصبر وسعة التغاضى وكونه الخصم والقاضى انه هبة سوغها انعامه وأكلة هناها مطعامه نسال الله تعالى أن يعلى ذكره ويتولى شكره وينمى ماله ويرفع قدره والولد جاره الغريب الذى برز الى مقارعة الايام عن خبرة قاصره وتجربة غير متعدة على الدهر وناصره قد جعلته وديعة فى كرم جواره ووضعته فى حجر ايثاره فان زاغ فيده العليا فى تبصيره ومؤاخذته بتقصيره ومن نبه مثله نام ومن استنام اليه بهمه أكرم بمن اليه استنام وان تشوف سيدى لحال محبه فطلق للدنيا من عقال ورافض أثقال ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال انتهى (وقال) رحمه الله تعالى مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه

مرضت فايامى لديك مريضة * وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رائع * ولا وسمت بالسقم غر خلالها

وردت على من فئتى التى اليها فى معرك الدهر أتحيز وبفضل فضلها فى الاقدار المشتركة أتميز سحاءة سرت وساءت وبلغت من القصدين ماشاءت أطلع بها سيدى صنيعة وده من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من أفصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة برضاها الخليل فلا تسال عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله أو عابد نوزع متقبل أعماله أو آمل ضويق فى فذلكة آماله لكننى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يبهر والحمد لله تعالى ويروق واللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب وردمن الصحة المغتصب آلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فلا يقنع بليد احتياطى الا الشرح ففيه يسكن الظما البرح وعذرا عن التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق فى مثلها أورى والشفيق بسوء الظن مغرى وسيدى هو العمدة التى سلمت لى الايام فيها

فاعرف ماهذه الاشباح واستقص أمرها فلم يلبس أن جاء وأخبره أنها ابل فقال أمحملة هى أم غير محملة قال لا أدرى ولكنى أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامى فلما رجع العراقى أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون فقال ماهى قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشام فقال

ألام على عمرو ولو مات أوناى * لقل الذى يغنى غناءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب فى هذا المعنى

شر الرسول لمن يحتاج مرسله * منه الى العود والامران سيان
كذاك ما قال أهل العلم فى مثل * طريق كل أخى جهل طريقان

قال المستكفى ما أحسن ماوصف البحترى الرسول بالذكاء بقوله

وكأن الذكاء يبعث منه * فى سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفى لغلام تورون فاخبر تورون بذلك فاعفاه منه وأزاله عن خدمته

وقالت حسب آمالك ويكفيها فكيف لا اشفق ومن أنفق من عينه فانا من عينى لا أنفق والله لا يحبط سعيى فى سؤال عصمتها ولا يخفق ويرشد الى شكره على ماوهب منها ويوفق والسلام الكريم على سيدى البر الوصول الذى زكت منه الفروع لما طابت الاصول وخلص من وده لابن الخطيب المحصول ورحمة الله تعالى وبركاته قال فراجعنى حفظ الله سيادته بما نصه

متى شئت ألفى من علائك كل ما * ينيل من الآمال خير منالها
كبر اعتلال من دعائك زارنى * وعادات بر لم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الاعلى متطولا بتاكيد البر متفضلا بموجبات الحمد والشكر وردتنى سحاءته المشتملة على معهود تشريفه وفضله الغنى عن تعريفه متحفيا فى السؤال عن شرح الحال ومعلنا بما تحلى به من كرم الخلال والشرف العال والمعظم على ما يسر ذلك الجلال الوزارى الرياسى أجراه الله تعالى على أفضل ما عوده كما أعلى فى كل مكرمة يده ذلك ببركة دعائه الصالح وحبه المخيم بين الجوانح والله سبحانه المحمود على نعمه ومواهب لطفه وكرمه وهو سبحانه المسؤل أن يهيئ لسيدى قرار الخاطر على ما يسره فى الباطن والظاهر بمن الله تعالى وفضله والسلام الكريم على جلاله الاعلى ورحمة الله وبركاته كتبه المعظم الشاكر الذاكر الداعى المحب ابن رضوان وفقه الله تعالى فى ذى الحجة ختام عام واحد وستين وسبعمائة انتهى (وقال) رحمه الله تعالى وفاتحته يعنى الشيخ الجنان محركا قريحته ومستثيرا ما عنده بقولى

ان كانت الآداب أضحت جنة * فلقد غدا جنانها الجنان
أقلامه القضب اللدان بدوحها * والزهر ما رقته منه بنان

وذكر بعد البيتين سجعا بليغا ثم قال فراجعنى الجنان بما نصه

ياخاطب الآداب مهلا فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره فى الارض كفء لها * وشرطها الكفاة قول مصيب
أصبح للشرط بها معرسا * فاستفت فى الفسخ فهل من مجيب

أيها السيد الذى يتنافس فى لقائه ويتغالى ويصادم بولائه صرف الزمان ويتعالى وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه وتقتنص شوارد العلوم بروايات كلامه فكيف بدانات عيانه جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد وأقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد واقتنصت بشرك بديهتك من المعانى اوابد شوارد وبخرت من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد ثم كلفتنى من اجراء ظالعى فى ميدان ضليعها مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها فاخلدت اخلاد مهيض الجناح وفررت فرار الاعزل عن شاكى السلاح وعلمت اننى ان أخذت نفسى بالمقابله وأدليت دلو قريحتى للمساجله كنت كمن كلف الايام مراجعة امسها أوطلب ممن علته السماء محاولة لمسها وان رضيت من القريحة بسحيتها وأظهرت القدر الذى كنت امتحت من ركيتها أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الاشيب عيون العين ثم ان أمرك

فلما كان من أمره ما اشتهر صرت فى خدمة أخيه عبد الله ابن المكتفى فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وماقال الناس فيها من المنثور والمنظوم وماوصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة باحسن من وصف بعض من تاخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه أنه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونته الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ماوصفناه من الغالب على الخمر قال واصفها قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها

لست أرى كالراح فى جمعها * لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهوا * وسخنة النار وبرد الثرى

ياسيدى لايحل وثيق مبرمه ولايحل نسخ محكمه فامتثلته امتثال من لم يجد فى نفسه حرجا من قضائك وردون حسن تجاوزك واغضائك أبقاك الله تعالى قطبا لفلك المكارم والمآثر وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام انتهى * والجنان المذكور مغربى من مكناسة الزيتون وهو الشيخ الفقيه العدل الاديب الاخبارى المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسى الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم له تصنيف حسن فى ثلاث مجلدات سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى فأربى على غيره بيانا وافادة قال فى نفاضة الجراب وناولنى اياه واذن لى فى حمله عنه وأنشدنى كثيرا من شعره فن ذلك ما صدر به رسالة يهنئ بها ناقها من مرض

البس الصحة بردا قشيبا * وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا * واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى * تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش فى دهرنا ذا سرور * يصبح الحاسد منه كئيبا

وقال أيضا لسان الدين فى النفاضة قرأت بالدور الحنشى فى الدار التى نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقشة استحسنتها لسهولتها فاخبرنى انها من نظمه وهى

انظر الى منزل متى نظرت * عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبئ عن رفعة لمالكه * وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشى فى أسافله * مارقم النقش فى أعاليه
كأنه روضة مدبجة * جاد لها وابل بما فيه
فاظهرت للعيون زخرفها * ووافقتها على تحليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم * من جنة الخلد ما يحاكيه انتهى

قلت قد تذكرت هنا والشئ بالشئ يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى وهى من بدائع الدنيا وهو

انظر بعينك بهجتى وسنائى * وبديع اتقانى وحسن بنائى
وبديع شكلى واعتبر فيما ترى * من نشأتى بل من تدفق مائى
جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بى أزهار وشى نمقت * فغدت كمثل الروض غب سماء

ومما أنشده بعض أهل العصر فى المغرب بقصد أن يرسم فى الاستار المذهبة المحكمة الصنعة التى جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه الله تعالى لكى يستر بها النواحى الاربع من القبة الكبيرة بالبديع وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطى ففى الجهة الاولى

متع جفونك من بديع لباسى * وأدر على حسنى حميا الكاس

بما ينفع من فنون الشهوات قال فاما شعاع الخمر فانه يشبه بكل شئ نورى من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فاما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر فى العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والرازقى وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن فى مدحها قال فاما صفاؤها فيحتمل ان يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفائها

تريك القذى من دونها وهى دونه

وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها فى النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وانها لاتكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال فكأنه فى كفه * شمس وراحته قمر (وقال) فعلت فى البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح فى الظلم

هذى الربا والروض من جرعائها * ما أغتذى بالعارض البجاس
أنى لروض أن يروق بهاؤه * مثلى وأن يجرى على مقياس
فالروض تغشاه السوام وانما * تأوى الى كنفى ظباء كناس

وعلى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب اذا انثنى * تزرى بغصن البانة المياس
ولقد نشرت على السماك ذوائبى * ونظرت من شزر الى الكناس
وجررت ذيلى بالمجرة عابثا * فخرا بمبتدعى أبى العباس
ما نيط مثلى فى القباب ولا ازدهت * بفنى سواه مراتب وكراسى

وعلى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه * ورماهم بالذل والاتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة * ليث الحروب مسعر الاوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها * قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك اذا وافى البلاد تأرجت * منه الوهاد بعاطر الانفاس

وعلى الجهة الرابعة

واذا تطلع بدره من هالة * يغشى سناه نواظر الجلاس
أيامه غرر تجلت كلها * أبهى من الاعياد والاعراس
لازال للمجد السنى يشيده * ويقيم مبناه على الآساس
ما مال بالغصن النسيم وحببت * دررا الندى فى جيده المياس

وما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبى محمد الحسن بن أحمد المسيومى المراكشى أحد مشاهير الكتاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبى العباس الشريف الحسنى ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كتب فى بعض مبانى صاحبنا الوزير العلامة الاجل سيدى عبد العزيز القشتالى رحمه الله تعالى وهو

أجل المعلى من قداح سرورى * وأدر كؤس الانس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسنى * فكسيت به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشى المفوف حاتى * نسق الشذور على نحور الحور
شاو القصور قصورها عن رتبة * لى بالسنا الممدود فى المقصور
فى المبتنى المراكشى وافقه * ازرى على الزوراء والخابور
اعلى مقامى البارع الاسمى الذى * قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذا اقل بنانه اقلامه * نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز اخو الجلالة كاتب * سر الخليفة احمد المنصور
لازال فى عز وأمن ما شدت * ورق بروض بالندى ممطور انتهى

وبعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد والغاية فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو

اذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل فى داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا
وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها لفرط شعاعها
فى الكاس يكرع فى ضيا مقياس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بى فانى
رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا منى أصبح
ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها
فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كأن نارا بها محرشة
تهابها تارة وتخشاها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت
نور النواظر من بين المحاليق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت * كالشهب تنقض فى اثر العفاريت

فارس عبد العزيز القشتالى المذكور وهى جملة من قصائد كتبت فى المبانى الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية حاطها الله تعالى فمنها ما كتب خارج القبة الخمسينية أى التى فيها خمسون ذراعا بالعمل وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة

سموت فخر البدر دونى وانحطا * وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى * ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت باطواقى الثريا كأنها * نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لاننى * جعلت على كيوان رحلى مخطا
وأجريت من فيض السماحة والندى * خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت * اليه وفود البحر تغرق ما أنطى
فضض ما بين الغروس كأنه * وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد * وغيد تجرر من خمائلها مرطا
اذا أرسلت لدن الفروع ونبجت * جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
برنحها مر النسيم اذا سرى * كما مال نشوان تشرب اسفنطا
يشق رياضا جادها الجود والندى * سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
وسالت بسلسال اللجين حياضه * بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية * هى الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
حكت وحباب الماء فى جنباتها * سنى البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها * على جسمها الفضى نهرا بها الطا
توسمت فيها من صفاء أديمها * نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
اذا اتسقت بيض القباب قلادة * فانى لها فى الحسن درتها الوسطى
تكنفنى بيض الدمى فكأنها * عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود ولكن زانها الحسن عريها * وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت * قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيا لك شاوا بالسعادة آهلا * بأكنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت * تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كناسها * حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ما طاب لا الاثل والخمطا * ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطى
نراه من المسك الفتيت مدبرا * اذا مازجته السحب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها * الى كل انف عرف عنبره قسطا
اقرت له الزهراء والخلد وانتقت * أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب * على خير من يعزى لخير الورى سبطا
امام يسير الدهر تحت لوائه * وترسى سفان للعلا حيثما وطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق * يفلق هامات العدا بالظبا خبطا

(وقال) عتقت فى الدنان حتى استفادت * نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال)
يحوّدها حتى عيانا يرى لها * الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال)
قال ابغنى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة * كانت لنا حتى الصباح صباحا

قال وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وليس الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ فى الحسن قال فداخل المستكفى سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عنى من هذا الوصف قال نعم يا سيدى (قال) عبد الله بن محمد الناشى وقد كان المستكفى ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفى حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل ابن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه اعرضنا

تطلع من خرصانه الشهب فانثنت * ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصر ان جرت لملمة * جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
اذا ماعقدن راية علوية * جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
فللسما تلك الاهلة انما * سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدى المعلوات عنانها * فيعتاد من فيض الزمان بها بسطا
يد لامير المؤمنين بكفها * زمام يقود الفرس والروم والقبطا
أدار جدار العلا وسرادقا * يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقوله مما كتب ببهو هاعرم أسود فى أبيض

لله بهو عز منه نظير * لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد * قد نضدتها فى النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها * وشى وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة * قد زان حسن طرازها تشجير
واذا تصعد نده نو أفق * أغاطه نور به ممطور
شاد القصور وقصورها عن وصفه * سيان فيه خورنق وسدير
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته * يرتد وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه * حركات ضعف صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة * ملأ النفوس بحسنها تصوير
فتدير من صفو الزلال معتقا * يسرى الى الارواح منه سرور
ما بين آساد يهيج زئيرها * وأساود يسلى لهن صفير
ودحت من الانهار أرض زجاجة * وأظلها فلك يضىء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع * تطفو عليها اللؤلؤ المنثور
ياحسنه من مصنع فبهاؤه * باهى نجوم الافق وهى تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه * حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الاسمى تحير وصفه * فخر الورى وامامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة * واقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة * رميت بجحفلها اللهام الكور
وجرى الى أقصى العراق لرعبها * جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبى ابن الوصى سليل من * حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندى لكنه متموج * سيف العلا لكنه مطرور
طود بخف لحلمه ووقاره * وبجيشه يوم النزال ثبير
دامت معاليه ودام ومجده * طوق على جيد العلا مزرور
وتعاهدته عن الفتوح بشائر * يغدو عليه بها المسا وبكور
مادام منزل سعده يرتاده * نصر يرف لواؤه المنشور

فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمى منتصرا واحسن اليه أحمد ولم يظهره فلما مات تورون ودخل الديلمى الى بغداد وخرج الاتراك عنها صار الى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله ابن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمى من الحرب ما قد اشتهر وانحاز الديلمى الى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مختف ببغداد والمستكفى يطلبه أشد الطلب وأنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدرنا من الجانب الغربى فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفى ما قدمنا قال كان المستكفى فى سائر أوقاته فازعا وجلا من المطيع أن يلى الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد فكان صدره يضيق لذلك فيشكو ذلك فى بعض الاوقات الى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع الى أن قال لهم فى بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع فى مكان كذا وكذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وما قال الناس فى ذلك منظوما فاتفق معهم على ذلك فلما كان فى اليوم الذى حضر وأقبل المستكفى فقال هاتوا ما الذى أعده كل واحد منكم فقال واحد

ومشت

ومشت به مرحا جياد مسرة * وأدار كاس الانس فيه سمير

وقوله مما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائعي سحر العيونا * ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت نقوشي واستطارت * سنى يعشي عيون الناظرينا
وأطلع سمكي الاعلى نجوما * ثواقب لا تغور الدهر حينا
وجوي من دخان الند ألقى * على أرضي الغياهب والدجونا
علوت دوائر الافلاك سبعا * لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الاهلة والحنايا * أساور والخلاخل والبرينا
تكنفني حياض ماثلات * أمامي والشمال او اليمينا
يقيد حسنها الطرف انفساحا * ويجري الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها نحوي فلما * تلاقي البحر في جري دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى * فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نثر الحباب على سماها * لآلئ تزدري العقد الثمينا
فخرت وحق لي لما اجتباني * لمجلسه امير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق * وباني المجد بنيانا مكينا
وليث وغى اذا زأراه تعاضا * يروع زئيره هندا وصينا
اذا امت كتائبه الاعادي * بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب * تدقهم رحى أو منجنونا
أمام بالمغارب لاح شمسا * بها الشرق اكتسى نورا مبينا
بقيت بذي القصور الغر بدرا * تلوح بافقهن مدى السنينا
تحف بكم عواكف عند بابي * ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى امير المؤمنين اذ * خلوها مع سلام آمنينا

وقوله في بعض المباني المنصورية

معاني الحسن تظهر في المغاني * ظهور السحر في حدق الحسان
مشابه في صفات الحسن اضحت * تمن بها المغاني للغواني
بكل عمود صبح من لجين * تكون في استقامة خوط بان
مفصلة القدود مثلثات * مواصلة العناق من التداني
تردت سابري الحسن يزوى * بحسن السابري الخسرواني
وتعطو الخيزرانة من دماها * بسالفة القطيع البرهماني
لجدك تنتمي لكن نماها * الى صنعاء ما صنع اليدان
يدين لك ابن ذي يزن ويعنو * لها غمدان في ارض اليماني
غدت حرما ولكن حل فيها * لوفدكم الامان مع الاماني
مبان بالخلافة آهلات * بها يتلو الهدى السبع المثاني

امتع بسلة قضبان أتتك وقد حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة حمر وصفر وما فيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا فجاء به كأنه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الداوصيني فليس له في الطعم شبه ولا في لونه عار
كأنه المسك ريحا في تنسمه حريف في طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البري ان له لونا حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن نصرت به أبصرت عطره بالاكل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى في الجيب منه من المحضود أسفار
اذا تأملت ما فيهن من بصل كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه طعم من الخل قد حازته أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره دراهم صففت فيهن دينار
في كل ناحية منها يلوح لنا نجم الينا بصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابلها بدر وشمس وإظلام وأنوار

 قال المستكفي تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فليس نأكل اليوم الا ما تصفون

متى ننشط للاكل
فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهى
لنا احسن ما زينه
فجاءت وهى من أطيب مايؤكل مشحونه
فمن جدى شويناه
وعصبناه صارينه
ونضدنا عليه نعنع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور
أجدنا لك تسفينه
وطيهوج وفروج
أجدنا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلوة فى آثر طريونه
وجمراء من البيض
الى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات
بزيت الماء مدهونه
يولدن لذى التخمة جوعا ويشهينه
دبوع بكسور الند بالعنبر معجونه
وحريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلى فى
سموط العيد مكنونه
وخل ترعف الآنا
ف منه وهى مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى بـ
ـك تستعذب هليونه
ولوزينجة فى الدهـن والسكر مدفونه وعندى لك رسنيجـة مطبوخ وقنينه

هى الدنيا وساكنها امام * لاهل الارض من قاص ودانى
قصور مالها فى الارض شبه * ومافى المجد للمنصور ثانى

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب فى المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور وكان انشاها فى جمادى الاولى من عام خمسة وتسعين وسبعمائة

باكر لدى من السرور كؤسا * وارض النديم أهلة وشموسا
واعرج على غرفى المنيف سماؤها * تلق الفراقد فى حماى جلوسا
واذا طلعت باوجها قمر العلا * لاترتضى غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت * منى على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما * ورد التحيز من بديعى خيسا
ملك أرى كل الملوك ممالكا * لعلاه والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهى عواكف * تصل المقيل لديه والتعريسا
وهناك ياشرف الخلافة دولة * تلقى براياتها طلائع عيسى

وقوله من جملة قصيدة من نمط ما تقدم لم استحضر أولها

سلبت تماثلها الجمال اغتدت * تزهو بحسن طرازها تذهيبا
ولقد تشامخ فى العلو سماكها * يجرى على الفلك المنير جنيبا
وسما الى الشهب الزواهر فاغتدى الاكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعز شبه بدائع * أبدعتهن به فجاء غريبا
أضفى الغزالة حسنه حسد الذا * أبدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأت * زهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا * أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت فى كل الفخار لغاية * أدركتها ومامسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا * تجنى به فنن النعيم رطيبا
واليكها عذراء فكر أهديت * وجعلت مدحك مهرها الموهوبا
ونظمت من درر البلاغة عقدها * فغدا يروق بجيدها ترتيبا
ورفعتها لمقامكم تمشى على استحيا فيزعجها الولا ترغيبا
فأنت على شرف لكم فتوقفت * لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت اليك بحب جدك أحمد * لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها * والى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة * يرعى بها خلفا الكم وعقيبا انتهى

ومحاسن صاحبنا المذكور فى النظم والنثر يضيق عنها هذا التاليف وكنت أثبت منها جملة فى غير هذا الموضع ولما أحس بعزمى على الرحلة الى الحجاز واقتضائى من سلطان المغرب فى وعده لى بها النجاز كتب الى من حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ماصورته بعد سطر الافتتاح

يا نسمة عطست بها أنف الصبا * فتضمخت بعبيرها فنن الربا
هبى على ساحات أحمد واشرحى * شوقى الى لقياه شرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضى متقلبا
بان الاحبة عنه حى قد توى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السيادة التى سوّاها الله من طينة الشرف والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكى المحتد والنسب سيادة العالم الذى تمشى تحت علم فتياه العلماء الاعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الاقلام كلما خط أو كتب واذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب وحكت بانسجامها السيل والقطر فى صبب الفقيه العالم العلم والمحصل الذى ساجلت العلماء لتدرك فى مجال الادراك شأوه فلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك المملكة فى المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره ويجنى من روضه اليانع ثماره سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد ثابت الاوتاد نزهو الاغوار والانجاد ولا جديد الا الشوق الذى تحن الى لقيا كم ركائبه وترتاح وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرة الهنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى وهو غض الجنى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذى راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته وخبا سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته فاطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته وعوّذناه بالسبع المثانى بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته ثم مررنا بتضاعيفه بسوق الرقيق فرمنا السلوك على متعاهافعمى علينا الطريق وقلنا واها على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها لا كسوق نفق فيها سوق الغزل وعلا كعب الرامح والاعزل وتظافر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم وتهيأنا للسباحة فوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودى فابنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعى وقلنا ما لنا وللانشاء فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذى عطست به أنف الصبا فقذفت به البديهة من الفم وشرقت به صدر قناة القلم كما شرقت صدر القناة من الدم وأمّا ما تحمل الرسول من كلام فى صورة ملام لا بل مدام أترع به من سلاف المحبة كاس وجام فلا وربك ما هى الا نفحة نفحت لا سموم لفحت هز زنا بها جذع ادبكم كى يتساقط علينا رطبا جنيا ويهمى ودقه على الربع المحيل من أفكارنا وسميا ووليا فجاد وأروى وأجاد فيما روّى وأحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى وطرسا بين أنامل الايام ينشر ويطوى أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته وعرج بأرواحنا عند الممات الى المحل الاخص بالمؤمن من حضرته وأهدى السلام المزرى بمسك الختام الى

الايام لمحزون
نأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفى احسنت واحسن القائل فيما وصف ثم امر باحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يمكن احضاره ثم قال هاتوا من معه شئ فى هذا المعنى فقال آخر فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط

يا سائلى عن مجمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما انشاته من قصه
مسلما من سوئه ونقصه
خذ يا مريد المآكل اللذيذ
جردقتى خبز من السميذ
لم تر عينا ناظر مثليهما
فقشر الحرفين عن وجهيهما
حتى اذا ما صار تا طفاطفا
فضف على احداهما تأنفا
من لحم فروج ولحم فرخ
تذوب جوذ اباهما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز
معارضات أسطرا من جوز
اكفاحها الجبن مع الزيتون
وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن
مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق الاحمر
فدرهم الوسط به ودنر

وترب الاسطر بالملح ولا * تكثر ولا تزل معتدلا وردد العينين فيه لحظا * فان للعينين منه حظا

الفقيهين الامجدين الصدرين الانجدين الفذين التوأمين الفاضلين المجيدين فارسى البراعة واليراعه ورئيسى الجماعة فى هذه الصناعه رضيعى لبان الادب و واسطتى عقده ومجيلى قدحه المعلى وموريى زنده المتمعين بشميم عراره وزنده الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده الكاتب البارع أبى الحسن سيدى على بن أحمد الشامى والكاتب البليغ أبى عبد الله سيدى محمد بن على الوجدى وأقرّ لهما الود المستحكم المعاقد الصافى المناهل العذب الموارد وانى قائم بورد الثناء عليكم وعليهما الدى المقام العلى الامامى الناصرى دام سلطانه وتمهدت أوطاره وأوطانه وننهى اليكم أن الفقيه المحب الاستاذ سيدى محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الاحسان وقابلتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبه وجب الكتب اليكم والله سبحانه يرعاكم فى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة وعشرين وألف المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد القشتالى لطف الله تعالى به وخار له بمنه وكرمه انتهى ومن أراد شيأ من اخباره فعليه بكتابى الموسوم بروضة الآس العاطر الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وقد بلغتنى وفاته رحمه الله تعالى وأنا فى مصر بعد عام ثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره حتى ان سلطان المغرب كان يقول ان القشتالى نفتخر به على ملوك الارض ونبارى به لسان الدين بن الخطيب رحم الله تعالى الجميع والشامى الذى أشار اليه هو من أعيان أهل فاس وذوى البيوت بها وجده قدم من الشام على حضرة فاس فشهر بنوه بالنسبة الى الشام وقد بلغتنى وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الالف وقد أجاب عن الابيات البائية التى خاطبنى بها الوزير سيدى عبد العزيز القشتالى المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا * فنمى بها روض الودادوأخصبا
نثرت جواهر سلكها فتتوّج الـ * ـغصن النضير بدرها وتعصبا
ورمت محاجر منحنى ذاك الحمى * فغدا بها خيف القلوب محصبا
وروت أحاديث الغرام صحيحة * فشفت فؤادا من بعادك موصبا
لاغرو أن طارت حشاشة لبه * طربا فخالوا الغرام كن صبا
لازلتم والزهر ينشق عرفكم * والزهر تحسد من كمالك منصبا انتهى

ولنمسك عنان البنان ونرجع الى ما كنا بصدده من شان لسان الدين بن الخطيب المريع منه بمزن البلاغة والفصاحة جنان الجنان فنقول والله سبحانه ولى التوفيق والامداد وليس الا عليه الاعتماد وقال ابن الصباغ العقيلى كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الاندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصا تاما وأورثه رتبة من بعده وعهد بها اليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرب بذكائه حتى استحق أزمته فانسى بحسن سياسته شيخه المذكور ونال التى لا فوقها من الحظوة وبعد الصيت وسعادة البخت اتفق له يوما بعد ما عزم

طوارترى حلقة الدولاب
حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب
قد شذبت عنها بنابيك الشذب
لهفى عليها وأنا الزعيم
بعدة شيطانها رجيم
وقال آخريا أمير المؤمنين
لاسحق بن ابراهيم الموصلى
فى صفة سنبوسج
ياسائلى عن أطيب الطعام
سالت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر
فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا
وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
وألق السذاب بعده موفرا
ودارصينى وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل
وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشئ من مرى
وملء كفين بملح تدمرى
فدقه يا سيدى شديدا
ثم أوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصب الماء
من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقلا
ونشفته النار عنك كلا
فلفه ان شئت فى رقاق
ثم احكم الاطراف بالالزاق
او شئت خذ جزأ من العجين
معتدل التفريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا * ثم اظفرن اطرافه تظفيرا   وصب فى الطابق زيتا طيبا * ثم اقله بالزيت قليا عجبا   النصرانى

النصرانى على ورود البلد وضاقت به الصدور فانشد ابن الجياب بديها بحضر الكتاب

هذا العدو قد طغى * وقد تعدى و بغى

وقال لابن الخطيب أجز أبا عبد الله فانشده بديها

وأظهر السلم وقد * أسرحسوا فى ارتغا

فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى

ورده رد ثمو * دو الفصيل قد رغا

حتى يرى ولمة * لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب هكذا والالا وعجب الحاضرون من هذه البديهة انتهى ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبى يحيى البلوى المرى رحم الله الجميع

عللونى ولو بوعد محال * وصلونى ولو بطيف خيال

واعلموا أننى أسير هوا كم * لست أنفك دائما عن عقال

فدموعى من بينكم فى انسكاب * وفؤادى من هجركم فى اشتعال

يا أهيل الحمى كفانى غرامى * لا تزيدوا حسبى بما قد جرى لى

من مجيرى من لحظ ريم ظلوم * حال الهجر بعد طيب الوصال

ناعس الطرف أسهر الجفن منى * طال منه الجفا بطول الليالى

بابلى اللحاظ أصمى فؤادى * و رماه من غنجه بنبال

وكسا الجسم من هواه نحولا * قصده فى النوى بذاك انتحالى

ما ابتدا فى الوصال يوما بعطف * مذ روى فى الغرام باب اشتغالى

ليس لى منه فى الهوى من مجير * غير تاج العلا وقطب الكمال

علم الدين عزه وسناه * ذروة المجد بدر أفق الجلال

هو غيث الندى وبحر العطايا * هو شمس الهدى فريد المعالى

ان وشى فى الرقاع بالنقش قلنا * صفحة الطرس حليت باللآلى

أو دجا الخطب فهو فيه شهاب * زانه الصبح فى ظلام الضلال

أو نبا الامر فهو فى الامر عضب * صادق العزم عند ضيق المجال

لست تلقى مثاله فى زمان * جل فى الدهر يا أخى عن مثال

قد نأى بى حيى له من ديارى * لا لجدوى ولا لنيل نوال

لكن اشتقت أن أرى منه وجها * نوره فاضح لنور الهلال

وكما همت فيه أثم كفا * جاد لى بالنوال قبل السؤال

ها كها ابن الخطيب عذراء جاءت * تلثم الارض قبل شسع النعال

وتوفى حق الوزارة عمن * هو ملك لها على كل حال

ومن نظمه قوله يخاطبه مهنئا فى اعذاره أولاده بعد نثر نصه يعتذر عن خدمة الاعذار ويصل المدح والثناء على بعد الدار بتاريخ الوسط من شهر شعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة

لا عذر لى عن خدمة الاعذار * ولئن نأى وطنى وشط مزارى

ان نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك البر من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين

فقال آخر يا امير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنا رماح فى اعاليها اود
مثقلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد
لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد
قد اشربت حمرة لون يتقد
كانها مز وجه حمرة خد
قد فرضت حمرته كف جود
تخالطه حمرة خد وبد
كانها فى صحن جام اوبرد
منضدات كتناضيد الزرد
نساجح العسجد حسنا منتضد
كانها طرف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد
من فوقها مودى عليها يطرد
يجول فى جانبها جود مرد
مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كانه من فوقه حين لبد
شراك تبر أو لجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد
أفطر مما يشتهيها وسجد

فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الا

أوعاقنى عنه الزمان وصرفه * تقضى الامانى عادة الأعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتى * وأحط رحلى عند باب الدار
بادى المسرة بالصنيع وأهله * متشمرا فيه بفضل ازارى
من شاء أن يلقى الزمان وأهله * ويرى جلال الشاع فى الاقطار
فليأت حى ابن الخطيب مليا * فيفوز بالاعظام والاكبار
كم ضم من صيد كرام قدرهم * يسمو ويعلو فى ذوى الأقدار
ان جئت ناديه فنب عنى وقل * نلت المنى بتلطف ووقار
يا من له الشرف القديم ومن له الحسب الصميم العى يوم فخار
يهنيك ماقد نلت من أمل به * فى الفرقدين النيرين اسارى
نجلاك قطبا كل مجد باذخ * أملان مرجوان فى الاعسار
عبد الاله وصنوه قمر العلا * فرعان من أصل زكا ونجار
ناهيك من قرين فى أفق العلا * ينميهما نور من الانوار
زاكى الاورومة معرق فى مجده * جم الفضائل طيب الاخبار
وقت طبائعه وراق جماله * فكأنما خلقا من الازهار
وحلت شمائل حسنه فكأنما * خلعت عليه رقة الأسحار
فاذا تكلم قلت طل ساقط * أووقع درمن نحور جوارى
أوفت حبر المسك فى قرطاسه * فالروض غب الواكف المدرار
تتبسم الاقلام بين بنانه * فتريك نظم الدر فى الامطار
وتخال من تلك البنان كأنما * ظلت تفتح ناضر النوار
تلقاه فياض الندى متهللا * يلقاك بالبشرى والاستبشار
بحر البلاغة قسها واياد ها * سحبانها حبر من الاحبار
ان ناظر العلماء فهو امامهم * شرف المعارف واحد النظار
أربى على العلماء بالصيت الذى * قد طار فى الآفاق كل مطار
ماضره أن لم يجئ متقدما * بالسبق يعرف آخر المضمار
ان كان أخره الزمان لحكمة * ظهرت وما خفيت كضوء نهار
الشمس تحجب وهى أعظم نير * وترى من الآفاق اثر درارى
يا ابن الخطيب خطبتها لعلا كم * بكرا تزف لكم من الافكار
جاءتك من خجل على قدم الحيا * قد طيبت بثنائك المعطار
وأتت تؤدى بعض حق واجب * عن نازح الاوطان والاوطار
مدت يد التطفيل نحو علا كم * فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها فى النقد صفحك انها * تشكو من التقصير فى الاشعار
لازلت فى دعة وعز دائم * ومسرة تترى مع الاعمار

قال لسان الدين فى حق المذكور فى الاحاطة هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى من

أنقى من الثلج المضاعف سعده
من صنعة الاهواء والانداء
وكانها فى صحفة مقدودة
بيضاء مثل الدرة البيضاء
بهرت عيون الناظرين بضوئها
وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها
نور تجسد فوقها بضياء
فقال آخر يا أمير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين فى هريسة
ألذ ما يأكله الانسان
اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان
هريسة يصنعها النسوان
لهن طيب الكف والاتقان
يجمعن فيه الطير والجلان
وتلتقى فى قدرها الادهان
واللحم والالية والشحمان
وبعده أورزة السمان
والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان
جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان
كأنها بدو ترسان
تخجل من رؤيتها الالوان
اذا بدت يحملها الغلمان
تضمها الصحفة والخوان
وفوقها كالقنو خيزران
يمسكه سقف له حيطان
مقبب وماله أركان
أبرزها للآكل الولدان * يفتر من لهيبها العينان والمرء فيها ماله مكان * يؤثرها الجائع والشبعان

من أبناء النعم وذوى البيوتات كثير السكون والحياء آل به ذلك أخيرا الى لوثة لم يستفق منها لطف الله به حسن الخط مطبوع الادب سيال الطبع معينه وناب عن بعض القضاة وهو الآن رهين ماذكر يتمنى أهله موته والله ولى المعافاة وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه من أولى الاتصال باولى الخلال البارعة والخصال خطا رائقا ونظما بمثله لائقا ودعابة يسترها تجهم وسكون فى طيه ادراك وتفهم عنى بالدراية والتقييد ومال فى النظم الى بعض التوليد وله اصالة نبتت فى السر عروقها وتألقت فى سماء المجادة بروقها وتصرف بين النيابة فى الاحكام الشرعيه وبين الشهادات العلمية المرعيه انتهى ورأيت بخط أبى الحسن على بن لسان الدين على هامش هذا المحل من الاحاطة ماصورته رحمة الله عليه ما أعذب حلاوته وأعظم مروءته وأكرم أصالته وبنو البلوى ذوو حسب وأهل نعيم وتربية ملوكية حياهم الله وبياهم قال ذلك حبيبهم وأخوهم على بن الخطيب انتهى وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبى عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى ماصورته ولما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصه

باقادما وافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى دار الملوك فلذ بها * تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يمن * تظفر ببحر فى العلا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندى * بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله * قبل السؤال وقبل بسطة راح
فالجود كعب وابن سعدى فى الندى * ذكر محاه عن نداه ماحى
ماان سمعت ولا رأيت بمثله * من أريحى للندى مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا * قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله * حتى حكى سح الغمام الساحى
فنواله وجلاله وفعاله * فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت * كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه * متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفز بما * تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الامانى راحة * من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله ياسيدى وأخى على نعمه التى لا تحصى حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللاسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فها أنت تجتلى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدى الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض مالدى المعظم من احسان مولاه وانعامه

أبدعها فى عصرها ساسان
وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان
لم يعط صبرا معها الجيعان
وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة
ان المضيرة فى الطعام
كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا
ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا
للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوءة
للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابى هري
رة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى
بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها
حظا فبادر بالقيام
ولقد تنكب ان يكو
ن مؤاكلا عند الامام
اذ ليس ثم مضيرة
تشفى السقيم من السقام
لاعذر فى اتيانها
من غير اتيان الحرام
فهى اللذيذة والغري
بة والعجيبة فى الأنام
فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسن فى صفة جوزابة
جوزابة من أرز فائق
مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها * فى كف طاه محكم حاذق
نسجة كالتبر فى حمرة * وردية من صنعة الخالق

ولعمرى لقد كان وافدا على سيدى فى مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله فراجعته بما نصه

راحت تذكرنى كؤس الراح * والقرب يخفض للجنوح جناحى
وسرت تدل على القبول كأنما * دل النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها * عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على الليان بن جرت * بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس * شمس المعالى الازهر الوضاح
ماشئت من شيم ومن همم غدت * كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شاوه * أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها * تزرى ببدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قادم * فى العرف منها راحة الارواح
مازلت أجعل ذكره وثناءه * روحى وريحانى الاريج وراحى
ولقد تمازج حبه بجوارحى * كتمازج الاجسام بالارواح
ولو انى أبصرت يوما فى يدى * أمرى لطرت اليه دون جناح
فالآن ساعدنى الزمان وأيقنت * من قربه نفسى بفوز قداحى
ايه أباعبد الاله وانه * لنداء ودفى علاك صراح
أماذا استجدتنى من بعدما * ركدت لما خبت الخطوب رياحى
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ * قررت عجزى واطرحت سلاحى

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه وولاء بعين الوفاء تلحظه وصلتنى رقعتك التى أبدعت وبالحق من مولى الخليقة صدعت وألفتنى وقد سطت بى الاوجال حتى كادت تتلف الرحال والحاجة الى الغذاء قد شمرت كشح البطين وثانية العجماوين قد توقع فوات وقتهاوان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هصور وعامها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنه وقول لاأدرى للعالم فكيف لغيره جنه لكنها بشرتنى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازاة للاعمال نسال الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديه والتحفة الوديه وقبلتها امتثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من

لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر الفائق
كأنها فى جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب فى الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع
فى جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
هى لبعض المحدثين فى
صفة جوزابة أخرى)
وجوزابة مثل لون العقيق
وفى الطعم عندى كطعم
الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران
السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفى اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
يرددها فى الاناثفخه
ومافى حلاوتها من مطيق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسين كشاجم
فى صفة قطائف)
عندى أصحابى اذا اشتد
السغب
قطائف مثل أضابير
الكتب
كأنه اذا ابتدى من كثب
كوافر النحل بياضا قد ثقب
قد مج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب وجاء ماء الورد فيه وذهب * فهى عليه حبب فوق حبب اناث

اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدره غير مستطيع على ذلك الا فى الندره فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره وسيدى فى الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعول واعتماد اغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذى قعدة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن انه طوفان والعاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله انتهى * وكتب القاضى أبو القاسم البرجى للسان الدين فى غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله

أيا سابقا فى مجال البراعه * وفارس ميدان أهل البراعه
ومن بدره فى سماء المعالى * يزين بوصف الكمال ارتفاعه
بمالك فى الفضل من حجة * ومن أمرة فى ذويه مطاعه
قضاؤك فى معسر حل دين * عليه فارجاؤه قد أضاعه
وقد كان يبغى لديكم شفيعا * توسط عندكم فى شفاعه
على انه فى اقتضاء الوداد * يوفى مواز يشه أوصواعه
وماهو فى سوق تقريظكم * ونشر حلاكم بمزجى البضاعه

كتبت يا سيدى أدام الله تعالى علاكم وحرس مجدكم الطاهر وسناكم وأنا بين خجل مفحم ووجل مقحم أتذكر تسويفى بلقائكم حين سمع الدهر باقترابكم فاحجم وأفكر فى أن اجامى عند ذلك بارجائى عسى أن يكون وفق رجائى أفاتنى المقصود فارى الحزم فى أن أقدم وموقفها بين يديكم فلان يطالبنى مطالبة الغريم وأروم مطاله فلا يبرح ولا يريم والانقياد فى زمام طاعته مما توجبه المروه بعدما أوجبه الشارع اذ جعل له حظا فى الابوه وقد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين وأنزلته من حماكم بربوة ذات قرار ومعين فان أعرتموه من لحظكم الجميل طرف اهتبال وأقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه اقبال فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا ونزل على أهل المهالب شاتيا ومجدكم كفيل بتبليغ أمله وتوسيع جذله وذلكم يدعلى معظمكم شكرها وعلى الله أجرها انتهى * والبرجى المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن ابراهيم الغسانى البرجى يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة قال فى الاحاطة هو فاضل مجمع على فضله صالح الابوة طاهر النشاة بادى الصيانة والعفة طرف فى الخير والحشمة صدر فى الادب جم المشاركة ثاقب الفهم جميل العشرة ممتع المجالسة حسن الشعر والخط والكتابة فذ فى الانطباع صناع اليدين محكم العمل الكثير من الآلات العلمية و يجيد تفسير الكتب رحل الى العدوة ولقى جلة وتوسل الى ملكها مجدد الرسم ومقام أولى الشهرة وعام دست الشعر والكتابة أمير المسلمين أبى عنان فاشتمل عليه ونوه به وملأ بالخير يده فاقتنى جدة وحظوة وذكرا

أطيب منه أن تراه ينتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فاقبل المستكفى على معلم
كان يعلمه فى صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ماسمعت فقال أنشدنا أنت
قال لا أدرى ماقال
هؤلاء وما أنشدوا غير
أنى مضيت فى أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطر نجا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب
غرار
ولنار الهوى بقلبك نار
من حديث انى مررت بها يو
ما وقلبى من الهوى مستطار
وبها ترجعن ينادى علانا
قف فقد أدركت لدينا
العقار
وتغنى دراج واستمطر الله
-و وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون
ناظرات ما ان بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها
اصفرار
بينما نحن عندها صرح الور
د الينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها
دهرها فالوجوه منها احمرار
وانثنينا للورد من غير أن ننـ
ـبوعن النرجس المضاعف دار

وشهرة وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله حتى تشكى الى سلطانه بث ذلك عند قدومى عليه وآثر الراحة وجهد فى التماس الرحلة الحجازية ونبذ الكل وقصر الخطوة وسلا الحظوة فاسعفه سلطانه بغرضه وجعل حبل همه على غاربه وأصحبه الى النبى الكريم صلوات الله عليه رسالة من انشائه وقصيدة من نظمه وكلاهما يعلن فى الخلفاء ببعد شاوه ورسوخ قدم علمه وعراقة البلاغة فى نسب خصله ولما هلك وولى ابنه ملكه وضاعف له التنويه فاجرى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم لما ولى السلطان أبو سالم عمه أجراه على الرسم المذكور واستجلى المشكلات بصدقه وهو الآن بحاله الموصوفة مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطانى على تعدد مفاخره (شعره) ثبت فى كتاب نفاضة الجراب من تاليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء اما نصه وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضى حملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشاة القرآن المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطابع ممتع وأدب نقاوة ويد صناع أبو القاسم بن أبى زكريا البرجى فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة

أصغى الى الوجد لما جد عاتبه * صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا * فضل من ظل ارشادا يخاطبه
لولا النوى لم يبت حران مكتئبا * يغالب الوجد كتما وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما * تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقى الحمى سمحت * بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
ياجيرة أودعوا اذ ودعوا حرقا * يصلى بها من صميم القلب ذائبه
ياهل ترى تجمع الايام فرقتنا * كعهدنا أو يرد القلب سالبه
ويا أهيل ودادى والنوى قذف * والقرب قد أبهمت دونى مذاهبه
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه * وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه
ويا ربوع الحمى لازلت ناعمة * يبكى عهودك مضنى الجسم شاحبه
يامن لقلب مع الاهواء منعطف * فى كل أوب له شوق يجاذبه
يسمو الى طلب الباقى بهمته * والنفس بالميل للفانى تطالبه
وفتنة المرء بالمألوف معضلة * والانس بالالف نحو الالف جاذبه
أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى * بالارجال سدت جدى ملاعبه
وان ترى كالهوى اشجاه سالفه * ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمة المرء تغليه وترخصه * من عز نفسا لقد عزت مطالبه
ماهان كسب المعالى أو تناولها * بل هان فى ذلك مايلقاه طالبه
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت * آثاره ولما لاحت كواكبه
فى ذمة الله ركب للعلا ركبوا * ظهر السرى فاجابتهم نجائبه

واستجاش البهار جيشا من الاترج فيه صغاره والكبار فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ

ـر وقلبى يشفه الاحرار

ليس الابحمرة من خدود من أناس بغوا علينا وجاروا فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيق الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد ابن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين ابن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلم المستكفى بمساءلة بنى حمدان ومكاتبتهم باخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم يحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب يرمون

يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض * طى السجل اذا ماجد كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سر هوى * لولا الضرام لما خفت جوانبه
شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم * فغاص فى لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل من طول السرى شططا * فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى اذا أبصروا الاعلام مائلة * بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه * من ذنبه وينال القصد راغبه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل * يصاحب القلب منه ما يصاحبه
لم أنس لا أنس أياما بظلهما * سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى اليهاوان شط المزار بها * شوق المقيم وقد سارت حبائبه
ان ردها الدهر يوما بعدما عبثت * فى الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها * من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى * رب العباد أمين الوحى عاقبه
أوفى الورى ذمما أسماهم همما * أعلاهم كرما جلت مناقبه
هو المكمل فى خلق وفى خلق * زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة * من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشرنا الرسل الكرام به * كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سر علم الاولين وسل * بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده * وطبق الارض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه * والجن تقذف احراقا ثواقبه
ولم تزل عصمة التأييد تكنفه * حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل * والنجم لا يهتدى فى الافق ساربه
يسمو ولكل سماء منه منفرد * عن الانام وجبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به * وامتاز قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فاعلمت * نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ماقد كان أودعه * فى الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر فى بحر الدجى غرق * والصبح لما يؤب للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الارض واتبعت * سبل النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتاحت زواهره * وأدبر الغى فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آيات مفصلة * يهدى بها من صراط الله لاحبه
نور من الحكم لا تخبو سواطعه * بحر من العلم لا تفنى عجائبه
له مقام الرضا المحمود شاهده * فى موقف الحشر اذ نابت نوائبه
والرسل تحت لواء الحمد يقدمها * محمد أحمد السامى مراتبه
له الشفاعات مقبولا وسائلها * اذا دهى الامر واشتدت مصاعبه

وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما ينموا الينا من أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ببلاد مصر والشام (قال المسعودى) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ما ذكرنا والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المطيع لله) *

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد بن على بن مقلة يعرض الكتب

والحوض يروى الصدى من عذب مورده * لا يشتكى غلة الظما من شاربه
محامد المصطفى لا ينتهى أبدا * تعدادها هل يعد القطر حاسبه
فضل تكفل بالدواوين يوسعها * نعمى ورحمى فلا فضل يناسبه
حسبى التوسل منها بالذى سمحت * به القوافى وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا * تحدى الى قبره الزاكى نجائبه
وخلد الله ملك المستعين به * مؤيد الامر منصورا كتائبه
امام عدل بتقوى الله مشتمل * فى الامر والنهى يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيبته * مظفر العزم صدق الرأى صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد * جرار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الراجى مكارمه * وأحسبت رغبة العافى رغائبه
وفاز بالامن مجبورا مسالمه * وباء بالخزى مقهورا محاربه
كم وافد آمل معهود نائله * أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعز من مثابته * عزت مراميه وانقادت مآربه
وجاءه الدهر يسترضيه معتذرا * مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة ابراهيم لانبهمت * طرق المعالى ونال الملك غاصبه
سمت اميل تراث الجد همته * والملك ميراث مجد وهو عاصبه
ينميه للعز والعليا أبو حسن * سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا * يباب عزهم السامى تعاقبه
أطواد حلم رسا بالارض محتده * وزاحمت منكب الجوزاء مناكبه
تحفها من مرين أبحر زخرت * أمواجها وغمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب * ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
أكفهم فى دياجيها مطالعه * وفى نحور أعاديهم مغاربه
ياخير من خلصت لله نيته * فى الملك أو خطب العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة * سيفا من العزم لا تنبو مضاربه
وخضتها غير هياب ولا وكل * وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة * والصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهن دين الهدى اذ كنت ناصره * أمن يواليه أو خوف يجانبه
لازال ملكك والتاييد يخدمه * تقضى بخفض مناويه قواضبه
ودمت فى نعم تضفو ملابسها * فى ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما * سارت اليه بعشاق ركائبه

ومن شعره ما قيده لى بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون

صحا القلب عما تعلمين فاقلعا * وعطل من تلك المعاهد أربعا

وأصبح

سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد لجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره فى هذا الكتاب لانا فى خلافته بعد (قال المسعودى) وقد كنا شرطنا فى صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل أبى طالب ومن ظهر منهم فى أيام بنى أمية وبنى العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم ذكرنا ما تاتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (وبقى) علينا من ذلك مالم نورده وقد ذكرناه فى هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا فى هذا الكتاب (فن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم ابن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمرى على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر

وأصبح لا يلوى على حد منزل * ولا يتبع الطرف الخلى المودعا
وأضحى من السلوان فى حرز معقل * بعيد عن الايام أن يتضعضعا
يرد الجفان النجل عن شرفاته * وان لحظت عن كل أجيد أتلعا
عزيز على داعى الغرام انقياده * وكان اذا ناداه للوجد أهطعا
اهاب به للشيب أنصح واعظ * أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا
وسافر فى أفق التفكر والحجا * زواهره لا تبرح الدهر طلعا
لعمرى لقد أنضيت عزمى تطلبا * وقضيت عمرى رقبة وتطلعا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا * ودست أديم الارض اغبر أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور

نهاه النهى بعد طول التجارب * ولاح له منهج الرشد لاحب
وخاطبه دهره ناصحا * بألسنة الوعظ من كل جانب
فاضحى الى نصحه واعيا * والغى حديث الامانى الكواذب
وأصبح لا تستبيه الغوانى * ولا تزدريه حظوظ المناصب

ثم قال فى الاحاطة واحسانه كثير فى النثر والنظم والقصار والمطوّلات واستعمل فى السفارة الى ملك مصر وملك قشتالة وهو الآن قاضى حضرة الملك نسيج وحده فى السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له انتهى *(وكتب)* ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من الاحاطة ما صورته سيدى وشيخى علامة المغرب اليوم وحائز رتبه العلية من خطابة وقضاء وعلامة وهو أحق بها الخلال الحميدة أبقاه الله تعالى قاله محبه على ابن الخطيب انتهى *وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة ما نصه رويتها عنه وسمعتها من لفظه وأجازنى اياها بتلمسان انتهى وكتب على حاشية قصيدته صحا القلب الى آخره ما صورته سمعتها من لفظ سيدى وشقيق روحى الامام العلامة الرئيس أبى زيد بن خلدون بالاندلس امتع الله به تعالى قال ذلك أخوه على بن الخطيب انتهى* وقال فى الاحاطة فى ترجمة ابن زمرك ما صورته وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجى النزعة كلف بالمعانى البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ما خاطبنى به وهى من أول ما نظمه قصيدة مطلعها *أما وانصداع النور من مطلع الفجر* يقول فيها بعد أبيات

لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال فى النهى والامر
لك القلم الاعلى الذى طال فخره * على المرهفات البيض والاسل السمر
يقلد اجياد الطروس تمائما * بصنفى لآل من نظام ومن نثر
تهيك القرطاس فاجرا اذ غدا * يقل بحورا من أناملك العشر
كأن رياض الطرس خد مورد * يطرزه وشى العذار من الحبر
فشارة هذا الملك رائقة الحلى * بالوية حمر وبالصحف الحمر
ونار وضة غناء عاهدها الحيا * تجوك بها وشى الربيع يد القطر
تغنى قيان الطير فى جنباتها * فيرقص غصن البان فى حلل خضر

له مع أميرها أحمد بن كيلغ فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام فى الديلم والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا القليل منهم فى مواضع من بلاد الجبل والديلم فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى فى بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالس حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسنى الداعى واتى الرى وذلك فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فى جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههما فاخرج عنها كر أحمد بن اسمعيل

ابن أحمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم واعمار وغير ذلك مما اتصل بالرى

تمدّ لا كواس العـرار أناملا * من السوسن الغض المختم بالتبر
ويحرس خد الورد صارم نهرها * ويمنع ثغر النور بالذابل النضر
يفاخر آهاالسماء محاسنا * وتزرى نجوم الزهر منها على الزهر
اذا مسحت كف الصبا جفن نورها * تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشحر
بأعطر من ريا ثنائك فى السرى * وأبهر حسنا من شمائلك الغر
عجبت له يحكى خلال خميلة * وتفرق منه الاسد فى موقف الذعر
اذا أضرمت من بأسها الحرب جاحما * تاجج منه العضب فى لجة البحر
وان كلح الابطال فى حومة الوغى * ترقرق ماء البشر فى صفحة البدر
لك الحسب الوضاح والسودد الذى * يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرف أفق أنت بدر كماله * فغرناطة تختال تيها على مصر
تكلل تاج الملك منك محاسنا * وفاخرت الاملاك منك بنو نصر
بعزمة مضمون السعادة أوحد * وغرة وضاح المكارم والنجر
طوى الحيف منشورا للواء مؤيدا * فعز حمى الاسلام بالطى والنشر
ومد ظلال الامن اذ قصر العدا * فيتلى سناء الملك بالمد والقصر
اذا احتفل الايوان يوم مشورة * وتضطرب الآراء من كل ذى حجر
صدعت بفصل القول غير منازع * وأطلعت آراء قبسن من الفجر
فان تظفر الخيل المغيرة بالضحى * فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر
فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها * وتسحب أذيال الفخار على النسر
وللعلم فخر الدين والفتك بالعدا * بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر
فيهنيك عيد الفطر من أنت عيده * ويثنى بما أوليت من نعم غـر
جبرت مهيضا من جناحى ورشته * وسهلت لى من جانب الزمن الوعر
وبوأتنى من ذروة العز معتلى * وشرفتنى من حيث أدرى ولا أدرى
وسوغتنى الآمال عذبا مسلسلا * وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
فدهرى عيد بالسرور وبالمنى * وكل ليالى العمر لى ليلة القدر
فاصبحت مغبوطا على خير نعمة * يقل لادناها الكثير من الشكر

وهى طويلة انتهى قلت هذا الرئيس ابن زمرك صرح هنا بانه بجاه لسان الدين بن الخطيب أدرك من العز ما أدرك ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وبها أشرك وحرك من دواعى قتله ما حرك وكم من صديق لك ضرك وعقك بعد ما برك وساءك اثر ما سرك ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله فى هذه القصيدة ومد ظلال الامن الخ ما صورته هذا مدحه لحاه الله وعلى قوله وبوأتنى من ذروة العز الخ ما مثاله هكذا شهادتك لحقه ثم تحولك عنه وكفر نعمته أغرب أخزاك الله انتهى * وكتب بهامش أول ترجمته من الاحاطة ما نصه أتبعه الله خزيا وعامله بما يستحقه فهذا ترجمه والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وكتب أيضا تحت هذا

فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول انى ضمنتك المال والدم فاهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وألزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان فى جيش كثير ليحارب من مع الداعى وما كان بن كالكى من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجبلى فيمن معه من الجيوش الى حدود الرى فكانت الوقعة بين اسفار ابن شيرويه الجبلى وبين ما كان بن كالكى الديلمى فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كالكى الديلمى وقواده مثل مسترو تاليحين وسليمان بن سلكة والاسكرى ومرد الاشكرى وهشونه بن أومكن فى آخرين من قواد الجبلى فحمل عليهم ما كان فى نفر يسير من غلمانه تسع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ماكان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعى.

مامثاله هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أوجعه ضربا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأجملهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية خفية أيام تحوّلنا عن الاندلس فنشأ منه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى * وقد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك * ومما كتب به ابن زمرك المذكور الى لسان الدين ابن الخطيب جوابا عن رسالة قوله

حيت صباحا فاحيت ساكني القصبه * واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها أن لا نظير لها * فاحرزت من معاني خصله قصبه
ناجت طليح سرى لا يستفيق لها * هدت جوارحه واستوهنت عصبه
فحركته على فتك الكلال به * وأذهبت بسرور الملتقى نصبه
واذكرت عهد مهديها على شحط * فعاود القلب من تذكاره وصبه
ما كنت أسمع من دهري بجوهره * لو كان يسمح لي بالقلب من غصبه
سل أدمع الصب من أعدى السحاب بها * وقلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها ويشكره * فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها * بالفرض اني في ارثي لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة * سبحان من لغيات الخلق قد نصبه

وخاطبه كذلك بقوله

يكلفني مولاي رجع جوابه * ومالتعاطي المعجزات وماليا
أجيبك للفضل الذي أنت أهله * وأكتب مما قد أفدت الاماليا
فأنت الذي طوقتني كل منة * وأحسبت آمالي وأكسبت ماليا
وأنت الذي أعدى الزمان كماله * وصيرت أحرار الزمان مواليا
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا * ولا زلت للشكر الجزيل مواليا

وخاطبه كذلك بقوله

طالعتها دون الصباح صباحا * لما جلت غرر البيان صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها * وجها أغر ومبسما وضاحا
عذراء أرضعها البيان لبانه * وأطال مغدى عندها ومراحا
فأتت كما شاءت وشاء نجيبها * تذكي الحجا وتنعم الارواحا
لا بل كمثل الروض باكره الحيا * وسقى به زهر الكمام ففاحا
وطوت بساط الشوق مني بعدما * نشرت علي من القبول جناحا

وخاطبه كذلك بقوله

ذروني فاني بالعلاء خبير * أسير فان النيرات تسير
وكم بت أطوي الليل في طلب العلا * كاني الى نجم السماء سفير

بين يديه وما كان على حاميته فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه من كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويتملك ما في يده مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القلعة التي في وسط قزوين وتدعى بالفارسية

بعزم اذا ما الليل مد رواقه * يكر على ظلمائه فينير
أخو كلف بالمجد لا يستفزه * مهاد اذا جن الظلام وثير
اذا ما طوى يوما على السر كشحه * فليس له حتى الممات نشور
وانى وان كنت المنع جاره * لتهبي فؤادى أعين وثغور
وما تعتريني فترة فى مدى العلا * الى أن أرى لحظا عليه فتور
وفى السرب من نجد تعلقت ظبية * تصول على ألبابنا وتغير
وتمنع ميسور الكلام أخا الهدى * وتبخل حتى بالخيال يزور
أسكان نجد جادها واكف الحيا * هوا كم بقلبى منجد ومغير
ويا ساكنى بالاجرع الفرد من منى * وأيسر حظ من رضاك كثير
ذكرتك فوق البحر والبعد بيننا * فمدته من فيض الدموع بحور
وأومض خفاق الذؤابة بارق * فطارت بقلبى أنة وزفير
ويهفو فؤادى كلما هبت الصبا * أما لفؤادى فى هواك نصير
و والله ما أدرى أذكرك هزنى * أم الكاس ما بين الخيام تدور
فمن مبلغ عنى النوى ما يسوءها * وللبين حكم يعتدى ويجور
بأنا غدا أو بعده سوف نلتقى * ونمسى ومنا زائر ومزور
الى كم أرى اكنى ووجدى مصرح * وأخفى اسم من أهواه وهو شهير
أمجد آمالى ومغلى كاسدى * ومصدر جاهى والحديث كثير
أأنسى ولا أنسى مجالسك التى * بها تلتقينى نضرة وسرور
نزورك فى جنح الظلام ونثنى * وبين يدينا من حديثك نور
على أننى ان غبت عنك فلم تغب * لطائف لم يحجب لهن سفور
نروح ونغدو كل يوم وعندها * رواح علينا دائم وبكور
فظلك فوقى حيثما كنت وارف * ومورد آمالى لديك غدير
وعذرا فانى ان اطلت فانما * قصاراى من بعد البيان قصور

وكتب اليه خاتمة رسالة كذلك

وحقك ما استطعمت بعدك غمضة * من النوم حتى آذن النجم بالغروب
وعارضت مسرى الريح قلت لعلها * تنم بريا منك عاطرة الهبوب
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * محياك اذ يجلو بغرته الخطوب
فقلت لقلبى استشعر الانس وابتهج * فان تبعد الاجسام لم تبعد القلوب
وسر فى ضمان الله حيث توجهت * ركابك لا تخشى الحوادث أن تنوب

قلت هذه غاية فى معناها لولا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها ومبناها فانظر الى تحوّله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ونسبته اليه بعد ده القبائح والانسان خوّان الا النادر من الاخوان ولا حول ولا قوة الا بالله * قال فى الاحاطة فى ترجمة ابن سلبطور مانصه ومما خاطبنى به

مكثرين وهو الحصن الذى كان للمدينة أوّلا فى نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وتحشنه بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استجابوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هى وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوّعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى أن كان من أمر الحسن بن على العلوى الداعى الاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره فى صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبى طالب مثل الحسن ابن محمد بن زيد الحسينى وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه ونهب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس فى المساجد فى أمصار المشرق واستعظم أمره وسار صاحب تالله

تالله ما أورى زناد الفراق * سوى بريق لاح لى بالابرق
أيقنت بالحين فلولا نفعة * نجديه منكم تلافت رمقى
لكنت أقضى بتلظى زفرة * وحسرة بين الضلوع تلتقى
فآه من هول النوى وما جنى * على القلوب موقف التفرق
ياحاكى الغصن انثنى متوّجا * بالبدر تحت لمة من غسق
الله فى نفس معنى أقصدت * من لاعج الشوق بما لم تطق
أتى على أكثرها برح الاسى * دع ما مضى منها وأدرك ما بقى
ولو بالمام خيال فى الكرى * ان ساعد الجفن رقيب الارق
فربّ زورمن خيال زائر * أقرعينى وان لم يصدق
شقيت من برح الاسى لو أن من * أصبح رقى فى يديه معتقى
ففى معاناة الليالى عائق * عن التصابى وفنون القلق
وفى ضمان ما يعانى المرء من * نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمرى مع أنى لم أبت * منها بشكوى روعة أوفرق
فقد أخذت من خطوب غدرها * بابن الخطيب الأمن مما أتقى
فخر الوزارة الذى ما مثله * بدر علا فى مغرب أومشرق
ومذ أرانيه زمانى لم أبل * من صرفه برعد أو مبرق
لاسيما مذ حططت فى حمى * مقامه الامنع رحل أينقى
أيقنت أنى فى رجائى لم أخب * وأن مسعى بغيتى لم يخفق
ندب له فى كل حسن آية * تناسبت فى الخلق أوفى الخلق
فى وجهه مسحة بشران بدت * تبهرجت أنوارشمس الافق
تعتبر الابصار فى اللألاء ما * عليه من نور السماح المشرق
كالدهر فى استيناته وبطشه * كالسيف فى حد الظبا والرونق
ان بخل الغيث استهلت يده * بوابل من غيث جود غدق
وان وشت صفحة طرس انجلى * ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت * حواشى الروض خدود المهرق
ما راق فى الآذان أشناف سوى * ملتقطات لفظه المغترق
تود أجياد الغوانى أن ترى * حليها من دررذاك المنطق
فسل به هل آده الامر الذى * حمل فى شرخ الشباب المونق
اذا رأى الرأى فلا يخطئه * يمن اختيار للطريق الاوفق
ايه أباعبد الاله هاكها * عذراء تحثوفى وجوه السبق
خذها اليك بكر فكر يزدرى * لديك بالاعشى لدى المحلق
لازلت مرهوب الجناب مرتجى * موصول عز فى سعود ترتقى
مبلغ الآمال فيما تبتغى * مؤمن الاغراض مما تتقى

مدينة بخارى وهى دار مملكة صاحب خراسان فى هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الرى وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فاشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجانى وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه فى المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى مادعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولايدرى عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فقبل قوله وأمر بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فاشار عليه وزراؤه أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لاتقال ولايدرى الى ما تؤول لان الرجل قوى بالمال والرجال فان هزم لم يكن فى ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من جالات الديلم ت ط ٥٧

وضممت اليه عساكرك وغلمانك تخالف عليك وان كانت وعائذا بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوى الرأى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فاجاب اسفار بن شيرويه الى ماسأل وأعطاه ماطلب من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار ابن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا لكثير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة بل اعطاء شئ يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين واكتنى

وابن سلبطور هو محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمى قال فى الاحاطة من أهل المرية يكنى أبا عبد الله من وجوه بلده وأعيانه نشأ نبيه البيت ساحبا بنعمه وبماله ذيل الحظوة متحليا بخصل من خط وأدب وزير امتجندا ظريفا دربا على ركوب البحر وقادة الاساطيل ثم انحط فى هواه انحطاطا أضاع مروءته واستهلك عقاره وهد بيته والجاه أخيرا الى اللحاق بالعدوة فهلك بها * وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه مجموع شعر وخط وذكاء عن درجة الظرفاء غير منحط الى مجادة أثيلة البيت شهيرة الحى والميت نشأ فى حجر الترف والنعمه محفوفا بالمالية الجمه فلما عقل عن ذاته وترعرع بين لداته أجرى خيول لذاته فلم يدع منها ربعا الا اقفره ولا عقارا الا عقره حتى حط بساحلها واستولى بسفر الانفاق على جميع مراحلها الا أنه خاص بنفس طيبه وسراوة سماؤها صيبه وتمتع ماشاء من زير وبم وتانس لم يعط القياد لهم وفى عفو الله سعه وليس مع التوكل عليه ضعه شعره من شعره قوله يمدح السلطان وأنشدها اياه بالمضارب من وادى الغيران عند قدومه المرية

أثغرك أم سمط من الدر ينظم * وريقك أم مسك به الراح تختم

ووجهك أم باد من الصبح نير * وفرعك أم داج من الليل مظلم

أعالل منك الوجد والليل ملتق * وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم

وأقنع من طيف الخيال بزورة * لوان جفونى بالمنام تنعم

ثم سرد لسان الدين القصيدة وهى طويلة ثم قال ومن شعره مذيلا على البيت الاخير حسبما نسب اليه ببلده

نامت جفونك يا سؤلى ولم أنم * ماذاك الا لفرط الوجد والسقم

أشكو الى الله مابى من محبتكم * فهو العليم بما ألقى من الالم

ان كان سفك دمى أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

ومما ينسب اليه كذلك

قف بى وناد بين تلك الطلول * أين الالى كانوا عليها نزول

أين ليالينا بهم والمنى * نجنيه غضا بالرضا والقبول

لاحلوا بعض الذى حلوا * يوم تولت بالقباب الحمول

ان غبتم يا أهل نجد ففى * قلبى أنتم وضلوعى حلول

ثم قال ناب فى القيادة البحرية عن خاله القائد أبى على الرنداحى وولى أسطول المرية برهة وتوفى بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى * وقال لسان الدين كتب الى أبو عبد الله بن راجح التونسى بما يظهر من أبياته وهى

أما والذى لى فى حلاك من الحمد * ومالك ملاكى لدى من الرفد

لقد أشعرتنى النفس انك معرض * عن المسرف الآتى لفضلك يستجدى

فان زلة منى بدت لك جهرة * فصفحا فما والله أذنبت عن قصد

فراجعته بقولى

أجلك عن عتب يغض من الود * وأكرم وجه العذر منك عن الرد

ولكنني أهدى اليك نصيحتى * وان كنت قد أهديتها ثم لم تجدى
اذا مقول الانسان جاوز حده * تحولت الاغراض منه الى الضد
فاصبح منه الجد هزلا مذمما * وأصبح منه الهزل فى معرض الجد
فما اسطعت قبضا للعنان فانه * أحق السجايا باللاهو بالجد

وقال فى الاحاطة فى حق ابن راجح المذكور ما محصله محمد بن على بن الحسن بن راجح الشريف الحسنى باعترافه ولا تزر وازرة وزر أخرى تونسى أبو عبد الله يعرف بابن راجح صاحب رواء وأبهة نظيف البزة فاره المركب مطفف مكيال الاطراء جموح فى ايجاب الحقوق مترام الى أقصى آماد التوغل سخى اللسان بالثناء ثرثاره مرسل لعنانه فى كل المحافل متواضع متودد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة مخصوص حيث حل من الملوك والامراء بالاثرة وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ينظم الشعر ويحاضر بالابيات ويقوم على تاريخ بلده ويثابر على لقاء أهل المعرفة والاخذ عن أولى الرواية قدم الاندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبى الحسن فهدله سلطانها كنف بره وآواه الى سعة رعيه وتأكدت بينى وبينه صحبة كتبت اليه أول قدومه بما نصه أحذو حذو أبيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمى خاطبه بها

أمن جانب الغربى نفحة بارح * سرت منه أرواح الجوى فى الجوارح
قدحت بها زند الغرام وانما * تجافيت فى دين السلو لقادح
وما هى الا نسمة حاجرية * رمى الشوق منها كل قلب بقادح
وجدنا لها من غير شك كأنها * شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقا الى كل غاية * وصبرا مغار الفتل فى كل فادح
أصيل العلا جم السيادة ذكره * طراز نضار فى برود المدائح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره * حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان اذا انتضى * صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع * وجزل كما راعتك صولة جارح
اذا ما احتبى مستحضرا فى بلاغة * وخوض خضم القول منه بسابح
وقد شرعت فى مجمع الحفل نحوه * أسنة حرب للعيون اللوامح
فاضعضعت منه اصولة صادع * ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
تذكرت قسا قائما فى عكاظه * وقد غص بالشم الانوف الجحاجح
ليهنك شمس الدين ما حزت من علا * خواتمه موصولة بالفواتح
رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفرا * لمرآك من فوق الربا والبطائح
ولله ما أهدته كوماء أوضعت * برحلك فى قفر عن الانس نازح
أقول لقومى عند ما حط كورها * وساعدها السعدان وسط الاباطح
ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها * بعرض سوء فهى ناقة صالح
اذا ما أردنا القول فيه فمن لنا * بطوع القوافى وانبعاث القرائح

وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فاخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل اضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن زيار الى ملك من ملوك الديلم مما يلى قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن اسوار المعروف بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ليأخذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه

عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظر الصاحبه مرداويج ابن زيار وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بالايجاب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن وهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرادويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فاجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضروز بر اسفار المعروف بمطرف الجرجانى فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد فى انزالهم وأحسن اليهم بما لم يكونوا

بقيت منى نفس وتحفة قادم * ومورد ظمآن وكعبة مادح
ولازلت تلقى البر والرحب حيثما * أرحت السرى من كل غاد ورائح

فاجابنى بما نصه

أمن مطلع الانوار لمحة لامح * تعاد لمفؤد عن الحى نازح
وهل بالمنى من مورد الوصل يرتوى * غليل عليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع مالك والحمى * وونداً الحمى والشيح شيح الاشايح
مرابع آرامى ومورد نا قتى * فسقيا لها سقيا الناقة صالح
سقى الله ذاك الحى ودقافانه * حمى لمحات العين عن لمح لامح
وأبدى لنا حور الخيام تزف فى * حلى الحسن والحسنا وحلى الملامح
ترى حى تلك الحور للحور مهيع * يدل وهل جسم لداء التبارح
و يادوحة الريحان هل لى عودة * لمغنى عفار الانس بين الاباطح
وهل أنت الاحلة حاتمية * تغص نواديها بغاد ورائح
أقام بها الفخر الخطيب منابرا * لترتيل آيات الندى والمنائح
وشفع بالانجيل حمد مديحه * وأوتر بالتوراة شفع المدائح
وفرق بالفرقان كل فريقة * نأت عن رشاد فيه محض النصائح
وهل هو الا للبرية مرشد * لكل هدى هاد لأرجح راجح
فبشرى لسان الدين ساد بك الورى * وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقائل * وان لم تقل لم يغن مدح لمادح
فمن حام بالحى الذى أنت ربه * وعام ببحر من عطاياك طافح
يحق له أن يشفع الحمد بالثنا * ويغدو بذاك البحر أسبح سابح
ويافوز ملك دمت صدر صدوره * وبشرى له قد راح أرجح راجح
بآرائك اللاتى تدل على الهدى * وتبدى لمن خصصت سبل المناجح
ملكت خصال السبق فى كل غاية * وملكت ما ملكت يا ابن الجحاجح
مطامح آمال لاشرف همة * أقل مراميها أجل المطامح
فدونكها يامهدى المدح مدحة * أجبت بها عن مدح أشرف مادح
تهنيك بالعام الذى عم مدحه * مواهب هاتيك البحار الطوافح
فخذها سمى الفخر ياخير مسبل * على الخلق اغضاء ستور التسامح
ودم خاطب العليا بها خير خاطب * وأتوق تواق وأطمح طامح

ثم قال لسان الدين توفى يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمسة وستين وسبعمائة وقد ناهز السبعين ودفناه بروضتنا بباب البيرة واعنى شارب الشعر من ثانى مقصه عفا الله تعالى عنا وعنه انتهى * قلت رأيت بخط البدر البشتكى فى اختصاره لاحاطة لسان الدين وسماه بمركز الاحاطة فى هذا المحل مانصه قال كاتبه لو وفق الله تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهذاء ولعل ما فى كتاب أبى البركات الذى اسمه شعر من لاشعر له أنزل من هذه

الطبقة انتهى وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق وأعني شارب الشعر من ثاني مقصه
فلله دره من لوذعي زان خاتم البراعة بفصه فلكم له من عبارة وجيزة يقضي بها ما لم يستطع غيره
أن يعبر عنه باطنابه فعلى كل من يروم التعبير عما في الضمير أن يتمسك باطنابه * وقال ابن
خاتمة حدثني الشريف الاديب أبو عبد الله بن راجع التونسي مقدمه علينا بالمرية قال سجن
القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام شابا وسيما الحق تعين عليه فانشدته مداعبا

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ غصب النفوسا

فأجابني بان قال انما شكاه لي أرباب الدراهم دون أرباب النفوس انتهى (رجع) الى
ما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسي في
بعض الاعياد قوله

بيمن أبي عبد الاله محمد * تيمن هذا القطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه * بحورا تديم المد ليس له جزر
وآنسنا الماعدمنا مغانيا * اذا ذكرت في القلب ليس لها ذعر
هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد * كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الايام في ظل نعمة * تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته وخاطبني بقوله

وليت ولاية أحسنت فيها * ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه * دني القدر ليس لها بقدرك

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خير وال * ففاق مدى مداركها بفضله
وكم وال أساء فقيل فيه * دنا فمحا محاسنها بفعله انتهى

وفي الاحاطة ما محصله ان المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصاري الاوسي كان
شديد الانقباض محجوب المحاسن تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهرة وغرابة شكل وفي
طي ذلك أدب غض ونفس حرة وحديث ممتع وأبوة كريمة أحد الصابرين على الجهد
المستمسكين باسباب الحشمة الراضين بالخصاصة وأبوه قاضي القضاة نسيج وحده الامام
العالم التار يحيى المتبحر في الآداب تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه
فاستقر بمالقة مقدورا عليه لا يهتدي لمكان فضله الا من عثر عليه ومن شعره قوله

من لم يصن في أمل وجهه * عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرّف له * حيث أحل النفس من قصده

ثم قال توفي في ذي القعدة عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى * ومما مدح به لسان الدين
قول أبي عبد الله محمد المكودي الفاسي رحمه الله تعالى

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي * هوى أكابد منه حرقة الكبد
حلت عقد سلوى عن فؤادي اذ * حللت منه محل الروح من جسدي

يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له
ملجأ يقصده وحار في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار ليستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع لجأ فمال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج بن زيار فاتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في
يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد قم وخرج أبو دلف الى البرج وهمذان

مرآة بدرى وذكراك التذاذ فى * ودين حبك اضمارى ومعتقدى
ومن جمالك نور لاح فى بصرى * ومن ودادك روح حل فى خلدى
لا تحسبن فؤادى عنك مصطبرا * فقبل حبك كان الصبر طوع يدى
وها لجسمى قد أودى النحول به * فلو طلبت وجودا منه لم تجد
بما بطرفك من غنج ومن حور * وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفى وقلبى منصفا فلقد * حابيت بعضهما فاعدل ولا تحد
فقال لى قد جعلت القلب لى وطنا * وقد قضيت على الاجفان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم * وحكمه قط لم يعدل على أحد
من لى بأغيد لا يرثى لذى شجن * وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كنت من قبل اذعانى لسطوته * اخال أن الرشا يسطو على الاسد
ان جا بالوعد لم تصدق مواعده * فان قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته ما أنى منه فقال ألا * سر للطبيب فبارى الضنى بيدى
فقلت ان شئت برئى أو شفا ألمى * فبارتشاف لماك الكوثرى جد
وان بخلت فلى مولى يجود على * ضعفى ويبرئ ما أضنيت من جسدى

وخرج بعد هذا الى مدح لسان الدين فاطال وأطاب وكيف لا وقد ملأ من احسانه الوطاب رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين كتبت الى أبى عبد الله اليتيم أسأل منه ما أثبت فى كتاب التاج من شعره فكتب الى بهذه الابيات

اما الغرام فلم أخلل بمذهبه * فلم حرمت فؤادى نيل مطلبه
يامعرضا عن فؤاد لم يزل كلفا * بحبه ذا احذار من تجنبه
قطعت عنه الذى عودته فغدا * وحظه من رضاه برق خلبه
أيام وصلك مبذول وبرك بى * مجدد قد صفا لى عذب مشربه
وسمع ودك عن افك العواذل فى * شغل وبدر الدجى ناس لمغربه
لا انت تمنعنى نيل الرضا كرما * ولا فؤادى بوان فى تطلبه
لله عرفك ما أذكى تنسمه * لو كنت تمنحنى استنشاق طيبه
أنت الحبيب الذى لم أتخذ بدلا * منه وحاشى لقلبى من تقلبه
يا ابن الخطيب الذى قد فقت كل سنى * أزال عن ناظرى اظلام غيهبه
محمد الحسن فى خلق وفى خلق * أكملت باسمك معنى الحسن فازه به
حضرت أو غبت مالى عن هواك غنى * لا ينقص البدر حسنا فى تغيبه
سيان حال التدانى والبعاد وهل * لمبصر البدر نيل فى ترقبه
يا من أحسن ظنى فى رضاه وما * ينفك يهدى قبيحا من تغضبه
ان كان ذنبى الهوى فالقلب منى لا * يصغى لسمع ملام من مؤنبه

فاجبته بهذه الرسالة وهى ظريفة فى معناها ياسيدى الذى اذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين واذا قسمت سهام وداده على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين دام بقاؤك

وابهر وزنجان فكان من وكان بها جيش السلطان مع أبى عبد الله محمد بن خلف الدينورى السيرمانى ومعه خفيفا غلام أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان فى جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بابى الكراديس بن على الطلحى وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضعت أخته ورأى مانزل بها من أمر ولدها سار عن الرى فى جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمى هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الرى وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كانه أسد حى يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به

بقاؤك لطرفة تبديها وغريبة تردفها بأخرى تليها وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ الحزن بكظمها وكلف الدهر بشت نظمها تؤنسها وتسليها لم أزل أشد على بدائعك يد الضنين وأقتني درر كلامك ونفثات أقلامك اقتناء الدر الثمين والايام بلقائك تعد ولا تسعد وفي هذه الايام انثالت على سماؤك بعد قحط وتواترت لدي آلاؤك على شحط وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف عاطرة العرف رافلة في حلل البيان والظرف لو ضربت بيوتها بالحجاز لاقرت لها العرب العاربة بالاعجاز ماشئت من رصف المبنى ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى وطيب الاسلوب والتشبث بالقلوب غيران سيدي أفرط في التنزل وخاط المخاطبة بالتغزل وراجع الالتفات ورام استدراك مافات ويرحم الله تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد في قوله وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله

أبعد حول تناجي الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر

ولقد تجاوزت في الامد وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد فاقسم بألفات القدود وهمزات الجفون السود وحامل الارواح مع الالواح بالغدو والرواح لولا بعد مزارك ماأمنت غائلة ماتحت ازارك ثم اني حققت الغرض وبحثت عن المشكل الذي عرض فقلت للخواطر انتقال ولكل مقام مقال وتختلف الحوائج باختلاف الاوقات ثم رفع اللبس خبر الثقات * (ومنها) وتعرفت ماكان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم والحنين الى العهد القديم فسررت باستقامة حاله وفضل ماله وان لاحظ اللاحظ ماقال الجاحظ فاعتراض لايرد وقياس لايطرد حبذا والله عيش التأديب فلا بالضنك ولا بالجديب معاهدة الاحسان ومشاهدة الصور الحسان يمينا ان المعلمين لسادة المسلمين واني لانظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمراء فوق المراتب من كل مسيطر الدره متقطب الاسره متنمر للوارد تنمر الهره يغدو الى مكتبه كالامير في موكبه حتى اذا استقل في فرشه واستوى على عرشه وترنم بتلاوة قالونه وورشه أظهر للخلق احتقارا وأزرى بالجبال وقارا ورفعت اليه الخصوم ووقف بين يديه الظالم والمظلوم فتقول كسرى في ايوانه والرشيد في أوانه أو الحجاج بين أعوانه فاذا استولى على البدر السرار وتبين للشهر الغرار تحرك العود الى الفرج استغفر الله عما يشق على سيدي سماعه وتشمئز من ذكره طباعه شيم اللسان خلط الاساءة بالاحسان والغفلة من صفات الانسان فاي عيش كهذا العيش وكيف حال أمير هذا الجيش طاعة معروفه ووجوه اليه مصروفه فان أشار بالانصات لتحقق القصات فكأنما طمس على الافواه ولأم بين الشفاه وان أمر بالافصاح وتلاوة الالواح علا الضجيج والعجيج وحف به كما حف بالبيت الحجيج وكم بين ذلك من رشوة تدس وغمزة لاتحس ووعد يستنجز وحاجة تستعجل وتحفز هنأ الله سيدي ماخوله وأنساه بطيب أخراه أوله وقد بعثت بدعابتي هذه مع اجلال قدره والثقة بسعة صدره فليتلقها بيمينه ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه ويفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه وفضل يقينه والسلام ثم قال ومن المداعبة التي وقعت اليها الاشارة ما كتب به صديقه اليه أبو عبد السلام

خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيأ منه ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذي سير مع ابن اخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا في تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ماذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ماذكرنا وذلك على طريق الواع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن اخته اشتد غضبه لذلك

فكانت بينه وبين أهل همذان ثورة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان

أبا عبد الاله نداء خل * وفى جاء يمحض النصيحه
الى كم تألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه

فأجابه بقوله

فديتك صاحب السمة المليحه * ومن طابت أرومته الصريحه
ومن قلبي وضعت له محلا * فما عنه يحل بان أزيحه
نأيت فدمع عيني فى انسكاب * وأكبادى لفرقتكم قريحه
وطرفى لا يتاح له رقاد * وهل نوم لأجفان جريحه
وزاد تشوقى أبيات شعر * أتت منكم بألفاظ فصيحه
ولم تقصد بها جدا ولكن * قصدت بها مداعبة وقيحه
فقلت أتألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه
ففيهم حرفتى وقوام عيشى * وأحوالى بخلطتهم نجيحه
وأمرى فيهم أمر مطاع * وأوجههم مصابيح صبيحه
وتعلم أننى رجل حصور * وتعرف ذاك معرفة صحيحه

ثم قال لسان الدين بعد ايراده ما مر ما صورته ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته وخفر الدهر بعهود صباه وأذمته أقلع واسترجع وتألم لما فرط وتوجع وهو الآن من جلة الخطباء طاهر العرض والثوب خالص من الشوب باد عليه قبول قابل التوب وتوفى فى أخريات صفر سنة خمسين وسبعمائة فى الطاعون رحمه الله تعالى وغفر له انتهى * والبنيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن على العبدرى المالقى وفى حقه يقول لسان الدين فى التاج ما مثاله هو مجموع أدوات حسان من خط ونغمة لسان اخلاقه روض تتضوع نسماته وبشره صبح تتالق قسماته ولا تخفى سماته يقرطس اغراض الدعابة ويصميها ويفوق سهام الفكاهة الى مراميها فكلما صدرت فى عصره قصيدة هازله أو أبيات منحطة عن الاجادة نازله خمس أبياتها وذيلها وصرف معانيها وسيلها وتركها سمر الندمان وأضحوكة الازمان وهو الآن خطيب المسجد الاعلى بمالقة متحل بوقار وسكينه حال من أهلها بمكانة مكينه لسهولة جانبه واتضاح مقاصده فى الخير ومذاهبه واشتغل لأول أمره بالتكتيب وبلغ الغاية فى التعليم والترتيب والشباب لم ينصل خضابه ولا سلت للشيب عضابه ونفسه بالمحاسن كلفة صبه وشأنه كله هوى ومحبه ولذلك ما خاطبه بعض أودائه وكلاهما رمى أخاه بدائه حسبما يأتى خلال هذا القول وفى أثنائه انتهى وذكر نحو ما تقدم ذكره سامح الله الجميع بفضله * وقال لسان الدين فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة ما صورته وأنشدنى وأنا بمالقة أحاول لوث العمامة وأستعين بالغير على الاحكام لها

أعممها قرأت كمال حسنه * أربى على الشمس المنيرة فى البها
لا تلتمس ممن لديك زيادة * فالبدر لا يمتار من نور السها انتهى

قال لسان الدين وهو فقيه محدث متكلم ألف كتبا منها الغرر فى تكميل الطرر طرر أبى

فدخلوا فقتلوا فى اليوم الاول فى قول المقال من الناس على ما أدركه الاحصاء عن حمل السلاح فى المعركة نحوا من أربعين ألفا وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبي ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشعطيني فسأله عن أمره فيهم فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيؤتى عليهم فطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزوينى وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه فى عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها فى اليوم الاول سبعة عشر ألفا فى قول المقل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهورى أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد

ابراهيم الاعرج ثم كتاب الدرر فى اختصار الطرر المذكور وتقييدان على الرسالة كبير وصغير ولخص التهذيب لابن بشير وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة والتزم اسقاط التكرار واستدرك الصحاح الواقعة فى الترمذى على البخارى ومسلم وقيد على مختصر الطليطلى وشرع فى تقييد على قواعد الامام أبى الفضل عياض بن موسى برسم ولدى ويصدر منه الشعر مصدرا لاتكيفه منه العناية وكانت له اليد الطولى فى عبارة الرؤيا ومولده بفاس عام تسعين وستمائة انتهى ملخصا *وقال فى ترجمة أبى عمرو بن الزبير ماصورته ومما خاطبنى به عند ايابى من العدوة فى غرض الرسالة قوله

نوالى الشكر للرحمن فرضا * على نعم كست طولا وعرضا
وكم لله من لطف خفى * لنامنه الذى قدشاوأمضى
بمقدمك السعيد أتت سعود * ننال بها نعيم الدهر محضا
فيابشرى لاندلس بما قد * به والاك بارينا وأرضى
وبالله من سفر سعيد * قد اقرضك المهيمن فيه قرضا
ورحت بنية أخلصت فيها * فأبت بكل ماينبغى ويرضى
وثبت لنصرة الاسلام لما * اليك علمت أن الامر أفضى
لقد أحييت بالتقوى رسوما * كما أرضيت بالتمهيد أرضا
وقت بسنة المختار فينا * تمهد سنة وتقيم فرضا
ورضت من العلوم الصعب حتى * جنيت ثمارها رطبا وغضا
فرأيك راجح فيما تراه * وعزمك من مواضى الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى الشمس * لديك اشفاقا وغضا
فأعقبنا شفاء وانبساطا * وقد كانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظما وأمسى * يردان شاء من نعماك حوضا
أباعبد الاله اليك أشكو * زمانى حين زاد الفقر عضا
ومن نعماك أستجدى لباسا * تفيض به على الجاه فيضا
بقيت مؤملا ترجى وتخشى * ومثلك من اذاماجاد أرضى انتهى

وأبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن الزبير أبوه الاستاذ أبو جعفر بن الزبير أستاذ الزمان شيخ أبى حيان وغيره وقال فى الاحاطة فى حقه انه فكه حسن الحديث ركض طرف الشبيبة فى ميدان الراحة منكبا على سنن أبيه وقومه مع شفوف ادراك وجودة حفظ كانا يطمعان والده فى نجابته فلم يعدم قادحا شرف فنال حظوة وجرت عليه خطوب ثم عاد الى الاندلس فتطور بها وهو الآن قدنال منه الكبر جى لو قته مما لقه متملا برمق من بعض الخدم المخزونية استجازله والده الفم والرم من أهل المغرب والمشرق وبضاعته فى الشعر مزجاة ثم قال مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائة انتهى *وقال فى ترجمة أبى يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الا كحل ماصورته شيخ هدورى الذقن خدوع الظاهر خلوب اللفظ شديد الهوى الى الصوفية والكلف باطراء أهل الخير من بيت صون وحشمة متقدم فى

الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلاذنب لهم ولاجناية يستحقون ماقد نزل بهم فامر باخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ثم أمر به فذبح وسبى وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالسحوس وهو فرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلى العراق وذلك من بلاد طرز والمطامير ومرج القلعة قتلا وسبيا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد واخذوا الغلمان وتملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقد داسين والربذة الى حيث مابلغوا مماوصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوارى العتق العواتق والغلمان فى قول المقلل خمسين ألفا وفى قول المكثر مائة ألف فاماتم لمرداويج ماوصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده فى قطعة من عساكره فلكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبى دلف العجلى وهيئت له البساتين والرياض وزرع

معرفة الامور العلمية خائض فى غمار التصوف وانتحال كيمياء السعادة وارتكب متن دعوى عريضة فى مقام التوحيد تكذبها أحواله الراهنة لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره وغلبة سلطان الشهوة والمشاحة أيام الولاية والسباب الشاهد بالشدة والحلف المتصل بيباض اليوم فى ثمن الخردلة باليمين التى فيها افساد الانكحة والغضب الذى يقلب العين خاطبنى بين يدى نكبته ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه بجفانه ولكنه من أهل الكفاية

رجوتك بعد الله ياخير منجد * واكرم مامول وأعظم مرفد
وأفضل من أملت للحادث الذى * فقدت به صبرى ومما ملكت يدى
وحاشا وكلا أن يخيب مؤملى * وقد علقت بابن الخطيب محمد
وما أنا الا عبد نعمته التى * عهدت بها يمنى وانجاح مقصدى
وأشرف من حض الملوك على التقى * وأبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة * مباركة فى كل غيب ومشهد
وأعرض عن دنياه زهدا وانها * لمظهرة طوعا له عن تودد
وماهو الا الليث والغيث ان أتى * له خائف أوجاء مغناه مجتدى
وبحر علوم دره كلماته * اذا رددت فى الحفل أى تردد
صقيل مرائى الفكر رب لطائف * محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذى * تجلت له الاسرار فى كل مصعد
شفيق رفيق دائم الحلم راحم * وراى جميل للجميل معود
صفوح عن الجانى على حين قدرة * مواصل تقوى الله فى اليوم والغد
أيا سيدى ياعمدتى عند شدتى * ويامشربى مهما ظمئت وموردى
حنانيك والطف بى وكن لى راحما * ورفقا على شيخ ضعيف منكد
رجاك رجاء للذى أنت أهله * ووافاك يهدى للثناء المجدد
وأملك مضطر الرجاك شاكيا * بحال كحر الشمس حال توقد
وعندى افتقار لايزال مواصلا * لأكرم مولى حاز أجرا وسيد
ترفق باولاد صغار بكاؤهم * يزيد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم الا اليك تطلع * اذا مسهم ضر أليم التعهد
أنلهم أيا مولاى نظرة مشفق * وجد بالرضا وانظر لشمل مبدد
وعامل أخا الكرب الشديد برحمة * وأسعف بغفران الذنوب وأسعد
ولا تنظرن الا الفضائل لا التى * جريمة شيخ عن محلك مبعد
وان كنت قد أذنبت انى تائب * فعوّد لى الفعل الجميل وجدد
بقيت بخير لايزال وعزة * وعيش هنىء كيف شئت وأسعد
وسخرك الرحمن للعبد انه * لمن وداع للعل المجدد

ثم قال وهو الآن من مسطرى الاعمال على تهوّر واقتحام كبره من خطل نهاية وراءه فى الركاكة

من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالرى وقم وهمذان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبى الحسن محمد بن وهبان الصنعانى وهو الذى استامن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن رائق وهو بالرقة من بلاد ديار مضر قبل دخول الشام ومحاربته الاخشيد محمد ابن طغج فاحتال عليه رافع القرمطى وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه فى الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة فى أمره ومدة بقائه فى الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك فى الكتاب الاوسط فى أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والعش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع

الركاكة كما قال المعرى

تمشت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا

وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عياش بن مشرف الامى انه من أهل الاصالة والحسب ظهرت منه على حداثة السن أبيات ونسب اليه شعر توسل به وتصرف فى الاشراف فحمدت سيرته وكتب الى بقوله

سفرت شموس اليمن والاقبال * وبدت بدور السعد ذات كمال
لقدوم سيدنا الوزير محمد * أعزز به من سيد مفضال
قمر تجلى بين زهر تجتلى * يهدى لفعل الخير لا الاضلال
سر آمنا لا تكترث فلا نت فى * حفظ الاله الواحد المتعالى
براو بحر الا تخاف ملمة * وعدو ذاتك خلف ظهرك صالى
لا يستقر له قرار بعد كم * مما يحل به من الاوجال
والآن ترجع سالما ومبشرا * ببلوغ كل مسرة ومنال

وهى طويلة نظمها تخالف عن الاجادة وهى من مثله مما يستظرف انتهى * وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد العراقى الوادى آشى فاضل الابوة بادى الاستقامة حسن الاخلاق تولى أعمالا كتب الى وقد أبى عملا عرض عليه بقوله

أأصمت ألفاتم أنطق بالخلف * وأفقد الفاتم آنس بالجلف
وأمسك دهرى ثم أفطر علقما * ويمحق بدرى ثم ألحق بالخسف
وعز كم لا كنت بالذل عاملا * ولو أن ضعفى ينتهى بى الى الحتف
فان تعملونى فى تصرف عزة * وعدل والا فاحسموا علة الصرف
بقيت وسحب العفو منكم تظلنى * وحمد ثنائى دائما ثانى العطف انتهى

وقال فى ترجمة أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الازدى ماصورته وخاطبنى لما وليت خطة الانشاء وغيرها فى أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمائة بما نصه

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها * بتذكار أيام الوصال وطيبها
ونادته رحمى أختها نفس مدنف * تموت اذا لم تحيها بوجيبها
فداو بقرب منك لاعج وجدها * وفيض أماقيها وطول نحيبها
وقد بلغت حدا به صح فى الهوى * وأحكامه ثوب الضنى فى نصيبها
وهل يتداوى داء نفس تعيسة * اذا كان يوما داؤها من طبيبها
لعل أوار الجد تخمد ناره * فيبرد عنها ما بها من لهيبها
اليك حداها الشوق يا بدرها الذى * يعز عليها منه طول مغيبها
سلكت بها سبل الهوى فهى تبتغى * لقاءك وتبغى غفلة من رقيبها
أجبها بابقاء عليها فانها * ستفنى اذا مالم تكن بمجيبها
وملء نحوها بالود فهى قد اذعنت * كما اذعن الاقلام لابن خطيبها
وحيد الزمان الماهر الباهر الحلى * وجهبذ آداب العلا وأديبها

له ومثلث فأختار منها تاج أنوشروان بن قباذ (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها دبانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا اليه باشياء من هذه المعانى مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصفر الرجلين الذى يتملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مماليك دون من فى عسكره من الاتراك مع ما عنده من الاجراء والاتراك وكان سيئ الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام باسرها فى شرق البلاد وغربها مما فى يد ولد العباس وغيرهم فاقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر فى يده والملك له فخرج ذات يوم

امام معاليها وبحر علومها * وبدر دياجيها وصدر شعوبها

مصرفها كيف انثنت ومعيدها * ومبدئها حيث انتهت ومصيبها

ورافع أعلام البلاغة والذى * أتى ناثرا أو ناظما بعجيبها

وحامل رايات الرياسة رفعة * قضى المجد تخصيصاله بوجوبها

من الغر ممن أوجبت لشبابها * معاليهم الفضل العظيم وشيبها

من ابناء أرباب الزمان الالى بها * سما فخرهم بين الورى بركوبها

خلال ابن عبد الله طود الحجا أبى * محمد باد حسنها من ضروبها

أجاد وأجدى فاسل عن ذكر طيئ * وحاتمها زهوا به وحبيبها

ففى كل ما يبدى محمد عبرة * محاسنها تنبى بسر غيوبها

تجيب القوافى ان دعا ببعيدها * وتنقاد طوعا ان دعا بقريبها

تخير أخلاق الكرام فلم يكن * نهى ولها يرضى بغير رحيبها

تقدم فى دار الخلافة حاجبا * ليحمدها فى سلمها وحروبها

وقام لها فى ساحة العز كاتبا * يحضرها أسرارها ومغيبها

فابدى من انواع الفضائل أوجها * تقر لها بالحسن عين لبيبها

هنيأ به يهنا باسعد مائل * لغرناطة قاض بصرف خطوبها

فللسعد تأثير يجىء اذا جرى * به قدر كالريح عند هبوبها

امو قدنار الفكر يقدح زندها * فيسبى به الالباب سحر نسيبها

حدانى اليك الحب قدما ومال بى * حديث لآمال خلت عن غريبها

فقدمتها نظما قوافى قصرت * لديك بذاوى فكرتى ورطيبها

وكنت كمن وافى لدى الدر بالحصى * يرفع منها ساهيا عن عيوبها

فصلها وخذ بالعفو فيها فلم أصل * لابلغ منها فاغتفر من ذنوبها   انتهى

وصاحب هذا النظم من اهل باش وله اقتدار على النظم والنثر قال فى الاحاطة ما محصله ومما وقع له أثناء مقامات وأغراض تشهد باقتداره مهملا

رعى الله عهدا احوى ما حوى * لاهل الوداد وأهل الهوى

أراهم أمورا حلا وردها * وأعطاهم السؤل كلا سوى

ولما حلا الوصل صالوا له * وراموه مأوى وماء روى

وأوردهم سر أسرارهم * ورد الى كل داء دوا

وما أمل طال الا وهى * وما أمل صال الا هوى

وقال معجمة

بث بينى يبتنى فيض جفنى * شغفى شفنى فشبت بنينى

فتنتنى بغنج ظبى تجنى * تبتغى نقض نيتى بتجنى

بزة زينت قضيب تثنى * قضيت بغيتى ففزت بفن

خففت تشتيت بينى بجفتى * تقية تنثنى تخيب ظنى

وقال

الى الصيد وهو فرح مسرور لما تقدم له من الامر وتأتى له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه فى قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم تورون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متاهبين فركبوا من فورهم وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال ثم ان الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس تنقاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرداويج بالزاى فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقى من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الرى فنزلها وسار بجكم التركى فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد

وقال كلمة وكلمة

الهوى شفنى وأهمل جفنى * أدمعا تنثنى دما بتثنى
أحور شب حربى لما * نقض العهد بين طول تجنى
حاكم يتقى ولاذنب الا * شغف لم يخب لمسعاه ظنى
ماله ينقض العهود فيشجى * ولها يثنى مسهد جفن
لم يجز وصله فبت محالا * يقتضى حل بغيتى كل فن

وقال يرثى ديكا فقده ويصف الوجد الذى وجده ويبكى عدم اذانه الى غير ذلك من مستظرف شانه

أودى به الحتف لما جاءه الاجل * ديكا فلا عوض منه ولا بدل
قد كان لى امل فى ان يعيش فلم * يثبت مع الحتف فى بقياه لى أمل
فقدته فلعمرى انها عظة * وبالمواعظ تذرى دمعها المقل
ما كان ابدع مرآه ومنظره * وصفا به كل حين يضرب المثل
كأن مطرف وشى فوق ملبسه * عليه من كل حسن باهر حلل
كأن اكليل كسرى فوق مفرقه * وتاجه فهو عالى الشكل محتفل
موقت لم يكن يعزى له خطا * فيما يرتب من ورد ولا خلل
كأن زرقال فيما علمه * علم المواقيت عما رتب الاول
يرحل الليل يحيى بالصراخ فما * يصده كلل عنه ولا ملل
رأيته قد وهت منه القوى فهوى * للارض فعلا بريه الشارب الثمل
لو يفتدى بديوك الارض قل له * ذاك الفداء ولكن فاجأ الاجل
قالوا الدواء فلم يغن الدواء ولم * ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
أملت فيه ثوابا أجر محتسب * ان نلت ذلك صح القول والعمل انتهى

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين وقد نظر الى شلير وقد تردى بالثلج وتعمم وكمل ما أراده من بزته وتمم أن ينظم فى وصفه فقال بديها

وشيخ جليل القدر قد طال عمره * وما عنده علم بطول ولا قصر
عليه لباس أبيض باهر السنى * ولابس ثوب أحكمته يد البشر
فطورا تراه كله كاسيا به * وكسوته فيها لاهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يكتسى * بحر ولا برد من الشمس والقمر
وكم مرت الايام وهو كما ترى * على حاله لم يشك ضعفا ولا كبر
وذاك شلير شيخ غرناطة التى * لبهجتها فى الارض ذكر قد اشتهر
بها ملك سامى المراقى أطاعه * كبار ملوك الارض فى حالة الصغر
تولاه رب العرش منه بعصمة * تقيه مدى الايام من كل ما ضرر

وتوفى المذكور فى بادة باش فى طاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال فى الاحاطة فى ترجمة صاحب القلم الاعلى بالمغرب أبى القاسم بن رضوان النجارى ما صورته ولما ولى الانشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور فى المراجعات فكتبت اليه

السلام فراسل الراضى وكان الغالب على أمره الساحة وعدة من الغلمان الحجرية فابوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فادناه وحباه وغلب عليه وقوى أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضى الى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباب الى ديار بنى حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد ابن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان وقتله لابن بدر الشرابى وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهما وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مضر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غيره ودخول يانس المؤنسى وحملته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه طريفا اليشكرى عنها وتوليه الثغر الشامى (وقد أتينا) فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له والاوسط كتابنا أخبار الزمان ومن

أباقاسم لازلت للفضل قاسما * بميزان عدل ينصر الحق من نصر
مدادك وهو المسك طيبا ومنظرا * والاسود القلب والفود والبصر
عهدناه في كل المعارف مطنبا * فما باله في حومة الود مختصر
أظنك من ليل الوصال انتخبته * الينا وذاك الليل يوصف بالقصر
أردنابك العذر الذى أنت أهله * ومثلك لا يرمى بعى ولا حصر

فراجعنى ولا أدرى أهى من نظمه أم نظم غيره

حقيق أبا عبد الاله بك الذى * لمذهبه فى البر يتضح الاثر
وان الذى نبهت منى لم يكن * نؤما وحاشى الود أن أغمط الاثر
ورب اختصار لم يشن نظم ناظم * ورب اقتصار لم يعب نثر من نثر
وعذرك عنى من محاسنك التى * نظام حلاها فى المدائح ما انتثر
ومن عرف الوصف المناسب منصفا * تاتى له نهج من العذر مادثر

وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل مالقة صاحب العلامة العلمية والقلم الاعلى بالمغرب قرأ على جماعة منهم بتونس قاضى الجماعة ابن عبد السلام قال فى التاج فيه أيام لم يفهق حوضه ولا أزهر روضه مانصه أديب أحسن ماشاء ومنح قليبه فلا الدلو وبل الرشاء وعانى على حداثته الشعر والانشاء وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ومجد وديانة ونشا هذا الفاضل على أتم العفاف والصون فمال الى فساد بعد الكون وله خط بارع وفهم الى الغوامض مسارع وقد أثبت من كلامه ونفثات أقلامه كل محكم العقود زار بابنة العنقود فمن ذلك قوله

لعلكما أن ترعيا لى مسائلا * فبالله عوجا بالركاب وسائلا

(ومنها) لقد خار دهرى اذ نأى بمطالبى * وظل بما أبغى من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتدى لى عاتبا * وقال أصخ لى لا تكن قط عاذلا
أتعتبنى أن قد أفدتك موقفا * لدى أعظم الاملاك حلما ونائلا
مليك حباه الله بالخلق الرضا * وأعلى له فى المكرمات المنازلا

وهى طويلة ومن نظم ابن رضوان المذكور

تبرأت من حولى اليك وأيقنت * برحماك آمالى أصح يقين
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجأ * وحسبى يقينى باليقين يقينى

وكلفه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات

ولرب يوم فى حماك شهدته * والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته * درعا تجيد به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلا * للصيد فى حيل تدير حبالها
وتريك اذ يلقى بها اليم الذى * أخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتها زردا وأن عواليا * تركت به عند الطعان نصالها

وقال فيه أيضا

محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج ومن كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استامن منهم اليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الخاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع التميلية وهم غلمان ثمل الخادم فاغنى ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن ابن على بن الحسن (قال المسعودى) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن فى أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك فى كتابنا أخبار الزمان

أبصرت في يوم الغدير عجائبا * جاءت بآيات العجائب مبصره
سمكا لدى شبك فقل ليل بدت * فيه الزواهر للنواظر نيره
فكأن ذا زرد تضاعف نسجه * وكأن تلك أسنة متكسره

ومما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته

هذا محل المنى بالامن معمور * من حله فهو بالآمال مجبور
مأوى النعيم به ماشئت من ترف * تهوى محاسنه الولدان والحور
و يطلع الروض منه مصنعا عجبا * يضاحك النور من لألائه النور
و يسطع الزهر من أرجائه أرجا * ينافح الند نشر منه منشور
مغنى السرور سقاه الله ما جلبت * غر الغمام وحلته الازاهير
انظر الى الروض تنظر كل معجبة * مما ارتضاه لرأي العين تحبير
مر النسيم به يبغي القرى فقرى * دراهم النور تبديد وتنثير
و هامت الشمس في حسن الظلال به * ففرقت فوقها منه دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب * همسا وصوت غناء الطير مجهور
كانما الطير في أفنانها صدحت * بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الروض تحسبه * سيفا ولكنه في السلم مشهور
ينساب للجنة الخضراء أزرقه * كالايم جد انسياب وهو مذعور
هذي مصانع مولانا التي جمعت * شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت * لشكلها العين الا عز تنظير
ولا يصورها في الفهم ذو فكر * الا ومنه لكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت * من المحاسن الا صد تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته * لله ما جمعت تلك المقاصير
كانها الافق تبدو النيرات به * و يستقيم بها في السعد تسيير
و ينشا المزن في ارجائه وله * من عنبر الشحر انشاء وتسخير
و ينهمي القطر منه وهو منسكب * ماء من الورد يذكو منه تقطير
وتخفق الريح منه وهي ناسمة * مما أهب به مسك وكافور
و يشرق الصبح منه وهو من غرر * غر تلألأ منهن الاسارير
وتطلع الشمس فيه من سنى ملك * تبسم الدهر منه وهو مسرور
لله منه امام عادل بهرت * أوصافه فهي للامداح تحبير
غيث السماح وليث الباس فالق به * محيي الهدى وهو للعادين تثبير
قل للمبارى وان لم تلقه أبدا * ورب فرض محال وهو تقدير
فخر الانام أحل الفخر منزله * فكل مدح على علياه مقصور
اذا أبو سالم مولى الملوك بدا * بدرا تضيء بمرآه الدياجير
فأي خطب يخاف الدهر آمله * وأي سؤل له في النيل تعذير

والاوسط وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفي به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد ابن بويه الديلمي المسمى معز الدولة وأخوه الحسن ابن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم علي بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بارض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بارض البصرة والمطيع معه على حسب ما ينمو الينا من أخبارهم ودللنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب مالم نذكره في الآخر الا مالا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه في هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وارجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا

بشراك بشراك يانجل الخلافة ما * خوّلت من نيلها والضد مقهور
لك الخلود بعز الملك فى نعم * لا يعترى صفوها فى الدهر تكدير
فانعم هنيئا بلذات مواصلة * لا تأتليهن المسام وتكرير
لا زلت تلقى المنى فى غبطة أبدا * مادام لله تهليل وتكبير

وقال وكتب به على قلم فضة

اذا شهدت بالنصر خطية القنا * فلكت أمر الفتح من غير ما شرط
كفى شاهدا منى بفضلك ناطقا * لسانى مهما أفصحت ألسن الخطى

وقال وكتب به على سكين

أروح بأمر المستعين وأغتدى * لاذهاب طغيان اليراع الرواقم
ويفعل فى الاقلام حدى مصلحا * كفعل ظبا أسيافه فى الاقالم

قال ومما كتب به على قصيدة عيدية

لما رأيت هدايا العيد أعظمها * هدية الطيب فى حسن وتعجيب
ولم أجد فى ضروب العاطرات شذى * يحكى ثناءك فى نشر وفى طيب
أهديت نحوك منه كل ذى أرج * أنفاسه بين تشريق وتغريب
وفى القبول منال السعد فالق به * تلق الامانى بتاهيل وترحيب

وقال فى رجل يلقب بالبعير

وذى لقب عنت له عند صحبه * مآرب لم يسعد عليهن مسعد
دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه * أبا أحد واو تدعنهم يهدهد
فقلت له عد نحوهم لتعود من * مرامك بالمطلوب توفى وتحمد
فقال وقد غص الفضاء بصوته * وقد هدرت منه الشقاشق تزبد
لئن عدت نادونى بعيرا لمثلها * فقلت له لا تخش والعود أحمد

وقال

وبخيل لما دعوه لسكنى * منزل بالجنان ضن بذلك
قال لى مخزن بدارى فيه * كل مالى فلست للدار تارك
قلت وفقت للصواب فحاذر * قول خل مرغب فى انتقالك
لا تعرج على الجنان بسكنى * ولتكن ساكنا بمخزن مالك

وقال رحمه الله تعالى فى مركب

يارب منشاة عجبت لشانها * وقد احتوت فى البحر أعجب شان
سكنت بجنبيها عصابة شدة * حلت محل الروح فى الجثمان
فتحركت بارادة مع أنها * فى جنسها ليست من الحيوان
وجرت كما قد شاءه سكانها * فعلمت أن السر فى السكان

وقال رحمه الله تعالى

وذى خدع دعوه لاشتغال * وما عرفوه غثا من سمين
فاظهر زهده وغنى بمال * وجيش الحرص منه فى كمين

ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ولا يعذر فى تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابى هذا ولم يمعن النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعنا فيه فى عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان فى الاسفار وطواف فى البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لى نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية عما تجشمت من التعب فيها فان منزلتى فيه وفى نظمه وتاليفه بمنزلة من وجد جوهرا منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها اسلاكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطالبه وليعلم من نظر فيه أنى لم أنتصر فيه لمذهب ولا تخيرت الى قول ولا حكيت عن الناس الا محالس أخبارهم ولم أعرض واقسم

وأقسم لافعلت يمين خب * فياعجبا لحلاف مهين
يغر بيسره ويمين حنث * لياكل باليسار وباليمين

وهو الآن بحاله الموصوفة انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبنى أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا الى اعذار ولده بقوله

أريد من سيدى الاعلى تكلفه * الى الوصول الى دارى صباح غد
يزيدنى شرفا منه ويبصر لى * صناعة القاطع الحجام فى ولدى

فاجبته

ياسيدى الاوحد الاسمى ومعتمدى * وذا الوسيلة من أهلى ومن بلدى
دعوت فى يوم الاثنين الصحاب ضحى * وفيه ما ليس فى سبت ولا أحد
يوم السلام على المولى وخدمته * فاصفح وان عثرت رجلى فخذ بيدى
والعذر أوضح من نار على علم * فعذ ان غبت عن لوم وعن فند
بقيت فى ظل عيش لا نفاد له * مصاحبا غير محصور الى أمد انتهى

وأبو بكر المذكور أصله من باغة ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطيين * وفى التاج فى حقه ماصورته مادح هاجى مداهن مداجى أخبث من نظر من طرف خفى وأعذر من تلبس بشعار وفى الى مكيدة مبثوثة الحبائل واغراء يقطع بين الشعوب والقبائل من شيوخ طريقة العمل المتقلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعللين برسوم هاحين اختلاط المرعى بالهمل وهو ناظم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم مختصر السيرة فى الالفاظ اليسيرة ونظم رجزا فى الزجر والفال نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال انتهى قال ومن شعره

ان الولاية رفعة لكنها * أبدا اذا حققتها تنتقل
فانظر فضائل من مضى من أهلها * تجد الفضائل كلها لا تعزل

توفى بالطاعون بغرناطة عام خمسين وسبعمائة انتهى *وقال فى ترجمة أبى سلطان عبد العزيز بن على الغرناطى بن يشت ماصورته ومما خاطبنى به قوله

أطلت عتب زمان فل من أملى * وسمته الذم فى حل ومرتحل
عاتبته ليلين العتب جانبه * فما تراجع عن مطل ولا بخل
فعدت أمنحه العتبى ليشفق لى * فقال لى ان سمعى عنك فى شغل
فالعتب عندى كالعتبى فلست أرى * أصغى لمدح ولا أصغ للعذل
فقلت للنفس كفى عن معاتبة * لا تنقضى وجواب صيغ من وجل
من يعتلق فى الدنا بابن الخطيب فقد * سما عن الذل واستولى على الجذل
قالت فمن لى بتقريبى لخدمته * فقد أجاب قريبا من جوابك لى
فقال للناس كفوا عن محادثتى * فليس ينفعكم حولى ولا حيلى
قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتى * وكان ما كان من أيامى الاول
وقد رعيت وما أهملت من منح * فكيف يختلط المرعى بالهمل

(ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت)

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد افردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ما يوجبه الحساب وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عنى باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما يوجبه تاريخهم فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة

ولست أرجع للدنيا وزخرفها * من بعد شيب غدا في الرأس مشتعل
ألست تبصر أطماري وبعدي عن * نيل الحظوظ واغذاذي الى اجلي
فقلت ذلك قول صح مجمله * لكن من شانه التفصيل للجمل
ما أنت جالب أمر تستعين به * على المظالم في حال ومقتبل
ولا تحلل حراما أو تحرم ما * أحل ربك في قول ولا عمل
ولا تبع آجل الدنيا بعاجلها * كما الولاة تبيع اليم بالوشل
وأين عنك الرشا ان ظلت تطلبها * هذا العمري أمر غير منفعل
هل أنت تطلب الآن تعود الى * كتب المقام الرفيع القدر في الدول
فالأوحد هذا الكون قاطبة * وأسمع الخلق من حاف ومنتعل
لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطر * ولم يسد الذي قد بان من خلل
ان لم تقع نظرة منه عليك فما * يصفو لديك الذي أملت من أمل
فدونك السيد الاعلى فطالبكم * قد نيط منه بفضل غير منفصل
فقد خبرت بني الدنيا باجمعهم * من عالم وحكيم عارف وولي
فما رأيت له في الناس من شبه * قل النظير له عندي فلا تسل
وقد قصدتك يا أسمى الورى هيما * وليس لي عن حمى علياك من حول
فما سواك لما أملت من أمل * وليس لي عنك من زيغ ولا ميل
فانظر لحالي فقد رق الحسود لها * واحسم زمانة ما قد ساء من علل
ودم لناولدين الله ترفعه * ما أعقبت بكر الاصباح بالاصل
لا زلت معتليا عن كل حادثة * كما علت ملة الاسلام في الملل انتهى

والمذكور هو عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشت من غرناطة يكنى أبا سلطان قال في الاحاطة في حقه فاضل حي حسن الصورة بادي الحشمة فاضل البيت سرى به كتب في ديوان الاعمال فاتقن وترقى الى الكتابة السلطانية وسفر في بعض الاغراض الغربية ولازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم

القلب يعشق والمدامع تنطق * برح الخفاء فكل عضو منطق
ان كنت أكتم ما أكن من الجوى * فشحوب لوني في الغرام مصدق
وتذللي عند اللقا وتملقي * ان المحب اذا دنا يتملق
فلكم سترت عن الوجود محبتي * والدمع يفضح ما يسر المنطق
ولكم أموه بالطلول وبالكنى * وأخوض بحر الكتم وهو الاليق
ظهر الحبيب فلست أبصر غيره * فبكل مرئى أرى متحقق
ما في الوجود تكثر لمكثر * ان المكثر بالباطل يعلق
فمتى نظرت فانت موضع نظرتي * ومتى نطقت فما بغيرك أنطق
ياسائلي عن بعض كنه صفاته * كل اللسان وكل عنه المنطق

لذى القرنين وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى تسعمائة وثلاثة وثلاثين بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (علي بن ابي طالب) رضي الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية بن أبي سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية بن يزيد بن معاوية) ثلاثة أشهر واثنين

فاسلك مقامات الرجال محققا * ان المحقق شأوه لا يلحق
مزق حجاب الوهم لا تحفل به * فالوهم يستر ما العقول تحقق
واخلص اذا شئت الوصول ولا تسل * فالعجز عن طلب المعارف مويق
ان التحلي في التخلي فاقتصد * ذاك الجناب فبابه لا يغلق
واقتبس نار الكليم ولا تخف * والغ السوى ان كنت منها تفرق
ومتى تجلى فيك سر جماله * وصعقت خوفا فالمكلم يصعق
دع رتبة التقليد عنك ولا تنه * تلق الذي قيدت وهو المطلق
واقطع حبال علائق وعوائق * ان العوائق بالمكاره تطرق
جرد حسام النفس عن جفن الهوى * ان العوائد بالتجرد تخرق
فاذا فهمت السر منك فلا تبح * فالسيف من بث الحقائق أصدق
بالذوق لا بالعلم يدرك علمنا * سر بمكنون الكتاب مصدق
وبما أتى عن خير من وطئ الثرى * سر الوجود وغيثه المتدفق
خير الورى وابن الذبيحين الذي * أنواره في هديها تتألق
من أخبر الانباء قبل بعثه * ولنصه سر الكتاب يصدق
رفعت له الحجب التي لم ترتفع * الا اليه فكل ستر يخرق
ورقى مقاما قصرت عن كنهه * رتب الوجود وكع عنه السبق
وطئ البساط تدللا وجرى الى * أمد تناهى ما اليه مسبق
انسان عين الكون مبلغ سره * قطب الكمال وغيثه المتدفق
سر الوجود ونكتة الدهر الذي * كل الوجود بجوده يتعلق
من جاء بالآيات يسطع نورها * والذكر فهو عن الهوى لا ينطق
يا سيد الأرسال غير مدافع * وأجلهم سبقا وان هم أعنقوا
بالفقر جئتك موئلي لا بالغني * فالذل والاذعان عندك ينفق
فاجبر كسير جرائر وجرائم * فالقلب من عظم الخطايا يقلق
أرجوك يا غوث الانام فلا تدع * باب الرضا دوني يسد ويغلق
حاشاك تطرد من أتاك مؤملا * فلأنت لي مني أحن وأرفق
ومحبتي تقضي بانك منقذي * مما أخاف فما بغيرك أعلق
يا هل تساعدني الاماني والمنى * وأحل حيث سنى الرسالة يشرق
ان كان ثبطني القضا بقيده * فعنان عزمي نحو مجدك مطلق
ولئن نوى شخصي باقصى مغرب * فتشوقي مني اليك يشرق
فعليك يا أسنى الوجود تحية * من طيب نفحتها البسيطة تعبق
وعلى صحابتك الذين تأنقوا * رتب الكمال ومثلهم يتأنق
وعلى الالى آووك في أوطانهم * نالوا بذلك رتبة لا تلحق
أعظم بانصار النبي وحزبه * وبمن أتى بعباءة يتعلق

سنين وخمسة أشهر (عبد الملك بن مروان) حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام *(ذكر أيام بني مروان)* (عبد الملك بن مروان ابن الحكم) اثنتي عشرة سنة وأربعة اشهر وخمسة أيام (الوليد بن عبد الملك) تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما (عمر ابن عبد العزيز بن مروان) سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد بن عبد الملك) أربع سنين ويوما واحدا (هشام بن عبد الملك) تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد ابن يزيد بن عبد الملك) حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

من مثل سعد أو كقيس نجله * عرف السيادة من حماهم ينشق
أكرم بهم وبمن أتى من سرهم * عز النظير فجدهم لا يلحق
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا * كل الانام لعزهم يتملق
بمحمد نجل الخليفة يوسف * عز الهدى فحماه ما ان يطرق
مولى الملوك وتاج مفرق عزهم * وأجل من تحدى اليه الاينق
ملك يرى أن التقدم مغنم * مهما تعرض موكب أوفيلق
تروى أحاديث الوغى عن باسه * فالسيف يسند والعوالى تطلق
ملك البسالة والمكارم والنهى * فعداته منه تغص وتشرق
ملئت قلوب عداه منه مهابة * فغرب من خوفه ومشرق
مولاى يا اسمى الملوك ومن غدت * عين الزمان الى سناه تحدق
لا تقطعوا عنى الذى عودتم * فالعبد من قطع العوائد يشفق
لا تحرمونى مطلبى فحبتى * تقضى لسعيى أنه لا يخفق
فانعم بردى فى بساطك كاتبا * وأعد لما قد كنت فهو الالبق
فاسلم أمير المسلمين لامة * أفواههم ما ان بغيرك تنطق
واهنأ بها من ليلة نبوية * جاءت باكرم من به يتعلق
صلى عليه الله ما هبت صبا * واهتز غصن فى الحديقة مورق

ثم قال وهو الآن بحالته الموصوفة انتهى *ومما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ما حكاه فى الاحاطة فى ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى اذ قال ما نصه وخاطبنى بسبتة وأنا يومئذ بسلا بقوله يا أيتها الآية البالغة وقد طمست الاعلام والغرة الواضحة وقد تنكرت الايام والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام أبقاكم الله تعالى البقاء الجميل وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التاميل أبى الله أن يتمكن المقام بالاندلس بعدكم وأن يكون سكون النفس الا عندكم سر من الكون غريب ومعنى فى التشاكل عجيب أختصر لكم الكلام فاقول بعد التحية والسلام تفاقت الحوادث وتعاظمت الخطوب الكوارث واستأسدت الذئاب الاخابث ونلت الاكثر من ولد سام وحام ويافث فلم يبق الا كاشح باحث أومكافح عابث ويا ليت شعرى من الثالث فحينئذ وجهت وجهى للفاطر الباعث ونجوت بنفسى لكن منجى الحرث وقد عبرت البحر كسير الجناح دامى الجراح وانى لارجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا والصنع عجيبا فعمادى أعان الله على القيام بواجبه هو الركن الذى ما زلت أميل على جوانبه ولا تزيد فى الايام الا بصيرة فى الاقرار بفضله والاعتداد به وقد وصلنى خطاب سيدى الذى جلى الشكوك بنور يقينه ونصح النصح اللائق بعلمه ودينه وكانه نظر الى الغيب من وراء حجاب فاشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب ومن العجب أنى عملت بمقتضى اشارته قبل بلوغ اضبارته فلله ما تضمنه مكتوبكم الكريم من الدر وحرره من الكلام الحر وايم الله لو تجسم لكان ملكا ولو تنسم لكان مسكا ولو قبس لكان شهابا ولو لبس لكان شبابا

حتى خلع شهرين وأحد (ابن محمد) حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

(ذكر الخلفاء من بنى هاشم)

(أبو العباس عبد الله بن محمد) أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر عبد الله ابن محمد المنصور) احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدى اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما (المهدى) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادى ثمانية أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادى) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر

خل منى علم الله تعالى محل البرء من المريض وأعاد الانس عما تضمنه من التعريض والكلام المزرية بقطع الروض الاريض فقبلته عن راحتكم وتخيلت أنه مقيم بساحتكم ثم وردت معينه الاصفى وكلت من بركات مواعظه بالمكيال الاوفى وليست باول أياديكم واحالتكم على الله فهو الذى يجازيكم وبالجملة فالامور بيد الاقدار لا الى المراد والاختيار

وما كل ما ترجو النفوس بنافع * ولا كل ما تخشى النفوس بضرار انتهى

قلت أين هذا الكتاب من الذى قدمناه عنه فى الباب الثانى حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجو وعطفه الى مهاجاته ثانى وسفر فى أمره الى العدوة واجتهد فى ضرره بعد ان كان له به القدوة وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن وألف فيه كما سبق خلع الرسن على انه عرف به فى الاحاطة أحسن تعريف وشرفه بحلاه أجل تشريف اذ قال ما ملخصه على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى أبو الحسن ويعرف بالنباهى هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة وبقية تعين وأصالة عف النشأة طاهر الثوب مؤثر للوقار والحشمة خاطب للشيخوخة مستعجل للشيبة ظاهر الحياء متحرك مع السكون بعيد الغور مرهف الجوانب مع الانكماش مقتصد فى الملبس والآلة متظاهر بالسذاجة برىء من النوك والغفلة يقظ للعاريض مهتد الى الملاحن طرف فى الجود حافظ مقيد طلعة اخبارى قائم على تاريخ بلده شرع فى تكميل ما صنف فيه ملازم للتقييد والتطريف متفرع عن الاجادات والفوائد استفدت منه فى هذا الغرض وغيره كثيرا حسن الخط ناظم ناثر نثره يشف على نظمه ذاكر لكثير استظهر محفوظات منها النوادر للقالى وناهيك به محفوظا مهجورا ومسلكا غفلا فاظنك بسواه نشأ بيلده حر الطعمة فاضل الابوة وقرأ به ثم ولى القضاء بالتماس ثم ببلش وعملها فسيح الخطة مطلق الجراية بعيد المدى فى باب النزاهة ماضيا غير هيوب حتى أربى فى الزمن القريب على المحتنكين وغبر فى وجوه أهل الدربة وجرت أحكامه مستندة الى الفتيا جارية على المسائل المشهورة ثم نقل منها الى النظر فى أمور الحل والعقد بما لقة مضافة اليه الخطط النبيهة وصدر له منشور من املائى الى أن قال فى ترجمة نظمه قال نظمت سمح الله تعالى لى قطعتين موطئا فيهما على البيتين المشهورين احداهما

بنفسى من غزلان حزوى غزالة * جمال محياها عن النسك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها * ولو أنه النسر الذى هو طائر
معطرة الانفاس رائقة الحلى * هواها بقلبى فى المهامه سائر
اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

والاخرى

وقائلة لما رأت شيب لمتى * لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التصابى قد مضى لسبيله * وهل لك بعد الشيب فى الحب عاذر
فقلت لها كلا وان تلف الفتى * فما لهواها عندمثلى آخر
سيبقى لها فى مضمر القلب والحشى * سريرة ود يوم تبلى السرائر

ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام

وكتب على مثال النعل الكريم وأهداه لمزمع سفر

فديتك لايهدى اليك أجل من * حديث نبي الله خاتم رسله
ومن ذلك الباب المثال الذى أتى * به الاثر المأثور فى شان نعله
ومن فضله مهما يكن عند حامل * له نال مايهواه ساعة حمله
ولاسيما ان كان ذا سفر به * فقد ظفرت يمناه بالامن كله
فدونك منه أيها العلم الرضا * مثالا كريما لانظير لمثله

وقال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها

اذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى * فسلم لنا فى حكمنا ودع الشكوى
ولا تتبع أهواء نفسك والتفت * لنا حيث كنا فى الرخاء وفى اللأوا
وكم من محب فى رضانا وحبنا * محا كل ما يبدو سوانا له محوا
رآنا عيانا عين معنى وجوده * فعاج عن الشكوى وفوض فى البلوى
وقال تحكم كيف شئت بما ترى * رضيت بما تقضى وهمت بما تهوى
فحل لدينا بالخلوص وبالرضا * محل اختصاص نال منه المنى صفوا
فان كنت ترجو فى الصبابة والهوى * لحاقا بهم فاسلك طريقهم الاضوا
ومت فى سبيل الحب ان كنت مخلصا * لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى
هنالك تؤتى ماتريد وتقتضى * دوينك منا دون مطل ولا دعوى
وتشرب من عين اليقين وتغتذى * بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى

وقال

لاتلجأن لمخلوق من الناس * من يافث كان أصلا أومن الياس
وثق بربك لاتيأس تجد عجبا * فلا أضر على عبد من الياس

وقال

فديتك لاتصحب لئيما ولا تكن * معينا له ان اللئيم خؤن
فلاعهد يرعى لا ولا نعمة يرى * ولا سر خل عن عداه يصون

وقال يخاطب أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان

لك الله قلبى فى هواك رهين * وروحى عنى ان رحلت ظعين
ملكت بحكم الفضل كلى خالصا * وملكك للحر الصريح يزين
فهب لى من نطقى بمقدار مابه * يترجم سر فى الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس * وسح لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم ولم تزل * بدنياك فى الامر المهم تعين
وقصر من لم تعلم النفس انه * خذول اذا خان الزمان يخون
وانى بحمد الله عنه لفى غنى * وحسبى صبر عن سواك يصون
أبى لى مجد عن كرام ورثته * وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السماكين همة * وما كل نفس بالهوان تدين
ولما رأت عينى محياك اقسمت * بانك للفعل الجميل ضمين
وعادلها الانس الذى كان قد مضى * بريعان شرخ الشباب خدين

وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة وستة أشهر

والى أن خلع ثلاث سنين وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدى يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمانون وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضى) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد

بحيث نشانا لابسين حلى التقى * وكل بكل عند ذاك ضنين
اناوسنى تلك الليالى وطيبها * ووجد غرامى والحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس وكالحيا * حديثهم ماشئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا * عليها له بين الضلوع أنين
اذا مر حين زاده الشوق جدة * وليس يعاب للربوع حنين
وأنى بسلاها وللبين لذعة * أقل اذا ها للسليم جنون
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا * وخان افتراق لم نخله يحين
وبعد التقينا فى محل تغرب * وكل الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله * ومالك فى حسن الصنيع قرين
وغبت وما غابت مكارمك التى * على شكرها الرب العظيم يعين
يمينا لقد أوليتنا منك نعمة * تلذ بها عند العيان عيون
ويقصر عنها الوصف اذ هى كلها * لها وجه حر بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا * ومقدمك الاسنى بذاك قمين
لأنك أنت الروح منا وكلنا * جسوم فعند البعد كيف نكون
ولو كان قدر الحب فيك لقاؤنا * اليك لكنا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة المجد جهدنا * فراحته شمل الجميع تصون
هنيئا هنيئا أيها العلم الرضا * بمالك فى طى القلوب كمين
لك الحسن والاحسان والعلم والتقى * فحبك دنيا للمحب ودين
وكم لك فى باب الخلافة من يد * أقرت لها بالصدق منك مرين
وقامت عليها للملوك أدلة * فانت لديها ماحييت مكين
فلا وجه الا وهو بالبشر مشرق * ولا نطق الا عن علاك مبين
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره * صحيحا كما قد صح منك يقين
ودونك يا قطب المعالى بنية * من الفكر عن حال المحب تبين
أتتك ابن رضوان تمت بودها * ومالسوى الاغضاء منك ركون
فخل انتقاد البحر عن هفواتها * ومهد لها بالسمع حيث تكون
وخذها على علاتها فحديثها * حديث غريب قد عراه سكون

وهو بحاله الموصوفة انتهى باختصار ولما كتب لسان الدين الى شيخه الرئيس الكاتب أبى الحسن الجياب قصيدة أولها

أمستخرجا كنز العقيق بآماقى * أناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى أطواقى

وهى طويلة أجابه عنها بقوله

سقانى فأهلا بالمدامة والساقى * سلافا بها قام السرور على ساق
ولا نقل الا من بدائع حكمة * ولا كأس الا من سطور وأوراق

سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الا ثلاث ليال (قال المسعودى) وسنو الهجرة قريبة وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علمها على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد بن جابر السانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فاما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذى صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من أهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام

فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة * تمدبر وحانية ذات أذواق
فمن خطها الفانى متاع لناظرى * وشمى وحظ الروح من خطها الباقى
أعادت شبابى بعد سبعين حجة * فاثوابه قد جددت بعد اخلاق
وما كنت يوما للمدامة صاحبا * ولا قبلتها قط نشأة أخلاقى
ولا خالطت لحمى ولا مازجت دمى * كفى شرها مولاى فالفضل للواقى
وهذا على عهد الشباب فكيف لى * بها بعد ما للشبيبة مهراق
تبصر فحكما القهوتين تخالفا * فكم بين اثبات لعقلى وازهاق
وشتان ما بين المدامة فاعتبر * فكم بين انجاح لسعى واخفاق
فتلك تهادى بين ظلم وظلمة * وهذى تهادى بين عدل واشراق
أياد لم الاحسان غير منازع * شهادة اجماع عليها واصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت * بهم من سحب فكل غيداق
خزائن آداب بعثت بدرها * الى ولم تمنن بخشية انفاق
ولا مثل بكر حرة عربية * زكية أخلاق كريمة أعراق
فأقسم ما البيض الحسان تبرجت * تناجيك سرا بين وحى واطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على * رياض شدت فى قطبها ذات أطواق
فناظر منها الاقحوان ثغورها * وقابل منها نرجس سحر أحداق
وناسب منها الورد خدا موردا * سقاه الشباب النضر بورك من ساقى
وألبسن من صنعاء وشيا منمنما * وحلين من درنفائس أعلاق
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين * وأحيى لألباب وأشهى لعشاق
وأيت بها شهب السماء تنزلت * الى تحيينى تحية مشتاق
ألا ان هذا السحر لاسحر بابل * فقد سحرت قلبى المعنى فمن راقى
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد * أبر بأحباب وأوفى بميثاق
تقاضى ديون الشعر منى منبها * رويدك لا تعجل على بارهاق
فلو نشر الصادان من لحديهما * لانصاف هذا الدين لاذا باملاق
فخذ بزمام الرفق شيخا تقاصرت * خطاه وعاهده بعهود اشفاق
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها * وقدرك فى أهل العلا والنهى راقى

قال وكتبت اليه فى غرض العتاب قصيدة أولها

أدرنا وضوء الافق قد صدع الفضا * مدامة عتب بيننا نقلها الرضا
فلله عينا من رآنا ولعيا * جنى بآ فاق البشاشة أومضا
نفر الى عدل الزمان الذى أتى * ونبرأ من جور الزمان الذى مضى
ونأسو كلوم اللغط باللفظ عاجلا * كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعنى عنها بهذه القصيدة

الاحبذا ذاك العتاب الذى مضى * وان جره واش بزو رعضضا

(عمر بن الخطاب) عشر سنين وتسعة اشهر واربع ليال (عثمان بن عفان) احدى عشرة سنة (على ابن ابى طالب) أربع سنين (الحسن بن على) ستة اشهر وعشرة ايام (معاوية بن أبى سفيان) تسع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمان ليال (معاوية ابن يزيد) شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان بن الحكم) ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك بن مروان) احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد بن عبد الملك) سبع سنين وثمانية أشهر ويومين (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر بن عبد العزيز) سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد ابن عبد الملك) أربع سنين وشهرا ويومين (هشام ابن عبد الملك) تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد بن يزيد) سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان ابن محمد) خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله بن محمد السفاح) أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر

أغارت

(الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء

أغارت له خيل فاذعرت حمى * ولكنها كانت طلائع للرضا
تألق منه بارق صاب مزنه * على معهد الحب الصميم فروّضا
تلألأ نورا للصداقة حافظا * وان ظن سيفا للقطيعة منتضى
فان سوّد الشيطان منه صحيفة * أتى ملك الرحمى عليها فبيضا
وما كان حب أحكم الصدق عهده * ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا
أعيذ ودادا زاكى القصد وافيا * تخلص من أدرانه فتمحضا
ونية صدق فى رضا الله أخلصت * سناها بما فاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليخفى نورها * أيخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
وكيف يحل المبطلون بافكهم * معاقد حب أحكمتها يد القضا
تعرض يبغى هدمها افكا نه * لتشييد مبناها الوثيق تعرّضا
وحرض فى تغييره فكانما * على البر والتسكين والحب حرّضا
وأوقد نارا فهو يصلى جحيمها * يقلب منها القلب فى موقد الغضى
أيا واحدى المعدود بالالف وحده * ويا ولدى البر الزكى ان ارتضى
بعثت من الدر النفيس قلائدا * على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نتيجة آداب وطبع مهذب * أطال مداه فى البيان وأعرضا
ولا مثل بكر باكرتنى آنفا * كزورة خل بعد ما كان أعرضا
هى الروضة الغناء أينع زهرها * تناظر حسنا مذهبا ومفضضا
أو الغادة الحسناء راقت فينقضى * مدى العمر فى وصفى لها وهو ما انقضى
تطابق منها شعرها وجبينها * فذا الليل مسودا وذا الصبح أبيضا
أو الشهب منها زينة وهداية * ورجم لشيطان اذا هو قيضا
أتت ببديع الشعر طورا مصرحا * بآياتك الحسنى وطورا معرضا
ومهدت الاعذار دون جناية * ولو أنك الجانى لكنت المغمضا
لك الله من بر وفى وصاحب * محضت له صدق الضمير فامحضا
لسانك فى شكرى مفيض تفضلا * فيا حسن ما أهدى وأسدى وأقرضا
وقلبك فاضت فيه انوار خلتى * فالقى يدى تسليمه لى مفوّضا
وقصدك مشكور وعهدك ثابت * وفضلك منشور وفعلك مرتضى
فهل مع هذا ريبة فى مودة * محال وان رابت فما أنا معرضا
فثق بولائى اننى لك مخلص * هوى ثابتا يبقى فليس له انقضا
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وما بارق جنح الدجنة أومضا

(وقال لسان الدين) من غريب ما خاطبنى به قوله

أقسم بالقيسين والنابغتين * وشاعرى طيئ المولدين
وبابن حجر وزهير وابنه * والاعشيين بعد ثم الاعميين
ثم بعشاق الثريا والرقيات وعزة ومى وبثين

(المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) أحد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة اشهر وستة ايام (الراضى) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن) نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة فى العمر لنزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم وما يكون فى المستقبل من دولتهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست

والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب الآن معوّل الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف فى كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث بدئه وما قاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وأن ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة على حسب التنازع فى ذلك والله أعلم

(ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

(قال المسعودى) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر ماذا

وبابى الشيص ودعبل ومن * كشاعرى خزاعة المخضرمين
وولد المعتز والرضى والمعرى ثم حسن وابن الحسين
واختم بقس وبسحبان وان * أوجب حق أن يكونا أوّلين
وحلبتى نثرهم ونظمهم * فى مشرقى أقطارهم والمغربين
ان الخطيب بن الخطيب سابق * بنثره ونظمه للحلبتين
راقتنى الصحيفة الحسنا التى * شاهدت فيها المكرمات رأى عين
تجمع من براعة المعنى الى * براعة الالفاظ كلتا الحسنيين
اشهد أنك الذى سبقت فى * طريقى الآداب أقصى الامدين
شعر حوى جزالة ورقة * تصاغ منه حلة للشعريين
رسائل أزهارها منثورة * سرور قلب ومتاع ناظرين
يا أحوذيا يا نسيج وحده * شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت فى مواهب الله التى * تقرعينيك وتملأ اليدين

انتهى

(وحكى لسان الدين) أن سعيد بن محمد الغرناطى الغسانى استعار منه كتابا فارسله اليه وعلى ظهره هذه الابيات

هذا كتاب كله معجم * أعجمنى معناه افهاما
أعجمه منشئه أوّلا * وزاده الناسخ اعجاما
أسقط من اجماله جملة * وزاد فى التفصيل أقساما
وغير الالفاظ عن وضعها * وصير الايجاد اعداما
فليس فى اصلاحه حيلة * ترجى ولو قوبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها والله تعالى أعلم * وولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩

(ومما خوطب به لسان الدين) لما تقلد الكتابة العليا قول أبى الحسن على بن محمد بن على بن البناء الوادى آشى رحمه الله تعالى

هو العلاء جرى باليمن طائره * فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا الى أمد * لاعجز الشمس ما آبت عساكره
لقد حباه منيع العز خالقه * بفاضل منك لا تحصى مآثره
فليزه فخرا فما خلق يعارضه * ولا علاء مدى الدنيا يفاخره
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت * من كل ذى لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن * عن وصف بحر رمى بالدر زاخره
هل أنت الا الخطيب بن الخطيب ومن * زانت حلى الدين والدنيا مفاخره
فان يقصر عن الاوصاف ذو أدب * فما بدا منك فى التقصير عاذره
يا ابن الكرام الالى ما شب طفلهم * الا وللمجد قد شدت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية * ولا العلاء به سجع أنت ناثره
ولا المكارم طرسا أنت راقمه * ولا المناقب طبا أنت ماهره

ماذا على سابق يسرى الى سنن * ان كان من رفقه خل يسايره
سر حيث شئت من العلياء متئدا * فما أمامك سباق تحاذره
أنت الامام لاهل الفخران فخروا * أنت الجواد الذى عزت أواثره
ما بعد ما حزته من عزة علا * شأو يطارد فيه المجد كابره
نادت بك الدولة النصرى محتدها * نداء مستنجد أزر وايوازره
حليتها برداء الصبر مرتديا * وصبح يمنك فجر السعد سافره
فالملك يرفل فى أبراده مرحا * قد عمت الارض اشراقا بشائره
فاهنابها نعمة ما ان يقوم لها * من اللسان ببعض الحق شاكره
وليهنها أنها ألقت مقالدها * الى زكى زكت منه عناصره
فانه بدرتم فى مطالعها * قد طبق الارض بالانوار نائره

(وقال لسان الدين) وأهدى الى قباقب خشب جوزو كتب معها

ها كها ضمرا مطايا حسانا * نشأت فى الرياض قضبا لدانا
وثوت بين روضة وغدير * مرضعات من النمير لبانا
لابسات من الظلال برودا * دونها القضب رقة وليانا
ثم لما أراد كرامها الله وسنى لها المنى والامانا
قصدت بابك العلى ابتدارا * ورجت فى قبولك الاحسانا

قال فأجبته

قد قبلنا جيادك الدهم لما * أن بلونا منها العتاق الحسانا
أقبلت خلف كل بحر تبيع * خلعت وصفها عليه عيانا
فعنينا برعيها وفسحنا * فى ربوع العلا لها ميدانا
وأردنا امتطاءها فاتخذنا * من شراك الاديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر * من كتاب سبت به الاذهانا
مثل ما تجنب الجيوش المذاكى * عدة للقاء مهما كانا
لم يرق مقلتى ولاراق قلبى * كعلاها براعة وبيانا
من يكن مهديا فمثلك يهدى * لم أجد للثناء عليك لسانا

(وقال لسان الدين) ومن أبدع ما هز به الى اقامة سوقه ورعى حقوقه قوله

يامعدن الفضل موروثا ومكتسبا * وكل مجد الى علياته انتسبا
بباب مجد كم الاسمى أخو أدب * مستصرخ بكم يستنجد الادبا
ذل الزمان له طورا فبلغه * من بعض آماله فوق الذى طلبا
والآن أركبه من كل نائبة * صعب الاعنة لا يألو به نصبا
فحملته دواعى حبكم وكفى * بذاك شافع صدق يبلغ الاربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فبها * خليفة الله فينا يعطر الذهبا

(وقال لسان الدين) فى الاكايل فى حق المذكور وما صورته فاضل يروقك وقاره وصقر

بدنة ثم أرسل على اثره على ابن أبى طالب رضى الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فاقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة اثنتى عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس

بعدمطاره قدم من بلده يروم اللحاق بكتاب الانشاء وتوسل بنظم أنيق ونسب فى نسب الاجادة عريق تعرب براعته عن لسان ذليق وطبع طليق وذكاء بالاثرة خليق وبينما هو يلحم فى ذلك الغرض ويسدى ويعيد ويبدى وقد كادت وسائله أن تنجح وليل رجائه أن يصبح اغتاله الحمام وخانته الايام والبقاء لله تعالى والدوام توفى بالطاعون فى عام واحد وخمسين وسبعمائة وسنه دون الثلاثين رحمه الله تعالى انتهى والمخوطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرنى الآن أجاب عنه بما نصه المقام الامامى الابراهيمى المولوى المستنصرى الحفصى الذى كرم فرعا وأصلا وشرف جنسا وفصلا وتلافى رعاية المجد من لدن المهد كرما وخصلا وصرفت متجردة الاقلام الى مثابة خلافته المنصورة الاعلام وجوه عبارة الكلام فاتخذ من مقام ابراهيم مصلى مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الامام أبى اسحق ابن مولانا أبى يحيى أبى بكر ابن الخلفاء الراشدين أبقاه الله تعالى تهوى اليه الافئدة كلما انتشت بذكره وتتنافس الالسنة فى احراز غاية حمده وشكره وتتكفل الاقدار بانفاذ نهيه وأمره وتغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوه وعمره ويتبرع أسمر الليل وابيض النهار باعمال بيضه وسمره ولازال حسامه الماضى يغنى يومه فى النصر عن شهره والروض يحييه بمباسم زهره ويرفع اليه رقع الحمد بنان قضبه الناشئة من معصم نهره وولى الدنيا والآخرة يعتنابهما بعد الاعانة على مهره يقبل بساطه المعود الاستلام بصفحات الخدود الرافع عماده ظل العدل الممدود عبد مقامه المحمود ووارد غمر انعامه غير المنزور ولا المثمود المثنى على نعمه العميمه ومنحه الجسيمة ثناء الروض المجود على العهود ابن الخطيب من باب المولى الموجب حقه المتأكد الفروض الثابت العهود المعتدّ منه بالود الجامع الرسوم والحدود والفضل المتوارث عن الآباء والجدود يسلم على مثابتها اسلام متلو على مثلها ان وجد المثل فى الثانى ويعوذ كمالها بالسبع المثانى ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد المبانى وتيسير الامانى وينهى الى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة بما يناسب التوحيد المستولية من مدارك الآمال على الامد البعيد ان مخاطبتها المولويه تاهت على الملوك فارعة العلا مزعفرة الحلل والحلى ذهبية المجلى تفيد العز الممكين والدنيا والدين وترعى فى الآباء والبنين على مر السنين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قد حملت من مدحها الكريم ما أخفى للملوك من قرة عين ودرة تزين جبين الشرف الوضاح ومستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصراح والغرر والاوضاح والارج الفواح فاقتنى دره النفيس ووجد المروع فى جانب الخلافة التنفيس وقراه لما قراه التعظيم والتقديس وقال يا ايها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم وان لم يكن بلقيس أعلى الله تعالى تلك اليد المطوقة الايادى ومخجلة الغمائم والغوادى وأبقاها عامرة النوادى غالبة الاعادى وجعل سيفها السفاح ورأيها الرشيد وعلمها الهادى ووصل ما ألطف به رعيها من أشتات بر بلغت وموارد فضل سوّغت أمدتها سعادة المولى بمدد لم يضر معه البحر الهائل ولا العدوّ الغائل وأقام أودها عند الشدائد الفلك المائل لا بل الملك الذى له الى الله الوسائل وحسب الجفن رسالته الكريمة لحظا

ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبى سفيان يحرة الرهاوى فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الحجبى ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على فى الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس

فصان وأكرم وعوذة فعوذها وتحرم وتولى المملوك تنفيق عروضها بانشراح صدره وعلى قدره فوقعت الموقع الذى لم يقع سواها فاما الخيل فاكرم مثواها وجعلت جنان الصون ماواها ولو كسيت الربيع المزهر حللا وأوردت فى نهر المجرة علاونهلا وقلدت النجوم العواتم محلا ومسحت أعطافها بمنديل النسيم والحفت باردية الصباح الوسيم وافترشت لمرابطها الحشايا وانضمت حبات القلوب بالعشايا لكان بعض ما يجب لحقها الذى لا يجحد ولا يحتجب وماعداها من الرقيق والقيان رعاة ذلك الفريق تكفله الاستحسان وأطنب الاعتقاد وان قصر اللسان تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذى يحسب العطاء والحفظ الذى يسبل الغطاء والصنع الذى يسر من مطا الامل الامتطا وأما ما يختص بالمملوك فقد خصه بقوله تبركا بتلك المقاصد التى سددها الدين وعددها الفضل المبين وأنشد الخلافة التى راق من مجدها الجبين

قلدتنى بفرائد أخرجتها * من بحر جودك وهو ملتطم الثبج
ورعيت نسبتها فان سبيكة * مما يلائم لونها قطع السبج

والمملوك بهذا الباب النصرى أعزه الله تعالى على قدم خدمه وقائم بشكر منة لكم ونعمه وحاضر فى جملة الاولياء بدعائه وحبه ومتوسل فى دوام بقاء أيامكم ونصر أعلامكم الى ربه وان بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه والسلام الكريم الطيب البر العميم يخصها دائما متصلا ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * ومما خوطب به لسان الدين قول أبى الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى وكان ممن يمدح الملوك والكبراء

لبابك أم الآملون ويمموا * وفى ساحتى رحماك حطوا وخيموا
ومن راحتى كفيك جدواك تهمى * فتروى عطاش من نداك وتنعم
وأنت لما راموه كعبة حجهم * اذا شاهدوا مرآك لبوا وأحرموا
يطوفون سبعا حول بابك عندما * يلوح لهم ذاك المقام المعظم
فيمناك يمن للرعايا ومنة * ويسراك يسر للعفاة ومغنم
ولقياك بشر للنفوس وجنة * ترن بها ورق المنى وترنم
فيا واحد الازمان علما ومنصبا * ويا من به الدنيا تروق وتبسم
ومن وجهه كالبدر يشرق نوره * ومن جوده كالغيث بل هو أكرم
ومن ذكره كالمسك فض ختامه * وكالشمس نورا بشره المتوسم
لقد حزت فضل السبق غير منازع * فانت على أهل السباق مقدم
حويت من العلياء كل كريمة * بها الروض يندى والربا تتبسم
وباهيت أقلام القنام براعة * فاقلام الابراعك تخدم
اذا فاخر الامجاد يوما فانما * لمجدك فى حال الفخار يسلم
وان سكتوا كنت البليغ لديهم * تعبر عن سر العلا وتترجم

ومنها

فيا صاحبى نجواى عوجا براءة * على ربعه حيث الندى والتكرم
وقولا له عبد ببابك يرتجى * قضاء لبانات لديك تتمم

حج معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة ابن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد بن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان ابن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس عثمان بن أبى سعيد ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد ابن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت

فليس له الا علاك وسيلة * ولا شئ أسمى من علاك وأعظم
فجد بالذى يرجوه منك فانه * كعقد ثمين من ثنائك ينظم
بقيت ونجم السعد عندك طالع * يضىء له بدر وتشرق أنجم

توفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * ومما خوطب به قول أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى القاضى بانتقيرة قبل وفاته

عليك قصرت المدح ياخير ماجد * وأفضل موصوف بكل المحامد
ويا كهف ماهوف وملجأ خائف * ومورد جود قد كفى كل وارد
لقد شهرت بالمجد منك شمائل * محاسنها أزكى وأعدل شاهد
وكل الذى يبدو من الفضل بعض ما * حبيت به أعظم بها من مشاهد
اذا أملت منك المكارم ألفيت * تنادى هلموا فزتم بالمساعد
عطاؤكم جزل فمن أمل الغنى * فناكم يبغى فياسعد قاصد
وراثة مجد كابرا بعد كابر * وأصل زكى الفرع عذب الموارد

وتوفى المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعماية وفى حقه يقول فى الا كليل مشمر فى الطلب عن ساق مثابر على اللحاق بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد فى احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرست فى المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت أعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه * وقال لسان الدين فى ترجمة شعر المذكور انه ضعيف مهزول انتهى * ومما خوطب به قول أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى المنتشافرى من أهل رندة ونصه

حباك فؤادى نيل بشرى وأحياكا * وحيد بآداب نفائس حياكا
بدائع أبداها بديع زمانه * فطاب بها ياعاطر الروض رياكا
أمهديها أودعت قلبى علاقة * وان لم يزل مغرى قديما بعلياكا
اذا ماأشار العصر نحو فريده * فاياك يعنى بالاشارة اياكا
لاتخفى لقياك أسنى مؤملى * وهل تحفة فى الدهر الا بلقياكا
واعقبت التحاف فرائدك التى * وجوب ثناها يالسانى أعياكا

ووصل هذا النظم بنثر صورته خصصتنى أيها المخصوص بمآثر أعياعدها وحصرها ومكارم طيب أرواح الازاهر عطرها وسارت الركبان بثنائها وشملت الخواطر محبة علائها بفرائدك الانيقه وفوائدك المزرية جمالا على أزهار الحديقه ومعارفك التى زكت حقا وحقيقة وهدت الضال عن سبيل الادب مهيعه وطريقه وسبق تحفتك أعلى التحف عندى وهو مامول لقائك والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك على حين امتدت لذلكم الالقاء أشواقى وعظم من فوت استنارتى بنور محياك اشفاقى وتردد لهجى بما يبلغنى من معاليك ومعانيك وماشاده فكرك الوقاد من مبانيك وماأهلت به بلاغتك من دارسه وما أضفيت على الزمان من رائق ملابسه وماجمعت من أشتاته وأحييت من امواته وايقظت من سناته وماجادبه الزمان من حسناته فلترداد هذه المحاسن من أنبائك وتصرف الالسنة بثنائك

وقتل عبدالله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان ابن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل ابن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومى ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس ابن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ابن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة

بثنائك علقت النفس من هواها باشد علاقه وجنحت الى لقائك جنوح والهة مشتاقه والحوادث الجارية تصرفها والعوائق الحادثة كلما عطفت املها اليه لا تحفها به ولا تعطفها الى ان ساعد الوقت وأسعد البخت بلقائكم فى هذه السفرة الجهاديه وجاد باسعاف الاسعاد من امنيتى باسنى هديه فلقيتكم لقيا خجل ولمحت انواركم لمحة على وجل ومجتنى فى محاسنكم الرائقة ومعاليكم الفائقه على ما يعلمه ربنا عز وجل وتذكرت عند لقائكم المامول انشاء قائل يقول

كانت مساءلة الركبان تخبر عن * محمد بن خطيب اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * اذنى باحسن مما قد راى بصرى

قسم لعمرى اقوله اعتقده واعتده واعتمده فلقد بهرت منك المحاسن وفقت من يحاسن وقصر عن شاوك كل بليغ لسن وسبقت فطنتك النارية النورية بلاغة كل فطن وشهد لك الزمان انك وحيده ورئيس عصبته الادبية وفريده فبورك لك فيما انلت من الفضائل واوتيت من آيات المعارف التى بها نور الغزالة ضائل ولا زلت ترقى فى مراتب المعالى موقى صروف الايام والليالى انتهى وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصه

جدت على فرط المشقة رحلة * أتاحت لعينى اجتلاء محياكا
وقد كنت بالتذكار فى البعد قانعا * وبالريح ان هبت بعاطر رياكا
فلات لى النعمى بما أنعمت به * على فحياها الاله وحياكا

أيها الصدر الذى بمخاطبته يباهى ويتشرف والعلم الذى بالاضافة اليه يتعرف والروض الذى لم يزل على البعد بازهاره الغضة يتحف دمت تتزاحم على موارد ثنائك الالسن ويروى الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن طالما مالت اليك النفوس منا وجنحت وزجرت الطائر الميمون من رقاعك كما سنحت فالآن اتضح البيان وصدق الاثر العيان ولقد كنا للقاء بهذه الرحال نرتمض ونجن الظلام فلا نغتمض هذا يقلقه اصفار كيسه وهذا يتوجع لبعد أنيسه وهذا تروعه الاهوال وتضجره بتقلباتها الاحوال فمن أنة لا تنفع وشكوى الى الله تعالى ترفع فلما ورد بقدومك البشير وأشار الى ثنية طلوعك المشير تشوفت النفوس الصدية الى جلائها وصقالها والعقول الى حل عقالها والانفس المفحمة الى فصل مقالها ثم ان الدهر راجع التفاته واستدرك ما فاته فلم يسمع من لقائك الا بلمحه ولا بعث من نسيم روضك بغير نفحه فما زاد أن هيج الاشواق فالتهبت وشن غاراتها على الجوانح فانتهبت وأعل القلوب وأمرضها ورمى ثغرة الصبر فاصاب غرضها فان رأيت أن تنفس عن نفس شد الشوق مخنقها وكدر مشارب أنسها وأذهب رونقها وتتحف من آدابك بدرر تقتنى وروضة طيبة الجنى فليست ببدع فى شيمك ولا شاذة فى باب كرمك ولولا شاغل لا يبرح وعوائق أكثرها لا يشرح لنافست هذه السحاءة فى القدوم عليك والمثول بين يديك فتشوقى الى اجتلاء أنوارك شديد وتشيعى الى ابلاء الزمان جديد انتهى *(ووصف لسان الدين فى التاج المحلى أبا الحجاج المذكور بما صورته) * حسنة الدهر الكثير العيوب

حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص ابن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن ابن الضحاك الفهرى ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب ابن عمير بن سبع بن عوف ابن نضر بن معاوية النصرى ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومى الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن

عبد الملك بن الحرث بن الحكم بن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن

هشام بن اسمعيل بن الوليد ابن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان لو

وتوبة الزمان الجم الذنوب ماشئت من أدب يتألق وفضل تتعطر به النسمات وتتخلق ونفس كريمة الشمائل والضرائب وقريحة يقذف بحرها بدرر الغرائب الى خشية لله تعالى تحول بين القلوب وقرارها وتثنى النفوس عن اغترارها ولسان يبوح باشواقه وجفن يسخو بدرر آماقه وحرص على لقاء كل ذى علم وأدب ومن يمت الى أهل الديانة والعبادة بسبب سبق بقطره الحلبه وفرع من الادب الهضبه ورفع الرايه وبلغ فى الاحسان الغايه فطارت قصائده كل المطار وتغنى بها راكب الفلك وحادى القطار وتقلد خطة القضاء ببلده وانتهت اليه رياسة الاحكام بين أهله وولده فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده وله شيمة فى الوفاء تعلم منها الاس ومؤانسة عذبة لا تستطيعها الا كؤس وقد أثبت من كلامه ما تحلى به مراتب المهارق ويجعل طيبه فوق المفارق وكنت أشوق الى لقائه فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقيا لم تبل صدا ولا شفت كمدا وتعذر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بهذه الرقعة * حمدت على فرط المشقة رحلة * فذكر لسان الدين ما قدمناه الى آخره وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومؤلفاته ولنلخص بعض ذلك فنقول * ومن شعر أبى الحجاج المذكور يمدح الجهة الكريمة النبويه مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية قوله

لما تناهى الصب فى تشويقه * در رالدموع اعتاضها بعقيقه
متلهف وفؤاده متلهب * كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بخده * أنى خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجر * ما ان يحن للاعجات مشوقه
يسبى الخواطر حسنه ببديعه * يصبى النفوس جماله بانيقه
قيد النواظر اذ يلوح لرامق * لا تنثنى الاحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبشر ضيائه * للمسك نفحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لا محيه كانهم * شربوا من الصهباء كاس رحيقه
عطشوا والثغر لا سبيل لريقه * الا كاعهم لامع بريقه
ماضر مولى عاشقوه عبيده * لورق اشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بطيعه * مثل السلو ولا أنا بمطيقه
سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى * فاثار شجو مشوقه بمشوقه
وبكت هديلا راعها تفريقه * ويحق أن يبكى أخو تفريقه
وبكاء امثالى أحق لاننى * لم أقض للمولى كيد حقوقه
وغفلت فى زمن الشباب المنقضى * أقبح بشيخ بروره بعقوقه
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى * لو كنت مزدجرا الشيم بروقه
حسبى ندامة آسف مما جنى * يصل النشيج لو زوه بشهيقه
ويرم ماخوم الهوى زمن الصبا * ويروم من مولاه رتق فتوقه
ويردد الشكوى لديه تذللا * على الرضا يحبيه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابى سكره * نسخ الحكم صبوحه وغبوقه

لوكنت يمت التقاوصحبته * وسلكت ايثاراسواء طريقه
لأفدت منه فوائدا وفرائدا * عرضت تسام لرائج فى سوقه
لله أرباب القلوب فانهم * من حزب من نال الرضاوفريقه
قاموا وقدنام الانام فنورهم * هتك الدجى بضيائه وشروقه
وتانسوا بحبيبهم فلهم به * بشر لصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عندماسبقوا المدى * ولسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تلمح من نورهم * يحيى الفؤاد بسيره وطروقه
وتارج يستاف من أرواحهم * سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
لعنيت من جرّا جرائرى التى * من خوفها قلبى حليف خفوقه
ومى رجاء توسل أعددته * ذخرالصدمات الزمان وضيقه
حبى ومدحى احمد الهادى الذى * فوز الانام يصح فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب وبمنسب * من هاشم زاكى النجار عريقه
الحق أظهره عقيب خفائه * والدين نظمه لدى تفريقه
ونفى هداه ضلالة من جائر * مستوثق بيغونه ويعوقه
سبحان مرسله الينا رحمة * يهدى ويهدى الفضل من توفيقه
والمعجزات بدت بصدق رسوله * وحقيقه بالمأثرات خليقه
كالظبى فى تكليمه والجذع فى * تحننه والبدر فى تشقيقه
والناراذ خمدت بنور ولادة * وأجاج ماء قد حلا من ريقه
والزاد قل فزاد من بركاته * فكفى الجيوش بتمره وسويقه
ونبوع ماء الكف من آياته * وسلام احجار بدت بطريقه
والنخل لما أن دعاه مشى له * ذا سرعة بعذوقه وعروقه
والارض عاينها وقد زويت له * فقريب مافيها رأى كسحيقه
وكذاذراع الشاة قد نطقت له * نطق اللسان فصيحه وذليقه
ورمى عداه بكف حصبا فانثنت * هربا كذعر الجنان فروقه
وعليه آيات الكتاب تنزلت * تتلى بعلو جنابه وبسوقه
وأذيق من كاس المحبة صرفها * سبحان ساقيه بها ومذيقه
حاز السناء وناله بعرو جده * جاز السماء طباقها بخروقه
والكم له من آية من ربه * وعناية ورعاية بحقوقه
ياخيرة الأرسال عند الهه * يامحرز العليا على مخلوقه
علقت آمالى بجاهك عدة * والقصد ليس يخيب فى تعليقه
وعلقت من حبل اعتمادى عمدة * لتمسكى بقويه ووثيقه
ولئن غدوت أخيذ ذنبى اننى * أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
وكسادسوقى مذلجأت لبابكم * يقضى حصول نفوذه ونفوقه

وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودى) فهذا آخر ماحج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرثى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ثم كانت سنة تسع

ويحنّ قلبي وهو في تغريبه * لمزاره لرباك في تشريقه
وتزيد لوعته متى حث السرى * حادحدا بجماله وبنوقه
وأرى قشيب العمر أمسى باليا * ومرور دهري جد في تمزيقه
وأخاف أن أقضي ولم أقض المنى * بنفوذ سهم منيتي ومروقه
فتى أحط على اللوى رحلي وقد * بلغت ركابي للعمى وعقيقه
وأمرغ الخدين في ترب غدا * كالمسك في أرج شذا منشوقه
وأعيد انشائي وانشادي الثنا * ببديع نظم قريحتي ورقيقه
حتى أميل العاشقين تطربا * كالغصن مرّصبا على معشوقه
وتحية التسليم أبلغ شافع * وثنا المديح حديثه وعتيقه
ولذي الفخار وذي الحلي ووزيره * صديقه وأخي الهدى فاروقه
مني السلام عليهم كالزهر في * تأليفها والزهر في تأنيقه

وقال

هوا كم بقلبي مالا حكامه نسخ * ومن أجله جفني بمدمعه يسخو
ومن نشأتي ما ان صحت منه نشوتي * سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتي مذ تمادت وميتتي * وبعثي اذا بالصور يتفق النفخ
ولي خلد أضحى يبيض غرامه * ولا شرك يدني اليه ولا فخ
قتلت سلوّي حين أحييت لوعتي * وما الجنح بالاقرار في حالتي لطخ
وأغدو الى سعدى بكرخ علاقتي * وقصدي قصدي ليس سعدى ولا الكرخ
وناصح كتمي اذ كتبت بنانه * يجول عليه من دموع الاسى نضخ
وأرجو بتحقيقي هواكم بان أفي * فعهد ولا نقض وعقد ولا فسخ
وما الحب الا ما استقل ثبوته * لمبناه رص في الجوانح أو رسخ
اذا مسلك لم يستقم بطريقه * سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخ
بدا الضميري من سنا كم تلمح * فبح لعقل لم يطر عنه دهابخ
على عود ذاك اللمح ما زلت نادبا * كما ندب الورقاء فارقها الفرخ
يدي بأياديكم وقلبي شاغل * فن فكرتي نسج ومن اغلي نسخ

وقال

اليك تحنّ النجب والنجباء * فهم وهي في أشواقهم شركاء
تخب بركاب تحب وصولها * لارض بها بادسني وسناء
فانفاسها ما ان ثنى صعداؤها * وأنفسهم من فوقها سعداء
هموعا لجوا اذعجل السيرداءهم * وأشباه مثلي مدنفون بطاء
قعدت ودوني للحبيب ترحلوا * وما قاعد والراحلون سواء
له وعليه حب قلبي وأدمعي * وقد صح لي حب وسح بكاء
بطيبة هل أرضي وتبدو سماؤها * وان تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها واللمح منها كانه * ذكاء عبير والضياء ذكاء
فيا حاديا غني وللركب حاديا * عناني بعد البعد عنك عناء

وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس

٣

ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقتل في سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس

بسلع فسل عما أقاسى من الهوى * وسل بقباء اذ يلوح قباه
وفى عالج منى بقلبى لاعج * فهل لى علاج عنده وشفاه
وفى الرقتين أرقم الشوق لادغ * ودرياقه أن لو يساح لقاء
أما كن تمكين وأرض بها الرضا * وأرجاء فيها للشوق رجاء

وقال
أدب الفتى فى أن يرى متيقظا * لأوامر من ربه ونواهى
فاذا تمسك بالهوى يهوى به * والحبل منه لمن تيقن واهى

وقال
يامن بدنياه ظل فى لجج * حقق بان النجاة فى الشاطى
تطمع فى ارثك الفلاح وقد * أضعت ماقبله من اشراط
كن حذرا فى الذى طمعت به * من جب نقص وجب اسقاط

وقال
ترى شعروا أنى غبطت نسيمة * ذكت بتلاقى الروض غب الغمائم
كما قابلت زهر الرياض وقبلت * ثغور أقاحيه بلا لوم لائم

وقال
وردالمشيب مبيضا بوروده * ما كان من شعر الشبيبة حالكا
ياليته لو كان بيض بالتقى * ماسودته ما ثم من حالكا
ان المشيب غدا رداء للردى * فاذا علاك أجد فى ترحالكا

وقال
لوعة الحب فى فؤادى تعاصت * أن تداوى ولو أتى الفراق
كيف يبرا من علة وعليها * زائد علة النوى والفراق
فانسكاب الدموع جار بخار * والتهاب الضلوع راق فراق

*(ومن غرائب الاتفاق) أنه قال كنت جالسا بين يدى الخطيب أبى القاسم الشا كرونى صبيحة يوم بمجدمالقة فقال لنا فى أثناء حديثه رأيت البارحة فى عالم النوم كأن أباعبدالله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده وهما

كل علم يكون للمرء شغلا * بسوى الحق قادح فى رشاده
فاذا كان فيه لله حظ * فهو مما يعده لمعاده

قال فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الاديب أبو عبدالله الجليانى والبيتان معه فعرضهما على الشيخ فاخبره أنه صنعهما البارحة فقال له كل من فى المجلس أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك فكان هذا من العجائب * ولابى الحجاج المذكور تآليف منها كتاب ملاذ المستعين فى بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثا وكتاب تخصيص القرب وتحصيل الارب وقبول الرأى الرشيد فى تخميس الوتريات النبويه لابن رشيد وانتشاق النسمات النجديه واتساق النزعات الجديه وغرر الامانى المسفرات فى نظم المكفرات والنفحات الرنديه واللمعات الزنديه مجموع شعره وحقائق بركات المنام فى مرأى المصطفى خير الانام والاستشفاء بالعده والاستشفاع بالعمده فى تخميس البرده وتوجع الراثى فى تنوع المراثى واعتلاق السائل بافضل الوسائل ولمح البهيج ونفح الاريج فى ترجيز كلام الشيخ أبى مدين من عبارات حلميه واشارات صوفيه وكتاب تجريد رؤس مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل وفهرسة رواياته

بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور ابن عبدالله بن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج

و و جزذ كر مشايخ أبي عمر الطنجي وكتاب أرج الارجاء في مزج الخوف والرجاء أربعون حديثا في الرجاء والخوف وكان رحمه الله تعالى حيا حين ألف لسان الدين الاحاطة رحم الله تعالى الجميع * ورأيت على ظهر أول ورقة من الريحانة بخط الامام الكبير الشهير الشيخ ابراهيم الباعوني الدمشقي رحمه الله تعالى ما نصه قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعوني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وبلغه من فضله مطلوبه صاحب كتاب الريحانة آية من آيات الله سبحانه لوجه أدبه طلاقه وللسانه ذلاقه وللقلوب به علاقه وفي خطه غلاقه يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعته وينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته فليتامل الناظر اليه والمقبل عليه ما فيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل الآيات البواهر وليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التي عذب ماؤها النمير وحلا وليقل عند تامل دره النظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه وقوله رحمه الله تعالى وفي خطه غلاقه ليس المراد به الاصعوبة الخط المغربي على أهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والافان خط لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر فان تتبعه يطول اذ هو بحر لا ساحل له *وكان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثر القضاء حاجة من أمله وقصد بابه وأم له سواء كان من أودائه أو من أعدائه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى عنه في ذلك حكاية في أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة وهو أنه ذكر في ترجمة شموس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض في اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره وهو الغني بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر الخزرجي بعد كلام ما صورته كان قد جرى عليه التمحيص الذي أزعجه عن وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب من ايالة بني مرين فافادته الحنكة والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها وانتهجوا واضح طريقتها وبلغتنا منقولة بألسنة صدقهم معبرا عنها في عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس والرئيس الجهبذ يجريان من الاستقامة على قانون ولا يطردان من الصواب على اسلوب الا بالمحافظة على ما رسم من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذوو النبل من هذه الطبقة وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لما رسم وجودة تمييزه لما قصد ويرون المفسدة في الخروج عنها ضربة لازب وان الاستمرار على مراسمها آكد واجب فيتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما تتوخى الفرائض وسواء تبادر لهم معناها ففهموه أو خفي عليهم وجه رسمها فجهلوه حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل عمايته وقف عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس أبي عبد الله بن زمرك قال الشريف فامضاها كلها له ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له ذو الوزارتين بن الخطيب لا والله يا رئيس أبا عبد الله لا آذن في هذا لانا ما استقمنا في هذه الدار الا بحفظ العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تاذن الله تعالى للدولة بالاضطراب

بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ٣ ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدي ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن المهدي ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدي ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن علي وقيل منصور بن المهدي ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس

بالاضطراب واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل عن تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك القوانين الثابتة فنشأ من المفاسد ما أعوز رفعه وتعدد وتره وشفعه واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه وتعذر به الدواء الذى يرجى نفعه وكان قد صحبه من الجد ما سنى آماله وأنجح باذن الله تعالى أقواله وأفعاله فكان يجرى الامر على رسم من السياسة واضح ونظر من الآراء السديدة راجح ثم يحفه من الجد سياج لا يفارقه الى تمام الغاية المطلوبة من حصوله وتمكن مقتضى الارادة السلطانية من فروعه وأصوله انتهى كلام ابن عاصم * واذ جرى ذكره فلا بأس أن نلم بشئ من أحواله لان أهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثانى فنقول هو الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة بها كان رحمه الله تعالى من أكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها أخذ عن الامام المحقق أبى الحسن بن سمعت والامام القاضى أبى القاسم بن سراج والشيخ الراوية أبى عبد الله المنتورى والامام أبى عبد الله البيانى وغيرهم ومن تآليفه شرح تحفة والده وذكر فيه أنه ولى القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها كتاب جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى وكتاب الروض الاريض فى تراجم ذوى السيوف والاقلام والقريض كانه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك وقد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج السبتى بانه الاستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب ومعدن السماحة ومنبع الآداب انتهى وقد تقدم بعض كلامه فيما مر ومن بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى أزهار الرياض واقتصرت هنا على قوله بعد الجدلة الطويلة ما صورته أما بعد فان الله على كل شئ قدير وانه بعباده لخبير بصير وهو لمن أهل نيته وأخلص طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغى والنشر والطى والمنح والمنع والضر والنفع والبطء والعجل والرزق والاجل والمسرة والمساءة والاحسان والاساءة والادراك والفوت والحياة والموت اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الآفكون وهو الكفيل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وان فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعبرة لمن يفهم قوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامره والولاة آمره والفئة مجموعه والدعوة مسموعه والاوامر مطاعه والاجوبة سمع وطاعه واذا بالنعمة قد كفرت والذمة قد خفرت الى أن قال والسعيد من اتعظ بغيره ولا يزيد المؤمن عمره الا خيرا جعلنا الله تعالى ممن قضى عمره بخيره وبينما الفرقة حاصله والقطيعة فاصله والمضرة واصله والحبل فى انبتات والوطن فى شتات والخلاف يمنع رعى متات والقلوب شتى من قوم أشتات والطاغية يتمطى لقصم الوطن

بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود ابن عيسى بن محمد بن على ووثب ابن الافطس العلوى بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فاقام لهم باقى حجهم ثم كانت سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن

وقضمه ويلحظه لحظ الخائف على هضمه والآخذ بكظمه ويتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله ونظمه على رغم الشيطان ورغمه واذا القلوب قد ائتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت والافئدة بالالفة قد اقتربت الى الله تعالى وازدلفت والمتضرعة الى الله تعالى قد ابتهلت في اصلاح الحالة التي سلفت فالقت الحرب أوزارها وأذنت الفرقة النافرة مزارها وجلت الالفة الدينية أنوارها وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ورفعت الوحشة الناشبة أظفارها اعذارها وأرضت الخلافة الفلانية أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها وأصلح الله تعالى أسرارها فجمعت الاوطان بالطاعه والتزمت نصيحة الدين باقصى الاستطاعه وتسابقت الى لزوم السنة والجماعه وألقت الى الامامة الفلانية يد التسليم والضراعه فتقبلت فيآتهم وأحمدت جيآتهم وأسعدت آمالهم وارتضيت أعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت حاجاتهم واستمعت مناجاتهم وألسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجهتهم في الخلوص قد صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت وأكفهم بهذه الامامة الفلانية قد اعتلقت وكانت الادالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت الى أن قال وكفت القدرة القاهره والعزة الباهره من عدوان الطاغية غوائل باعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليلا على ما سوغ من الكرم والجود انتهى المقصود منه وهو كلام بليغ ومن أراد جملته فعليه بأزهار الرياض * ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة فظن انه يستخبره عن سر من أسرار السلطان فاعده معتذرا ولم يصدق الظن

فديتك لا تسأل عن السر كاتبا * فتلقاه في حال من الرشد عاطل
وتضطره اما لحالة خائن * أمانته أو خائض في الاباطل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب * وشى ذا بسر أو قضى ذا بباطل

ومن بديع ما نظم في مدح الرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الازرق رحمه الله تعالى

خضعت لمعطفه الغصون الميس * ورنا فهام بمقلتيه النرجس
ذو مبسم زهر الربا في كسبه * متنافس عن طيبه متنفس
ومورد من ورده أوتاره * يتنعم القلب العميد وييأس
فالورد فيه من دموعي يرتوي * والنار فيه من ضلوعي تقبس
كملت محاسنه فقد ناضر * ولواحظ نجل وثغر ألعس
صعب التعطف بالغرام حبيته * فالحب يحيي والتعطف يحبس
غرس التشوق ثم أغرى الوجد بي * فالوجد يغري والتشوق يغرس
ما كنت أشقى لو حللت بجنة * من وصله تحيا لديها الانفس
ألحاظه ورضابه وعذاره * حور بها أو كوثر أو سندس

لمحمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو أول طالبي اقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن ابن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس ابن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس

عشرة ومائتين حج بالناس عبدالله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس

وليال أنس قد أمنت بهن من * واش ينم ومن رقيب يحرس
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى * عاش الينا فى الدجى ومغلس
صفراء كالعقيان فى الالوان للندمان كالشهبان منها أكؤس
صبت شقيقا فاستحالت نرجسا * فى مزجها فورد وورس
وحبابها يغني باسنى جوهر * آنفى لغم المعدمين وأنفس
يجلى بها للغم منها حندسا * قرعليه من الذؤابة حندس
حتى اذا عمشت مراة البدر من * صبح بدا تلقاه اذ يتنفس
ناديته وسنى الصباح ممحص * ينجاب عنه من الظلام معسعس
يا مطلع الانوار زهرا يجتنى * ومشعشع الصهباء نارا تلمس
بك مجالس الانس اطمأن وبابن عا * عاصم اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بانوار الهدى متطلع * غيث باشتات الندى متبجس
حامى فلم نرتع لخطب يعترى * ووفى فلم نحفل بدهر يبخس
شيم مهذبة وعلم راسخ * ومكارم هتن ومجد أقعس
لو كان شخصا اذكره ابدا على * اعطافه من كل حمد ملبس
ذاكم أبو يحيي به تحمى العلا * وبه خلال الفخر طرّا تحرس
بيت على عمد الفخار مطنب * مجد على متن السماك مؤسس
خيم وعرس فى حماه فكم حوى * فيه المراد مخيم ومعرس
انا لنغدو هيما فينيلنا * رياو بوحشتنا النوى فيؤنس
حتى أقمنا والامانى منهضا * تواب تسمنا والزمان معبس
لم ندر قبل يراعه وبنانه * ان الذوابل بالغمائم تبجس
هن اليراع بها يؤمن خائف * و يحاط مذعور و يغنى مفلس
مهما انبرت فهى السهام برى لها * وقع لاغراض البيان مقرطس
يشفى بمأمله الشكى المعترى * يحيي بمأمنه الحمام المؤيس
فتقص حين تشق منها ألسن * وتسير حين تقط منها أرؤس
من كل وشاء باسرار النهى * دوب باظهار السرائر يهجس
قد جمع الاضداد فى حركاته * فلذا اطراد نجاره لا يعكس
عطشان ذورى ييبس مثمر * غضبان ذو صفح فصيح أخرس
لله من تلك اليراع جوادب * للسحر منك كانها المغنيطس
رضنا شماس القول فى أوصافها * فهى التى راضت لنا ما يشمس
واليكها حللا تشابه نسجها * مثلى يفصلها ومثلك يلبس
واهنأ بعيد باسم متهلل * وافاك يجهر بالسرور ويهمس
واحبس لواء الفخر موقوفا فان الحمد موقوف عليك محبس

قلت وعندى الآن شك فى صاحب هذه القصيدة هل هو قاضى الجماعة بغرناطة محمد بن

٣
ثم كانت سنة سبع عشرة
ومائتين حج بالناس سليمان
ابن عبدالله بن على ثم كانت
سنة ثمان عشرة ومائتين
حج بالناس صالح بن العباس
ابن محمد ثم كانت سنة تسع
عشرة ومائتين حج بالناس
صالح بن العباس بن محمد
ثم كانت سنة عشرين
ومائتين حج بالناس صالح
ابن العباس أيضا ثم كانت
سنة احدى وعشرين
ومائتين حج بالناس أيضا
صالح بن العباس بن محمد ثم
كانت سنة اثنتين وعشرين
ومائتين حج بالناس محمد
ابن داود بن عيسى بن محمد
ابن على بن عبد الله بن
العباس بن عبد المطلب
ثم كذلك الى سنة ست
وعشرين ومائتين ثم كانت
سنة سبع وعشرين ومائتين
حج بالناس جعفر المتوكل بن
المعتصم بن الرشيد ثم
كانت سنة ثمان وعشرين
ومائتين حج بالناس الى سنة
خمس وثلاثين ومائتين
محمد بن داود بن عيسى ثم
كانت سنة ست وثلاثين
ومائتين حج بالناس محمد
المنتصر ومعه جدته شجاع
ثم كانت سنة سبع وثلاثين
ومائتين حج بالناس على بن
عيسى بن جعفر بن المنصور
ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبدالله بن محمد بن

الازرق أو ابن الازرق الثاني القائل فيما يكتب على سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضي
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلي الماضي

والله سبحانه أعلم

(ومن انشاء الرئيس ابن عاصم المذكور) ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط وهو القضاء حفظ الله تعالى كمالك وأنجح آمالك اذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل معوج ومذهب لا يوافق عليه مناظر ولا ينصره محتج كما انه اذا حاطه العدل جادة للنداه وسبب في حصول رحمة الله تعالى المرتجاه وسوق النفاق بضاعة العبد المزجاه وأجل العدل ما تحلى به في نفسه الحكم وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة والحكم حتى يكون عن البغي رادعا وبالقسط صادعا ولا نف الانفة من الاذعان للحق جادعا وأنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا ينبه على ما ينبغي ولا يرد على طلبته من الانصاف المبتغي فلك في الطريقة القاضوية التبريز وأنت اذا كان غيرك الشبه الذهب الابريز ولعلمية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز وليتني كنت لمظهرك الحكمي حاضرا ولاعلام القضاة بآرائك المرتضاة محاضرا والوازع قد تمرس بالخصوم وجعل المتصدي للاذن في محل المخصوم وأنت حفظك الله تعالى قد دققت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل في الفضل والطول كالشهر المصوم والباب قد سد وداعي الشفاعة قد رد والميقات للاذن قد حد ومطلب الاجرة المتعارفة قد بلغ الاشد حتى اذا قضى الواجب وأذن في دخول الخصمين الحاجب وأولج السابقين الى الحد الذي لا يعدونه وحفز ايماؤه من تعداه أو وقف دونه وقد حصل باللحظ واللفظ التساوي وأنتج المطالب الاربعة هذا اللازم المساوي ومجلسك قد رجع وقاره برضوى ومجتلاك قد فضح نوره البدر الاضوا وقد امتزت عن سواك من القضاة برأسم لا تليق بجماتهم معارفها وتخصصت عنهم بملابس تعج عجيجا من جذامهم مطارفها بحيث تحد لخلع النعلين حدا لا يتجاوز طواه وتسد في بعض الاوقات الباب سدا لا ترفع بالمحاجر كواه وتفصل بين الخصمين أحيانا بالنية دون الكلام ولكل امرئ ما نواه وهذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل في الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها وأعيت ابن رشد فلم يهتد بيانه ولا تحصيله لاستنباطها فما بال النازحة عنك حسا ومعنى النازلة من تقاضي دينك بمنزلة الممطول المعنى المعتقلة من ملكه رقك بحيث أقصاها الاعج الشوق المعذبة من الصبابة فيك بما شاب عمره عن الطوق تتنفس الصعداء مما تشاهده منك من مبتدعات الجور وتردد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور وتقضي العجب مما تسمع من عدلك الذي لم تجتل لمحة من نوره ومن حلمك الذي أشقاها فلم تحضر لدكة طوره وتستصوب أنظار النحاة في منع التهيئة والقطع في العامل وتستجلب اصطلاح العروضيين في المديد والبسيط دون الطويل والكامل فهلا راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من عيونها دموعا مستهله واجتليت من جبينها

حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى ابن عيسى بن موسى ويلقب بساسان ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوي المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسير الان اسمعيل هذا اطلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه في الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى

الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة وأهله ولم تحوجها الى أن ينطق قرينها الروحانى بالشعر على لسانها ولسانك ولم تضطرها فى هذه المعاملة الى ما لا ترتضيه من كفر احسانك والعذر أظهر والبرهان أبهر وخلافك فى العالم أشهر وأنت ان لم يكن ما يعصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر وقد أدرجت لك فى طى هذا ما يصل الى يدك وتلهج به فى يومك وغدك منتظرة منك اطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطا بالخطاب ان شاء الله تعالى والله تعالى يصل سعادته ويحفظ مجادته ومعاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه الله تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة انتهى وهو مما لم أذكره فى أزهار الرياض * ولنذكر هنا الظهير الذى جلبته فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور الفقهاء وغيرهم ونصه هذا ظهير كريم اليه انتهت الظهائر شرفا عليا وبه تقررت المآثر برهانا جليا وراقت المفاخر قلائدا وحليا وتميزت الاكابر الذين افتخرت بهم الاقلام والمحابر اختصاصا ولويا * فهو وان تكاثرت المرسومات وتعددت وتوالت المنشورات وتجددت أكرم مرسوم تم فى الاعتقاد نظرا خطيرا واحكم فى التفويض أمرا كبيرا وابرم فى الاختصاص عزما أبيا * اعتمد بسطوره العزيز واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمن بالتعزيز من لم يزل بالتعظيم حقيقا وبالاكبار خليقا وبالاجلال حريا * فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا هاد لم يزل بالهدى ناطقا بليغ لم يزل بالبلاغة دريا * عظيم لم يزل فى النفوس معظما علم لم يزل فى الاعلام مقدما كريم لم يزل فى الكرام سنيا * اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين وحلت به المشورة فى الكنف المحوط والحرم الامين فكان فى مشكاة الامور هاديا وفى ميدان المراشد جريا * فالى مقاماته تبلغ مقامات الاخلاص والى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص فيمن حاز خصلا وزين حفلا وشرف نديا * واستكمل همما واستعمل قلما واستخدم مشرفيا * فلله ما أعلى قدر هذا الشرف الجامع بين المتلد والمطرف السابق فى الفضل أمدا قصيا * الحال من الاصطفاء مظهرا الفارع من العلاء منبرا الصاعد من العز كرسيا * حاز الفضل ارثا وتعصيبا واستوفى الكمال حقا ونصيبا ثناء أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا وهديا * نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ومجد علوه كالسها لو لم يكن السها خفيا * فما أشرف الملك الذى اصطفاه وكمل له حق التقريب ووفاه وأحله قرارة التمكين ومن باختصاصه بالمكان المكين فسبق فى ميدان التفويض وسما ورأى من الانظار الحميدة ما رأى صادعا بالحق اماما علما موضحا من الدين نهجا امما هاديا من الواجب صراطا سويا * بانيا للمجد صرحا مشيدا مشهرا للعدل قولا مؤيدا مبرما للخير سببا قويا * فالله تعالى يصل لمقام هذا الملك الذى طلع فى سمائه بدرا دونه البدور وصدرا تتلوه الصدور سعدا لا تمطله الايام فى تقاضيه ونصرا يمضى به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه على الفتح مبنيا * ويوالى له عزا يذود عن حرم الدين ويحميه تأييدا يصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيا * أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات الى مداه ولا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيد الله تعالى مقامه ونصر أعلامه وشكر انعامه ويسر مرامه لامام الائمة وعلم

ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد ٤٨٩ بن سليمان بن عبد الله الرسى ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن ابن اسمعيل بن العباس ابن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على ابن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر ابن سليمان بن على بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين

الاعلام وعماد ذوى العقول والاحلام وبركة حملة السيوف والاقلام وقدوة رجال
الدين وعلماء الاسلام الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء شهير العظماء حجة الاكابر
والاعيان مصباح البلاغة والبيان قاضى القضاة وامامهم أوحد الجلة وطود شمامهم
الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ومواهب
الملك به معهودة الاحسان وقلائد الايادى منه متقلدة بجيد كل انسان قد تقرر ان المفاخر
لا تنسب الا لبنيها والفضائل لا تعتبر الا بمن يشيد أركانها ويبنيها والكمال لا يصفى شربه
الا لمن يؤمن سربه ان هذا العلم الكبير الذى لا يفى بوصفه التعبير علم بآثاره يقتدى
وبانظاره يهتدى وباشارته يستشهد وبادارته يسترشد اذ لا أمد علوا الا وقد تخطاه ولا
مركب فضل الا وقد تمطاه ولا شارقة هدى الا وقد جلاها ولا ابة فخر الا وقد حلاها ولا
نعمة الا وقد أسداها ولا سومة الا وقد أبداها لما له فى دار الملك من الخصوصية
العظمى والمكانة التى تسوغ النعمى والرتب التى تسموا العيون الى مرتقاها وتستقبلها
النفوس بالتعظيم وتتلقاها حيث سر الملك مكتوم وقرطاسه مختوم وأمره محتوم
والاقلام قدر قضت الطروس وهى ذاويه وقسمت الارزاق وهى طاويه شقت ألسنتها
فنطقت وقطت أرجلها فسبقت ويبست فاثمرت انعاما ونكست فاظهرت قواما
وخطت فاعطت وكتبت فوهبت ومشقت فرفقت وأبرمت فانعمت فكم
يسرت الجبر وعقرت الهزبر وشنفت المسامع وكيفت المطامع وأقلت فيما ارتفع من
المواضع وأحلت لما امتنع من المراضع فهى تنجز النعم وتحجز النقم وتبث المذاهب
وتحث المواهب وتروض المراد وتنهض المراد وتحرس الاكناف وتغرس الاشراف
مصيخة لنداء هذا العماد الاعلى طامحة لمكانه الذى سما واستعلى فيما يملى عليها من البيان
الذى يقر له بالتفضيل الملك الضليل ويشهد له بالاحسان لسان حسان ويحكم له
ببرى القوس حبيب بن اوس ويهيم بما من الاساليب عنده شاعر كنده ويستمطر
سحبه النثره فصيح المعره الى منثور تزيل الفقر فقره وتدر الرزق دروه لو انتهى الى
قس اياد لشكر فى الصنيعة أياديه واستمطر سحبه وغواديه أو بلغ الى سحبان لسحره
وما فارقه عشيته ولا سحره ولو رآه الصابى لابدى اليه من صبوته ما أبدى أو سمعه ابن عباد
لكان له عبدا أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه واستنزر بضائعه أو أتحف به البستى
لاتخذه بستانا أو عرض على عبد الحميد لاحمد من صوبه هتانا فاعظم به من عال لا ترتقى ثنيته
ولا تحاز مزيته ولا يرجم أفقه ولا يكتم حقه ولا ينام له عن اكتساب الحمد ناظر ولا
يقاس به فى الفضل مناظر وهل تقاس الاجادل بالبغاث أو الحقائق بالاضغاث الا وان
بيته هو البيت الذى طلع فى أفقه كل كوكب وقاد ممن وشح به للعلوم اتقاء واتقاد وترامى
به للمدارك ذكاء وانتقاد فاعظم بهم أعلاما وصدورا وأهلة وبدورا خلدت ذكرهم
الدواوين المسطره وسرت فى محامدهم الانفاس المعطره الى أن نشأ فى سمائهم هذا
الاوحد الذى شهرة فضله لا تجحد فكان قمرهم الازهر ونيرهم الاظهر ووسيطة عقدهم
الانفس ونتيجة مجدهم الاقعس فابعد فى المناقب آماده ورفع الفخر وأقام عماده وبنى

خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم
كانت سنة تسع وسبعين
ومائتين حج بالناس الى سنة
سبع وثمانين ومائتين
تسع حجج متوالية أبو
عبد الله محمد بن عبد الله بن
داود بن عيسى بن موسى ثم
كانت سنة ثمان وثمانين
ومائتين حج بالناس محمد بن
هرون بن العباس بن
ابراهيم بن عيسى بن جعفر
ابن أبى جعفر المنصور ثم
كانت سنة تسع وثمانين
ومائتين حج بالناس الفضل
ابن عبد الملك بن عبد الله
ابن العباس بن محمد بن على
ولم يزل يحج بالناس كل
سنة الى سنة خمس
وثلثمائة ثم كانت سنة
ست وثلثمائة حج بالناس
أحمد بن العباس بن محمد بن
عيسى بن سليمان بن محمد
ابن ابراهيم الامام وهو
المعروف باخى أم موسى
الهاشمية قهرمانة شغب
أم المقتدر بالله ثم كانت
سنة سبع وثلثمائة حج
بالناس أحمد بن العباس
أيضا ثم كانت سنة ثمان
وثلثمائة حج بالناس الى
سنة احدى عشرة
وثلثمائة اسحق بن عبد
الملك بن عبد الله بن عبيد الله
ابن العباس بن محمد ثم
كانت سنة اثنتى عشرة
وثلثمائة حج بالناس الحسن
ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة

على تلك الأساس المشيده وجرى لادراك تلك الغايات البعيده فسبق وجلى وشنف
بذكره المسامع وحلى ورفع المشكل ببيانه وحرر المتبسر ببرهانه الى أن أحله قضاء الجماعة
ذروة أفقه الاصعد وبوأه عزيز ذلك المقعد فشرف الخطه وأخذ على الايدى المشتطه
لايراقب الاربه ولا يضمر الا العدل وحبه والمجلس السلطانى أسماه الله تعالى يختصه
بنفسه ويفرغ عليه من حلل الاصطفاء ولبسه ويستمطر فوائده ويجرب بانظاره حقوق
الملك وعوائده فكان بين يديه حكما مقسطا ومقسما لحظوظ الانعام مقسطا الى أن خصه
بالكتابة المولوية ورأى له فى ذلك حق الاولوية اذ كان والده المقدس نعم الله تعالى ثراه
ومنحه السعادة فى أخراه مشرف ذلك الديوان ومعلى ذلك الايوان يحبر رقاع الملك فتروق
وتلوح كالشمس عند الشروق فخلف ابنه هذا الكبير شرفا الشهير سلفا مرتبته التى سمت
وافترت به عن السعد وابتسمت فسحبت به للشرف مطارف وأحرزت به من الفخر التالد
والطارف فهو اليوم فى وجهها غره وفى عينها قره ولله هو فى ملاحظة الحقائق ووعيها
وسمع الحجج ووعيها فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص وسبقهم فى تبيين ما يشكل منها
وما يعتاص اذا المشكلة معه جلية الاغراض والآراء لديه آمنة من مآخذ الاعتراض
فكم رتبة عمرها بذويها فاكسبها تشريفا وتنويها وعلى ذلك فاعلام قضاة الوطن ومن
عبر منهم وقطن مع أقدارهم الساميه ومعاليهم التى هى للزهر مساميه لمفارقتهم
وساطته التى أحسنت وزينت بهم المجالس وحسنت فبه أمضوا أحكامهم وأعملوا فى
الاباطيل احتكامهم وكتبوا الرسوم وكبتوا الخصوم وحلوا دست القضاء وسلوا
سيف المضاء وفى زمانه تخرجوا وفى بستانه تأرجوا ومن خلقه اكتسبوا والى طرقه
انتسبوا وعلى موارده حاموا وحول فوائده قاموا وبتعريفه عرفوا وبتشريفه شرفوا
وبصفاته كلفوا وبعرفانه وقفوا فامنوا مع انسكاب سحب افادته من الجدب وقاموا
بذلك الفرض بسبب ذلك الندب وهل العلماء وان عمت فوائدهم وانتظمت بجياد
الاذهان فرائدهم الا من أنواره مستمدون والى الاستفادة من أنظاره ممتدون وببركاته
معتدون وباسبابه مشتدون فبه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم وتأرجت فى روضات
المعارف زهراتهم وبه عمر والحلق وائتلق من أنوارهم ما ائتلق اذ كل من اصطناعه
محسوب والى بركته منسوب فهو بدرهم الاهدى وغيثهم الاجدى وعقدهم المقتنى
وروضهم المجتنى وبدر منازلهم وصدر محافلهم وعلى ما أعلى المقام المولوى من مكانه
وقضى به من استمكانه واعتمد من ابرامه وأبرم من اعتماده ومهد من اكرامه وكرم
من مهاده واختص من علاه وأعلى من اختصاصه واستخلص من حلاه وحلا من
استخلاصه ووفى من تكرمه وكرم من وفائه واصطفى من مجده ومجد من اصطفائه
وقدم من براعته وحكم من يراعته وشقق من كتابته وأنطق من خطابته وسجل من
أنظاره وعجل من اختياره فذكا ذكره وسطا سطره وأمعن معناه وأغنى مغناه
أشار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها واثبات مقاماته وتحديدها لتعرف
تلك الحدود فلا تتخطى وتكبر تلك المراتب فلا تستعطى فاصدر له شكر الله تعالى اصداره

وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله
بن العباس بن محمد خليفة
لعمه الحسن ثم كانت سنة
أربع عشرة وثلثمائة حج
بالناس عبد الله بن عبيد الله
ابن سليمان بن محمد الاكبر
ثم كانت سنة خمس
عشرة وثلثمائة حج بالناس
عبد الله بن عبيد الله بن
العباس بن محمد المعروف
بابى أحمد الازرق خليفة
الحسن بن عبد العزيز بن
العباس ثم كانت سنة ست
عشرة وثلثمائة حج بالناس
أبو أحمد الازرق أيضا ثم
كانت سنة سبع عشرة
وثلثمائة دخل سليمان بن
الحسن صاحب البحرين
مكة وقد حضر عمر بن
الحسن بن عبد العزيز
المقدم نسبه اليه لاقامة الحج
خليفة لابيه فكان من أمر
الناس ما كان فيما قدمنا
ذكره فيما سلف من هذا
الكتاب ولم يتم حج فى موسم
سنة سبع عشرة وثلثمائة
هذه من أجل حادثة القرامطة
لعنهم الله الا لقوم يسير غرروا
فتم حجهم دون امام وكانوا
رجالة ثم كانت سنة ثمان
عشرة وثلثمائة حج بالناس
عمر بن الحسن بن عبد
العزيز الهاشمى خليفة
لابيه الحسن بن عبد العزيز
ثم كانت سنة تسع عشرة
وثلثمائة حج بالناس فيها
جعفر بن على بن سليمان
خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا

وعمر بالنصر داره هذا المنشور الذى تارج بعامده نشره وتضمن من مناقبه البديع فراق طيه ونشره وغدا وفرائد المآثر لديه موجودة مكونة واصبح للمفاخر الكامنة التى به مدونه وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط المستكمل الفروع والاصول المستوفى الاجناس والفصول فى الامور التى تختص باعلام القضاة الاكابر وكتاب القضاة ذوى الاقلام والمحابر وشيوخ العلم وخطباء المنابر وسائر أرباب الاقلام القاطن منهم والعابر بالحضرة العليه وجميع البلاد النصريه تولى الله تعالى جميع ذلك بعهود ستره ووصل لديه ما تعود من شفع اللطف ووتره يحوط مراتبهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم وجنيت ويراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد وبنيت وحقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية ورعيت ويحل كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ومرتبته التى هو بها خليق على ما يقتضى ما يعلم من أدواتهم ويخبر من تباين ذواتهم ويرشح كل واحد الى ما استحقه ويؤتى كل ذى حق حقه اعتمادا على أغراضه التى عدلت وصدحت على أفنانها من الافواه طيور الشكر وهدلت واستنادا فى ذلك الى آرائه وتفويضاته فى هذا الشان بين خلصاء الملك وظهرائه وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا وانتهضوا بهممهم واستبقوا كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن ابن الجياب والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمهما الله تعالى فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الاعمال التى سمت واعتزت ومالت بها أعطاف العدل واهتزت وسار بها الخبر حثيث السرى وصار بها الحق مشدود العرى وعلى جميع القضاة الامضياء والعلماء الارضياء والخطباء الاولياء والمقرئين الازكياء وحملة الاقلام الاحظياء أن يعتمدوا هذا الولى العماد فى كل ما يرجع الى عوائدهم ويختص فى دار الملك من مرتباتهم وفوائدهم وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم ويليق بمقاصدهم ونياتهم فهو الذى يسوغهم المشارب ويبلغهم المآرب ويستقبل العلى بالعلى والعاطل بالحلى والمشكل بالجلى والمفرق بالتاج والمقدمة بالانتاج وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم فليجروا على ما هم بسبيله وليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء ودليله وكتب فى صفر عام سبعة وخمسين وثمانمائة انتهى * قلت وانما أتيت به لوجوه أحدها ما يتعلق بلسان الدين اذ وقعت الاشارة الى مرتبته فى آخره والثانى ما اشتمل عليه من الانشاء الغريب والثالث معرفة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم وتمكنه من الرياسة لانا بنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل المغرب لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية والرابع ان بعض أكابر شيوخنا ممن ألف فى طبقات المالكية لما عرّف بأبى يحيى ذكره فى نحو أسطر عشرة وقال هذا الذى حضرنى من التعريف به والخامس ان ابن عاصم المذكور كما قاله الوادى آشى وغيره كان يدعى فى الاندلس بابن الخطيب الثانى ويعنون بذلك البلاغة والبراعة والرياسة والسياسة *(رجع) الى أخبار لسان الدين فنقول وأما كتب التاليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى فقد قال فى الاحاطة لما أجرى ذكر ذلك ما صورته وأما ما رفع الى من الموضوعات العلميه والوسائل الادبيه

ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها (قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيئا من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية

والرسائل

والرسائل الاخوانيه لما أقامنى الملك صنما يعتمد وخيالا اليه يستند صادرة عن الاعلام وحملة الاقلام ودر وساء النثار والنظام بجم يضيق عنه الاحصاء ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء وربما تضمن هذا الكتاب كتاب الاحاطة منه كثيرا ومنظوما أثيرا ودرا نثيرا جرى فى أثناء الاسماء وانتمى الى الاجادة أكرم الانتماء غفر الله تعالى لى ولقائله فما كان أولانى واياه بستر زوره واغراء الاضراب بغروره فاهو نعالاينفع وان ارتفع الكلام الطيب لايرفع اللهم تجاوز عنا بفضلك وكرمك انتهى * وقد تقدم فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة وصاحب التآليف العديدة أنه ألف تقييدا على قواعد الامام القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى وكذلك غير واحد من أهل عصره قصدوه بالنظم والنثر وهى سنة الله سبحانه وتعالى فى عباده اذا السلطان سوق يجاب اليها ما ينفق فيها والله سبحانه وتعالى ولى المكافاه لا اله غيره ولا مامول سواه

* (تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله الباب الخامس) *

والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التخويف فى أول كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ماتقدم من تصنيفنا ونظمناه من تأليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا) الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو ان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع ولما قد دفعنا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين وتارة مغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما لحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتقصى النهاية ولو كان لايؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذن ما ألف أحد كتابا ولا تاتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وفوق كل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يعصمنا بخير شرا ويجد هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ويتغمدنا بفضله انه جواد منان لا اله الا هو رب العرش العظيم

(تم بحمد الله تعالى تاريخ المسعودى)



